A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته من العلوم
والآداب على اختلاف مواضيعها . وتراجم العلماء والادباء
والشعراء وسائر ارباب القرائح . ووصف مؤلفاتهم
وأماكن وجودها او طبعها من اقدم ازمنة
التاريخ الى الآن

R
892.709
Z39taA
v.1-2

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

الجزء الاول والجزء الثاني معاً

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في عصر الجاهلية
وعصر الراشدين والعصر الاموى
أي من اقدم أزمنة التاريخ الى سنة ١٣٢ هـ

الطبعة الثالثة

68563

مطبعة الهلال

سنة ١٩٣٦

Gift. Fresh. Class Cat. Sept. 58

المقدمة

تاريخ التأليف في هذا الموضوع

لم يكن تاريخ آداب اللغة معروفاً عند الافرنج قبل نهضتهم الاخيرة فى التمدن الحديث . وما لبثوا أن تنبهوا له حتى ألفوا فيه وأصبحوا وما من لغه من لغاتهم إلا وفيها كتاب أو غير كتاب فى تاريخ آدابها . ولما استشرقوا أخذوا في درس اللغة العربية وكتبوا في تاريخ آدابها غير كتاب سيأتي ذكرها

أما العرب فالمشهور أنهم لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم والحقيقة أنهم أسبق الامم إلى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من المواضيع . فان في تراجم الرجال كثيراً من هذا التاريخ لانهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ويبينون مواضيعها وقد يصفونها . وأول كتاب خصصوه للبحث في المؤلفين والمؤلفات « كتاب الفهرست » لابن النديم (سنة ٣٧٧ هـ) وهو يشتمل على آداب اللغة العربية من أول عهدها الى ذلك العصر مرتبة حسب المواضيع ولم يقتصر ذلك الكتاب على آداب العرب الاصلية ولكنه تضمن ما أحدثوه من العلوم الاسلامية واللسانية وما نقلوه عن اللغات الاخرى بالتفصيل مع تراجم المؤلفين والمترجمين والشعراء والادباء . ولولاه لضاع أسماء كثير من الكتب النفيسة . ولاعوزنا تراجم كثيرين من الادباء والشعراء والعلماء فهو ذخيرة أدب وعلم لا تثمن . وقد طبع فى ليبسك سنة ١٨٧٢

ولم يظهر بعده كتاب يستحق الذكر قبل كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة ويعرف بموضوعات العلوم لطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ رتبه حسب المواضيع أيضاً وذكر فيه ١٥٠ فناً ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

يليه كتاب « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » لملا كاتب جلبى المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ وهو معجم مرتب على الابجدية حسب أسماء الكتب . وبلغ ما حواه منها نحو ١٥٠٠٠ كتاب مع أسماء أصحابها ووفياتهم وتواريخ أهم العلوم . وقد طبع عدة طبعات أهمها طبعة ليبسك ولندن سنة ١٨٣٥ ـ ١٨٥٨ في ٧ مجلدات معها ملحق فيه ذيل احمد منيف زاده . وفهارس مكاتب دمشق وحلب ورودس والمغرب وفهرس السيوطى وابن خليفة الاندلسي وبعض مكاتب الاستانة . وله طبعات أخرى في الاستانة ومصر في مجلدين

وأخيراً كتاب « أبجد العلوم » لصديق القنوجي من أهل هذا العصر وهو كتاب ضخم عول فيه صاحبه على من تقدمه ورتبه على المواضيع . وقد طبع على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ هـ في ٣ مجلدات كبيرة

على أن هذه الكتب وأمثالها تعد من المآخذ الاساسية لدرس آداب اللغة . ولكنها لا يصح أن تسمى تاريخاً لها بالمعنى المراد بالتاريخ اليوم ولم يتصد أحد للتأليف في تاريخها على النمط الحديث قبل الافرنج المستشرقين فهم أول من كتب فيه من أواسط القرن الماضي لكنهم لم يوفوه حقه إلا في أول هذا القرن . وسنأتي على أسماء مؤلفاتهم فيما يلي

أما في العربية فلعلنا أول من فعل ذلك . ونحن أول من سمى هذا العلم بهذا الاسم « تاريخ آداب اللغة العربية » فنشرنا منه فصولا صدر أولها سنة ١٨٩٤ في الهلال التاسع من السنة الثانية وآخرها في أواخر السنة الثالثة وقد انتهينا فيه الى تاريخ آدابها في عصر الانحطاط ثم شغلنا عن اتمامه ووعدنا القراء بالعود الى هذا الموضوع على أن نفرد له كتاباً خاصا مع التوسع والتدقيق . فقضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شاردة إلا قيدناها وملاحظة إلا حفظناها وتدبرناها والقراء يطالبوننا به . فأعلنا في السنة الماضية عزمنا على القيام بوعدنا وها نحن فاعلون

الغرض من هذا الكتاب

نعنى بتاريخ آداب اللغة العربية تاريخ ما تحويه من العلوم والآداب وما تقلبت عليه في الاعصر المختلفة . أو هو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم . وهاك أهم أعراضنا منه :

١ ـ بيان منزلة العرب بين سائر الامم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي

٢ ـ تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والاعصر

٣ ـ تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف أدواره من تكونه ونشوئه الى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب الاعصر والادوار

٤ ـ تراجم رجال العلم والادب مع الاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها لمن يريد التوسع في تلك التراجم

٥ ـ وصف الكتب التي ظهرت في العربية باعتبار مواضيعها وكيف تسلسلت بعضها من بعض وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء اليها ووجه الاستفادة منها

٦ ـ لا نهتم من هذه الكتب بالاكثر الا بما لا يزال باقيا منها ويمكن الحصول عليه . فاذا كان مطبوعا ذكرنا محل طبعه وسنته واذا كان لم يطبع أشرنا الى المكاتب الكبرى التي يوجد فيها ـ نعنى المكاتب الدولية في أوربا أو غيرها كالمكتبة الملكية في برلين ومكتبة المتحف البريطانى في لندن والمكتبة الاهلية فى باريس والمكاتب الدولية في فينا وغوطا واكسفورد ومنشن وليدن وغيرها ودار الكتب المصرية في القاهرة ومكاتب ايا صوفيا أو كوبرلى أو بيازيد أو غيرها في الاستانة . حتى اذا أراد حد الوقوف على شيء من الاصول الخطية طلبها في قوائم تلك المكاتب

وبالجملة فان غرضنا الرئيسي أن يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلا عن الفائدة النظرية بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمته بالنسبة الى سواه من نوعه . فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الامة العربية وعقولها وتراجم علمائها وادبائها وشعرائها ومن عاصرهم أو عاملهم من كبار الرجال . ووصف المؤلفات العربية على اختلاف مواضيعها . ومتى تم الكتاب ألحقناه بفهرس ابجدى للاعلام والمواضيع فيصير معجماً للعلم والعلماء والادب والادباء والشعر والشعراء ولما جادت به قرائحهم من التصانيف أو المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعه أو وجوده

تقسيم الموضوع وابوابه

ترددنا كثيراً في الخطة التى نتخذها في تقسيم هذا الكتاب بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب الاعصر ـ ومعنى قسمته حسب العلوم أن نستوفي الكلام في كل علم على حدة من نشأته الى الآن على أن نبدأ باقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء وما تقلب عليه من أول عهده الى الآن . ونفعل مثل ذلك بالخطابة وغيرها من آداب الجاهلية وهكذا في العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة . والتاريخ والجغرافية وغيرها . أما قسمته حسب الاعصر فيراد بها الكلام عن أحوال العلوم معاً في كل عصر على حدة وهذا الذي اخترناه . فقسمنا هذا الكتاب الى تاريخ آداب اللغة العربية قبل الاسلام وتاريخها بعده . وقسمناها في الاسلام الى اعصر حسب الانقلابات السياسية لبيان ما يكون من تأثير تلك الانقلابات فيها . فبدأنا بعصر الراشدين فالعصر الاموي فالعباسى فالمغولى فالعثمانى فالعصر الحديث وقسمنا كلا منها الى أدوار حسب الاقتضاء . وسيدخل هذا الكتاب في أربعة أجزاء هذا أولها

موضوع هذا الجزء

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة في العصر الجاهلي وفي عصر الراشدين والعصر الاموي . أي من أول عهدها الى سنة ١٣٢ هـ . فبدأنا بمقدمات تمهيدية في ما هو المراد بآداب اللغة ومن هم اسبق الامم الى العلم وما هي مصادر آداب اللغة على الاجمال . واتينا بآداب اللغة اليونانية على سبيل المثال . ثم عمدنا الى آداب العرب قبل الاسلام فقسمناها الى الجاهلية الاولى في زمن الحمورابيين وما بعدهم . والجاهلية الثانية في القرنين الاخيرين قبل الهجرة . وصدرنا الكلام بفصول في الفرق بين لغة الجاهليتين ودرجة ارتقاء عقول العرب . والمرأة في الجاهلية . وتقدمنا الى الآداب الجاهلية فقسمناها الى :

١ ـ الآداب العربية ويدخل فيها اللغة والشعر والخطابة والامثال والنسب ومجالس الادب والاخبار ونحوها

٢ ـ العلوم الطبيعية وتحتها الطب والبيطرة والخيل ومهاب الرياح

٣ ـ العلوم الرياضية أردنا بها الفلك والميثولوجيا والتوقيت

٤ ـ ما وراء الطبيعة ويدخل فيها الكهانة والعيافة والقيافة وتعبير الرؤيا والزجر وغير ذلك

وأخذنا في الكلام عن كل علم على حدة فبدأنا باللغة فذكرنا تاريخها قبل الاسلام وما دخلها من الالفاظ الاعجمية وكيف كانت لما جاء الاسلام ، وفروعها ومميزاتها عن سائر اللغات . ثم الامثال وأنواعها وما ألف فيها . وانتقلنا الى الشعر وهو أهم تلك الآداب فافضنا في درسه وبحثنا في هل عند العرب شعر تمثيلي . وكيف بدأ العرب ينظمون . وماهو أصل وزن الشعر عندهم وأسباب نهضة الشعر في الجاهلية وأهمها استقلال عرب الحجاز من اليمن وحروبهم فيما بينهم . وبينا عدد الشعراء بالنظر الى القبائل وبالنظر الى الاقاليم وتأثير الاقليم في قرائحهم . ثم عقدنا فصلا في خصائص الشعر الجاهلي وأحوال شعرائه . وتسهيلا لدرسهم وتفهمهم قسمناهم حسب أغراضهم الى : اصحاب المعلقات والشعراء الامراء والشعراء الفرسان والشعراء الحكماء والشعراء العشاق والصعاليك واليهود والنساء الشواعر والشعراء الهجائين ووصاف الخيل والموالى وسائر الشعراء . وذكرنا مميزات كل طبقة وأشهر شعرائها وتراجم وأمثلة من أقوالهم وماصارت اليه دواوينهم والمآخذ التي يرجع اليها في معرفة أخبارهم . ثم تقدمنا للكلام على سائر علوم الجاهلية

وفي عصر الراشدين بدأنا بذكر التغيير الذي أحدثه الاسلام في نفوس العرب وما كان من تأثير ذلك في آدابهم ولا سيما الشعر والخطابة . ثم كتبنا فصلا في الشعر والنبي وآخر في الشعر والخلفاء الراشدين وما حدث من العلوم في هـذا العصر مع تاريخ الخط

وقدمنا الكلام في العصر الاموى بميزات ذلك العصر وما اقتضته سياسة بنى أمية من التفريق بين القبائل واصطناع الاحزاب وتأثير ذلك في آدابهم . فبدأنا بالعلوم الشرعية كالقراءة والتفسير والحديث والفقه مع تمهيد في البصرة والكوفة . ثم العلوم اللسانية النحو والحركات والاعجام ثم التاريخ والجغرافيا . ورجعنا الى ما صارت اليه آداب الجاهلية فى ذلك العصر وهي اللغة والشعر والخطابة وتكلمنا عن أسباب رواج الشعر ومميزاته فيه . وقسمنا هذا العصر الى ثلاثة ادوار . وقسمنا شعراءه الى شعراء السياسة وشعراء الغزل والشعراء الخلعاء والسكيرين والشعراء الادباء . وقدمنا الكلام فى فحول ذلك العصر . وقسمنا شعراء السياسة الى أحزاب أهمها : أنصار بنى أمية وأنصار آل المهلب وانصار العلويين والخوارج وغيرهم . وأتينا بتراجم شعراء كل طبقة وأمثلة من أقوالهم حسب أغراضهم وأدوارهم مع ذكر دواوينهم وما آخذ أخبارهم . وختمنا الجزء بفصول في قرائح الشعراء وشياطينهم والقراءة فيهم . وأخيراً فى الخطابة والخطباء والانشاء وبه تم العصر الاموي وهو آخر الجزء الاول

الكتب التى عولنا عليها

يطول بنا ذكر الكتب التى اطلعنا عليها قبل تأليف هذا الكتاب . وهي على الاجمال كتب التاريخ والادب واللغة والشعر . وقد ذكرنا جانباً كبيراً منها بين مآخذ تاريخ التمدن الاسلامى وتاريخ العرب قبل الاسلام . وأتينا بقائمة أخرى في آخر باب الشعر الجاهلي من هذا الكتاب صفحة ١٦٥ فنكتفى هنا بذكر الكتب التى هي من قبيل تاريخ آداب اللغة في العربية وفي الافرنجية ولم يرد ذكرها في تلك القائمة واليك أهمها :

١ ـ الكتب العربية

الفهرست	لابن النديم	طبع في ليبسك سنة ١٨٧٢
مفتاح السعادة	لطاشكبرى زاده	خط فى دار الكتب المصرية
كشف الظنون ٣ أجزاء	لكاتب جلبي	طبع في ليبسك سنة ١٨٥٨
أبجد العلوم ٣ أجزاء	لصديق القنوجي	« في الهند « ١٢٩٦ هـ
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	« بولاق « ١٢٨٤ هـ

طبقات الأدباء	للانباري	طبع مصر	سنة ١٢٩٤ هـ
« الاطباء جزآن	لابن أبي أصيبعة	« «	« ١٨٨٢
وفيات الاعيان ٣ اجزاء	ابن خلكان	« «	« ١٣١٠ هـ
فوات الوفيات جزآن	لابن شاكر	« «	« ١٢٨٢ هـ
المزهر جزآن	للسيوطي	« بولاق	« ١٢٨٢ هـ
اكتفاء القنوع	لادوارد فنديك	« مصر	« ١٨٩٧

٢ ـ الكتب الفرنساوية

Loliée, Hist. des littératures comparées des origines au XXe siècle,	Paris	1900
Deltour, Hist. de la littérature grecque	„	1896
Bouchot, Précis de la littérature ancienne	„	1874
Perrens, Hist. de la littérature italienne	„	1867
Baret, Hist. de la littérature espagnole	„	1863
Jusserand, Hist. abr. de la littérature anglaise	„	1896
Duval, La littérature syriacque	„	1900
Seignobos Hist. de la civilisation, 3 vol.	„	1905
Sédillot, Hist. gen. des arabes, leur civil., etc.	„	1877
Huart, Littérature arabe	„	1902
Dozy, Recherches sur l'histoire et littérature de l'Espagne 2 Vol.	„	1881
Brunetière, Hist. de la littérature française	„	1900
Le Bon, La civilisation des arabes	„	1884

٣ ـ الكتب الانكليزية

Browne, A literary hist. of Persia, 2 Vol.	London	1900
Magoliouth, Mohamed and the rise of Islam	„	1905
Boer, The hist. of philos. in Islam	„	1903
Scott, Hist. of moorish empire in Europe, 3 Vol.	New York	1904
Nicholson, A literary hist. of the Arabs	London	1907
Frazer, A literary, hist. of India	„	1898

٤ ـ الكتب الالمانية

Hammer-Purgstall, Litteraturgeschichte der Araber bis zum Ende des 12 Jahrhundert der Hidschret, 7 Vol.	Vienna	1856
Wustenfeld, Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke,	Gothingen	1882
Goldzihr, Muhammedanische Studien.	Halle	1890
Diercks, Die Araber im Mittelalter und ihre Einfluss auf die Culture Europa's	Leipzig	1882
Schak, Pœsie und Kunst der Araber in Spanien	Stuttgart	1877
Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 Vol.	Weimar	1902

هذا وقد بذلنا الجهد في تحقيق ما كتبناه على ما بلغ اليه الامكان . ولكن الكتاب واسع الموضوع كثير الجزئيات والانسان موضع الضعف . فنتقدم الى من يقع لنا على خطأ أن ينبهنا اليه لنستدركه في الاجزاء التالية . وما العصمة الا لله وحده

(سنة ١٩١١)

مقدمات تمهيدية

١ ـ ما هو المراد بآداب اللغة

آداب اللغة علومها . والمراد بتاريخ آداب اللغة تاريخ علومها أو تاريخ ثمار عقول ابنائها ونتاج قرائحهم . فهو تاريخ الامة من الوجهة الادبية والعلمية . ولكل أمة تاريخ عام يشمل النظر في كل احوالها ويتفرع الى تاريخ سياسي وآخر اجتماعي وآخر اقتصادى وآخر أدبي أو علمى . فالتاريخ السياسي يبحث فيما مر على الامة من الفتوح والحروب وما توالى عليها من الدول وأنواع الحكومات ونحو ذلك . والتاريخ الاجتماعى يبين الادوار التى تقلبت بها تلك الامة من حيث عاداتها واخلاقها . والاقتصادى يتناول النظر في تاريخ مالية تلك الامة وثروتها واحوالها الزراعية والصناعية وغيرها . وقس على ذلك سائر ضروب التاريخ . ومنها التاريخ الادبي أو العلمي وهو يبحث في تاريخ الامة من حيث الادب والعلم فيدخل فيه النظر فيما ظهر فيها من الشعراء والادباء والعلماء والحكماء وما دونوه من ثمار قرائحهم أو نتاج عقولهم في الكتب وكيف نشأ كل علم وارتقى وتفرع عملا بسنة النشوء والارتقاء

والتاريخ العام ان لم يشمل تاريخ آداب اللغة كان تاريخ حرب وفتح وسفك وتغلب واستبداد . اذ لا يستطاع الوصول الى فهم حقيقة الامة أو كنه تمدنها أو سياستها الا بالاطلاع على تاريخ العلم والادب فيها . فهو شارح للتاريخ يعلل الاسباب والحوادث بعللها الحقيقية . فاذا قرأنا تاريخ أمة وعرفنا ما توالى عليها من الاحوال السياسة والادارية والاقتصادية والاجتماعية واستخرجنا أسباب تمدنها ورقيها أو تقهقرها وسقوطها ـ مهما علمنا من ذلك كله فان الاسباب لاتزال غامضة حتى نعلم تاريخ علوم تلك الامة وهو تاريخ عقولها وقرائحها فتتجلى لنا العوامل الاصلية في أسباب رقيها أو سقوطها . فان ما تخلفه من الآثار الادبية ينم عما كانت عليه من الارتقاء العقلي أو الميل القلبي وسائر أحوالها من الاعتدال أو العفة أو التهتك . من الهمة او الخمول الى غير ذلك من الآداب والاطوار ـ وانما الامم الاخلاق ما بقيت ـ على ان تاريخ آداب اللغة لا يكون وافياً ان لم يوضح بالتاريخ السياسى

واهل التمدن الحديث يجعلون البحث في آداب اللغة من أهم الوسائل لتفهم تاريخها السياسي ويقسمون ذلك التاريخ إلى اطوار على مقتضى ما تقلب عليها من

الاحوال الادبية ويقيسون ما تبينوه من الاطوار الماضية على ما سيكون . فيتنبأون عن مستقبل الامة متى عرفوا الطور الذي بلغت اليه فى أيامهم . وبالقياس على الماضي يقولون ان هذه الامة هي الآن في دور الحماسة الشعرية مثلا ولا تلبث ان تنتقل الى العصر الادبى ثم العلمى فالفلسفى الخ

فتاريخ آداب اللغة هو تاريخ عقول ابنائها وما كان من تأثير ذلك في نفوسهم وفي اخلاقهم . ويدخل فيه تعيين ما بلغت اليه الامة من الرقي العلمى وامتازت به على سواها . وبيان تاريخ كل علم وما تقلب عليه من الاحوال ووصف ما خلفوه من الآثار المكتوبة من حيث فوائدها وكيفية تفرعها أو تخلفها بعضها عن بعض

٢ ـ اسبق الامم الى العلم

من هو أول من قال شعراً ؟ أو أول من رصد الكواكب أو اخترع الكتابة أو وضع الاعداد ؟ من قسم السنة الى اشهر والاشهر الى اسابيع وهذه الى الايام فالساعات ؟ نعرف مثلا ان أول من رصد الكواكب الكلدانيون ولكن من هو الرجل الذي بدأ بالرصد ؟ ان ذلك ذهب في ثنايا القرون المتباعدة كما ذهبت اسماء مكتشف الملح ومخترع النار وصانع الابرة والمغزل ونحوهما من الادوات القديمة . والسبب فى ذهاب تلك الاخبار ان الانسان عاش ادهاراً قبل ان اخترع الكتابة ولم يكن يدون أعماله وآثاره مع أن بعضها عظيم الاهمية بالنظر إلى التاريخ

وللعلم بهذا الاعتبار تاريخان احدهما قبل اختراع الكتابة والآخر بعدها ولا دخل لآداب اللغة فيما هو قبل الكتابة لان معول اصحاب هذا العلم على ما بين ايديهم من مدونات العلوم والآداب . فاي أمة دونت العلم اولا ؟

لاخلاف في أن الشرق اسبق الى تدوين العلم من الغرب . فقد نظم المشارقة الشعر وعالجوا الامراض ووضعوا الشرائع ورصدوا الكواكب وعينوا اماكنها وسموها باسمائها والغرب في غفلة وظلام دامس . فأي أمم الشرق أسبق الى العلم ؟

يعسر الجواب على ذلك جواباً قطعياً لان اكثر آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال أو الاتربة فى مصر والشام وما بين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وفارس والهند . وفيها آثار الفراعنة والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمعينيين والحميريين والحثيين وغيرهم . ولم ينتبه العلماء الى أهمية هذه الآثار الا في القرن الماضي فتألفت الجمعيات وجمعت الاموال للتنقيب واستخراج الاحافير وحل الكتابات . فحلوا الخط الهيروغليفى بمصر والمسمارى بين النهرين والمسند فى اليمن

والنبطي فى الحجاز والفينيقي في فينيقية . وقرأوا ما اكتشفوه من الاحافير فاطلعوا على كثير من احوال تلك الامم . لكن أعمال التنقيب لا تزال في أولها ولا يزال معظم الآثار مدفوناً وخصوصاً في ما بين النهرين وآسيا الصغرى واليمن وسائر بلاد العرب . أما مصر فان حظها من التنقيب أكثر من حظ سواها

وادى النيل

وقد تبين من قراءة الآثار حتى الآن ان وادي النيل ووادي الفرات أسبق بلاد المشرق الى الاشتغال بالعلم والادب وقد قضيا ادهاراً وهما زاهران منيران بالعلم وسائر العالم في ظلام . نبغ العلماء والاطباء والشعراء بمصر في عهد الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى قبل بناء اهرام الجيزة أي منذ نحو ٦ آلاف سنة . ويفتخر أحد كتاب الدولة فى عهد الاسرة السادسة بمصر أنه كان متولياً ادارة الكتب فطلب الى ذويه ان ينقشوا ذلك على قبره منذ نيف و٥ آلاف سنة

ويدل ذلك طبعاً على وجود الكتب من ذلك الحين وان لم يصل الينا شيء منها ولكننا سمعنا ببعضها . وربما كان أهم ما وصلنا خبره منها « كتب الاموات » وهي كتب الطقوس وفيها شعر وأدب وتاريخ وعقود وعهود وأغان وبعضها قديم جداً ربما كان قبل مينا أول فراعنة مصر . وهي تشبه كتب الدين عند سائر الامم القديمة كالفيدا عند البراهمة والزندافستا عند الجابرية والكنغ عند الصينيين والتلمود عند اليهود لكنها أقدم منها كلها

وكان الفراعنة يطلبون العلم ويتفاخرون به ويقال ان توسرتسن أحد ملوك هذه الاسرة كان عالماً بالطب فوضع فيه كتاباً تداوله الناس الى القرن الاول للميلاد. ولاريب ان الرياضيات في عهد العائلة الرابعة بناة الاهرام كانت من أرقي العلوم . وقد نبغ الشعراء بمصر من أقدم أزمانها وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون في مجلس تحوتمس الثالث ورعمسيس الثاني كما اجتمع بندار وزملاؤه من شعراء اليونان بعد ألف سنة في مجالس ملوك اليونان . وكما اجتمع شعراء العرب بعد الف وخمسمائة سنة أخرى في مجالس الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد وغيرهم . وكان شعراء الفراعنة ينظمون القصائد في كل نصر أو فتح يمتدحون ملوكهم ويسمونهم ابناء الشمس واصحاب التاجين

وادي الفرات والسومريون والاكاديون

ويقال نحو ذلك عن أهل بابل وأشور في وادي الفرات أو دجلة فان العلم عندهم

قديم وقد تعاصر البابليون والمصريون وتبادلوا المعارف . ولكن ظهر بالاكتشافات الاثرية في بابل أنه كان هناك قبل تمدن البابليين امتان سبقتا البابليين الى اسباب المدنية أو العلم هما الاكاديون والسومريون جاءوا وادي الفرات من عهد بعيد وعندهم العلم والكتابة وهي الاحرف المسمارية فاقتبسها البابليون منهم وطبعوا بها أخبارهم على آثارهم . وكان السومريون عند قدومهم الفرات أهل شريعة ودين وصناعة يبنون المدن والقلاع وينسجون الانسجة . نزل السومريون والاكاديون وادي الفرات نحو القرن الخامس والاربعين قبل الميلاد أي منذ نحو ٦٥٠٠ سنة ومعهم العلم والصناعة وما زالوا نبراساً يستضاء بهم الى اوائل القرن العشرين ق م . أي نحو ٢٥ قرناً . وهم يختلفون عن سائر سكان ذلك الوادي لغة وشكلا كما يظهر من صورهم المنقوشة على الآثار . وقد اقتبس أهل الشام والعراق عنهم كثيراً من أسباب العلم واستدل بعض العلماء على آثار ذلك فى مزامير داود

اقدم مكتبة في العالم

وعاصر هذه الامة فى وادي الفرات غير دولة من أصل سامي . وعثر النقابون على قرميدة بابلية عليها كتابة مسمارية فيها قائمة باسماء ملوك بابل منذ أكثر من ستين قرناً ويدل ذلك على قدم التمدن في ذلك البلد المبارك . وفي جملة أولئك الملوك ملك اسمه « شرجينا » كان محباً للعلم والعلماء راغباً في العمارة أنشأ مكتبة في « وركاء » من أعمال العراق سماها مدينة الكتب . وعهد الى رجال من خاصته في جمع الكتب قديمها وحديثها وان يفسروا بعضها بالترجمة أو التعليق . واستعان بالعلماء من سائر الاقطار لينقلوا علوم الآخرين الى لسانهم وتدوين علومهم . واشتغل آخرون بالشرح والتعليق ـ كما فعل بطليموس فيلاذلفوس بالاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد وكسرى أنو شروان في جنديسابور في القرن الخامس للميلاد وكما فعل الرشيد والمأمون في بغداد في القرنين الثاني والثالث للهجرة . وقد دون شرجينا هذه العلوم بالحرف المسماري نقشاً على الطين وهي القراميد الاشورية المعروفة

فكانت مكتبة وركاء هذه مملوءة بالكتب اللغوية والفلكية والشرعية والادبية وغيرها . ثم نسخت بعد إنشائها بخمسة عشر قرناً بأمر أمير أشورى وحفظت في دار خاصة بها كما تحفظ المكاتب اليوم . وعثر النقابون بالامس على بقايا هذه المكتبة بين النهرين ونقلوها الى المتحف البريطاني في لندن فهي هناك الى هذه الغاية

على أن هذه البقايا تتف اكثرها محطم لا ينتفع به . أما أقدم أثر علمى بقى سالماً كاملا الى هذا العهد فهو شريعة حمورابي فانها دونت في أواسط القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وقد رجحنا في كتابنا « العرب قبل الاسلام » صفحة ٤٩ أن دوله حمورابي عربية وأنها أقدم دول العرب . فاذا صح استدلالنا هناك كان أقدم الآثار العلمية الباقية كاملة عربى الفكر وان كان أشورى اللغة

ويلى المصريين والبابليين في التمدن القديم الفينيقيون في سوريا والحثيون فيها وفي آسيا الصغرى والفارسيون والهنود والصينيون وغيرهم

اليونان

ظلت الآداب زاهرة في الشرق وهو وحده مبعث العلم والمعرفة والمدنية حتى آن تقهقره على مقتضى سنة العمران . فانتقلت الرئاسة منه الى الغرب وأسبق الامم الغربية الى ذلك اليونان لانهم أقربها الى الشرق من سواهم . وعنهم أخذ الرومان وأنشأوا التمدن الرومانى . ولكل من هاتين الامتين كتب خاصة في تاريخ آدابها والمرجع فى ذلك الى تاريخ آداب اللغة اليونانية فانها أساس آداب سائر لغات أوربا حتى الحديثة منها الى اليوم . ولما نشأت الدول الحديثة وتمدنت وظهر فيها العلماء والادباء واستقلت كل أمة بلغتها وآدابها صار لكل منها تاريخ خاص لآداب لسانها وقد الف في آداب كل لغة منها عدة كتب وهي أشهى ما يقرأ من تواريخ تلك الامم

على أن الآداب اليونانية كانت أيضاً أساساً لآداب أكثر الامم التى ظهرت بعد اليونان فى الشرق ومن جملتهم العرب . فالتمدن الاسلامي مدين لآداب اليونان في اكثر العلوم الطبيعية . وكذلك الفرس في نهضتهم أيام الاكاسرة

ثم ان الآداب العربية كانت أساساً لآداب كل أمة ظهرت في أثناء التمدن الاسلامي أو بعده — حتى في أوربا فالافرنج في نهضتهم الاخيرة استعانوا على إنشاء تمدنهم بما خلفه العرب من كتب العلم والفلسفة

فالعلم نشأ في الشرق وأثمر أولا في وادى النيل ووادي الفرات وانتشر منهما في سائر المشرق . ثم انتقل الى الغرب فتناوله اليونان واستثمروه وعالجوه حتى صار علماً خاصاً بهم . ومنهم أخذه الرومان في الغرب والفرس والسريان والعرب في الشرق . وانتقل من الرومان الى أمم أوربا في الاجيال الوسطى وحفظ في الكنائس والاديار

أما في الشرق فاجتمع علم اليونان أخيراً الى المسلمين فدرسوه وأضافوا اليه ما اقتبسوه من علوم الفرس والهند وتوسعوا بذلك كله من عند أنفسهم . وقد ملأوا العالم مؤلفات وعلماء وأرصاداً ومدارس ومكاتب نحو الف سنة . فلما نهضت أمم أوربا لانشاء التمدن الحديث اقتبسوا كثيراً من اداب العرب ونقلوا مئات من كتبهم الى ألسنتهم فكانت أساساً لتمدنهم الحديث

٣ ـ مصادر آداب اللغة بوجه عام

الامم تتشابه بطبائعها ومداركها من اكثر الوجوه وان اختلفت في بعضها ولذلك جاءت آدابها متشابهة في مواضيعها ومصادرها ومناحيها وتأثيرها مع تباين في كل أمة تمتاز به عن سواها . فآداب اللغة عند كل الامم قديماً وحديثاً مؤلفة من الشعر والنثر . والشعر يقسم الى مواضيع كثيرة من الحماسة والغزل والفخر والرثاء والمدح والنثر يقسم الى التاريخ والادب والفقه والفلسفة والعلم على أنواعه . ولم تخل أمة من الشعراء والخطباء والعلماء والفلاسفة على تفاوت في الاجادة واختلاف في الاسلوب . ولو دونت الامم القديمة آدابها لوجدت التشابه أكثر وضوحاً ولكنهم لم يفعلوا ولا تيسر للمحدثين العثور على ما يصح جمعه ودرسه . وأقدم الامم التي دونت تاريخ آدابها وعلومها على نحو ما نحن فاعلون في هذا الكتاب اليونان فقد الفوا في تاريخ آداب لغتهم غير كتاب وقسموها وبوبوها وانتقدوها . وألف آخرون في آداب اللغة اللاتينية ثم آداب كل لغة من اللغات الاوربية الحية . وجروا على مثل ذلك في تدوين آداب اللغات السامية فالفوا في آداب لغة الهند والفرس والسريان والعرب

خصائص الأمم

واذا طالعت تواريخ آداب هذه اللغات اتضح لك وجه الشبه بينها لكنك تجد لكل أمة خصائص في شعائرها ومداركها تمتاز بها عن سواها . فاليونان يظهر من تاريخ آداب لسانهم أنهم يمتازون عن سواهم بسعة التصور وقوة العارضة والجنوح الى الفلسفة . ويمتاز الرومان في السياسة والنظام والتشريع . ويمتاز العرب بدقة الاحساس في نفوسهم وسرعة الخاطر وسعة الخيال . ويمتاز الهنود باستغراقهم في الخيالات والاوهام . واليهود أميل الامم الى التدين ـ وقس على ذلك

وقد ترتب على هذا التفاوت في المواهب امتياز كل أمة بآداب أجادت فيها وتناقلتها سائر الامم عنها كامتياز اليونان بالفلسفة والشعر القصصي والتمثيل وعنهم

أخذها سائر الامم . وامتاز الرومان بوضع الشرائع والنظامات السياسية والاجتماعية التي هي أساس شرائع أوربا ونظامها الاجتماعي الى هذه الغاية . وامتاز الهنود بوضع القصص الخرافية على ألسنة الحيوانات مثل كليلة ودمنة وعنهم أخذها سائر الناس . وامتاز اليهود بالتوحيد وهم قدوة الامم فيه . وأما العرب فقد ملأوا الدنيا شعراً وأدباً وفقهاً وتاريخاً وهم قدوة الناس في المعاجم العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ

واعتبر ذلك في الامم الاوربية الحديثة فان لكل منها مزية في شيء من آداب اللغة . فالفرنساويون أهل فصاحة وطلاقة فى الكلام والانشاء ـ اشتهروا بذلك من أقدم أزمانهم . قال يوليوس قيصر لما نزل بلادهم قبيل الميلاد : « ان الغالبين أهل ذوق فى الحرب والكلام » وأيد ذلك كثرة من ظهر فيهم من الكتاب والمنشئين والخطباء فى الادب بالقياس على سائر أمم أوربا . والالمان يمتازون بابحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع المواضيع الى أقصى جزئياتها ونقدها وتوسعهم في قواعد اللغة . أما الانكليز فيمتازون بجنوحهم الى الحقيقة المحسوسة فى آرائهم فلا يبنون أبحاثهم إلا على الواقع وترى ذلك ظاهراً فى أعمالهم وأخلاقهم . والايطاليون معروفون بتبرزهم في الفنون الجميلة فهم شديدو التأثر من اعمال الطبيعة وظواهرها

على ان تفوق بعض الامم في بعض الآداب لا يمنع تشابه تلك الامم بسائر الآداب . ويحسن بنا قبل التقدم الى الكلام عن آداب اللغة العربية ان نذكر انموذجاً عن آداب اللغات الاخرى . وقد تقدم أن الامم الشرقية القديمة لم تجمع آدابها وليس لدينا منها ما يصح اتخاذه مثالا لنا . والامم المتمدنة الآن في اوربا واميركا ترجع آداب لغاتها الى اللغة اللاتينية أى لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا أكثر آدابهم عن اليونان . فآداب اللغة اليونانية خير مثال لآداب لغات العالم المتمدن لانها أساسها كلها من حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من أدب أو علم أو فلسفة في اللغة الفرنساوية أو الانجليزية أو الايطالية أوغيرها الا وله أصل أو أساس في اللغة اليونانية ـ واكثر مؤلفات تلك الامم ومنظومات شعرائهم في الاجيال الوسطى صور أو ظلال لما كان عند اليونان ـ حتى امهن اللاتينية فان الانياد في اللغة اللاتينية لفرجيل انما هي نسخة من الياذة هوميروس وكذلك فردوس ملتن وجهنم دانتى وتلماك فنيلون وغيرهم

فافضل نموذج لآداب العالم المتمدن آداب اللغة اليونانية وهي اهمها جميعاً ولها تاريخ طويل يرجع الى قرون عديدة قبل الميلاد وهاك اقسامها :

٤ ـ آداب اللغة اليونانية

تقسم آداب هذه اللغة الى سبعة أدوار أو أطوار :

١ ـ العصر الخرافي : ويراد به أقدم أزمان الامة اليونانية ولم يبق منها الا القصص الخرافية عن الآلهة ونحوهم مما يسمى في اصطلاح الافرنج ميثولوجيا Mythology وهو يبدأ قبل زمن التاريخ وينتهى الى القرن التاسع قبل الميلاد واسماء رجاله وشعرائه خرافية

٢ ـ عصر الابطال والحروب : وهو يشمل القرن التاسع المذكور ونصف الثامن (سنة ٩٠٠ ـ ٧٥٠ ق م) وفيه ظهر أقدم الشعر الوصفي أو القصصى . نعني منظومات هوميروس في الالياذة والاوذيسية وفيه جرت حروب الارانطة وطيبة وحصار تروادة الشهير الذى وصفه هوميروس في الياذته . ولم يبق من آداب هذا العصر غير الشعر القصصى ولم يعرف من شعرائه غير هوميروس وهسيود . أما هوميروس فهو أبو الشعراء ورب الشعر القصصى وقد عاش اسمه بالياذته التى نقلت الى سائر لغات العالم وباوذيسته . أما هسيود فانه جاء بعد هوميروس وخلف شعراً فى نشيدين أحدهما الف بيت وصف بها بناء العالم وتعاقب الآلهة والآخر ٨٠٠ بيت وصف بها الطبيعة . ونسبوا اليه نشيداً ثالثاً مؤلفاً من ٤٠٠ بيت وصف به قوس هركيل

٣ ـ العصر الثالث : من سنة ٧٥٠ـ٥٠٠ ق م . وفيه تحضر اليونان وعمروا المدن ووضعوا الشرائع وأنشأوا المستعمرات حول البحر المتوسط والبحر الاسود واتسعت تجارتهم وقامت الفتن بينهم في التنازع على السلطة فقام مثل هذا التنازع في آداب لسانهم ونشأ الشعر التمثيلى (الدرام Dram) وكان مقره اثينا . وانتشر الشعر على الاجمال ونبغ الشعراء في بلاد اليونان باوربا وآسيا وفي الجزائر وصقلية حتى سبارطة وطيبة . وظهر فيها الشعر الغنائي أو الموسيقي وهو المعبر عن الشعور كالمدح والفخر والحماسة والغزل مثل الشعر العربي . ونبغ في كل قوم أو بلد شاعر أو غير شاعر ينصر قومه أو يعبر عن شعائرهم . وتكاثر الشعراء وأخذوا يتهادحون ويتهاجون ويتفاخرون كما كان العرب فى الجاهلية يفعلون ولذلك سموا هذا العصر عصر الشعر الغنائي Lyric

فمن شعراء هذا العصر الهجائين ارشيلوك الفاروسي من أهل القرن السابع ق م . ولم يبق من شعره الا نتف مبعثرة . وسيمونيد الامارغوسى كان معاصراً لارشيلوك

ولم يبق من شعره الا ١٨ بيتاً في وصف المرأة . وهيبونكس الافسسى من أهل أواسط القرن السادس ق م . كان ظهوره في آخر التنازع بين الاشراف والعامة ولم يعرف عنه الا القليل

ومن شعراء هذا العصر الحماسيين غالينوس الافسسى وتيرتيه . ومن اصحاب السياسة صولون استخدم الشعر في السياسة وهو مشهور . ومن أهل الحماسة الادبية ثيوغنيس الميغارى نبغ فى سنة ٣٤٠ ق م شعره أدبي حكمى ولا يزال باقياً من منظومه الآن ١٢٠٠ بيت

وأقدم شعراء الشعر الغنائي عندهم تربائدر وهو الذي اخترع العود ذا السبعة الاوتار واسمه Lyr واليه ينسب هذا النوع من الشعر لانهم كانوا يغنونه . وعلم تربائدر عدة تلامذة في لسبس وانتيسا ومتلين . ومن تلامذته اريون والسي وسافوا . ونبغ أيضاً شواعر من تلامذته منهن اريني . ومن قبيل الشعر الغنائي الشعر الديني الذى كانوا يغنونه في الصلوات

وأشهر شعراء اليونان فى الشعر الغنائي بندار مثل شهرة هوميروس في الشعر القصصى ولد سنة ٥٢٢ ق م وله آثار كثيرة لا تزال باقية الى الآن . ومنها قصائد مدح بها الظافرين كما كان يفعل المتنبى في مدح سيف الدولة والاخطل في مدح عبد الملك

وفي هذا العصر ظهر فيثاغورس الفيلسوف الرياضي الشهير وزينوفون وبرمنيدس وامبيد كليس وطالس وانا كسيمندر وانا كساغورس وقدمس وايسوب وغيرهم

٤ ـ العصر الأتي أو الاثينى . (سنة ٥٠٠ـ٣٠٠ ق م) نسبة الى اثينا لان أكثر أدباء هذا العصر نبغوا هناك وفيه نضج الشعر التمثيلي والفلسفة والخطابة وظهر التاريخ . وأقدم شعراء التمثيل ثسبس وفرينيكوس وبراتيناس وأشهرهم اشيل وسفوكلس ويوريبيدس للتمثيل المحزن (تراجيديا) وارستوفانس وأشهر مؤرخيه هيرودوتس ابو التاريخ وتوسيديد وزينوفون وستيسياس وفيلست . ومن الجغرافيين هانون ونيارك . ومن الخطباء بريكليس وكليون والسيبياد وكورا كس وتيسياس وبرتاغوراس وانتيفون واندوسيد وليكورغوس وهيبريد وديناركِ وديموستين وديماد وفوسيون . ومن الفلاسفة سقراط وزينوفون وافلاطون وارسطو وثيوفراست

٥ ـ العصر الاسكندري : (٣٠٠ـ١٤٦ ق م) وفيه انتقل العلم من أثينا الى

الاسكندرية على عهد البطالسة فزهت هذه المدينة بالعلماء والفلاسفة . وكانت هي وحدها مرسح العلم ومبعث العلماء . ومن مشاهير هذا العصر في الرياضيات أوقليدس وأرخميدس . وفي التاريخ هيكاتس ومانيثون وبروسيون . ومن الجغرافيين ديسيارك واراتوستن . ومن الشعراء الغنائيين كليماك وابولونيوس الرودسي وبوفوريون . ومن شعراء التمثيل ليكوفون وتيمون ومنيب وثيوكريت . ومن الفلاسفة ليسيوس وابيكوروس

٦ ـ العصر اليوناني الروماني . (١٤٦ ق م ـ ٣٣٠ ب م) وكانت بلاد اليونان قد سقطت وذهبت دولتها ودخلت في حوزة الرومان فذهب علمها وخملت قرائح أهلها ـ والذل يذهب بالقرائح ـ فضعفت آداب اللغه فيها . ولكن النصرانية أحدثت انقلاباً في تلك الآداب فادخلت فيها بعض الاساليب الشرقية . ومن مشاهير أدباء هذا العصر في التاريخ والادب بوليبس ولوسيدونيوس ونيقولاس وسترابو ودنيس وديودورس ويوسيفوس وبلوتارخس واريان وابيان وبوسانياس وهيروديان . وفي الشعر ارخياس وابولودورس . ومن الفلاسفة فيلون اليهودي وأناسيديمس وكريسوستوم وغيرهم

٧ ـ العصر البزانتي . (من سنة ٣٣٠ ـ ١٤٥٣ ب م) زهت فيه بيزانس (القسطنطينية) وكانت مركز الآداب اليونانية . وما زالت مرجع العالم اليوناني حتى فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣ م فانقضت دولة الروم وتشتت علماؤها في اوربا . وكانوا في جملة من أعانها على نهضتها في انشاء التمدن الحديث . ومن علماء هذا العصر هيمريوس وتمستس وليبانيوس وجوليان وهليودورس واشيل تاتيوس وتريفيودور وجماعة كبيرة من رجال الكنيسة

هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات الاوربية فانها كثيرة الشبه بها من حيث تناسق عصورها بالنظر الى نشوء العلوم فيها . فان أقدم آدابها دائماً الشعر الديني يليه الشعر القصصي والتمثيلي فالغنائي ثم ينشأ الادب والخطابة والتاريخ وتضبط اللغة وقواعدها ثم الفلسفة والعلم الطبيعي ثم تستغرق الامة في المبالغات والتفاصيل الخارجة عن المعقول ويقل فيها الاستنباط وتبلى جدة الشعر وتضعف القرائح بالذل والتقهقر

٥ ـ آداب اللغة العربية وأقسامها

واذا نظرنا الى آداب اللغة العربية وأخواتها الساميات رأيناها تنطبق على ماتقدم

بوجه اجمالي . أما عند التفصيل فاننا نجد بين آداب هذه اللغات وتلك فرقاً كالفرق بين طبائع الامتين . فالشعر عند الساميين أقدم آدابهم لكن اكثره غنائي وليس فيه من الشعر القصصي الا نتف قليلة . أما التمثيل (درام) فيظهر لاول وهلة أنه بعيد عن آداب العرب ، وسترى أنه موجود فيها ولا غرو اذا امتازت اللغات الاوربية بالشعر القصصي والتمثيلي فان اللغة العربية واخواتها يمتزن بنوع من الآداب كبير الاهمية ليس فيه من لغات الافرنج الا نتف نعني « الامثال » فانها جزء مهم من آداب اللغات السامية ولا سيما العربية والعبرانية وتندر في سواهما

وآداب اللغة العربية التي هي موضوع هذا الكتاب أغنى سائر الآداب السامية بل هي على الاجمال أغنى آداب سائر لغات العالم . لان الذين وضعوا آدابها في أثناء التمدن الاسلامي اخلاط من امم شتى جمعهم الاسلام أو الدولة الاسلامية وفيهم العربي والفارسي والتركي والهندي والسوري والعراقي والمصري والرومي والارمني والبربري والزنجي والصقلبي وغيرهم . وكلهم تعربوا ونظموا الشعر العربي وألفوا الكتب العربية في الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . فاحتوت آداب اللغة العربية بسبب ذلك على أحاسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع وأدخلوا فيها كثيراً من أساليب ألسنتهم الاصلية بدون قصد أو تعمل

ونريد بتاريخ آداب اللغة العربية بسط ماتقلبت عليه اللغة وآدابها من أقدم أزمانها الى الآن . فهي بهذا الاعتبار تقسم الى أطوار لكل منها شأن يمتاز عن سواه وقد لاحظنا في تقسيم هذا التاريخ ما توالى على الامة من الانقلابات السياسية أو الادارية أو الادبية وما كان من تأثير ذلك على المواهب والقرائح

أقسام تاريخ آداب اللغة العربية

ويجوز قسمة تاريخ آداب اللغة العربية اما حسب علومها وآدابها أو حسب الاعصر التي توالت عليها . ونريد بقسمتها حسب العلوم أن نستوفي الكلام في كل علم على حدة من نشأته الى الآن . على أن نبدأ بأقدمها ونتدرج الى أحدثها فنبدأ بآداب الجاهلية فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء من نشأته وما تقلب عليه من الادوار في الجاهلية والاسلام في دولة الراشدين فالامويين فالعباسيين فغيرهم الى اليوم . ونفعل مثل ذلك في الخطابة وغيرها من آداب الجاهلية . وبالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة وغيرها من الآداب الاسلامية . وهكذا نفعل بالعلوم منذ دخولها وما تقلب عليها الى الآن

أما قسمتها حسب الاعصر فيراد بها الكلام عن العلوم كلها معاً في كل عصر على حدة وهذا الذي اخترناه في هذا الكتاب لانه يصور حالة العصور المختلفة وما يكون من تأثير السياسة وانقلاباتها على العلم والادب . ولذلك فقد قسمنا تاريخ آداب اللغة العربية الى قسمين كبيرين يفصل بينهما أهم انقلاب أصاب العرب من أول عهد تاريخهم الى الآن - نعني ظهور الاسلام . فهي بهذا الاعتبار تقسم الى آداب اللغة قبل الاسلام وآدابها بعده . وقسمنا آدابها قبل الاسلام الى عصرين عصر الجاهلية الاولى وعصر الجاهلية الثانية . وقسمنا تاريخها بعد الاسلام الى أعصر أو أطوار تناسب انقلاباتها السياسية أو الاجتماعية وهى :

١ عصر الخلفاء الراشدين	٤ العصر المغولى
٢ العصر الاموى	٥ العصر العثمانى
٣ العصر العباسي	٦ العصر الحديث

وقسمنا العصر العباسى الى أطوار بحسب التقلبات السياسية كما ستراه في مكانه

آداب اللغة العربية

قبل الاسلام

١ ـ العصر القديم أو الجاهلية الاولى

من قبل التاريخ الى القرن الخامس للميلاد

لم يتصد أحد للبحث في آداب اللغة العربية قبل زمن التاريخ لقلة المواد المساعدة على ذلك ولاعتقادهم ان العرب حتى في الجاهلية الثانية قبل الاسلام كانوا غارقين في الفوضى والجهالة لا عمل لهم الا الغزو والنهب والحرب فى بادية الحجاز والشام وفى نجد وغيرها من بلاد العرب . على أننا اذا نظرنا الى لغتهم كما كانت في عصر الجاهلية نستدل على ان هذه الامة كانت من أعرق الامم في المدنية لانها من أرقى لغات العالم فى أساليبها ومعانيها وتراكيبها ـ واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع آدابهم . فتكلمو اللغة الفصحى كما جاءتنا في القرآن والشعر الجاهلى والامثال لا يمكن أن يكون أصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن أو قرنين فقط . اذ لا يتأتى للغة من لغات المتوحشين ان تبلغ مبلغ لغات المتمدنين الا بتوالى الادهار فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم كما سنبينه في أماكنه

على ان الاكتشافات الاثرية أيدت هذا الرأى بما أظهرته من بقايا تمدن اليمن قبل الاسلام ببضعة عشر قرناً . ولم يظهر من تلك الاطلال الا الطفيف لان ما عثروا عليه من الاحافير لا يذكر في جانب ما بقى مدفوناً في الرمال . فضلا عما ظهر من فضل العرب واعراقهم في المدنية والعلم مما قرأوه من آثار بابل وأشور . فاذا صح ان دولة حمورابي التى تولت بابل وسائر العراق في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد عربية كما بينا ذلك في كتابنا « العرب قبل الاسلام » [1] ـ كان العرب من أسبق الامم الى المدنية والعلم فانهم أقدم من وصلتنا شرائعهم وقوانينهم . هذه شريعة حمورابي التى عثروا عليها في بلاد السوس منقوشة بالحرف المسماري على مسلة من الحجر الاسود

(١) العرب قبل الاسلام صفحة ٤٩

ش ١ ـ حمورابى

الصلب ـ سنها حمورابي في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد اى قبل شريعة موسي بثمانية أو تسعة قرون . وهي مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث في طبقات الامة وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والتبني والارث وغيره

هم أقدم من انشأ المدارس

والحموراييون أو عمالقة العراق اقدم من انشأ المدارس لتعليم الصغار على نحو ما هو جار الآن . وقد كشفوا فى آثار زيبارا انقاض مدرسة لتعليم الاطفال وهذه أول مرة سمعنا بمدرسة مثل هذه فى التمدن القديم أي منذ أربعة آلاف سنة وكان فيها (قروميدات) عليها دروس للاطفال والاحداث في الحساب والهجاء وجداول الضرب ومعجمات ونحوها. واكتشفوا كثيراً من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار أو القراميد واكثرها لحمورابي وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية . ومن اكبر أدلة الرقى في ذلك العهد ان المرأة كانت متمتعة بحريتها واستقلالها مثل أرقى نساء هذا التمدن وكن

يتعاطين المهن القلمية وانخرط جماعة منهن في خدمة الدواوين والمصالح الاميرية

فاذا صح ان هذه الدولة عربية كان العرب اسبق أمم الارض الى سن الشرائع وتنشيط العلم وانهم بلغوا في نظام الاجتماع مالم يبلغ اليه معاصروهم وأدركوا من الرقي الاجتماعي مالا يزال بعض الامم المتمدنة في هذا العصر بعيدين عنه

ش ٢ ـ انقاض مدرسة حمورابية منذ ٤٠٠٠ سنة

ونحن في غنى عن التنبيه الى ان قولنا ان الدولة الحمورابية عربية لا يتبادر منه الى ذهن القارىء انه مثل قولنا « دولة الاسلام عربية » واذا صحت عربية تلك فلا يستلزم ان تكون لغتها مثل لغة القرآن ولا ان عاداتها وديانتها مثل ما لعرب قريش فان بين الدولتين ٢٧ قرناً والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالى العصور

تأثير الحموراييين في الشرائع الحاضرة

ولم يقتصر فضل الحموراييين أو عمالقة العراق على ما شادوه في ما بين النهرين وما خلفوه هناك من آثار مدنيتهم وعلمهم ولكنهم نشروا آدابهم وديانتهم وشريعتهم في جزيرة العرب من أقصائها الى أقصائها على أيدي المعينيين جالية عمالقة العراق في اليمن [1] على أثر سقوط دولة حمورابي في ما بين النهرين . فانتشرت في آداب الحموراييين وديانتهم وشريعتهم في جزيرة العرب وخصوصاً في البقاع العامرة منها ومن جملتها اليمن ومدين والحجاز

وللحموراييين فضل على كل من استعان بشريعة موسي لان فيها كثيراً من نصوص شريعة حمورابي كما بينا ذلك في الهلال ٥ سنة ١٣ اذ اتينا بنصوص متقابلة متشابهة

(١) العرب قبل الاسلام ١١١

في الشريعتين تشابهاً كلياً وحمورابي قبل موسى بثمانمائة سنة . فكأن صاحب شريعة موسى اقتبس من شريعة حمورابي

وتعليل ذلك في نظر نيلسن (١) ان مدين أو مديان كانت أقرب بلاد العرب العامرة إلى مصر لا يفصلها عنها الا برية سينا . وكان المعينيون عرب اليمن القدماء يفدون اليها بتجاراتهم وقوافلهم أو يمرون بها في طريقهم الى الشام أو مصر . وكان للمديانيين معابد بنوها على شكل معابد الحمورابيين في العراق وفيها كهان قد حفظوا الشرائع وشادوا الهياكل والمذابح . ولا خلاف انه كان فى مدين بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد كاهن سمى في التوراة مرة يثرو ومرة رعوئيل فهو كاهن عربى يشهد بذلك اسمه المزدوج ـ وتلك كانت عادة العرب في ذلك العهد يسمون الرجل باسمين احدهما لقب فيقولون « وقه ايل يثع » و « يثع ايل ريام » ونحو ذلك (٢) فالظاهر ان كاهن مديان كان اسمه « يثرو رعوئيل » فذكرته التوراة مرة بالاسم ومرة باللقب والصيغة العربية ظاهرة في اكثر الاسماء التى جاء ذكرها في قصة موسى في مديان وغيرها وخصوصاً اسم ابن الكاهن « حباب »

وفي سفر الخروج ان موسى بعد ان قتل المصرى خرج الى مديان والتقى ببنات يثرو عند بئر وهن سبع جئن ليستقين فتعدى الرعاة عليهن فانجدهن موسى وسقى غنمهن فعدن الى الكاهن واخبرنه فاستقدمه اليه واسكنه عنده وأزوجه صفورة احدى بناته وولدت له اولاداً . وكان موسى يرعى غنم يثرو الكاهن فساق الغنم الى ما وراء البرية حتى افضى الى جبل حوريب فتجلى له ملاك الرب فى لهيب نار من وسط العليقة فاذا العليقة تتوقد بالنار ولا تحترق ـ الى آخر ما جاء هناك

فيرى نيلسن ان حوريب مكان عبادة على نحو ما أخذه العرب عن الصابئة العراقيين من تقديس الجبال واقامة الحرم أو الحمى حول المعابد بحيث لا يطأه الغرباء وان الغنم التى كان موسى يرعاها هي غنم الحرم . وان النار التي رآها من رموز الصابئة عن الكواكب . فلم يستطع موسى دخول الحرم لانه غريب فادخله حموه وجعله كاهناً وعلمه قواعد الدين . وان حوريب اسم الكوكب الذى يعبد هناك . وفي أي حال فان موسى تعلم الشريعة من يثرو وهي شريعة حمورابي فادخل كثيراً من أحكامها في شريعته

(١) في كتابه فى عبادة القمر عند العرب وشريعة موسى المسمى Die altarabische Mondreligion etc (٢) العرب قبل الاسلام ١١٢

ومهما يكن من تعليل نيلسن فلا خلاف في ان شريعة موسى فيها كثير من شريعة حمورابي وهو فضل للعرب القدماء ودليل على قدم مدنيتهم

سفر أيوب

ومما يعد من قبيل آداب العرب في ذلك العصر سفر أيوب والمرجح عند أهل التحقيق ان صاحب هذا السفر فى التوراة عربي الاصل . نظم ذلك الكتاب شعراً عربياً في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحموراببين من بين النهرين ثم ترجم الى العبرانية وعد من الاسفار المقدسة وضاع أصله العربي كما ضاع أصل كليلة ودمنة الفارسى . فاذا ثبتت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الامم الى قرض الشعر لانه نظم قبل الياذة هوميروس بألف سنة وقبل مهابهاراتة الهند بعدة قرون

٢ ـ الجاهلية الثانية

أو العصر الجاهلي قبيل الاسلام

من القرن الخامس للميلاد الى ظهور الاسلام

ان الحكم على ما تقدم من احوال الجاهلية الاولى مبني على الحدس والتخمين لاستغراقه في القدم وضياع أخبار تلك الجزيرة بتمادي الايام . ولعلهم إذا نشطوا للحفر والتنقيب كشفوا الستار عن هذه الظنون

الفرق بين لغة الجاهلية الاولى والثانية

وفي كل حال ان عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغة وديناً وأدباً وخلقاً . فالحمورابيون كان أكثرهم أهل حضارة وتمدن يتوطنون المنازل والمدن . وأما عرب الجاهلية الثانية فأكثرهم أهل بادية ونجع وكانت لغة الحمورابيين أقرب الى الاشورية منها الى العربيـة ـ فلغة أيوب اذا كانت عربية فهي غير عربية مضر التي وصلت الينا من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيراً جداً أكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة عامة مصر أو الشام الآن . لان أهل هذين المصرين قيدوا أنفسهم بالمحافظة على لغة القرآن وأساليبه . فكلما ساقتهم طبيعة الغشوء نحو التغيير أعادهم التقليد الى الاصل . ولولا ذلك لكان الفرق بين لغة عامتنا واللغة الفصحى أبعد من ذلك كثيراً

قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمانة العراق بالفرق الذى وجدوه بين لغة عرب الشام في أوائل القرن الرابع للميلاد مما قرأوه على قبر امرىء القيس ابن عمرو ملك الحيرة وبين لغة مضر عند ظهور الاسلام ـ وذلك أنهم عثروا في اطلال النمارة فى حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطي نقشت في أوائل القرن الرابع للميلاد أي قبل الاسلام بثلاثة قرون وهذه صورتها (ش ٣)

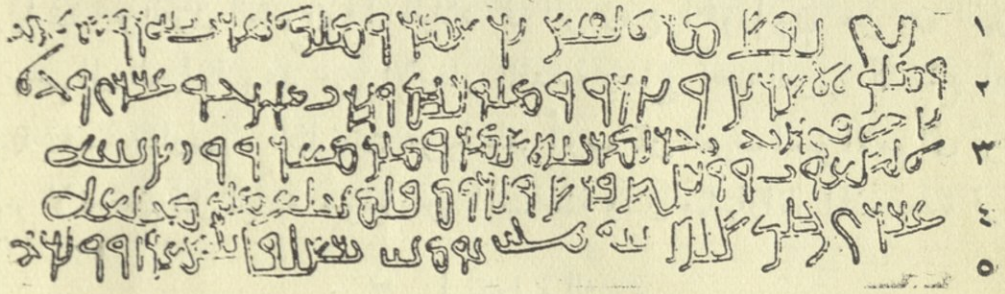

ش ٣ : كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرىء القيس بن عمرو سنة ٣٢٨ م

واليك نصها كما تقرأ كل سطر على حدة :

١ ـ ى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر الناج

٢ ـ وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذ حجو عكدى وجاء

٣ ـ يزجو (؟) في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه

٤ ـ الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه

٥ ـ عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

هذا لسان عربى تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضاح وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو :

١ ـ هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى تقلد التاج

٢ ـ واخضع قبيلتى اسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد

٣ ـ الظفر الى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معداً واستعمل بنيه

٤ ـ على القبائل وأنابهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه

٥ ـ الى اليوم . توفي سنة ٢٢٣ في يوم ١٧ ايلول (سبتمبر) وفق بنوه للسعادة

وكان أهل الشام وحوران وما يليهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم البصري نسبة الى بصرى عاصمة حوران وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد فاذا اضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ للميلاد وهي السنة التى توفى فيها هذا الملك

انظر الى الفرق بين الاصل وتفسيره والمدة بين هذين العصرين ثلاثة قرون

فكيف تكون وبينهما بضعة وعشرون قرناً؟ والتغيير طبيعي في كل لغة عملا بناموس النشوء - اعتبر ذلك في الفرق بين اللغة اللاتينية الاصلية وما تخلف عنها من الايطالية والاسبانية وبين اللغة الانكليزية القديمة والحديثة وغير ذلك

فآداب العرب في جاهليتهم الثانية يراد بها آدابهم قبيل الاسلام وهم أهل بادية لا يقرأون ولا يكتبون. وانما جمعت هذه الآداب بعد الاسلام بالاخذ عن الافواه كما سيأتي

درجة ارتقائهم في العقول والاخلاق

وقد يتبادر الى الاذهان ان أولئك البدو كانوا أهل جهالة وهمجية لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب. ولكن يظهر مما وصل الينا من أخبارهم انهم كانوا كبار العقول أهل ذكاء ونباهة واختبار وحنكة. واكثر معارفهم من ثمار قرائحهم وهي تدل على صفاء اذهانهم وصدق نظرهم في الطبيعة وأحوال الانسان مما لا يقل عن نظر أعظم الفلاسفة. فان قول زهير بن ابي سلمي في معلقته:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم
رأيت سفاه الشيخ لا حلم بعده وان الفتى بعد السفاهة يحلم
واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم مافي غد عمي
ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يصنع المعروف مع غير أهله يعد حمده ذماً عليه ويندم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يعفها يوما من الدهر يسأم
ومهما تكن عند امريء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

لا يقل شيئاً عن احكام أكابر الفلاسفة. وانك تجد كثيراً من أمثال ذلك في أشعارهم كأن الشعر وصلهم ناضجا بعد ان عولج قروناً متطاولة ذهبت اخبارها. فهم لذلك يشكون من أن أسلافهم لم يتركوا لهم معنى لم يطرقوه كقول عنترة:

« هل غادر الشعراء من متردم » وقول زهير:

ما أرانا نقول الا معاراً او معاداً من قولنا مكرورا

ارتقاؤهم في السياسة والعمران

على انك اذا نظرت في لغتهم تبين لك ان أصحابها من أرقى الامم سياسياً واجتماعياً وان عرفناهم بدواً رحالة - واللغة دليل اخلاق الامة ومرآة آدابها وسائر أحوالها -

ومن المقرر الثابت ان اللغة لا تتولد فيها كلمة الا للتعبير عن معنى حدث فى اذهان اصحابها . فاذا وجدنا في لغة من اللغات اسماً لنوع من اللباس نحكم قطعياً ان اصحابها عرفوه او لبسوه ، او نوعا من الاطعمة عرفنا انهم أكلوه . وبعكس ذلك خلوها من اسماء بعض الادوات فانه يدلنا على جهلهم اياها

وقس على ذلك الالفاظ المعنوية التى تدل على المعانى المجردة كالعواطف والفضائل فان وجودها فى اللغة يدل على ان أصحابها عرفوا تلك العواطف والفضائل وعانوها. ولذلك كانت لغات الامم المتوحشة خالية من هذه الالفاظ وامثالها

واللغة العربية من أغنى لغات الارض بالالفاظ العمرانية والسياسية . ان فيها عشرات من الالفاظ لضروب الجماعات من الناس على اختلاف أغراض اجتماعهم كالشعب والجماعة واللجنة والزراقة والسرب والكوكبة والقوم والنفر والشرذمة والعصابة . ومثلها لأماكن الاجتماع كالمحفل والنادى والندوة والمأم والمجلس والموسم والمدرس والمصطبة (١) وعشرة منها للتعبير عن فرق الجند كالجريدة والسرية والكتيبة وغيرها . وفيها للقلم والورق عشرات من الاسماء والالقاب كالملقاط واليراع والانبوبة والاسل والجلف للقلم . والقرطاس والطرس والمهزف والرف والطلس والمجلة والصحيفة ـ ولكل منها معنى خاص

ومن أنواع الكتب : القطمر كتاب الاعمال . المدرس الصك . الزبور . الرقيم . والسفر الكتاب الكبير . والضبار الكتب بلاواحد . الرهنامج كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك به الربانية البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها . الوصير الصك للسجلات وقس على ذلك

وقد عالجوا ألفاظ لغتهم معالجة الاستثمار فاكثروا فيها من المترادفات التى يدل عشرات أو مئات منها على معنى واحد أو معان متشابهة . وتوسعوا في مدلول اللفظ الواحد حتى تعددت معانيه . فعندهم للفظ العين بضعة وعشرون معنى ومثلها أو أكثر منها للفظ العجوز . وعشرات من المعانى لالفاظ الخال والخمر والدين والركن والغرب والحر وغيرها . وأقل من ذلك لكثير من الالفاظ مما لا مثيل له في أرقى لغات البشر . وهو يدل على تصرف اصحاب هذه اللغة بالمعاني والمبانى لخصب عقولهم وسعة مداركهم

ارتقاؤهم في التجارة والاقتصاد

ومما يدل على توسعهم في المسائل الاقتصادية كثرة الالفاظ الدالة على المال . فان

(١) لطائف اللغة ٦٤ و١٠٨

منها بضعة وعشرين اسماً لكل منها معنى من المعانى الاقتصادية التى ترجع الى الاستثمار وغيره . منها : التلاد المال الموروث . الركاز المال المدفون . الضمار المال لا يرجى . الطارف المال المستحدث . التالد المال القديم . ونحو ذلك العدد من اسماء النقود وأنواعها من الذهب والفضة . وعندهم للذهب وحده أكثر من عشرين اسماً كل منها لنوع منه . وفي اللغة العربية مئات من الالفاظ للدلالة على أنواع الارض والتربة والطين باختلاف الخصب والجدب ونحو ذلك . ومن الادلة على توسعهم في التجارة والاسفار كثرة اسماء السفن عندهم وهي عشرات لكل منها معنى خاص لشكل خاص من السفن . ويلحق بذلك اسماء الرياح وهي تزيد على المئة ولكل منها معنى يدل على نوع الريح وجهتها كقولهم « اذا وقعت الريح بين الريحين فهى النكباء فاذا هبت من جهات مختلفة فهى المتناوحة فاذا ابتدأت بشدة فهى النافجة فاذا حركت الاغصان وقلعت الاشجار فهى الزعزاع » وقس على ذلك سائر اسمائها وهي تدل على توسعهم في معرفة الظواهر الجوية . ومن هذا القبيل اسماء الطرق وأنواع البقاع وغيرها مما يطول بنا شرحه . ومن قبيل المواد التجارية الميازين فانها عديدة واعتبر ذلك بكثرة اسماء أدوات الصناعة وأواني الاطعمة والرياش والاثاث واللباس مما يفوق الحصر . وتجد منه أمثلة كثيرة في المخصص وفقه اللغة ولطائف اللغة وغيرها

تعقلهم وآراؤهم

ولك في امثالهم والكنايات في عباراتهم وما نشأ عندهم من الفنون العقلية التى تحتاج الى تفكير كالاحاجي والالغاز وفتيا العرب أدلة أخرى على ارتقاء أذهانهم وسمو مداركهم . واعتبر ذلك أيضاً في مذاهبهم في الوجود فانها تدل على تفكيرهم وقد كان فيهم من ذلك العهد البعيد من يقول بمذهب اللاأدرية . فكان جندب بن عمرو يقول « ان للخلق خالقاً لا أعلم ما هو » وهو قول جماعة من فلاسفة اليونان واليه يذهب كثيرون من المفكرين فى هذا العصر

ولا يبعد ان العرب اقتبسوا ذلك وأمثاله من مخالطة بعض العلماء الوافدين عليهم أو في أثناء وفودهم على الشام أو العراق وفيهما العلماء والفلاسفة . ومن هذا القبيل قول الاعشى وكان نصرانياً :

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجلا

وهو مذهب فلسفي يراد به رفع التبعة عن الانسان . والمظنون ان الاعشى أخذ ذلك من بعض العباديين بالحيرة

وترى أقوالهم المأثورة لا تخلو من كناية وخيال شعرى وصدق نظر في الامور كالاقوال المنسوبة الى اكثم بن صيفي وغيره من حكمائهم . ويؤيد ذلك ان المسلمين لما تمدنوا وأنشأوا العلوم جعلوا أساس علومهم اللسانية والادبية والاجتماعية آداب العرب الجاهلية وما زالو في كثير منها مقصرين عن ادراك الشأو الذى بلغ اليه أولئك البدو عشراء الجمال وسكنة الصخور والرمال . فالشعراء والخطباء والكتاب وأهل الادب في الاسلام عمدتهم في اتقان صناعتهم الرجوع الى ما كان منها قبل الاسلام . والآداب الجاهلية أساس الآداب الاسلامية في ابان التمدن الاسلامي كما كانت الآداب اليونانية والرومانية أساس الآداب العصرية في التمدن الحديث

وكان للعرب في جاهليتهم القاب يلقبون بها النابغين منهم كما كان لسائر الامم المتمدنة قديماً وحديثاً . فاذا نبغ أحدهم بالشعر سموه « الشاعر » ونسبوه الى قبيلته فقالوا « شاعر تميم » أو عامر أو نحو ذلك فيكون هذا اللقب مميزاً له عن سواه وكذلك الخطيب . واذا امتاز أحدهم بالحكمة والفصل في الخصومة سموه «الحكم» مثل عامر بن الظرب ونحوه . وكان لهم لقب لا يعطى الا لمن احرز كل الآداب والفضائل وهو لفظ « الكامل » فكانوا يلقبون به الرجل اذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً وهو يشبه لقب « علامة » اليوم ولقب « فيلسوف » عند اليونان القدماء وقد لقبوا به ارسطو ولعل العرب اقتبسوه منهم

فبناء على ذلك لا ينبغى لنا ان نستخف بآداب العرب قبل الاسلام ونحسبها قاصرة على الشعر والخطابة واللغة بل هي اكثر من ذلك . ولكن اكثرها ضاع لانها لم تدون فذهبت بذهاب الحفاظ بالحروب واشتغال الناس بالاسلام . فنستدل بما بقى على ما كان

المرأة فى الجاهلية

من ارقى النساء

ومن اكبر الادلة على رقى العرب فى جاهليتهم ارتقاء نسائهم . فقد كان للمرأة عندهم رأى وارادة وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم . فنبغ غير واحدة منهن في السياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة ولا سيما في اوائل الاسلام على أثر ما حصل من النهضة في النفوس والعقول . فاشتهرت جماعة منهن بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال واكثرها في المدينة مقر الخلافة الاسلامية في ذلك العهد

الشهيرات في الشجاعة

فاللواتي اشتهرن في الجاهلية بالشجاعة وشدة البطش أو كبر النفس منهن سلمى بنت عمر احدى نساء بني عدى النجار فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال الا وامرها بيدها اذا رأت من الرجل شيئاً تركته . على ان الغالب في نساء الجاهلية ان يخيرن قبيل الزواج فلا يزوج الرجل ابنته الا بعد ان يشاورها . واشتهرت التيميات من نساء قريش في حظوتهن عند رجالهن وكبريائهن وقسوتهن عليهم . ناهيك بمن اشتهرن منهن بالبسالة في اثناء الغزوات . ففي معركة أحد وقع لواء قريش في ساحة القتال فلم يزل صريعاً حتى اخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لهم فلاذوا بها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان في تلك المعركة مالم يفعله الرجال وهي تنشد في تحريض قومها على الثبات . ولما انتهت الواقعة خرجت مع النسوة تمتار جثث الموتى فوجدت بينها جثة حمزة عم النبي فبقرت بطنه وأخرجت كبده فلاكتها من غيظها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها . ثم علت صخرة وانشدت اشعاراً تفخر بالفوز على المسلمين

ونساء الجاهلية كن يصحبن الرجال الى ساحة القتال فيداوين الجرحى ويحملن قرب الماء . وممن اشتهرن بالشجاعة أم عمارة بنت كعب الانصارية وأم حكيم بنت الحرث والخنساء الشاعرة أخت صخر وغيرهن

الشهيرات في الرأي والحزم

ونبغ بالرأي والحزم غير واحدة أشهرهن خديجة بنت خويلد وكانت عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال تنتقي من اشتهر من الرجال بالامانة والحزم فتستأجرهم بما لها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم . ولما سمعت بشهرة النبي قبل الدعوة بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليه أن يخرج في مالها تاجراً الى الشام وتعطيه أفضل ماكانت تعطي غيره من الرجال . فلما أفلح في تجارته عرضت عليه أن يتزوج بها فأجابها . وهي أول من أسلم وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه أو تكذيب له فيحزنه ويخبرها به الا ثبتته وخففت عنه وهونت عليه . وما زالت على ذلك حتى ماتت (١) وهل أكبر نفساً من الخنساء عندما حرضت أولادها على الثبات في واقعة القادسية فلما بلغها انهم قتلوا في سبيل الجهاد قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم »

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ص ٥٦ ج ٥

الشهيرات في الشعر والادب

وكان للمرأة في الجاهلية شأن فى الشعر والادب وسائر العلوم فنبغ منهن عدة شواعر أشهرهن الخنساء وخرنق ولها أشعار مطبوعة ومنشورة على حدة . وهناك عشرات من النساء الشواعر ذهبت أشعارهن الا قليلا جاءنا عرضاً في بعض الاخبار . منهن كبشة اخت عمرو بن معدى كرب وجليلة بنت مرة امرأة كليب الفارس المشهور لها فيه مراث لم ينظم أحسن منها . وميسة بنت جابر امرأة حارثة ابن بدر رثت زوجها . وأميمة امرأة ابن الدمينة فقد قالت شعراً في عتابه لم يقل فى العتاب أحسن منه ـ وسيأتي خبر ذلك في ترجمته . وغيرهن مما يطول شرحه . وكان أبو نواس يروي لستين شاعرة من العرب

وكان في الجاهلية خطيبات اشتهر منهن هند بنت الخس وهي الزرقاء وجمعة بنت حابس . وكان فيهن طبيبات أشهرهن زينب طبيبة بني أود كانت تعرف الطب وتعالج العين والجراح . غير من كن يرافقن المحاربين ويضمدن الجراح في ساحة الحرب

وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة به في المجالس فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد . ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لتحكم فى أيهما أشعر كما فعلت جندب زوجة امرىء القيس إذ حكمها زوجها بينه وبين علقمة الفحل فحكمت حكما يدل على ذكاء ومعرفة كما سيجيء في ترجمة علقمة

وهناك جماعة نبغن في صدر الاسلام وفيهن مناقب الجاهلية كن يعقدن المجالس للمذاكرة في الشعر وانتقاده كما كانت تفعل سكينة بنت الحسين فانها كانت تجمع الشعراء اليها وتحادثهم وتنتقدهم . وأخبارها مشهورة . وكذلك عائشة بنت طلحة وكانت أديبة عالمة ولها مجالس أدب وشعر . وكان في مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سماطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم بلا ريب ولا سوء ظن . ومثلها عمرة امرأة ابي دهبل الشاعر فقد كانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاخبار قبل ان تزوجها ومن هناك عرفها وتزوجها

فاجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريبة ولا سوء ظن لم يبلغ اليه الناس الا في الامم الراقية وفي ارقى جمعياتهم

وبالجملة فالامة التى تكون هذه حال نسائها وينبغ فيها مثل من تقدم ذكرهن فى الشجاعة والادب والشعر والرأي أمة راقية

أقسام

آداب العرب قبل الاسلام

تقسم آداب العرب قبل الاسلام الى علوم عربية أصلية اقتضتها اللغة العربية وأساليبها وقرائح أهلها ونسميها العلوم العربية . وعلوم رياضية وأخرى طبيعية ونحوها وأكثرها دخيل على هذه الصورة

العلوم العربية	العلوم الطبيعية	العلوم الرياضية	ما وراء الطبيعة
اللغة	الطب	الفلك	الكهانة
الشعر	البيطرة والخيل	المثيولوجيا	العيافة
الخطابة	مهاب الرياح	التوقيت	القيافة
النسب			تعبير الرؤيا
الامثال			الزجر
الاخبار			الخط فى الرمل
مجالس الادب			
الاسواق			

فالعلوم العربية الاصلية اهمها كلها . وهي التى كانت مطمح طلاب الادب بعد الاسلام ولا تزال . فان بلاغة الجاهلية وشعر الجاهلية وأمثال الجاهلية لا يزال الادباء يتحدونها وينسجون على منوالها الى اليوم . أما العلوم الطبيعية فقد حوروها بما أخذوه عن اليونان والفرس وكذلك الرياضيات . أما علوم ما وراء الطبيعة فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر وبعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل فنتقدم الكلام في الاهم منها

أولا ـ اللغة العربية

هي احدى اللغات السامية — ويريدون باللغات السامية اللغات التى كان يتفاهم بها ابناء سام وهم في اصطلاحهم اهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام . أشهرها العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والاشورية والبابلية والحبشية ولم يبق حياً منها الا العربية والحبشية والعبرانية والسريانية . والعربية أرقاها جميعاً

واللغات السامية اخوات لا يعرف لهن أم وظن بعضهم ان اللغة البابلية أو الاشورية القديمة امهن كما ان اللغة اللاتينية ام اللغات الاسبانية والايطالية والبورتغالية ولكن المحققين لا يؤيدون ذلك . والمعول عليه ان هذه اللغات السامية اخوات انقرضت أمهن قبل زمن التاريخ . وقد دعاها علماء اللغات « اللغة الآرامية » نسبة الى آرام أحد ابناء سام مما يطول الكلام فيه

تاريخ اللغة العربية

١ ـ ما هو تاريخ اللغة

البحث فى تاريخ اللغة على العموم يتناول اولا النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ كتكون الافعال والاسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك . والبحث فى هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية وقد فصلناه فى كتابنا « الفلسفة اللغوية » . ثانياً النظر في ما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالامم الاخرى فا كتسبت من لغاتهم الفاظاً وتعبيرات جديدة كما يقتبس أهلها من عادات تلك الامم وأخلاقهم وآدابهم وما يوافق ذلك من تنوع معانى الالفاظ بتنوع الاحوال مع حدوث صيغ جديدة والفاظ جديدة . ثالثاً النظر فى تاريخ ما حوته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » وهذا التقسيم تقريبي اذ لا تجد حداً فاصلا بين هذه الاقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من مظاهر الامة كالآداب أو اللغة او الشرائع أو غيرها باعتبار ما مر بها من الاحوال فى أثناء نموها وارتقائها وتفرعها رأيتها تسير في نموها سيراً خفياً لا يشعر به الا عند انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطىء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة فتغيرالشؤون تغيراً ظاهراً وهو مايعبرون عنه بالنهضة . وسبب تلك النهضات على الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الامم على اثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط او خوف . أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي او متشرع أو فيلسوف كبير او نبوغ قائد طماع يحمل الناس على الفتح والغزو أو أمثال ذلك من الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . فتتحاك الافكار وتمتزج الطباع فتتنوع العادات والاخلاق والاديان والآداب ـ واللغة تابعة لكل ذلك بل

هي الحافظة لآثار ذلك التغير فتذخرها قروناً بعد زوال تلك العادات او الآداب او الشرائع واذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبديله

٢ ـ ما هي اللغة العربية

فاللغة العربية تعرضت لهذه الطوارىء مثل سائر اللغات الحية وتقلبت على أحوال شتى فتنوعت الفاظها بالنحت والابدال والقلب ودخلها كثير من الالفاظ الاعجمية في أعصر مختلفة قبل ان تدون وتضبط في أزمنة لم يدركها التاريخ وانما نستدل على ذلك من درس الفاظها ومقابلتها باخواتها وغيرها

واللغة العربية التي نحن في صددها هي لغة الحجاز التي وصلت الينا . وكانت قبل الاسلام لغات عديدة تعرف بلغات القبائل وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب كلغات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور — وأقرب هذه اللغات شبهاً باللغة السامية الاصلية أبعدها عن الاختلاط . وبعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالامم الاخرى كاهل الحجاز مما يلي الشام وخصوصاً أهل مكة وبالاخص قريش فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالا الى الشام والعراق ومصر وجنوبا الى بلاد اليمن وشرقا الى خليج فارس وما وراءه وغربا الى بلاد الحبشة

فضلا عما كان يجتمع حول الكعبة من الامم المختلفة وفيهم الهنود والفرس والانباط واليمنية والاحباش والمصريون . غير الذين كانوا ينزحون اليها من جالية اليهود والنصارى . فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها او دخلها من الاشتقاقات والتراكيب مما لامثيل له في اللغات الاخرى

وزاد ذلك الاقتباس خصوصاً بالنهضة التي حدثت في القرنين الاول والثاني قبل الاسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن ـ وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد وخصوصاً أهل نجران فطلب اليهم اعتناق اليهودية فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً فاستنجد بعضهم الحبشة فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً وأذلوا ملوكها أعواما . ثم أنف أحد ملوكها ذو يزن فاستنجد الفرس على عهد كسرى أنوشروان فانجده طمعاً بالفتح فاخرج الاحباش من اليمن بعد أن ملكوها ٧٢ سنة وكانوا في أثناء ذلك يترددون الى الحجاز وحاولوا فتحه في أواسط القرن السادس فجاءوا مكة بافيالهم ورجالهم ولم يفلحوا واهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة الى مكة حتى أرخوا منه وهو عام الفيل . ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا باهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا وكانوا يقدمون الى الحجاز وأهل الحجاز يترددون اليهم

٣ ـ ما دخلها من الالفاظ الاعجمية

غير ما طرأ عليها من التغيير والتبديل قبل زمن التاريخ فتكاثرت ألفاظها ومشتقاتها ودخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . وغير ما اقتبسته من التراكيب الغريبة ولكن أكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز أصله . على أننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من امثال تلك الالفاظ . فاذا رأينا لفظاً في العربية لم نر له شبيهاً في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ترجح عندنا أنه دخيل فيها . وأكثر ما يكون ذلك في اسماء العقاقير أو الادوات أو المصنوعات أو المعادن أو نحوها مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس أو الروم أو الهند أو غيرها ولم يكن للعرب معرفة به من قبل . أو في اسماء بعض المصطلحات الدينية أو الادبية وأكثر هذا منقول عن العبرانية أو الحبشية لان اليهود والاحباش من أهل الكتاب

الالفاظ الفارسية واليونانية

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الالفاظ الاعجمية عدوها فارسية . ومن امثلة ما ذكره صاحب المزهر من الالفاظ الفارسية « الكوز الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصعة السكرجة السمور السنجاب القاقم الفنك الدلق الخز الديباج التاختج السندس الياقوت الفيروزج البلور الكمك الدرمك الجردق السميد السكباج الزيرباج الاسفيذاج الطياهج الفالوذج اللوزينج الجوزينج البغرينج الجلاب السكنجبين الخلنجين الدار صيني الفلفل الكرويا الزنجبيل الخولنجان القرفة النرجس البنفسج النسرين الخيري السوسن المزنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل » اه وعندنا ان بعض هذه الالفاظ غير فارسي كما سترى

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية الفردوس والقسطاس والبطاقة والقرسطون والقبان والاسطرلاب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق والقنطرة وغيرها كثير

الالفاظ الحبشية والعبرانية

وأما ما نقلوه عن الحبشية فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ولان الحبشية والعربية أختان تتشابه الالفاظ فيهما . والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ

المقتبسة من الحبشية ثلاثة . كفلين والمشكاة والهرج . لكننا لا نشك في أنهم اقتبسوا كثيراً غيرها وخصوصاً ما يتعلق منها بالمصطلحات الدينية

من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع أو الكنيسة يقف فيه الخطيب أو الواعظ » وقد شقه صاحب القاموس من « نبر » أي ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا أنه معرب « ومبر » فى الحبشية أي كرسى أو مجلس أو عرش

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر في القلب واظهار الايمان » وقد شقوه من « نفق » راج أو رغب فيه وليس بين المعنيين تناسب فاضطروا لتعليله الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا « ومنه اشتقاق المنافق في الدين » وهو تكلف نحن في غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » في الحبشية معناها الهرتقة أو البدعة أو الضلال في الدين . وهي من التعبيرات النصرانية التى شاعت في الحبشية بدخول النصرانية فيها

وكذلك لفظ « الحوارى » شقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض وقال في معنى الحواري « انه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم أو لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض » والاظهر عندنا ان هذه اللفظة معرب حواري في الحبشية ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها في العربية تماماً

وكذلك « برهان » وقد شقها صاحب القاموس من « برهن » وشقها غيره من « بره » بمعنى القطع وان النون زائدة فيها وهي فى الحبشية « برهان » أى النور أو الايضاح مشتقة من « بره » أي اتضح أو انار

وقس على ذلك كثيراً من امثاله كالمصحف فانه حبشي من « صحف » أي كتب والمصحف الكتاب . ناهيك باسماء الحيوانات أو النباتات أو نحوها فان « عنبسة » من اسماء الاسد عند العرب وهي الاسد بالحبشية

وقد أخذوا عن العبرانية كثيراً من الالفاظ الدينية كالحج والكاهن والعاشوراء وغيرها وأكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى في اللغتين لانهما شقيقتان ويضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة

الالفاظ السنسكريتية

ولا ريب ان العرب اقتبسوا كثيراً من الالفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود في أثناء الاسفار للتجارة أو الحج . لان جزيرة العرب كانت واسطة

الاتصال بين الشرق والغرب . فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر او الشام أو المغرب كانت تمر ببلاد العرب ويكون للعرب في حملها أو ترويجها شأن - وقد عثرنا في السنسكريتية على الفاظ تشبه الفاظاً عربية تغلب أن تكون سنسكريتية الاصل لخلو اخوات العربية من امثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما في السنسكريتية بهذا اللفظ تماماً ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دونت قبل العربية بزمان مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتي الاصل ايضاً وكذلك « ضياء » ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من امثال ذلك

على اننا نرجح ان العرب أخذوا عن الهنود كثيراً من المصطلحات التجارية واسماء السفن وأدواتها واسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والاطياب مما يحمل من بلاد الهند . والعرب يعدونها عربية أو يلحقونها بالالفاظ الفارسية تساهلا . كالمسك مثلا فقد رأيت صاحب المزهر يعده فارسياً وهكذا يقول صاحب القاموس . وهو بالحقيقة سنسكريتي ولفظه فيها « مشكا » وذكروا « الكافور » بين الالفاظ الفارسية وهو هندي على لغة أهل ملقا ولفظه عندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضاً ان القرنفل فارسي والغالب عندنا انه سنسكريتي لان اصله من الهند وقس عليه

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » فصل ضاف في هذا الموضوع بينا فيه القاعدة في تعيين اصول الالفاظ الاعجمية وأوردنا كثيراً من الالفاظ المنقولة للعربية من اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية والحبشية وأئمة اللغة يعدونها عربية . وفصل آخر في ماالحق اللغة العربية من التغيير في ألفاظها بمقابلتها باخواتها (١)

٤ - كيف كانت اللغة العربية لما جاء الاسلام

ليس ما قدمناه واشرنا اليه من تاريخ تكون اللغة العربية وترقيها الا فذلكة مثلنا بها ذلك التاريخ . ولا يستطاع تفصيله وتعيين التقلبات التي مرت بها هذه اللغة قبل الاسلام اذ ليس لدينا أمثلة مدونة يرجع اليها أو يقاس عليها غير ماقدمناه مما وجدوه منقوشاً على قبر امرىء القيس وهو لا يشفي غليلا . ولو ان أشعار ايوب كانت مدونة كما دونت الياذة هوميروس مثلا لاستخرجنا من المقابلة بين لغتها ولغة الجاهلية الثانية تاريخ تقلب الالفاظ والتعابير . كما فعل اليونانيون في بيان الفروق بين لغة الالياذة

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ١٠ - ٢١ طبعة ثانية

ولغات ما دون بعدها . وكما فعلنا في تدوين تاريخ اللغة العربية بعد الاسلام وما تقلبت عليه من تبديل الالفاظ وتفرعها وتنوعها ودخول الالفاظ والتراكيب الاعجمية وما أخذته من كل لغة حسب الاطوار التى مرت عليها (١) وكما يفعل فلاسفة اللغة في رد اللغات الحية الاوربية الى اصولها اللاتينية والجرمانية واليونانية

ومهما يكن من تاريخ اللغة العربية القديم فقد عرفناها عند ظهور الاسلام ناضجة وقد تفرعت الى لغات باختلاف الاصقاع والقبائل فدون المسلمون احدى تلك اللغات مع امثلة من سائر اللغات على ما سنبينه

٥ ـ البلاد التى كان اهلها يتكلمون العربية قبل الاسلام

اذا نظرت الى الخارطة اليوم رأيت الناطقين بالعربية منتشرين في غربى البحر المتوسط وجنوبيه الى الشام والعراق وما بين النهرين وفي جزيرة العرب وفي مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وعلى شواطىء البحر الاحمر وفي السودان وغيرها من أواسط افريقيا وعلى شواطىء افريقيا الشرقية وغيرها . غير الذين يتعلمون العربية للمعاملات الدينية وهم المسلمون في اكثر انحاء المعمور في فارس وخراسان وافغانستان وتركستان والهند والصين وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد التى دخلها الاسلام في القارات الخمس

أما قبل الاسلام فقد كانت اللغة العربية محصورة في جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق الى تدمر وفي بادية الجزيرة (بين النهرين) وفي جزيرة سينا وقليل بعدها في صحراء مصر الشرقية(٢)

ويعسر تقدير احصاء العرب في ذلك العهد كما يعسر تقديره اليوم لاعتماد اولئك الاقوام على الرحلة والتنقل في البوادى ولكننا نحسبهم لا يزيدون على بضعة ملايين أكثرهم من أهل البادية متفرقون قبائل وعشائر وأفخاذاً وبطوناً في الحجاز ونجد واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين وفي بادية الشام والعراق . يندر فيهم المتحضرون سكان المدن اذ لم يكن يومئذ من المدن العامرة في جزيرة العرب غير مكة والمدينة والطائف بالحجاز ، وصنعاء فى اليمن وبعض المزارات في أواسط الجزيرة وبعض الفرض على الشواطىء

فالمعول فى احصاء العرب على أهل البادية وكانوا ينقسمون حسب قبائلهم وكانت تلك القبائل مع كونها رحالة تنحصر رحلتها غالباً في بقعة من بقاع الجزيرة ما لم يطرأ

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ٢٢ ـ ٦٣ طبعة ثانية

(٢) راجع خارطة جزيرة العرب في صفحة ١٠٤ من تاريخ العرب قبل الاسلام

عليها طارىء يبعثها على الانتقال الى بقعة أخرى كما أصاب قبائل عدنان في القرون الاولى قبيل الميلاد وبعده . اذ كانت تقيم في تهامة ثم تفرقت فيها وفي الحجاز ونجد. وكانت القبائل القحطانية في اليمن ثم انتشرت في سائر جزيرة العرب . ولكل انتقال سبب طبيعي او سياسي او غير ذلك مما يطول شرحه وقد فصلناه في كتابنا « العرب قبل الاسلام »

فلما جاء الاسلام كانت قبائل العرب البادية أكثرها في نجد وتهامة والحجاز والاحساء ومشارف الشام والعراق ومعظمها من العدنانية كما تجد ذلك مبيناً في الخريطة

وبالقياس على ما نشاهده اليوم من تعدد لغات (أو لهجات) المتكلمين بالعربية في الشام والعراق ومصر والمغرب وما بينها من الاختلاف لفظا وتركيباً مع ان الاصل واحد فيها جميعاً (لغة مضر) نعتقد أن لغات تلك القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض ويزداد الفرق بينها بزيادة البعد وباختلاف ما يجاورها من غير العرب فلغات أواسط جزيرة العرب وان بعدت الشقة بينها كانت لغاتها أكثر تقاربا مما بينها وبين لغات أهل الشواطىء لاختلاط هؤلاء بالاعاجم على شواطىء خليج العجم والبحر الاحمر من جالية الفرس والهند والاحباش وغيرهم أو عند مشارف الشام لاختلاطهم بأهل المدن من السريان أو الروم أو الانباط في الشام والعراق . ولما نهض المسلمون في صدر الاسلام لجمع اللغة لاحظوا هذه الاعتبارات التماساً لاختيار أحسن اللغات وأبعدها عن العجمة

٦ ـ فروع اللغة العربية

واذا أمعنت النظر في الخارطة رأيت اكثر سكان أواسط جزيرة العرب من قبائل مضر وأعظمها يومئذ تميم في شرقي نجد وشماليها . وغطفان (عبس وذبيان) وسليم وغيرهما في نجد وأرقاها قريش في مكة . وكان من القبائل القحطانية هناك طي في نجد ومذحج في اطراف الحجاز . واكثر سكانها في الشمال من ربيعة ومنهم بكر وتغلب في بادية العراق والجزيرة

فلغات هذه القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض باختلاف اصولها ومساكنها وكان الاختلاف على معظمه بين لغات اليمن ولغات الحجاز ونجد أي بين جنوب الجزيرة وشمالها . وأحسن مثال للغات الجنوب ما خلفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند واحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن وشعر الجاهلية والفرق بين اللغتين كبير .

والعرب يسمون لغة قدماء اليمنيين « المسند » . ولمن أقام حول اليمن من العرب لغات لعلها فروع من لغة اليمن . وكان لكل اقليم منها لسان يختلف عن ألسنة سائر الاقاليم وله اسم خاص يعرف به — وهي :

المسند	لغة حمير فى اليمن	الحويل	لغة مهرة والشحر
الزبور	« حضرموت وبعض اليمن	الزقزقة	« الاشعريين
الرشيق	« عدن والجند		

هذا هو تقسيم العرب للغات اليمن ويرى العلماء اليوم ان بعضها غير عربي ولكن اكثرها ذهب ولا سبيل الى تحقيق ذلك

أما لغات أهل الحجاز ونجد وسائر الشمال وهم العدنانيون فترجع الى أصل واحد يسمونه «المبين» وهو الباقى الى الآن ومنه لغة القرآن وقد تغلب على سائر الالسنة وانتشر مع المسلمين في الارض

اللسان المبين

فاللسان المبين كان يتكلمه عرب الشمال وهم قبائل عديدة كما رأيت وبينها فروق في معانى الالفاظ ونطقها وفي أساليب التركيب . ولكن الاسلام ذهب بها جميعاً الا لغة قريش (لغة القرآن) وما اختاره علماء اللغة من ألفاظ القبائل الاخرى، ولم يبق من لغات هذه القبائل الى الآن الا أمثلة ذكرها علماء اللغة عرضا من باب العيوب واكثرها في قبائل ربيعة . مثال ذلك أنهم كانوا يزيدون بعد ضمير المخاطب المفرد شيئاً فيقولون عليكش وبكش بدل عليك وبك . وجاء فى بعض الكتب أنهم يبدلون الكاف شيناً فيقولون عليش بدل عليك . وهي في الحالين غير الشين التى يدخلها عامة المصريين على الاستفهام

ومن بقايا لغات القبائل ان بنى تميم كانوا يلفظون الهمزة إذا وقعت في المبدأ عيناً فيقولون في « أسلم » « عسلم » ويسمونها العنعنة وكان الهذيليون وهم قبيلة من مضر يجعلون الحاء عيناً ويسمونها العحعحة . ومنها الجعجعة في قضاعة وهى أن يجعلوا الياء المشددة جيماً فيقولون في تميمي تميمة . والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهى ان يقولوا انطى بدل اعطى . وعند بعض القبائل حروف لا توجد عند سواها كالحرف بين القاف والكاف في لغة تميم لعله كالكاف الفارسية . وذكر صاحب المزهر امثلة كثيرة من هذه العيوب (١)

(١) المزهر ١٠٩ ج ١ .

ومن اللغات الشاذة التي تفيدنا فى الرجوع الى اصل اللغة العربية استعمال الذال للموصول بدل « الذى » فان بعض العرب (طي) يقولون « فلان ذو سمعت به » أي الذى سمعت به وهو تركيب آرامي أو بابلى من بقايا القرابة بين العرب والحموراببين ومن هذا القبيل كسر أول فعل المضارع كما يفعل سريان هذه الايام فانه كان عاماً في قبائل العرب الا في قريش واسد (١) فلغات القبائل المشار اليها ظلت بعد الاسلام مدة ثم أخذت تنقرض بالتدريج وحلت لغة قريش محلها - ليس في جزيرة العرب فقط بل في كل بلد دخله الاسلام

على ان ما يعده أئمة اللغة عيوباً فى لغات هذه القبائل انما يصح تسميته بذلك بالنظر الى اللغة التي اختاروها ليس بالنظر الى اللغة نفسها . فان استعمال « ذو » للموصول لم يسموه عيباً إلا لانه يخالف المألوف في لغة قريش ولو ألفوه لفضلوه على الذى . وفي كل حال فان علماء اللغة لما قاموا لجمع اللغة تخيروا من لغات تلك القبائل أحسن ما فيها بالنظر الى أذواقهم ومألوفهم . وأكثر ما أخذوه من قيس وتميم وأسد وسنعود الى ذلك عند الكلام عن جمع اللغة وتدوينها

مميزات اللغة العربية وخصائصها

للغة العربية كما وصلت الينا خصائص تميزها عن سواها وتدل على مبلغ عقول اصحابها من الرقي وان كانوا بادية راحلين وهذه مميزاتها :

١ - الاعراب

نعنى بالاعراب تغيير أواخر الكلم بتغيير العوامل عليها بالرفع والنصب والجر والسكون . واللغات الحية فى العالم المتمدن الآن تعد بالعشرات ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث : وهى العربية وابنتها الحبشية واللغة الالمانية . والظاهر ان الاعراب من خصائص التمدن القديم لان لغات ذلك التمدن كان معظمها معربا - كذلك كانت اللغات البابلية (الاشورية) والعربية واليونانية واللاتينية والسنسكريتية . واللغات التي تخلفت عن تلك الامهات جاءت خالية من حركات الاعراب . فاللغات التى تخلفت عن اللاتينية في اوربا وعن السنسكريتية في الهند وايران غير معربة . وكذلك اللغات التى تخلفت عن اللغة البابلية وهي السريانية والكلدانية لم يبق فيها اعراب . ومثلها اللغات التى تخلفت عن اللغة العربية نعني لغات العامة في الاصقاع العربية اليوم فانها غير معربة . كأن الاعراب اذا ترك

(١) المزهر ١٢٤ و ٢٥٢ ج ١

لمجارى الطبيعة لا يعيش فى الرخاء طويلا وانما يعيش فى البادية أو نحوها من أحوال الخشونة او القوة - إلا اذا أراد اصحابه تقييد لغتهم بالقواعد كما فعل العرب والالمان . على ان اللغة العربية سارت سيرها الطبيعي على ألسنة العامة فذهب الاعراب منها

ومما يحسن استطراده ان اللغات السامية القديمة على كثرتها اختص منها بالاعراب لغة بابل (الاشورية) واللغة العربية ويؤخذ ذلك من الادلة على وحدة اصل العرب والحمورابيين وان الامتين كانتا أمة واحدة يتكلمون لساناً واحداً معرباً فتحضر الحمورابيون وظل العرب بادية ومنهم العمالقة . فلما تمدن الحمورابيون واركنوا الى الرخاء ذهب الاعراب من لسانهم وبقي في كتاباتهم المنقوشة . كما اصاب العرب بعد قيام دولتهم وتقييد لغتهم فنشأ من بقايا البابليين امة لغتها غير معربة هم السريان والكلدان . كما نشأ من العرب اقوام لا يعربون كلامهم وهم عامة الشام ومصر وغيرها من بلاد العرب وكان اجدادهم في البادية يعربونه

٢ - دقة التعبير

وتمتاز اللغة العربية بدقة التعبير بالفاظها وتراكيبها . أما الالفاظ ففيها لكل معنى لفظ خاص حتى اشباه المعانى او فروعها وجزئياتها . وقد ذكرنا امثلة من ذلك فيما تقدم . ومن امثلة دقة التعبير فيها وجود الالفاظ لتأدية فروع المعاني او جزئياتها فعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص به . فالساعة الاولى الدرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب . ويقال فيها ايضاً البكور ثم الشروق فالاشراق فالرأد فالضحى فالمتوع فالهاجرة فالاصيل فالعصر فالطفل فالحدور فالغروب

وعندهم اسم لكل ليلة من ليالى القمر . وتجد للمعنى الواحد عدة الفاظ يعبر كل منها عن تنوع من تنوعات ذلك المعنى . فللشعر مثلا اسماء عديدة حسب منبته كالفروة لشعر معظم الرأس والناصية لشعر مقدم الرأس والذؤابة شعر مؤخر الرأس والفرع شعر رأس المرأة والغديرة شعر ذؤابتها والدبب شعر وجهها الى غير ذلك . وهو كثير . وقس عليه اسماء المعائب فمن معائب العين الحوص والخوص والشتر والقمش والكمش والغطش والجهر . ولكل منها معنى خاص مما لا مثيل له فى ارقى لغات البشر قديماً ولا حديثاً

واعتبر ذلك فى تفرع معاني الافعال كتفرع فعل النظر الى رمق ولمح وحدج

وشفن وتوضح ورنا واستكف واستشف . ومثلها فروع افعال الجلوس والقيام والمشي والنوم وضروب الاصوات للحيوان والانسان وغير ذلك . وفي المخصص وفقه اللغة الوف من هذه الامثلة ولا خلاف في ان ذلك من ادلة الارتقاء . ناهيك بالمترادفات في الاوصاف وهي اكثر من ان تحصى . ولعل العربية أغنى اللغات في الالفاظ المعبرة عن المعاني المجردة واعمال العواطف . ففيها لانواع الحب نحو عشرة الفاظ ومثلها للبغض والحسد والطمع وغيرها

ومن وسائل دقة التعبير فى العربية مزيدات الافعال فان صيغ المشاركة تعبر باللفظ الواحد عن معان لا يعبر عنها في اللغات الاخرى الا بعدة الفاظ كقولنا تقاتلوا وتقاضوا وهذه الصيغة خاصة بالعربية

٣ ـ الاعجاز والايجاز

لكل قوم اعجاز فى لغتهم فيدلون بلفظ قليل على معنى كثير ولكن العرب أقدر على ذلك من سواهم لان لغتهم تساعدهم عليه وقد تعودوه وألفوه ومنه فى القرآن والحديث والامثال وكتب الفقه والشرع والادب امثلة كثيرة . ومن هذا القبيل استعمال المجاز والكناية وسائر أساليب البديع فانها في العربية أرقى مما في سواها لانها لغة شعرية كثيرة الكنايات والاشارات يسهل فيها التعمية والالغاز . ولذلك رأيت في اخبار اهل البادية امثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على الذكاء وامتلاك ناصية اللغة كقول جاسوس منهم وقع في أيدى الاعداء فحبسوه والزموه أن يكتب كتابا الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم وعددهم غشاً وتغريراً . فكتب الى الملك كتابا قال فيه :

« اما بعد فقد أحطت علماً بالقوم وأصبحت مستريحاً من السعى في تعريف احوالهم واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في العاقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله . ولقد رأيت من احوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى العدو فارسلوه الى الملك بعد ما اطلعوا عليه . فتفطن الملك لما اراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحاً من السعى وانه رآهم أضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية « كم من فئة قليلة » ولفتنى الى الاناة اذ جعلها عادة لى . واراد قلب حروف الجملة الاخيرة فكون « كلهم عدو كبير عد فتحصن »

٤ ـ المترادفات والاضداد

في كل لغة مرادفات اى عدة الفاظ للمعنى الواحد ولكن العرب فاقوا بها سائر أمم الارض . ففيها للسنة ٢٤ اسماً وللنور ٢١ اسماً وللظلام ٥٢ اسماً وللشمس ٢٩ اسماً وللسحاب ٥٠ وللطمر ٦٤ وللبئر ٨٨ اسماً وللماء ١٧٠ اسماً وللبن ١٣ اسماً وللعسل نحو ذلك وللخمر مئة اسم وللاسد ٣٥٠ اسماً وللحية مئة اسم ومثل ذلك للجمل . أما الناقه فاسماؤها ٢٥٥ اسما . وقس على ذلك اسماء الثور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات التى كانت مألوفة عند العرب وأسماء الاسلحة كالسيف والرمح وغيرهما ناهيك بمترادف الصفات فعندهم للطويل ٩١ لفظاً وللقصير ١٦٠ لفظاً ونحو ذلك للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه

وأسباب كثرة المترادفات في العربية عديدة منها أن كثيراً من أسماء الحيوان أصلها نعوت ثم صارت اسماء وبعضها مأخوذ عن لغة أخرى . فمن اسماء الاسد مثلا الحطام والخطار والاصيد والشديد والراهب والمرهوب والمهوب والاغلب والاصهب والمجرب والباسل والمياس ونحوها وهي نعوت لطبائع الاسد وظواهره . ومن اسمائه عنبسة وهو اسمه بالحبشية . وقد يكون السبب فى زيادة المترادفات استعارة اسماء حيوانات أخرى للدلالة على هذا الحيوان يتكنون بها عن بعض طبائعه

ومن خصائص اللغة العربية اسماء الاضداد فان فيها مئات من الالفاظ يدل كل منها على معنيين متضادين مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس و « نضح » للعطش والري و « ذاب » للسيولة والجمود و « أفسد » للاسراع والابطاء و « أقوى » للافتقار والاستغناء

٥ ـ المعانى الكثيرة للفظ الواحد

ومن خصائصها أيضاً دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة فمن ألفاظها نيف ومئتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان . ونيف ومئة لفظ يدل الواحد منها على اربعة ومثلها التى تدل على خمسة معان . وقس على ذلك ما يدل على ستة معان فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى كالحميم والفن والطيس . ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدل على ٢٧ معنى وللفظ « العين » ٣٥ معنى وللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

٦ ـ السجع وغيره من أسباب سعة اللغة

ان كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعداد المعاني للفظ الواحد جعلتها واسعة

التعبير وسهلت على اصحابها التسجيع . وكان التسجيع شائعاً في الجاهلية بلغة الكهان على أساليب يستقبحها أهل اللغة لغرابة ألفاظها وركاكة تركيبها

ومن نتائج سعتها اقتدار أصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين عاطل ومهمل ومنقط أو مشترك . وقد علمنا ان بعضهم كتب تفسير القرآن بالفاظ ليس فيها حرف منقط : وهناك تراكيب يشترط فيها اذا قرأ الالثغ لا تظهر لثغته لخلوها من الراء . وقد خطب واصل بن عطاء خطبة طويلة لم يرد فيها حرف الراء وكان اذا قال شعراً لم يورد فيه حرف الراء على الاطلاق (١) وذلك لا يتيسر في اللغات الافرنجية وقد جرب بعضهم كتابة اسطر بالالمانية بدون راء (R) فلم يستطع ذلك الا بعد شق النفس

٧ – حكاية الاصوات

ومن خصائص اللغة العربية ان لالفاظها وقعاً على الاذن يكون له تأثير موسيقي يختلف شدة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثر في النفس تأثيراً خاصاً سواء كان نثراً أو نظماً . من أمثلة الوقع الشديد وصف الاسد لابي زبيد الطائي بين يدي عثمان بن عفان فقد قال وهو يصف خروج الاسد عليهم في واد : « فضرب بيده فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مغلولة وفم أشدق كالغار الاخرق . ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه . ثم اقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر فلا وذو (٢) بيته في السماء ما اتقيناه الا باخ لنا من فزارة كان ضخم الجزارة فوقصه ثم نفضه نفضة فقضقض متنيه فجعل يلغ في دمه . فذمرت لاصحابي فبعد ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعراً كأن به شمماً حولياً فاختلج رجلا اعجز ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت مفاصله . ثم نهم ففرفر ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ويمينه فارعشت الايدي واصطكت الارجل واطت الاضلاع وارتجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون ... »

فصاح به عثمان : « اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين »

وحكايات الاصوات موجودة في سائر اللغات

ثانياً – الامثال

الامثال من آداب العرب الهامة لانها تجري على ألسنتهم مجرى الشعر . وهي

(١) البيان والتبيين ١١ ج ١ (٢) « ذو » يعني « الذي » في لغة طي والرجل منهم

عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح . قال ابو عبيد : « الامثال من حكمة العرب في الجاهلية والاسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه » (١) والعرب تضمن أشعارها وأقوالها الامثال والحكم فتزينها كقول ابي ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذى دفنت له حديدة حتف ثم أمسى يثيرها (٢)

وبعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كارجوزة ابي العتاهية التي سماها ذات الامثال (٣)

ولا تخلو أمة من الامثال المتوارثة في الاعقاب . لكن العرب يمتازون بامثالهم المبنية على الحوادث . لان الامثال عندهم نوعان :

١ ـ أمثال حكمية كقولهم الجار قبل الدار والحرب خدعة والخطأ زاد العجول والعتاب قبل العقاب ونحوها مما يتناقله الناس في الاعقاب وترويها الامم بعضها عن بعض . وأقدم مجموع لها أمثال سليمان واكثر الامم أخذت عنها وهي عند العرب مقتبسة من التوراة وأمثال الهند والفرس والروم فضلا عما يروونه عن اسلافهم وحكمائهم كاكثم بن صيفي وغيره وينسبون امثالا كثيرة إلى لقمان . وهو من قدماء الحكماء يشبه شاعراً حكيماً بنحو هذا الاسم عند اليونان(Alcman) من أهل القرن السابع قبل الميلاد وهو أقدم من نظم الشعر الغنائى عندهم

٢ ـ الامثال المبنية على الحوادث وهى خاصة بهم لان الحوادث جرت لهم كقولهم وافق شن طبقة وقطعت جهيزة قول كل خطيب وبالصيف ضيعت اللبن وسبق السيف العذل . وهم يؤثرون تلك الامثال عن قائليها وقد يروون عشرات من الامثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما رووا في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش (٤) فذكروا في أثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت مثلا منهاقول قصير «رأى فاتر وعدو حاضر » وقوله « رأيك في الكن لافي الضح » و « ماضل من تجرى به العصا » وقول الزباء « لامر ما جدع قصير أنفه » و « بيدى لا بيد عمرو » ونحو ذلك . وهذه الامثال وأشباهها كثيرة في أقوال الجاهلية

كتب الامثال

وقد عنى العرب في جمع الامثال لانها من جملة ما احتاجوا اليه في تحقيق ألفاظ

(١) المزهر ٢٣٤ ج ١ (٢) الاغاني ٦٣ ج ٦
(٣) الاغاني ١٤٣ ج ٣ (٤) ابن الاثير ١٤٩ ج ١

اللغة ـ ذكر ابن النديم ان عبيد بن شربة من أهل اليمن الف كتاباً في الامثال في خمسين ورقة باواخر القرن الاول للهجرة وهو أول من فعل ذلك وقد ضاع هـذا الـكتاب . واشتغل كثيرون من أدباء البصرة والـكوفة في ابان التمدن الاسـلامي بجمع أمثال العرب منهم صحار العبدى كان معاصراً لابن شرية (١) ويونس النحوي المتوفى سنة ١٨٢ هـ وابو عبيدة سنة ٢١١ هـ وثعلب سنة ٢٩١ هـ وابو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٣ هـ والمفضل الضبي وابو هلال العسكرى ومحمد بن زياد الاعرابي ومحمد ابن حبيب البغدادي وحمزة الاصفهاني وغيرهم

وقد شرح هذه الـكتب كثيرون وأضافوا اليها من الامثال الحادثة في الاسلام . وأهم هذه الـكتب الباقية الى الآن كتاب المستقصى للزمخشرى (توفي سنة ٥٣٨هـ) ومجمع الامثال للميداني (توفي سنة ٥١٨ هـ) . وفي مجمع الامثال نخبة ما احتوته كتب المتقدمين جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتاباً في الامثال ورتبه على حروف المعجم بعد ان اضاف اليـه أمثال المولدين . وهو أجمع كتاب في الامثال العربية وفيه شروح لطيفة وقد طبع مراراً بمصر والشام وغيرها . أما المستقصى للزمخشرى فمنه نسخ خطية في مكتبة ليدن وفينا والمتحف البريطاني وكوبرلى بالاستانة ودار الـكتب المصرية

اما كتب الامثال الاصلية التى أخذ عنها الميدانى والزمخشري فالباقي منها قليل اهمها كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام طبع في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وامثال العرب للضبي طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ هـ وجمهرة الامثال لابي هلال العسكرى طبعت في الهند سنة ١٣٠٧ هـ وأمثال لقمان طبعت مراراً في اوربا ومصر منها طبعة فى باريس سنة ١٨٤٧ مع ترجمة فرنساوية . وتجد كثيراً من أمثال العرب في كتب الامالى وكتب اللغة وكتب الادب ونحوها

ثالثاً — الشعر في العصر الجاهلى

١ — ما هو الشعر

الشعر من الفنون الجميلة التى يسميها العرب الآداب الرفيعة وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر . ومرجعها الى تصوير جمال الطبيعة ـ فالحفر يصورها بارزة والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط والالوان . والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن

(١) الفهرست ٩٠

اعجابنا بها وارتياحنا اليها بالالفاظ . فهو لغة النفس أو هو صور ظاهرة لحقائق غير ظاهرة . والموسيقى كالشعر - هو يعبر عن جمال الطبيعة بالالفاظ والمعاني وهى تعبر عنه بالانغام والالحان وكلاهما في الاصل شيء واحد

هذا هو تعريف الشعر في حقيقته ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحصرون حدوده بالالفاظ وهو تعريف النظم لا الشعر وبينهما فرق كبير اذ قد يكون الرجل شاعراً ولا يحسن النظم وقد يكون ناظما وليس في نظمه شعر - وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعاً فى النفس فالنظم هو القالب الذى يسبك فيه الشعر . ويجوز سبكه فى النثر

وقد تقدم ابن خلدون خطوة أخرى في تعريف الشعر فقال : « الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والاوصاف المفصل باجزاء متفقة فى الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به » فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر ويشترط أيضاً استقلال كل بيت منها بغرضه . وهو تقييد لا باعث له اذ قد ترى في الكلام المنثور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر وذلك كثير في كلامهم والحكم فيه للذوق ومن أصعب الامور ان نعرف الشعر ونجعل له حدوداً جامعة مانعة كما نعرف الصرف أو النحو أو الفلك أو غيرها من العلوم والآداب . ولكنك اذا قرأت قولا فيه خيال شعري تعرفت الشاعرية فيه وشعرت بلذة ذلك التعرف وطربت له وقد يكون ذلك القول نثراً وانما أطربك ما فيه من أساليب الكناية أو الاستعارة . فاذا سبكته في قالب شعرى زاد رونقاً وطلاوة فاذا غنيته على توقيع الالحان زدت طربا به . فالوزن يزيد الشعر طلاوة من قبيل التوقيع الموسيقي في الالفاظ والحركات لا من قبيل المعنى

فاذا قرأنا لبعضهم نثراً يصف به ذهولة بالحب فيقول « اذا جئت دار الحبيب ليلا لحاجة لى ألتمسها فلا أدخل الدار حتى أنسى ما جئت له » فهذا معنى شعري غزلى ترتاح اليه النفس لكن ارتياحها يكون اكثر اذا نظم ذلك المعنى شعراً كقول المجنون :

فيا ليل كم من حاجة لى مهمة اذا جئتكم بالليل لم أدر ما هيا

ويكون وقعه في النفس أشد اذا غني على لحن مطرب

وعلى ذلك فيدخل في الشعر كثير من أقوال العرب التى نعدها من قبيل الامثال

أو الحكم المأثورة المبنية على الكناية كقولهم : المرء باصغريه لا ببرديه . وعاد الامر الى نصابه وصاحت عصافير بطنه ونحو ذلك

فالشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية . وقد رأينا بعض متقدمي العرب يرون هذا الرأي في تعريف الشعر فقد قال بعضهم « الشعر كلام وأجوده أشعره » (١) ولم يقيده بالوزن ولا القافية . وقال آخر « الشعر شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا » (٢)

٢ ـ أنواع الشعر

العرب يقسمون الشعر الى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الاغراض وهذه كلها في نظر الشاعر غير العربي نوع من انواع الشعر يسمونه الشعر الغنائي أو الموسيقي لان مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقي

ويقسم الشعر عند الافرنج الى ثلاثة أنواع (١) الشعر القصصي (Epique) (٢) الشعر الغنائي (Lyrique) (٣) الشعر التمثيلي (Dramatique)

الشعر القصصي

فالشعر القصصي اقدمها وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث في الشعر (موزون أو غير موزون) على سبيل القصة واكثرها دينية وابطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم . واذا تدبرت الشعر عند سائر الامم وجدته أقدم آدابها واقدمه الديني المتعلق بالآلهة واعمالهم كما في الياذة هوميروس عند اليونان ومهابهارتة الهند . ومن هذا القبيل بعض الاشعار العبرانية كسفر داود ونشيد الاناشيد والنبوات فانها شعر ديني لكنها ليست من النوع القصصي بل من الموسيقي . لان الشعر القصصي نادر في اشعار الساميين على الاجمال الا السريان فان القديس افرام نظم شيئاً منه ولعله اقتبسه من اليونان (٣)

أما العرب فيخالفون العبرانيين من حيث الشعر الديني لانه لم يكن عندهم في الجاهلية كما كان عند العبرانيين . ولا يعقل انهم خالفوا اخوانهم فيه ولابد من انهم نظموا الاشعار خاطبوا بها هبل واللات والعزى وغيرها واستعطفوها وصلوا اليها

(١) الاغاني ١٢٤ ج ١٨ و ٦٠ ج ٢١ (٢) البيان والتبيين ١٧٢ ج ٢
(٣) Lit. Syr.20

وتخشعوا لها ولكن منظوماتهم فى هذا الموضوع ضاعت في ثنايا الاجيال لعدم تدوينها ولاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التي قامت بينهم قبيل الاسلام . فلما جاء الاسلام أغضى الرواة عن حفظها لانها وثنية والاسلام يمحو ما كان قبله ـ كما أبادوا مكاتب الفرس ومصر وكما أرادوا هدم ايوان كسرى واهرام مصر . فاكتفوا بتدوين أشعار الحماسة والفخر ولكن بقى من الاشعار الدينية أمثلة قليلة جاء ذكرها عرضا في تراجم بعض الشعراء كأمية بن أبى الصلت وغيره

الشعر الغنائى

قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصى وفيه اخبار آلهتهم وحروبها وعلاقاتها بالبشر . ثم قالوا الشعر الموسيقي وقد نضج عندهم نحو القرن الخامس قبل الميلاد على أثر الحوادث السياسية والحروب التي قامت بين الاحزاب اليونانية وتغلب بها الشعب على الاشراف كما تقدم . فهاج الظفر قرائحهم وعقب ذلك التنازع بين الاسبارطيين والمسينيين وبين يونان آسيا الصغرى وجيرانهم فذاقوا لذة التغلب فجاب في صدور الشعراء احساس لم يتعودوه من قبل كما أصاب العرب الحجازيين على أثر خروجهم من سلطة الحميريين ثم بما قام بينهم من النزاع والحروب فى القرون الاولى قبل الاسلام فانها أنطقتهم وحركت نفوسهم كما سيجيء

فأصبح اليونان من القرن الخامس قبل الميلاد أهل دولة وتمدن ورخاء فصاروا في حاجة الى شعراء يحرضونهم على الثبات في الحرب أو يمدحون بسالتهم ويطرون أعمالهم ويصفون حضارتهم فظهر الشعر الغنائى أو الموسيقى وفيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والرثاء ووضعوا الاوزان الجديدة له . وطبيعى ان الظفر يبعث على المدح والموت يولد الرثاء والحب يستدعي النسيب والغزل . فصار ملوك اليونان وكبراؤهم يقربون الشعراء الغنائيين لسماع المدح كما فعل العرب في ابان دولتهم فكثر الشعراء الغنائيون عندهم وأستاذهم بندار . وشاع الشعر الغنائي فيهم فاشتغلوا به عن الشعر القصصي ـ كأنهم اشتغلوا باثارة العواطف والحث على الفضائل عن تقرير الحقائق وسرد الحوادث

الشعر التمثيلى

ثم رأوا الكلام وحده لايكفى لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدي سردها أو تمثيلها الى مغزى ما يريدون . فبدلا

من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلا ويحببها الى الابطال ببلاغة البيان الشعرى عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع فى النفس وأثبت في الذهن وسموا هذا النوع من الشعر « الشعر التمثيلى » (Drame)

ويراد بالشعر التمثيلى في أصل وضعه تمثيل الوقائع التى ترمي الى الموعظة أو الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل [1] وفي الشعر القصصى شيء منه لان الياذة هوميروس لاتخلو من مشاهد تمثيلية . ولكن العشراء بدأوا في نظمهم أولا بالشعر الخيالى التصويري المحض اذ هاج شاعريتهم التخشع للآلهة وكانوا يغنون لهم ويرقصون في غنائهم على توقيع الالحان فتصوروا الوزن من حركات الرقص ـ وذلك أصل النظم عندهم . وكان أول منظوماتهم أقاصيص الآلهة وأعمالهم ثم تدرجوا الى وصف الواقع فبدأوا بالعواطف يعبرون عنها بالشعر الغنائي . ثم عمدوا الى تمثيل الفضائل على المراسح للاستفادة منها وهو الشعر التمثيلى

٣ ـ هل عند العرب شعر تمثيلى

قد رأيت ان الشعر التمثيلى أو الدرام هو الوجهة العملية من الشعر أى يراد بها تمثيل الفضائل أو المناقب للعين . والعرب مثل سائر الساميين أكثر ميلا الى الخيال والتصور فلم يلتفتوا الى التمثيل أو على الاقل لم نعثر بين ما وصلنا من آدابهم قبل الاسلام على شيء من الشعر التمثيلى على سبيل المحاورة أو التمثيل كما هو الحال عند اليونان أو من أخذ عنهم ـ فهل كان عندهم وفقد ؟

اذا أممنا النظر في ما خلفه العرب من أخبارهم وآدابهم وجدناه لا يخلو من التمثيل باعم معانيه وان لم يكن شعراً مجرداً بل هو مزيج من الشعر والنثر . وقدوصل الينا في قالب القصص والحقائق التاريخية لكن اكثرها في نظرنا موضوع أو كان له أصل فوسعوه وطولوه ونمقوه ليكون عبرة أو قدوة في الموقف المطلوب . وأكثر تلك القصص (أو الروايات التمثيلية) ترمى الى تمثيل الفضائل البدوية التى يقدسها العرب كالوفاء والضيافة والشجاعة والجوار والعفة والفروسية ونحوها تمثيلا يحببها الى الناس ويرغبهم فيها وجعلوا ابطالها رجالا من مشاهيرهم في تلك المناقب

فقصة حاتم الطائى التى ذبح بها فرسه لضيفه وأبناؤه جياع أقرب ان تكون موضوعة أو مبالغاً فيها للتحريض على السخاء . وقصة السموأل التى قتل فيها ابنه

(١) Enc. Brit. XIX 263, Lit. Anc. 56

ولم يسلم بالامانة المودعة عنده موضوعة أوموسع بها لتمثيل الوفاء . واخبار العذريين في العفة أكثرها موضوع لترغيب الناس في العفة . وقد أجمع الرواة تقريباً على ان اخبار مجنون ليلى موضوعة ويراد بها تمثيل العفة مع الثبات على الحب وهي تشبه من هذا القبيل رواية رومیو وجولييت لشكسبير . وقس على ذلك أكثر ما يروونه من هـذا النوع مثل حكاية حنظلة والنعمان بن المنذر وهم يروونها عن عبيد بن الابرص أيضاً كأن المراد المغزى وهو الترغيب في الوفاء . ونسبة هذه الحوادث الى اشخاص معروفين في التاريخ لا يطعن في ان المراد بها التمثيل وهـذه قصة عنترة فان صاحبها شاعر شجاع معروف فوسعوا قصته وأضافوا اليها ما يرغب في الشجاعة والفروسية

أما السريانيون فالدرام غير أصلي في آدابهم وانما اتخذوه من جملة آدابهم الدينية من اليونان وكانت منظوماتهم في أول أمرها بغير قافية ثم قفوها بعد الاسلام فلعلهم اقتبسوا ذلك من العرب

وبالجملة ان الشعر العربي أكثره من الشعر الغنائي وهو أرقى في العربية منه في سائر اللغات وليس في الدنيا أمة تضاهي العرب في كثرة الشعر والشعراء

أقدم منظومات العالم

المشهور ان الياذة هوميروس أقدم كتاب شعري لانه نظم نحو القرن التاسع قبل الميلاد وهي نحو ١٤٠٠٠ بيت . ولكن هناك كتابين نظما نحو ذلك الزمن أو قبله أحدهما الفيدا كتاب البراهمة وهو من قبيل الشعر الموسيقي ويقال انه نظم نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وزبور داود نظم نحو القرن العاشر ولعله عاصر صاحب الالياذة . وللمصريين القدماء منظومات ترتقى الى عهد رعمسيس الثاني نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ولكن سفر أيوب أقدم من ذلك ببضعة قرون فاذا صح انه عربي الاصل كان أقدم الآثار الشعرية الباقية الى الآن عربي الاصل

٤ – كيف بدأ العرب ينظمون الشعر

الشعر والغناء

يظهر ان الشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الامم والشعر وضع أولا للتغني به وانشاده للآلهة أو الملوك ، ولذلك فاليونان والرومان يقولون حتى الآن « غني شعراً » وليس نظم شعراً أو صنع شعراً والعرب يقولون « أنشد شعراً » أو أنشد الشعر الفلاني أي غنـاه وقضى اليونان أجيالا لا يقولون الشعر إلا إنشاداً

ولعل العرب كانوا كذلك في أقدم أحوالهم فنبغ منهم جماعة يغنون شعرهم كما فعل الاعشى قبيل الاسلام فقد كان ينظم الشعر ويغنيه ولذلك سموه صناجة العرب . وما زال ذلك شأنهم بعد الاسلام فان الشاعر اذا جاء الخليفة أو الامير بقصيدة انشدها في حضرته وهو قائم فاذا لم يكن صوته رخيما أو مسموعاً اقتنى غلاما رخيم الصوت ينشد اشعاره . وللانشاد لحن مطرب وكان الرشيد يطرب للانشاد أكثر مما يطرب للغناء . واشتهر بعد الاسلام جماعة من الشعراء المغنين كالدارمي والحطيئة واسحق الموصلي وغيرهم

والغالب أنهم بدأوا أولا بالسجع بلا وزن نحو ما وصل الينا من سجع الكهان وربما كان الكهان يغنونه توقيعاً على القافية . ومن أمثلة سجعهم قولهم في الانواء « اذا طلع السرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادت الجيران . اذا طلع البطين اقتضى الدين وظهر الرين واقتنى بالعطار والقين . اذا طلع النجم يعني الثريا فالحر في حدم والشعب في حطم . اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكرهت النيران واستغرب الزيان ويبست الغدران ورمت بانفسها حيث شاءت الصبيان . اذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ورجعوا عن النجعة وأردفتها الهنعة . اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنست الظباء وعرقت العلباء وطاب الخباء . اذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع واشعلت في الافق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع . . . » وهي طويلة

هذا هو السجع بقافية بلا وزن . وكان العرب يتساجعون أى يتذاكرون بالسجع ولعلهم وضعوا السجع أولا لتقييد علومهم أو ما يريدون حفظه كما في المثل المتقدم ذكره

أما النظم أي القياس الشعري بالمقاطع وهو الوزن فابسطه الرجز وهو أقدم أوزان الشعر كل بيت منه منفرد بقافية خاصة وهو كالسجع لكنه موزون . والرجز قديم عندهم يزعم العرب ان أول من قاله مضر بن نزار إذ سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول « وايداه وايداه » وكان من أحسن خلق الله صوتاً فاصغت الابل اليه وجدّت في السير فجعلت العرب مثالا لقوله « هايدا هايدا » يحدون بها الابل . وقال آخرون ان الاصل في وضع الشعر للغناء . قالوا « وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الانجاد وسمحائها الاجواد لتهز نفوسها الى الكرم

وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لانهم شعروا به أي فطنوا له »

أصل وزن الشعر

والغالب في اعتقادنا ان الوزن مأخوذ في الاصل من توقيع سير الجمال في الصحراء وتقطيعه يوافق وقع خطاها . ويؤيد ذلك ان الرجز اول ما استعمله العرب لسوق الجمال وهو الحداء في اصطلاحهم وكأنه وضع لهذا الغرض لان العربي يقضي أكثر أوقاته في معاشرة جمله أو ناقته . وعندهم ضربان من الرجز المشطور والمنهوك والمشطور هذا وزنه :

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها لنبأ عجيباً
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيباً
ما حملت الا فتى كئيباً يسر مما أعلنت نصيباً
لو ترك الشوق لنا قلوباً اذاً لآثرنا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

وهو يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشى الجمال الهوينا . ولو ركبت ناقة ومشت بك الهوينا لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر تماما . فكان العرب يحدونها به اذا أرادوا سيرها وئيداً . وربما كان شاعرهم عاشقاً فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته فيحدوها بابيات على وزن الرجز . كذلك فعل جميل بثينة وكان في سفر الى الحج مع مروان ابن الحكم فطلب اليه مروان ان يسوق الجمال أي يحدوها فقال :

يا بثن حي أو عدينا أو صلى وهوني الامر فزوري واعجلي
بثين أياً ما أردت فافعلي انى لآتي ما أشأت مقتلي

فلم يقبل مروان منه أن يتغزل بالحدو وانما يطلب الخلفاء والامراء اذا ركبوا الابل ان يحدوها الحادي برجز في مدحهم . خرج عبد الملك يوما رائحاً على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله :

يا أيها البكر الذى أراكا عليك سهل الارض في ممشاكا
ويحك هل تعلم من علاكا ان ابن مروان على ذراكا
خليفة الله الذى امتطاكا لم يعل بكراً مثل ما علاكا

أما اذا أراد الحادي ان تسرع الجمال في السير حدا لها بالرجز المنهوك وهذا وزنه :

أعطيته ما سألا حكمته لو عدلا
قلبي به في شغل لا مل ذاك الشغلا
قيده الحب كما قيد راع جملا (١)

واعتبر ذلك في بحر الخبب من الشعر فانه يوافق في توقيعه خبب الفرس أى ركضه وهذا وزنه :

أبكيت على طلل طرباً فشجاك وأحزنك الطلل

أوزان الشعر

ثم وضعوا الاوزان والبحور حسب الاقتضاء كل منها لحال من الاحوال بعضها يوافق الشعر الحماسي والبعض الآخر يوافق الفخر وآخر للغزل . فالبحر الطويل يوافق لنظم الشعر الحماسي والوافر للفخر والرمل للحزن أو الفرح والسريع لتمثيل العواطف (٢) وقس على ذلك

فالرجز أقدم أبحر الشعر وكان الشاعر يقول منه البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب أو فاخر . ثم صاروا يطيلون النظم فيه . ويقال ان أول من أطاله الاغلب العجلى على عهد النبي ثم رؤبة بن العجاج وتفننوا في بحر الرجز فتعددت واخترعوا أبحراً غيرها وصاروا ينظمون الاراجيز الطوال ويريدون بها ما زادت أبياتها على عشرة

أما غير الرجز من أبحر الشعر فكانوا أولا ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند الحاجة . حتى اذا تحركت نفوس العرب بالحروب بعد استقلالها من اليمن كما سيجيء وظهر فيها الابطال والفرسان احتاجوا الى الشعر فأطالوا فيه وهي القصائد وأول من أطالها المهلهل أخو كليب وأول قصيدة قالها في قتل أخيه المذكور - فهو لم يفعل ذلك الا بعد أن حركه طلب الثأر وهو أول شاعر بلغت قصائده ثلاثين بيتاً من الشعر واقتدى به سواه ثم كان للنظم تاريخ بعد الاسلام

الالحان

ولما وضعوا الاوزان صار الغناء عندهم ألحاناً معينة فجعلوا لكل غناء أو لحن وزناً مخصوصاً فصار عندهم للرثاء وزن وللحماسة آخر. فالنصب غناء الركبان والفتيان ويقال له الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب وهو يخرج من أصل الطويل في العروض . والسناد هو الغناء الثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات . والهزج هو

(١) العقد الفريد ١٦١ ج ٣ (٢) الالياذة العربية ٩٠

الغناء الخفيف الذي يرقصون عليه فيطرب ويستخف الحليم (١) وظلوا بعد الاسلام يختصون كل لحن بوزن (٢)

٥ ـ شاعرية العرب

تلك كانت بداية النظم عند العرب على ما نظن . وكان ذلك طبعاً في زمن بعيد لا يدرك أوله التاريخ ومهما يكن من سبب النظم فان العرب أقوى الامم شاعرية وأقدرهم على النظم في الشعر الموسيقى بلا خلاف – يدلك على ذلك عدد شعرائهم وضروب شعرهم في قرن واحد وبعض القرن قبيل الهجرة ولذلك أسباب طبيعية أهمها :

أولا ـ ان العربي من فطرته ذو نفس حساسة وشعور راق وأريحية وأنفة سريع الطرب سريع الغضب فيه بديهة وارتجال . ومن كان هـذا شأنه لا يلبث ان يجيش صدره بمعنى حتى يلفظه لسانه . ولذلك كان أكثر شعرهم غنائياً أو موسيقياً يعبرون به عن احساسهم ويصورون به شعورهم وهو يصدر عن أحد اربعة فواعل : الرغبة ، والرهبة ، والطرب ، والغلب

ثانياً ـ ان لغتهم شعرية لما فيها من أساليب الكناية أو الاستعارة ودقة التعبير وكثرة المترادفات مما يسهل وجود القافية . فالعربى من أنطق الامم ولغته أوسع اللغات ولفظها أدل من سائر الالفاظ وفيها الامثال والحكم . وللغة شأن كبير في تسهيل النظم حتى على أبناء البلد الواحد والنسب الواحد . فالعرب مع اشتراكهم في الطبائع والحساسة ودقة الشعور والشاعرية فان الذين كانوا منهم يتكلمون غير لسان مضر (المبين) لم ينظموا الشعر ـ فان هـذا اللسان ويقال له لسان معد كان شائعاً فى معظم بلاد العرب الا مهرة وعمان لان معداً لم ينزل أحد منهم هناك . فظهر الشعراء قبل الاسلام في كل جزيرة العرب الا هذين البلدين . ويؤيد ذلك ان الشاعرية انتشرت بين المتكلمين بهذه اللغة وان لم يكونوا عرباً حتى اليهود والعبيد من الزنج والنوبة . واعتبر ذلك بعد الاسلام بانتشار اللغة العربية في الاقطار فنبغ فيها شعراء أصلهم من الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم ـ وذلك من تأثير اللسان

ثالثاً ـ صفاء جوهم وتفرغهـم للتأمل في الطبيعة فان اهل الجو الصافي تكون أذهانهم صافية وخصوصاً اذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب فيزيدهم الصفاء شاعرية ولا سيما اذا كانوا متفرغين للنظر في الوجود ومراقبة احوال الطبيعة كما

(١) العمدة ٢٤١ ج ٢ (٢) الاغانى ١٠٥ ج ١

كان العرب في بداوتهم - غير ما بعثهم على قول الشعر من المنافسات والحروب في أيامهم وغيرها كما سنفصله في ما يلي .

٦ - نهضة الشعر في الجاهلية وأسبابها

أسباب النهضة بوجه عام

قضى العرب أجيالا لا يعرف مقدارها الا الله وهم يقولون الشعر عند الحاجة مما لم يصل الينا خبره وانما وصل الينا بعض ما نظموه في النهضة الاخيرة قبيل الاسلام والنهضة في الشعر أو الادب أو العلم تحدث على أثر انقلاب سياسي من فتح أو حرب أو نصر . أو تغيير اجتماعي على أثر نكبة أو نازلة أو كل ما يثير العواطف . وهي قاعدة تشمل طبائع البشر في كل زمان ومكان . فالهنود القدماء لم ينظموا أناشيدهم السنسكريتية الا بعد ما لاقوه من الحروب والتنازع في أثناء نزولهم الهند قبل الميلاد بأجيال . واليونان ما زالوا على الشعر القصصي وشعراؤهم قليلون حتى قامت الفتن بينهم وتحاربوا ثم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ فيهم الشعراء الموسيقيون . وظل الرومان بعد تأسيس دولتهم ٢٤٠ سنة في جمود أدبي لم يظهر فيهم شاعر حتى كانت الحروب الفونية مع القرطاجيين فتفتقت قرائحهم وظهر فيهم الشعر . وقضت أمم أوربا أجيالا في القرون الوسطى وقرائحهم خامدة فلما خرجوا للحروب الصليبية وقاسوا ما قاسوه فيها ظهرت مواهبهم في الشعر ونبغ فيهم شكسبير ودانتي وغيرهما . وترى أشعار الامة في نهضتها صورة من صور أحوالها على أثر ذلك الانقلاب . فان كانت هي الظافرة فيه كثر شعرها الحماسي والفخرى واذا كانت المغلوبة كان شعرها أكثره في الرثاء كما فعل اليهود بعد أسرهم في بابل بمراثي ارمياء وغيره . والشعر يوجبه الحب والحرب والموت

استقلال عرب الحجاز عن اليمن

والعرب شأنهم في نهضتهم الشعرية قبل الاسلام مثل شؤون سائر الامم . ونريد بالعرب هنا بدو الحجاز ونجد وما جاورهما فكانوا قبل هذه النهضة ينظمون على قلة ولا نظنهم كانوا يجيدون وهم تحت سيطرة الحميريين ملوك اليمن يخدمونهم في نقل تجارتهم أو روعي ماشيتهم . وكانت دولة اليمن تستأجرهم في حروبها كما يفعل أهل المدن اليوم بأهل البادية . وكانوا يؤدون لها الاتاوة (الخراج) وقد رسخ في اعتقادهم عظمة تلك الدولة لما فيها من أسباب الحضارة فاصبحوا بتوالى الاجيال يعدون الاذعان لها فرضاً . فلما رأوا ما أصابها في حروبها مع الحبشة في أواسط

القرن الرابع للميلاد إذ فتحها الاحباش بمساعدة قيصر الروم سنة ٣٤٥ (١) تبين لهم عجزها عن حفظ سيادتها وذهبت هيبتها من قلوبهم فاخذوا يفكرون في الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة وأحسوا بالحاجة الى الاتحاد

وأول من كسر هذا القيد من قبائل العرب قبيلة ربيعة على يد فارسها كليب الشجاع المشهور وكان معاصراً لزهير بن جناب الذي ولاه صاحب اليمن على بكر وتغلب اكبر قبائل ربيعة . وكان زهير يتقاضى الاتاوة أو الخراج منهم في مقابل النجعة والكلأ والمرعى وكان يخرج في حاشيته لجمع الاتاوة فأصابهم في أثناء امارته ضيق واجدبت ارضهم فتأخروا عن الدفع فجاءهم زهير وألح في مطالبتهم فشكوا عجزهم وأبانوا عذرهم فلم يصغ لشكواهم . ومنعهم النجعة والمرعى أو يؤدوا ما عليهم فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك . وكانت هيبة الدولة قد ذهبت من نفوسهم - فلما أصابهم ذلك الظلم شقوا عصا الطاعة ونقموا على زهير ورجاله فدسوا رجلا منهم اسمه زيابة من بني تيم الله وكان فاتكا وأوعزوا اليه أن يقتل زهيراً غدراً ولم يقدموا على مناوأته جهاراً لئلا يستنجد جنده . فاتاه زيابة وهو نائم وطعنه ورجع الى قومه وأخبرهم أنه قتله ، والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلا . وعلم هذا أنه سالم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه . فلما انصرف زيابة أوعز زهير لمن معه أن يظهروا موته ويستأذنوا بكراً وتغلب في دفنه فلما أذنوا دفنوا ثياباً ملفوفة وفروا به مجدين الى قومهم . فجمع زهير الجموع وفي ذلك يقول ابن زيابة :

طعنة ما طعنت في غلس الليـ ـل زهيراً وقد توافى الخصوم
حين يحمي له المواسم بكر أين بكر وأين منهـا الحلوم
خانني السيف إذ طعنت زهيراً وهو سيف مضلل مشؤوم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكراً وتغلب وقاتلهـم قتالا شديداً انهزمت به بكر وقاتلت تغلب بعـدها ثم انهزمت وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة وأخـذت الاموال وكثرت القتلى في بني تغلب وأسر جماعة من وجوههم وفرسانهم

فعظم ذلك على قبائل ربيعة وتجمهروا وولوا عليهم ربيعة والد كليب ومهلهل وخرجوا على زهير وأنقذوا الاسيرين منه . ودالت الايام وعاد زهير الى سطوته فوضع الاتاوة والخراج على بني معد جميعاً

(١) العرب قبل الاسلام ١٢٧

وفى أواخر القرن الخامس توفي ربيعة امير ربيعة فخلفه ابنه كليب وفى نفسه على اليمن ضغائن لما قاساه في أسرهم فجمع معداً تحت لوائه أى ربيعة وقضاعة ومضر واياد ونزار وحاربوا اليمن في معركة عرفت بيوم خزاز وهزموهم واستقلوا من سيطرتهم . ولم يدفعوا اليهم اتاوة او خراجا من ذلك الحين . ونظرت معد الى كليب نظرها الي منقذ عظيم فولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته . وكان ذلك آخر عهدهم بسلطة اليمن

حروبهم فيما بينهم

فاستقلال عرب الحجاز ونجد من سيطرة اليمن انقلاب سياسى هاج شاعريتهم وأيقظ ما فطروا عليه من عزة النفس واباءة الضيم فاخذوا يختلفون فيما بينهم لان سيطرة اليمن كانت قد جمعتهم قيودها . فلما اطلق سراحهم تنازعوا فجرت بينهم حروب تعرف بايام العرب قد فصلناها في كتابنا (العرب قبل الاسلام) وأكثرها حدة وأطولها مدة الوقائع بين بكر وتغلب وكلاهما من ربيعة وهي حرب البسوس بين مهلهل وجساس دام النزاع فيها اربعين سنة مات فى أثنائها الشيوخ وشاخ الشبان وشب الولدان وفى أثنائها نبغ مهلهل اخو كليب وشهد تلك الحروب . وكان شاعراً مطبوعاً فتوسط في المصالحة بين القبيلتين وله شأن في تاريخ الشعر . ناهيك بالحروب التى جرت بين قبائل مضر أشهرها أيام داحس والغبراء وغيرها

نهضة قريش : وقد أنهض قريشاً على الخصوص وأثارت شاعريتهم وشحذت قرائحهم حروبهم مع الاحباش فى عام الفيل باواسط القرن الاول قبل الهجرة فان الاحباش لما فتحوا اليمن حملوا على مكة للاستيلاء على الكعبة . وكانت سدانتها يومئذ الى عبد المطلب جد النبي فجاء الاحباش بافيالهم ورجالهم وعدتهم وأهل مكة لم يتعودوا شيئاً من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة فى أنفس القبائل وغيرهم . فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر وأحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب فدفعوا الاحباش وقد تنبهت أذهانهم وأخذت مواهبهم في الظهور . ومما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم في نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون منه وهو عام الفيل

وبعد عام الفيل حدثت حرب الفجار بين قريش وكنانة وقيس وكان لها تأثير كبير في نفوس القرشيين ساعدتهم على تلك النهضة

فهذه الحروب والفتن اظهرت مواهب الرجال فتولدت طبقة من الحكماء وأخرى

من الاسخياء وأخرى من الفرسان والشجعان وايقظت الشاعرية الحماسية والفخرية فنبغ منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون لمدح الظافرين أو وصف بسالتهم أو التفاخر بالقبائل . ورافق ذلك تحالف القبائل وتقاربها أو تباعدها وتنبهت عاطفة الحب فظهر العشاق من الشعراء . ولذلك كانت منظومات هذه النهضة اكثرها في الفخر والحماسة على اثر واقعة من تلك الوقائع او في وصف شوق اوحكمة اوموعظة او مدح ظافر او كريم كما ستراه في مكانه

أقدم الشعراء

فكل ما وصل الينا من منظومات شعراء الجاهلية نظم بعد استقلال الحجازيين من سيطرة اليمن وما وصل الينا من الشعر قبل ذلك قليل وهو لغير الحجازيين . وأقدم ما وصلنا خبرهم من الشعراء ابو دؤاد الايادى ولقيط الايادى وكلاهما من اياد وكانت تقيم في العراق تعمل للمناذرة . فابن ابي دؤاد كان على خليل النعمان ولقيط شاعر جاهلى قديم . وعلس بن جدن من حمير وخذيمة بن نهد وزهير بن جناب الكلبي من قضاعة وقد ظهرت قضاعة قبل سائر قبائل عدنان ويقال أيضاً ان حزين ابن لوزان وربيع بن زياد والاصبع العدوانى من أقدم الشعراء (١) ويقولون ان أول من قال الشعر في نزار (وهى تشمل مضر وقضاعة) عمرو بن قميئة من ربيعة (٢)

وللعلماء في أقدم الشعر العربى أقوال لافائدة من ايرادها لان اكثرها مبني على الوهم ولا سيما في ما يروونه للآباء الاولين من الشعر - حتى روى بعضهم أشعاراً نسبها الى آدم ! وارفق منه حالا من روى للتبابعة . ويطعن في صحتها ان لغة التبابعة حميرية تختلف عن لغتنا كثيراً . وقد يرد على ذلك بان الحميري قد يعرف العربية وينظم فيها ولكن الغالب انهم لم يفعلوا

٧ - تنقل الشعر فى الاقاليم والقبائل

١ - في الاقاليم

من القواعد الثابتة فى علم الطبيعة ان للاقليم تأثيراً في اخلاق الناس وأبدانهم فيختلفون صحة ونشاطاً وبديهة وذكاء باختلاف الاقليم . ويقال على الاجمال ان أهل البادية أصفى ذهناً من سكان المدن وأهل البلاد الباردة أسرع حركة ونشاطاً من

(١) المزهر ٢٣٧ ج ٢ والاغانى ٢٢ ج ١٦ (٢) الاغاني ١٦٣ ج ١٦

أهل البلاد الحارة . وفي البلد الواحد يفضل أهل الجبال على أهل السهول نشاطاً وصفاء ذهن

شعراء نجد

وعلى هذا القياس فان سكان نجد أقوى بنية وأصفى ذهناً من سائر سكان جزيرة العرب لانها بلاد جبلية هواؤها نشيط ونسيمها عليل وقد تغزل بها العرب فقال قيس ابن الملوح :

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

وقال آخر :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على القرب والبعد

وفيها الارض التى حماها كليب وائل وأفضى ذلك الى قتله وانتشاب حرب البسوس . وفيها جبل عكاد الذي لم تثبت العربية الفصيحة بعد عمادي الاجيال الا بين أهله . وعندهم ان افصح العرب اهل السروات وهي ثلاثة جبال مطلة على تهامة ـ فاهل نجد أقوى شاعرية من بلاد العرب

وبناء على اختلاف الامزجة باختلاف الاقاليم فقد امتاز أهل كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر ـ فاشتهر اهل الحجاز بالرقة وأكثر شعرهم الغزل (١) كما اشتهر شعر أهل نجد بالبلاغة (٢) وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب . واذا أحصيت شعراء الجاهلية الذين بلغ الينا خبرهم بالنظر الى المواطن رأيت نحو خمسيهم من نجد والخمس الثالث من الحجاز والرابع من اليمن والباقي من العراق فيه بضعة قليلة من البحرين واليمامة وتهامة

٢ ـ في القبائل

ربيعة : أما من حيث القبائل فقد علمت مما تقدم أن ربيعة أول من نهض للاستقلال وهم أول من نبغ فى الشعر . وأهم قبائلهم وبطونهم بكر وتغلب وعبد القيس ونمر بن قاسط ويشكر وعجل وضبيعة وشيبان وذهل وسدوس . وكانوا يقيمون قديماً في اليمن ثم في نجد ثم نزحت بكر وتغلب وغيرهما نحو العراق فأقاموا في باديتها وفيما بين النهرين . ونبغ منهم وهم في نجد المهلهل بن ربيعة

ومن شعراء ربيعة المرقش الاكبر وابن أخيه المرقش الاصغر . والاكبر شاعر قديم يقال انه من ربيعة قبل خروجها من اليمن (٣) والمرقش الاصغر عم طرفة

(١) الاغاني ٤٢ ج ٧ (٢) الاغانى ٧٢ ج ٢ (٣) الاغاني ١٩٠ ج ٥

ابن العبد .ومنهم سعد بن مالك وطرفة وعمرو بن قميئة المتقدم انه أقدم من قال الشعر من نزار، والحارث بن حلزة والمتلمس خال طرفة والاعشى والمسيب بن عاس وغيرهم جماعة من فحول شعراء الجاهلية . ولما انتقلت ربيعة الى العراق زادتها مناظر ذلك الوادي سعة في الخيال

قيس : وتحول الشعر بعد ربيعة الى قيس عيلان وكلاهما من مضر . وقيس قبيلة كبيرة من بطونها عبس وذبيان وغطفان وعدوان وهوازن وسليم وثقيف وعامر ابن صعصعه ونمير وجعدة وقشير وعقيل . وتقيم هذه البطون أو القبائل في نجد وأعالى الحجاز وقد نبغ منهم جماعة من فحول الشعراء فمنهم النابغتان وزهير بن أبي سلمى وكعب ابنه وليبد والحطيئة والشماخ وخداش بن زهير وغيرهم . وعندهم ان اشعر قيس الملقبون من بني عامر والمنسوبون الى امهاتهم من غطفان (١)

تميم : ثم ظهر الشعر في تميم وهى قبيلة كبيرة من مضر أشهر بطونها وقبائلها مازن ومالك وسعد ودارم ويربوع وكعب ومجاشع وزرارة . وكانت تميم قديماً تقيم في تهامة ثم نزحت في أواسط القرن الثاني قبل الهجرة نحو العراق واستقرت في باديته وما يليها جنوباً . ومن شعرائها المشاهير اوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية لم يتقدمه أحد حتى نشأ النابغة وزهير فاخملاه وكلاهما من قيس

وظهر الشعر بعد ذلك فى بطون مدركة من مضر وهي هذيل وقريش واسد وكنانة والدئل وغيرهم

كل هؤلاء من أهل البادية . أما المدن فانها قليلة فى جزيرة العرب واهمها مكة والمدينة والطائف وقلما نبغ منها شعراء فحول واشعر اهل المدن في الجاهلية على الاجمال حسان بن ثابت (٢)

عدد الشعراء بالنظر إلى القبائل

واذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر الى القبائل كانت قيس أكثرها شعراء تليها اليمن فربيعة فمضر فتميم فقريش فقضاعة فاليهود فاياد . وعدد الشعراء في الجاهلية لا يمكن حصره لاسباب سيأتي بيانها . ولكن الذين وصلتنا أخبارهم وأمثلة من أشعارهم يبلغون نحو ١٢٥ شاعراً يقسمون على هذه الصورة بالنظر الى القبائل :

(١) الاغاني ٩٢ ج ١ (٢) العمدة ٥٦ ج ١

عدد شعرائها	اسم القبيلة	عدد شعرائها	اسم القبيلة
٣٠	قيس	١٠	قريش
٢٣	اليمن (القحطانية)	٤	قضاعة
٢١	ربيعة	٤	يهود
١٦	مضر	٢	اياد
١٢	تميم	١	موالى غير عرب

ولزيادة الايضاح نذكر أشهر البطون التي تدخل تحت كل من هـذه القبائل لتسهل المراجعة على الباحث :

يدخل في قيس	في ربيعة	في القحطانية	في تميم	في مدركة	في قضاعة
غطفان	تميم بن قاسط	طي	مازن	هذيل	جهينة
ذبيان	عبد القيس	الاشعر	سعد	اسد	ضجعم
عبس	بكر بن وائل	جذام	دارم	كنانة	تنوخ
هوازن	تغلب	الازد	يربوع	قريش	كلب
سعد	يشكر	كندة	مجاشع	الدئل	
سليم	جشم	لخم	بهدلة		في قريش
ثقيف	حنيفة	مذحج	مالك		هاشم
عامر	عجل	خزاعة			امية
كلاب	شيبان	همدان			مخزوم
جعدة	سدوس	مازن			محارب
نمير	ذهل	غسان			كلاب
عقيل	ضبيعة	الاوس والخزرج			غالب
قشير					جمح

٨ ـ كثرة الشعر وتعدد الشعراء

قد رأيت في ما تقدم استعداد العرب الفطرى للشعر واقتدارهم على النظم لان لغتهم شعرية بالفاظها وأساليبها ومعانيها فلا عجب اذا تعدد شعراؤها وكثرت أشعارهم وان عسر علينا تقدير ذلك بالضبط لضياع اكثر ما خلفوه وذهاب اكثر الشعراء لعدم تدوين ذلك فى الجاهلية واشتغال العرب عنه بالفتوح في صدر الاسلام . على

اننا نكتفي بالاستدلال على كثرة ذلك بما وصل الينا من أخبارهم . ويؤخذ منها ان العرب الجاهلية نظموا في نهضتهم الاخيرة قبيل الاسلام ما لم يجتمع عند سواهم من الامم في عدة قرون وخصوصاً فى العصر الجاهلى . فالياذة هوميروس وأوذيسته هما معظم شعر جاهلية اليونان ولا يزيد عدد أبياتها على ٣٠ ٠٠٠ بيت وكذلك مهابهاراتة الهنود ٢٠ ٠٠٠ بيت وراماياناتهم ٤٨ ٠٠٠ بيت . وأما العرب فيؤخذ مما بلغنا من أخبارهم عما نظموه في نهضتهم الاخيرة قبل الاسلام انه يربو على أضعاف ذلك . فهم يعدون منظوماتهم بالقصائد وليس بالابيات فقد ذكروا ان أبا تمام صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من أشعار العرب (الجاهلية) ١٤ ٠٠٠ أرجوزة غير القصائد والمقاطيع (١) وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧ ٠٠٠ قصيدة (٢) على كل حرف من حروف الهجاء الف قصيدة . وكان الاصمعى يحفظ ١٦ ٠٠٠ أرجوزة (٣) وكان أبو ضمضم يروي أشعاراً لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو (٤) ـ ومع ما يظن فى ذلك من المبالغة فانه يدل على كثرة ما خلفه العرب من المنظومات . وخصوصاً اذا اعتبرنا ان ما وصل الى رواة الشعر في الاسلام انما هو بعض أشعار الجاهلية لان كثيرين من رواة الشعر الجاهلى قتلوا في الفتوح الاسلامية فضاع ما كان في محفوظهم من الاشعار ـ قال أبو عمر بن العلاء « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » (٥)

وزد على ذلك ان العرب نظموا الشعر الكثير وأبدعوا فيه وهم يكادون يكونون فوضى لا دولة لهم ولا جامعة ولا دين ولا شيء مما حمل اليونان أو الهنود أو غيرهم على النظم وانما اندفعوا اليه بفطرتهم . ولولا ذلك لتأخروا في النظم حتى قامت دولتهم ونضجت قرائحهم كما حدث للرومانيين فان الشعر لم ينظم بلسانهم الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة قرون . ولم يبلغ الشعر اللاتيني عصره الذهبي الا فى أيام أوغسطس وطيباريوس نحو القرن الثامن من تأسيس رومية (القرن الاول للميلاد) ثم أخذ فى التقهقر . ويقال نحو ذلك في دول أوربا الحالية فان الشعر لم ينضج عندهم الا بعد نشوء دولهم وتقدمهم في العلم والادب

واذا تدبرت أولئك الجاهليين رأيت الشعر داخلا في كل عمل من أعمالهم مرافقاً لكل حركة من حركاتهم حتى يخيل لك أنهم كانوا لا ينطقون الا بالشعر

(١) ابن خلكان ١٢١ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٢٠ ج ١
(٣) ابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ١٥١
(٤) الشعر والشعراء ٤ (٥) المزهر ٢٣٧ ج ٢

وكان كل واحد منهم شاعراً أو يقول الشعر ولو قليلا حتى الملوك والامراء والفرسان والرجال والنساء والوجهاء والحكماء والصعاليك والعبيد واللصوص والمجانين من النصارى واليهود والوثنيين وقد تسلسلت القريحة الشعرية في كثير من بيوتهم بالتوارث عدة اجيال . فالنعمان بن بشير الانصاري من العريقين فى الشعر خلفاً عن سلف جده شاعر وأبوه وعمه شاعران وهو شاعر وأولاده شعراء (١) وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة كان أبوه شاعراً وعمه قيس شاعر وأبناء كعب وأحفاده كلهم شعراء (٢) وهكذا الكميت بن معروف وعبد يغوث بن صلاءة وعندهم من بيوتات الشعر في الجاهلية عدد كبير منهم بيت أبي سلمى فقد كان أبو سلمى شاعراً وابنه زهير المشهور شاعر وله خؤولة في الشعر خاله بسامة بن العذير شاعر . وكان ابناه كعب بن زهير وبجير شاعرين وجماعة من أبنائهما شعراء وحسان أبن ثابت تسلسل الشعر في أبنائه بضعة أجيال . ومن العريقين في الشعر القاسم بن أمية . وقس على ذلك شعراء العرب بعد الاسلام فمن بيوتاتهم بيت جرير فكان هو وأبوه وجده شعراء وكذلك بنوه واحفاده . ومنهم بيت عطية بن رؤبة بن العجاج وبيت أبي حفصة وبيت أبي عيينة (٣) وغيرهم

على ان ما بلغ الينا من أسماء الشعراء هو دون الطفيف إذ لم ينقل الرواة من أخبار شعراء العشائر الا الاشهر فضلا عمن ضاع خبره . أما الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم فاكثر من أن يحيط بهم الحصر أو يقف من وراء عددهم واقف ولو انفد عمره في التنقيب عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال . ولم يستطع أحد من رواة الشعر ان يستوفي جمع أشعار قبيلة واحدة لم يفته منها شاعر لم يذكره (٤)

ثم ان الشعراء الذين وصلت الينا أخبارهم على قلتهم لم يصلنا من أشعارهم الا بعضها وضاع سائرها فى أثناء الفتوح الاسلامية لاشتغال الناس بالاسلام والحرب عن روايته وذهاب أكثر الرواة والحفاظ في الجهاد فلما عادوا بعد الفتوح الى الاشتغال بالادب أخذوا في جمع الشعر فلم يجدوا منه الا القليل . ويؤيد ذلك أنك تسمع بالشاعر الفحل من شعرائهم وماله من الشهرة ثم لا تجد له من المنظوم ما يلائم تلك الشهرة . فطرفة بن العبد وعبيد بن الابرص مع ما لهما من الشهرة الواسعة في الشعر لا نجد بين ما وجده الرواة من اشعارهما ما يوازي تلك المنزلة (٥)

(١) الاغانى ١٢٥ ج ١٤ (٢) الاغاني ٢٧ ج ١٥ (٣) العمدة ٢٣٥ ج ٢
(٤) الشعر والشعراء ٣ (٥) المزهر ٢٣٧ ج ٢

٩ - طبقات شعراء الجاهلية

ومع ما قدمناه من ضياع أكثر أخبار الشعراء الجاهليين ومعظم أشعارهم فان الذين عرفناهم يزيدون على مائة شاعر نبغوا في القرنين الاولين قبل الهجرة أو في الخامس والسادس للميلاد واكثرهم من أهل القرن السادس . وبعضهم عاش أعواماً بعد الاسلام وهم المخضرمون . وقد تقدم احصاؤهم الاجمالي بالنظر الى مواطنهم وقبائلهم وبقي ان تنظر فيهم باعتبار طبقاتهم وباعتبار مناحيهم وأغراضهم وأخلاقهم ومراتبهم

أما تقسيمهم الى طبقات فمن أصعب الامور وقد حاول ذلك غير واحد من أدباء المسلمين في ابان التمدن الاسلامي وتفاوتوا في تعيين الطبقات فاعتبرها بعضهم بالنظر الى الاجادة فقالوا : الشعراء أربع طبقات (١) شاعر خنذيذ وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره (٢) شاعر مفلق وهو الذي لا رواية له لكنه مجيد كالخنذيذ (٣) شاعر (فقط) وهو فوق الردىء بدرجة (٤) شعرور وهو لا شيء

وقسمهم آخرون الى شاعر مفلق وشاعر مطبق وشويعر وشعرور . وقال بعضهم :

الشعراء فاعلمن أربعة فشاعر يجري ولا يجري معه
وشاعر يخوض وسط المعمعة وشاعر لا تشتهي أن تسمعه
وشاعر لا تستحي أن تصفعه

ورويت هذه الابيات هكذا أيضاً :

الشعراء فاعلمن اربعة فشاعر لا يرتجى لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المعمعة وشاعر آخر لا يجري معه
وشاعر يقال خمر في دعه (١)

وقسمهم آخرون الى طبقات بما اشتهر من قصائدهم المنتقاة فاستفردوا سبع طبقات أهل كل منها سبعة شعراء (تقريباً) في مجموع واحد وفيهم بضعة من شعراء صدر الاسلام . أولهم أصحاب المعلقات يليهم اصحاب المجمهرات فالمنتقيات فالمذهبات فالمراثي فالمشوبات فالملحمات . وهذه أسماء الشعراء مرتبة حسب ذلك مع الاشارة الى قبيلة الشاعر وبلده وبعضهم من شعراء العصر الاموي :

(١) المزهر ٢٤٦ ج ٢

١ ـ اصحاب المعلقات

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
امرؤ القيس	كندة	نجد
زهير بن أبي سلمى	مازن	»
النابغة الذبياني	ذبيان	الحجاز
الاعشى	بكر	نجد
لبيد بن ربيعة	عامر	العراق
عمرو بن كلثوم	تغلب	»
طرفة بن العبد	بكر	البحرين
عنترة العبسى	عبس	نجد

٢ ـ اصحاب المجمهرات

عبيد بن الابرص	اسد	نجد
عدي بن زيد	عبادي	الحيرة
بشر بن ابي حازم	اسد	نجد
أمية بن ابي الصلت	ثقيف	الطائف
خداش بن زهير	عامر	نجد
النمر بن تولب	عكل	»

٣ ـ اصحاب المنتقيات

المسيب بن علس	بكر	العراق
المرقش الاصغر	ضبيعة	نجد
المتلمس	»	البحرين
عروة بن الورد	عبس	نجد
مهلهل بن ربيعة	تغلب	»
دريد بن الصمة	جشم	»
المتنخل الهذلى	هذيل	الحجاز

٤ ـ اصحاب المذهبات

حسان بن ثابت	الانصار	يثرب
عبد الله بن رواحة	»	»
مالك بن العجلان	»	»

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
قيس بن الخطيم	الانصار	يثرب
احيحة بن الجلاح	»	»
ابو قيس بن الاسلت	»	»
عمرو بن امرىء القيس		

٥ ـ اصحاب المراثى

ابو ذؤيب الهذلى	هذيل	الحجاز
محمد بن كعب الغنوى		
اعشى باهلة	باهلة	نجد
علقمة الحميرى	حمير	
ابو زبيد الطائى	طي	نجد
متمم بن نويرة	يربوع	اليمن
مالك بن الريب	تميم	العراق

٦ ـ المشوبات

نابغة جعدة	جعدة	نجد
كعب بن زهير	مازن	»
القطامى	تغلب	العراق
الحطيئة	عبس	نجد
الشماخ بن ضرار	ذبيان	الحجاز
عمر بن احمر	باهلة	نجد
تميم بن مقبل		

٧ ـ اصحاب الملحات

الفرزدق	تميم	العراق
جرير	»	»
الاخطل	تغلب	»
عبيد الراعى	هوازن	الحجاز
ذو الرمة	عدى	»
الكميت	مضر	»
الطرماح بن حكيم	طى	نجد

جملة هذه القصائد ٤٩ قصيدة هي نخبة قصائد العرب في الجاهلية والاسلام وقد جمعها على هذا الترتيب أبو زيد القرشي في كتاب جمهرة أشعار العرب وقد طبع بمصر مشروحا . ولمحمد بن سلام كتاب في طبقات الشعراء قد ضاع . ويظهر مما نقل عنه في الاغانى والمزهر وغيرهما أنه أوفى كتاب في هذا الموضوع وقد رأينا في ما نقل عنه ذكر طبقة خامسة وسادسة ولا نعلم عمدته في ذلك التقسيم

تقسيمهم من حيث طبقاتهم

أما تقسيم الشعراء الى طبقات باعتبار الاجادة على الاجمال فامر غير ميسور لان نقدة الشعر لم يتفقوا فى بعض هذا الموضوع فضلا عن كله كما سيأتى . على أننا وقفنا على تقسيم لشعراء الجاهلية استخرجناه من كتاب طبقات الشعراء لاسكندر ابكاريوس المطبوع في بيروت ولم يذكر على من كان معوله فيه . واليك ذلك في جدول وذكرنا بجانب كل شاعر اسم قبيلته وبلده وسنة وفاته على التقريب

١ ـ شعراء الطبقة الاولى

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
امرؤ القيس الكندي	كندي	من أهل نجد	٥٣٩ م
أمية بن أبى الصلت	الثقفى	« الطائف	٢ هـ
بشر بن ابي حازم	الاسدي	« نجد	٥٣٠ م
الحارث بن حلزة	اليشكري	« العراق	٥٦٠ م
زهير بن أبي سلمى	المزني	« نجد	٩ هـ
النابغة الذبيانى	الذبياني	« الحجاز	...
طرفة بن العبد	البكرى	« البحرين	٥٥٢ م
عبيد بن الابرص	الاسدي	« نجد	٦٠٥ م
المهلهل عدى بن ربيعة	التغلبي	« نجد	٥٠٠ «
عدي بن زيد	العبادى	« الحيرة	٥٩٧ «
عمرو بن كلثوم	التغلبي	« الجزيرة	٥٧٠ «
عنترة بن شداد	العبسي	« نجد	٦١٥ «
لبيد بن ربيعة	العامري	« العراق	٤١ هـ
أعشى قيس	الاسدي	« اليمامة	٧ هـ

٢ ـ شعراء الطبقة الثانية

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
احيحة بن الجلاح	الاوسي	من أهل يثرب	٥٦٩ م
أوس بن حجر	التميمى	« اليمن	٦١٠ «
الاسود بن يعفر	الدارمى	« العراق	٦٠٠ «
البراق بن روحان	التميمى	« اليمن	٥٢٥ «
تماضر بنت عمر الخنساء	السلمية	« نجد	...
تميم بن أبي مقبل	العامري	« نجد	ادرك الاسلام
تأبط شراً	الفهمى	« تهامة	٥٣٠ م
الشنفرى	الازدي	« اليمن	٥١٠ «
الحطيئة	العبسي	« نجد	...
المتلمس	الضبعي	« البحرين	٥٥٠ م
حاتم	الطائى	« نجد	٦٩ هـ
الحارث بن عباد	البكرى	« العراق	٥٧٠ م
حسان بن ثابت	الانصارى	« يثرب	٥٤ هـ
أبو دؤاد	الايادي	« العراق	٥٢٠ م
خداش بن زهير	العامرى	« نجد	٥٧٠ «
خفاف بن ندبة	السلمى	« نجد	٥٩٥ «
خويلد بن خالد	الهذلى	« الحجاز	٢٦ هـ
دريد بن الصمة	الجشمي	« نجد	٨ هـ
الربيع بن زياد	العبسي	« نجد	٥٩٠ م
المرقش الاصغر	الضبعى	« نجد	٥٠٠ «
المخبل ربيعة بن مالك	السعدى	« اليمن	...
ربيعة بن مقروم	الضبي	« نجد	٢٨ هـ
السموأل بن غريض	الاوسي	« الحجاز	٥٦٠ م
سلامة بن جندل	التميمي	« اليمن	٥٢٠ «
أبو قيس بن الاسلت	الاوسى	« أهل يثرب	...
عامر بن حليس	الهذلى	« الحجاز	٥٠٠ م

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
عبد الله بن رواحة	الانصاري	من يثرب	٨ هـ
النابغة الجعدي	الجعدي	« نجد	...
عروة الصعاليك	العبسي	« نجد	٥٩٦ م
علقمة بن عبدة	التميمي	« نجد	٥٦١ «
عمرو بن احمر	الباهلي	« نجد	٤١ هـ
عمر بن الاهتم	التميمي	« نجد	٥٧ هـ
عمرو بن قميئة	البكري	« العراق	٥٣٨ م
قيس بن الخطيم	الاوسي	« يثرب	٦١٢ «
كعب بن زهير	المزني	« نجد	٢٤ هـ
متمم بن نويرة	اليربوعي	« اليمن	...
المتنخل بن عويمر	الهذلي	« الحجاز	٦٠٠ م
المثقب العبدي	العبدي	« العراق	٥٢٠ «
المسيب بن علس	البكري	« العراق	٥٨٠ «
الشماخ بن ضرار	السعدي	« نجد	١٨ هـ
معن بن أوس	المزني	« تهامة	٢٩ هـ
المنخل بن الحارث	اليشكري	« العراق	...
النمر بن تولب	العكلي	« نجد	٢٥ هـ

٣ ـ شعراء الطبقة الثالثة

أمية بن الاسكر	البكري	من الحجاز	...
اياس بن قبيصة	الطائي	« العراق	٦١٠ م
حاجز بن عوف	الازدي	« الحجاز	٥٩٠ «
الحارث بن ظالم	المري	« نجد	٦٠٠ «
سليك بن السلكة	السعدي	« اليمن	٦٠٥ «
زهير بن جناب	الكلبي	« «	٥٦٠ ؟
زيد الخيل	النبهاني	« نجد	...
المزرق العبدي	العبدي	« اهل العراق	٤٨٠ م
الفند الزماني	الزماني	« اليمامة	٥٣٠ م

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
عامر بن الطفيل	العامري	من نجد	١١ هـ
العباس بن مرداس	السلمي	« «	١٦ هـ
عبد الله بن العجلان	النهدى	« اليمن	٥٦٦ م
عمرو بن معدي كرب	الزبيدي	« «	٢١ هـ
قيس بن زهير	العبسى	« نجد	...
لقيط بن زرارة	الدرامي	« اليمن	٥٨٢ م
مالك بن نويرة	اليربوعي	« «	...
المستوغر بن ربيعة	السعدى	« «	٥٧٠ م
يزيد بن ورقاء	اليربوعى	« «	١٧ هـ

ومجموع هؤلاء ٧٥ شاعراً وقد فات المؤلف نحو هذا العدد ذكرهم الاغانى وغيره

١٠ ـ خصائص الشعر الجاهلي على الاجمال

١ ـ تمثيل الطبيعة

فطر العرب الجاهلية على البساطة والبعد عن التصنع أو التعمل في كل شيء شأن أهل البادية لبعدهم عن شوائب المدنية فهم على الفطرة الطبيعية وعنوانها الصدق بكل معانيه ويدخل فيه استقلال الفكر والشجاعة الادبية والصراحة فى القول والعمل . فلا يتكلفون في لباسهم ولا طعامهم أو شرابهم ولا يتصنعون في كلامهم وانما يقولون ما يخطر لهم ويصورونه كما يتمثل لخيلتهم بلا تنميق أو تأنق ـ يدلك على ذلك ما ظهر من حريتهم في أقوالهم في صدر الاسلام يوم كان احدهم يخاطب الخليفة كما يخاطب سائر الناس واذا رأى فيه عوجاً انتقده بوجهه والخليفة لا يري غرابة في انتقاده

أضف الى ذلك تعودهم الاستقلال في شؤونهم الشخصية والادارية ونفورهم من التقييد بشيء حتي المكان فانهم لا يتوطنون صقعاً بل يجعلون منازلهم على ظهورهم لا يحملون ضيماً ولا يصبرون على ظلم . فتمكنت الحرية من طباعهم حتى ظهرت في اقوالهم وافكارهم وفي أشعارهم . فاذا طرأ لهم خيال شعرى صوروه كما يتخيل لهم خلافاً لما تقتضيه الحضارة من التكلف وغيره من ثمار الذل والانكسار مما تراه في أقوال الشعراء بعد ان استبحر عمران الدولة وكثر المتملقون والمتكسبون بالنجعة والزلفى ـ

أما الجاهليون فالقاعدة في النظم عندهم بيت شاعرهم وحكيمهم زهير ابن أبي سلمى وهو :

وان أشعر بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا (١)

وصف الحب

فالبدوى اذا تيمه الحب وأراد التعبير عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به تماما فاذا سمعه متيم شعر مثل شعوره . فهو لا يبالغ بضعفه من الوجد حتى يزعم أنه صار خيالا أو طيفاً كقول المتنبي « لولا مخاطبتي إياك لم ترني » أو قول ابن الفارض : « ما له مما براه الشوق في » ولا يبالغ ببكائه وزفيره حتى يزعم أنه غرق في بحر دمعه او احترق بنار زفيره ولكنه يقول قول مجنون بنى عامر - وهو معدود من شعراء صدر الاسلام لكنه بدوى فى طباعه . وان لم يصح ان المجنون اسم على مسمى كما سيأتي - فالشعر يعبر عن تصور أهل البادية . ومما ينسب اليه قوله :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لا أعدى على الدهر عاديا
فما أشرف الايفاع الا صبابة ولا أنشد الاشعار الا تداويا
وعهدى بليلى وهي ذات موصد ترد علينا بالعشي المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها واعلاق ليلى في فؤادى كما هيا
اذا ما جلسنا مجلساً نستلذه تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
خليلى لا والله لا أملك الذي قضى الله في ليلى ولا ماقضى ليا
قضاها لغيري وابتلانى بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
وخبر تمانى ان تيماء منزل لليلي اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمي بليلى المراميا
فيا رب سو الحب بينى وبينها يكون كفافا لا على ولا ليا
فما سميت عندي لها من سمية من الناس الا بل دمعي ردائياً
ولاهبت الريح الجنوب لارضها من الليل الا بت للريح جانيا
فاشهد عند الله انى أحبها فهذا لها عندى فما عندها ليا
أعد الليالى ليلة بعد ليلة وقد عشت دهراً لا أعد الياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ومثل ذلك قول ابن الدمينة :

فديتك أعدائي كثير وشقتى بعيد وأشياعي اليك قليل

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣

وكنت اذا ماجئت جئت بعلة فافنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لى بارضك حاجة ولا كل يوم لى اليك وصول

فلا يسمع محب هذه الابيات وأمثالها الا رأى الشاعر يعبر عن شعور صحيح

في الرثاء

ويقال نحو ذلك في سائر اغراضهم من الشعر فاذا رثى الجاهلى ميتاً لا يوهم القارىء ان السماء طبقت على الارض وان الشمس كسفت والدنيا لبست الحداد ونحو ذلك ، ولكنه يقول قول جليلة زوجة كليب ترثيه وقد قتله أخوها جساس :

يا قتيلا قوض الدهر به سقف بيتى جميعاً من عل
ورماني فقده من كثب رمية المصمى به المستأصل
هدم البيت الذى استحدثته وسعى في هدم بيتى الاول
مسنى فقد كليب بلظى من ورائى ولظى مستقبلى
ليس من يبكى ليومين كمن انما يبكى ليوم ينجلى
درك الثأر شافيه وفي دركي ثأرى تكل المثكل
ليته كان دماً فاحتلبوا دركا منه دمي من أكحلى

في الهجو

واذا أراد أن يهجو فهجوه معقول بعيد عن البذاء والفحش وعندهم أشد الهجاء اعفه واصدقه وما خرج عن ذلك فهو قذف والفحاش . ومن أشد الهجاء عندهم قول زهير بن ابى سلمى في آل حصن على سبيل التشكك والتجاهل :

وما أدرى وسوف اخال أدري أقوم آل حصن أم نساء
فان تكن النساء مخبآت فحق لكل محصنة هداء (١)

وذكروا ان النابغة سأل قومه بنى ذبيان بعد واقعة حسى عما قالوه في عامر ابن الطفيل فأنشدوه . فقال أفحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ولكنني سأقول ـ ثم قال :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل السباب
فكن كأبيك أو كأبى براء تصادفك الحكومة والصواب
فلا بذعب بلبك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب
فانك سوف تحكم أو تناهي اذا ما شبت أو شاب الغراب

(١) العمدة ١٣٩ ج ٢

فان تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما ان كان من سبب بعيد ولكن ادركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه وقال « ما هجاني أحد حتى هجاني النابغة جعلني القوم رئيساً وجعلني النابغة سفيهاً جاهلا وتهكم بي »

ومن لطيف تجافيهم عن الهجو ما قاله صخر بن عمرو أخو الخنساء وقد أراد رثاء اخيه معاوية فقالوا له أهج قتلته فتعفف وقال :

وقالوا ألا تهجو فوارس هاشم ومالى واهداء الخنى من شماليا

فعبر عن الهجو باهداء الخنى وهو تعبير جميل

واذا تحمس الجاهلي أو تفاخر فلا يجعل قومه آلهة وسواهم أبالسة وانما يقول قول قريط بن انيف من شعراء بلعنبر :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذاً لقام بنصرى معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس انسانا
فليت لى بهم قوما اذا ركبوا شدوا الاغارة فرساناً وركبانا

في الوصف

وكانوا اذا وصفوا حادثة مثلوها بلامغالاة في المجاز والكناية كما يفعل المتأخرون وهذا وصف أبي ذؤيب لحمر الوحش وصائدها كيف ترد الحمر وكيف يحتال الصياد في صيدها قال :

فوردن والعيوق مقعد رابىء الـ ضرباء خلف النجم لا يتتلع
فشرعن في حجراة عذب بارد حصب البطاح تغيب فيه الاكرع
فشربن ثم سمعن حساً دونه شرف الحجاب وريب قرع يقرع
فنكرنه فنفرن فامترست له هوجاء هادية وهاد جرشع
فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهماً فخر وريشه متصمع
فبدا له اقراب هاد رائعاً عنه فعيث في الكنانة يرجع

فرمى فألحق صاعدياً مطحراً بالكشح فاستملت عليه الاضلع
فأبدهن حتوفهن فهارب بدمائه أو بارك متجعجع

واذا وصف أحدهم حيواناً أو مكاناً أو امرأة تحدى تصوير الطبيعة كما هي ولو اضطر الى ذكر بعض الاعضاء التي يعد ذكرها من قبيل البذاء – يفعل ذلك لا تهتكا وانما هو يصف الطبيعة كما هي على عادته في سائر الامور. وأحسن الامثلة في وصف المرأة على النحو الذى تقدم قصيدة النابغة في المتجردة التي مطلعها

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

وقصيدة اليتيمية في دعد ومطلعها :

هل بالطلول لسائل رد أم هل لها بتكلم عهد (١)

وهما مثل قصيدة سليمان الحكيم في وصف ملكة سبأ المعروفة بنشيد الاناشيد – وهو مذهب جماعة من شعراء عصرنا وكتابه في اوربا يمثلون الطبيعة كما هي ويعرفون باصحاب الحقيقة Réalistes ومنهم زولا وطولستوى

على ان الجاهليين لا تخلو اشعارهم من التشبيه والمجاز أو الكناية ولكنهم يفعلون ذلك بلباقة كقول عنترة يصف ذباب الروض :

وخلا الدباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم

٢ – البلاغة في التركيب

ان لغة الجاهلية على الاجمال لا تزال مثال البلاغة حتى الآن لبعدها عن مفاسد العجمة وهي معروفة بخلوها من الحشو وليس فيها من زخارف المدنية كالبديع والجناس ولا المجاز أو الكناية الا بقدر الملح من الطعام. أما ما نجده في بعض أشعار الجاهلية من التعقيد فسببه غرابة بعض الالفاظ على مفهومنا وبعد بعض التراكيب عن مألوفنا ولا بد لمن يطالع تلك الاشعار من تفهم الالفاظ والتعود على أساليبها فاذا فعل ذلك هان عليه فهمها. فمن يقرأ قول امرىء القيس في قصيدته التي يصف بها الفراق وناقته وفرسه فيصل الى قوله ؟

وانك لم تقطع لبانة طالب بمثل غدو أو رواح مؤوب
بادماء حرجوج كأن قتودها على ابلق الكشحين ليس بمغرب

يجد غرابة في تركيب الالفاظ ولا يفهم المراد لكنه متى علم ان الادماء الناقة

(١) نشرت هذه القصيدة في السنة ١٤ من الهلال صفحه ١٧٤ مع سبب نظمها

البيضاء والحرجوج الطويلة على الارض وأبيض الكشحين حمار الوحش . والمغرب الابيض الوجه والاشفار وذلك عيب فى اصطلاحهم أدرك مراد الشاعر من البيت الثانى وقس عليه سائر التفسير

ان البلاغة فطرية في عرب البادية شعراً ونثراً . وكان العرب في صدر الاسلام يتمثلون باقوال الاعراب المعاصرين لهم لما فيها من البلاغة والايجاز من السهل الممتنع وقد نقل ابن عبد ربه طائفة حسنة منها في عدة صفحات بباب كلام الاعراب في في الجزء الثانى من كتابه « العقد الفريد » فليراجع هناك وفي سائر كتب الادب . فاذا طالعتها رأيت نفوساً كبيرة وعقولا راجحة لما فيها من الحكمة والموعظة وصدق النظر

على انك نجد في كلام الاعرابي جفاء واغراباً وخشونة في اللفظ لتعوده مخاطبة الابل (١) وليست الخشونة فى شعراء الجاهلية على الاجمال وانما هي تكثر في أهل الجبال والبادية الوعرة الذين لم يخالطوا أهل الحضارة مطلقاً فيكون ذلك من تأثير البيئة . فان شعر عدى بن زيد وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجرير وهما اسلاميان لملازمة عدي الحضارة وايطانه الريف وبعده عن جلافة البادية وجفاء الاعراب (٢)

على ان الشعر تختلف رقته وخشونته باختلاف الغرض منه فشعر العاشق أرق من شعر الفارس وشعر الحضارة ألطف من شعر البداوة

٣ ـ مذاهبهم وأساليبهم

لا يتقيد الجاهلي فى نظمه بمقدمة أو تمهيد كما يفعل غيره من شعراء المدنية بعد الاسلام من استهلال القصائد بالنسيب والغزل ونحوهما . لكنه يصدر القصائد الطويلة غالباً بذكر المنازل والاطلال ويبكي على الطلول وذلك طبيعي عندهم لانهم أهل رحلة لا يقيمون في المكان حيناً حتى ينزحوا عنه إما فراراً من عدو أو التماساً للمرعى أو الماء أو نحو ذلك كقول امرىء القيس :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

وقوله :

« ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى »

أما المولدون أو المحدثون فانهم يصدرون قصائد المدح أو غيرها بذكر الحبيب

(١) البيان والتبين ٥٢ ج ٢ (٢) يتيمة الدهر ٢٤١ ج ٣

والشوق والوجد والوصل وليس هناك حبيب ولا وجد كما سنبين ذلك

والجاهلي اذا عمد الى النظم في الفخر بدأ به أو ذكر المنازل وتخلص له . ويندر فيهم من يفعل غير ذلك كقصيدة عنترة الفخرية التي يبدأ فيها بذكر الصبا واللهو والغزل والاعين النجل في بيتين ثم يتخلص الى الفخر كقوله :

من لي برد الصبا واللهو والغزل هيهات ما فات من أيامك الاول
طوى الجديدان ما قد كنت انشره وأنكرتني ذوات الاعين النجل
وما ثنى الدهر عزمي عن مهاجمة وخوض معمعة في السهل والجبل

ولكن هذه القصيدة يغلب أنها موضوعة بعد الاسلام لواضع القصة

وقد يستهل الجاهلي شعره بمخاطبة خليله في بيت أو شطر ثم يستطرد الى الموضوع الذي يريده . أو يبدأ بطلب الاخبار بدون أن يذكر الخليل كقول امرىء القيس قبيل وفاته في سفح جبل عسيب :

ألا أبلغ بني حجر بن عمرو وأبلغ ذلك الحي الحديدا
بأني قد هلكت بأرض قوم سحيقاً من دياركم بعيداً (١)

وقوله بمكان آخر :

ألم يخبرك ان الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا (٢)

وقد يتكلم بالمثنى كأنه يخاطب اثنين كقول عبد يغوث .

ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بى فما لكما في اللوم نفع ولا لى
ألم تعلما ان الملامة نفعها قليل وما لومي أخي من شمالى

ومن مذاهبهم طرد الخيال وهو مذهب كثيرين منهم ولكن طرفة بن العبد أول من طرقه فقال :

فقل لخيال الخنظلية ينقلب اليها فاني واصل حبل من وصل (٣)

وفي مقدمة ابن خلدون أمثلة كثيرة من بدايات الجاهلية في النظم من أراد التوسع بالامثلة فليراجعها هناك (صفحة ٥٠١)

ولكن الغالب في نظمهم ان يبدأوا بالغرض المراد رأساً فان كان فخراً فبالفخر أو حماسة فبالحماسة أو غزلا فبالغزل أو رثاء فبالرثاء . ومن مراثى المهلهل لاخيه كليب قصيدة مطلعها :

(١) شعراء النصرانية ٣٤ (٢) شعراء النصرانية ٦١
(٣) العمدة ١٠١ ج ٢

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها ان أنت خليتها فيمن يخليها (١)

ومرثاة أخرى مطلعها :

ان تحت الاحجار حزماوعزما وقتيلا من الاراقم كهلا

قتلته ذهل فلست براض أو نبيد الحيين قيساً وذهلا

وقس عليه غيره من الاغراض . على أن بعضهم يستهل بالحكم ليتخلص للمدح أو الرثاء وبعضهم يتغزل أو يشبب وهم قليلون ولهم اسماء اناث يتغزلون بها يسمونها عرائس الشعر كقطام وهند ودعد وغيرهن

٤ ـ ابواب الشعر عندهم

ان ابواب الشعر اليوم تعد بالعشرات لم يكن منها في الجاهلية الا الفخر والحماسة والتشبيب والمديح والهجاء . وتفرع من المدح الرثاء وهو مدح الميت . والأصل فى المدح والهجاء الدفاع عن القبيلة والطعن في اعدائها – ذلك كان غرض الجاهليين من المدح والهجاء فاكثر مدحهم في قبائلهم ورؤسائها وفرسانها ليس على سبيل الاستجداء الا قليلا وكانت قصائدهم في ذلك قصيرة . وقلما رثوا غير اخوتهم وأخواتهم أو ابنائهم أو بعض أهلهم مدفوعين بالشعور الطبيعي ولذلك كان لرثائهم وقع فى النفس كقول تلك الاعرابية في رثاء ابنها :

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر

كنت السواد لناظرى فعمى عليك الناظر

ليت المنازل والديا ر حفائر ومقابر

انى وغيرى لا محا لة حيث صرت لصائر

أما المدح فامدح الجاهليين زهير والاعشى فمن أمثلة مدح زهير بالكرم قوله :

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

فمن مثل حصن للحروب ومثله لانكار ضيم أو لخصم يجادله

وقد يبالغون ولكنهم لا يخرجون عن المعقول كقول زهير :

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قوم باولهم أو مجدهم قعدوا

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا

إنس اذا أمنوا جن اذا فزعوا مرزؤن بهاليل اذا جهدوا

(١) شعراء النصرانية ١٦٦

محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

وقس على ذلك سائر الاغراض

على ان فى منظوماتهم كثيراً من الشعر الوصفى وأكثره في وصف حيواناتهم ومنازلهم وأدواتهم وفي وصف اخلاقهم ومناقبهم ومثالبهم ومفاخرهم ووقائعهم. وفيهم طبقة من الوصافين اشتهروا بوصف الخيل خاصة وآخرون بوصف الناقة أو حمار الوحش أو القطا أو غيرها وسنعود الى تفصيل ذلك في مكانه

٥ ـ التمثل بحيواناتهم وعاداتهم

قد صور العرب الجاهلية عاداتهم وحيواناتهم وأدواتهم في اشعارهم كما صورها المصريون والاشوريون واليونان والرومان على قصورهم ومعابدهم. وكما استخرج علماء الآثار عادات تلك الامم وأخلاقها من آثارها المنقوشة أو المحفورة فالباحث فى شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وآدابهم وأخلاقهم وطبائعهم وسائر أحوالهم. ولذلك قال ابن خلدون « ان الشعر ديوان علوم العرب وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم واصل يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم » ونزيد على ذلك « انه مستودع عاداتهم وأخلاقهم وأدواتهم وصنائعهم » وقد درس هذا الموضوع جرجى افندي ينى الطرابلسى صاحب المباحث ونشر فيه مقالة ضافية في المقتطف سنة ١٣ و١٥ بعنوان « العرب قبل التاريخ » ودرسه أيضاً محمد بك المويلحى وله مقالة في « رموز العرب وتخيلاتهم » نشرت في المقتطف سنة ١٩ استخرج فيها عاداتهم ومعتقداتهم من أشعارهم

والعرب يتغزلون بحيواناتهم ويتمثلون بها وخصوصاً الناقة والفرس والقطا والحمام ويغلب فيهم ان يذكروا الحمام في الغزل والناقة في السفر والخيل في الحرب

٦ ـ المفاخرة والمعاظلة والمقارعة

كان العرب في جاهليتهم أهل اباء واستقلال وفخر فقامت المفاخرة بين قبائلهم وأحيائهم وأصبحوا يتنافسون بكل شيء حتى في المصائب وهي المعاظلة. أشهرها معاظلة الخنساء وهند بنت عتبة فكانت الخنساء تأتى الموسم وتبكى أباها وأخويها وقد سومت هودجها براية وتقول « أنا أعظم العرب مصيبة » فأصيبت هند بنت عتبة المذكورة في واقعة بدر فقتل أبوها وعمها وأخوها فلما بلغها ما قالته الخنساء قالت « أنا أعظم العرب مصيبة » وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وقالت

« اقرنوا جملى بجمل الخنساء » ففعلوا فلما تقاربتا تعارفنا وتعاظلتا نظماً ونثراً (١)

فاذا كان هذا شأن التنافس بين عامة الناس فأحرى به ان يكون بين الشعراء . ومن أنواعه المقارعة على الاحساب كالتى جرت بين عامر ولبيد والاعشى من جهة وعلقمة والحطيئة وفتيان من بني الاحوص من جهة أخرى وأخذوا يتناشدون في المقارعة في حديث طويل (٢)

ومن هذا القبيل المنازعة بين قبيلتين أيهما أشعر كما جرى بين عمر بن أبى ربيعة والفضل بن العباس اللهبي فى المسجد الحرام فأخذ كل منهما يورد اشعاراً لابناء قبيلته ويبرهن أنها احسن مما قاله الشعراء من تلك القبيلة (٣)

ولما جاء الاسلام ذهبت عصبية القبائل وصارت المفاخرة بين المهاجرين والانصار (٤) وعندهم أيضاً المراجزة (٥) وهي المقارعة بالرجز ومنها المناشدة بالاشعار

٧ ـ الانفة والعفة

كان العربى في الجاهلية صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويغار على العرض اذا قال فعل واذا وعد وفى واذا اضطر الي رهن في أمر عظيم رهن قوسه ـ ولا قيمة للقوس بنفسها ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم بما رهن له مهما كلفه (٦)

ولم يكن أشد منهم غيرة على العرض وفي أخبارهم ما لا يحصى من الدفاع عن المرأة وعرضها وكثيراً ما انتشبت الحرب فى هذا السبيل . وقد كان سبب الحرب التى قتل فيها زهير بن جذيمة العبسي ان ابنه شأساً اغتسل بجانب أبيات لبني غني بماء لبني عامر فناداه رجل غنوى ان يستتر فلم يحفل به فرماه بسهم فقتله وجر ذلك الى حرب قتل بها زهير المذكور وغيره

وكانوا يفتخرون بالعفة خلافاً لما صارت اليه طبائعهم بعد ان استبحر عمرانهم من التهتك والقصف . وتمثيلا للفرق بين الحالين قابل ما قاله عنترة بما قاله أبو نواس ـ قال عنترة :

وأغض طرفي ان بدت لى جارتى حتى يواري جارتي مأواها

وقال أبو نواس :

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

(١) الاغانى ٣٥ ج ٤ (٢) طالعه في الاغاني ٥٥ ج ١٥ (٣) الاغاني ٨ ج ١٥
(٤) الاغاني ١١٣ ج ١٥ (٥) الاغاني ١٠٠ ج ٧
(٦) العقد الفريد ٥٢ ج ٣

والباعثي والناس قد رقدوا حتى أتيت حليلة البعل

ولذلك قل التهتك فى تغزلهم . وبعض القبائل تعد الغزل رذيلة (١) وتجد ذلك ظاهراً في أشعارهم فالجاهل متعفف بالفاظه وأخلاقه بعيد عن الفحش في القول أو السباب الا ما يرى به تمثيل الطبيعة كما تقدم

٨ ـ لا يستجدون

الجاهلى لا ينظم التماساً للعطاء وانما هو ينظم لداع يحركه اما دفاعاً عن عرض أو تحمساً لحرب أو تشكياً من الفراق أو بكاء على فقيد أو نحو ذلك . وقد يمدح ولكن مدحه يكون على الغالب شكراً على صنيع لا استدراراً لجائزة كما صار اليه الشعراء في الاسلام بالتقرب والتزلف . وكان موضوع مدائح الجاهليين حكماءهم وأمراءهم كهرم بن سنان وعامر بن الظرب والاقرع بن حابس وربيعة بن مخاشن وغيرهم

فقد مدح زهير هرم بن سنان ومدح غيره ليس للاستجداء . على ان بعضهم انتجع بشعره وأول من فعل ذلك الاعشى وتمثل به بعض الجاهليين فى مدح المنذرة أو الغساسنة أو بعض أمرائهم وأشهر المداحين في الجاهلية الاعشى والربيع بن زياد والنابغة الذبيانى والمنخل اليشكري وأبو زبيد الطائي ومعن بن اوس وزهير بن أبي سلمى والحطيئة . وسنأتى على أخبارهم في أماكنها

٩ ـ منزلة الشاعر في الجاهلية

كان للقبيلة عدة شعراء تقدم واحداً منهم تسميه شاعر القبيلة . وهي تهتم باعداد الشاعر لها كما تهتم باعداد القائد والخطيب . فيقال ان قائد القبيلة الفلانية فلان وفارسها فلان وشاعرها فلان (٢) لان الشعراء حماة الاعراض وحفظة الآثار ونقلة الاخبار. وربما فضلوا نبوغ الشاعر فيهم على نبوغ الفارس ولذلك كانوا اذا نبغ فيهم شاعر من قبيلة أتت القبائل الاخرى فهنأتها به وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس وتتباشر الرجال والولدان لاعتقادهم انه حماية لاعراضهم ودفاع عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة لذكرهم (٣) وفي الواقع ان ما بقى لنا من اخبار العرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم واخلاقهم انما هو منقول عن اشعارهم وكانوا يوسطون الشعراء في الاسترضاء أو الاستعطاف أو يجعلونهم وسيلة لاثارة

(١) الاغانى ١١١ ج ٧ (٢) الاغاني ١٤٦ ج ٤ (٣) المزهر ٢٣٦ ج ٢

الحروب فيكون الشاعر لسان حال القبيلة يعبر عن غرضها وينطق بلسانها شأن الصحف الرسمية اليوم. فان الصحيفة الرسمية اذا قالت قولا علم الناس ان الحكومة تريده. وهذا هو سبب ما كان يظهر من تأثير الشعر في السياسة. ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها والقيام بما يحتاج اليه واكرامه وتقديمه

ولم يكونوا يقدمون الشاعر لانه يدافع عنهم فقط ولكنهم كانوا يجلون الشعر نفسه لما كان له من الوقع في نفوسهم. يدلك على ذلك تعليق المعلقات باستار الكعبة اجلالا لها (١) وسنعود الى ذلك

١٠ ـ تأثير الشعر في نفوس العرب

قد علمت مما تقدم ان طبيعة العرب شعرية لانهم ذوو نفوس حساسة وشعور دقيق تقعدهم الكلمة وتقيمهم شأن أهل الفروسية والنجدة المعبر عنهما عند الافرنج بالشفاليرى. وكان العرب على الاجمال أهل حافظة اذا أعجبهم البيت حفظوه وتناقلوه فيشيع على ألسنتهم كباراً وصغاراً ويتحدثون به في انديتهم ومجتمعاتهم. فاذا كان هجواً سقط المقول فيه واذا كان مدحاً رفع. ولكن الهجو كان غالباً فى محفوظهم وقد وفق بعض الشعراء بشيوع أشعارهم لخفتها وشاعريتها. وكان الاعشى من أسير الناس شعراً وكذلك زهير والنابغة وامرؤ القيس

فالقبيلة اذا هجاها شاعر فحل حط الهجو منها خصوصاً اذا كان الهجو مطابقا للواقع والا رد شاعرها عنها فتعود الى مقامها. وليس في العرب قبيلة الا هجيت. فمن التى لم يؤثر الهجو فيها قبائل تميم وبكر وائل وأسد بن خزيمة وأمثالها. ومن القبائل التى أثر فيها الهجاء مع مقامها من الشجاعة احياء من قيس منهم غني وباهلة ومحارب واحياء من اد بن طابخة منهم تيم وعكل وغيرهما. وهناك قبائل كان حظها من الشعراء الربح كبني مخزوم من قريش

وكانت القبيلة اذا مدحت فاخرت سائر القبائل لا سيما اذا كان مادحها من غير ابنائها. ويحكى أن شعراء تميم كانوا يذكرون قيساً بالمدح والاعجاب فافتخرت قيس على تميم. وما زالت تميم منكسة رءوسها حتى قام لبيد العامرى وهو من قيس فذكر تميماً في شعره وأطراها وفعل ذلك شاعر آخر من قيس فتكلمت عند ذاك تميم وافتخرت (٢)

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣ (٢) العمدة ١٤٩ ج ٢

ومن أمثلة تأثير هجو الشعراء فى القبائل شعر حط من قدر الحبطات وهم بطن من تميم فقال الشاعر فيهم :

رأيت الحمر من شر المطايا كما الحبطات شر بني تميم

وهل أهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر :

ان أبانا فقحة لدارم كما الظليم فقحة البراجم

وقد أهلك بنى العجلان قول الشاعر :

اذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

قبيلته لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الوراد عن كل منهل (١)

ويشبه ذلك شعر جرير في بنى نمير من عامر بن صعصعة في الدولة الاموية فانه جعل كل نميري اذا سئل عن نسبه قال إنه عامري وهذا هو البيت :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وبعكس ذلك ما أصاب بني أنف الناقة من الرفعة فقد كان الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال من بنى قريع وهو نسب آخر لهم حتى قال الحطيئة فيهم :

قومهم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا

فأصبحوا يفاخرون بقبيلتهم

على ان الشعراء لم يكونوا يتعمدون هجاء غير القبائل الظاهرة النابهة فسلمت القبائل الخاملة من هجوهم . وشأنهم في ذلك مثل شأن الصحف السياسية في البلاد الحية . فان الاحزاب يهمها انحياز احدى الصحف المهمة الى جانبها كما كان يهم القبيلة أو الجماعة في الجاهلية أن ينصرها شاعر مشهور فتبذل له ما يريد في سبيل نصرتها . ولذلك فان الاعشى لما وفد على النبي ومدحه فبلغ أبا سفيان عدوه ذلك فجمع رجال قريش وقال لهم « والله لئن أتى محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل » ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده (٢)

وكان لشعر الاعشي تأثير كبير في النفوس ويحكى من هذا القبيل أن رجلا من مكة اسمه المحلق كان له ثلاث بنات لم يزوجهن وهو معسر . وجاء الاعشى مكة فسمعت امرأة المحلق به فحثت زوجها ان يدعوه للضيافة قبل سواه ويذبح له لانه اذا قال شعراً شاع . فدعاه المحلق ونحر له الناقة وبالغت المرأة في اكرامه واكرام

(١) البيان والتبيين ١٦٩ ج ٢ (٢) الاغاني ٨٦ ج ٨

رفاقه وكان فى عصابة قيسية . فلما جرى الشراب في عروقه سأل المحلق عن عياله فشكا له حال بناته . فأصبح في اليوم التالى وهو ينشد في عكاظ قصيدة مطلعها :

ارقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشق

ثم تخلص الى مدح المحلق واطرائه في السخاء وكرم الاخلاق والناس يسمعون فلما فرغ من الانشاد انسل الناس الى المحلق يهنئونه وهرع الاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها الف ضعف (١) وكذلك فعل مسكين الدارمى في انفاق الخمر السود (٢) ومن شدة تأثرهم من الشعر ان الشاعر ربما لقب بلفظ ورد في بيت من أشعاره كما لقب المرقش والنابغة والمخرق وافنون وغيرهم (٣) حتى في الغناء فان السامع ربما تأثر من معنى الشعر أكثر من نغمه

١١ ـ أشعر شعراء الجاهلية

ما برح العرب من صدر الاسلام مختلفين في من هو أشعر شعرائهم ولهم في ذلك أقوال كثيرة . على أن تقسيم الشعراء الى طبقات قد يعد حكماً اجمالياً على نظرهم فيهم . ويستدل منه أن اصحاب المعلقات هم أشعر الشعراء في حكمهم وأشعر هؤلاء ثلاثة امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة . وقد اجمعوا تقريباً على تفضيلهم وانما اختلفوا في من هو أشعرهم اختلافا كثيراً قال أبو عبيدة : « أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة فان قال قائل ان امرأ القيس ليس من أهل نجد فلعمري ان هذه الديار التى ذكرها فى شعره ديار بني أسد ابن خزيمة . وفي الطبقة الثانية الاعشى ولبيد وطرفة» وقيل ان الفرزدق قال امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير النابغة أشعر الناس وقال الاخطل الاعشى أشعر الناس وقال ابن احمر زهير أشعر الناس . وقال ذو الرمة لبيد أشعر الناس . وقال ابن مقبل طرفة أشعر الناس . وقال الكميت عمرو بن كلثوم أشعر الناس . والقول الراجح ما قال أبو عبيدة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو وطرفة

على أننا نرى فى الحكم على شاعر أنه أشعر أهل زمانه على الاطلاق حيفاً إذ قد ينفرد كل شاعر بمزية تفضله على سواه فيجيد أحدهم في الحماسة وآخر في المديح أو الغزل أو الفخر أو غير ذلك من أغراض الشعر . وعلى ذلك قالوا « أشعر الشعراء

(١) العمدة ٢٥ ج ١ (٢) تاريخ التمدن الاسلامى ٢٩ ج ٣
(٣) لطائف المعارف ١٧

أربعة : زهير اذا طرب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا غضب وعنترة اذا كلب (١) (أي غضب)

والذي عليه الاكثرون في وصف أصحاب المعلقات ان امرأ القيس صاحب النصيب الاوفر في الشعر لان الشعر فى تعبيرهم كان جملا فنحر فأخذ امرؤ القيس رأسه . وان زهيراً يمتاز بأنه لا يعاظل بين كلامين ولا يتبع وحشي الكلام ولا يمدح أحداً بغير ما فيه ولشعره ديباجة ان شئت قلت شهد ان مسسته ذاب (٢) وان النابغة أوضح الشعراء معنى وأبعدهم غاية وأكثرهم فائدة . وان الاعشى أمدحهم للملوك وأوصفهم للخمر وأقدرهم شعراً وأحسنهم قريضاً . وان لبيد أقلهم لغواً وعمرو ابن كلثوم أعزهم نفساً وأكثرهم امتناعا واجودهم واحدة . وطرفة أشعرهم إذ بلغ مع حداثة سنه ما بلغ القوم في طول أعمارهم

١٢ ـ رواة الشعر

من عادة العرب فى رواية الشعر انهم كانوا في أيام الجاهلية اذا نبغ الشاعر صحبه رجل يروى له أشعاره ويتلوها أو يروى له اشعار غيره للشاهد أو نحوه . ويغلب في الراوية أن يكون مرشحاً للشاعرية كأنه تلميذ يتدرب على يد استاذه يأخذ عنه . وكان عمدتهم في الجاهلية على الحفظ لانهم لم يكونوا يكتبون فكان كثير عزة راوية جميل بثينة وجميل رواية هدبة بن خشرم وهدبة كان راوية الحطيئة والحطيئة راوية زهير وابنه (٣) وكان الراوية في الجاهلية وأوائل الاسلام يروى للشاعر الواحد ويصحبه وينشد له ويعجب به اعجاب التلميذ باستاذه ويناضل عنه ويفضله على سواه

وليست هذه العادة خاصة بالعرب فان اليونان القدماء كان عندهم اناس يروون الشعر وغيره ويسمونهم Rhapsodist . أشهرهم في القديم رواة الالياذة وتاريخ هيرودتس . على أن بعض الادباء وأهل الذكاء من العرب كان يروى الشعر بغير التخصيص لشاعر دون آخر. وانما كان يفعل ذلك رغبة في الادب والعلم . فقد كان في الجاهلية أربعة من قريش كانوا رواة الناس للاشعار وعلماءهم بالانساب والاخبار وهم مخرمة ابن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة . وابو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر ابن عبد الله بن عوف . وحويطب بن عبد العزى . وعقيل بن ابي طالب . وكان عقيل

(١) جمهرة اشعار العرب ٢٦ (٢) جمهرة اشعار العرب ٢٥ (٣) الاغاني ٧٨ ج ٧

أكثرهم ذكراً لمثالب الناس فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمقوه حتى الف بعض الاعداء فيه الاحاديث

١٣ ـ شعراء الجاهلية من حيث اغراضهم

قد تقدم ما للشعر الجاهلي من الخصائص التي يمتاز بها على الاجمال ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف اغراض الشعراء . فينقسم الشعراء من هذا القبيل الى مجاميع لكل منها غرض أو اسلوب أو منحى خاص . وسنتوخى في تقسيمهم غير ما نراه في كتب القدماء فنقسم الشعراء بالنظر الى اغراضهم في النظم

قد علمت ان الشعراء الجاهليين الذين بلغت الينا أخبارهم نحو مئة شاعر وبعض المئة من القبائل على اختلاف اصولها . وكلهم عرب الا واحداً كان عبداً لبني الحسحاس وهو اعجمي . فلا عجب اذا خلص الشعر الجاهلي من العجمة لفظاً وتركيباً خلافاً لما آلت اليه حال الشعراء بعد الاسلام إذ نبغ فيهم طبقة من الموالي غير العرب كما سيجيء . فالشعراء الجاهليون كلهم عرب وأكثرهم من عدنان كما تقدم فمعظمهم أهل بادية ورحلة متشابهون بأخلاقهم وأغراضهم وأهمها في القرنين الاخيرين قبل الاسلام الحرب فيما بينهم يوم كان البدوي يبيت وسيفه أو رمحه ضجيعه كأنه يتحفز للنهوض في الصباح للغزو التماساً للرزق أو الفخر أو للثأر . فيقضي أيامه في الحرب أو يتأهب للحرب والشاعر لسان حال قبيلته أو مرآة أخلاقها وآدابها . فلذلك كان أكثر شعراء الجاهلية من أهل الحرب الفرسان الشجعان وقد اشتهر جماعة منهم في وقائع مشهورة نظموا فيها قصائد الحماسة أو الفخر . واذا اعتبرنا عدد شعراء الجاهلية مئة كان نصفهم من الفرسان وأهل الحرب واكثر اشعارهم في الحماسة والفخر . وبينهم طائفة من الملوك والامراء اى كانت لهم الرئاسة في قبائلهم وهي اكبر المناصب السياسية في ذلك العصر . ومنهم طائفة من الحكماء وأهل التعقل والعلم والحكمة . وطائفة أخرى من العشاق المتيمين الذين هاج العشق شاعريتهم . وآخرون يدخلون في صف الفرسان لكنهم يختصون بصفة مشتركة هي العدو والغزو ويسمونهم الصعاليك . ومنهم طائفة تجمعها طبيعة الهجو فيهم ميل الى المهاجاة والمعاظلة . وآخرون اختصوا بوصف الخيل وغيرهم بالغناء . ومن الشعراء من يجمعهم المذهب وأخيراً النساء الشواعر وهناك طائفة لا تدخل في احدى هذه الطبقات

فهذا تقسيم الشعر من حيث اغراض الناظمين وطبائعهم ومراتبهم لكن علماء الشعر تعودوا تقديم اصحاب المعلقات على سواهم وهم مختلفون غرضاً ووجهة متشابهون

قوة وشاعرية فنجعلهم في باب على حدة . وعليه فتكون طبقات الشعراء الجاهليين من حيث اغراضهم ومراتبهم ١٣ طبقة وهذه هي مع عدد الشعراء من كل طبقة .

عدد الشعراء		عدد الشعراء	
١٠	اصحاب المعلقات	١	المغنون
١٤	الشعراء الامراء	٤	النساء الشواعر
٢٨	الشعراء الفرسان	٤	الهجاءون
٤	الشعراء الحكماء	٤	الوصاف للخيل
٨	العشاق	١	الموالى
٧	الصعاليك	٣٦	سائر الشعراء
٤	اليهود	١٢٥	(الجملة)

هؤلاء شعراء الجاهلية وعددهم ١٢٥ شاعراً وليس هم كل من قال شعراً في الجاهلية إذ لم ينبغ ذكي لم يقل الشعر لانه كان سجية في العرب كما تقدم . وانما وصلنا من اخبار أولئك نخبتهم وأشعرهم ولم نذكر كل من وصلنا أخبارهم وانما اخترنا أكثرهم شعراً وأقواهم شاعرية . والا ففي ديوان الحماسة وجمهرة العرب والمفضليات وأشعار الهذليين والاغاني وسائر كتب الادب واللغة أسماء مئات من الشعراء لم يصلنا من اقوالهم الا بيت أو بضعة أبيات

ومن الذين اخترنا ذكرهم من أدرك الاسلام وعاش في أيام الراشدين وقد عددناه جاهلياً لانه نشأ على طبائع الجاهلية وأما المؤرخون فيسمونهم مخضرمين

لكل طبقة مزية

ولكل طائفة من هؤلاء الشعراء صبغة في أشعارهم حسب عرضها ـ فالشعراء الامراء أو الملوك تمتاز أشعارهم بانفة الملك وعزه فيفتخرون بالسيادة أكثر مما بالسيف والرمح والقبيلة فمن أقوال أحدهم الافوه الاودي :

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وان بني غيرهم ما افسدوا عادوا

ويعد هذا البيت من حكمة العرب . واذا مدحوا لا نجد فى مدحهم تزلفاً أو استجداء وانما يكون في سبيل الشكر على خدمة سلفت كقول امرىء القيس بمدح بني ثعل :

فابلغ معداً والعباد وطيئاً وكندة اني شاكر لبنى ثعل

وترى في تشابيههم عند الوصف ذكر آنية الترف التى يألفها الملوك والامراء

فامرؤ القيس لما أراد وصف عين فرسه شبهها بالمرآة وهى من آنية الترف عندهم قال :

وعين كمرآة الصناع تديرها بمحجرها من النصيف المنقب

ووصف بعض حمر الوحش فشبه ألوانها بأنواع الوشي الجميلة . ولما وصف قروحه شبهها بنقش الخواتم

ولا يخلو شعر الامراء من ذكر المجد السالف والبقاء فيه ويشيرون الى مواليهم وأعوانهم وغير ذلك مما ستراه فى مكانه

ويقال نحو ذلك في شعراء سائر الطبقات فان كلا منها تختص بأسلوب أو بشيء يميزها عن الطبقات الاخرى . فشعر العشاق المتيمين اكثره فى التشبيب وشكوى الغرام والهجران . وشعر الحكماء اكثره حكم وعظات وعبر . ولا يمنع ذلك ان يشترك الشاعر بغير غرض من هذه الاغراض أي أن يكون متحمساً وحكيما وعاشقاً وغير ذلك فان كثيرين من الفرسان عشقوا وهاموا وانما جعلناهم من طبقة الفرسان لتغلب ذلك عليهم

وقد آن لنا أن نصف أشهر هؤلاء الشعراء وأشعرهم وفيهم كثير الشعر وقليله وبعضهم نظموا كثيراً لم يصلنا من اشعارهم الا القليل فلا فائدة لطالب تاريخ آداب اللغة من ايراد تراجم هؤلاء وانما نختص بالوصف الشعراء الذين كانوا قدوة لسواهم أو خلفوا آثاراً يمكن الحصول عليها ومطالعتها . ونكتفي في الآخرين بذكر المآخذ التى يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم لمن أراد

اشهر شعراء الجاهلية

١ ـ اصحاب المعلقات

اختلف الرواة في عدد المعلقات وأصحابها فأبو زيد القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب يجعلهم ثمانية كما رأيت . وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمر ابن كلثوم وطرفة وعنترة . ولكن الزوزني جعل المعلقات سبعاً ليس بين اصحابها النابغة ولا الاعشى وأضاف الحارث بن حلزة . وأضاف أبو زكريا التبريزي فوق ذلك قصيدة عبيد بن الابرص فصارت المعلقات وملحقاتها عشراً هذه اسماء اصحابها :

امرؤ القيس	عنترة
النابغة	عمرو بن كلثوم
زهير	الحارث بن حلزة
طرفة بن العبد	الاعشى
لبيد	عبيد بن الابرص

وذكر أبو جعفر النحاس المتوفي سنة ٣٣٨ هـ وهو شارح المعلقات أنها سبع وان بعضهم أضاف اليها قصيدتي النابغة والاعشى وان لم يعدهما من المعلقات . وذكر ابن خلدون سبعة من اصحاب المعلقات فيهم علقمة بن عبدة (١) لكنه لم يعين معلقته وسنأتي هنا على ترجمة كل من نسبت اليه معلقة معينة فان الشاعرية تجمعهم جميعاً

هل علقت المعلقات بالكعبة ؟

واختلف اصحاب الاخبار في شأن هذه المعلقات في الجاهلية : فقال بعضهم ان العرب بلغ من تعظيمهم اياها حتى علقوها بأستار الكعبة وأنكر بعضهم ذلك وأكبروه . وأقدم من أنكر أبو جعفر النحاس النحوي المتقدم ذكره فقد قال في شرحه المعلقات بالنسخة الخطية الموجودة منه في مكتبة برلين ما نصه : « واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع وقيل ان العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الاشعار فاذا استحسن الملك قصيدة قال علقوها واثبتوها في خزائني . فاما قول من قال انها علقت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة . وأصلح ما قيل في هذا ان حماداً الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع

(١) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

وحضهم عليها وقال لهم هذه هى المشهورات فسميت القصائد المشهورة » ونقل ذلك عنه الانباري فقال « وهو (حماد) الذي جمع السبع الطوال هكذا ذكره أبو جعفر احمد بن محمد النحاس ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » فهو يستغرب مخالفة النحاس لما ذكره الناس

والاكثرون يذهبون الى أنها علقت في الكعبة وهذا ابن عبد ربه كان معاصراً للنحاس المذكور وتوفي قبله (سنة ٣٢٨ هـ) قال « وقد بلغ من كلف العرب به (بالشعر) وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في استار الكعبة فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات » (١) وأيد ذلك كثيرون في اعصر مختلفة منهم ابن رشيق صاحب كتاب العمدة وهو من أكبر نقدة الشعر قال « وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لانها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته » (٢) فترى ان ابن رشيق أميل الى القول بتليقها لانه ينسب القول بذلك الى « غير واحد من العلماء » ويضعف الرأى الآخر بقوله « وقيل »

أما ابن خلدون فانه يقطع بتعليقها ولا يذكر سواه وهذا قوله « حتى انتهوا (أي العرب) الى المناغاة في تعليق أشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات السبع (٣)

وقد وافقهم اكثر العلماء والباحثين في هذا الموضوع ـ وانما استأنف انكار ذلك بعض المستشرقين من الافرنج ووافقهم بعض كتابنا رغبة في الجديد من كل شيء

وأي غرابة في تعليقها وتعظيمها بعد ما علمناه من تأثير الشعر في نفوس العرب وتعظيمهم لاصحابه ؟ أما الحجة التى أراد النحاس ان يضعف بها القول بتعليقها فهى غير وجيهة لانه قال « ان حماداً رأى زهد الناس بالشعر الخ » والحقيقة ان الناس لم يكونوا راغبين فى الشعر مثل رغبتهم في أيامه . ألم يكن الخلفاء يستقدمون حماداً

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣ (٢) العمدة ٦١ ج ١ (٣) ابن خلدون ٩٠٥ ج ١

هذا من العراق الى الشام ليسألوه عن بيت من قاله أو في ما قيل ؟ واليك تراجم اصحاب المعلقات ومن يلحق بهم

١ ـ امرؤ القيس بن حجر

توفي نحو سنة ٥٦٠ م

هو أشهر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلا وأرفعهم منزلة يتصل نسبه بملوك كندة وهم في قول العرب بطن من كهلان. وكانوا يقيمون في البحرين والمشقر ثم اجلوا عنهما الى كندة في حضرموت واليه ينسبون . أقاموا هناك دهراً يتولون بعض مناصب الدولة على عهد التبابعة الحميريين وقد ضاع أكثر أخبارهم . وأقدم من عرفت أخباره منهم حجر بن عمرو آكل المرار جد جد امرىء القيس الشاعر . ونزح حجر الى نجد ونزل بطن عاقل في أوائل القرن الخامس للميلاد وكان اللخميون (المناذرة) قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ولا سيما بلاد بكر بن وائل وهم يومئذ بنجد فنهض البكريون معه لمحاربة اللخميين واستقلوا عن سلطانهم فاجتمعت كلمتهم على تعظيمه وملكوه عليهم حتى توفي باواسط القرن الخامس للميلاد فخلفه ابنه عمرو بن حجر ، فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو وفي أيامه فتح الاحباش اليمن فضعف شأن دولته فوجه مطامعه نحو اللخميين في الحيرة وكان يحسدهم لتقربهم من الاكاسرة فاغتنم تغير كسرى قباذ على المنذر بن ماء السماء لسبب المزدكية وتقرب اليه فوافقه وولاه الحيرة مكان المنذر . فعظم الحارث في نظر القبائل وجعلوا يتقربون اليه بالطاعة وسألوه أن يولى عليهم من أراد . وكان له أربعة أولاد أقام كلا منهم حاكما على بعض القبائل ومنهم حجر بن الحارث والد امرىء القيس تولى على بني أسد وغطفان

ثم انقلب الامر على الحارث بعد موت قباذ لان أنو شروان ابنه وافق المنذر وأخرج الحارث ففر . وطمع فيه المنذر فطارده حتى قتله وجعل يفسد بين أولاده بالتحاسد حتى تحاربوا فقتل اثنان منهم وبقي اثنان هما حجر والد امرىء القيس ومعدي كرب أمير قيس . ورأى بنو أسد تضعضع دولة كندة فاجتمعوا على خلاف ملكهم حجر وأمسكوا عن أداء الاتاوة فحاربهم فقتلوه

وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائباً فلما علم بقتله رجع وهو يعتقد عجزه عن الاخذ بثأره لان عدوه قوي . وعلم أيضاً أن ذلك العدو اذا عرف مقره قبض عليه . فقضى برهة من الدهر وهو يتجول متنكراً في اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل فلم يجره أحد حتى أتى السموأل صاحب حصن الابلق فاستجاره فأجاره

فاستودعه أدرعه وأمتعته وهو لا يرى من يستنصره على أعدائه الا قيصر الروم . لان ملوك الحيرة عمال الفرس نصروا أعداءه على جاري عادة العرب في ذلك العهد - اذا تظلموا من إحدى هاتين الدولتين استنصروا الاخرى . ولم يكن لامرىء القيس سبيل الى القيصر فوسط الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب النفوذ عند قيصر الروم يومئذ وطلب اليه ان يوصله اليه ففعل فسار امرؤ القيس الى القيصر . ويقول العرب ان القيصر بعد ان أجاب دعوته وسمع مدائحه وشى به أحد بني أسد أعدائه وقال للقيصر : « ان امرأ القيس شتمك » فصدق الوشاية وألبس الشاعر حلة مسمومة قتلته . ولا نعرف سماً يفعل هذا الفعل . وفى كل حال ان امرأ القيس قتل ولم ينل ارباً

وجاء في شعراء النصرانية بعد ذكر موت امرىء القيس بالجدرى ما نصه : « وذكر في كتاب قديم مخطوط ان ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امريء القيس أمر بان ينحت له تمثال وينصب على ضريحه . ففعلوا وكان تمثال امرىء القيس هناك الى أيام المأمون وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة »

شعر امرىء القيس

وكان امرؤ القيس قوي الشاعرية ولولا ذلك لم يقل الشعر لان الملوك كانوا قبله يأنفون من قوله . ولكنه كان مطبوعا عليه يقوله وأبوه حي وكثيراً ما زجره وهو يعصاه حتى اضطر أبوه ان يبعده عنه . فلم يبال بل جعل يجول في الاحياء مع بعض الاخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل فاذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه . ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه الى غيره

فلما أتاه نعى أبيه كان بدمون من أرض اليمن فغضب غضباً شديداً وغضبه هاج شاعريته وأسفاره في البلاد زادت اختباره . ولعله جاء بلاد الروم قبل سفرته الاخيرة والاسفار توسع الخيال الشعري واذا عاشر الناس وخالطهم اطلع على آدابهم واستفاد معاني جديدة أو تتفتق قريحته فتستنبط صوراً جديدة وذلك من الاسباب التي جعلت امرأ القيس يسبق الى أشياء في الشعر لم تكن معروفة قبله وتبعته الشعراء بها

واذا أمعنت النظر في ما استنبطه من المعانى أو الاساليب رأيتها من ثمار الاسفار وسعة الاطلاع فمنها استيقاف الصحب في الديار كقوله « قفا نبك الخ » فانه طبيعي فيمن قضى معظم حياته في توديع ديار واستقبال ديار. وقد كان ألوفاً دقيق الشعور اذا أقام في المكان ألفه واذا عاشر الرجل كلف به

ومنها دقة وصفه واجادته على الخصوص في وصف الفرس والناقة وهذا طبعاً من ثمار الاسفار لانه كان يقضى الساعات والايام على فرسه لا شيء يشغله عنه مع تعلقه به لانه أكبر مساعد له على النجاة في فراره من اعدائه . ولذلك فلا تكاد تقرأ له قصيدة إلا وجدت فيها أبياتاً يصف بها فرسه أو ناقته . وقد فتقت الاسفار والمعاشرة قريحته لاستنباط المعانى أو اقتباسها ـ فمن ذلك قوله في قصيدته البائية التي يصف بها الفراق وناقته وفرسه مطلعها :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن سلكن ضحياً بين حزمي شعبعب

ولكن القارىء لا يستأنس بالمعنى الا بعد أن يتعرف الالفاظ الغريبة وعند ذلك يرى وصفاً بديعاً لم يأت الشعراء بأحسن منه كقوله في وصف الفرس :

وقد اغتدى قبل الشروق بسابح اقب كيعفور الفلاة مخبب
بمنجرد قيد الاوابد لاحه طراد الهوادي كل شأو مغرب
له ايطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب
ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب
له كفل كالدعص لبده الندى الى حارك مثل الغبيط المذأب
وعين كمرآة الصناع تديرها لمحجرها من النصيف المنقب
له أذنان تعرف العتق فيهما كسامعتى مذعورة وسط ربرب

ووصف الفرس كثير في شعره فليراجع في ديوانه . وقد أجاد في سائر ضروب الوصف وله قصيدة في وصف المطر وأخرى في الوصف على الاجمال مطلعها :

ألا انعم صباحاً أيها الربع فانطق وحدث حديث الركب ان شئت واصدق

ومع ما في شعره وسائر أشعار الجاهلية من اللفظ الغريب فقد امتاز امرؤ القيس برقة الالفاظ ولطف التشبيه كقوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقوله :

كأن عيون الوحش حول قبابنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

وقوله :

كأني غداة البين لما تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وقد أجاد في صفة الفرس بقوله .

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وله أبيات كثيرة جرت مجرى الامثال على ألسنة الناس واتخذ الشعراء بعضها قواعد لنظمهم . وهو أول من لطف المعانى . ومما بلغ حد النهاية في الرقة واللطف قوله :

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك فى أعشار قلب مقتل

وهو أول من وصف النساء بالظباء والمهى وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وسواه في القصيدة وقرب مآخذ الكلام فقيد الاوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه (١) ومن تشبيهه قوله وهو مما يتغنى به :

وثغر أغر شثيب النبات لذيذ المقبل والمبتسم

وما ذقته غير ظن به وبالظن يقضي عليك الحكم

ويقال ان امرأ القيس أول من شبب بالنساء بأبيات مطلعها :

عهدتنى ناشئاً ذا غرة رجل الجمة ذا بطن اقب (٢)

وله محاورة شعرية فى أوابد العرب مع عبيد بن الابرص أولها قول عبيد :

ما حية ميتة قامت بميتتها درداء ما أنبتت سناً وأضراساً

فأجابه امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها فاخرجت بعد طول المكث اكداسا

وهي طويلة

معلقته و سبب نظمها

أما معلقته فقد نظمها في وصف واقعة جرت له مع حبيبته وابنة عمه عنيزة بنت شرحبيل وحظر عليه لقاؤها ولعلهم منعوه منها لما كان من رغبته في الشعر . أما هو فكان يسترق الفرص لملاقاتها . فاغتنم فرصة ظعن الحي وكانوا اذا ظعنوا مشى الرجال أولا ثم النساء فتخلف امرؤ القيس عن الرجال وتربص حتى ظعنت النساء وكان في طريق الظاعنين غدير يسمى دارة جلجل فى منازل كندة بنجد .

(١) المزهر ٢٣٩ ج ٢ (٢) الاغاني ٦٧ ج ٢

فسبقهن امرؤ القيس الى الغدير وفيهن عنيزة فنزعن ثيابهن ونزلن في الماء فبرز هو من مخبئه وجمع الثياب وجلس عليها وحلف انه لا يعطي الواحدة منهن ثيابها الا اذا خرجت اليه عارية

فخرجن وبقيت عنيزة وأقسمت عليه أن يعدل عن شرطه فأبى وألح عليها بالخروج فخرجت ثم دفع اليها ثيابها فلبستها واجتمع النسوة عليه وأخذن يعنفنه وقلن له « انك أخرتنا عن الحي وجوعتنا » فقال « سأعقر لكن راحلتي تأكل منها » فعقرها وأتين بالحطب وجعلن يشوين اللحم حتى شبعن . وكان معه ركوة فيها خمر فسقاهن منها . فلما ارتحلن احتملن امتعته على رواحلهن وبقي هو لا مركب له فقال لعنيزة « لا بد لك من أن تحمليني » وساعده صواحبها على طلبه فحملته على مقدم هودجها فجعل يدخل رأسه من الهودج يقبلها ويحادثها ثم نظم معلقته ومطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وصف بها ما تقدم أحسن وصف وهي مدرجة مع سائر المعلقات فى كتاب شرح عدة شروح

أما سائر اشعاره فانها جمعت في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وقد طبع في باريس سنة ١٨٣٧ وفي غيرها وقد شرحه البطليوسى النحوي المتوفي سنة ٤٩٤ هـ وطبع الشرح بمصر سنة ١٢٨٢ هـ وللنحاس شرح للمعلقة طبع في هال سنة ١٨٧٦

وقد ترجمت معلقته الى اللغة الروسية وطبعت مع الاصل العربى في بطرسبورج سنة ١٨٨٥ بعناية موركوس

وتجد كثيراً من أشعار امرىء القيس وأخباره في كتاب الاغاني ٦٢ ج ٨ و١٩ ج ٢ والشعر والشعراء (طبقات الشعراء) لابن قتيبة ص ٣٧ وفي شرح المعلقات . وفي كتاب الشعراء الستة الجاهليين طبع لندن سنة ١٨٧٠ وخزانة الادب ٥٣٢ ج ٣ وفي شعراء النصرانية صفحة ٦ وفى جمهرة أشعار العرب ٣٩ وفي أكثر كتب الادب والتاريخ

٢ ـ زهير بن أبي سلمى

توفي سنة ٦٣١ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة وأما

اختلفوا فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه . وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعاني فقد امتاز زهير بما في نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الامثال مع القدرة على المدح وهو لا يعاظل في الكلام ويتجنب وحشيه ولا يمدح أحداً الا بما فيه وكثيرون يفضلونه على صاحبيه ويقولون إنه أحسنهم شعراً وأبعدهم عن سخف وأجمعهم لكثير من المعانى في قليل من الالفاظ

وهو من مزينة احدى قبائل مضر وكان يقيم هو وأبوه وولده في منازل بني عبد الله بن غطفان بالحاجز من نجد . وأول من نزل هناك منهم أبوه أبو سلمى لانه تزوج امرأة من بني فهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له زهيراً وأوساً وتزوج زهير امرأة من سحيم بن مرة ولذلك كان زهير يذكر في شعره بنى مرة وغطفان ويمدحهم . وكان لزهير اخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم وورع . فرفع القوم منزلته وجعلوه سيداً . وكثر ماله واتسعت ثروته وكان مع ذلك عريقاً في الشاعرية فكان أبوه شاعراً وكذلك خاله وأختاه وابناه . وكان لشعره تأثير كبير في نفوس العرب وكان مقرباً من أمراء ذبيان وخصوصاً هرم بن سنان والحرث بن عوف . وأول قصيدة نظمها في مدحهما معلقته المشهورة التى مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

قالها على أثر مكرمة أتياها بحجب الدماء بين عبس وذبيان : (١)

ثم مدح هرما بقصائد كثيرة حتى حلف هرم ان لا يمدحه زهير الا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا سلم عليه الا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً . فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فاصبح اذا رآه في ملأ من الناس قال « عموا صباحاً غير هرم . وخيركم استثنيت » وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم « انشدني بعض مدح زهير أباك » فانشده فقال عمر « إنه كان ليحسن فيكم القول » فقال « ونحن والله كنا نحسن له العطاء » فقال عمر « قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم » ومدح زهير أيضاً سنان بن أبى حارثة المري وحصن بن حذيفة بن بدر وغيرهم

ومما قاله في مدح هرم ولم يسبقه اليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخير من هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

يطلب شأو امرأين قدما حسباً بذا الملوك وبذا هذه السوقا

(١) الاغاني ١٤٩ ج ٩

هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا

ومن بليغ مدحه قوله في مدح حصن بن حذيفة بعد أن استهل بوصف الصيد ثم تخلص الى المدح في قصيدة طويلة جئنا بمثال منها في صفحة ٧٨ من هذا الكتاب وتجد أمثلة من نظمه في أماكن أخرى منه

ويؤخذ من بعض أقواله أنه كان مؤمناً بالبعث كقوله :

يؤخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ومما يدل على تعقله وحنكته وسعة صدره قوله في معلقته التى نقلنا بعضها صفحة ٢٨ من هذا الكتاب . وقد جمع خلاصة التقاضى في بيت واحد وهو :

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء (١)

فزهير يمتاز بمدحياته وحكمياته وبلاغته . وقد جمعت أشعاره في ديوان شرحه ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وقد طبع سنة ١٣٢٣ هـ وشرحه الشنتمري المعروف بالاعلم المتوفى سنة ٤٧٦ وقد طبع هذا الشرح في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ وله شروح أخرى ضاعت أو لم نقف عليها . وكتب ديروف Dyroff الالماني كتابا بالالمانية فى زهر وأشعاره وما لم ينشر منها طبع في منشن سنة ١٨٩٢

وقد جمعت أخباره وأقواله في كتاب الاغاني ٤٨و١٤٦ ج ٩ وفي ديوان الشعراء الستة الجاهليين . وخزانة الادب ٣٧٥ ج١ والشعر والشعراء ٥٧ وجمعت معلقته الى سائر المعلقات وفي الجمهرة ص ٤٧ وقد شرحها كثيرون منهم النحاس المتقدم ذكره وهو أهم شروحها وقد نشره الدكتور هوسهير الالماني سنة ١٩٠٥ فى برلين مع مقدمة المانية مفيدة

٣ ـ النابغة الذبياني

توفي سنة ٦٠٤ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء واسمه زياد بن معاوية من ذبيان من قيس . وهو من الاشراف الذين غض الشعر منهم كما غض من امرىء القيس . وكان يفد على النعمان صاحب الحيرة فيمدحه فوقعت العداوة بينه وبين المنخل الشاعر فوشى به الى النعمان فهرب النابغة الى بني غسان ونزل بعمرو بن الحارث الاصغر

(١) العمدة ٣٠ ج ١

ملك الغساسنة فمدحه . وما زال مقيما عنده حتى مات عمرو وخلفه النعمان أخوه فصار معه حتى اصطلح مع النعمان صاحب الحيرة فعاد اليه

وكان يفد على صاحب الحيرة أيضاً حسان بن ثابت الانصارى ولكن النابغة كان مقدماً على الجميع . فجمع من عطايا النعمان صاحب الحيرة ثروة طائلة وصار يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب . وله منزلة كبرى عند شعراء عصره فاذا جاء عكاظ ضربوا له في سوقها قبة من جلد وجاء الشعراء ينشدون أشعارهم . وأول من أنشده الاعشى ثم حسان ثم الخنساء وهذا شرف لم ينله أحد من الشعراء سواه

ويمتاز النابغة عن صاحبيه بأنه أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام واجزلهم بيتاً فكأن شعره كلام ليس فيه تكلف . وذلك ظاهر في كل اقواله حتى جرى كثير منها مجرى الامثال واقتبس الشعراء كثيراً من أقواله منها :

نبئت ان أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زأر من الاسد

تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان وقوله :

فلو كفى اليمين بغتك خونا لافردت اليمين من الشمال

أخذه المثقب العبدي فقال :

ولو انى تخالفنى شمالى بنصر لم تصاحبها يمينى

وقوله :

فحملتني ذنب امرىء وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

أخذه الكميت فقال :

ولا أكوي الصحاح براتعات بهن العر قبلي ما كوينا

وقوله :

واستبق ودك للصديق ولا تكن قتباً يعض بغارب ملحاحاً

أخذه ابن ميادة فقال :

ما إن ألح على الاخوان أسألهم كما يلح بعض الغارب القتب

ومما يتمثل به من شعره قوله :

لو أنها عرضت لاشمط راهب عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وان لم يرشد

أخذه ربيعة بن مقروم الضبي فقال :

لو أنها عرضت لاشمط راهب في رأس مشرفة الذري يتبتل

لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولهم من ناموسه يتنزل

ومما يتمثل به أيضاً من شعره :

ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وقال في العفة وهو أحسن ما قيل فيه :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

أخذه عدى بن زيد فقال :

أجل ان الله قد فضلكم فوق من احكى بصلب وإزار

فالصلب الحسب والازار العفاف وفي أمثالهم أصدق من قطاة — قال النابغة :

تدعو القطا وبها تدعى اذا نسبت يا حسنها حين تدعوها فتنتسب

وذلك لانها تلفظ باسمها . أخذه أبو نواس فقال :

« أصدق من قول قطاة قطا »

وقد مدح النابغة النعمان وعمرو بن هند من أصحاب الحيرة . وعمرو بن الحارث الغسانى وأخاه النعمان ووائل بن الحلاج الكلبي وهجا ابن زرعة وربي واعتذر وفاخر . ولكن الشعر الوصفي قليل في منظومه الا القصيدة التى نظمها في وصف المتجردة زوجة النعمان صاحب الحيرة وقد تقدم مطلعها . ومن قوله في وصفها:

نظرت بمقلة شادن متربب أحوى احم المقلتين مقلد

والنظم في سلك يزين نحرها ذهب توقد كالشهاب الموقد

صفراء كالسيراء أكمل خلقها كالغصن في غلوائه المتأود

قامت تراءى بين سجفى كلة كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

أو درة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

أو دمية من مرمر مرفوعة بنيت بآجر تشاد وقرمد

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

وهي طويلة وفيها أبيات لا يليق نشرها ولكنه وصف فيها الطبيعة كما هي عادة الجاهليين بتمثيل الواقع وكما فعل سليمان الحكيم في نشيد الاناشيد . ومن أحسن شعره معلقته التى مطلعها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار

وهي ستون بيتاً ذكرها صاحب جمهرة أشعار العرب من جملة المعلقات فصاروا ثمانية وأما الزوزني فلم يذكرها

وللنابغة ديوان مطبوع غير مرة منها مع الشعراء الستة . وشرح منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وقد ترجمه الى الفرنساوية وطبعه مع الاصل العربي المسيو ديرنبرج في المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٦٨ وصدر بالامس كتاب اسمه التوضيح والبيان لاشعار نابغة ذبيان طبع بمصر

وأخباره متفرقة في الاغاني ١٦٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٧٠ و١٢٦ والجمهرة ٥٢ وفي دواوين الشعراء الستة الجاهليين وفي شرح المعلقات وسائر كتب الادب

٤ ـ أعشى قيس

توفي سنة ٦٢٩ م

اسمه ميمون بن قيس بن جندل من بكر بن وائل من ربيعة وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . والبعض يقدمونه على سائرهم اذا طرب كما يتقدم امرؤ القيس إذا غضب والنابغة اذا رهب وزهيراذا رغب (١) ويحتج الذين يقدمونه بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر مما ليس لسواه . ويقال انه أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد وكان يغنى به فسموه صناجة العرب وقد تقدم أنه قدري المذهب لقوله :

استأثر الله بالوفاء وبال عدل وولى الملامة الرجلا

ويظن أنه أخذ ذلك من نصارى الحيرة . وهو الذي زوج بنات المحلق بابيات قالها فيه . ولم يكن يمدح قوماً الا رفعهم ولم يهج قوماً الا وضعهم لانه من اسير الناس شعراً وأعظمهم فيه حظاً (٢) وله منافرة مع علقمة الفحل . ويمتاز الاعشى عن معظم شعراء الجاهلية بوصف الخمر اذ قل فيهم من ذكرها وأما هو فقد وصفها بقوله :

وادكن عاتق جحل ربحل صبحت براحة شربا كراما
من اللائي حملن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما

وقوله : من خمر عانة قد أتى لختامها حول تسل غمامة المزكوم

وقد أدرك النبي ووفد عليه فمدحه بقصيدة مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

وفيها يقول لناقته :

فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدا

(١) الاغاني ٧٧ ج ٨ (٢) العمدة ١٤٦ ج ٢

نبيٌ يرى ما لا ترون وذكره اغار لعمري في البلاد وانجدا
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من فواضله يدا

فلما علم أبو سفيان بذلك حرض قومه على ارضائه بالرجوع خوفا من أن يسلم فينصره بشعره عليه فجعلوا له مائة من الابل فاخذها ورجع – وله معلقة مطلعها :

ما بكاء الكبير في الاطلال وسؤالى وما ترد سؤالى (١)

وللاعشى ديوان خط في دار الكتب المصرية . وله قصيدتان ترجمتا الى الالمانية ترجمهما المستشرق الالماني غاير Geyer الاولى المعلقة المتقدم ذكرها والثانية أولها « ودع هريرة ان الركب مرتحل » وقد عنى بشرحهما مطولا حتى بلغت صفحات شرح الاولى وحدها ٢٢٣ صفحة . وللمستشرق المذكور ولع خاص في شعر الاعشى وهو يطبع ديوانه عن النسخة الوحيدة الكاملة الموجودة في الاسكوريال

وتجد أخبار الاعشى وأشعاره في الاغانى ٥٢ ج ١٥ و١٦٠ ج ١٦ و٧٧ ج ٨ و١٤٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ١٣٥ والجمهرة ٥٦ وغيرها وفى سيرة الرسول ومعجم البلدان وفي سائر كتب الادب

٥ ـ لبيد بن ربيعة

توفي سنة ٦٧٥م

هو لبيد بن ربيعة العامري (من قيس) وكان من أشراف الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين . يقال إنه عمر ١٤٥ سنة عاش معظمها في الجاهلية وقد أدرك الاسلام وأسلم وهاجر وحسن اسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب فأقام بها حتى مات في أواخر خلافة معاوية . فكان عمره ١٤٥ سنة منها ٩٠ فى الجاهلية . وكانت الشاعرية ظاهرة في عينيه منذ صباه ـ ذكروا ان النابغة رآه وهو غلام جاء مع أعمامه الى النعمان بن المنذر فتوسم فيه الشاعرية فسأل عنه فنسبوه فقال له «يا غلام ان عينيك لعينا شاعر أفتقرض من الشعر شيئاً » قال « نعم يا عم » قال « فانشدني » فانشده قوله « ألم ترجع على الدمن الخوالى الخ » فقال له «يا غلام أنت أشعر بنى عامر زدني » فانشده قوله « طلل لخولة في الرسيس قديم » . فضرب بيده على جبينه وقال « اذهب فانت أشعر من قيس كلها »

واكثر شعره في الجاهلية لان الخلفاء الراشدين شغلوا الناس عن الشعر بالقرآن وذكروا ان عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يقول له

(١) جمهرة اشعار العرب ٥٦

« استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام » فارسل الى الاغلب الراجز العجلى فقال له انشدنى فقال :

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد طلبت هيناً موجوداً

ثم أرسل الى لبيد فقال « انشدني ما قلته في الاسلام » فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال « أبدلنى الله هذا في الاسلام مكان الشعر » فكتب المغيرة بذلك الى عمر فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد (١)

فمعظم ما يروونه من شعره قيل في الجاهلية . وكان من أجواد العرب وقد آلى على نفسه في الجاهلية ان لا تهب صباً الا أطعم وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح فى كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبت الصبا يوما والوليد بن عقبة في الكوفة فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال « إن أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ان لا تهب صبا الا اطعم وهذا يوم من أيامه قد وهبت صبا فأعينوه وأنا أول من فعل » ثم نزل عن المنبر فأرسل اليه بمائة بكرة وكتب اليه بابيات قالها :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه اذا هبت رياح أبى عقيل
أشم الانف أصيد عامري طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بحلفتيه على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذ سحبت عليه ذيول صبا تجاذب بالاصيل

فلما بلغت أبياته لبيداً قال لابنته أجيبيه فلعمري لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر فقالت ابنته :

اذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الانف أروع عبشمياً أعان على مروءته لبيدا
بامثال الهضاب كأن ركباً عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها فاطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني لا أبا لك أن تعودا

فقال لها لبيد قد أحسنت لولا أنك استطعمته فقالت « ان الملوك لا يستحي من مسئلتهم » فقال « وأنت يا بنية في هذه أشعر »

ومما يستجاد من قوله قصيدة مطلعها :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

(١) الاغاني ٩٧ ج ١٤

ويقال انه لم يقل في الاسلام الا بيتاً واحداً هو :

الحمد لله ان لم يأتني أجلى حتى لبست من الاسلام سربالا

أما معلقته فمطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

وقد جمعت أشعاره في ديوان طبع في فينا للمرة الاولى سنة ١٨٨٠ بعناية يوسف ضياء الدين الخالدى ثم ترجمت هذه الطبعة الى الالمانية مع تعليقات بالمقابلة على نسخ خطية في ستراسبورج وليدن مع ترجمة حياة الشاعر بعناية هوبر Huber وطبع فى ليدن سنة ١٨٩١ . وله سيرة بالالمانية بقلم المستشرق هوبر المذكور طبعت في ليدن سنة ١٨٨٧ وأخرى لكريمر Kremer طبعت في فينا سنة ١٨٨١ وأخباره في الاغاني ٩٣ ج ١٤ و١٣٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ١٤٨ والمستطرف ٤٣ ج ٢ والجمهره ٦٣ وغيرها من كتب الادب

٦ ـ عمرو بن كلثوم

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من قبيلة تغلب وأمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب المشهور فهو حفيد مهلهل واشتهرت أمه ليلى بالانفة وعظم النفس تفاخراً بأبيها . وساد عمرو بن كلثوم قومه تغلب وهو فى الخامسة عشرة وقد عمر طويلا وكان أعز الناس نفساً وأكثرهم امتناعاً وأنفة وكان شاعراً مطبوعاً اشتهر بمعلقته التى مطلعها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا

وهي حماسية فخرية يقال انها كانت تزيد على الف بيت وانما وصل الينا بعضها . وقد نظمها غضباً لامه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة . وكان عمرو هذا معجباً بنفسه فقال يوما للندماء « هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟ » فقالوا « نعم ـ أم عمرو بن كلثوم » قال « ولم ؟ » قالوا « لان أباها مهلهل ابن ربيعة وعمها كليب بن وائل أعز العرب وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه »

فارسل عمرو بن هند صاحب الحيرة الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله ان يزير أمه أمه . فاقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة من بنى تغلب واقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب . وامر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا فى وجوه بني تغلب .

فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق وقد كان عمرو بن هند أمر أمه ان تنحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف . فقالت هند « ناوليني يا ليلى ذلك الطبق » فقالت ليلى « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فأعادت عليها وألحت فصاحت ليلى « وا أذلاه يا لتغلب » فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في عينيه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى في بنى تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة

فجاشت نفس ابن كلثوم وحمى غضبه وأخذته الانفة والنخوة فنظم معلقته أو لعله نظم بعضها في ذلك الحين ثم أتمها في حادثة أخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على أثر خلاف جرى بين قومه التغلبيين واخوانهم البكريين وتقاضوا الى عمرو هذا . وكان قد اصلح بينهما بعد حرب البسوس وشرط عليهما شروطاً اذا اختصما . فلما جاءوه للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الاميرين جدال بين يدي صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلباً على بكر فطرد ابن هرم فنهض ابن كلثوم وأنشد معلقته وكان حاضراً هناك الحارث بن حلزة من بكر وائل فانشد معلقته كما سيجيء . فالغالب ان ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين في حادثة أمه وهذه الحادثة . ولذلك رأيت فيها اشارة الى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه في سوق عكاظ فانشدها في موسم مكة وكان بنو تغلب يعظمونها ويرويها صغارهم وكبارهم لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها . فقد استهلها بذكر الخمر ووصف شاربها وتأثيرها وهذا قليل في شعر الجاهلية كما تقدم . ثم وصف ليلى نحو وصف النابغة المتجردة ثم خاطب عمرو بن هند وافتخر بنفسه واهله واشار الى ما اراده ابن هند من احتقار والدته وذكر واقعة لهم فى ذي اراط فازوا بها وابدعوا ثم تخلص الى الفخر في ابيات هذا بعضها :

وقد علم القبائل غير فخر اذا قبب بابطحها بنينا
بانا العاصمون اذا اطعنا وانا العارمون اذا عصينا
وانا المنعمون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا أتينا
وانا الحاكمون بما اردنا وانا النازلون بحيث شينا

وانا التاركون لما سخطنا وانا الآخذون لما هوينا
وانا الطالبون اذا نقمنا وانا الضاربون اذا ابتلينا
وانا النازلون بكل ثغر يخاف النازلون به المنونا
ونشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

وليس لعمرو بن كلثوم ديوان معروف . ولكن أشعاره متفرقة في الاغانى ١٨١ ج ٩ وفي والشعر والشعراء ١١٧ والجمهرة ٧٤ وشعراء النصرانية ١٩٧ وشرح القصائد العشر ١٠٨ وفى معجم البلدان وديوان الحماسة وغيرها

٧ – الحارث بن حلزة اليشكرى

توفى سنة ٥٨٠ م

هو من بكر وائل وقد اشتهر بين اهل العراق وكان به وضح اى برص وهو قليل النظم وانما اشتهر بمعلقته وهي قصيدة واحدة كما اشتهر بمثلها عمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد الآتي ذكره . وقد تقدم ان الحارث كان في وفد البكريين الذين اتوا عمرو بن هند وخطيبهم النعمان بن هرم . فلما غضب ابن هند عليه واوشك ان يقضى لبنى تغلب قال الحارث بن حلزة لقومه « اني قد قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه . فرواها أناساً منهم فلما قاموا بين يدى الملك لم يرضه انشادهم فقال اني لا ارى احداً يقوم بها مقامي لكني اكره ان اكلم الملك من وراء سبعة ستور وينضح أثرى بالماء اذا انصرفت عنه ». وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى احد به سوء . ثم خاف ابن حلزة على قومه وقال « انا محتمل ذلك واقرب من الملك » فقيل لعمرو ابن هند « ان به وضحاً » فامر ان تمد بينه وبين الحارث سبعة ستور . فجعلت . فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك « أهذا يناطقنى وهو لا يطيق صدر راحلته » فاجابه الملك حتى افحمه . وانشد الحارث قصيدته التى مطلعها :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وكانت هند أم عمرو صاحب الحيرة تسمع فقالت « تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » فقال الملك « ارفعوا ستراً وادنوا الحارث » حتى اذا أزيلت الستور السبعة أقعده الملك قريباً منه وبالغ في اكرامه وضرب بالحارث المثال بالفخر فقيل « أفخر من الحارث

ابن حلزة » وخصوصاً لانهم يزعمون انه قالها ارتجالا وذلك بعيد لانه ذكر فيها عدة من أيام العرب عير ببغضها بنى تغلب تصريحاً وعرض ببعضها لعمرو بن هند فهي من قبيل الملاحم في وصف الوقائع

وللحارث غير معلقته أبيات قليلة منشورة مع أخباره في الاغاني ١٧٧ ج ٩ وشرح القصائد العشر ١٢٥ والشعر والشعراء ٩٦ وشعراء النصرانية ٤١٦ وفي سائر كتب الادب

٨ — طرفة بن العبد

توفي سنة ٥٠٠ م

هو أبو عمرو طرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة ابن اخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمس وقد نبغ في الشعر من حداثته حتى صار يعد من الطبقة الاولى وتوفي صغير السن . ومع كونه من المقلين فان أشعاره كانت معول أصحاب اللغة فى الاستشهاد وكان في صباه عاكفاً على الملاهي يعاقر الخمر وينفق ماله عليها ولكن حبه في قومه جعله جريئاً على الهجاء ومات أبوه وهو صغير فأبى أعمامه ان يقسموا ماله وظلموا حقاً لامه وردة فنظم في هجائهم قصيدة ابدع فيها مطلعها

ما تنظرون بحق وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب

واشتهر بالاكثر بمعلقته . ويقال في سبب نظمها إن أخاه معبداً كانت له ابل ضلت فذهب أخوه طرفة الى ابن عمه مالك أن يعينه في طلبها فلامه وانتهره وقال « فرطت فيها ثم اقبلت تتعب في طلبها » فهاجت قريحة طرفة فقال معلقته التى مطلعها

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم في ظاهر اليد

وفيها يشبه حدوج حبيبته بالسفن السابحة في الماء ثم يصف ناقته وصفاً جميلا يوهمك لاول وهلة انه يصف حبيبته ولكنك لا تلبث أن ترى وصفه الدقيق لكل عضو من أعضائها حتى ذيلها وقلبها ثم ينتقل الى الحكم والموعظة ثم العتاب يعاتب عمه على تعنيفه ويأسف لانه لا يقدر أن يرد تعنيفه لمقامه عنده

ولطرفة حديث مع عمرو بن هند صاحب الحيرة والمتلمس الشاعر كان سبباً لقتله . وذلك . ان طرفة كان في صباه معجباً بنفسه يتخلج في مشيته فمشى تلك المشية مرة بين يدى عمرو بن هند فنظر اليه نظرة كادت تبتلعه من مجلسه . وكان المتلمس حاضراً فلما قاما له المتلمس « يا طرفة انى أخاف عليك من نظرته اليك »

فقال طرفة « كلا » ثم انه كتب لهما كتابين الى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان فخرجا من عنده وسارا حتى اذا هبطا بارض قريبة من الحيرة رأيا فيها شيخاً دار بينهما وبينه كلام نبه المتلمس الى ما قد يكون في الكتاب الذي يحمله من الاذى . ولم يكن يعرف القراءة فاذا هو بغلام من أهل الحيرة يسقي غنيمة له من نهر الحيرة فقال له المتلمس « يا غلام أتقرأ » قال نعم قال « اقرأ هذه » فاذا فيها « باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعبر اذا أتاك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً » فالقى المتلمس الصحيفة في النهر وقال « يا طرفة معك والله مثلها » فقال « كلا ما كان ليكتب لى مثل ذلك » ثم أتى طرفة الى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً فضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسعى في حتفه بنفسه

وقد جمعت أشعار طرفة في ديوان طبع بشالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ مع ترجمة فرنساوية بعناية الموسيو سلكسن . وتجد أخبار طرفة مع بعض أقواله متفرقة في الاغاني وفي شرح المعلقات وأمثال الميداني وحياة الحيوان للدميرى ٢٠٩ ج ٢ والجمهره ٨٣ وفى ديوان الشعراء الستة الجاهليين وخزانة الادب ٤١٤ ج ١ والشعر والشعراء ٨٨ وفي شرح القصائد العشر ٣٠ وفي الحماسة وغيرها . وفي المجلة الاسيوية الفرنساوية Journal Asiatique لسنة ١٨٤١ مقاله عنه وعن المتلمس

٩ — عنترة بن شداد العبسى

توفى سنة ٦١٥ م

هو عنترة بن شداد من قبيلة عبس من قيس وهو من الشعراء الفرسان الشجعان وعشق فهاجت شاعريته واتسع خياله . وأخباره مدونة في قصته المشهورة لكن اكثرها موضوع من قبيل القصص الروائية . أما عنترة فلا شك في وجوده وله حروب وأشعار . والصحيح من خبره ان امه زبيبة كانت حبشية فلما أنجب ابنها وظهرت مواهبه اعترف به أبوه والحقه بنسبه على اصطلاحهم في ذلك العصر

وهو أحد أغربة العرب وأمهاتهم اماء وهم ثلاثة عنترة وخفاف بن عمير والسليك ابن السلكة . وشهد عنترة حرب داحس والغبراء وهو شاب ووقعت ملاحاة بينه وبين بنى عبس في ابل أخذها من حليف لهم اقتتلوا عليها . وحدثت حروب بين جديلة وفعل وكان عنترة مع جديلة فنصرهم فانتصروا فشكاه الثعلبون الى غطفان . ووقائعه كثيرة يشتبه فيها الصحيح بالموضوع وهم في اختلاف في سبب قتله . وأحب عبلة بنت عمه وهو يذكرها في اكثر أشعاره

ولعنترة أشعار كثيرة تدخل في ديوان كبير والرواة مختلفون فى ما هو له وما هو موضوع . ومما هو ثابت له المعلقة التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم عرفت الدار بعد توهم

ويقال في سبب نظمها أنه جلس يوماً في مجلس بعد ما كان قد ابلى واعترف به أبوه واعتقه فسابه رجل من بنى عبس ذكر سواده وأمه واخوته . فسبه عنترة وفخر عليه وقال فيما قال له « اني لاحضر البأس وأوفى المغنم وأعف عند المسئلة وأجود بما ملكت يدي وأفصل الخطة الصماء » قال له الرجل « انا أشعر منك » قال « ستعلم ذلك » فقال عنترة يذكر قتل معاوية بن نزال وهي أول كلمة قالها

فبدأ بذكر الديار ديار عبلة وخاطبها يشكو البعد والغرام ثم استأنف الى الفخر والحماسة . وأكثر الرواة ينكرون ان يكون مطلع المعلقة له ومنهم الاصمعي وابن الاعرابي وكلهم يقولون إن أول المعلقة الحقيقى :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمى

ومن غرر القصائد المنسوبة اليه قصيدة يذكر فيها واقعة يوم الفروق مطلعها :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وصف فيها الواقعة وافتخر . وله قصيدة فخمة يتوعد بها النعمان ويفتخر بقومه كلها حكم وحماسة مطلعها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وفي هـذا البيت من الحكمة البالغة ما ليس بعده غاية . ومن أقواله قصيدة يهدد بها عمارة والربيع ابني زياد العبسي معرضاً بذكر قومهما مطلعها :

لغير العلى مني القـلا والتجنب ولولا العلى ما كنت في العيش أرغب

وغير هذه شيء كثير يراجع في ديوانه وفيه معان لم يسبق اليها منها قوله في التشبيه :

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الاجذم

وقوله :

واذا شربت فانني مستهلك مالى وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

ومن ذلك قوله :

اني امرؤ من خير عبس منصبا شطرى واحمى سائرى بالمنصل
واذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من معم مخول

يقول النصف من نسبي في خير عبس واحمي النصف الآخر وهو نسبه في السودان بالسيف فاشرفه أيضاً ومن أحسن شعره قوله :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل لابد ان اسقى بذاك المنهل
فاقني حياءك لا أبالك واعلمي اني امرؤ سأموت ان لم أقتل
ان المنية لو تمثل مثلت مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

ومن إفراطه قوله :

وانا المنية في المواطن كلها والطعن مني سابق الآجال

وفي هذه يفخر باخواله من السودان إذ يقول :

اني لتعرف فى الحروب مواطنى في آل عبس مشهدي وفعالى
منهم ابي حقاً فهم لى والد والام من حام فهم اخوالى

وأشعار عنترة كلها واردة في قصته وقد أفردها بعضهم في ديوانه على حدة وطبع في بيروت بغير تحقيق مما هو له وما ليس له . وقد وردت اخباره في الاغانى ١٤٨ ج ٧ والشعر والشعراء ١٣٠ وشعراء النصرانية ٧٩٤ والجمهرة ٩٢ وخزانة الادب ٦٢ ج ١ والعقد الفريد ٣٤ ج ١ وشرح القصائد العشر ٩٠ وترجماه في السنة الخامسة من الهلال . وللمستشرق الالماني توربكى Thorbeck كتاب بشأنه طبع في هيدلبرج سنة ١٨٦٨

قصة عنتر

أما قصته فقد اختلفوا في واضعها ويظهر إما أنها وضعت بالتدريج ومعنى ذلك انهم توسعوا بها وأضافوا اليها رويداً رويداً حتى بلغت ما هي عليه الآن . وكان من عادة المسلمين في صدر الاسلام أن يستنهضوا همم الجند للحرب بتلاوة أخبار الشجعان فرسانهم الجاهليين وقد رأيناهم يفعلون ذلك في القرن الاول للهجرة في زمن الحجاج بن يوسف سنة ٧٧ فى الواقعة التى قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء وزهر ابن حوبة . ذكر ابن الاثير ان عتابا سار في اصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم ثم قال « أين القصاص » فلم يجبه أحد فقال « أين من يروي شعر عنترة » فلم يجبه أحد الخ

فكانوا أولا يروون اشعار عنترة للتحميس ثم صاروا يجمعون اخباره وأحاديثه ويتناقلونها رواية عن الاصمعى وهي تتسع حتى جمعت بمصر في أواخر القرن الرابع للهجرة في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمى وقد جاء في سبب جمعها وتدوينها ان رجلا اسمه الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بباب العزيز بالله فاتفق ان حدثت ريبة في دار العزيز لهجت الناس بها في المنازل والاسواق فساء العزيز ذلك وأشار الى الشيخ يوسف المذكور ان يطرف الناس بما عساه ان يشغلهم عن هذا الحديث . وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في اخبار العرب كثير النوادر والاحاديث وكان قد أخذ روايات شتى عن ابى عبيدة ونجد بن هشام وجهينة الاخبار والاصمعي وغيرهم من الرواة فأخذ يكتب قصة عنتر ويوزعها فى الناس فاعجبوا بها واشتغلوا عن سواها ومن تلطفه في الحيلة أنه قسمها الى ٧٢ كتابا والتزم في آخر كل كتاب ان يقطع الكلام عند معظم الامر الذي يشتاق القاريء والسامع الى الوقوف على تمامه . فلا يفتر عن طلب الكتاب الذي يليه فاذا وقف عليه انتهى به مثل ما انتهى فى الاول وهكذا الى نهاية القصة . وقد اثبت في هذه الكتب ما ورد من اشعار العرب المذكورين فيها ولكن تداول النساخين افسدوا روايتها والقصة مشهورة ومطبوعة مراراً

١٠ ـ عبيد بن الابرص الاسدي

توفي سنة ٥٥٥ م

هو من بنى أسد من مضر من شعراء الطبقة الاولى قديم الذكر عظيم الشهرة لكن الباقي من شعره أقل من شهرته وكان عبيد لا يقول الشعر في صباه . وذكروا فى سبب ما بعثه على النظم انه كان ضيق الرزق قليل المال فاقبل ذات يوم بغنيمة له ومعه اخته ماوية ليوردا غنمهما فمنعه رجل من مالك وجبهه فانطلق حزيناً مهموما ثم ابتهل الى الله ان كان فلان ظلمنى ورماني بالبهتان فادلنى منه وانصرني عليه . ووضع رأسه فنام فرأى في المنام ان رجلا أتاه بكبة من شعر ألقاها في فيه ثم قال « قم » فقام وهو يرتجز واستمر بعد ذلك على قول الشعر حتى صار شاعر بني أسد غير مدافع فنظم قصيدته البائية وهي التى تعد من المعلقات مطلعها :

اقفر من اهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

وهي ٤٨ بيتاً نشرها التبريزي ملحقة بالمعلقات السبع مع قصيدتى الاعشى والنابغة في شرح القصائد العشر . وهو معدود من اصحاب المجمهرات عند صاحب

جمهرة اشعار العرب وجمهرته عنده هي نفس هذه المعلقة مع بعض التغيير (١)

وفى ايامه حكم حجر بن الحارث الكندي والد امرىء القيس على بني أسد كما تقدم وكان عبيد ينادمه فنظم فيه قصائد من جملتها قصيدة يغني بها مطلعها :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من أم عمرو ولم يلمم بميعاد

وأبى بنو أسد مرة ان يدفعوا الاتاوة لحجر وقتلوا رسله فغضب وحاربهم وأباح أموالهم وأخرجهم الى تهامة وحبس بعض سادتهم وفيهم عبيد بن الابرص . فذهب منهم وفد اليه وجاء عبيد فوقف وأنشد قصيدة جاء فيها :

ومنعتهم نجداً فقد حلوا على وجل تهامه
برمت بنو اسد كما برمت ببيضتها الحمامه
جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامه
مهما تركت تركت عفواً أو قتلت فلا ملامه
انت المليك عليهم وهم العبيد الى القيامه
ذلوا لسوطك مثل ما ذل الاشيقر ذوالحزامه

فأطلق حجر سبيلهم . ثم سارت اسد ثانية عليه وقتلوه كما ذكرناه في ترجمة امرىء القيس . وغضب امرؤ القيس ولم يقبل منهم دية أبيه وتوعدهم فقال عبيد قصيدة مطلعها :

يا ذا المخوفنا بقتـ ـل أبيه اذلالا وجبنا
وزعمت انك قد قتلـ ـت سراتنا كذباً ومينا

وعمر عبيد طويلا حتى قتله المنذر بن ماء السماء في حديث خلاصته أن المنذر قتل نديمين له من بني أسد وهو غضبان فلما أصبح ندم فبنى على قبريهما ضريحين سماهما الغريين وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما هناك ـ أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس . فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مئة من الابل وأول من يطلع عليه في يوم البؤس يقتله ويطلي بدمه الغريين . فاتفق لعبيد انه اتاه في يوم بؤسه فقتله وهذا الحديث يشبه ما ذكروه عن حنظلة والنعمان لكن في حادثة حنظلة يمثل الوفاء أحسن تمثيل إذ يطلق النعمان حنظلة بضمانة على ان يغيب سنة ثم يعود ليقتل فلما حان الوقت جاء وسأله النعمان عما حمله على المجيء بعد أن نجا بنفسه فقال الوفاء

(١) الجمهرة ١٠٠

فلعل الاصل فيها قصة عبيد فزاد عليها العرب وعد حنظلة ووفاءه ليمثلوا بها الوفاء على نحو ما كان يفعل اليونان في الروايات التمثيلية (درام) وقد أشرنا الى ذلك قبلا

ومن أحاسن شعر عبيد قصيدته الدالية التى مطلعها :

أمن دمنة اقوت بجوة صرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدد

وفيها حكم وحماسة وفخر

ولعبيد ديوان تحت الطبع على يد لجنة تذكار جيب بانكلترا مع ديوان عامر بن الطفيل بتصحيح المستشرق لايل Lyall

وتجد أخبار عبيد في الاغاني ٨٤ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٤٣ وشعراء النصرانية ٥٩٦ والجمهرة ١٠٠ وفي مجمع الامثال للميداني ومعجم البلدان والعمدة ومعجم البكرى وغيرها

المعلقات والمستشرقون

وقد عنى غير واحد في شرح المعلقات وان اختلفوا في عددها كما تقدم . وعنى جماعة من علماء أوربا المستشرقين فى ترجمتها وشرحها . أشهر من فعل ذلك منهم وليم جونس W. Johes الانكليزي فقد نشرها مع ترجمة وشرح فى لندن سنة ١٧٨٣ وأبل Abel النمساوي ترجمها الى النمساوية ونشرها مع الاصل العربى في برلين سنة ١٨٩١ . ثم جنسن Johnson الانكليزى ترجمها الى الانكليزية ونشرها في لندن سنة ١٨٩٤ . مع مقدمة للشيخ فيض الابهى . وقد كتب عنها وعن غيرها من شعر الجاهلية لايل Lyall المذكور كتابا طبع في لندن سنة ١٨٨٥ ونولدكي Nœldede الالمانى وغيرهما

اشهر شعراء الجاهلية

بعد اصحاب المعلقات

١ ـ الشعراء الامراء

ان الشعراء من الملوك والامراء بضعة عشر شاعراً منهم اثنان من أصحاب المعلقات هما امرؤ القيس وعمرو بن كلثوم وقد ترجمناهما واليك من بقى :

١ ـ الافوه الاودى

توفي سنة ٥٧٠

هو صلاءة بن عمرو من أود وينتهي نسبة الى مذحج من قبائل اليمن . وكان سيد قومه وقائدهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وله قصيدة دالية تدل على حكمة وصدق نظر منها قوله :

ان النجاء اذا ما كنت في نفر ... من اجة الغى ابعاد فابعاد
والخير تزداد منه ما لقيت به ... والشر يكفيك منه قل ما زاد
والبيت لا يبتنى الا له عمد ... ولا عماد اذا لم ترس أوتاد
فان تجمع أوتاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الامر الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة اذا جهالهم سادوا
تهدا الامور باهل الرأي ما صلحت ... فان تولت فبالاشرار تنقاد
اذا تولى سراة الناس امرهم ... نما على ذاك امر القوم فازدادوا

ومن حماسياته قوله :

نقاتل اقواماً فنسبي نساءهم ... ولم يردوا غيراً لنسوتنا حجلا
نقود ونأبى ان نقاد ولا ترى ... لقوم علينا في مكارمة فضلا
وانا بطاء المشي عند نسائنا ... كما قيدت بالصيف نجدية بزلا

وقد جمعت اقواله فى الاغاني ٤٤ ج ١١ وشعراء النصرانية ٧٠ والشعر والشعراء ١١٠ وله ابيات متفرقة في كتب الادب ونحوها وليس له ديوان مجموع

٢ ـ المهلهل بن ربيعة

توفي سنة ٥٣١ م

هو عدى بن ربيعة التغلبي أخو كليب من نجد من الطبقة الاولى وهو خال امرىء القيس الشاعر الملك . وكان المهلهل فصيحاً شديد البأس في الحروب وقد شهد حرب يوم السلان مع أخيه كليب وابلى بلاء حسناً . وكان المهلهل في أول أمره صاحب لهو كثير المحادثة للنساء فسماه أخوه كليب « زير النساء » أى جليسهن ولم يكن يرجو منه خيراً . فلما قتل كليب في أمر البسوس المشهور (١) كان المهلهل يعاقر الخمر فهاجه مقتل أخيه وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثأر وجز شعره

(١) اقرأ تفصيله في كتابنا « العرب قبل الاسلام » صفحة ٢٣٢

وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب ونهض للحرب . وما أشبه عمله هذا بعمل ابن اخته امرىء القيس . ولعل هـذا ورث الشاعرية من خاله لان كليهما وصاف ومستنبط . وطالت الحروب بين بكر وتغلب نحو اربعين سنة كان النصر فيها سجالا ثم تصافوا واصطلحوا

وكان المهلهل في أثناء ذلك يقول الشعر على مقتضيات الاحوال بين فخر وحماسة وغيرهما . فمن ذلك قوله يوم علم بمقتل أخيه وجاء الى قومه فرأى النساء يبكين فقال « استبقين للبكاء عيوناً الى آخر الابد » وقال وهو أول شعره :

كنا نغار على العواتق إذ ترى ... بالامس خارجة عن الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسراً ... مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا ... إذ حان مصرعه من الاكفان
يخمشن من ادم الوجوه حواسرا ... من بعده ويعدن بالازمان
متسلبات نكدهن وقد ورى ... أجوافهن بحرقة ورواني

ثم تخلص الى الرثاء والوعيد بالاثار . ومن مراثيه بأخيه قوله من قصيدة :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها ... ان انت خليتها في من يخليها
كليب أي فتى عز ومكرمة ... تحت السفاسف إذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليباً لى فقلت لهم ... مادت بنا الارض أم مادت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت ... وحالت الارض فانجابت بمن فيها

ومن اقواله قصيدته المعدودة من المنتقيات ومطلعها :

حلت ركاب البغي من وائل ... في رهط حساس ثقال الوثوق

والعرب تسميها الداهية . وقد وضع القصاصون قصة حماسية بطلها المهلهل وتعرف بقصة الزير كما وضعوا قصة عنترة ولكنها متأخرة وعبارتها أقرب الى العامية وللمهلهل ذكر في تاريخ الشعر العربي فانه أول من طول قصائده كما تقدم

وقد جمعت أشعاره في ديوان وهو أقدم شاعر جمع له ديوان ولم يصل الينا هذا الديوان . ولكن بعض المعاصرين جمع له ديواناً أخذه من اقواله في كتب الادب وغيرها ولم نقف عليه . ولكنك تجد معظم أشعاره في الاغاني ١٤٨ ج ٤ وخزانة الادب ٣٠٠ ج ١ والشعر والشعراء ١٦٤ والجمهرة ١٦٥ وفي تاريخ ابن الاثير ومعجم ياقوت ومعجم البكري وشعراء النصرانية ١٦٠ وفي ديوان الحماسة وغيرها

٣ ـ عبد يغوث

توفي سنة ٥٨٠ م

هو عبد يغوث بن صلاءة من بني الحارث بن كعب من كهلان . كان فارساً سيداً لقومه وكان قائدهم في يوم الكلاب الثانى الى بني تميم وقد أسر يومئذ وقتل . وهو عريق في الشاعرية ونبغ من أهله غير شاعر وكلهم فحول . وأحسن شعره قصيدة قالها وهو يتأهب للموت وكان قد أسر وشد لسانه بنسعة وخيروه في الطريقة التى يريد ان يقتل عليها فقال : « اسقونى الخمر ودعوني أنح على نفسي » فسقوه وقطعوا له عرق الاكحل وتركوه ودمه ينزف ومعه ابناه فجعلا يلومانه على ما اركبهما من المشاق فنظم هذه القصيدة ومطلعها :

ألا لا تلومانى كفى اللوم ماببا ... فما لكما فى اللوم نفع ولا ليا

ومنها قوله :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا لى لسانيا
أمعشر تيم قدملكتم فاسجحوا ... فان أخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلونى تقتلوني سيداً ... وان تطلقونى تحربوني بما ليا
أحقاً عباد الله ان لست سامعاً ... نشيد الرعاء المعزبين المتاليا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل ال ... مطى وأمضى حيث لاحى ماضيا
وأنحر للشرب الكرام مطيتى ... وأصدع بين القينتين ردائيا
وعادية سوم الجراد وزعتها ... بكفى وقد أنحوا الى العواليا
كأنى لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيلي كري نفسي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل ... لايسار صدق أعظموا ضوء ناريا

وأخباره في الاغانى ٧٣ ج ١٥ وخزانة الادب ٣١٧ ج ١ وشعراء النصرانية ٧٥ والكامل لابن الاثير ومعجم البلدان وغيرها

٤ ـ زهير بن جناب

توفي سنة ٥٠٠ م

هو زهير بن جناب الكلبي من قضاعة وهو من مشاهير أمراء العرب في الجاهلية ولد في آخر القرن الرابع للميلاد وعمر طويلا ربما بلغ عمره ١٥٠ سنة وله حروب

كثيرة مع قبائل العرب وتولى الامارة على بكر وتغلب لصاحب اليمن وما زال عليهم حتى حاولوا الاستقلال من اليمن كما تقدم

ولما كبر زهير وشاخ ثقلت همته وكف بصره وظل مع ذلك مقدماً عند ملوك اليمن والشام . وكان الغساسنة يستشيرونه حتى توفي نحو سنة ٥٠٠ وهو من أقدم الشعراء وأجودهم ولم يصلنا من شعره الا القليل . هذه أمثلة منه فى الحماسة :

أبى قومنا أن يقبلوا الحق فانتهوا اليه وانياب من الحرب تحرق
فجاءوا الى رجراجة مستميرة يكاد المرئى نحوها الطرف يصعق
دروع وأرماح بأيدى أعزة وموضونة مما افاد مخرق
وخيل جعلناها دخيل كرامة عقاراً ليوم الحرب تحفى وتغبق
فما برحوا حتى تركنا رئيسهم يعفر فيه المضرحى المذلق

ويقال انه صاحب البيت المشهور :

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

وجاءت اخباره في الاغاني ١٧ ج ٣ والشعر والشعراء ٢٢٣ وشعراء النصرانية ٢٠٥ وأمثال الميداني وغيرها

٥ ـ عامر بن الطفيل العامرى

توفي سنه ٦٣٣ م

هو ابن عم لبيد الشاعر وكان فارس قيس وسيدهم . وكان عقيما لا يولد له ومن جيد شعره في الحماسة قوله :

وما الارض الا قيس عيلان أهلها لهم ساحتاها سهلها وحزومها
وقد نال آفاق السموات مجدنا لنا الصحو من آفاقها وغيومها

ومن قوله في الفخر :

فاني وان كنت ابن فارس عامر وسيدها المشهور في كل موكب
فما سودتنى عامر من وراثة أبى الله ان أسمو بأم ولا أب
ولكنني احمى حماها وأتقى اذاها وارمى من رماها بمنكب

ولعامر المذكور ديوان أخذت في نشره لجنة تذكار جيب الانكليزية مع ديوان عبيد بن الابرص بعناية المستشرق لايل Lyall . وله أخبار في الشعر والشعراء ١٩١ والاغاني ٤٦ ج ١٠ وخزانة الادب ٤٩٢ ج ٣

٦ ـ ابو قيس بن الاسلت

هو عامر بن جشم من الاوس وهو سيدهم أسندوا اليه حروبهم وجعلوه رئيساً عليهم في حرب يوم بغاث فقام بها خير قيام . ومن شعره قوله في امرأة خفرة :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن اتياتهن فتعذر
وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهو من اصحاب المذهبات ومطلع مذهبته :

قالت ولم تقصد لقول الخنى مهلا فقد ابلغت اسماعى

وأخباره فى الاغانى ١٦٠ ج ١٥ والجمهرة ١٢٦

٧ ـ الحصين بن الحمام

توفي سنة ٦٢١ م

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة سيد بنى سهم بن مرة من قيس وكان يعرف بمانع الضيم . وأحسن ما وصل الينا من أقواله قصيدة حماسية فخرية قالها على أثر نصر في موضع يقال له دائرة موضوع مطلعها :

جزى الله افناء العشيرة كلها بدارة موضوع عقوقاً ومأثما

وهي من جملة المفضليات التى اختارها المفضل الضبي . أخباره في الاغانى ١٢٣ ج ١٢ والشعر والشراء ٤١٠ وشعراء النصرانية ٧٣٣ والسيرة النبوية لابن هاشم والحماسة والعمدة

٨ ـ قيس بن عاصم

من تميم ويكنى أبا على وهو شاعر فارس شجاع حكيم كثير الغارات مظفر في غزواته ادرك الجاهلية والاسلام وساد فيهما . وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية وله حديث عن احدى بناته يؤثر في النفس(١) وكان مشهوراً بالكرم لا يستطيع الاكل وحده . ومن نظمه فى ذلك قوله وقد جاءته امرأته بالطعام :

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له اكيلا فاني لست آكله وحدي
أخا طارقاً أو جار بيت فانني اخاف ملامات الاحاديث من بعدي

(١) اقرأه فى الاغانى ١٥٠ ج ١٢

واني لعبد الضعيف من غير ذلة وما بى الا تلك من شيم العبد

وعنه يروون وصية أوصى بها أولاده وضرب لهم مثل الاتحاد ان الرماح اذا ضمت معاً يعسر كسرها واذا تفرقت كسرت

وأخبار قيس فى الاغاني ١٤٩ ج ١٢ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣ والمستطرف ٩٧ ج ١ والعقد الفريد ١٦٤ ج ١

ومن الشعراء الامراء أيضاً .

٩ - ورقاء بن زهير الغطفاني سيد بني عبس ترجمته في الاغاني ٨ ج ١٠

١٠ - حجر بن عمرو والد امرىء القيس « « شعراء النصرانية ص ١

١١ أمية بن الاسكر التيمى (مضر) « « الاغاني ١٥٦ ج ١١

١٢ منظور بن زبان سيد فزارة وقائدهم « « الاغانى ٥٥ ج ١١

١٣ الاخنس بن شهاب من سادات تغلب « « شعراء النصرانية ١٨٤

١٤ دريد بن الصمة (توفي سنة ٦٣٠) من هوازن سيد جشم وهو من أصحاب المنتقيات . ترجمته في الاغاني ٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٤٧٠ وشعراء النصرانية ٧٥٢ والجمهرة ١١٧

وقد ذكرنا بجانب كل واحد من هؤلاء المأخذ الذي يمكن الرجوع اليه في مطالعة خبره أو أمثلة من شعره ولهم أخبار وأشعار ايضاً في سائر كتب الادب . وخصوصاً الشعر والشعراء والحماسة

٢ - الشعراء الفرسان

هم اكثر شعراء الجاهلية لان الفروسية والحرب من طبائع أهل البادية وقل من الشعراء من لم يركب أو يغزو . ولكننا اختصصنا في هذا الفصل من غلبت عليهم الفروسية وفيهم الفرسان المشهورون وغير المشهورين وهم نحو ٤٠ فارساً لو أردنا ايراد تراجمهم لاستغرق ذلك مكاناً كبيراً مع قلة الحاجة الى التفصيل فى هذا المقام . فنكتفي بذكر الاشهر منهم أو من كان له ديوان محفوظ يمكن الرجوع اليه ونكتفى في من بقى منهم بذكر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم وهاك تراجم الاشهر

١ - ابو محجن الثقفي

توفي سنة ٦٥٠ م

هو فارس شجاع ينسب الى ثقيف وكان مولعاً بالشراب وقد أدرك الاسلام

فهو مخضرم وحبسه سعد بن أبي وقاص لشرب الخمر . واتفق بعد قليل ان المسلمين أصابهم جهد في القادسية وكان عند أم ولد لسعد المذكور فهاجت حماسته ونظم هذه الابيات :

كفى حزناً ان تطعن الخيل بالقنا واترك مشدوداً على وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وغلقت مغاليق من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير واخوة فقد تركوني واحداً لا اخاليا
هلم سلاحي لا أبالك انني أرى الحرب لا تزداد الا تماديا

ثم احتالت أم ولد سعد المذكورة فى اطلاق سراحه . ومن قوله في حب الخمر:

اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني أخاف اذا ما مت ان لا أذوقها

ولابي محجن ديوان شعر مطبوع فى ليدن سنة ١٨٨٧ ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وأخباره متفرقة في الشعر والشعراء ٢٥١ وخزانة الادب ٥٥٣ ج ٣ وفي الاغانى وغيره

٢ ـ الاغلب العجلى

توفي سنة ٦٤٣ م

هو الاغلب بن عمرو من جشم من بني عجل من ربيعة . وهو أحد المعمرين في الجاهلية وأدرك الاسلام واسلم . وكان في جملة من توجه الى الكوفة مع سعد ابن أبى وقاص ومات في واقعة نهاوند سنة ٢١ ﻫ وهو أول من رجز الاراجيز الطوال فقد كان العرب ينشدون الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة فتأتى منه بابيات يسيرة . فالاغلب أول من قصد الرجز واطاله ثم سلك الناس طريقته. والاسلام لم يمنعه من النظم كما منع لبيداً وقد تقدم خبر ذلك في ترجمة لبيد . ولم نقف له على شعر أو خبر غير ما في الاغانى ١٦٤ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٨٩ وخزانة الادب ٣٣٣ ج ١

٣ ـ حاتم الطائى

توفي سنة ٥٠٦ م

هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طى ويكنى ابا سفانة . وهو من أجواد العرب وله أخبار في السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الامثال فيقال « أجود من حاتم

طَيِّئ وكانت والدته من أسخى النـاس حتى اضطر اخوتها ان يحجروا على أموالها خوفاً من تبذيرها . وكانت ابنته سفانة سخية أيضاً فكان أبوها يعطيها القطعة بعد القطعة من ابله فتهبها للناس . وكان حاتم مع ذلك شاعراً وشجاعاً ويشبه جوده شعره . واذا قاتل غلب واذا غنم انهب واذا سابق سبق . وكان اذا أهل الشهر الاصم الذى كانت مضر تعظمه بالجاهلية وتنحر له ينحر في كل يوم عشرة من الابل فيطعم الناس . وكانت الشعراء تفد عليه كالحطيئة وبشر بن أبي خازم . ويروون عن سخاء حاتم وقائع أشبه أن تكون موضوعة أو مبالغاً فيها لتمثيل فضيلة السخاء وتحبيبها الى الناس من قبيل الشعر التمثيلى وقد أشرنا الى ذلك في كلامنا عن أقسام الشعر عند اليونان ـ ومن أقواله في السخاء .

أماوى قد طال التجنب والهجر وقد غدرتني في طلابكم الغدر
أماوى ان المـال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى اني لا اقول لسائل اذا جاء يوماً حل فى مالنا النذر
أماوي اما مانع فمبين واما عطاء لا ينهنهه الزجر
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذحشرجت يوماً وضاق بها الصدر

وقوله :

اذا كان بعض المال رباً لاهله فاني بحمد الله مالى معبد

أخذه حطائط بن يعفر فقال :

ذرينى اكن للمال رباً ولا يكن لى المال رباً تحمدى غبه غدا
أرينى جواداً مات هزلا لعلني أرى ما ترين أو بخيلا مخلداً

ويستحسن له قوله :

ألا أبلغا وهم بن عمرو رسالة فانك انت المرء بالخير أجدر
رأيتك أدنى من اناس قرابة وغيرك منهم كنت احبو وانصر
اذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن انت الذي يتأخر

ولحاتم ديوان مطبوع في لندن سنة ١٨٧٢ بعناية المرحوم رزق الله حسون وطبع ايضاً فى بيروت . واخباره منثورة فى الاغانى ٩٦ ج ١٦ والشعر والشعراء ١٢٣ وخزانة الادب ٤٩٤ ج ١ والمستطرف ١٣٧ ج ١ والعقد الفريد ٨١ ج ١ وشعراء النصرانيه ٩٨

٤ ـ زيد الخيل

هو زيد بن مهلهل من طى وكان رجلا جسيما طويلا جميلا فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصوت في الجاهلية وادرك الاسلام ووفد على النبى فسر به ولقبه وقرظه وسماه زيد الخير . وهو شاعر مقل لانه انما كان يقول الشعر في مفاخراته ومغازيه وايادیه عند من مر عليه وأحسن في قراه اليه . وقد سمى زيد الخيل لكثرة خيله يوم لم يكن لسواه من العرب الا الفرس والفرسان فكانت له خيل كثيرة . منها المسماة المعروفة التى ذكرها في شعره وهي ستة : الهطال والكميت والورد وكامل ودوول ولاحق . وله في كل منها شعر وكان له ثلاثة بنين كلهم شاعر واكثر أشعاره فى الحماسة والفخر وذكر المواقع والطعن والضرب كقوله :

انا لنكثر فى قيس وقائعنا ... وفي تميم وهذا الحي من اسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له ... صدر القناة بماضى الحد مطرد
لما أحس بان الورد مدركه ... وصارماً وربيط الجأش ذا لبد
نادى الى بسلم بعد ما أخذت ... منه المنية بالحيزوم واللغد
ولو تصبر لى حتى اخالطه ... اسعرته طعنة كالنار بالزبد

وجرت بينه وبين بعض القبائل معركة أسر فيها الحطيئة الشاعر فحبسه وضيق عليه وقال في ذلك :

اقول لعبدى جرول إذ أسرته ... اثبني ولا يغررك انك شاعر
انا الفارس الحامي الحقيقة والذى ... له المكرمات واللهى والمآثر
وقومى رءوس الناس والرأس قائد ... اذا الحرب شبتها الاكف المساعر
فلست اذا ما الموت حوذر ورده ... وانزع حوضاه وحمج ناظر
بوقافة يخشى الحتوف تهيباً ... يباعدني عنها من القب ضامر
ولكنني أغشى الحتوف بصعدتي ... مجاهرة ان الكريم يجاهر
واروى سنانى من دماء عزيزة ... على أهلها اذ لا ترجى الاياصر

ولا نعرف لزيد الخيل ديواناً مجموعاً ولكن أخباره منثورة فى الاغاني ٤٧ ج١٦ والشعر والشعراء ١٥٦ والدميرى ٢٠١ ج ١ وخزانة الادب ٤٨٨ ج ٢

٥ ـ سلامة بن جندل التميمي

توفي سنة ٦٠٨ م

هو شاعر جليل من قدماء الشعراء وكان من فرسان تميم المعدودين واخوه احمر مثله . شعره سلس يستشهد به اهل اللغة لمتانته وكان معاصراً لعمرو بن هند صاحب الحيرة والنعمان ابي قابوس وله فيهما أشعار ومن أحسن شعره قصيدته التي مطلعها :

يا دار أسماء بالعلياء من إضم بين الدكادك من قوة فمصوب
كانت لنا مرة داراً فغيرها مر الرياح بسافي الترب مجلوب

وترى امثلة من شعره في كتاب الشعر والشعراء ١٤٧ وشعراء النصرانية ٤٨٦ وخزانه الادب ٨٦ ج ٢ ومعجم البلدان

٦ ـ علقمة الفحل

هو علقمة بن عبدة من تميم وكان معاصراً لامرىء القيس وينازعه الشعر وتحاكما الى أم جندب زوجة امرىء القيس فقالت لهما انظما قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة تصفان بها الخيل . فنظم امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خليلي مرا بي على ام جندب لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

ونظم علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وانشداها القصيدتين فحكمت لعلقمة لان امرأ القيس قال في وصف مرعة الفرس :

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اهوج منعب

وقال علقمه :

فادركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

وحكمها ان امرأ القيس اجهد فرسه بسوطه وساقه اما علقمة فان فرسه ادرك طريدته وهو ثان عنانه . فغضب امرؤ القيس وطلق امرأته فتزوجها علقمة ومن جيد شعره قوله :

فان تسألوني بالنساء فانني بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

ولعلقمة ديوان مطبوع فى ليبسك سنة ١٨٦٧ مع تعاليق بعنايه البرت سوسين Socin وطبع في بيروت في بضع عشرة صفحة · وله اخبار متفرقة في خزانة الادب ٥٦٥ ج ١ والاغانى ١٢٨ ج ٧ وشعراء النصرانية ٤٩٨ والشعر والشعراء ١٠٧ والعمدة وسائر كتب الادب

٧ ـ عمرو بن معدى كرب

توفي سنة ٦٤٣ م

هو من زبيد من مذحج (كهلان) فارس من فرسان اليمن أو هو فارس اليمن ويقدمونه على زيد الخيل في البأس وقد أدرك الاسلام وأسلم وجاهد حتى مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب وهو ممن يصدق عن نفسه فى شعره فلا يفاخر بالمحال ومن ذلك قوله :

ولقد اجمع رجلى بهـا حذر الموت واني لفرور
ولقـد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت هرير
كل ما ذلك منى خلق وبكل انا في الروع جدير

ومن أشعاره الذاهبة مذهب الامثال قوله :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع
رصله بالزماع فـكل أمر سما لك أو سموت له ولوع

وأخباره في الاغانى ٢٥ ج ١٤ والشعر والشعراء ٢١٩ وخزانة الادب ٤٢٥ ج ١ والمستطرف ١٧٩ ج ١

٨ ـ قيس بن الخطيم

توفي سنة ٦١٢ م

هو شاعر فارس من الاوس اعتدى رجل من الخزرج على أبيه وهو غلام فقتله وعلم ان جده قتله رجل من عبد القيس فلما عرف موضع ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم فظفر بقاتل أبيه في يثرب فقتله وظفر بقاتل جده في ذى المجاز ولـكنه رآه في ركب عظيم فاستنجد خراش بن زهير فنهض معه بنى عامر حتى أتوا القاتل فطعنـه قيس بحربة قتلته وفر . فاراد رهط الرجل أن يتبعوه فمنعهم بنو عامر وبذلك يقول قيس :

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ولاية اشياخ جعلت ازاءها

ضربت بذى الزجين ربقة مالك فابت بنفس قد أصبت شفاءها
وسامحنى فيها ابن عمرو بن عامر خراش فأدى نعمة وافادها
طعنت ابن عبدالقيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفى فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

وهو معدود من أصحاب المذهبات ومطلع مذهبته :

أتعرف رسما كالطراز المذهب لعمرة وحشاً غير موقف راكب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ومن أقواله فى الفخر :

ونحن الفوارس يوم الربيـ ع قد علموا كيف فرسانها

ولقيس بن الخطيم ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وله أخبار متفرقة في كتب الادب وخصوصاً الاغاني ١٥٩ ج ٢ والجمهرة ١٢٣

سائر الشعراء الفرسان

ومن الشعراء الفرسان أيضا طائفة أخبارهم قليلة أو ليس لهم دواوين محفوظة فنكتفى بذكر المآخذ التى يمكن الرجوع اليها في تراجمهم واخبارهم :

	اسم الشاعر	اسم المآخذ
٩	أحيحة بن الجلاح (توفي سنة ٥٦١م) من الاوس ومن أصحاب المذهبات	الاغاني ١١٩ ج ١٣
١٠	جحدر بن ضبيعة من بكر وائل (٥٣٠)	شعراء النصرانية ٢٦٨
١١	افنون هو صريم بن معشر من تغلب	« « ١٩٢ والشعر والشعراء ٢٤٨
١٢	بسطام بن قيس الشيباني من بكر	« « ٢٥٦
١٣	جابر بن حنى التغلبي (٥٦٤)	« « ١٨٨
١٤	الحارث بن الطفيل وفد على كسرى	الاغاني ٥٣ ج ١٢
١٥	خفاف بن ندبة السلمي من قيس	الاغانى ١٣٩ ج ١٦ وخزانة الادب ٨١ ج ٢
١٦	ذو الاصبع العدوانى (٦٠٢)	الاغاني ٢ ج ٣ وخزانة الادب ٤٠٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٦٢٥
١٧	الربيع بن زياد العبسى (٥٩٠)	الاغانى ٢٠ ج ١٦ وشعراء النصرانية ٧٨٧
١٨	زهير التميمى من أشرف مازن	الاغاني ١٥٦ ج ١٩
١٩	الحارث بن عباد من بكر بن وائل	شعراء النصرانية ٢٧٠

اسم الشاعر		اسماء المآخذ
٢٠ صخر بن عبد الله من هذيل		الاغانى ٢٠ ج ٢٠
٢١ العباس بن مرداس وأخوه سراقة		الشعر والشعراء ١٦٦ ج و ٤٦٧ والاغانى ٦٤ ج ١٣ وخزانه الادب ٧٣ ج ١
٢٢ عبدة بن الطبيب	تميم	الاغاني ٦٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٤٥٦
٢٣ سويد بن أبي كاهل	يشكر	الاغاني ١٧١ ج ١١ وشعراء النصرانية ٤٢٥ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٤ عمرو بن العجلان	هذيل	الاغاني ٢٢ ج ٢٠
٢٥ الفند الزماني (٥٣٠)	بكر	الاغاني ١٤٣ ج ٢٠ وخزانة الادب ٥٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٢٤١
٢٦ متمم بن نويرة من أصحاب المراثي		الاغاني ٦٦ ج ١٤ وابن خلكان ١٧٢ ج ٢ والشعر والشعراء ١٩٢ وخزانة الادب ٢٣٦ ج ١ والجمهرة ١٤١
٢٧ نبيه بن الحجاج	قريش	خزانة الادب ١٠١ ج ٣
٢٧ كعب بن سعد الغنوي	قيس	الخزانة ٦٢١ ج ٣ وشعراء النصرانية ٧٤٦

الشعراء الحكماء

نريد بالحكماء من الشعراء الذين كان لهم علم غير الشعر وكانت لهم حكمة وقد دخل بعضهم فى طبقة الشعراء الامراء وفي أصحاب المعلقات كالافوه الاودى وزهير بن أبي سلمى . ونحن ذاكرون فيما يلى من غلبت فيه الحكمة على سواها مع الشاعرية :

١ ـ أمية بن الصلت

توفي سنة ٦٢٤ م

يتصل نسبه بثقيف وكان عالما بغير العربية على ما يظهر فاطلع على كتب القدماء وخصوصاً التوراة وقد أورد فى شعره ألفاظاً غريبه لم تكن العرب تعرفها . وكان يسمى الله فى بعض اشعاره « السلطيط » وفي بعضها « التغرور » فربما اقتبسهما من الحبشية أو صاغهما على صيغ تلك اللغة . فالاحباش يسمون الله في اللغة الاحرية « اغزا بهر » فلعلها كانت قبلا اقرب الى لفظ التغرور . والسلطيط نظنها صيغة من

من تلك اللغة صاغ عليها اسما من السلطة (١)

وكان أمية مفطوراً على التدين فلقي في تجارته الى الشام بعض اهل الدين فزهد في الدنيا ولبس المسوح وتعبد . وقد ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ووصف الجنة والنار فى شعره وحرم الخمر وشك فى الاوثان وطمع في النبوة . وكان العرب ينتظرون نبياً يهديهم فكان يرجو ان يكون هو . فلما ظهر النبي أسقط في يده وقال « انما كنت أرجو ان اكونه » ولكنه ما انفك يختلف الى الديور والكنائس يجالس الرهبان والقسوس حتى غلب على ظن البعض انه مسيحي ومن قوله وفيه فلسفة :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنها مملوءة طبق الآفاق سلطانا
ألا نبي لنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا
بينا يربينا آباؤنا هلكوا وبينما نقتني الاولاد افنانا
وقد علمنا لو ان العلم ينقصنا ان سوف يلحق اخرانا باولانا

وله قصيدة يصف بها الله وملائكته مطلعها :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلاشيء أعلى منك مجداً وامجد

وبعد أن يصف العزة الالهية ومجلسها يصف الملائكة بقوله :

ملائكة اقدامهم تحت عرشه بكفيه لولا الله كلوا وامدوا
قيام على الاقدام عانين تحته فرائصهم من شدة الخوف ترعد
وسبط صفوف ينظرون قضاءه يصيخون بالاسماع للوحى ركد
امين لوحي القدس جبريل فيهم وميكال ذو الروح القوى المسدد
وحراس ابواب السماوات دونهم قيام عليها بالمقاليد رصد

وله عدة قصائد في حوادث التوراة كخراب سدوم وقصة اسحق وابراهيم .

وله قصيدة معدودة في المجمهرات مطلعها :

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزينب اذ تحل بها قطينا

وفي أشعاره معان وأساليب لم تكن العرب تعرفها أخذها من كتب غيره وأدخلها في شعره (٢)

واخباره في الاغانى ١٨٦ ج ٣ و٣ ج ٨ و٧١ ج ١٦ والدميرى ١٥٤ ج ٢ وخزانة الادب ١١٩ ج ١ وشعراء النصرانية ٢١٩ والعمدة وغيرها

(١) راجع ترجمة امية بن ابى الصلت مطولة فى الهلال السنة التاسعة
(٢) الاغاني ١٨٧ ج ٣

٢ ـ ورقة بن نوفل

توفي سنة ٥٩٢ م

هو ورقه بن نوفل بن اسد بن عبد العزيز من قريش . وهو أحد من اعتزل الاوثان في الجاهلية وقرأ الكتب وامتنع عن أكل ذبائح الاوثان . وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبرانى وقد شاخ وكف بصره . وله ذكر في السيرة النبوية عندما سمع النبي جبريل يكلمه وجاء خديجة امرأته خائفاً فسألت ورقة وهو ابن عمها (١) عما رآه النبي فقال «انه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبي هذه الامة»

وله أشعار كان يغني بها المغنون في صدر الاسلام منها قوله :

ولقد غزوت الحي يخشى اهله بعد الهدو وبعد ما سقط الندي
فلتلك لذات الشباب قضيتها عنى فسائل بعضهم ما قد قضى

ومن شعره في التوحيد والدين قصيدة مطلعها :

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم انا النذير فلا يغرركم أحد

وقصيدة أخرى مطلعها :

رشدت وانعمت ابن عمرو وانما تجنبت تنوراً من الله حاميا

وتجد شيئاً من أخباره في السيرة النبوية لابن هشام ٧٦ و ٨٠ ج١ والاغاني ١٣ ج ٣ وشعراء النصرانية ٦١٦ والسيرة الحلبية ٢٥٦ ج ١ ومعجم البلدان

٣ ـ زيد بن عمرو

توفي سنة ٦٢٠ م

هو أيضاً من عبد العزى من قريش وقد اعتزل الاوثان مثل ورقة وكان يقول « يا معشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الارض ويخلق السائمة فترعي فيه وتذبحونها لغير الله ؟ » فاخرجه القرشيون من مكة ومنعوه أن يدخلها . وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل والد عمر . وكان قد تخلف عن عبادة الاوثان أربعة من قريش هم ورقة وزيد المذكوران وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث فاجتمع هؤلاء وتواطأوا على رفض الوثنية وعلى أن يضربوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فلما أجمع زيد على الخروج منعه الخطاب عمه وعاتبه على فراق دين آبائه . وكان قد وكل صفية به فقال زيد عند ذلك قصيدة مطلعها :

(١) ابن هشام ٨١ ج ١

لا تحسبيني في الهوا ن صفى ما دأبى ودأبه

ثم خرج سائحاً ويقال انه قتل في الشام وله أشعار فى التدين منها :

واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذباً زلالا
اذا هي سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

وتجد أخباره في الاغانى ١٥ ج ٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٧٦ ج ١ وشعراء النصرانية ٦١٩ وخزانة الادب ٩٩ ج ٣

٤ ـ قس بن ساعدة

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من اياد يعدونه من الخطباء ولكنه كان خطيب العرب وشاعرها وحكيمها في عصره . وهو أسقف من نجران والمشهور انه أول من علا على شرف وخطب عليه واول من قال «اما بعد» وينسبون اليه قوله « البينة على المدعى واليمين على من انكر » وقد أدركه الرسول ورآه في عكاظ فكان يأثر عنه كلاماً سمعه . وكان فصيحاً يضرب المثل بفصاحته . وكان يفد على قيصر زائراً فيكرمه ويعظمه ولكنه كان زاهداً في الدنيا ينظر اليها نظر الفلاسفة فلا يرغب في البقاء فيها كما يؤخذ من خطبته التى قالها في عكاظ ورواها ابو بكر الصديق وهي مشهورة ثم ختمها بقوله :

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا لة حيث صار القوم صائر

ولعل الذي زهده في الدنيا وكرهها اليه المصيبة التى انتابته بفقد اخوين كانا يعبدان الله معه فماتا ودفنهما معاً وشق عليه مصابه بهما فكان يتردد الى قبريهما ويندبهما . ومن قوله فى قصيدة :

خليلي هبا طالما قد رقدتما أجدكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما أنى بسمعان مفرد وما لي فيها من خليل سواكما

أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذي يسقى العقار سقاكما

وله أشعار كثيرة ضاع معظمها وله أقوال جرت مجرى الامثال وجمعت في كتاب شعراء النصرانية ٢١١ وفي الاغاني ٤١ ج ١٤ وخزانة الادب ٢٦٧ ج ١ وغيرها من كتب الادب والتاريخ والبيان

٤ ـ الشعراء العشاق

قل من الشعراء من لم يحرك قلبه الحب واذا لم يحركه كان شعره قاسياً جافياً ولذلك فالعشاق من الشعراء كثيرون ومنهم في الجاهلية طائفة كبيرة فعنترة عشق عبلة والمخبل السعدي عشق الميلاء وحاتم الطائي عشق ماوية والمرقش الاكبر عشق أسماء والنمر بن تولب عشق نمزة وسحيم عبد بني الحسحاس عشق عميرة (١) غير الذين اشتهروا في صدر الاسلام من آل عذرة وغيرهم وسيأتي ذكرهم عند كلامنا عن الشعر والشعراء في أيام الامويين

والحب يحرك الشاعرية ويشحذ القريحه وخصوصاً مع الغيرة ليس للشعر فقط بل في كل ما يفتقر الى خيال أو شعر . فبين الشعراء الفرسان الذين ترجمناهم غير واحد من المحبين وكذلك في سائر الطبقات . لكننا خصصنا هذا الباب فيمن لم يكن له باعث على النظم غير العشق وكان اكثر شعره او كله في معشوقه . وهذه الطبقة كانت قليلة قبل الاسلام لاشتغال القوم بالحرب عن سواها . ولان بعض القبائل كانت تحرم الغزل على الاطلاق

ثم تكاثر الشعراء العشاق بعد الاسلام لانتشار التسرى واركان القوم الى الرخاء حتى اذا نضج التمدن الاسلامي تحول ذلك الى التهتك والتخنث كما سيجيء . أما في الجاهلية فالشعراء المتيمون يعدون على الاصابع اشهرهم .

١ ـ المرقش الاكبر

توفي سنة ٥٥٢ م

اسمه عوف بن سعد بن مالك من بكر وائل وهو من الشعراء المقدمين ويمتاز عن اكثر شعراء الجاهلية انه كان يعرف الكتابة لان أباه دفعه وأخاه حرملة الى نصراني من أهل الحيرة علمهما الخط ويندر في أهل الجاهلية من فعل ذلك وخصوصاً

(١) الموشى ٤٣

الشعراء فان معولهم في حفظ أشعارهم على الرواة. ويختلف عن اكثر شعراء الجاهلية انه مات متيما . وسبب موته انه كان يهوى ابنة عم له اسمها اسماء عشقها وهو غلام فقال له عمه « لا أزوجك حتى تعرف بالبأس » فسافر المرقش في طلب العلى وأصيب عمه في اثناء غيابه بضيق فاتاه رجل من بني مراد أطمعه بالمال فزوجه اسماء على مائة من الابل . فلما عاد المرقش اخفوا خبر الزواج عنه . ثم اكتشف خبره فركب في طلب ذلك المرادى مع صديق له من عقيلة فمرض في الطريق فنزلا كهفاً في اسفل نجران وهي ارض مراد ومعه صديقه العقيلي وامرأته وسمعهما يتآمران على تركه يأساً من شفائه فاختلس فرصة كتب فيها على مؤخر الرحل هذه الابيات :

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا ... ان الرواح رهين ان لا تفعلا
يا راكباً اما عرضت فبلغن ... أنس بن سعدان لقيت وحرملا
لله دركما ودر أبيكما ... ان أفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام ان مرقشاً ... أضحى على الاصحاب عبئاً مثقلا
وكأنما ترد السباع بشلوه ... اذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

ورأينا بعض الابيات ينسب الى المهلهل ايضاً . وانطلق العقيلي حتى أتى أهله وأخبرهم ان المرقش مات ولكن أخاه حرملة قرأ ما على الرحل فشك في صدق الرجل واستنطقه فاعترف له بالحقيقة فركب في طلبه فلما بلغ الكهف اخبر ان المرقش علم وهو هناك بوجود أسماء وزوجها فاحتال حتى حمل اليهما في حديث طويل ولم يطل مكثه فمات عندهما . وقال في موته شعراً مطلعه :

سرى ليلا خيال من سليمى ... فأرقنى وأصحابي هجود

وهو من اصحاب المنتقيات . وله أقوال في الحماسة يصف بها بعض المعارك وأخرى في الفخر ومن احسن شعره في الحماسة صيدته التي استهلها بذكر حبيبته :

أمن آل اسماء الطلول الدوارس ... تخطط فيها الطير قفر بسابس

ثم تخلص الى وصف خروجه وسفره . وقصيدة أخرى في وصف الطلول ونجائب الابل وغيرها . واتصل المرقش الاكبر بالحارث ابى شمر الغسانى ونادمه سنة ٥٢٤ ومدحه

وترى أشعاره واخباره في الاغاني ١٨٩ ج ٥ والشعر والشعراء ١٠٢ وشعراء النصرانية ٢٨٢ وخزانة الادب ٥١٤ ج ٣ والجمهرة ١١٢ وغيرها من كتب الادب

٢ ـ عبد الله بن عجلان

توفي سنة ٥٦٦ م

هو من نهد من قضاعة شاعر متيم قتله الحب وكان له زوجة يقال لها هند طلقها لانها لم تلد له فتزوجها غيره ثم ندم على ذلك ومات أسفاً عليها وكان سيداً في قومه وابن سيد من ساداتهم وكان ابوه أكثر بنى نهد مالا وكان يجدر بنا ادخاله في جملة الشعراء الامراء لولا تغلب العشق عليه . ومن أقواله فيها :

فارقت هنداً طائعاً فندمت عند فراقها
بالعين تذرى دمعة كالدر من آماقها
متحلياً فوق الردا ء يجول من رقراقها
خود رداح طفلة ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألذ حديثها وأسر عند عناقها

وله أخبار وأشعار جمعت في الاغاني ١٠٢ ج ١٩ والشعر والشعراء ٤٤٩

٣ ـ عروة بن حزام العذرى

توفي سنة ٣٠ هـ (١)

هو من الشعراء المتيمين الذين أدركوا الاسلام وقد قتلهم الهوى لا يعرف له شعر الا في عفراء بنت عمه وتشبيبه بها وكان قد خطبها من أبيها فوعده ثم زوجها لغيره فأثر ذلك في مزاجه فضعف واضطرب حتى ظنوا فيه الخبل وأصابه هزال فرآه ابن مكحول عراف اليمامة فجالسه وسأله عما به وهل هو خبل او جنون فقال له عروة « هل لك علم بالاوجاع » قال « نعم » فانشأ يقول :

ما بي من خبل ولا بى جنة ولكن عمى يا اخى كذوب
اقول لعراف اليمامة داونى فانك ان داويتنى لطبيب
فوا كبدا امست رفاتاً كانما يلذعها بالموقدات طبيب
عشية لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب
فو الله لا أنساك ما هبت الصبا وما عقبتها فى الرياح جنوب
وانى لتغشاني لذكراك هزة لها بين جلدى والعظام دبيب

(١) فوات الوفيات ٣٣ ج ١

وقال يخاطب صديقين له رافقاه :

متى تكشفا عني القميص تبينا ... بي الضر من عفراء يا فتيان
اذا تريا لحما قليلا وأعظما ... بلين وقلبا دائم الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف حجر إن هما شفياني
فما تركا من حيلة يعرفانها ... ولا شربة الا وقد سقياني
ورشا على وجهي من الماء ساعة ... وقاما مع العواد يبتدراني
وقالا شفاك الله والله ما لنا ... بما ضمنت منك الضلوع يدان

وتجد أخباره في الاغاني ١٥٢ ج ٢٠ وفوات الوفيات ٣٣ ج ٢ والشعر والشعراء ٣٩٤ وخزانة الادب ٥٣٤ ج ١

٤ ـ مالك بن الصمصامة

هو من جعدة كان يهوى جنوب بنت محصن الجعدى فمنعه اخوها منها وكان مالك شاعراً فارساً شجاعا جميلا فبلغه ان اخاها أقسم اذا تعرض مالك لاخته جز ناصيته فقال :

اذا شئت فاقرني الى جنب عيهب ... أجب ونضوى للقلوص نجيب
فما الحلق بعد الاسر شر بقية ... من الصد والهجران وهي قريب
ألا أيها الساقي الذى بل دلوه ... بقريان يسقى هل عليك رقيب
اذا أنت لم تشرب بقريان شربة ... وجانبه الجدران ظلت تلوب

وله اشعار أخرى في الاغانى ٨٣ ج ١٩

٥ ـ مسافر بن ابي عمرو

هو من قريش كان سيداً جواداً أحب هند بنت عتبة التى تزوجها ابو سفيان بعد ذلك وهي ام معاوية واخوته فخطبها مسافر وهو ذو ثروة فلم تقبله فلما بلغه تزوجها بابى سفيان اعتل ومات وله فيها أشعار . واخباره فى الاغاني ٤٨ ج ٨

ومن الشعراء الجاهليين المتيمين :

منظور بن زبان من فزارة كان عاشقاً وهو من الامراء ايضاً تقدم ذكره

ومسعود بن خراشة من تميم وهو من المخضرمين

وعنترة العبسي وقد تقدمت ترجمته

٥ ـ الشعراء الصعاليك

هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والغارة على القبائل للنهب اشهرهم :

١ ـ الشنفرى

توفي سنة ٥١٠ م

هو من الاواس بن الحجر من الازد شاعر من أهل اليمن معدود في العدائين الذين لا تلحقهم الخيل منهم هذا وسليك بن السلكة وعمرو بن براق واسيد بن جابر وتأبط شراً . ويقال ان الشنفرى حلف ليقتلن مئة رجل من بنى سلامان فقتل ٩٩ فاحتالوا عليه فامسكه رجل منهم عداء هو أسيد بن جابر ثم قتله فمر به رجل منهم فرفس جمجمته فدخلت شظية منها برجله فمات فتمت القتلى مئة . وللشنفرى أشعار في الفخر والحماسة أشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب ومطلعها :

اقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لاميل

وقصيدة اختارها صاحب المفضليات مطلعها :

الا أم عمرو اجمعت واستقلت وما ودعت جيرانها اذ تولت

وقد عنى الاستاذ المستشرق ردهوس Redhouse في ترتيب لامية العرب وترجمتها الى الانكليزية وقد طبعت في المجلة الاسيوية الانجليزية سنة ١٨٨١ وترجمها الى الالمانية ريس Reuss في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٥٣

وأخبار الشنفرى مفرقة في الاغانى ٨٧ ج ٢١ والشعر والشعراء ١٨ وخزانة الادب ١٦ ج ٢ والمفضليات وغيرها

٢ ـ تأبط شراً

توفي سنة ٥٣٠ م

هو ثابت بن جابر من فهم من قيس كان أسمع العرب وأبصرهم واكيدهم وكان أعدى رجل ينظر الى الظباء فينتقى على نظره أسمنها ثم يعدو خلفه فلا يفوته . وله أخبار كثيرة يضيق عنها هذا المكان . ومن شعره في وصف الغول :

ألا من مبلغ فتيان فهم بما لاقيت عند رحى بطان

باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها كلانا نضو أين اخو سفر فخلى لى مكانى

فشدت شدة نحوي فاهوى لها كفى بمصقول يمانى
فاضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدين وللجران
فقالت عد فقلت لها رويداً مكانك انني ثبت الجنان
فلم انفك متكئاً عليها لانظر مصبحاً ماذا اتانى
اذا عينان في رأس قبيح كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب وثوب من عباء او شنان

واخباره في الاغاني ٢٠٩ ج ١٨ والشعر والشعراء ١٧٤ وخزانة الادب ٦٦ ج ١ وكتب عنه بور Baur بالالمانية مقالة في سيرة حياته وشعره في المجلة الشرقية الالمانية سنة ١٨٥٦

٣ ـ السليك بن السلكة

توفي سنة ٦٥٠ م

هو من تميم أمه أمة سوداء وكان من عاداته اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه . فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل اغار . وكان ادل من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مضر وانما يغير على اليمن فاذا لم يمكنه ذلك اغار على ربيعة . ويعده المفضل الضبي من أشد رجال العرب وانكرهم وأشعرهم. وكان أدل الناس بالارض وأعلمهم بمسالكها . وله أخبار كثيرة مدهشة . ومن شعره على أثر غزوة رابحة :

بكى صرد لما رأى الحي اعرضت مهامه رمل دونهم وسهوب
فقلت له لا تبك عينك انها قضية ما يقضى لها فتنوب
سيكفيك فقد الحي لحم مغرض وماء قدور في الجفان مشوب
ألم تر أن الدهر لوثان لونه وطوان بشر مرة وكذوب
فما ذر قرن الشمس حتى رأيته مضاد المنايا والغبار يثوب

واخباره في الاغاني ١٣٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٢١٣

٤ ـ عروة بن الورد

توفي سنة ٥٩٦ م

هو من عبس وكان شاعراً فارساً وصعلوكا مقدماً وكان يلقب عروة الصعاليك لانه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بامرهم اذا أخفقوا في غزواتهم ويعولهم اذا لم

يكن عندهم معاش . وكان لشعره تأثير في نفوس قبيلته . سئل الحطيئة كيف كنتم فى حربكم قال « كنا الف حازم » فقيل وكيف ذلك قال « كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه وكنا نقدم اقدام عنترة ونأتم بشعر عروة بن الورد ونتقاد لامر الربيع بن زياد » ومن شعر عروة قوله :

واني امرؤ عافى إنائى شركة ... وانت امرؤ عافي انائك واحد
أتهزأ منى ان سمنت وان ترى ... بجسمى شحوب الحق والحق جاحد
افرق جسمي في جسوم كثيرة ... واحسو قراح الماء والماء بارد

ومن قوله في الاقدام :

دعيني للغنى أسعى فاني ... رأيت الناس شرهم الفقير

ومن ذلك قوله :

لعل ارتيادى في البلاد وبغيتى ... وشدى حياطيم المطية بالرجل
سيدفعني يوماً الى رب عجمة ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

وله قصيدة تعد من المنتقيات مطلعها :

أقلى علىّ اللوم يا ابنة منذر ... ونامي فان لم تشتهى النوم فاسهري
ذريني اطوف في البلاد لعلني ... اخليك أو اغنيك عن سوء محضرى

فترى الهمة والنشاط والاقدام ظاهرة في كل اقواله

ولعروة ديوان طبع في غوتنجن سنة ١٨٦٤ مع ترجمة المانيه وشروح لتولدكى وطبع ايضاً في بيروت . وله اشعار متفرقة فى الاغاني ١٩٠ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٢٥ وشعراء النصرانية ٨٨٣ والجمهرة ١١٤ وكتب بوشر Boucher الفرنسى مقالة عنه وعن ذي الاصبع العدوانى في المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٦٧

ومن الشعراء الصعاليك .

٥ حاجز الازدى (٥٧٠) كان يسبق الخيل ترجمته في الاغانى ٤٩ ج ١٢
٦ قيس بن الحدادية الازدى » » » ٢ ج ١٣
٧ أبو الطمحان القينى من قضاعة مخضرم » » » ١٣٠ ج ١١ والشعر والشعراء ٩٢٩ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣

٦ ـ الشعراء اليهود

لا يتجاوز الشعراء اليهود في الجاهلية عدد أصابع اليد الواحدة أشهرهم :

١ ـ السموأل بن غريض بن عاديا

توفي سنة ٥٦٠ م

ويلحقون نسبه بالكاهن هرون اخى موسى . وهو صاحب حصن الابلق بتيماء يضرب المثل بوفائه . وحديثه مع امرىء القيس الشاعر والادراع أشهر من ان يذكر حتى يتبادر الى الذهن ان العرب وضعوا ذلك الحديث أو بالغوا فيه على سبيل التمثيل ترغيباً في الوفاء فان الطبيعة تأبى على الرجل أن يضحي ابنه في سبيل الوفاء . ولا نقول ان ذلك مستحيل لكنه بعيد الحدوث وقد أشرنا الى ذلك قبلا . وكانت العرب تنزل بالسموأل فيضيفها واشتهر بقصيدته الفخرية التى مطلعها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقد خمسها غير واحد أشهرهم صفي الدين الحلى

وللسموأل ديوان شعر طبع فى بيروت سنة ١٩٠٩ وله أخبار في الاغانى ٩٨ ج ١٩ و١٢ ج ٣ و٨٧ ج ٦ و٣٧ ج ٩ والمستطرف ١٦٢ ج ١ والشعر والشعراء ٤٥ والمشرق مجلد ٩ و ١٠ و١٢

ومن الشعراء اليهود أيضاً :

٢ اوس بن دني من قريظة	ترجمته في الاغاني ٩٤ ج ١٩
٣ الربيع بن الحقيق من رؤساء قريظة	« « « ٦١ ج ٢١
٤ كعب بن الاشرف من النضير له منقاضات	« « « ١٠٦ ج ١٩

٧ ـ الشعراء المغنون

قلنا في صدر هذا الكتاب ان الشعر والغناء ولدا معاً او لعل الغناء بعث على الشعر ولذلك فان اكثر الشعراء القدماء في الامم الاخرى مغنون . أما العرب فلم يصلنا من أخبار أمثال هؤلاء الا قليل وأحسن مثال لذلك الاعشى وقد ترجمناه في جملة أصحاب المعلقات . ومنهم علس ذى جدن من حمير ترجمته في الاغاني ٣٧ ج ٤

٨ ـ نساء الشواعر

قد ذكرنا ما كان من رقي المرأة فى الجاهلية وعزة نفسها وذكائها والشعر لا ينمو ويزهو الا في ظل العز والارتقاء ويندر نبوغ الشعراء البلغاء في أمة

ذليلة . فظهر فى الجاهلية عدة شواعر جاء ذكر عشرات منهن في الحماسة وغيرها وذكرنا اسماء بعضهن في ما تقدم . وهاك تراجم أشهرهن :

١ ـ الخنساء

توفيت سنة ٦٤٦ م

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة سليم (قيس) من اهل نجد . وقد أجمع رواة الشعر على انه لم تقم امرأة فى العرب قبلها ولا بعدها أشعر منها . وقد أنشدت شعرها على النابغة في عكاظ فأعجب به وقال لها « لولا ان هذا الاعمى أنشدني قبلك (يعنى الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم » على ان اكثر قولها في رثاء أخيها صخر وكان قد قتل في واقعة يوم الكلاب من أيام العرب ودفن فى أرض سليم فاخذت تنظم فيه المراثى كأن الحزن أثار شاعريتها . وقد أدركت الخنساء الاسلام وهى عجوز ولها أربعة أولاد فشهدت حرب القادسية وحرضت اولادها على الثبات في القتال فلما حمي الوطيس تقدموا واحداً واحداً ينشدون الرجز يذكرون فيه وصية والدتهم حتى قتلوا عن آخرهم . فلما بلغها الخبر قالت « الحمد لله الذى شرفني بقتلهم »

ومن أشعارها فى رثاء صخر أخيها قولها :

ألا ما لعينيك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الشر ... يد حلت به الارض أثقالها
فان تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها
سأحمل نفسى على خطة ... فاما عليها وإما لها
فان تصبر النفس تلق السرور ... وان تجزع النفس أشقى لها

وللخنساء ديوان شعر كبير طبع فى بيروت مشروحاً سنة ١٨٨٨ وفيه مراث لستين شاعرة . وترجم الى الفرنساوية وطبع سنة ١٨٨٩ ولها اخبار كثيرة متفرقة بالاغاني ٦٤و١٣٦ ج١٣و٣٤ ج ٤ وخزانة الادب ٢٠٨ ج ١والشعر والشعراء ١٩٧

٢ ـ خرنق بنت بدر بن هفان

توفيت سنة ٥٧٠ م

هي خت طرفة بن العبد لامه ولها اشعار كثيرة في أخيها وزوجها لم يصلنا منها الا بضعة وخمسون بيتاً جمعت في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب

المصرية وقد طبعت اخبارها واشعارها في شعراء النصرانية ٣٢١ وأفردت فى ديوان على حدة طبع في بيروت . ولها اخبار في خزانة الادب ٣٠٦ ح ٢

٣ ـ ليلى العفيفة

توفيت سنة ٤٨٣ م

هي بنت لـكيز من ربيعة من اقدم الشعراء وكانت تامة الحسن كثيرة الادب ولها شعر حسن نشر بعضه في كتاب شعراء النصرانية ١٤٨

٤ ـ جليلة بنت مرة

توفيت سنة ٥٣٨ م

هي اخت جساس الشيباني قاتل كليب بن ربيعة. وهى ايضاً زوجة كليب المقتول فلما قتل زوجها رحلت من بيته وشمتت بها أخت كليب فاجابتها بشعر مطلعه :

يا ابنة الاقوام ان لمت فلا تعجلى باللوم حتى تسألى

وتجد أخبارها في شعراء النصرانية ٢٥٢ والاغاني ١٥١ ح ٤

٩ — الشعراء الهجاؤون

لا تكاد تجد في شعراء الجاهلية شاعراً يتوخى الهجو فيفرد له قولا وانما كان هجوهم يأتى في أثناء مفاخراتهم وحماسياتهم . ولكن ظهرت طبقة من الهجائين في أواخر عصر الجاهلية واكثرهم من المخضرمين الذين ادركوا الاسلام . منهم الحطيئة العبسي وحسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وعبد الرحمن بن الحكم وعبد الله بن الزبعرى السهمى وكعب بن الاشرف اليهودى فافردنا لهم هذا الفصل

١ — الحطيئة

مخضرم أدرك معاوية

هو جرول بن أوس من بني عبس من فحول الشعراء ومقدميهم وفصحائهم متين الشعر شرود القافية متصرف فى جميع الفنون من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك كله . ولكنه كان ذا شر وسفه دنيء النفس لا رأى له وانما يساق الى ما يرجو منه مصلحة فينتمي الى كل واحدة من القبائل اذا غضب من غيرها . فاذا غضب من بني عبس قال انه من بني ذهل والعكس وبالعكس . لكنه

كان شديد الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفاً من شره . وكان يتعمد تخويف الناس بالهجو استدراراً لاموالهم بما يعبر عنه الافرنج اليوم بقولهم Chantage وذلك نادر في طباع أهل الجاهلية

وكان اذا نزل مدينة أو نجعاً دب الخوف فى أهله وارصدوا له العطايا خوفاً من لسانه وهو يبالغ في الطمع كثيراً . ذكروا انه نزل المدينة مرة فمشى اشرافها بعضهم الى بعض فقالوا « قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق وهو يأتى الرجل من أشرافكم يسأله فان أعطاه جهد نفسه بهرها وإن حرمه هجاه » فأجمع رأيهم على ان يجعلوا له شيئاً معداً يجمعونه بينهم . فكان اهل البيت من قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين من الدنانير حتى جمعوا له اربعمائة دينار وظنوا انهم قد أغنوه فأتوه فقالوا له « هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان » فأخذها فظنوا انهم قد كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام ماثلا ينادي « من يحملني على بغلين » — هكذا كان يفعل مع كل قوم ينزل فيهم والا سلقهم بهجوه

واكثر هجوه الذى وصل الينا في الزبرقان وبغيض . وكان الزبرقان من عمال عمر بن الخطاب وقد عرف شدة وطأة الحطيئة فاحب ان يقربه فدعاه اليه وانزله فى قومه وضمن له مؤونة عياله على ان يستصفي له مدحه . وكان بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة واخوته وأهله ينازعون الزبرقان الشرف . فاغتنموا استهانة أم حرزة امرأه الزبرقان مرة بالحطيئة ودعوه اليهم وفي مقدمتهم بغيض هذا وعلقمة بن هوذة . فسار معهم وضربوا له قبة بكل طنب من أطنابها حلة هجرية واراحوا عليه ابلهم واكثروا من التمر واللبن وبالغوا في اكرامه فمدحهم بالبيت المشهور الذي رفع رءوسهم وهو :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوى بانف الناقة الذنبا

ثم جاء الزبرقان يطلب الحطيئة منهم لانه جاره فابوا وتنازعوا . ثم اتفقوا على ان يخيروه في الذهاب الى أحد الحيين فاختار بغيضاً فرجع الزبرقان غضباً فحرض بغيضا الحطيئة على هجوه ففعل . ومن قوله يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض :

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً في آل لاي بن شماس با كياس
ماكان ذنب بغيض لا ابا لكم في بائس جاء يحدو آخر الناس
وقد مدحتكم عمداً لارشدكم كيما يكون لكم منحي وامراسى

لما بدا لى منكم عيب انفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسى
أزمعت يأساً متيناً من نوالكم ولن يرى طارداً للحر كالياس
جار لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيما بين ارماس
ملوا قراه وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وشكاه الناس لعمر بن الخطاب فسجنه فكتب اليه من السجن ابياتاً يشكو اليه حال أهله بسبب سجنه منها :

ماذا اردت لافراخ بذي مرخ حمر الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ثم اخرجه من السجن وهدده بقطع لسانه واذنيه فتوسط له بعض الصحابة فاطلقه واوصاه ان يكف لسانه عن الهجو . وبلغ من شغف الحطيئة بالهجو حتى هجا امه واباه وهجا نفسه ـ فمما هجا به امه قوله :

اغربالا اذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدثينا
جزاك الله شراً من عجوز ولقاك العقوق من البنينا

وقال لابيه :

لحاك الله ثم لحاك حقاً أباً ولحاك من عم وخال
فنعم الشيخ انت لدى المخازى وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
جمعت اللؤم لا حياك ربى وأبواب السفاهة والضلال

وقال لنفسه :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

وهو من اصحاب المشوبات ومطلع مشوبته :

نأتك امامة الا سؤالا وابصرت منها بعين خيالا

وللحطيئة أشعار كثيرة جمعت في ديوان طبع في ليبسك سنة ١٨٩٣ وفي مصر وبيروت مع شروح . وله شرح خطي في دار الكتب المصرية . وأخباره في الشعر والشعراء ١٨٠ وفي الاغانى ٤٣ ج ٢ و٣٩ ج ١٦ وفي العقد الفريد ٨٠ ج ١ و١١١ ج ٣ وفي المستطرف ١٣٩ ج ١ وخزانة الادب ٤٠٩ ج ١ والجمهرة ١٥٣

٢ ـ حسان بن ثابت

توفي سنة ٥٤ هـ

هو من الخزرج اهل المدينة وقد عاصر الجاهلية والاسلام فهو من المخضرمين واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة وله مع النابغة الذبياني أحاديث واختص بعد الاسلام بمدح النبي والدفاع عنه وهو يعد أشعر أهل المدن في ذلك العصر وكان شديد الهجاء حتى قيل لو مزج البحر بشعره لمزجه . قال أبو عبيدة « فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي (ص) في النبوة وشاعر اليمن كلها في الاسلام » . ومن شعره فى الجاهلية قوله يمدح جبلة بن الايهم الغساني :

أولاد جفنة عند قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم ... شم الانوف من الطراز الاول

أما في في الاسلام فكان حسان في جملة من اسلم وأخذ يناصر المهاجرين . ولم يكن هو رجل حرب فنصرهم بلسانه وكان النبي يسر به ويستنشده الاشعار في الدفاع عن أعراض المسلمين اذا هجاهم هاج من المشركين أو غيرهم . وقد حمله النبي على ذلك ليرد عنه هجو الهاجين ـ فقد كان يهجو النبي ثلاثة من قريش هم عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى ابن أبي طالب « اهج عنا القوم الذين قد هجونا » فقال على « ان اذن لى رسول الله فعلت » فقال رجل « يا رسول الله ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا » قال « ليس هناك او ليس عنده ذلك » ثم قال « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم ؟ » فقال حسان بن ثابت « أنا لها » وأخذ بطرف لسانه وقال « والله ما يسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء » قال كيف تهجوهم وأنا منهم » فقال « انى اسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين » فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والايام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر . فكان في ذلك الزمان أشد القول

عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة فلما اسلموا وفقهوا الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة

ومن أمثلة دفاعه عن النبي ان وفداً من تميم جاءوا النبي وهم سبعون أو ثمانون رجلا فيهم خيرة الشعراء من تميم . وفيهم الزبرقان بن بدر فأنشد الزبرقان قصيدة فخرية فأمر الرسول حساناً ان يجيبهم فقال :

ان الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الرقاع ولا يوهون ما رقعوا
ان كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لادنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم ... لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع
يسمون للحرب تبدو وهي كالحة ... اذا الزعانف من اظفارها خشع
لا يفرحون اذا نالوا عدوهم ... وان أصيبوا فلا فر ولا جزع

الى أن قال :

اكرم بقوم رسول الله قائدهم ... اذا تفرقت الاهواء والشيع
وانهم افضل الاحياء كلهم ... ان جد بالناس جد القول أو سمعوا

وهو من اصحاب المذهبات ومطلع مذهبته :

لعمر ابيك الخير حقاً لما نبا ... على لساني في الخطوب ولا يدى

وقد جمعت اشعاره في ديوان وطبع في الهند وتونس ثم طبعته لجنة تذكار جيب في انجلترا سنة ١٩١٠ وضبطته على النسخ الخطية الموجودة في مكاتب لندن وبرلين وباريس وبطرسبورح بعد الاطلاع على النسخ المطبوعة المتقدم ذكرها

وتجد اخباره في الشعر والشعراء ١٧٠ والاغاني ٢ ج ٤ و١٦٩ ج ٨ و ١٦٩ ج ١٠ و ١٥٠ ج ١٣ و ٢ ج ١٤ وخزانة الادب ١١١ ج ١ والجمهرة ١٢١ وفي السنة السادسة من الهلال ٤٨٢

٣ ـ عبد الرحمن بن الحكم

هو أخو مروان بن الحكم الذى تولى الخلافة في الدولة الاموية وأفضت بعده الى أولاده واحفاده ـ وكان عبد الرحمن هذا يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ـ

الاول يدافع عن قريش وبنى أمية والثانى عن الانصار . وقد هجا ابن الحكم أخاه الحرث لانه ذهب فى غزوة ولم يفلح فقال فيه أبياتاً منها :

كفاك الغزو اذ احجمت عنه حديث السن مقتبل الشباب
فليتك حبضة ذهبت ضلالا وليتك عند منقطع السحاب

وهجا أخاه مروان فضلا عن هجوه الانصار وغيرهم
وتجد أخباره في ذلك مدونة في الاغانى ٧٢ ج ١٢ و ١٥٠ ج ١٣

٤ ـ عبد الله بن الزبعرى

هو أحد شعراء قريش المعدودين لكنه كان هجاء فأكثر من هجو المسلمين وحرض عليهم كفار قريش . ثم اسلم فقبل اسلامه وتجد أخباره فى الاغاني ١١ ج ١٤

٥ ـ كعب بن الاشرف اليهودى

كان شاعراً فارساً وانما كان همه هجو النبي عند ظهوره بالدعوة فبعث النبي اليه نفراً قتلوه في داره وقد تقدم ذكره بين الشعراء اليهود وأخباره فى الاغاني ١٠٦ ج ١٩

١٠ ـ الشعراء الوصافون للخيل

قد رأيت وصفاً كثيراً في أشعار من تقدم ذكرهم وخصوصاً أصحاب المعلقات ولا سيما امرأ القيس . ولكننا نريد بهذا الباب الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل دون سواها وهم ثلاثة نضيف اليهم شاعراً اشتهر بوصف الحمير وهم :

١ ـ ابو دؤاد الايادى

هو من أقدم شعراء الجاهلية وأكثر أشعاره فى وصف الخيل وله أشعار في المدح والفخر ومن قوله في وصف الفرس :

ولقد اغتدي يدافع ركنى احوذى ذو ميعة اضريج
مخلط مزيل مكر مفر منفح مطرح سبوح خروج
سلهب سرحب كان رماحاً حملته وفي السراة دموج

وليس له ديوان معروف ولكن أخباره في الاغانى ٩٥ ج ١٥ و٤٧ ج ٢ والشعر والشعراء ١٢٠

٢ ـ الطفيل الغنوى

هو الطفيل بن عوف شاعر جاهلي من الفحول المعدودين ومن أشعر شعراء قيس ومن أوصف العرب للخيل حتى سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها وهو يدخل وصفها في كل باب من شعره . ومن قوله :

بخيل اذا قيل اركبوا لم يقل لهم عواوير يخشون الردى أين نركب
ولكن يجاب المستغيث وخيلهم عليها حماة بالمنية تضرب

ومن قوله فى وصف بيته :

واطنابه ارسان جرد كأنها صدور القنا من بادىء ومعقب
نصبت على قوم تدر رماحهم عروق الاعادى من عرين وأشيب

وللطفيل الغنوي ديوان تحت الطبع بنفقة لجنة تذكار جيب الانكليزية مع ديوان الطرماح بن حكيم بعناية المستشرق كرنكو Krenkow وأخباره في الاغانى ٨٨ ج ١٤ والشعر والشعراء ٢٧٥

٣ ـ النابغة الجعدى

هو غير النابغة الذبياني وهو من جعدة (قيس) مخضرم قال الشعر في الجاهلية وسكت دهراً ثم نبغ في الاسلام . ويقال مع ذلك انه كان أسن من الذبياني . وهو ممن فكر في الجاهلية وانكر الخمر والمسكر وهجر الازلام والاوثان . وكان مغلباً اذا هوجى غلب وله مهاجاة مع ليلى الاخيلية وغيرها ويقول علماء الشعر في وصف شعره « خمار بواف ومطرف بآلاف » يريدون ان بين اشعاره تفاوتاً كبيراً . ومن قوله فى وصف الفرس :

كأن مقط شراسيفه الى طرف القنب فالمنقب
لطمن بترس شديد الصقا ل من خشب الجوز لم يثقب

وله قصيدة جمعها أبو زيد مع المشوبات فى جمهرة أشعار العرب يصف بها حاله منذ كان عند المنذر وكيف سار الى النبي وأسلم ووصف ناقته وفرسه وبعض المواقع وغير ذلك مطلعها :

خليلي عوجاً ساعة وتهجرا ولوما على ما احدث الدهر أوذرا

وللنابغة الجعدي أخبار متفرقة في الاغاني ١٢٨ ج ٤ والشعر والشعراء ١٥٨ وجمهرة أشعار العرب ١٤٥ وفي خزانة الادب ٥١٢ ج ١

٤ ـ الشماخ ابن ضرار

ويدخل في هذا الباب الشماخ بن ضرار الذبياني فانه وصاف للحمير وهو مخضرم ويقولون ان الحطيئة كتب في وصيته « ابلغوا الشماخ انه أشعر غطفان كلها » وقد أجمع علماء الشعر على انه اوصف الشعراء للحمير وأوصفهم للقوس وأرجزهم على البديهة . وكان فيه ميل الى الهجاء حتى انه يهجو أهله وضيفه . وقد يصح عده من الشعراء الهجائين ولكن الوصف غالب عليه . ومن وصفه القوس قوله :

وذاق فاعطته من اللين جانباً كفى ولها ان يغرق السهم حاجز
اذ أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

وهذان البيتان من قصيدة عدها أبو زيد من المشوبات ومطلعها :

عفا بطن قو من سليمى فعالز فذات الصفا فالمشرفات النواشز

وقد جمعت اشعار الشماخ فى ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وله أخبار متفرقة في الاغانى ١٠١ ج ٨ والشعر والشعراء ١٧٧ وخزانة الادب ٥٢٦ ج ١ والجمهرة ١٥٤

ومن وصاف الخيل أيضاً سلامة بن جندل وقد ترجمناه مع الشعراء الفرسان وفاتنا أن نذكر هناك ان له ديواناً طبع فى بيروت

١١ ـ الشعراء الموالى

عبد بنى الحسحاس

ليس في من وصلنا خبرهم من الجاهليين شاعر من الموالى او العبيد الا عبد بنى الحسحاس وهو حبشى واسمه سهيم كان مطبوعاً على الشعر اشتراه بنو الحسحاس وهم بطن من أسد ومن نظمه قوله :

أشعار عبد بني الحسحاس قمن له عند الفخار مقام الاصل والورق
ان كنت عبداً فنفسي حرة كرماً أو اسود اللون اني ابيض الخلق

وذكروا أن صاحبه كان اسمه مالكا جاء به ليبيعه لعثمان بن عفان فقال « لا حاجة لى به اذ الشاعر لا حريم له ان شبع تشبب بنساء أهله وان جاع هجاهم » فاشتراه غيره فلما رحل قال في طريقه :

أشوقاً ولما تمض لى غير ليلة فكيف اذا سار المطي بنا شهرا
وما كنت أخشى مالكا أن يبيعني بشيء ولو امست انامله صفرا
اخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه فكان يشبب بنسائهم حتى قال :

ولقد تحدر من كريمة بعضكم عرق على متن الفراش وطيب

فقتلوه . واخباره في الاغاني ٢ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٢٤١

١٢ ـ سائر الشعراء الجاهليين

بقيت طائفة من شعراء الجاهلية لا يدخلون في باب من الابواب التي تقدمت ـ وان كانت تلك الابواب كثيراً ما تختلط أغراضها إذ لا يتفق أن يستقل شاعر أو بضعة شعراء بالحكم أو الفخر أو الوصف أو الهجاء دون سواه . ولكننا جمعنا المتقاربين فى بعض تلك الاغراض ليسهل تعليقهم بالذاكرة وبقي جماعة منهم لا يجتمعون في باب وهم كثيرون نكتفى بذكر أشهرهم وخصوصاً الذين لهم آثار باقية يمكن الحصول عليها وهم :

١ ـ ابن الدمينة

هو عبد الله بن عبيد الله أحد بنى عامر من خثعم وأمه الدمينة من سلول ـ اشتهر بحديث امرأته حمادة ـ وذلك أنه بلغه أن بعض أخواله من سلول يأتيها خلسة فرصده حتى أتاها فقتله وقتلها . على انه قبل أن يقتل الرجل منعه عن المجيء اليها فغضب وأراد أن ينتقم منه فنظم قصيدة يصف بها المرأة وصف من تفحص بدنها فذهب ابن الدمينة الى امرأته وسألها « كيف عرف ذلك فيك » قالت « وصفته له النساء » فغضب وقال « والله ان لم تمكنيني منه لاقتلنك » فبعثت اليه وواعدته وكان زوجها كامناً له فقام وقتله ضغطاً على كبده حتى يخفي جريمته . لكن أهله تحققوا فعلته فأخذوا يراقبونه . وعشق فى أثناء ذلك امرأة من قومه اسمها أميمة وهام بها فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها فقالت هذه الابيات :

وأنت الذي أخلفتنى ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتنى للنـاس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
فلو أن قولا يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

فأجابها بمثل عتابها وهو ألطف أساليب العتاب :

وأنت التى قطعت قلبي حرارة ومزقت قرح القلب فهو كليم
وأنت التى كلفتنى دلج السرى وجون القطا بالجهلتين جثوم
وأنت التي أحفظت قومي فكلهم بعيد الرضا دانى الصدود كظيم

ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده . وهذه الابيات تغنى بها المسلمون أجيالا واليه تنسب الابيات المشهورة :

ولى كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح

ولابن الدمينة ديوان شعر منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وله أخبار في الاغاني ١٥١ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٥٨

٢ ـ أوس بن حجر

هو من نمير أحد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين يقرنه بعضهم بالحطيئة وبنابغة جعدة ـ قالوا كان أوس شاعر مضر كلها حتى حل مكانه النابغة وزهير فأصبح شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع . وكان غزلا مغرماً بالنساء فخرج في سفر وبينما هو في أرض بني أسد يسير على ناقته ليلا صرعته فاندقت فخذه فظل فى مكانه لا يستطيع انتقالا حتى خرجت بنات الحى يجتنين الكمأة فبصرن بالناقة ورأين حجراً ملقى ففزعن فنادى احداهن وسألها عمن هي فقالت « حليمة بنت فضالة » وهو يعرفه فدفع اليها حجراً وقال « اعطي هذا الى أبيك وقولى له ابن هذا يقريك السلام » فمضت وبلغت ما قاله فأتى فضالة فاحتمله الى بيته وعالجه فنظم فيه أوس مدائح كثيرة وأحب ابنته ونظم فيها ثم توفى فضالة فرثاه أحسن الرثاء منه قوله :

أيتها النفس أجملى جزعا ان الذى تكرهين قد وقعا
ان الذى جمع السماحة والنـ ـجدة والحزم والقوى جمعا
المخلف المتلف المرزأ لم يمتع بضعف ولم يمت طبعا
اودى وهل تنفع الاشاحة من شيء قد يحاول النزعا

ولأوس بن حجر ديوان طبع في فينا مع ترجمة المانية سنة ١٨٩٢ بعناية المستشرق جاير Geyer وعليه تعليقات . وأخباره في الاغانى ٦ ج ١٠ والشعر والشعراء ٩٩ وخزانة الادب ٢٣٥ ج ٢

٣ — المتلمس

توفي سنة ٥٨٠ هـ

هو جرير بن عبد المسيح من ضبيعة (ربيعة) وهو خال طرفة بن العبد واليه تنسب صحيفة المتلمس كما مر في حديثه مع طرفة وعمرو بن هند صاحب الحيرة . ولهذه الحكاية مثال في تاريخ قدماء اليونان تعزى الى بيلروفنت (١) فلما علم المتلمس بفحوى الصحيفة كما تقدم في ترجمة طرفة رماها في النهر قرب الحيرة وهرب إلى الشام ولحق بملوك آل غسان ونظم في ذلك قصيدة ذكر فيها نجاته وكان قد استحث طرفة على رمي ورقته بقوله :

ألق الصحيفة لا أبا لك انه يخشى عليك من الحباء النقرس

فلما بلغه أنه قتل بها قال :

عصانى فما لاقى الرشاد وانما تبين من أمر الغوى عواقبه
فأصبح محمولا على آلة الردى تمج نجيع الجوف منه ترائبه

ونظم يهجو عمرو بن هند بقصيدة طويلة هى من خيرة شعره مطلعها :

يا آل بكر ألا لله امكم طال الثواء وثوب الصخر ملبوس

واقام المتلمس في حوران عند الغساسنة الى وفاته . ومن قوله وفيه افراط في الفخر من قصيدة هجا بها عمراً المذكور :

احارث أنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

يريد أن دماءهم تمتاز عن دماء غيرهم أو تأبى الامتزاج بها — ومنها :

وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوما
لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الانسان الا ليعلما
ولو غير اخوالى أرادوا نقيصتى جعلت لهم فوق العرانين ميسما

ومما يتمثل به من شعره قوله :

وأعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال ايسر من بغاه وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير على الفساد

وهو من اصحاب المنتقيات ومطلع منتقيته :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

---

(١) شعراء النصرانية ٣٣٠

وقد جمع شعر المتلمس في ديوان منه نسختان خطيتان في دار الكتب المصرية وأخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٢١ والشعر والشعراء ٨٥ وحياة الحيوان للدميرى ٢٠٩ ج ٢ وابن خلكان ١٩٩ ج ٢ والجمهرة ١١٣ وشعراء النصرانية ٣٣٠ والحماسة وشرحها ومعجم البلدان ولسان العرب وغيرها

٤ — المثقب العبدى

توفي سنة ٥٨٧ م

هو محصن بن ثعلبة من ربيعة وكان في جملة الذين كانوا يترددون على عمرو بن هند ويمدحونه وله فيه قصائد . وله في وصف راحلته قصيدة مطلعها :

هل عند غان لفؤاد صد من نهلة فى اليوم أو في غد

وله قصيدة يمدح بها عمراً المذكور مطلعها :

أفاطم قبل بينك ودعيني ومنعك ما سألتك أن تبيني

ومما سبق اليه وأخذ عنه قوله من هذه القصيدة في وصف ناقته :

كأن مواقع الثفنات منها معرس باكرات الورد جون

الباكرات القطا . فأخذ هذا المعنى عنه ذو الرمة والطرماح

وله قصيدة منها البيت المشهور :

حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم

وللمثقب ديوان حوى شعره مع شروح منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وأخباره في الشعر والشعراء ٢٣٣ وخزانة الادب ٤٣١ ج ٤ وشعراء النصرانية ٤٠٠

٥ — المنخل اليشكرى

توفي سنة ٥٩٧ م

هو المنخل بن عبيد من يشكر من بكر وائل (ربيعة) شاعر مقل كان ينادم النعمان مع النابغة الذبيانى ولكن النعمان كان يؤثر شعر النابغة على شعره، فسعى المنخل بالنابغة وأوغر صدر النعمان عليه حتى هم بقتله فهرب النابغة وخلا المنخل بمجالسته . ثم اتهمه النعمان بامرأته وأمر بقتله فقتل ويقال انه دفن حياً . والعرب تضرب المثل به كما تضربه بمن هلك منهم ولم يعلم خبره . ومن مشهور شعره أبيات من قصيدة له فى الفخر مطلعها :

ان كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تحورى

الى أن يقول : ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فاذا انتشيت فانني رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير

وأخبار المنخل في الاغانى ١٥٢ ج ١٨ و ١٦٦ ج ٩ والشعر والشعراء ٢٣٨ وشعراء النصرانية ٤٢١

٦ ـ كعب بن زهير

توفي سنة ٢٤ هـ

هو كعب بن زهير بن أبى سلمى ولكعب ذكر خاص عند ظهور الاسلام لانه من المخضرمين وكان من أكثر الشعراء هجواً للنبي ثم جاءه وأسلم ومدحه بقصيدته المشهورة التى مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم عندها لم يجز مكبول

وهي من المشوبات . ولما أقبل على النبي وطلب الامان أنشده اياها والمجلس حافل بالصحابة من قريش وغيرهم فلما وصل الى قوله :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا خور معازيل

أشار النبي الى الخلق أن يسمعوا شعر ابن زهير . ولما فرغ من الانشاد خلع النبي عليه بردته وهي التى تداول الخلفاء لبسها (١)

وقد طبعت مشوبة كعب مراراً بمصر وأوربا وشرحها كثيرون منهم ابن دريد والتبريزى وغيرهما في العصور المختلفة الى الآن . ومن الاصل والشروح نسخ كثيرة في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها . وشطرها غير واحد مما يطول شرحه . وأخبار كعب في الاغاني ١٤٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ٥٨ و ٦٧ والجمهرة ١٤٨ والحماسة وغيرها

٧ ـ معن بن أوس

توفي سنة ٢٩ هـ

هو معن بن أوس بن نصر من مزينة (مضر) شاعر مجيد فحل من المخضرمين

(١) راجع تاريخ البردة النبوية في تاريخ التمدن الاسلامى ١١٥ ج ١ (طبعة ثالثة)

وله مدائح فى جماعة من الصحابة ووفد على عمر بن الخطاب مستعيناً به على أمره وخاطبه بقصيدته التى أولها :

تأوبه طيف بذات الجرائم فنام رفيقاه وليس بنائم

ويقال انه لقى معاوية أيضاً وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير . وأشعر أهل الاسلام منهم وهما ابنه كعب ومعن بن أوس . وكان معن مثناثاً ويحسن صحبة بناته وتربيتهن . ومن شعره قوله :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلم
اذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها تلك السفاهة والظلم
فأسعى لكي أبني ويهدم صالحي وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
يحاول رغمى لا يحاول غيره وكالموت عندي أن ينال له رغم
فما زلت في لين له وتعطف عليه كما تحنو على الولد الام
لأستل منه الضغن حتى سللته وان كان ذا ضغن يضيق به الحلم

وله ديوان مطبوع في ليبسك سنه ١٩٠٣ وأخباره في الاغانى ١٦٤ ج ١٠ وخزانة الادب ٢٥٨ ج ٣

الباقى من هذه الطبقة

وفي هذه الطبقة من الجاهليين والمخضرمين جماعة ضاق المقام عن تراجمهم وفيهم بضعة من الفحول . ولكن أكثرهم مقلون فنكتفي بأسمائهم مرتبة على الابجدية مع الاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في معرفة أخبارهم :

اسم الشاعر	المآخذ
٨ ابن الغريرة من تميم شاعر مخضرم	الاغانى ٩٧ ج ١٠
٩ ابوخراش الهذلى هذيل	« ٣٨ ج ٢١
١٠ أبو ذؤيب « « من اصحاب المراثى	« ٥٨ ج ٦ والشعر والشعراء ٤١٣
١١ ابوزبيد الطائي كان يزور الملوك أيام عثمان	« ٢٤ ج ١١ « « ١٦٧
١٢ ابو العيال من هذيل شاعر فصيح أدرك معاوية	« ١٦٧ ج ٢٠
١٣ الاسود بن يعفر من تميم شاعر فصيح	الشعر والشعراء ١٣٤ والاغانى ١٣٤ ج ١١ والخزانة ٩٥ ج ١ وشعراء النصرانية ٤٧٥

اسم الشاعر	المآخذ
١٤ جران العود (١)	الشعر الشعراء ٤٥٠
١٥ الحادرة المازني (٢) شاعر مقل	الاغانى ٨٢ ج ٣
١٦ حنظلة الطائي صاحب الوفاء	شعراء النصرانية ٨٩ والمستطرف ١٦١ ج ١
١٧ خزيمة بن نهد من قضاعة شاعر قديم	الاغانى ١٥٩ ج ١١
١٨ ربيعة بن مقروم من ضبة	« ٩٠ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٨٠ وخزانة الادب ٥٦٦ ج ٣
١٩ سويد بن ابى كاهل من يشكر	« ١٧١ ج ١١ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٠ عدى بن زيد العبادي من تميم من أصحاب المجمهرات شاعر كاتب كسرى	« ١٨ ج ٢ والشعر والشعراء ١١١ والجمهرة ١٠٢
٢١ عدي بن نوفل من قريش شاعر مقل	« ١٣٥ ج ١٣
٢٢ عمرو بن شاس من أسد	« ٦٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ٢٥٤
٢٣ عمرو بن سعيد من قريش	« ٨٧ ج ٨
٢٤ عمرو بن براق شاعر قديم	« ١٣٠ ج ٢١
٢٥ عمرو بن قميئة من ربيعة	« ١٦٣ ج ١٦ والخزانة ٢٤٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٢٢٢
٢٦ عيينة بن مرداس شاعر مقل	« ١٤٣ ج ١٩
٢٧ غيلان الثقفى من أهل الطائف	« ٤٥ ج ١٢
٢٨ فضالة بن شريك من مضر وفد على ابن الزبير	« ١٧١ ج ١٠
٢٩ كعب بن مالك من الخزرج مخضرم	« ٢٦ ج ١٥ والخزانة ٢٠٠ ج ١
٣٠ لقيط بن معمر الايادى شاعر جاهلى قديم (٣)	« ٢٣ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٩٧
٣١ المتنخل من هذيل شاعر فحل	« ١٤٥ ج ٢٠ وخزانة الادب ١٣٧ ج ٢

(١) له ديوان مشروح في دار الكتب المصرية

(٢) له ديوان خطى في دار الكتب المصرية وفي المتحف البريطاني وطبع شيء منه في ليدن سنة ١٨٥٨ (٣) له ديوان في مكتبة أياصوفيا

اسم الشاعر	المآخذ
٣٢ المخبل السعدى من تميم مات أيام عمر	الاغاني ٤٠ جـ ١٢ والشعر والشعراء ٢٥٠ وخزانة الادب ٥٣٥ جـ ٢
٣٣ الممزق العبدى (٤٨٠) شاعر قديم	الشعر والشعراء ٢٣٥
٣٤ النمر بن تولب من عكل من أصحاب المجمهرات	الاغانى ١٥٧ جـ ١٩ والشعر والشعراء ١٧٣ والجمهرة ١٠٩
٣٥ هدبة بن الخشرم[1] من بادية الحجاز كان راوية الحطيئة	الاغانى ١٦٩ جـ ٢١ والشعر والشعراء ٤٣٤ وخزانة الادب ٨٤ جـ ٤
٣٦ يزيد بن عبد المدان	شعراء النصرانية ٨٠

هؤلاء شعراء الجاهلية والمخضرمون ممن وقفنا لهم على تراجم مستقلة مع بيان أغراضهم ومراتبهم . وهناك طائفة كبيرة عرفوا بابيات أو قصائد ومنهم كثيرون في كتب الادب والحماسة والمجمهرات والمفضليات وغيرها

مآخذ الشعراء الجاهليين

يحسن بنا أن نأتي على ذكر الكتب التى يمكن لطلاب الشعر التوسع بها في معرفة الشعراء الجاهليين أو المخضرمين غير الدواوين التى تقدم ذكرها وغير المعاجم اللغوية . وهذه أهمها مما طبع ويقرب تناوله ونذكر هنا الطبعات التى عولنا عليها فى المآخذ التى بين أيدينا مرتبة على الابجدية لتسهل المراجعة على المطالع :

اسم الكتاب	سنة الطبع ومكانه
١ أشعار الهذليين رواية السكرى	لندن سنة ١٨٥٤
٢ الاصمعيات	ليبسك « ١٩٠٢
٣ الاغاني لابي الفرج الاصبهانى ٢٩ جزءاً	بولاق « ١٢٨٥
٤ أمالى القالى	مصر « ١٣٢٦
٥ أمثال العرب للضبي	الآستانة « ١٣٠٠
٦ البيان والتبيين للجاحظ جزآن	مصر « ١٣١٣
٧ جمهرة أشعار العرب لابى زيد بن أبي الخطاب	بولاق « ١٣٠٨
٨ جمهرة الامثال لابى الحسن العسكرى	بمباي « ١٣٠٧

(١) عنه مقالة بالفرنساوية لدوجات فى المجلة الاسيوية الفرنساويه سنه ١٨٥٥

	اسم الكتاب	سنة الطبع ومكانه
٩	الحماسة لابى تمام وشرحها للتبريزى ٤ أجزاء	بولاق سنة ١٢٩٦
١٠	« للبحترى	بيروت « ١٩٠٩
١١	خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ٤ أجزاء	بولاق « ١٢٩٩
١٢	سيرة الرسول لابن هشام ٣ أجزاء	بولاق « ١٢٩٥
١٣	شرح القصائد العشر للتبريزى	كلكته « ١٨٩٤
١٤	شرح المقامات الحريرية للشريشى	بولاق « ١٢٨٤
١٥	الشعر والشعراء لابن قتيبة	ليدن « ١٩٠٢
١٦	شعراء النصرانية للاب شيخو ٦ أجزاء	بيروت « ١٨٩٠
١٧	طبقات الشعراء لاسكندر ابكاريوس	بيروت « ١٨٥٨
١٨	العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهليين	لندن « ١٨٧٠
٩	العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ أجزاء	مصر « ١٣٠٥
٢٠	العمدة لابن رشيق جزءان	مصر « ١٣٢٥
٢١	قواعد الشعر لثعلب	ليدن « ١٨٩٠
٢٢	الكامل لابن الاثير ١٢ جزءاً	مصر « ١٣٠٢
٢٣	الكامل للمبرد	مصر « ١٢٨٦
٢٤	الكشكول وعلى هامشه ادب الدنيا والدين	مصر « ١٣٠٥
٢٥	مجمع الامثال للميداني مشروح	بيروت « ١٣١٢
٢٦	مصارع العشاق للسراج	الآستانة « ١٣٠١
٢٧	معجم البلدان لياقوت الحموي ٦ أجزاء	ليبسك « ١٨٧٠
٢٨	معجم ما أستعجم للبكرى جزءان	غوتنجن « ١٨٧٧
٢٩	المعلقات وشروحها	مصر « ١٣١٩
٣٠	المفضليات للمفضل الضبى	ليبسك « ١٨٨٥
٣١	نقد الشعر لقدامة بن جعفر	الآستانة « ١٣٠٢

ولا يخفى أن للمستشرقين عناية كبرى في الشعر العربى ولهم فيه أبحاث وانتقادات واليك أشهر ما كتبوه بهذا الشأن لعل القاريء يحب الاطلاع عليها نذكرها باللغات التي كتبت فيها مع مكان طبعها وسنته :

Ahlwardt, Ueber Pœsie und Pœetik der Araber ; Gotha 1856
Clouston, Arabian Pœtry for English resaders, Glasgow, 1881
Guyard, Théorie nouvelle de la métrique arabe précédée de Consideration gén. sur le rhythme natural du langue, J. A. 1876.
Muir, Ancient Arabic Pœtry ; its genuinness & its Authenticity, J. R. A. S. 1879
Moeldeke, Beitrage Zur Kenntness der Poesie der alten Araber, Hanover 1864
Slane, Le diwan d'Amrou'l'Kais précédé de la vie de ce poète, Paris 1837
Lyall, :Translation of Ancient Arabic poetry, London, 1887.

وهناك شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية اسمه رياض الفيض طبع في لاهور (الهند) سنة ١٢٩٩

رابعاً ـ الخطابة

في الجاهلية

الخطابة تحتاج الى خيال وبلاغة ولذلك عددناها من قبيل الشعر أو هي شعر منثور وهو شعر منظوم وان كان لكل منهما موقف . فالخطابة تحتاج الى الحماسة ويغلب تأثيرها فى أبناء عصر الفروسية وأصحاب النفوس الابية طلاب الاستقلال والحرية مما لا يشترط في الشعر . ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا الوجه لان كليهما أهل شعر وخطابة وأهل اباء واستقلال . ولذلك أيضاً كانت الخطابة رائجة عند الرومان مع تأخر الشعر عندهم . ولنفس هذا السبب قصر العبرانيون في الخطابة مع تقدمهم في الشعر لغلبة الذل والضعف علي طباعهم فتحول خيالهم الشعري الي الشكوى والتضرع وانصرفت قرائحهم الى نظم المراثى والحكم

أما العرب فقد قضى عليهم الاقليم بالحرية والحماسة وهم ذوو نفوس حساسة مثل سائر أهل الخيال الشعرى فأصبح للبلاغة وقع شديد في نفوسهم فالعبارة البليغة تقعدهم أو تقيمهم بما تثيره في خواطرهم من النخوة . واقتضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا ويتنافروا فاحتاجوا الى الخطابة في الاقناع وتأليف الاحزاب ـ وان غلب في مواضيع خطبهم المفاخرة بالاحساب والآداب في المجالس والاندية العمومية والخصوصية وكانوا يخطبون وعليهم العمائم وهم وقوف في أيديهم المخاصر ويعتمدون على الارض بالقسى ويشيرون بالعصى والقنا وقد يخطبون وهم جلوس على رواحلهم [1] . ومما يدل على تشابه الشعر والخطابة ان الغالب في الشعراء ان يخطبوا والخطباء أن ينظموا فيكون الواحد شاعراً وخطيباً فاذا غلب عليه الشعر

(١) البيان والتبيين ٢ ج ٢ و ٣٩ ج ١

سموه شاعراً أو الخطابة سموه خطيباً . والقبائل التى كثر خطباؤها هي غالباً التى كثر شعراؤها . ومن أقوالهم في تاريخ الشعر والخطابة ان عبد القيس بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من أشعر القبائل ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرة البادية وفي معدن الفصاحة [١] ويدل ذلك على نتائج احتكاك الافكار عند الاختلاط بالاعاجم . ولهذا السبب كثر الخطباء أيضاً في اليمن لاختلاطهم بالفرس وكان الفرس أهل خطابة مثل العرب

﴿ مواضيع الخطب ﴾ وكان العرب يخطبون بعبارة بليغة فصيحة وهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون وانما كانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر وكانوا يدربون فتيانهم عليها من حداثتهم [٢] لاحتياجهم الى الخطباء في ايفاد الوفود مثل حاجتهم الى الشعراء في حفظ الانساب والدفاع عن الاعراض . ولكنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب في الجاهلية فلما جاء الاسلام صار الخطيب مقدماً لحاجتهم اليه في الاقناع وجمع كلمة الاحزاب . ولكن نظراً لحاجة العرب الى الخطباء في ارسال الوفود فقد كان خطيب القبيلة عندهم عميدها وزعيمها وهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن ألسنة

أما ايفاد الوفود فقد كان شائعاً في تلك العصور فكانت دول الروم والهند والصين والفرس يتبادلون الوفود لمبادلة العلائق أو للمفاخرة ولم يكن للعرب دولة تستوفد من قبلها ولكن المناذرة ملوك العرب في العراق كانوا يذكرون فصاحة العرب بين يدي الاكاسرة وخصوصاً كسرى أنو شروان فكان يميل الى مشاهدتهم فاتفق مرة أن النعمان خاطبه في ذلك فطلب اليه أن يريه واحداً منهم فاستقدم جماعة من خطباء العرب اختار من كل قبيلة اثنين أو ثلاثة هم بالحقيقة حكماؤها ووجهاؤها ومنهم اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة من قبيلة تميم والحرث بن ظالم وقيس ابن مسعود من قبيلة بكر وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل من بني عامر وغيرهم . فقدموا على كسرى وخطب كل منهم بين يديه خطاباً ذكره ابن عبد ربه مفصلا في الجزء الثالث من العقد الفريد

على أن عرب اليمن وشرقى جزيرة العرب كانوا يقدمون على كسرى للشكوى من عماله هناك وكان غيرهم من العرب يفدون عليه بالهدايا من الخيل ونحوها على سبيل الاستجداء كما فعل أبو سفيان والد معاوية

(١) البيان ٤٢ ج ١ (٢) البيان والتبيين ٥٨ و ٩٨ ج ١

وكانوا يفدون على الامراء من العرب وغيرهم كوفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر بالحيرة وعلى آل جفنة في البلقاء . ووفود وجهاء قريش على سيف ابن ذى يزن في اليمن بعد قتله الحبشة ـ وفدوا عليه للتهنئة بالنصر وكان في جملة خطباء ذلك الوفد عبد المطلب جد النبي . ومن هذا القبيل وفود القبائل على النبي بعد أن استتب له الامر فقد جاءه من كل قبيلة وجهاؤها وخيرة بلغائها للدخول في الاسلام أو للاستفهام أو غير ذلك . ومن هذا القبيل أيضاً وفود العرب على الخلفاء للتسليم والتهنئة كوفود جبلة بن الايهم وعمرو بن معدي كرب على عمر بن الخطاب ووفود أهل اليمامة على أبي بكر وغيرهم مما يطول شرحه

﴿ الخطباء ﴾ وجملة القول ان الخطباء كانوا عديدين في النهضة الجاهلية كالشعراء والغالب فيهم أن يكونوا أمراء القبائل أو وجهاءها أو حكماءها . وكان لكل قبيلة خطيب أو غير خطيب كما كان لها شاعر أو غير شاعر . وأشهر خطباء الجاهلية قس بن ساعدة من بنى أياد وقد أدركه النبي فرآه في سوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول في خطابه « أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت » (١) وقد تقدم ذكره بين الشعراء

ومنهم سحبان وائل الباهلى الذى يضرب المثل بفصاحته فيقال « هو أخطب من سحبان وائل » وكان اذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ . ومنهم جماعة كبيرة من حمير كدويد بن زيد وزهير بن جناب ومرثد الخير وغيرهم من سائر القبائل كالحارث بن كعب المذحجي وقيس بن زهير العبسى وذى الاصبع العدوانى وأكثم بن صيفي التميمى وعمرو بن كلثوم وغيرهم

وكانوا يخيرون في خطبهم الالفاظ الرقيقة والمعاني المألوفة . وكانت خطبهم على ضربين الطوال والقصار . والقصار أكثر عدداً لانهم كانوا يفضلونها لسهولة حفظها . وكانوا لشدة عنايتهم بالخطب يتوارثونها ويتناقلونها في الاعقاب ويسمونها بأسماء خاصة كالعجوز خطبة لآل رقية والعذراء خطبة قيس بن خارجة والشوهاء خطبة سحبان (٢)

وتجد أمثلة من خطب الجاهلية أو بأثناء الفتوح في كتب الادب ولا سيما العقد الفريد لابن عبد ربه . والبيان والتبيين للجاحظ والاغانى ونهج البلاغة (خطب على) وفي كتب المغازى والفتوح كفتوح الشام لابى اسماعيل البصري وفتوح الشام للواقدي

(١) البيان والتبيين ١١٩ ج ١ (٢) البيان والتبيين ١٣٣ ج ١

وفتوح البلدان للبلاذرى والسيرة النبوية لابن هشام وتاريخ الطبرى وابن الاثير وغيرها

خامساً ـ الانساب

فى الجاهلية

﴿ الانساب ﴾ كان للانساب في عصور الجاهلية عند الامم القديمة شأن كبير وكان للناس عناية عظمى في حفظ انسابهم للتناصر على الاعداء أو للتفاخر بالآباء . وقد بالغ اليونان في ذلك حتى حفظوا أنساب آلهتهم وكيفية تسلسلها بعضها من بعض ثم نسبوا انفسهم اليها فلم يكن في جاهلية اليونان أسرة كبيرة من الاشراف ورجال السلطان الا وحبل نسبها يتصل ببعض تلك الآلهة . وقد نظم بعضهم الاشعار للتفاخر بذلك قبل المسيح ببضعة قرون . وكذلك كان الرومان في أقدم اجيالهم فالطبقة التى تعرف عندهم بالبطارقة كانوا يدعون الانتساب الى آباء أعلى طبقة من البشر . ومن هذا القبيل انتساب اليهود الى الآباء الاولين والانبياء وافتخارهم بذلك على سائر الامم وهم يمتازون في هذا عن اليونان والرومان أنهم يرجعون جميعاً الى أب واحد ـ وهذا أيضاً من قبيل ميلهم الفطرى الى التوحيد مثل سائر الامم السامية

﴿ نسب العرب ﴾ والعرب من حيث انسابهم فرع من العبران لان العدنانيين منهم يرجعون فى أصل آبائهم الاولين الى اسماعيل بن ابراهيم والقحطانيين ينتسبون الى يقطان بن عابر . وقد زادت عناية العرب في الانساب رغبة في التناصر على الغرباء أو بعضهم على بعض . وقد رتبت انساب العرب في ست مراتب أو طبقات أولها الشعب ثم القبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة . فالشعب هو النسب الابعد مثل عدنان وقحطان ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربيعة ومضر ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها انتساب القبائل مثل قريش وكنانة ثم البطن وهو ما انقسمت فيه انساب العمارة مثل بني عبد مناف وبنى مخزوم ثم الفخذ وهو ما انقسمت اليه انساب البطن مثل بنى هاشم وبني أمية ثم الفصيلة مثل بني أبى طالب وبنى العباس (١)

وبالغ العرب في الرجوع الى الاجداد حتى رجعوا بأسماء المدن الى أسماء بعض أجدادهم . والغالب أن ينتهى النسب بأحد آباء التوراة ـ فاذا سئل أحدهم مثلا عن الاندلس من بناها قال « بناها أندلس بن يافث بن نوح » (٢) وكان النسابون يحفظون اسماء القبائل وما يتفرع منها حفظا دقيقا فاذا عرض لهم رجل فقال أنا من

(١) الماوردي الاحكام السلطانية ١٩٤ (٢) ابن خلكان ١٤ ج ١

بني تميم مثلا انسبني فانه يبدأ من قبيلة تميم وما تفرع منها من العمائر والبطون والافخاذ حتى ينتهي الى الفصيلة ومنها الى والد السائل أو اليه هو نفسه

وكثر النسابون في الجاهليه ولم تخل قبيلة أو عمارة أو بطن من نسابة أو غير نسابة . ومن أشهرهم دغفل السدوسى من بنى شيبان وعميرة أبو ضمضم وابن لسان الحمرة من بني تيم اللات وزيد بن الكيس النمري والنخار بن أوس القضاعي وصعصعة ابن صوحان وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وغيرهم (١) وظل النسب محفوظا في صدر الاسلام واشتهر كثير من النسابين فلما آلت الدولة الى الموالى والمصطنعين صار الناس ينتسبون الى مواليهم ومصطنعيهم

سادساً ـ الاخبار أو التاريخ

في الجاهلية

لم يكن عند العرب الجاهليـة تاريخ من قبيـل ما نفهمه من هـذه اللفظة اليوم ولـكنهم كانوا يتناقلون أخباراً متفرقة بعضها حدث في بلادهم والبعض الآخر نقله اليهم الذين عاشروهم من الامم الاخرى. فمن أمثال أخبارهم حروب القبائل المعروفة بأيام العرب وقصة سد مأرب واستيلاء أبي كرب تبان أسعد على اليمن وبعض من خلفه وملك ذى نواس وقصة أصحاب الاخدود وفتح الحبشة لليمن وقصة أصحاب الفيل وقدومهم الـكعبة وحرب ذي يزن الحميرى الى آخر ما انتهى اليه أمر الفرس في اليمن وقصة عمرو بن لحي وأصنام العرب وحكاية جرهم ودفن زمزم وتاريخ الـكعبة الى أيام قصى بن كلاب وولاية الحج وأمر عامر بن الظرب ثم ما كان من غلب قصى على أمر مكة وقصة حلف المطيبين وحلف الفضول وحفرها بئر زمزم وحرب الفجار وحديث بنيان الـكعبة . غير أخبار عاد وثمود وغيرهما من العرب البائدة وحكاية بلقيس وسليمان ونحوهما من أخبار التوراة وغير ذلك من الاخبار التى كان العرب يتناقلونها عند ظهور الاسلام

سابعاً ـ أسواق العرب ومجالس الادب

في الجاهلية

١ ـ اسواق العرب

المراد بالسوق مكان يجتمع فيه أهل البلاد أو القرى في أوقات معينة يتبايعون

(١) بلوغ الارب ١٩٦ ج ٣ والبيان ١١٨ ج ١

ويتداولون ويتقايضون . ولا تزال أمثال هذه الاسواق تقام الى اليوم في القرى أو في البلاد البعيدة عن التمدن الحديث . على أن في بعض المدن الكبرى كالقاهرة مثلا أسواقا تنعقد في بعض أيام الاسبوع وتعرف بها كسوق السبت أو السبتية وسوق الثلاثاء أو الاربعاء . فيجتمع اليها الناس من الضواحي للبيع والشراء

ومن هذه الاسواق ما ينعقد كل اسبوع ومنها ما لا ينعقد الا مرة في الشهر أو فى السنة ومنها ما ينعقد مرة كل بضع سنين . فان للهنود سوقا يقيمونها فى هردوار على ضفاف الكنج كل سنة ويبلغ عدد المجتمعين هناك في الموسم ٣٠٠ ٠٠٠ نفس . ويقيمون في ذلك المكان حجا مرة كل ١٢ سنة يبلغ عدد الحاجين اليه نحو مليون نفس وهو أكبر أسواق العالم . وأمثال هذه الاسواق كثيرة في روسيا وتركيا وفي جرمانيا وفرنسا وانكلترا وأميركا . ففي روسيا سوق تقام في مدينة نوفكرود مرتين في السنة يبلغ عدد الذين يؤمونها ١٢ ٠٠٠ نفس يجتمعون هناك من سائر بلاد روسيا ومن شرقي اوربا . ويقدرون قيمة ما يباع من البضائع في أسواق روسيا بنحو ١٢ ٠٠٠ ٠٠٠ روبل في العام وقس على ذلك سائر الاسواق الكبرى

وقد كان كثير من أمثال هذه الاسواق فى العالم القديم . ولكن الاقدام لا تتزاحم فيها الا اذا كان الغرض من الاجتماع حجا دينيا . فاذا اجتمع الناس في مكان الحج وتكاثروا احتاجوا الى من يبيعهم الاطعمة والاشربة وغيرها فتقام الاسواق لهذه الغاية : كذلك كان شأن العرب في سوق عكاظ وغيرها من اسواق الجاهلية

﴿ اسواق العرب ﴾ وكان للعرب في الجاهلية اسواق يقيمونها في أشهر السنة وينتقلون من إحداها الى الاخرى يحضرها العرب من قرب منهم ومن بعد فاذا فرغوا من سوق انتقلوا الى سواها . فكانوا ينزلون دومة الجندل فى أعالى نجد أول يوم من شهر ربيع الاول فيقيمون اسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء ثم ينتقلون الى سوق هجر فيقيمون هناك شهراً ويرتحلون منها الى عمان فيقيمون سوقهم ثم يرتحلون الى حضرموت فعدن وبعضهم ينزل صنعاء فيقيمون اسواقهم ثم يرتحلون الى عكاظ في الاشهر الحرام . وكانت لهم أسواق أخرى في صحار والشحر والمجنة وحباشة والمشقر وغيرها (١)

﴿ سوق عكاظ ﴾ وأشهر اسواق العرب الجاهلية سوق عكاظ وهي مكان بين الطائف ونخلة صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل الا ما كان من الانصاب التى كانت لاهل الجاهلية وبها من دماء البدن كالارحاء العظام (٢) فكانت العرب

(١) نهاية الارب (خط) (٢) معجم البكرى ٦٦٠

اذا قصدت الحج أقامت بهذه السوق من أول ذى القعدة يبيعون ويشترون الى عشرين منه ثم يتوجهون الى مكة فيقضون مناسك الحج ثم يعودون الى أوطانهم وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده الاعكاظ فانهم كانوا يتوافدون اليها من كل ناحية . ومن كان له اسير سعى في فدائه هناك ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الحكومة فى أيام الموسم وهم اناس من تميم . ومن كان له ثأر على أحد ولم يعرف مكانه طلبه في المواسم . أو أراد أحد أن يعمل عملا تعرفه العرب أو يستشهدها فيه عمله في عكاظ (١) أو أراد أن يفاخر أحداً على مشهد من الناس فاخره هناك : وكانوا يتفاخرون حتى في كبر المصائب كما تقدم عن معاظلة الخنساء وهند بنت عتبة

وانما يهمنا في هذا المقام أن العرب كانوا يغتنمون وقت المواسم واجتماع القبائل ويقيمون مجالس البحث فى كل موضوع كالمناشدة والمفاخرة فينشد الشعراء ويخطب الخطباء فيختارون كبيراً من وجهائهم يجعلونه حكما فيما يختلفون فيه . وكان النابغة الذبياني اذا أتى عكاظ في الموسم ضربوا له قبة حمراء من ادم وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها (٢) ليحكم فيها ويقال إنهم كانوا اذا أقروا على فضل قصيدة علقوها هناك أو في الكعبه ومنها المعلقات السبع

وشأن العرب في ذلك شأن اليونان القدماء في الجمناسيوم وهي أبنية كانوا يجتمعون فيها للالعاب البدنية وفيهم الفلاسفة والعلماء فكانوا يغتنمون فرصة وجودهم هناك ويتباحثون ويتناظرون ويتنافرون كما كان يفعل العرب في عكاظ (٣) ولا يخفى ما في ذلك من تمحيص الحقائق واستحثاث القرائح فضلا عما كان يترتب على ذلك الاجتماع من تنقيح اللغة ونموها . فان قريشاً كانوا يسمعون لغات القبائل في أثناء تلك الاجتماعات فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ كالكشكشة والكسكسة والعنعنة والفخفخة والوكم والوهم والعجعجة والاستنطاء والشنشنة وغير ذلك من العيوب في لغات الأمم الاخرى (٤)

٢ ـ مجالس الادب

وكان للعرب مجالس يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار ومبادلة الأخبار والبحث في

(١) الاغاني ٢ ج ١٣ (٢) الشعر والشعراء ١٩٧
(٣) Lit: Gr. 132 (٤) المزهر ١٠٩ ج ١

بعض شؤونهم العامة . وكانوا يسمون تلك المجالس الاندية ومنها نادي قريش ودار الندوة بجوار الكعبة وكان لكل بيت فناء بين يديه للاجتماع (١) ولكل قوم مجتمع عام فى المضارب (٢) على أنهم كانوا حيثما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا

وتجد اخبار أسواق العرب وأماكنها فى جملة التاريخ الجاهلى . وفي كتب الاقاليم والمعاجم الجغرافية وخصوصاً معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكرى وصفة جزيرة العرب للهمدانى وكلها مطبوعة . فضلا عما جاء من أخبارها فى الاغاني ٩ ج ١ و٦١ ج ٢ و٢٢ و١١٠ و١٣٦ ج ٤ و٩٢ ج ٦ و ٤٦ ج ٧ و ١٠ ج ٩ و١٢ و٢٩ و١٤٨ ج ١٠ و ٥٤ ج ١٢ و ١٤١ ج ١٣ و٤١ ج ١٤ و ٧٣ ج ١٩ وفي السير النبوية وغيرها

ثامناً ـ العلوم الطبيعية

في الجاهلية

١ ـ الطب

الطب من جملة العلوم التي اشتهر بها الكلدان كهنة بابل ويقال انهم أول من بحث في علاج الامراض فكانوا يضعون مرضاهم في الازقة ومعابر الطرق حتى اذا مر بهم أحد أصيب بذلك الداء أخبرهم بسبب شفائه فيكتبون ذلك على ألواح يعلقونها في الهياكل ولذلك كان التطبيب عندهم من جملة أعمال الكهان . وعن الكلدان أخذت سائر الامم القديمة وفي جملتها العرب . وهو متشابه عند تلك الامم في مصر وفينيقية وأشور . وكان لمصر شأن خاص فيه . ثم تناوله اليونان فاتقنوه ورتبوا أبوابه وعنهم أخذ الرومان والفرس . ونظراً لمعاصرة العرب لهذه الدول فقد اقتبسوا شيئاً من طبها أضافوه الى ما جاءهم به الكلدان وإلى ما استنبطوه من عند أنفسهم بالاختبار فتألف من ذلك ما عبرنا عنه بالطب فى الجاهلية ولا يزال كثير منهم الى اليوم في قبائل البادية . وكان للتطبيب عندهم طريقتان الاولى طريقة الكهان والعرافين والثانية طريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقى والسحر أو بذبيح الذبائح في الكعبة والدعاء فيها أو بالتعزيم أو نحو ذلك

وكان التطبيب بالرقى شائعاً في الامم القديمة كلها وقد وجدوا في الآثار المصرية كثيراً من العزائم التى كانوا يصفونها لمعالجة المرضى . وجاء في أخبارهم

(١) الاغانى ٥٢ ج ٢ (٢) الاغاني ١٢٩ ج ١١

ان كاهنهم كان اذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان أحدهما يحمل كتاب العزائم والثاني يحمل صندوق العقاقير الطبية وهم يعالجون بالاثنين معاً . وكانوا يوجهون كلامهم في العزيمة أو الرقية الى أحد آلهتهم وخصوصاً ايزيس وأوزيريس ورع ولهم عبارات يقولونها عند وضع الادوية وعند مناولتها للمريض . فمن أمثلة العزائم التى كانوا يتلونها عند تناول الدواء : «هذا هو كتاب الشفاء لكل مريض فهل لايزيس أن تشفيني كما شفت حوريس من كل ألم أصابه من أخيه ست حينما قتل أباه أوزيريس ؟ فيا ايزيس أنت الساحرة الكبيرة اشفيني وخلصيني من كل شيء مكدر رديء شيطاني ومن أمراض اللبسة والامراض القاتلة والخبيثة بأنواعها التي تعتريني كما خلصت ابنك حوريس . . . » (١) وكان عندهم عزائم لاخراج الارواح الشريرة التى تسبب الامراض في زعمهم

فعلى هذه الكيفية كان العرب يتلون العزائم لاصنامهم ويرقون لاخراج الجان أو الشياطين . وكان اعتقادهم من هذا القبيل أنهم اذا خافوا وباء نهقوا نهيق الحمير يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء وان شرب دماء الملوك يشفى من الخبل

وأما معالجتهم العقارية فشبيهة بما كان عند المصريين وغيرهم من الامم القديمة فقد كانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة أو الاشربة وخصوصا العسل فانه كان قاعدة العلاج في امراض البطن — على أن اعتمادهم في معالجة الامراض كان معظمه عائداً الى الجراحة كالحجامة والكى ومن أقوالهم « كل داء حسم بالكى آخر الامر . وآخر الطب الكى » وكثيراً ما كانوا يعالجون بالقطع أو البتر والغالب أن يكون ذلك بالنار فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا . فاذا ارادوا فصل عضو حموا شفرة بالنار وقطعوه بها كما فعلوا بصخر بن عمرو أخي الخنساء لما نتأت قطعة من جوفه مثل الكبد على أثر طعنة فاحموا له شفرة وقطعوها (٢)

وكانوا يعالجون حول البصر بادامة النظر الى حجر الرحى في دورانه ويزعمون أن العين تستقيم به . ومن معالجاتهم التي نعدها اليوم خرافة أن المجروح اذا شرب الماء مات (٣) واذا خافت المرأة حتى برد قلبها سقوها ماء حاراً (٤)

﴿ الاطباء ﴾ وأما الاطباء فقد كانوا في أول الامر من الكهنة ثم تعاطى الطب جماعة العرب ممن خالطوا الروم والفرس وأخذوا الطب عنهم فاشتهروا بهذه الصناعة وأكثرهم من أهل النهضة الاخيرة قبل الاسلام حوالى القرن السادس

(١) بغية الطالبين ٢٥٨ (٢) الاغاني ١٣٧ ج ١٣
(٣) الاغانى ١٣١ ج ١٤ (٤) الاغانى ٣٢ ج ١٠

للميلاد . على أن بعضهم أقدم من ذلك كثيراً وأقدم أطبائهم لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم وفي أصله وزمن وجوده اختلاف . يليه رجل من تيم الرباب يقال له ابن حزيم ويضربون به المثل بالحذاقة في الطب فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك أطب من ابن حزيم وفيه يقول أوس بن حجر :

فهل لكم فيها الى فاننى بصير بما أعيا النطاسى حزيما

ومن أحدث أطباء الجاهلية الحرث بن كلدة توفي سنة ١٣ للهجرة وهو من بنى ثقيف من أهل الطائف رحل الى أرض فارس وأخذ الطب من جنديسابور وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالا ثم عاد الى بلاده وأقام في الطائف ونال شهرة واسعة وقد أدرك الاسلام وكان النبي يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه — ومنهم ابن أبي رومية التميمي والنضر بن الحرث بن كلدة

وأكثر هؤلاء الاطباء تناولوا الطب من بلاد الفرس أو الروم وبعضهم أخذه عن الكهان أو الاحبار من الاديار ونحوها . وربما أخذوا عنهم شيئا من الفلسفة القديمة كما فعل النضر المذكور . والظاهر أن بعضهم كان يخصص نفسه للاعمال الجراحية فيغلب عليه لقب الجراح وأشهر جراحي الجاهلية ابن أبى رومية التميمى المتقدم ذكره فقد كان جراحا مزاولا لاعمال اليد

ويؤخذ مما حوته اللغة العربية قبل الاسلام من أسماء العلل والامراض والعقاقير أن العرب عرفوا كثيراً من الامراض ومعالجتها . وناهيك بما عرفوه وتوسعوا فيه من أحوال الاعضاء وأوصافها وهو من قبيل علم التشريح . وهم يعبرون عنه بخلق الانسان وقد الف أدباء المسلمين كتباً كثيرة في هذا الموضوع نقلا عن العرب سيأتي ذكرها بين مؤلفات أهل اللغة . والمتأمل في ما حوته من أسماء الاعضاء وأوصافها يتبين له أن أولئك الجاهليين كانوا على معرفة بتشريح الاعضاء لان عندهم لكل عضو اسما ووصفاً من الرأس وما يتركب منه وما له من الصفات . الى الشعر وأقسامه وألوانه . فالاذن وما تركبت منه وأقسامها . فالوجه وما تركب منه . فالحاجب وأنواعه وما يحمد منه وما يذم . والعين وأصنافها وطبقاتها ومجارى دمعها وغير ذلك مما اشتملت عليه . والانف وما تركب منه وبيان أقسامه . والفم وما تركب منه . والاسنان وعددها وأسماء اصنافها وأجزائها ومنابتها . واللسان وما اشتمل عليه من الاجزاء والعظام التى في أسفله . والحلق وبيان ما فيه من اللغاديد واللغانين والحنجرة والغلصمة والبلعوم والحلقوم .

واللحيين وبيان محلهما وأسماء ما تركبا منه . واللحية وأسماء أجزائها وأقسامها وألوانها وسائر أوصافها . والعنق وما تركب منه . والمنكب والكتف وما اشتملا عليه . واليد وما تركبت منه من العظام والاعصاب والعضلات والعروق وما وضع لذلك من الاسماء . والاصابع وأسمائها وأجزائها . والظفر وأقسامه وأسمائه . والصدر وما تركب منه . والجنبين وعدد أضلاعهما وأسمائها وما يلحق ذلك . والبطن وما حوى . وكذلك في سائر الاعضاء . وقد توسعوا في بعضها حتى وضعوا لكل عضو عدة اسماء

وتجد نتفاً من الطب الجاهلي في العقد الفريد والاغاني والكشكول وحياة الحيوان وسواها من كتب الادب وغيرها ويستخرج شيء كثير من أشعارهم

٢ ـ البيطرة والخيل وعلوم طبيعية أخرى

وكان للعرب معرفة حسنة في شؤون الخيل وأحوالها لم يسبقهم اليها سواهم لما تعلمه من عنايتهم بأفراسهم ويعبرون عنها بالبيطرة . ونبغ فيهم غير واحد من اطباء الحيوان منهم العاص بن وائل . وظلت هذه المعرفة تتناقل في افراد منهم الى اليوم وهم يجولون في البادية يعالجون الخيل معالجة الحاذقين . وروى عنهم الرواة في صدر الدولة العباسية ووضعوا الكتب في ما جمعوه من هذا العلم . وخصص الآلوسي صاحب بلوغ الارب فصلا في هذا الموضوع بالجزء الثالث من كتابه جاء فيه على كثير من عيوب الخيل وما يستحب منها نقلا عن كتاب الخيل لابى عبد الله الاسكافي

وقد ألف الادباء كثيراً من الكتب فى الخيل وهى ترمى الى نحو هذا الغرض وتعد من كتب اللغة سيأتي ذكرها

ومن المعارف الطبيعية التى توصلوا اليها : أولا استنباط الماء ويسمونه الريافة فانهم كانوا يعرفون وجود الماء في مكان بشم التراب أو برائحة بعض النباتات أو نحو ذلك . ثانياً الاهتداء في البرارى بامارات يعرفونها بالاتربة أو بالنجوم . ثالثاً نزول الغيث وهو من قبيل الظواهر الجوية . رابعا الملاحة وقد اضطروا الى معرفتها لاسفارهم الى الهند والحبشة للاتجار من عهد دول اليمن . ونجد أمثلة من معارفهم هذه في الجزء الثالث من كتاب بلوغ الارب في أحوال العرب للالوسى وهو المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤

٣ـ الانواء ومهاب الرياح

ويراد بالانواء عندهم ما يقابل علم الظواهر الجوية عندنا مما يتعلق بالمطر والرياح ولكنهم كانوا ينسبون الظواهر المذكورة الى طلوع الكواكب أو غروبها ولذلك كان علم الانواء فرعاً من علم النجوم وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوءها أي نهوضها وسموا تأثير الطلوع بارحاً وتأثير السقوط نوءاً ومن طلوع كل واحدة منها الى طلوع التى تليها ثلاثة عشر يوماً سوى الجبهة فان بين طلوعها وطلوع التى تليها ١٤ يوماً . ومن أقوالهم في ذلك :

والدهر فاعلم كله أرباع لكل ربع واحد أسباع
وكل سبع لطلوع كوكب ونوء نجم ساقط في المغرب
ومن طلوع كل نجم يطلع الى طلوع ما يليه أربع
من الليالى ثم تسع تتبع

ثم اختلفوا فيها فزعم بعضهم ان كل تأثير يكون بعد طلوع منزلة الى طلوع التي تتلوها فهو منسوب اليها وزعم آخرون ان لطلوع كل واحدة وسقوطها مقداراً من الزمن ينسب اليها يكون فيه فاذا انقضت تلك المدة لم ينسب اليها ما يكون بعدها . وكانوا اذا تحقق التأثير فلم يظهر منه شيء في تلك الازمنة قالوا خوى النجم أو خوت المنزلة يعنون بذلك مضت مدة نوء ولم يكن فيه مطر أو حر أو برد أو ريح(١) ومن أمثالهم « اخطأ نوؤك » يضرب لمن طلب حاجة فلم يقدر عليها (٢)

وكانوا اذا أمطرت السماء نسبوا المطر الى تأثير النجم المتسلط في ذلك الوقت فيقولون مثلا مطرنا بنوء المجرة أو هذا نوء الخريف ومطرنا بالشعرى . وقالوا إن النوء سقوط نجم ينزل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه في الشرق من أنجم المنازل ولذلك كانت الانواء ٢٨ نوءا أو نجما كانوا يعتقدون أنها هى علة الامطار والرياح والحر والبرد . وفي أشعارهم أمثلة كثيرة تدل على علاقة أحوال الجو أو فصول السنة باقترانات الكواكب أو طلوعها وقد نظموها شعراً ليسهل حفظها على الناس لقلة الكتابة عندهم . ومن ذلك قولهم :

اذا ما قارن القمر الثريا لثالثة فقد ذهب الشتاء

وقول الآخر

اذا ما البدر تم مع الثريا أتاك البرد أوله الشتاء

(١) الاثار الباقية للبيروني ٣٣٩ (٢) مجمع الامثال للميداني ٢٠٢ ج ١

وقول الآخر :

اذا ما قارن الدبران يوماً لاربع عشرة قمر التمام
فقد حف الشتاء بكل أرض فوارس مؤذنات باحتدام
وحلق في السماء البدر حتى يقلص ظل أعمدة الخيام
وذلك في انتصاف الليل شطراً ويصفو الجو من كدر الغمام

وقول الآخر :

اذا ما هلال الشهر أول ليلة بدا لعيون الناس بين النعائم
اتتك رياح القر من كل وجهة وطاب قبيل الصبح كور العمائم

وقول الآخر :

وقد برد الليل التمام باهله وأصبحت العواء للشمس منزلا (١)

وكان عندهم لمطلع كل كوكب أو منزل وصف يدل على تأثير ذلك في الطقس على اعتقادهم ومن هذا القبيل اعتقادهم تأثير النجوم في أعمال البشر على ما كان عند الكلدان (٢) على أنهم كثيراً ما كانوا يستدلون على المطر أيضاً بالوان الغيوم وأشكالها فأقل الغيوم مطراً عندهم البيضاء ثم الحمراء ثم السوداء ومن أقوالهم «السحابة البيضاء جفل والحمراء عارض والسوداء هطلة» (٣)

وكان العرب في حاجة الى معرفة مهاب الرياح للاهتداء فى اسفارهم ولذلك فقد وضعوا لها الاسماء ولكنهم اختلفوا في عدد جهاتها فحسبها بعضهم ستة والبعض الآخر اربعة . فهى عند اصحاب القول الثاني ١ مهب الصبا من الشمال ٢ مهب الشمال من الغرب ٣ مهب الدبور من الجنوب ٤ مهب الجنوب من المشرق . ويزيد عليها أصحاب القول الاول النكباء بجانب الشمال والمحوة بجانب الجنوب واليك قول ذى الرمة في ذلك :

اهاضيب انواء وهيفان جرتا على الدار اعراف الجبال الاعافر
وثالثة تهوي من الشام حرجف لها سنن فوق الحصى بالاعاصر
ورابعة من مطلع الشمس اجفلت عليها بدقعاء المعا فقراقر
تحثها النكب الثوافى فاكثرت حنين اللقاح القاريات العواشر (٤)

وتجد أمثلة في هذا الموضوع في ما يأتى ذكره من الكتب التى تبحث في الفلك

(١) البيروني ٣٣٧ (٢) Rawlinson's Ancient Monarchies III.425
(٣) الميداني ١٠٩ ج ١ (٤) البيروني ٣٤٠

تاسعاً ـ العلوم الرياضية

في الجاهلية

١ ـ الفلك أو النجوم

معظم هذه العلوم دخيل على العرب اقتبسوه من الامم الاخرى ممن هاجر اليهم وقام بين ظهرانيهم أو التقوا بهم في أسفارهم وأكثر أخذهم عن الكلدان . فقد أخذوا عنهم علم النجوم وتعلموا منهم مواقع الابراج ومناطقها ومنازل القمر والشمس . وربما كان لهم علم بشيء من أحكامها من عند انفسهم أو مما وصل اليهم من طريق الهند أو غيرها . ولكن يقال بالاجمال ان العرب مدينون بعلم النجوم للكلدان وهم يسمونهم الصابئة ـ والصابئة ان لم يكونوا الكلدان أنفسهم فهم خلفاؤهم أو تلامذتهم (١) وكان الصابئة كثيرين في بلاد العرب ولهم مثل منزلة النصارى أو اليهود . فأخذ العرب عنهم علم النجوم باصطلاحاته وأسمائه وان كان معظم أسماء السيارات لا يرد الى أصله الكلداني فربما كان له أسباب عارضة ضاعت أخبارها

على أن بعضها لا يزال أصله الكلداني ظاهرا فيه كالمريخ مثلا فانه يقابل « مرداخ » الكلدانية لفظاً ومعنى . ولكن معظم تلك الاسماء قد ضاعت المشابهة اللفظية بينها وبقيت المشابهة المعنوية . فان « زحل » معناه في العربية الارتفاع والعلو وهي نفس دلالة « كاون » اسم هذا السيار في الكلدانية . وأما الابراج ومنازل القمر فلا تزال كما كانت عند الكلدان لفظا ومعنى ـ واليك اسماء الابراج عند كليهما :

اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية	اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية
الحمل أو الكبش	امرا	الميزان	ماسانا
الثور	ثورا	العقرب	عقربا
الجوزاء أو التوأمين	نامي	القوس أوالرامى	قشتا
السرطان	سرطان	الجدى	كديا
الاسد	اريا	الدلو	دولا
السنبلة	شبلتا	الحوت أو السمكة	نونا

واما منازل القمر والشمس فقد تبدل بعض اسمائها كما أصاب السيارات . ولكن

(١) مختصر الدول ٢٦٦

العبرة بالاكثر في قواعد هذا العلم ومصطلحاته فانها عند العرب كما كانت عند الكلدان تماماً حتى لفظ « منازل القمر » و « منازل الشمس » فان هذا التعبير هو نفس ما كان يعبر به الكلدان عن هذه المنازل . وقد ابدلته الامم الاخرى التى أخذت هذا العلم عن الكلدان بتعبير آخر الا العرب واليهود

ومعرفة العرب بالنجوم مشهورة فقد رأيت أنهم عرفوا السيارات والابراج وعرفوا عددا كبيرا من الثوابت ولهم في ذلك مذهب يختلف عن مذاهب المنجمين في الامم الاخرى (١) وفي قدم اسماء تلك النجوم في العربية دليل على قدم معرفة العرب بها وبمواقعها مثل بنات نعش الكبرى والصغرى والسها والظباء والربع والرابض والعوائذ والذئبين والنثرة والفرقد والقدر والراعى وكلب الراعي والاغنام والرامح والسماك وعصا الضياع وأولاد الضياع والسماك الرامح وحارس السماء والاظفار والفوارس والكف المخضب والخباء والعيوق والعنز والجديين وغيرها

أما منازل القمر فقد قسموها الى ثمانية وعشرين قسما خلافا لما كان عند الهنود فانها ٢٧ قسما عندهم . وأراد العرب منها غير ما أراده اولئك اذ كان مرادهم منها معرفة احوال الهواء في الازمنة وحوادث الجو في فصول السنة . لانهم كانوا أميين فلم تمكنهم معرفتها إلا بشيء يعاين فعلموا عليها بالكواكب كما رأيت في الكلام على الانواء . واليك اسماء منازل القمر في العربية وهي ٢٨

الثريا	الجبهة	الاكليل	سعد السعود
الدبران	الدبرة	القلب	سعد الاخبية
الهقعة	الصرفة	الشولة	الفرغ المقدم
الهنعة	العواء	النعائم	الفرغ المؤخر
الذراع	السماك	البلدة	بطن الحوت
النثرة	الغفر	سعد الذابح	الشرطان
الطرف	الزبانيان	سعد بلع	البطين

وكان العرب اذا عدوا المنازل بدأوا بالشرطين لاسباب تتعلق باقليمهم . وقد بالغ المتعصبون للعرب في صدر الدولة العباسية في براعة العرب في علم النجوم : ومن جملة المتعصبين ابن قتيبة فقد قال في كتابه تفضيل العرب على العجم أن العرب أعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها (٢) ومع اعترافنا بما في ذلك من المبالغة فاننا نستدل على توسع العرب في هذا العلم

(١) القزوينى على هامش الدميرى ٥٠ ج ١ (٢) البيروني ٢٣٨

ولا غرابة في اتقانهم معرفة النجوم ومواقعها فانها كانت دليلهم في أسفارهم واكثر أحوالهم فكانوا اذا سألهم سائل عن الطريق المؤدي إلى البلد الفلانى قالوا : « عليك بنجم كذا وكذا » فيسير فى جهته حتى يجد المكان وربما استعانوا على ذلك أيضاً بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات . ومن أمثلة ذلك أن سليك بن سعد سأل قيس بن مكشوح المرادي أن يصف له منازل قومه ثم هو يصف له منازل قومه فتوافقا وتعاهدا أن لا يتكاذبا فقال قيس بن مكشوح « خذ بين مهب الجنوب والصبا ثم سر حتى لا تدرى أين ظل الشجرة فاذا انقطت المياه فسر أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق فانك ترد على قومي مراد وخثعم » فقال السليك « خذ مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسري العاقد لها من أفق السماء ثم منازل قومى بني سعد بن زيد مناة » واشهر فى جاهلية العرب في اتقان علم النجوم جماعة منهم بنو مارية بن كلب وبنو مرة بن همام الشيبانى (١)

وقد الف الادباء في صدر الاسلام كتباً في الانواء ضاعت . وتجد أشياء متفرقة في كتاب الآثار الباقية للبيرونى والامثال للميداني وعجائب المخلوقات للقزوينى وحياة الحيوان للدميري وكلها مطبوع ومتداول

٢ ـ الميثولوجيا

ومما يلحق بعلم النجوم أيضا ما يعبر عنه الافرنج بالميثولوجيا وهي عبارة عما كانوا يزعمون وقوعه بين الكواكب أو هي الآلهة عندهم من الحروب أو الزواج أو نحو ذلك من حوادث البشر على نحو ما ذكروه عن آلهة اليونان . فالعرب ألهوا الاجرام وعبدوها وقد ضاع خبر ذلك لعدم تدوينه . على اننا نستدل عليه من بعض ما وصل الينا من اسماء اصنامهم وعبادة بعض رجالهم . فاللات اسم للزهرة وقد اشتهر كثيرون بعبادتها وعبادة الشمس والقمر والشعرى . وكانوا يتناظرون في أفضلية بعضها على بعض قالوا « وأبو كبشة أول من عبد الشعرى وكان يقول الشعرى تقطع السماء عرضا ولا أرى في السماء شمساً ولا قمراً ولانجماً يقطع السماء عرضاً غيرها » (٢)

أما تشخيص تلك الاجرام وانزالها منزلة البشر فقد كان معروفاً عند العرب ومن الاقاصيص الميثولوجية التى كانوا يتناقلونها أن الدبران خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه بها فابت عليه وولت عنه وقالت للقمر ما أصنع بهذا السبروت الذي

(١) البيرونى ٣٤١ (٢) الخميس ٦٥ ج ١

لامال له فجمع الدبران قلاصه يتمول بها فهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها قدامه يعنون القلاص . وان الجدي قتل نعشاً فبناته تدور به تريده . وإن سهيلا ركض الجوزاء فركضته برجلها فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها . وان الشعرى اليمانية كانت مع الشعرى الشامية ففارقتها وعبرت المجرة فسميت الشعرى العبور فلما رأت الشعرى اليمانية فراقها اياها بكت عليها حتى غمصت عينها فسميت الشعرى الغميصاء (١)

ومن هذا القبيل تأليههم بعض المشاهير من الملوك أو القواد أو الاسلاف واعتبار البعض الآخر من نتاج الملائكة أو الجان . فعندهم مثلا أن بلقيس كانت أمها جنية وان جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم . وكذلك كان ذو القرنين عندهم أمه آدمية وأبوه من الملائكة (٢) وأما أصل هذه الاعتقادات فاما هندي أو يوناني أو مصري . أما الكلدان فقلما كانت لهم عناية بأمثال ذلك

٣ ـ التوقيت

كان العرب يؤرخون بكل عام فيه أمر مشهور . وأشهر الحوادث التي وصلت الينا أخبارها مما أرخوا منها عام الفيل أي هجوم الاحباش على مكة وكان ذلك سنة ٣٨ من ملك كسرى أنو شروان . وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي . وكان عندهم تاريخ يسمى « زمن الفطحل » وهو أقدم أزمنتهم وفيه أقوال لا محل لها هنا (٣)

وكانت سنتهم قمرية وأشهرها ١٢ شهراً كما هي الآن وكانوا يكبسون أي يزيدون أياما كل سنة حتى تبقى النسبة محفوظة بين شهورهم وتوالى الفصول ولهم في الكبس طريقة ذكرها البيروني قال :

« وكذلك كانت العرب تفعل في جاهليتها فينظرون الى فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة بالجليل من الحساب فيلحقون بها شهراً كلما تم منها ما يستوفي أيام شهر . ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة وتتولى ذلك النسأة من كنانة المعروفون بالقلامس وأحدهم قلمس وهو البحر الغزير . وهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن قلع بن حذيفة وكانوا كلهم نسأة . وأول من

(١) الميداني ٣١٢ جزء ٢ (٢) الدميري ١٨ ج ٢
(٣) بلوغ الارب في احوال العرب ٢١٩ جزء ٣

فعل ذلك منهم كان حذيفة وهو ابن عبد فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن مالك ابن كنانة وآخر من فعله أبو ثمامة

« وكان أخذ ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتى سنة غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم ، الى أن حج النبي عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وأنزل عليه « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً » فخطب عليه الصلاة والسلام وقال : «ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض» وتلا عليهم الآية في تحريم النسيء وهو الكبس فاهملوه حينئذ وزالت شهورهم عما كانت عليه وصارت اسماؤها غير مؤدية لمعانيها » اهـ

وكان للعرب الجاهلية أشهر تعرف بأسماء غيرها اليوم فيقولون انه كان لهم أشهر هذه أسماؤها : المؤتمر . ناجر . اخوان . صوان . حنتم . زباء . الاصم . العادل . النافق . الواغل . الهواع . البرك . وكان لايام الاسبوع اسماء غير المعروفة الآن وهي : أول . اهون . جبار . دبار . مؤنس . عروبة . شبار . وعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم وكذلك لايام الشهر وغيره وقد تقدمت الاشارة اليه

وتجد اخبار ذلك مفرقة فى كتاب الآثار الباقية للبيرونى وفي الاغاني والعقد الفريد والكشكول وأمثال الميداني وغيرها من كتب الادب . وفي مروج الذهب للمسعودى وابن خلدون وأبي الفداء وغيرها في عرض الكلام عن العرب الجاهلية

عاشراً ـ ما وراء الطبيعة

١ ـ الكهانة والعرافة

هما لفظان لمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الكهانة مختصة بالامور المستقبلة والعرافة بالامور الماضية . وعلى كل حال فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب ، على ان العرب كانوا يعتقدون في الكاهن القدرة على كل شيء فكانوا يستشيرونه في حوائجهم ويتقاضون اليه في خصوماتهم ويستطبونه في امراضهم ويستفتونه في ما أشكل عليهم ويستفسرون منه رؤاهم ويستنبئونه عن مستقبلهم . وبالجملة فالكهان عندهم هم أهل العلم والفلسفة والطب والقضاء والدين شأن تلك الطبقة من البشر عند سائر الامم القديمة في بابل وفينيقية ومصر وغيرها

والكهانة من العلوم الدخيلة على العرب جاءتهم من بعض الامم المجاورة لهم . والغالب فى اعتقادنا ان الكلدان حملوها اليهم مع علم النجوم . ويؤيد ذلك ان الكاهن يسمى في العربية أيضاً « حازي » أو « حزاء » وهو لفظ كلدانى معناه الاشتقاقي الناظر أو الرائي أو البصير وهو يدل عندهم على الحكيم والنبي . وأما لفظ « الكاهن » فقد اقتبسه العرب بعدئذ من اليهود الذين نزحوا اليهم على أثر ما أصابهم من النكبات في أورشليم وخصوصاً بعد خرابها على يد طيطس سنة ٧٠ للميلاد وقد أخذ عنهم العرب كثيراً من الآداب والعادات مما لا يدخل في بحثنا

وأما الكهانة فأصلها من عند الكلدان ولعل الذين حملوا علم النجوم الى العرب هم الكهنة الكلدانيون أنفسهم فكانت الكهانة في جملة ما حملوه اليهم . ويؤيد ذلك ان العرب كانوا يطلقون لفظ الحزاء على الكاهن والمنجم (١) على أن أهل بابل ما زالوا يتواردون الى بلاد العرب الى ما بعد الاسلام والعرب يجلونهم لعلمهم وتعقلهم

فالعرب كانوا يعتقدون في الكهنة العلم بكل شيء وان ذلك يأتيهم بواسطة الارواح فمن كان منهم يعتقد التوحيد نسب ذلك الى استطلاع الغيب عن أفواه الملائكة . واذا كان من عبدة الاصنام اعتقد احتلال الارواح في الاصنام واباحتها أسرار الطبيعة للكهان والسدنة . فيقول العرب ان الاصنام تدخلها الجن (أى الارواح) وتخاطب الكهان وان الكاهن يأتيه الجني بخبر السماء وربما عبروا عنه بالهاتف . ومن أقوالهم « الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب »

فكل ما كان يصنعه الكاهن انما مصدره الغيب فاذا استطبه مريض من ربح أو صداع عالجه بالرقى واذا استشاره فى معضلة خط له في الرمل أو نفث في العقد . واذا حكمه متخاصمان رمى لهما بالقداح واذا استطلعه سرقة أخذ قمقمة جعلها بين يديه ونفث فيها ونحو ذلك من الحركات الوهمية ـ واذا استفسره برؤيا تمتم وتظاهر باستطلاع الغيب

قلنا ان الكهانة أتت العرب من بين النهرين فالكهان القدماء كانوا فى الغالب كلدانيين (أو صابئة في قولهم) وكان العلم كله عندهم ثم تعدد الكهنة من اليهود وغيرهم ثم ما لبث العرب أنفسهم أن أخذوا ذلك عنهم فنشأ الكهان منهم . على ان

(١) السيرة الحلبية ٤٨ ج ١

بعض العرب اقتصروا في ما تناولوه على علم دون آخر فكان بعضهم يتعاطى الطب فقط وبعضهم تعبير الرؤيا أو القيافة أو القضاء

﴿ الكهان ﴾ واشتهر في بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن أقدمهم شق وسطيح وحكاياتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق . فعندهم ان الاول كان شق انسان (أي نصفه) بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وأن سطيحاً كان لحماً يطوى كما يطوى الثوب لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه في صدره ويزعمون أن هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون الى غير ذلك من الاوهام . ومن الكهان الذين نبغوا فى النهضة العربية قبل الاسلام خنافر بن التوأم الحميري وسواد ابن قارب الدوسي وفيهم من يعرفون بما ينسبون اليه من البلاد أو القبائل كقولهم كاهن قريش وكاهن اليمن وكاهن حضرموت وغيرهم

ويقال نحو ذلك فى العرافين وأكثرهم ينسبون الى بلدانهم وقبائلهم كعراف هذيل وعراف نجد وأشهرهم عراف اليمامة شهره عروة بن حزام ببيت قاله فيه ـ وكذلك الشعراء يشهرون ممدوحيهم ـ وهو قوله :

أقول لعراف اليمامة داوني فانك ان داويتني لطبيب

وأما الكواهن من النساء فانهن عديدات منهن طريفة كاهنة اليمن وهي أقدمهن واليها ينسبون الانذار بخراب سد مأرب واتيان سيل العرم . وزبراء بين الشحر وحضرموت وسلمى الهمدانية الحميرية وعفيراء الحميرية وفاطمة الخثعمية بمكة وزرقاء اليمامة وغيرهن . وينسبن الى القبيلة أو المدينة ككاهنة بني سعد يزعمون أنها أقدم عهداً من شق وسطيح وانها استخلفتهما (١) وما زالت الكهانة في العرب حتى جاء الحديث بابطالها وهو: « لا كهانة بعد النبوة » (٢)

وكان للكهان عند العرب لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصوصى يعرف بسجع الكهان مع تعقيد وغموض . ولعلهم كانوا يتوخون ذلك للتمويه على الناس بعبارات تحتمل غير وجه كما يفعل بعض مشايخ التنجيم فى هذه الايام حتى اذا لم يصدق تكهنهم جعلوا السبب قصور الناس في فهم الكاهن . ومن أمثلة سجع الكهان ما يروونه عن طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر فانها قالت لهم « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمني ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم » قالوا لها « ما شأنك يا طريفة »

(١) السيرة الحلبية ٣٦ ج ١ (٢) كشف الظنون ٣٣٩ ج ٢

قالت « خذوا البعير الشذقم فخضبوه بالدم تكن لكم ارض جرهم جيران بيته المحرم » (١)

٢ ـ القيافة وغيرها

ومن قبيل الكهانة أيضا القيافة لكنها تختص بتتبع الآثار والاستدلال منها على الاعيان وهي قسمان قيافة الاثر وقيافة البشر . والاولى تختص بتتبع آثار الاقدام أو الحوافر أو الاخفاف والاستدلال من آثارها في الرمال أو التراب على اصحابها . والفائدة من ذلك الاهتداء الى الفار من الناس أو الضال من الحيوان وقد اتقن العرب ذلك حتى فرق بعضهم بين أثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة والبكر والثيب . وأما قيافة البشر فهى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وسائر أحوالها وهي من قبيل الفراسة

وكانت القيافة شائعة فى العرب ثم اختصت بعض القبائل بها دون البعض الآخر وأشهر العرب بقيافة الاثر بنو مدلج وبنو لهب . ولا تزال هذه القيافة شائعة إلى اليوم في بعض قبائل نجد ويقال إنهم بنو مرة وهم أعلم الناس بها حتى لقد يعرف أحدهم الانسان من أثره وربما نظر الى أثر بعير فقال هذا بعير فلان وكثيرون منهم يميزون بين العراقى والشامي والمصري والمدنى

والفراسة كانت شائعة في العرب وكانت لهم فيها براعة يستدلون بهيئة الانسان وأشكاله وأقواله على أخلاقه ومنطقه وهي من قبيل الذكاء وسرعة الخاطر وسجية طبيعية

ومن قبيل الكهانة تعبير الرؤيا وكان معروفا عند العرب وكانوا يفزعون الى الكهان في تفسير الاحلام على أن كثيرين من غير الكهان كانوا يتعاطونها أشهرهم أبو بكر الصديق (٢)

ومن هذا القبيل زجر الطير وخط الرمل وقد أغضينا عنهما لضيق المقام

وتجد أخبار كهانهم فى كتب التاريخ وكتب الادب وخصوصاً الاغانى والعقد الفريد وفي السيرة النبوية وكتب التفسير وفي الجزء الاول من مروج الذهب للمسعودي والاول من أبي الفداء وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكرى وحياة الحيوان للدميرى وفي كتب الادب وغيرها

---

(١) الاغاني ١١٠ جـ ١٣ (٢) السيرة الحلبية ٢٩١ جـ ١

عصر الراشدين

من ظهور الاسلام الى سنة ٤١ هـ

ظهر الاسلام في جزيرة العرب فشغل أهلها فى أثناء حياة النبي ومعظم أيام الراشدين بالفتوح والجهاد والاسفار . وجاء الاسلام بالقرآن والحديث فاخذا بمجامع قلوبهم واستقرا فى المكان الاول من أذهانهم وغيرا من عاداتهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم فظهر أثر ذلك في علومهم وآدابهم

أولا ـ التغيير الذى أحدثه الاسلام فى العرب

١ ـ اجتماع كلمة القبائل

كان العرب فى الجاهلية يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالانساب فلما جاء الاسلام كان في جملة ما بدله من أحوالهم أنه جمع كلمتهم وصاروا يداً واحدة على اختلاف أنسابهم ومواطنهم . وبعد أن كان اليمني يفاخر الحجازى والمضرى يفاخر الحميري ونحو ذلك من مفاخرات القبائل والبطون والافخاذ جاء الاسلام فجمعهم تحت راية واحدة باسم واحد هو « الاسلام » فقال النبي : « المسلمون اخوة » وقال من خطبة ألقاها يوم فتح مكة : « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم من تراب » (١) وقال من خطبة في حجة الوداع : « أيها الناس ان ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى » (٢)

واقتدى بالنبي خلفاؤه الاولون لا سيما عمر بن الخطاب فان جبلة بن الايهم ملك غسان بعد أن أسلم اتفق وهو يطوف فى الكعبة أن فزاريا وطىء ازاره فانحل فرفع جبلة يده وهشم أنف الفزاري فشكاه الى عمر فأراد عمر أن يهشم انف جبلة فقال : « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك ؟ » فأجابه عمر : « إن الاسلام جمعك وإياه فلست تفضله بشىء إلا بالتقى والعافية » فلم يحتمل جبلة ذلك فعمد الى الفرار

٢ ـ انتشار العرب في الارض

كان العرب محصورين في جزيرتهم القاحلة وهم أهل بادية وخشونة وشظف من

(١) ابن هشام ٢١٩ ج ٢ (٢) البيان والتبيين ١٦٤ ج ١

العيش يسمعون بالرومى أو الفارسى فيعظمون قدره ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى ولم يتجاوزوا جزيرة العرب الا قايلا . فلما ظهر الاسلام واجتمعت كلمة العرب نهضوا للفتح وأوغلوا في البلاد وفتحوا الامصار . ولم يكن زجر عمر ليوقف تيارهم فانساحوا في الارض حتى نصبوا أعلامهم على ضفاف الكنج شرقا وشواطىء البحر الاتلانتيكي غرباً وضفاف نهر لوار شمالا وأواسط افريقيا جنوبا . وملأوا الارض فتحاً ونصراً واحتلوا مدائن كسرى وقيصر وأقاموا في المدن واركنوا الى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت أنسابهم بتوالى الاجيال . والقبائل التي قامت بنصرة الاسلام ونشره قبائل مضر وأنصارها من العدنانية والقحطانية

ولم ينتشر العرب بالفتح فقط ولكنهم هاجروا أيضاً بأهلهم وخيامهم وأنعامهم التماساً لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة . فقد جلت بطون من خزاعة الى مصر والشام في صدر الاسلام لان أرضهم اجدبت فمشوا يطلبون الغيث والمراعى . وكذلك كانت تفعل العرب كلما أصابها جدب حتى كانت لهم أعوام خاصة يجلون بها الى مصر والشام يسمونها أعوام الجلاء . وكانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام ، اذا اجدبت أرضهم يمموا العراق وفارس فيعطيهم الفرس التمر والشعير ولكنهم كانوا لا يقيمون هناك بل يرجعون الى بلادهم خوفا من الذل في سلطان دولة أعجمية . أما بعد الاسلام فكان المقام يطيب لهم في بلاد فتحها آباؤهم وأعمامهم أو أخوالهم وغرسوا فيها أعلامهم وجعلوها فيئاً لهم

ولا يخفى ما يترتب على مثل هذا الاختلاط من الانقلاب في اللغة والآداب لكنه لم ينضج ويظهر الا في عصر الامويين فما بعده

٣ ــ انتشار القرآن

بعد أن كان هم العرب الجاهلية اذا اجتمعوا في ناد أو سوق مناشدة الاشعار والتفاخر أوالتفاضل أصبح همهم القرآن وحفظه وتلاوته صباح مساء واذا بعث الخليفة عاملا الى بلده امره أن يحكم بالعدل وأن يعلم المسلمين القرآن وكانوا يعلمونهم الحديث أيضاً

ثانيا ــ تأثير ذلك التغيير فى آداب اللغة

ان ظهور الاسلام انقلاب ديني سياسى اجتماعى . ولا بد لكل انقلاب من آثار يخلفها في نفوس أصحابه وعقولهم فيحدث تغييراً في آدابهم وعلومهم . فالتغيير

الذي أحدثه الاسلام في آداب الجاهلية يرجع الى ثلاثة أوجه : أولا أنه أبطل بعض تلك الآداب . ثانيا أنه نوع البعض الآخر . ثالثاً أنه أحدث آدابا جديدة لم تكن من قبل . فالآداب التى أبطلها الاسلام الكهانة وفروعها اذ جاء الحديث بتحريمها (١) والآداب التى أحدثها فبعضها اقتضاه الاسلام كالعلوم الشرعية واللسانية وبعضها نقل عن الامم الاخرى كالفلسفة والطبيعيات والطب وسيأتي الكلام عليها في حينه

أما النوع الذي أحدثه الاسلام في آداب الجاهلية فأكثره في الشعر والخطابة وهما من الآداب الجاهلية التى زادها الاسلام رونقا . لكن الخطابة سبقت الشعر في الرقى لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات . والعرب لا يزالون على بداوتهم تتأثر نفوسهم من التصورات الشعرية سواء سبكت في قالب الخطابة أو في الشعر . والخطابة أقرب تناولا اذ لم يرد في القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد فى الشعر والشعراء ـ فكما كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر في تقييد مآثرهم وتفخيم شأنهم والتهويل على عدوهم والتهيب من فرسانهم أصبح الخطيب في الاسلام مقدما على الشاعر لفرط حاجتهم الى الخطابة (٢) في استنهاض الهمم وجمع الاحزاب وارهاب الاعداء

الخطابة والخطباء في عصر الراشدين

والفرق بين الخطابة في الجاهلية وفي الاسلام ان الاسلام زادها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تحدى أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية . وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير في الشعر أيضاً . ولكن الخطابة أوسع مجالا للاقتباس فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلا أو اشارة أو تهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وأراد أن يحرض أهله على الطاعة لاخيه عبد الله فصعد المنبر وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين (وأشار بيده نحو الشام) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (وأشار بيده نحو

(١) مشكاة المصابيح ٣٩٢ (٢) البيان والتبيين ٩٨ ج ١

الحجاز) ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وأشار بيده نحو العراق) » (١)

وزادت الخطابة بعد الاسلام قوة ووقعاً في النفوس بنهضة العرب للحروب وانتصارهم في اكثر مواقعها فازدادوا انفة وسمت نفوسهم فسما بها ذوقهم في البلاغة وشحذت قرائحهم بما شاهدوه من البلاد الجديدة والامم الجديدة والالسنة الجديدة فبلغت الخطابة عندهم مبلغاً قلما سبقهم فيه أحد من الامم التي تقدمتهم بلاغة وايقاعاً وتأثيراً حتى اليونان والرومان ـ لا تنكر ما كان من تبرز هاتين الامتين في الخطابة وما نبغ بين رجالها من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار كديموستنيس واشينس وهيبريدس من خطباء اليونان . وشيشرون ويوليوس قيصر وسالوستس ولوكيرتس من خطباء الرومان . ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك بلاغة ووقعاً . وربما كان الخطباء في الاسلام أكثر عدداً وخطبهم أوفر وأبلغ مع اعتبار الفرق بين الامتين لغة وخلقاً وأدباً

فقد ذكروا لديموستنيس أخطب خطباء اليونان ٦١ خطبة نصفها منسوب اليه خطأ وهذه خطب الامام على تعد بالمئات . وأما في كثرة الخطباء فالعرب كانوا في صدر الاسلام من اكثر الامم خطباء لان خلفاءهم وأمراءهم وقوادهم كان معظمهم من الخطباء حتى النساك والزهاد (٢) ولا غرابة في ذلك لان العرب أهل خيال وذوو نفوس حساسة وللبلاغة تأثير شديد في عواطفهم تقعدهم وتقيمهم . وقد كان ذلك من جملة ما ساعد على نشر الاسلام بينهم . وكثيراً ما توقف فتح البلد أو الحصن على خطاب يتلوه القائد على رجاله فتثور فيهم النخوة وتسري في عروقهم الحماسة فيستهلكون في الدفاع أو الهجوم . وفي أخبار الفتوح أدلة كثيرة لا يساعد المقام على ايرادها . ونعرف قواداً انما ساعدهم على النصر قوة عارضتهم وتأثير خطبهم في نفوس رجالهم

واذا رجعت لحوادث الفتح أو جمع الاحزاب أو اخماد الثورات رأيت عجباً . وأول ثورة كادت تهب في الاسلام لما بلغ أهل المدينة موت النبي فهاجوا حتى خاف الصحابة سوء العاقبة فقام أبو بكر خطيباً فقال : « أيها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حى لم يمت . . وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . ؟ وقد علمتم انى أكثركم قتباً في بر وجارية في بحر

(١) البيان ٢٩ ج ٢ (٢) البيان ١٣٥ ج ١

فأقروا أميركم وأنا ضامن ان لم يتم الامر ان اردها عليكم» (١) فهذه الكلمات القليلة كانت كافية لاخماد تلك الثورة . وقس على ذلك خطبة السقيفة وخطب من تولى بعده من الخلفاء الراشدين

وأعظم الخطباء في عصر الراشدين النبي والخلفاء والقواد . وترى أمثلة من أقوالهم متفرقة في السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح والتاريخ وفي العقد الفريد وغيره من كتب الادب وكلها مطبوعة ومشهورة . وأشهر خطباء ذلك العصر الامام على بن أبي طالب فقد جمعت خطبه في كتاب « نهج البلاغة » جمعها الشريف المرتضى المتوفي سنة ٤٣٦ هـ ولا نظن كل ما حواه من الخطب له وقد شرح نهج البلاغة غير واحد، وطبع مراراً في الشام ومصر . ومنها شرح مطول لعبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلى طبع فى طهران في عشرين جزءاً وفيه فوائد جمة عن تاريخ الاسلام وتمدنه

الشعر في عصر الراشدين

١ ـ الشعر والنبي

علمت مما تقدم أن أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والامراء وأهل الحرب . وأكثر أشعارهم في الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع ومرجع ذلك كله الى العصبية . كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها . فلما جاء الاسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة الى الشعر أو الشعراء ـ ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الاسلام وبالاسفار . وقد أدهشتهم أساليب القرآن وأخذتهم النبوة وانصرفت قرائحهم الشعرية الى الخطابة لحاجتهم اليها في استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد وهى شعر منثور وقد جاء الطعن على الشعراء في القرآن وهو قوله : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون »

وزد على ذلك أن النبي لم يكن راغباً في الشعر لانه من عوامل التفريق وهو يدعو العرب الى الاجتماع . وكان اذا روى شاعر لا يلتفت الى وزنه (٢) ومن أقواله : « لان يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلىء شعراً » (٣) ولم

(١) البيان ١٢٢ ج ١ والشهرستاني ٩ ج ١ (٢) الاغانى ٦٧ ج ١٣
(٣) العمدة ١٢ ج ١

يكن مع ذلك يبخس الشعر حقه ويرى أن الآية التى نزلت عن الشعراء انما يراد منها شعراء قريش الذين تناولوه بالهجاء والاذى . وقد أراد تقبيح الشعر في الذين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين وفروضه — وليس الشعر على اطلاقه . ولذلك فقد أبدى اعجابه به بقوله « إن من الشعر لحكمة » يشير الى الاشعار التى فيها تدين أو دفاع عن الحق . ومن أقواله « أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) » وكثيراً ما كان يحب أن يسمع شعر أمية بن إبي الصلت لما فيه من ذكر الله والبعث (١)

أما سائر أغراض الشعر فكان يعرض عنها ويرد عليها بكلام القرآن . يروى من هذا القبيل أن الطفيل بن عمرو السدوسي أتى النبي فعرض عليه الاسلام فقال له « ابى رجل شاعر فاسمع ما أقول » فقال « هات » فانشد :

لا واله الناس نالم حربهم ولو حاربتنا منهب وبنو فهم
ولما يكن يوم تزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأ ضخم
اسلما على خسف ولست بخالد ومالى من واق اذا جاءني حتمى
فلا سلم حتى تخفر الناس خيفة ويصبح طير كانسات على لحم

فأجابه النبي « وأنا أقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وقرأ غيرها فأسلم الرجل (٢) . وكان النبي مع ذلك يرى مداراة الشعراء لتأثيرهم في الاذهان فكان يأمر أن يقطع لسان الشاعر بالعطاء (٣)

وعرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبى وهو يطوف وكان قد قتل أباها فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته أبياتا مطلعها :

يا راكباً إن الاثيل مطية من صبح خامسة وأنت موفق

الى أن قالت:

أمحمد ها أنت نجل نجيبة من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو منننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من قتلت وسيلة وأحقهم ان كان عتق يعتق

فقال النبى « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته » (٤) . ولذلك لم يكن يرى بأساً من انتصار الشعراء له يدفعون عنه أقوال شعراء قريش الذين جاءت الآية

(١) مشكاة المصابيح ٤٠٩ (٢) الاغانى ٥٣ ج ١٢
(٣) الاغاني ٦٧ ج ١٣ (٤) العمدة ٣٠ ج ١

بالطعن عليهم فتوعدهم النبي ففر بعضهم من وجهه وقتل البعض الآخر (١) وقد تقدم في ترجمة حسان بن ثابت ان اشهر من هجاه ثلاثة : عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان وعمرو بن العاص وان النبي قال للانصار « ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم » فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم . حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكان يرى لاشعارهم تأثيراً في أعدائه ومن أقواله « هؤلاء النفر (الشعراء) اشد على قريش من نضح النبل » وقال لحسان مرة « اهجهم (يعنى قريشاً) فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . اهجهم ومعك جبريل روح القدس والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات » (٢)

٢ ـ الشعر والخلفاء الراشدون

وسار الراشدون على خطة النبي في تحريض الناس على حفظ القرآن — ذكروا أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام الى على بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له « إن ابنى هذا من شعراء مضر فاسمع له » فاجابه على « علمه القرآن »

وكانوا ينشطون من يعدل عن الشعر الى القرآن كما فعل عمر بن الخطاب باستنشاد الشعراء على يد المغيرة بن شعبة ففضل من عدل الى القرآن . وقد تقدم حديث ذلك فى ترجمة لبيد . على أنهم اقتدوا بالنبى فى التمييز بين شعر وشعر وشاعر وشاعر . وحرض عمر المسلمين على حفظ الشعر فقال « رووا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » (٣) وقد أراد أحسنه ويؤيد ذلك قوله « ارووا من الشعر اعفه » (٤)

وقد ازدادوا حاجة الى الشعر لما عمدوا الى تفسير القرآن فقال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب » (٥) وفي مقدمة جمهرة أشعار العرب لابي زيد القريشي أمثلة كثيرة من هذا القبيل (٦)

ولم يكن الراشدون يرون بأسا من أن يقولوا الشعر هم انفسهم فقد رووا لابي بكر قصيدة حماسية قالها في غزوة عبيدة بن الحارث . ورووا لعمر أبياتا في الحكم ونحوه وكذلك لعثمان . أما على فالمروي من شعره كثير بعضه قاله في صفين (٧) ولم يبق من الصحابة من لم يقل الشعر أو يتمثل به (٨)

(١) العمدة ٧ ج ١ (٢) العمدة ١٢ ج ١ (٣) البيان والتبيين ٢١٣ ج ١
(٤) الجمهرة ١٥ (٥) العمدة ١١ ج ١ (٦) الجمهرة ٥ (٧) العمدة ١٢ ج ١
(٨) الجمهرة ١٦

على أنهم كانوا يمنعون الشعراء من هجو الاسلام والمسلمين وأشدهم وطأة فى ذلك عمر فقد أخذ عهداً على الحطيئة أن لا يهجو رجلا مسلماً (١) . ويقال بالاجمال ان الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالجهاد الا ما كان منه من قبيل الجهاد كاقوال حسان وأصحابه في الدفاع عن النبي والاسلام

وأما سائر الشعراء المخضرمين فقد ترجمناهم مع شعراء الجاهلية لانهم نشأوا فيها وتطبعوا بطبائع أهلها

اللغة والانشاء

في عصر الراشدين

وكان لظهور الاسلام تأثير كبير في اللغة العربية وأساليبها وألفاظها لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن وحفظهم كلامه واعجابهم به . وطبيعى أن الكاتب تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظه من اشعارها وأمثالها وأساليبها . فلا غرو اذا ظهرت أساليب القرآن والفاظه فى لغة المسلمين شعراً ونثراً كتابة وخطابة ويرجع ذلك التغيير الى قسمين : تغيير فى الاسلوب وتغيير فى الالفاظ

١ ــ التغيير في الاسلوب

أما الاسلوب الانشائي فلا يمكننا تعيين مقدار التغيير الذى أصابه لان ما وصلنا من انشاء الجاهليين لا يخلو من صبغة اسلامية الا سجع الكهان فالغالب أنه بقى على حاله والفرق بينه وبين اسلوب القرآن كالفرق بين الثريا والثرى ــ أين قول طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر فانها قالت لهم « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمني ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم الخ » من أساليب القرآن ؟

وتولد في صدر الاسلام ضرب من الانشاء في أبلغ ما يكون . وأحسن الامثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقواد وكلها من السهل الممتنع ككتاب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص لما بعث به لفتح مصر ثم تخوف فكتب اليه « بسم الله الرحمن الرحيم . من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته . أما بعد فان أدركك كتابي هذا وأنت لم تدخل مصر فارجع عنها وأما اذا أدركك وقد دخلتها أو شيئاً من أرضها فامض واعلم انى ممدك »

(١) العقد الفريد ١١١ ج ٣

وكتب ابن الخطاب الى ابن العاص يستنجده فى مجاعة بقوله « من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي سلام . أما بعـد فلعمرى يا عمرو ما تبالى اذا شبعت أنت ومن معك ان أهلك انا ومن معي فياغوثاه ثم يا غوثاه » فكتب اليه عمرو « الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . أما بعد فيالبيك ثم يالبيك. قد بعثت اليك بعير أولها عندك وآخرها عندي والسلام »

ذلك أسلوبهم فيما يكتبونه أو يقولونه من المخابرات السياسيه أو الخطب الحماسية أو العهود أو العقود . حتى انك اذا قرأت لهم رسالة تبينت أسلوب صدر الاسلام فيها فيهون عليك التفريق بين الصحيح والموضوع منها . ومما يطعن في صحته من العهود ما يسمونه « العهدة النبوية » فانها بعيدة عن عصر الراشدين بأسلوبها والفاظها فضلا عن مخالفة بعض نصوصها للتاريخ

وتجد أمثلة من المخابرات السياسية والخطب ونحوها على أسلوب صدر الاسلام فى كتب الفتوح والغزوات كفتوح الشام للواقدى وفتوح البلدان للبلاذرى ومنها جانب كبير فى خطط المقريزي عن فتوح مصر . وتجد معظمها مجموعاً فى كتاب فتوح الشام للشيخ أبي اسماعيل محمد بن عبد الله الازدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلـكته سنة ١٨٥٤ وقد شاهدنا فيه ما لم نشاهده في غيره مما وصل الينا من كتب الفتح فانه عبارة عن مجموع المخابرات السياسية أو الاوامر الرسمية التى جرت بين الخلفاء الراشدين وقوادهم أو ما تكاتب به القواد أو ما كتبوه الى كبراء الروم وغيرهم . أو ما عقدوه من العهود في أثناء حروبهم في الشام الى فتحها وفتح أجنادها . كأنهـا الاصول التي أخذت أخبار الفتح عنها

٢ ـ التأثير في الالفاظ

أما تأثير القرآن في الفاظ اللغة فضلا عن الاسلوب فظاهر في ما دخلها من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الاصلاح الديني أو الشرعى . وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة قبل الاسلام لـكنها كانت تدل على معان أخرى فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ « مؤمن » مثلا كان معروفا في الجاهلية ولـكنه كان يدل عندهم على الامان أو الايمان وهو التصديق فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الـكافر وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبـل . وكذلك المسلم والـكافر والفاسق ونحوها . ومما حدث من المصطلحات

الشرعية الصلاة وأصلها في العربية الدعاء وكذلك الركوع والسجود والحج والزكاة والنكاح فقد كان لهذه الالفاظ وأشباهها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت وقس على ذلك المصطلحات الفقهية كالابلاء والظهار والعدة والحضانة والنفقة والاعتاق والاستيلاء والتعزير واللقيط والآبق والوديعة والعارية والشفعة والمناسخة والفرائض والقسامة وغيرها

ويروون الفاظاً وتراكيب نطق بها النبي ولم تسمع من العرب قبله كقوله « مات حتف أنفه » و « حمى الوطيس » و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »(١)

وفى كتابنا « تاريخ اللغة العربية » بحث ضاف في ما دخل اللغة من الالفاظ والاساليب قبل الاسلام وبعده

العلوم التي حدثت في عصر الراشدين

جمع القرآن وتدوينه

لم يحدث في عصر الراشدين علم ولكن فيه وضعت جرثومة العلوم الشرعية بجمع القرآن وحفظ الحديث . والقرآن لم يظهر مرة واحدة وانما ظهر تدريجا في اثناء ٢٠ سنة على مقتضى الاحوال من أول ظهور الدعوة الى وفاة النبي بعضه في مكة وبعضه في المدينة . فكان كلما قال آية أو سورة كتبوها على صحف الكتابة في تلك الايام وهي الرقاع من الجلود والعريض من العظام كالاكتاف والاضلاع وعلى العسب وهي قحوف جريد النخل واللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء . فتوفي النبي سنة ١١ هـ والقرآن اما مدون على امثال هذه الصحف أو محفوظ في صدور الرجال وكانوا يسمون حفظته « القراء »

وكان اكثر الناس عناية في تدوينه على عهد النبي علي بن طالب وسعد بن عبيد بن النعمان وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وثابت بن زيد وابي بن كعب وغيرهم (٢) فلما قام ابو بكر بالامر وارتد أهل جزيرة العرب عن الاسلام بعث جنداً لمحاربتهم فقتل من الصحابة في تلك الحروب جماعة كبيرة وخصوصاً في غزوة اليمامة قتل فيها وحدها ١٢٠٠ من المسلمين فيهم ٧٠٠ من القراء . فلما بلغ ذلك أهل المدينة فزعوا فزعاً شديداً وخصوصاً عمر بن الخطاب رجل الاسلام والمسلمين فأشار على ابى بكر بجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بموت أهله فتوقف ابو بكر

(١) المزهر ١٠٣ ج ١ (٢) الفهرست ٢٧

وقال « كيف افعل امراً لم يفعله رسول الله ولم يعهد الينا فيه عهداً » فما زال عليه عمر حتى اقنعه بجمعه . فاحضر ابو بكر زيد بن ثابت لانه كان من كتبة الوحى فجمع ما كان مدوناً عند الصحابة وربما وجد السورة مكتوبة عند اثنين أو ثلاثة او اكثر وقد لا يوجد من السورة الاخرى الا نسخة واحدة كسورة التوبة فانه لم يجد منها الا نسخة واحدة عند ابي خزيمة الانصاري (١) فجمعه من تلك المحفوظات ومن صدور الرجال وسلمه الى ابى بكر فظلت الصحف عنده حتى توفى سنة ١٣ ﻫ فلما تولى عمر تسلمها وظلت عنده حتى تولى عثمان سنة ٢٣ ﻫ فانتقلت الى ابنته حفصة من ازواج النبي

وفي ايام عثمان اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وافريقية وفيهم القراء . وعند بعضهم نسخ من القرآن وقد رتبها كل منهم ترتيباً خاصاً. فعول أهل كل مصر على من قام بينهم من القراء . فأهل دمشق وحمص مثلا أخذوا عن المقداد بن الاسود واهل الكوفة اخذوا عن ابن مسعود وأهل البصرة عن ابي موسى الاشعرى(٢) ـ ومع شدة عناية القراء في حفظ القرآن وضبطه لم ينجوا من الاختلاف في قراءة بعض آياته

واتفق في اثناء ذلك ان حذيفة بن اليمان كان في جملة من حضر غزوة ارمينيا واذربيجان فرأى في أثناء سفره اختلافاً بين المسلمين في قراءة بعض الآيات وسمع بعضهم يقول لبعض « قراءتى خير من قراءتك » فلما رجع الى المدينة انبأ عثمان بذلك وأنذره بسوء العقبى ان لم يتلاف الامر الى ان قال « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » فبعث عثمان الى حفصة ان « ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك » فارسلتها فدعا عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وامرهم ان ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء وقال لهم « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم ففعلوا (٣) سنة ٣٠ هجرية وكتبوا اربعة مصاحف بعثها عثمان الى الامصار الاربعة مكة والبصرة والكوفة والشام (٤) واثنين ابقاهم في المدينة واحد لاهلها وواحد لنفسه وهوالذى يسمونه «الامام» ثم امر بجمع ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف (٥) وامر باحراقه

(١) الفهرست ٢٤ (٢) ابو الفداء ١٧٦ ج ١ (٣) الفهرست ٢٤
(٤) نفح الطيب ٢٨٨ ج ١ (٥) ابو الفداء ١٧٦ ج ١

فأصبح المعول في المصاحف على ما كتبه عثمان واشتغل المسلمون في الامصار باستنساخ تلك المصاحف فنسخوا منها شيئاً كثيراً في مدة قليلة - ذكر المسعودى في عرض كلامه عن واقعة صفين بين على ومعاوية وما كان من ظهور على وما اشار به عمرو بن العاص من رفع المصاحف « ورفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف » (١) وليست هذه كل مصاحف المسلمين . فاعتبر هذا العدد وبين كتابة مصحف عثمان وواقعة صفين ٧ سنين

ومع تشديد الصحابة في التعويل على مصحف عثمان دون سواه فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف اخرى اشهرها مصحف على . ويعتقد الشيعة ان علياً اول من خط المصاحف عند وفاة النبي. وتنوقل مصحفه في شيعته وبقى عند أهل جعفر . وقد ذكر ابن النديم فى كتاب الفهرست انه رأى عند ابى يعلي حمزة الحسني مصحفا بخط على يتوارثه بنو حسن (٢) - ومنها مصحف عبد الله بن مسعود وابىّ ابن كعب ولكل منها ترتيب خاص في سوره (٣)

الخط العربي وتاريخه

بمناسبة كلامنا على جمع القرآن في زمن الراشدين نأتي بتاريخ الخط وان تجاوزنا في تاريخه ما بعد هذا العصر استيفاء للكلام في موضوع واحد فنقول :

ليس فى آثار العرب بالحجاز ما يدل على انهم كانوا يعرفون الكتابة الا قبيل الاسلام مع أنهم كانوا محاطين شمالا وجنوباً بأمم من العرب خلفوا نقوشاً كتابية كثيرة . وأشهر تلك الامم حمير في اليمن كتبوا بالحرف المسند والانباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطى وآثارهم باقية الى هذه الغاية في ضواحى حوران والبلقاء . وقد عثر النقابون على آثار كتابية في الحجاز لكنها حميرية . والسبب في ذلك أن الحجازيين أو عرب مضر كانت البداوة غالبة على طباعهم والكتابة من الصنائع الحضرية

على أن بعض الذين رحلوا منهم الى العراق أو الشام قبل الاسلام تخلقوا باخلاق الحضر واقتبسوا الكتابة منهم علي سبيل الاستعارة فعادوا وبعضهم يكتب العربية بالحرف النبطى أو العبراني أو السرياني ولكن النبطي والسرياني ظلا عندهم الى ما بعد الفتوح الاسلامية فتخلف عن الاول الخط النسخي (الدارج) وعن الثانى الخط الكوفي نسبة الى مدينة الكوفة . وكان الخط الكوفي يسمى قبل الاسلام

(١) المسعودى ٢٠ ج ٢ (٢) الفهرست ٢٨ (٣) الفهرست ٢٦

الحيرى نسبة الى الحيرة وهي مدينة عرب العراق قبل الاسلام وابتنى المسلمون الكوفة بجوارها

ومعنى ذلك أن السريان في العراق كانوا يكتبون ببضعة أقلام من الخط السريانى في جملتها قلم يسمونه « السطرنجيلى » كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس (١) فاقتبسه العرب فى القرن الاول قبل الاسلام وكان من أسباب تلك النهضة عندهم . وعنه تخلف الخط الكوفى وهما متشابهان حتى الآن

واختلفوا في من نقله الى بلاد العرب والاشهر أن أهل الانبار نقلوه ـ وذلك أن رجلا منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندى أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل تعلم هذا الخط من الانبار وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب ابن أمية أخت أبي سفيان فعلم جماعة من أهل مكة فكثر من يكتبه من قريش (٢) عند ظهور الاسلام . أما الخط النبطى فكتبوا به اللغة العربية قبل ذلك ببضعة قرون (٣)

والخلاصة في كل حال أن العرب تعلموا الخط النبطى من حوران أثناء تجارتهم الى الشام وتعلموا الخط الكوفى من العراق قبيل الاسلام بقليل وظل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام . والارجح انهم كانوا يستخدمون القلمين معاً الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية كما كان سلفه السطرنجيلى يستخدم عند السريان لكتابة الاسفار المقدسة النصرانية . والنبطي لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية . ومما يدل على تخلف القلم الكوفي عن السطرنجيلى فضلا عن شكله أن الالف اذا جاءت حرف مد في وسط الكلمة تحذف ـ وتلك قاعدة مطردة في الكتابة السريانية وكان ذلك شائعاً في أوائل الاسلام وخصوصاً في القرآن فيكتبون « الكتب » بدل « الكتاب » و « الظلمين » بدل « الظالمين »

فجاء الاسلام والكتابة معروفة في الحجاز ولكنها غير شائعة . فلم يكن يعرف الكتابة الا بضعة عشر انسانا أكثرهم من كبار الصحابة وهم : على بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله وعثمان وابان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة ويزيد بن أبي سفيان وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمي وأبو سلمة بن عبد الاشهل وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وحويطب بن عبد العزى

(١) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ١٧ (٢) المزهر ١٧٧ ج ٢
(٣) راجع صفحة ٢٦ من هذا الكتاب

وابو سفيان بن حرب وولده معاوية وجهيم بن الصلت بن مخرمة : ثم تعلم غيرهم من الصحابة ومنهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن . فكتبوا القرآن بالكوفى أيام الراشدين وأيام بنى امية . وفي أيامهم تفرع الخط المذكور الى اربعة اقلام اشتقها بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة كان اكتب اهل زمانه . وكان يكتب لبنى امية المصاحف . ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان في اوائل الدولة العباسية فزاد على قطبة ثم زاد اسحق بن حمادة وغيره فبلغت الاقلام العربية الى اوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً . وهي : ١ قلم الجليل ٢ قلم السجلات ٣ قلم الديباج ٤ قلم اسطورمار الكبير ٥ قلم الثلاثين ٦ قلم الزنبور ٧ قلم المفتح ٨ قلم الحرم ٩ قلم المدامرات ١٠ قلم العهود ١١ قلم القصص ١٢ قلم الحرفاج وفي ايام المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط فحدث القلم المرصع وقلم النساخ وقلم الرئاسي نسبة الى مخترعه ذى الرئاستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلية (١)

فزادت الخطوط على عشرين شكلا وكلها تعد من الكوفي . واما الخط النسخي أو النبطي فقد كان شائعاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى اذا نبغ ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ ﻫ فادخل في الخط المذكور تحسيناً جعله على ما هو عليه الآن وأدخله في كتابة الدواوين . والمشهور عند المؤرخين ان ابن مقلة نقل الخط من صورة القلم الكوفي الى صورة القلم النسخى . والغالب فى اعتقادنا ان الخطين كانا شائعين معاً من أول الاسلام الكوفي للمصاحف ونحوها والنسخى (أو النبطى) للرسائل ونحوها كما تقدم . وأن ابن مقلة انما جعل الخط النسخى على قاعدة جميلة حتى يصلح لكتابة المصاحف . وقد شاهدنا في معرض الخطوط العربية القديمة في دار الكتب المصرية رقوقا وقطعاً من البردى عليها كتابات بالخط النسخي بعضها من أواخر القرن الاول للهجرة . ورأينا عقد نكاح مكتوباً في أواسط القرن الثالث للهجرة سنة ٢٦٤ ﻫ على رق مستطيل في اعلاه صورة العقد بالقلم الكوفي المنتظم وتحتها خطوط الشهود بالقلم النسخي بغاية الاختلال — فابن مقلة حسن هذا الخط تحسيناً وأدخله في كتابة المصاحف

ثم تفرع الخط النسخي المذكور بتوالى الاعوام الى فروع كثيرة . وأصبحت الاقلام الرئيسية في اللغة العربية اثنين الكوفى والنسخى ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام وهي : الثلث والنسخى

(١) كشف الظنون ٤٤٦ ج ١

والتعليق والريحاني والمحقق والرقاع . واشتهر من الخطاطين جماعة كبيرة ألفوا فيه الكتب والرسائل بعضها في أدوات الخط كالاقلام وطرق بريها وأحوال الشق والقط والدواة والمداد والكاغد وغير ذلك . وما زال الخط يتفرع الى اليوم ولن يزال الى ماشاء الله عملا بسنة النشوء والارتقاء

وفي آخر الجزء الاول من كتاب صبح الاعشى للقلقشندى طبع دار الكتب المصرية باب خاص في الكتابة وأدواتها وتوابعها يدخل في ٣٠ صفحة كبيرة (من صفحة ٥٤٦ — ٥٧٦) وتجد أقوالا تتعلق بالخط العربى فى كشف الظنون ٤٦٦ ج ١ وابن خلكان ٣٤٦ ج ١ والعقد الفريد ١٦٢ ج ٢ وابن خلدون ٢٠٥ و٣٤٨ ج ١ والاغاني ١٩ ج ٢ و١٠٦ ج ٤ و٥٠ ج ٧ وفي المزهر ١٧٧ ج ٢

أما ما يلحق الخط من الحركات والاعجام ونحوهما من العلامات فسيأتي الكلام عليها فى العصر الاموي

العصر الاموى

من سنة ٤١ ـ ١٣٢ ﻫ

مميزات العصر الاموى

نريد بالعصر الاموى العصر الذى كانت الدولة الاسلامية فيه فى حوزة الامويين بالشام منذ بويع معاوية بالخلافة سنة ٤١ ﻫ الى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ ﻫ . ويختلف العصر الاموى عن عصر الراشدين اختلافا كبيراً من أوجه كثيرة . ويعد انتقال الدولة الاسلامية الى بنى أمية انقلاباً عظيما في تاريخ الاسلام . لانها كانت في زمن الراشدين خلافة دينية فصارت فى أيامهم ملكا عضوداً وكانت شورية فصارت ارثية . وقام معاوية يطلبها وينازع أعمام النبي وأبناء عمه عليها والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وان معاوية طليق لا تحل له الخلافة وانه لم يعتنق الاسلام الا مكرهاً . ولكنه تمكن بدهائه وسعة صدره من التغلب عليهم جميعاً فأسس الدولة الاموية . وقد فصلنا الاسباب التي ساعدته على ذلك في الجزء الرابع من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامى

وانما يهمنا في هذا المقام ما نجم عن مساعي بنى أمية في تأييد سلطانهم من التفريق بين القبائل والرجوع الى عصبية الجاهلية كما كان العرب قبل الاسلام يفعلون وما كان من تأثير ذلك فى الآداب واليك هي :

التفريق بين القبائل واحياء العصبيات

قد علمت ان العصبية العربية كانت فى الجاهلية بين القبائل بسبب الانساب فلما جاء الاسلام تنوسيت تلك العصبية واجتمع العرب كافة باسم الاسلام أو الجامعة الاسلامية . وما زالت الجامعة الاسلامية تشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبطونهم طول أيام الخلفاء الراشدين . حتى اذا طمع بنو أمية بالملك وقبضوا على أزمة الخلافة استبدوا وتعصبوا للعرب وحافظوا على مقتضيات البداوة وتمسكوا بعاداتها فظلت خشونة البادية غالبة على حكومتهم وظاهرة في سياستهم مع ذهاب أكثر مناقب البدو الاخرى . وانما حفظوا من مناقب جاهليتهم تعصبهم لقبيلتهم قريش وايثار أهلهم على سواهم . فجاشت عوامل الحسد في نفوس القبائل التى كان لها شأن في الجاهلية وضاع فضلها في الاسلام وخصوصاً

أهل البصرة والكوفة والشام لان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبتهم سيرته ولا ارتاضوا بخلقه مع ماكان فيهم من جفاء الجاهلية وعصبيتها . فلما استفحلت الدولة اذا هم في قبضة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب . فاستكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس من ربيعة وكندة والازد من اليمن وتميم وقيس من مضر . فصاروا الى الغض من قريش والانفة عليهم فعادت العصبية الى نحو ما كانت عليه في الجاهلية

أسباب التفريق

كان التفريق أولا بين قريش وسائر العرب فتعصب العرب كافة على قريش حسداً لاستبدادهم في السلطة دون سائر الصحابة أو التابعين - إلا الذين تألفهم معاوية من القبائل اليمنية والعدنانية . بدأ هذا الخلاف من أيام عثمان على يد سعيد ابن العاص (١) وتزايدت الوحشة بين قريش وسائر القبائل من ذلك الحين وخصوصاً بينهم وبين اليمنية وفيهم الانصار . وثبت الانصار في نصرة أهل البيت ضد أهلهم من قريش مثلما فعلوا في أول الاسلام اذ جاءهم النبي مهاجراً فراراً من أهله . ولما جرت وقعة صفين سنة ٣٧ هـ بين على ومعاوية عدوها بين اليمنية الانصار وقريش . فلما احتدم القتال فى تلك الوقعة قال رجل يمنى من أنصار على : « أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالى والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله (القرآن) كما قاتلناكم على تنزيله »

وامتد النزاع من هذا النحو حتى صار أكثر اليمنية شيعة على وأنصاره . فعمد معاوية الى اجتذاب قلوبهم لعلمه ان اكتفاءه بقريش ونحوهم لايجديه نفعاً فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها بحدل أم يزيد ابنه واستنصرهم على قتلة عثمان لان امرأة عثمان كانت كلبية واستغواهم بالمال فحاربوا معه . ولما فاز فى حروبه ورسخت قدمه في الخلافة تقربت منه قبائل كثيرة من مضر واليمن وظلت كلب على نصرة يزيد ابنه بعده لانهم اخواله

فلما مات يزيد وكان ابن الزبير في مكة يطالب بالخلافة واختلف بنو امية على اختيار خالد بن يزيد أو مروان بن الحكم (وكلاهما من أمية) وقع الخصام بين

(١) راجع تفصيله في تاريخ التمدن الاسلامى ٥ ج ٤ (الطبعة الثالثة)

دعاة ابن الزبير ودعاة بنى أمية وكان انصار ابن الزبير من قيس (مضرية) يدعون لابن الزبير ، وأنصار بني أمية من كلب (يمنية) يدعون لخالد بن يزيد لانه ابن أختهم . ونهض أناس من بني أمية فاعترضوا على صغر سن خالد وأجمعوا على بيعة مروان لشيخوخته على ان تكون الخلافة بعده لخالد . ثم جرت واقعة مرج راهط بين اصحاب مروان واصحاب ابن الزبير أى بين كلب وقيس وفاز مروان وثبتت قدمه في الخلافة . ثم توفي مروان ولم يف لخالد فخلفه ابنه عبد الملك بن مروان الشديد الوطأة وظلت كلب معه وقيس مضطغنة عليه . وانقسم العرب في سائر انحاء المملكة الاسلامية بين هذين الحزبين قيسية وكلبية أو مضرية ويمنية أو نزارية وقحطانية . وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وافريقيا والاندلس . وفي كل بلد من هذه البلاد وغيرها حزبان مضرى ويمنى تختلف قوة احدهما أو الآخر باختلاف الخلفاء أو الامراء أو العمال . فالعامل المضرى يقدم المضرية والعامل اليمنى يقدم اليمنية ويختلف ذلك باختلاف الاحوال وله تأثير في كل شيء من تصاريف احوالهم حتى فى تولية الخلفاء والامراء وعزلهم وكثيراً ما كانت الولاية والعزل موقوفين على نصرة أحد هذين الحزبين

غير الانقسام الذى وقع بين بطون قريش واهم أحزابهم بنو أمية وبنو هاشم فكان الناس يتعصبون لاحدهما على الآخر . وناهيك بالتخاصم بين العرب وغير العرب وكما كان القرشيون مقدمين في العصر الاموى على سائر العرب فالعرب على الاجمال كانوا مقدمين على سائر الامم التى دانت للمسلمين . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من ذلك بل كانوا يعتقدون فضل العرب في اقامة هذا الدين وانهم مادته واصله ولا كانوا يأنفون من ان يسموا العرب أسيادهم ويعدوا أنفسهم من مواليهم بل كانوا يعدون طاعتهم وحبهم فرضاً واجباً عليهم

فكان العرب في اثناء هذه الدولة يترفعون عن سائر الامم من الموالى وأهل الذمة وكان العربى يعد نفسه سيداً على سواه ويعتقد انه خلق للسيادة وذاك للخدمة فاقتصر العرب على الاشتغال بالسياسة ولم يكونوا يعنون بشيء من العلم غير الشعر والتاريخ لانه لازم للسياسة . وأما الحساب والكتابة فقد كانا من صنائع الموالى — حتى الشعر فان الموالى نالوا منه حظاً في اثناء العصر الاموي

وبالجملة ان انتقال الدولة الى الامويين انقلاب سياسي عظيم هو طبيعى في نواميس العمران لان القواعد التى وضعها الامام عمر للدولة تنافي سياسة الملك ولم

يكن يرجى بقاؤها لان من شروطها أن لاتخزن الاموال في بيت المال وأن لا يشتغل المسلمون بالزرع ولا يقتنوا الارضين ونحو ذلك مما يلائم الدين والتقوى ويخالف السياسة والملك فانتقالها الى الملك في أيام بنى أمية وانتقال كرسى الخلافة الى الشام أوجب احتكاكها بالدول الاخرى فأقيمت على دعائم سياسية واقتبس أهلها تمدن الامم المجاورة وعلومهم وأنشأوا تمدنا من عند أنفسهم ووضعوا العلوم والآداب التى اقتضاها ذلك التمدن كما سيجىء

حال الشرق عند الفتح الاسلامى

نعنى بالشرق البلاد التى فتحها المسلمون حول بحر الروم وخليج العجم وهي تشمل مصر والشام والعراق وفارس فلما فتحوها كان بعضها تحت سيطرة الفرس وهي العراق وفارس والبعض الآخر تحت سيطرة الروم وهي الشام ومصر . أما من حيث الآداب والعلوم فمصر والشام كانتا ملحقتين بمملكة الروم بآدابهما وعلومهما والغالب في دينهما النصرانية . والعراق وفارس كانت آدابهما فارسية وأكثر أهلهما من المجوس . وكان التنازع قائماً بين النصرانية والمجوسية وانتشبت الحرب بين الروم والفرس لهذه الغاية . فجاء العرب وغلبوا الامتين جميعاً فقام الاسلام فى ذينك الدينين مقام ذينك الدينين

آداب الروم في مصر والشام

كانت آداب الروم في مصر والشام يومئذ عبارة عن الآداب اليونانية في عصرها الاسكندرى الروماني لان آداب اليونان القدماء هى القاعدة الاساسية لآداب الرومان ومن تشعبت اليه دولتهم من الامم . وللآداب اليونانية أطوار فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي آخرها العصر الاسكندري وفيه انتقلت علوم اليونان وآدابهم من أثينا وغيرها من بلادهم الى الاسكندرية على عهد البطالسة بمن انتقل اليها من جالية اليونان على اثر فتوح الاسكندر في الشرق من القرن الرابع قبل الميلاد وحملوا معهم كتب العلم والفلسفة والطب والشعر والادب واللغة والتاريخ غير ما جمعه البطالسة من الكتب الاخرى فزهت الاسكندرية بهم وبعلومهم

ويقسم العصر الاسكندرى المذكور الى قسمين : الاول كانت مصر فيه تحت سيادة البطالسة وهو العصر الاسكندري اليوناني . والثانى بعد دخولها في سيطرة

الروم قبل الميلاد وهو العصر الاسكندرى الرومانى وينتهى بظهور الاسلام

فلما فتح المسلمون مصر والشام كانت هذه البلاد في عصرها الاسكندرى الثاني أو الرومانى يبدأ قبل الفتح الروماني بنصف قرن أي يوم دخول أثينا فى حوزة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد لان قائدهم سولا لما فتح أثينا حمل منها احمالا من كتب العلم والفلسفة الى رومية فانتقل العلم من اثينا الى رومية وضعف شأن الاسكندرية قبل دخولها في حوزة الروم . فلما صارت رومانية قبيل الميلاد زادت ضعفاً . وكانت علومها قد تغيرت وجهتها وانحصرت في الفلسفة . لان الاسكندرية ما برحت منذ تأسيسها وفيها جماعة من اليهود نزحوا اليها كعادتهم في الرحيل للارتزاق أو فراراً من الاضطهاد فآنسوا فى الاسكندرية ترحيباً وراحة فتكاثروا . فترتب على اختلاطهم باليونان وتمازج الاذواق والابحاث تغير مهم فى الفلسفة والدين لان اليهود أهل توحيد ووحي وتقليد واليونان أهل فلسفة ومنطق وخرافات دينية فأدى التمازج الى التقارب وزاد ذلك بظهور النصرانية . ولما تأيدت النصرانية واعتنقها اليونان أخذوا في تطبيق فلسفتهم على الدين فتولد من ذلك ما يسمونه الفلسفة الافلاطونية الجديدة (Neo-Platonic) والفلسفة الفيثاغورية الجديدة (Neo-Pythagoric) وجملة القول ان العصر الاسكندري الثاني قلما أفاد العلم لان أبحاثه كانت غايتها دينية

هذه هي الفلسفة التى كانت شائعة في المملكة الرومانية الشرقية عند الفتح الاسلامى . وكانت مدرسة الاسكندرية أم المدارس الشرقية يعلم فيها الطب والهندسة والفلك وسائر العلوم الطبيعية والرياضية يتفاخر العلماء بالتخرج فيها كما يتفاخر متخرجو جامعات اكسفورد وكمبريدج وباريس وبرلين اليوم . وعاصرتها مدارس حسنة في برغاموس وطرسوس ورودس وانطاكية وبيروت وكان فى بيروت مدرسة للحقوق طارت شهرتها في الآفاق(١)

فلما جاء الاسلام كان العلم قد انحط في هذه المدارس كلها وأهملت كتب الفلسفة القديمة بمقاومة رجال الدين لها لانها في نظرهم عثرة في سبيل الدين

آداب مملكة الفرس

كان للفرس آداب قديمة قد أضافوا اليها كثيراً من علوم الهند والصين واشور وغيرها من أمم الشرق القديم . فلما فتح الاسكندر بلادهم نقل ما كان في عاصمتها من

(١) راجع الهلال ص ٢٢ سنة ١٩

كتب العلم الى بلاده فذهب تمدنهم وتضعضعت شؤونهم وتقاعدوا عن العلم الى أيام سابور بن أزدشير في الدولة الساسانية باواسط القرن الثالث للميلاد ، فحارب الروم ونقل جماعة من أسراهم الى الاهواز وأنشأ لهم مدينة سماها جندى سابور وأكرم وفادتهم فحببوا اليه العلم فعمد الى استرجاع علوم الفرس من اليونان أو الاستعاضة بمثلها . فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية (١) واختزنها فى مدينته وأخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى أنوشروان العادل (من سنة ٥٣١ ـ ٥٧٨ م) فتح للفرس موردًا جديدًا للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انوشروان فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب (٢) والفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا أنوشروان انه من تلامذة أفلاطون

وأنشأ أنوشروان في جندى سابور مدرسة للطب والفلسفة اشتهرت في بلاد الفرس اشتهار مدرسة الاسكندرية فى مصر ومدرسة بيروت في سوريا

فترى ان آداب الفرس عند ظهور الاسلام كانت قائمة على آداب اليونان والعالم المتمدن في ذلك العهد مدين لليونان في أكثر آدابه كما صارت الامم الاسلامية بعد ذلك مدينة بآدابها وعلومها لآداب اللغة العربية التي نضجت في أيام العباسيين

ومما يحسن استطراده ان آداب اليونان نقلت الى الامم الشرقية على أيدي السوريين نقلوها أولا الى الفارسية ثم نقلوها الى لسانهم السرياني ونقلوها بعد ذلك الى اللسان العربى في التمدن الاسلامى لكن ذلك لم يتم الا في الدولة العباسية

الدولة الاموية واللغة العربية

أما الدولة الاموية فالهمة كانت متجهة فيها على الخصوص الى الآداب العربية الجاهلية لان الامويين كانوا شديدى الحرص على منزلة العرب كثيرى العناية في حفظ الانساب وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأيدوها ونشروا اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين من القبطية والرومية والفارسية الى اللغة العربية

(١) ابو الفداء ٥٠ ج ١ (٢) E. Browne. Literary Hist. of Persia, I. 167

وبعد ان كانت مصر قبطية والشام رومية والعراق كلدانية أو نبطية أصبحت هذه البلاد بتوالى الاجيال عربية النزعة وتنوسيت لغاتها الاصلية وهي تعد الآن من البلاد العربية . واذا نزلها التركي أو الافرنجي أو غيرهما من أي أمة كانت وتوالد فيها عد نسله عربياً

وظل العرب في أيام بنى امية على بداوتهم وجفائهم . وكان خلفاؤهم يرسلون أولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم . وظل كثير من عادات الجاهلية شائعة في أيامهم كالمفاخرة والمباهلة ومناشدة الاشعار في الاندية العمومية فكان اشراف أهل الكوفة يخرجون الى ظاهرها يتناشدون الاشعار ويتحادثون ويتذاكرون أيام الناس . وأهل البصرة يخرجون الى المربد لهذه الغاية كما سيجيء . كأنهم رجعوا بعصبيتهم الى ما كانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبلغ العرب من العز والسؤدد ما بلغوا اليه في أيام هذه الدولة . وقد تكاثروا على عهدها وانتشروا في ممالك الارض

أقسام آداب اللغة العربية

في العصر الاموي

تقسم آداب اللغة فى هذا العصر الى قسمين :

أولا ـ الآداب الحادثة ويدخل تحتها (١) ما حدث من العلوم أو الآداب مما اقتضاه الاسلام كعلوم القرآن والحديث والفقه والعلوم اللسانية والتاريخ والجغرافيا ونسميها العلوم الاسلامية (٢) ما اقتضاه التمدن الاسلامي من العلوم التى نقلت عن اليونان والفرس وغيرهم ونسميها الآداب الدخيلة

ثانياً ـ الآداب القديمة وهي ما كان منها موجوداً فى عصر الراشدين كاللغة والشعر والخطابة والامثال من الآداب الجاهلية

ويقال بالاجمال ان في العصر الاموى نضجت الآداب الجاهلية وولدت الآداب الاسلامية وبدأ النقل من اللغات الاجنبية فلننظر في كل منها على حدة ونبدأ بالعلوم الحادثة فى الاسلام ثم نعود الى الآداب التى كانت في الجاهلية لينجلى لنا تأثير تلك فيها

أعمار العلوم

ولكل من العلوم على اختلاف مواضيعها أدوار يمر بها العلم كما يمر الحي بادوار

الحياة لان العلوم من توابع الاحياء فتخضع لنواميس النشوء مثل خضوعهم . فالادوار التى تمر بها العلوم هي :

١ دور التكوين (الولادة)
٢ « النمو أو النشوء (الصبا)
٣ « البلوغ (الشباب)
٤ « النضج (الكهولة)
٥ « التفرع أو التشعب أو الانحلال (الشيخوخة)

وسترى ان بعض العلوم يتكون في عصر وينمو في آخر ويبلغ في آخر وينضج في آخر وقد يتخطى دورين أو ثلاثة في عصر واحد

والعصر الاموى فاتحة عصور التمدن الاسلامي أو الدولة الاسلامية لان الاسلام قبله كان ديناً لا دولة . وفى هـذا العصر بدأ تكون أكثر علوم هذا التمدن ونمت ونضجت فيما يليه . وقد تقدم ان العلوم الحادثة في الاسلام قسمان كبيران العلوم الاسلامية والعلوم الدخيلة فنبدأ بالاولى

العلوم الاسلامية

هى العلوم التى اقتضاها الاسلام وتقسم الى ثلاثة أقسام (١) العلوم الشرعية وهى العلوم الدينية الاسلامية (٢) العلوم اللسانية وهي التى اقتضاها الاسلام ضمناً فاحتاجوا اليها في ضبط قراءة القرآن أو تفسيره أو تفهمه وتفهم الحديث (٣) التاريخ والجغرافيا . فلنبحث في كل منها على حدة

أولا ـ العلوم الشرعية

ونريد بالعلوم الشرعيـة العلوم المستخرجة من القرآن والحديث أهمها علوم القرآن والحديث والفقه ولكل منها فروع تولدت بتوالى الاجيال وكانت في العصر الاموى في دور تكونها وهي يومئذ القراءة (قراءة القرآن) والحديث (ضبط الحديث) والفقه وقبل التقدم اليها نمهد الكلام فى البصرة والكوفة

البصرة والكوفة

هما من المدن الاسلامية التى اختطها العرب لانفسهم . وكانوا قبل الاسلام أهل ماشية وخيام وخيل يكرهون الاقامة ضمن الاسوار وينفرون من الانحصار في

المدن . فلما تأيد الاسلام واجتمع العرب على فتح الامصار فى العراق والشام ومصر كانوا في بادىء الرأى اذا ساروا الى غزو أو فتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم فاذا فتحوا بلداً أقاموا في ضواحيه بخيامهم وأخبيتهم وهو معسكرهم . وكان عمر بن الخطاب يشترط على جنده المقيمين في الامصار أن لا يقيموا في مكان يحول الماء فيه بينهم وبينه حتى اذا أراد أن يركب راحلته اليهم ركب . كذلك فعل عمرو بن العاص فى الفسطاط وسعد بن أبي وقاص في الكوفة والبصرة وكانت كلها مضارب لجند العرب الفاتحين يعبرون عنها بالرابطة أو المعسكر فاذا طال بهم المقام اختطوا الاسواق وبنوا المنازل والقصور . ذلك كان شأنهم في صدر الاسلام فبنوا البصرة والكوفة على هذه الصورة

على انهم ظلوا نازعين الى البداوة بعد تخطيط البصرة لاول عهدها فبنوا مسجدها ودار امارتها بالقصب فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه وحفظوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءه كما كان واعتبر ذلك بالكوفة أيضاً

فأول من عمر البصرة والكوفة الفاتحون وأهلهم ثم اتسعت الفتوح الاسلامية شرقاً وغرباً ورسخت دولة المسلمين حتى نزح العرب بأهلهم وخيلهم التماساً لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة وهم يختارون أقربها الى البادية بلدهم القديم فالبصرة والكوفة أوفق البلاد لهم لانهما على الحدود بين جزيرتهم والشام والعراق

المربد أو عكاظ الاسلام

انتقل العرب الى هذين البلدين ونقلوا معهم عاداتهم الجاهلية وأخلاقهم العربية فانقسموا فيها قبائل وبطوناً - عرب اليمن فى أحد طرفي البلد وعرب الحجاز في الطرف الآخر وانقسمت قبائل كل جانب حسب بطونها وأفخاذها . وأقاموا فيهما أسواقا أدبية مثل أسواقهم في الجاهلية للمفاخرة والمناضلة والمناشدة : أشهرها « المربد » في البصرة وكانت سوقاً من أسواقها يعرف بسوق الابل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وأقاموا بها مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ويدلك على سعتها وسعة البصرة أن المربد كان في زمن ياقوت بالقرن السادس للهجرة بعد انحطاط دولة العرب كالبلد المنفرد وبينه وبين البصرة ثلاثة أميال وكان ما بين ذلك عامراً فتأمل

وكان المربد في الدولة الاموية عكاظ الاسلام تألفت فيه حلقات المناشدة

والمفاخرة[١] ومجالس العلم والادب[٢] فكان الشعراء يؤمونه ومعهم رواتهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكمة وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق وراعي الابل[٣]

وكان الاشراف يخرجون أيضاً إلى المربد للمذاكرة أو المناشدة . وكذلك كان يفعل أشراف الكوفة يخرجون الى ضواحيها لمثل هذا الغرض . لكن المربد غلب على سائر الاسواق كما غلبت عكاظ في الجاهلية

مدينة السياسة ومدينة العلم

ففي عصر الراشدين كانت المدينة عاصمة المسلمين ومقر علمائهم وهم يومئذ القراء والحفاظ من الصحابة ثم أفضت الدولة الى بنى أمية وانتقلت عاصمة الاسلام الى دمشق واختلفت الاحزاب وتحصن ابن الزبير في مكة وأخرج بنى أمية وأنصارهم من المدينة وسائر الحجاز . وقد علمت رغبة الامويين في استبقاء الطبائع العربية البدوية فنشطوا الآداب الجاهلية ولاسيما الشعر لاسباب سيأتي تفصيلها ، فوجدوا فى البصرة والكوفة ما ينوب عن مكة والمدينة من هذا القبيل وان ظلوا مضطرين الى الحجاز لان فيه الكعبة وقبر النبي وسائر مناسك الحج

وكان في المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للمطالبة بالخلافة كما فعل أحدهم عبد الله بن الزبير فأعماهم معاوية بالعطايا وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم فأركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع . ينفقون في ذلك الاموال وهى تتدفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ) كانت المدينة قد أصبحت مرسحاً للهو والغناء ونبغ فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها المخنثون وأهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء . فعلم عبد الملك أن أعداءه هناك لا يخشى بأسهم لاشتغالهم بأنفسهم وملاذهم ولا سيما بعد أن غلبهم فى العراق فجعل همه صرف أذهان أهل الادب والعلم عن بلاد العرب الى البصرة فجعلها ملجأ الشعراء والادباء وغيرهم وكانت في أيامهم لا تزال كالبادية يقيم العرب حولها في المضارب قبائل وبطوناً فأصبحت الشام في أيامه دار الملك والبصرة دار العلم . ولم ينبغ شاعر أو خطيب في بلاد العرب كلها الا جاء البصرة والكوفة فازدحمت الاقدام فيهما وبعد زمن يسير خلت جزيرة العرب من أهل الادب الا اليمامة وبعض الحجاز

(١) الاغاني ١٨٢ ج ٢ . (٢) الاغاني ٥١ ج ٣ (٣) الاغاني ١٦٩ ج ٢٠

سكان البصرة والكوفة

وتقاطر الى البصرة والكوفة أيضاً أهل المدن المجاورة في العراق والشام وفارس من طلاب الرزق للاستفادة من تلك النهضة السياسية بالتجارة أو الصناعة أو غيرهما . فاجتمع في تلك البقعة لفيف من أمم شتى مصيرهم الى التعريب . لان العربية كانت قد أصبحت لغة الدولة والدين ولا بد منها لمن أقام فى تلك الديار من المسلمين وغيرهم بعد أن تحولت دواوينها الى العربية كما تقدم . فاشتدت الحاجة الى ضبطها وجمع ألفاظها - غير ما بعث الى ذلك من الاسباب الاخرى . وفظراً لرغبة الامويين في الاحتفاظ بالبداوة نشطوا آداب الجاهلية على الخصوص فاشتغل الناس بتدوينها ونبغ الرواة والادباء وغيرهم

فأصبحت البصرة والكوفة في العصر الاموى وبعده بؤرة العلم والادب وملتقى العلماء والادباء والشعراء يزدحمون في المسجد أو المربد أو غيرهما للمفاخرة أو المناظرة أو المناشدة ، وأهل البصرة أعرق في اللغة والادب يأخذ الكوفيون عنهم وهم لا يأخذون عن أهل الكوفة . أما الشعر فكان في الكوفة أكثر منه في البصرة . ووقف المختار في أثناء حروبه بالعراق على أشعار مدفونة في القصر الابيض بالكوفة مما يدل علي عناية الكوفيين بالشعر (١) لكن أكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله (٢)

فبعد أن مهدنا الكلام بوصف البصرة والكوفة نتقدم الى العلوم الشرعية الاسلامية وأساسها القرآن وقد ذكرنا كيفية جمعه وتدوينه فى عصر الراشدين

قراءة القرآن

في العصر الاموي

هي أقدم العلوم الشرعية الاسلامية وكان للقراءة شأن في صدر الاسلام لقلة الذين يقرأون يومئذ فسموا الذين كانوا يحفظون القرآن « قراء » تمييزاً لهم عن سائر المسلمين لانهم كانوا أميين . وقد تقدم أن السبب الذى حمل عثمان على جمع القرآن وكتابته ما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته . على أنه لم يمض على ارسال مصاحفه الى الامصار زمن قصير حتى أصبح لاهل كل مصر قراءه خاصة يتبعون فيها قارئاً يثقون بصحة قراءته وتتوقل ذلك واشتهر . ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت

(١) الخصائص لابن جني (خط) ١١٨ (٢) المزهر ٢٠٦ - ٢٠٨ ج ٢

هذه القراءات السبع أصولا للقراءة ويعدها بعضهم عشراً

وأصحاب هذه القراءات معظمهم من الموالى وبعضهم تجاوز العصر الاموى وهم :

١ ــ عبد الله بن كثير توفي سنة ١٢٠ هـ فى مكة وهو من الموالى أصله من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حين طرد الحبشة عنها . وكان شيخاً كبيراً أبيض الرأس واللحية طويلا جسيما أسمر أشهل العينين يغير شيبته بالحناء (١)

٢ ــ عاصم بن أبي النجود توفي سنة ١٢٨ هـ في الكوفة وهو مولى بنى جذيمة أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش (٢)

٣ ــ عبد الله بن عامر اليحصبي من الطبقة الاولى من التابعين توفي بدمشق سنه ١١٨ هـ

٤ ــ يزيد بن القعقاع توفى سنة ١٣٢ هـ فى المدينة وهو مولى عبد الله بن عياش المذكور وأخذ القراءة عنه وعن غيره (٣)

٥ ــ حمزة بن حبيب الزيات توفي بحلوان العراق سنة ١٥٦ هـ وهو مولى آل عكرمة

٦ ــ ابو عمر بن العلاء من تميم توفي سنة ١٥٥ هـ بالكوفة وهو العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية وسيأتى ذكره مراراً في تاريخ آداب اللغة

٧ ــ نافع بن عبد الرحمن توفى سنة ١٦٩ هـ بالمدينة وهو مولى جعونة بن شعوب الشجعى كان اسود شديد السواد وأصله من اصبهان ويظهر من تأخر وفاته عن زمن انتقال الدولة الى العباسيين انه كان في العصر الاموى صغيراً (٤)

القراءات الشاذة

واشتهر غير هؤلاء كثيرون في أقطار العالم الاسلامى وفيهم من يقرأ قراءات غريبة وقد سماهم ابن النديم قراء الشواذ ــ ذكر في فهرسته (صفحة ٣٠) جماعة منهم في المدينة وآخرين في مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها . وتكاثر قراء الشواذ على الخصوص بعد أن ظهرت الفرق الاسلامية وتشبعت الآراء في التفسير والفقه ، والخلفاء يشددون في مقاصة أولئك الشاذين خوف التفرقه كما كان يفعل رؤساء النصرانية في القرون الاولى للميلاد . ولكن الاسلام كان أقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول وخصوصاً فى اوائله فلم يكن المسلم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفاً لرأي الخليفة ، ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت

(١) ابن خلكان ٢٥٠ ج ١ (٢) الفهرست ٢٩
(٣) المعارف ١٧٩ (٤) ابن خلكان ١٥١ ج ٢

مذاهب أصحابها في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الي أن سورة يوسف ليست من القرآن لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة(١) وظل بعضهم يقرأون القراءات الغريبة الى أواسط الدولة العباسية وفى جملتهم يعقوب العطار المتوفي سنة ٣٥٤ هـ فاستحضره الخليفة واستتابه بحضرة القراء والفقهاء وكتب محضر توبته وأشهد عليه من حضر(٢)

وأشهر من قرأ القراءات الشاذة ابن شنبوذ البغدادى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فانه تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها فى المحراب ذكرها ابن النديم وابن خلكان فعلم به ابن مقلة الوزير سنة ٣٢٣ هـ فقبض عليه واعتقله أياما فلم يكن ذلك ليرجعه عن قراءته فأمر بجلده واستتابه فتاب وقال انه قد رجع عما يقرأه وانه لا يقرأ الا بمصحف عثمان بن عفان بالقراءه المتعارفة التى يقرأ بها الناس وكتب محضراً بذلك(٣)

والقراءات السبع التى ذكرنا أصحابها كلها جائزة عند المسلمين . وعند الأئمة أن الجميع على صواب فقد يختار الاقليم الواحد قراءة واحدة أو قراءتين أو أكثر وقد تقرأ كل القراءات فى أقليم واحد (٤) وكانوا يرجعون فى اثبات صحة القراءة الى الاسناد المتسلسل كقولهم قرأ يعقوب بن اسحق على سلام وقرأ سلام على عاصم وقرأ عاصم على أبى عبد الرحمن وقرأ ابو عبد الرحمن على على بن أبى طالب وقرأ على على النبي (٥)

كتب القراءة

ولم يدون هؤلاء القراء قراءاتهم فى الكتب لكنها تنوقلت بالاسناد فألف فيها كثيرون بعد نضج التمدن الاسلامي فى بغداد وقرطبة وغيرهما من مدائن ذلك التمدن . ونحن موردون خلاصة تاريخ ذلك ـ واشهر ما وصلنا اليه من كتبهم فى هذا الفن :

١ ـ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء لمحمد بن قاسم الانبارى المتوفى سنة ٣٢٨ منه مجلد ناقص في دار الكتب المصرية بخط قديم يشبه أن يكون من خطوط القرن الرابع للهجرة . ومنه نسخة فى المتحف البريطانى وفى مكتبة كوبريلى بالاستانة

٢ ـ كتاب التيسير فى القراءات السبع لابن الصيرفى من أهل دانية بالاندلس توفى سنة ٤٤٤ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

(١) الشهرستاني ٧٣ ج ١ (٢) طبقات الادباء ٣٦١ (٣) ابن خلكان ٤٩٠ ج ١
(٤) المقدسى ٣٩ ونفح الطيب ١٠٤ ج ١ (٥) ابن خلكان ٣٠٨ ج ٢

٣ ـ جامع البيان في القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور

٤ ـ مفردات القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور أتى فيه على الاختلاف بين أصحاب نافع الاربعة الذين أخذوا عنه القراءات وبين غيرهم من أصحاب الائمة السبعة . ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

٥ ـ حرز الامانى ووجه التهانى في القراءات السبع وهو منظومة لمحمد بن فيره الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ وتعرف بمتن الشاطبية وقد طبعت في الهند وغيرها ومنها عدة نسخ خطية في دار الكتب المصرية

٦ ـ المقدمة الجزرية في علم التجويد منظومة لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ منها عدة نسخ في دار الكتب المصرية

٢ — التفسير

كان العرب عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لأنها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ولان اكثرها قيلت في أحوال كانت كالقرائن تسهل فهمها واذا أشكل عليهم شيء منها سألوا النبي فكان يبين لهم المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ . فحفظ أصحابه عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم وعنهم أخذ من جاء بعدهم من التابعين وتابعى التابعين

ولما صار الاسلام دولة واحتاجوا الى الاحكام والقوانين كان القرآن مصدر استنباطها فزادت العناية في تفسيره واصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين في استخراج تلك الاحكام أوهم الفقهاء لاول عهد الاسلام . وكانوا يتناقلون التفسير شفاهاً الى أواخر القرن الاول

والمشهور أن أول من دون مجاهد المتوفى سنة ١٠٤ هـ ولكننا وجدنا في دار الكتب المصرية بضع نسخ من تفسير ينسب الى ابن عباس الصحابي المشهور المتوفي سنة ٦٨ هـ ابن عم النبي . والمتواتر انه أول من فسر القرآن ولم نكن نظن له تفسيراً مدوناً ولكن يؤخذ مما ذكر في مقدمة هذا التفسير انه نقل بالرواية والاسناد ولم يدون فى أيام صاحبه . وللشيعة تفسير قديم ينسبونه الى محمد الباقر بن على بن الحسين . أما تفسير مجاهد المذكور فغير موجود ولعله تفسير ابن عباس رواه مجاهد (١)

ولم ينضج التفسير الا فى العهد العباسى كما سيأتي

(١) الفهرست ٣٣

٣ — الحديث

لما اشتغل المسلمون في تفهم معاني القرآن كان فى جملة ما افتقروا اليه في تفهمها أقوال النبي وهو ما عبروا عنه بالاحاديث النبوية . وأقدم من سمعها الصحابة وحفظوها فكانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من أحكامها استعانوا بتلك الاحاديث على استيضاحها. فلما كانت الفتوح تفرق الصحابة فى الارض وعند كل منهم بعض الاحاديث وقد يتفرد بعضهم باحاديث لم يسمعها سواه ، فأصبح طالب الحديث اذا كان من أهل دمشق مثلا لا يستوفيه إلا اذا رحل في طلبه الى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والرى ومصر وغيرها . وكذلك المقيم فى أحد هذه البلاد فانه لا يستطيع استيفاء الحديث ما لم يطلبه من البلاد الاخرى . وهذا ما يعبرون عنه بالرحلة فى طلب العلم . على أن الارتحال في طلب العلم لم يكن من مستحدثات الاسلام ولكنه كان شائعاً من قديم الزمان بالنظر الى قلة وسائل المواصلات وأسباب النشر فى تلك العصور، فكان المؤلف والجغرافى مثلا يرحل فى طلب التاريخ أو الجغرافيا الى أقاصى البلاد كما فعل هيرودوتس واسترابون وغيرهما . وكان المسلمون يرحلون في طلب العلوم غير الحديث أيضاً : وكان النصارى في العصر الاسلامى يرحلون الى بلاد الروم لاتقان ديانتهم(١)

وضع الاحاديث

نشأت الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان واختلف المسلمون فى الخلافة وادعاها غير واحد فانصرفت عناية كل حزب من أحزابهم الى استنباط الادلة واستخراج الاحاديث المؤيدة لدعواهم فكان بعضهم اذا أعوزهم حديث يؤيدون به قولا أو يقيمون به حجة اختلقوا حديثاً من عند أنفسهم : وتكاثر ذلك في أثناء تلك الفوضى ، فكان المهلب بن أبى صفرة مثلا يضع الاحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف أمر الخوارج (٢) وهو مع ذلك معدود من الاتقياء والنبلاء مع علمهم بما كان يضعه من الاحاديث لانهم كانوا يعدون ذلك خدعة فى الحرب وأمثال المهلب كثيرون كانوا يضعون الحديث لاغراض مختلفة

فلما هدأت الفتنة وعمد المسلمون الى التحقيق كانت تلك الموضوعات قد تكاثرت فاشتغلوا فى التفريق بينها وبين الصحيح فألفوا كتباً كثيرة في الحديث وميزوا صحيحه من فاسده وجعلوه مراتب . ولهم في ذلك ألفاظ اصطلحوا عليها لهذه

(١) طبقات الاطباء ١٧٥ ج ٢ (٢) ابن خلكان ١٤٦ ج ٢

المراتب ، كقولهم الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم . وبينوا كيف يأخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة مع تفاوت رتبها (١) وأشهر المحدثين فى زمن بنى أمية وبعضهم تجاوزه :

١ ـ شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الاشاقر ويكنى أبا بسطام توفى سنة ١٦٠ هـ وكان ألثغ ويقول : « والله لانا من الشعر أسلم منى فى الحديث ولو أردت الله ما خرجت اليكم ولو أردتم الله ما جئتمونى ولكنا نرغب فى المدح ونكره الذم»

٢ ـ خالد الحذاء : هو خالد بن مهران مولى قريش توفى سنة ١٤١

٣ ـ أبو المهزم : وهو يزيد بن سفيان وقد طعن شعبة في تحديثه(٢)

٤ ـ عاصم : هو عاصم بن سليمان مولى بني تميم توفى بالكوفة سنة ١٤١ هـ

وأكثر المحدثين نبغوا في العصر العباسى الاول وهم كثيرون ذكرهم ابن قتيبة فى كتاب المعارف صفحة ١٧٢ ـ ١٧٩ فليراجع هناك

وليس بين هؤلاء من دون كتاباً وأقدم من دون الاحاديث مالك بن أنس الامام المشهور في كتاب الموطأ . رتبه على أبواب الفقه وهو مطبوع ومشروح وسيذكر فى باب الفقه . وذكر بعضهم أن ابن جريج دون الحديث لكن لم يصلنا منه شيء

وفى العصر العباسى نضج علم الحديث وضبطت كتبه على أيدى الائمة المحدثين

٤ ـ الفقه

لما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا إلى القرآن والحديث ، فاستخرجوا منهما شريعة نظموا بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم . وذلك طبيعى في الدول الكبرى . فاليونان قلما عنوا بوضع الشرائع والاحكام الدولية أو القضائية لانهم لم يكونوا أهل دولة كبيرة الا زمناً قصيراً فانصرفت قرائحهم الى الفلسفة وفروعها . وأما الرومان فقد اتسعت مملكتهم كما اتسعت مملكة العرب وامتد سلطانهم وقويت شوكتهم فلم يكن لهم بد من وضع الشرائع لكنها لم يتم نضجها الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة عشر قرناً على يد يوستنيان صاحب القانون المشهور سنة ٥٣٣ م وهى عبارة عن عادات واعتبارات واعتقادات تجمعت بتوالى الاحقاب من الشعب اللاتينى والصابئى وغيرهما

(١) ابن خلدون ٣٦٨ ج ١ (٢) المعارف ١٧٢

ممن دانوا لرومية بالتدريج حتى صارت شريعة كاملة على عهد يوستينيان المذكور

وأما المسلمون فانهم استخرجوا أحكامهم من القرآن والحديث . ولم يمض عليهم قرنان والثالث حتى نضجت شريعتهم وتكون فقههم وهو من افضل شرائع العالم . وقد أسرعوا فى ذلك مثل سرعتهم في تأسيس دولتهم ونشر دينهم

قلنا ان القرآن أساس الفقه الاسلامي وكان المسلمون في عهد النبي يتلقون الاحكام منه وهو يبينها لهم شفاهاً فلم يكن ذلك يحتاج إلى نظر أو قياس . فلما توفى رجع الصحابة الى القرآن والسنة فأصبح القراء أول فقهاء المسلمين أو حاملى شريعتهم وكانوا يرجعون اليهم في الفتيا والاحكام لقلة الذين يقرأون في الصدر الاول فلما عظمت أمصار الاسلام وذهبت الامية من العرب وكمل الفقه وأصبح صناعة بدلوا باسم الفقهاء والعلماء

الفقهاء

فأول الفقهاء المسلمين الصحابة الاولون وأولهم الخلفاء الراشدون ثم عبد الرحمن ابن عوف وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعري (١) ثم انتقلت الفتوى والفقه الى التابعين واشتهر منهم سبعة وهم : سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن وقاسم وعبيد الله وعروة وسليمان وخارجة وقد جمعهم بعض العلماء فى هذين البيتين :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة فقسمته ضئزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجه (٢)

وبعض المؤرخين يحسبهم عشرة مع تبديل بعض الاسماء (٣) وعنهم انتقل الفقه والفتيا في العالم الاسلامي . وفى أوائل الاسلام كان الفقه والقراءة والتفسير والحديث علماً واحدا ثم أخذت هذه العلوم تستقل بعضها عن بعض عملا بناموس الارتقاء فلما استقل الفقه سموا أصحابه الفقهاء كما تقدم وكان لهم تأثير كبير في الدولة لما يترتب على الفتيا من الامور الهامة كالعزل والتنصيب والقتل والعفو . ففي أيام بنى أمية كان المرجع في الفقه والفتيا الى أهل المدينة وكان الخلفاء لا يقطعون أمراً دونهم . ولم يخلف فقهاء العصر الاموى آثاراً مكتوبة لان الفقه نضج وتكيف بعد نبوغ الأئمة الاربعة في العصر العباسى

(١) الدميري ٥١ ج ١ (٢) ابن خلكان ٩٢ ج ١ (٣) أبو الفداء ٢٠٩ ج ١

ثانياً — العلوم اللسانية

في العصر الاموي

ونريد بها العلوم التي ترجع الى ضبط اللغة العربية كالنحو والصرف والادب ونحوها . وهذه بدأت بالتكون في العصر الاموى ولم يتكون منهـا في هذا العصر غير النحو ويلحقه الحركات والاعجام وسنتكلم عن كل منها :

١ — النحو

النحو بمعناه الحقيقي طبيعي على لسان كل متكلم يتلقنه من مرضعه . لان الانسان يتعلم النحو وهو يتعلم النطق اذ بدونه لا يحسن التعبير عن أفكاره . اما اذا أراد أن يتعلم لساناً غير لسانه فدرس قواعد النحو يسهل عليه تناوله . ولذلك فالامة قد تقضي قروناً متطاولة وهي تتكلم وتخطب وتنظم الشعر قبل أن تدون قواعد النحو وتجعله علماً : فاليونان لم يبدأوا بضبط قواعد لسانهم الا في القرن الخامس قبل الميلاد. وأول من بدأ بذلك منهم بروتغوراس المتوفى سنة ٤١١ ق . م فتكلم في المذكر والمؤنث وبعض الاسماء . ثم بروديكوس وقد عاصره وتكلم في المترادفات ، ثم جاء أرسطو وغيره وأتموا علم النحو اليونانى وله تاريخ يشبه تاريخ النحو العربي . وكذلك فعل الرومان في نحو اللغة اللاتينية فانهم لم يدونوا قواعده الا في القرن الاول قبل الميلاد في زمن بومبيوس وقد دونه عالم اسمه ديونيسيوس تراكس اقتداء باليونان

فاليونان نبغ فيهم الشعراء والخطباء والادباء والفلاسفة قبل تدوين قواعد النحو في لسانهم . فنظم هوميروس الياذته وأوذيسته وهو لم يتعلم قواعد النحو فلم يضره ذلك شيئاً لان اللغة كانت ملكة فيه . وألف أشيلوس الروايات التمثيلية وسحر اليونان ببيانه ونبغ الفلاسفة فريسيدس وأناكسيمندر وطاليس . وكتب هيرودوتس الرحالة تاريخه الشهير قبل وضع النحو . وكذلك الرومان فقد نبغ فيهم جماعة من الشعراء والخطباء والادباء قبل تدوين النحو

وضع النحو العربى وواضعه

وهكذا العرب فقد نظموا الشعر وألقوا الخطب وتناشدوا وتراسلوا قبل تدوين النحو لان ملكة اللغة كانت طبيعيـة فيهم . على أنهم اضطروا الى ضبط تلك القواعد وتدوينها بأسرع مما اضطر اليه اليونان والرومان التماساً للدقة في ضبط معانى القرآن . فلم يمض على دولتهم نصف قرن حتى شعروا بالحاجة الى

النحو . ويغلب على ظننا أنهم نسجوا في تبويبه على منوال السريان لان السريان دونوا نحوهم وألفوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس للميلاد . وأول من باشر ذلك منهم الاسقف يعقوب الرهاوى الملقب بمفسر الكتب المتوفي سنة ٦٤٠م(١) فالظاهر أن العرب لما خالطوا السريان فى العراق اطلعوا على آدابهم وفى جملتها النحو فأعجبهم فلما اضطروا الى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لان اللغتين شقيقتان. ويؤيد ذلك أن العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان . وأقسام الكلام فى العربية هى نفس أقسامه في السريانية

أما استعجال العرب في تدوين النحو فانه تابع لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين لان الفتوح دعت الى الاختلاط بالاعاجم والاختلاط دعا الى فساد اللغة فأصبح الناس يهملون الاعراب . وكان العرب عند ظهور الاسلام يعربون كلامهم على نحو مافي القرآن ـ الا من خالطهم من الموالى والمتعربين ، فان هؤلاء كانوا حتى في أيام النبي يخطئون الاعراب وقد ذكروا رجلا لحن بحضرة النبي فقال : «ارشدوا أخاكم فقد ضل» وقال أبوبكر : « لان أقرأ فأسقط أحب الى من أقرأ فألحن»(٢) ولكن اللحن لم يكثر الا بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق فتذمر العمال مما كانوا يسمعونه من اللحن وخصوصاً في قراءة القرآن فأحسوا بحاجة شديدة الى ضبط قواعد اللغة

أما واضع علم النحو أو مدونه فهو بالاجماع أبو الاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ وكان من سادات التابعين صحب على بن أبى طالب وشهد معه واقعة صفين ثم أقام في البصرة . وكأنه تعلم لغة السريان أو اطلع على نحوها فرغب فى النسج على منواله فعرض ذلك على والى العراقين يومئذ زياد بن أبيه فأبى (٣) . حتى اذا جاءه رجل يشكو اليه أمراً فسمعه يقول : «أصلح الله الامير توفى أبانا وترك بنون » فاستنكف زياد من سماع ذلك اللحن فبعث الى أبي الاسود أن يصنع ما كان قد نهاه عنه

واختلف الرواة فيما بعث أبا الاسود على وضع النحو لكنهم مجمعون على أنه واضعه كما قدمنا وهو يقول انه تلقى ذلك عن على بن أبى طالب

فوضع علم النحو أو الشروع فيه على الاقل ثابت لابي الاسود ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم صاحب الفهرست مما شاهده بعينه في عرض كلامه عن خزانة كتب أطلعه عليها أحد جماعى الكتب فكان في جملة ما فيها قمطر كبير فيه نحو

(١) شعراء السريان للقرداحى ١٨ (٢) المزهر ١٩٩ ج٢ (٣) ابن خلكان ٢٤٠ ج١

٣٠٠ رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصرى وورق صيني وورق تهامي وجلود ادم وورق خرساني وبينها أربع أوراق قال: « أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبى الاسود رحمة الله عليه بخط يحي بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحته هذا خط النضر بن شميل ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر » (١)

على أن ما وضعه ابو الاسود من القواعد لم يكن ليسد الحاجة المستعجلة لضبط القراءة فعمد الى ضبطها بعلامات يتميز بها المنصوب من المرفوع أو الاسم من الفعل فوضع علامات كانت عند السريان يدلون بها على الرفع والنصب والجر أو يميزون بها الفعل من الاسم كما سيجيء

فالعرب كانوا يعرفون الاعراب قبل علم النحو كما كانوا يحسنون النظم قبل علم العروض ، وكان ذلك ملكة طبيعية فيهم حتى اختلطوا بالاعاجم وأسلم هؤلاء وليس فيهم ملكة اللغة ليفهموا القرآن فاضطروا الى ضبطها وكانوا أكثر المسلمين اشتغالا في ذلك . بدأ بعلم النحو ابو الاسود وأتمه من جاء بعده من أهل البصرة والكوفة . ولم ينضج الا في العصر العباسى وسيأتى الكلام عليه هناك

٢ — الحركات

ونعنى بها علامات الضم والفتح والكسر ونحوها اضطروا الى وضعها في أوائل الاسلام لضبط الاعراب فى قراءة القرآن . وكان القرآن في أول الاسلام محفوظا في صدور القراء لا خوف من الاختلاف في قراءته لكثرة عنايتهم في تناقله وضبط ألفاظه حتى دونوه وكثر أهل الاسلام فمضى نصف القرن الاول للهجرة والناس يقرأون القرآن بلا حركات ولا اعجام . وأول ما افتقروا اليه الحركات وأول من رسمها أبو الاسود الدؤلى المتقدم ذكره فانه وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات ولذلك توهم بعضهم أنه وضع نقط الاعجام . والحقيقة أنه وضع نقطاً لتمييز الاسم من الفعل من الحرف وليس لتمييز الباء من التاء أو الجيم من الحاء . والارجح أنه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه فى العراق وكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه أو تعيين الكلمة الواقع هو فيها اسم هى أم فعل أم حرف . مثل قولهم « كتب » فيمكن أن تكون اسماً جمع كتاب أو فعلا ماضياً معلوماً أو مجهولا .

(١) الفهرست ٤٠

وكان عندهم أيضاً نقط هى حركات وصفها يعقوب الرهاوي قبيل ذلك الزمن(١) وهى عبارة عن نقط كانت ترسم في حشو الحروف ثم تحولت الى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث وما زالت عندهم الى اليوم

فالظاهر أن أبا الاسود اقتبس هذه الحركات . ويؤيد ذلك أنه لما اراد التنقيط أتوه بكاتب فقال له أبو الاسود « اذا رأيتني قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه وان ضممت فانقط نقطة بين يدى الحرف وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف (٢) فكان العرب بعد ذلك يستعملون هـذه النقط . والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط . وقد شاهدنا فى دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقطاً على هذه الكيفية وجدوه فى جامع عمرو بجوار القاهرة وهو من أقدم مصاحف العالم مكتوب على رقوق كبيرة بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون . فالنقطة فوق الحرف فتحة وتحته كسرة وبين يدى الحرف ضمة كما وصفها ابو الاسود

صور الحركات

أما صور الحركات التي وصلت الينا نعني الضمة والفتحة والكسرة فلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذى وضعت فيه ولكن الغالب انها وضعت فى القرون الاولى للاسلام كما وضعت نقط الاعجام اقتداء بالسريان . لان هؤلاء وضعوا الحركات لحروفهم فى القرن الثامن للميلاد نقطاً كما فعل العبرانيون . والحركات عند العبرانيين ١١ وعند السريان الشرقيين ٧ وعند السريان الغربيين ٥ أما فى العربية فهي ثلاث فقط

ظل الساميون يكتبون ألسنتهم بلا حركات من أقدم أزمنة التاريخ فى اشور وبابل وفينيقية واليمن والحجاز ولم يفطنوا لوضع الحركات الا بعد الميلاد المسيحى . وأقدم وسيلة اتخذوها لدفع الالتباس فى القراءة النقطة الكبيرة التى استخدمها السريان كما تقدم . والغالب انها وضعت نحو القرن الرابع للميلاد . ثم تقدموا خطوة أخرى فاتخذوا لكل خطوة علامة خاصة توضع فوق الحرف او تحته ، وهى عند العبران والسريان الشرقيين نقط توضع مفردة او مزدوجة فوق الحرف أو تحته فتدل على الضم أو الفتح أو الكسر أو ما بينهما كالامالة والاشمام ونحوها

أما السريان الغربيون فاقتبسوا الحركات من الابجدية اليونانية وأخذوا منها

(١) اللمعة الشهية ٢٠ (٢) الفهرست ٤٠

خمسة أحرف صوتية هي Y,E,H,O,A, عبروا بها عن الحركات كل حرف يجانس الحركة التى يدل عليها فى اليونانية . وقد تم ذلك في المئة الثامنة للميلاد إذ نهض السريان لتحرير ألفاظ الكتاب المقدس وسائر كتب الدين وضبطوا قراءتها وكانت اليونانية شائعة بين رجال العلم منهم فاقتبسوا حروفها الصوتية لهذه الغاية

أما العرب فقد هموا بضبط لسانهم نحو قيام السريان فاقتدوا بهم أولا بالنقط الكبيرة والصغيرة ثم وضعوا الحركات المستقلة كما وصلت الينا . لكنهم لم يقتبسوها من أحرف الالسنة الاخرى كما فعل السريان بل أخذوها من الابجدية العربية فاستخدموا حروفها الصوتية لتدل على الحركات . والحركات العربية لا تقل عدداً عن الحركات السريانية وربما زادت عليها ، ولكن الاحرف الصوتية فى العربية ثلاث فقط (الواو والالف والياء) فاستعاروها للدلالة على الضم والفتح والكسر وهي الحركات الرئيسية وتركوا سائر الحركات المختلسة كالاشمام والروم والامالة لفطنة القارىء . واذا تأملت صور الحركات المذكورة رأيت الضمة كالواو تماماً والفتحة تشبه الالف مائلة . وأما الكسرة فانها الآن بعيدة الشبه بالياء. فاما انها كانت عند أول استخدامها أقرب الى شكل الياء ثم تنوعت بالاستعمال أو أنهم قلدوا بها حركة الكسر عند السريان الشرقيين وهى نقطتان أسفل الحرف فرسمهما العرب معاً فجاءتا كالكسرة . أو لعلهم اقتبسوا الياء السريانية فان صورتها كالكسرة العربية وهى « ى » وقد قال الامام الرازي الحركات أبعاض المصوتات

المدة والشدة والوصلة والهمزة

وفي الكتابة العربية علامات أخرى لضبط التلفظ بالمد أو الوصل أو الادغام وهى أحدث في استنباطها من الحركات التى تقدم ذكرها . ولكنها وضعت قبل القرن الخامس للهجرة وأشهرها المدة « ~ » والشدة « ّ » والوصلة « ص » وكلها مقتطعة من ألفاظ تؤدي المعنى المراد من وضعها . فالمدة مقطوعة من « مد » والشدة من « شد » والوصلة من « صل » ـ وذلك أن الكاتب كان اذا أراد ضبط ما يكتبه كتب فوق الحرف الذى يريد مده قوله « مد » بصيغة الامر وفوق الحرف المدغم لفظ « سد » والشين بلا نقط وفوق الالف المراد وصلها كلمة « صل » وكانوا يرسمون هذه الالفاظ صغيرة كما يفعلون حتى اليوم في علامات ضبط قراءة القرآن فيكتبون فوق الكلمة « قف » أو « ج » أو « ص » أو « ط » وكل منها مقتطعة من لفظ يراد به تعيين درجة الوقف أو الوصل

وظلوا دهراً يكتبون علامات المد والشد والوصل بصورها الاصلية ثم اختصروها فكانوا يعبرون عن حركة المد أولا بكتابة لفظ «مد» وعن التشديد بلفظ « سد » وعن الوصل بلفظ « صل » ثم اختصروا صورها بالاستعمال فصارت المدة « مـد » والشدة « سـد » والوصلة « ص » ثم اختصرت فى الكتابة الى ما هى عليه الآن . وقد اطلعنا في معرض دار الكتب المصرية على كتاب مخطوط في أوائل القرن الخامس للهجرة وفيه هذه العلامات قريبة جداً من ألفاظها الاصلية . وهذه صورتها في ذلك الكتاب « مـد » للمدة و « سد » للشدة و « ص » للوصلة

أما همزة القطع فانها بصورة العين مصغرة « ء » ولعلهم يرمزون عنها بالعين لتقارب لفظيهما وكثيراً ما تتبادلان أو أنهم رسموا العين مقطعة من لفظ « قطع » كما بقيت الصاد من صل والشين من شد

ومن العلامات الكتابية الشائعة علامة توضع في آخر الرسالة أو الكتاب . ويراد بها الدلالة على نهاية القول وهي « ؟ » أو نحوها والغالب في اعتقادنا أنها بقية لفظ « صح » التي كانواولا يزالون يختمون رسائلهم بها

٣ ـ الاعجام

كان الخط لما اقتبسه العرب من السريان والانباط خالياً من النقط ـ ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط الى اليوم ـ فالاعجام حادث في العربية وهو قديم فيها . والظاهر أن المسلمين بعد أن استخدموا الحركات المذكورة رأوا التصحيف قد تكاثر والتبس الناس في القراءة لتكاثر الاعاجم من القراء ، والعربية ليست لغتهم ، فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والثاء فانتبه لذلك الحجاج أمير العراق في أيام عبد الملك بن مروان ـ قال ابن خلكان : « ففزع الحجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف المختلفة علامات تميزها بعضها من بعض فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها فعبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون الا منقوطاً فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام » (١) وفى عبارة ابن خلكان هذه التباس لا يفهم المراد بها ولا ما الفرق بين التنقيط والاعجام وهما واحد . ولا يعقل أن يكون المراد بالنقط الحركات لانهم انما عمدوا اليها لكثرة التصحيف أى اختلاف القراءة باختلاف النقط . فالظاهر أن

(١) ابن خلكان ١٢٥ ج ١

النقط المذكورة هي من قبيل الاعجام لتمييز الحروف المتشابهة ، ولكن نصراً هذا لم ينقط الا بضعة حروف مما يكثر وروده ويخشى الالتباس فيه . ثم رأوا القراءة لا تضبط الا بتنقيط كل الحروف كما هي الآن وهذا ما عبروا عنه بالاعجام

وقد شاهدنا فى معرض الخطوط في دار الكتب المصرية كتابة عربية على صحيفة من البردي « البابيرس » مؤرخة سنة ٩١ هـ وفيها اعجام لكنه قاصر على الصور المشابهة للباء للتمييز بين الباء والياء والتاء وصورة حرف الشين لتمييزه من السين بثلاث نقط موضوعة على استواء واحد ـ وشاهدنا أجزاء من مصاحف أخرى مكتوبة على رقوق صغيرة وعليها نقط حمراء للحركات ونقط سوداء للاعجام. وقد نجد خطوطاً قديمة منقطة ومحركة وخطوطاً حديثة بلا تنقيط ولا تحريك

ولم تعجم الحروف كلها في وقت واحد ولكنهم تدرجوا فى ذلك حسب الحاجة في أزمنة مختلفة ويتضح ذلك لمن يتأمل فى المخطوطات العربية القديمة فانك تجد الاعجام لم يبلغ ماهو عليه الآن الا بتوالى الاجيال . وآخر حرف أعجم الياء لتمييز الياء من الالف المقصورة ؛ وأول من فعل ذلك المرسلون الاميركان في بيروت في أوائل القرن الماضي

ثالثاً ـ التاريخ والجغرافية

في زمن بني أمية

لم يكن عند العرب الجاهلية من التاريخ الا أخبار متفرقة ليست من التاريخ في شيء فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب لهم الامر ونزعوا الى الجهاد تدرجوا في وضع التاريخ مثل تدرجهم في سائر العلوم الاسلامية وهو قسمان : (١) تاريخ المسلمين وأعمالهم وتراجم رجالهم وهذه قد استخرجها العرب من أعمالهم . (٢) تاريخ الامم الاخرى . فهذه بدأوا بتعريفها ونقلها من زمن بني أمية لان الدهاة من الخلفاء الامويين كانوا من أرغب الناس في معرفة أخبار مشاهير الامم الاخرى

فمعاوية بن أبي سفيان كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل فيقصون عليه أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها في رعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها . ثم ينام ثلث الليل ويقوم فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها فيقرأون عليه ما في تلك الكتب

من سير الملوك وأخبار الحروب ومكايدها وأنواع السياسات (١) والغالب في اعتقادنا أن تلك الكتب في اليونانية واللاتينية وفيها أخبار أبطال اليونان والرومان كالاسكندر ويوليوس قيصر وهنيبال وأن الغلمان كانوا يفسرونها له بالعربية

وسماع أخبار العظماء يستنهض الهمم الى الاقتداء بهم ولذلك كان أكثر القواد العظام الراغبين في العلى من العرب وغير العرب يستتلون أخبار من سبقهم من مشاهير القواد والساسة للعبرة

أما تدوين التاريخ في اللغة العربية فبدأ في زمن بنى أمية مع رغبة المسلمين عن التدوين في ذلك العصر لاسباب بيناها فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي . ولكنهم اختصوا عدم التدوين فى الفقه والتفسير فلم يدون الا في القرن الثانى . وأما ما تقدم ذكره عن تفسير ابن عباس فانه مروى عنه سماعاً

ويظهر أنهم بدأوا بتدوين التاريخ الاجنبي قبل تدوين حروبهم وفتوحهم إذ لم يكن المراد بالتدوين خدمة التاريخ وانما فعلوه لاغراض الخلفاء في الاطلاع على أحوال الامم الاخرى . وأول من فعل ذلك عبيد بن شرية ألف كتاب الملوك وأخبار الماضين لمعاوية بن أبي سفيان ذكره صاحب الفهرست ولا وجود له الآن . وكان الامويون يسمون أبحاث هذا العلم « علم أخبار الماضين » وذكر ابن النديم كتباً في مواضيع مختلفة ألفها أبو مخنف الازدى من أصحاب على فيها تراجم المشاهير ونحوهم وكتاباً ألفه عوانة بن الحكم الكلبي فى التاريخ وآخر في سيرة معاوية وبني أمية في القرن الثانى للهجرة ولم يصل الينا شيء من هذه الكتب ولا غيرها من كتب الادب والتاريخ أو غيره مما كتب في زمن بنى امية

ومن العلوم التاريخية التى ولدت في العصر الاموى علم الانساب وقد علمت أن الانساب من العلوم الجاهلية فاحتاج اليها المسلمون فى صدر الاسلام لاثبات أنسابهم وعليها يتوقف مقدار العطاء أو منزلته من الدولة أو المنصب فجعلوها علماً. وأول من احتاج الى ذلك زياد بن أبيه الداهية المشهور الذي استلحقه معاوية بنسبه ليستعين به على أعدائه فعمل في نسبه كتاباً دفعه الى ابنه ـ ذكر ذلك ابن النديم أيضاً ولم نقف عليه ولا على خبره . وذكر أيضاً من أقدم النسابين في الاسلام دغفل والحجر ابن الحارث والبكرى ولسان الحمرة ولم يذكر لهم كتباً

وبالاجمال ان التاريخ ولد في زمن بنى أمية ولم ينضج الا في العصر العباسي .

(١) المسعودى ٥٢ ج ٢

وفى كل حال فان العرب من أسبق الامم الى تدوين التاريخ بعد أن تمدنوا . لان الرومان لم يؤلفوا فيه الا بعد تأسيس دولتهم بسبعة قرون وأول مؤرخيهم يوليوس قيصر (١) أى بعد استقرار الدولة . واليونان بدأ التاريخ عندهم بمواضيع خصوصية ولم يدونوا التاريخ العام الا في زمن هيرودوتس أي بعد انشاء دولتهم ببضعة قرون

أما الجغرافيا فلفظها يدل على أنها دخيلة لكن العرب بدأوا بشيء منها قبل النقل كما سيجيء

العلوم الدخيلة

في العصر الاموى

نريد بالعلوم الدخيلة التى نقلها المسلمون الى اللغة العربية من الالسنة الاولى . ويدخل فيها علوم اليونان والفرس والهند والسريان وغيرهم . وهذه نقلت في العصر العباسى كما هو مشهور لكن العرب بدأوا بنقلها من أيام بني امية وان لم يبق من نقلهم شيء الى الآن

خالد بن يزيد

وأول من فعل ذلك خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ حفيد معاوية الاكبر ويسمونه الحكيم . وكان طامعاً في الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الثاني فغلبه على ذلك مروان بن الحكم وانتقلت به الخلافة من بيت ابى سفيان الى بيت مروان. فلما يئس خالد من الخلافة وهو ذو مطامع وذكاء انصرف ذهنه الى اكتساب العلى بالعلم . وكانت صناعة الكيمياء رائجة يومئذ فى مدرسة الاسكندرية فاستقدم جماعة منهم راهب رومي اسمه مريانوس طلب اليه ان يعلمه صناعة الكيمياء فلما تعلمها امر بنقلها الى العربية فنقلها له رجل اسمه اسطفان القديم (٢) وهذا اول نقل في الاسلام من لغة الى لغة

وكان خالد راغبا في علم النجوم ايضا وانفق الاموال في طلبه واستحضار آلاته ولعلهم ترجموا له شيئا منه لم يصلنا خبره

ولم يصلنا شيء من منقولات خالد المذكورة ولكنه كان شديد الولع بالعلم الطبيعى وخصوصا الكيمياء والفلك . وقد ذكر ابن القفطي في ترجمة ابن السنبدى

(١) Lit / nc 259 & 232

(٢) الفهرست ٢٤٢ و ٢٤٤

انه شاهد في خزائن الكتب بالقاهرة كرة نحاس وعليها مكتوب : « حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية » (١)

واشتغل بنقل العلم في هذا العصر بعض أهل الشام نقلوا بعض كتب الطب . وممن وصلنا خبرهم من النقلة طبيب كان معاصراً لمروان بن الحكم اسمه ماسرجويه سرياني الجنس يهودى المذهب كان يقيم في البصرة وظهر في أيامه كتاب في الطب هو كناش (حاوى) من أفضل الكنانيش الفه القس اهرون بن اعين فى اللغة السريانية فنقله ماسرجويه الى العربية . فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب فى الشام فحرضه بعضهم على اخراجه الى المسلمين للانتفاع به فاستخار الله فى ذلك ٤٠ يوماً ثم أخرجه الى الناس وبثه في أيديهم ويدلك ذلك على التردد الذى استولى على الخليفة في اخراج هذا الكتاب مع أنه من كتب الطب وليس الفلسفة

وذكر ابن النديم أن سالماً كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل أرسطو الى الاسكندر . وفي كل حال لم يبق شيء من منقولات هذا العصر

(١) أخبار الحكماء لابن القفطى ٢٨٦

الاداب الجاهلية

في العصر الاموي

نريد بالآداب الجاهليـة الآداب العربية التي كانت عند العرب قبـل الاسلام وقد تولدت عندهم وأهمها اللغة والشعر والخطابة والانشاء ونتظر في كل منها على حدة

١ ـ اللغة

اللغة مرآة عقول أهلها ومعرض آدابهم وأخـلاقهم وسائر احوالهم تتبعهم في ما يطرأ عليهم من التغيير وتحفظ آثار ذلك التغيير. وقد تتبدل أحوال الامة ويذهب كثير من عاداتها أو آدابهـا وتبقي آثار ذلك في الفاظها وتراكيبها. وقد رأيت ما حدث في اللغة من الآداب الشرعية واللسانية فاقتضى ذلك طبعاً أن يحدث فيهـا الفاظ جديدة أو تتنوع بعض الفاظها للتعبير عن المعاني الجديدة

فمن المصطلحات اللغوية التى اقتضتها العلوم اللسانية قولهم النحو والعروض والشعر والاعراب والادغام والاعلال والحقيقة والمجاز والنقض والمنع والقلب والرفع والنصب والخفض والمديد والطويل وغيرها من اسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف وهى كثيرة جداً ولها فروع واشتقاقات ـ حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي وآخر لغوى وآخر عروضى وآخر دينى مما لا يمكن حصره. أما المصطلحات الشرعية فقد ذكرنا بعضها في الـكلام على اللغة في عصر الراشدين فليقس عليها

ودخل اللغة فى هذا العصر وقبله بعض المصطلحات الادارية كالخلافة والوزارة والحجابة والامامة وغيرها من مصطلحات الجنـد كالمسترزقة والمتطوعة والعلوفة والعسكر. وضروب الحرب وأبواب الهجوم كالزحف والـكر والفر والبيات والـكفاح والغرة. وصنوف الاسلحة كالدبابة والـكبش والعرادة وغيرها. ناهيك بمصطلحات الدواوين على اجمالهـا كقولهم الثغور والعواصم والاقليم والقصبـة والعمل والولاية والضياع والحكومة والسكة والتوقيع والوظيفـة والخراج والجزية والعشور والمرافق والصوافي والجوالى والجبـاية والوقف والمصـادرة والمستغلات والصدقة والمكوس والمراصد ودار الضرب والضمان والدفاتر والجرائد والخرائط والايغار والراتب والجاري والعطاء والبيعـة والدعوى والختم والخطط والمطالعة والمؤامرة وغير ذلك كثير جداً

وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة لـكن مدلولاتها تغيرت بتغير

أحوال العرب بعد انشاء دولتهم لحدوث معان جديدة اقتضاها ذلك التغيير (١)

٢ ـ الشعر

في العصر الاموى

لم يكن للشعر العربي تأثير في النفوس ومنزلة في الدولة في عصر من أعصر العرب مثل ما كان له في العصر الاموي . ولا غرابة فى ذلك بعد ما علمته من خصائص ذلك العصر السياسية وطبائع الامويين . ولا بأس من ذكر الاسباب التى بعثت على زهو الشعر في هذا العصر ومنزلته في الدولة وتأثيره فى النفوس بالايجاز ثم نأتي على مميزاته

أولا ـ أسباب رواجه

١ ـ انقسام القبائل بالعصبية

اقتضت سياسة بني أمية استنصار القبائل بعضها على بعض بالرجوع الى عصبية الجاهلية . وأول من فعل ذلك معاوية في الخلاف بينه وبين علي وأبنائه . ثم كان انقسام القبائل عند انتقال الخلافة من آل معاوية الى آل مروان وكلاهما من بنى أمية وانتشبت الحرب في مرج راهط وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . وأخيراً قام طلاب الخلافة من غير العلويين في زمن عبد الملك بن مروان وهم آل الزبير والازارقة وسعيد بن الاشدق وغيرهم كما تقدم . ولكل خارج قبيلة أو بضع قبائل تنصره والامويون يستعينون بالشعراء على اختلاف قبائلهم وبطونهم يتألفونهم بالعطاء لعلمهم بما لقول الشاعر من التأثير فى نفوس عشيرته لانه لسان حالها فازداد الشعراء بذلك نفوذاً وتقرباً من الخلفاء أو الامراء . وكان الخليفة يعد مدح الشاعر له دليلا على رضي قبيلته عن أغراضه . لانه لسان حالها والقبيلة تعد اكرام الخليفة لشاعرها اكراماً لها

٢ ـ سخاء بنى أمية بالاموال

واقتضت سياستهم تألف الشعراء بالمال فضلا عن اضطرار الشعراء وغيرهم الى استرضائهم خوفاً من قطع العطاء عنهم . والعطاء يومئذ رواتب الجند وسائر المسلمين . وكان المسلمون في صدر الاسلام كلهم جنداً ولكل منهم راتب يتناوله من بيت المال على شروط مذكورة فى الديوان (٢) فمن قبض على بيت المال قبض على رقاب

(١) راجع تفصيل ذلك في كتابنا تاريخ اللغة العربية (الطبعة الثانية) صفحة ٢٤ ومابعدها
(٢) تاريخ التمدن الاسلامي (الطبعة الثانية) صفحة ١٥٤ ج ١

المسلمين ويجدر بهم أن يتقربوا منه ويتزلفوا اليه . فاذا كان القابض عليه حكيما يعرف كيف يعطي ولمن يعطى أغناه ذلك عن سائر الاسباب فيزيد العطاء أو ينقصه أو يقطعه على حسب الاقتضاء

كذلك كان يفعل الدهاة من بني أمية وقدوتهم معاوية بن أبي سفيان أكبر دهاة العرب . فقد جعل تصرفه في العطاء وسيلة لاكتساب قلوب المسلمين حتى أشياع العلويين وغيرهم من أبناء الصحابة الذين كان يخاف قيامهم للمطالبة بالملك . فأحر به أن يفعل ذلك بالشعراء ولهم رواتب فى بيت المال مثل سائر المسلمين فلم يكن الشعراء يرون بدأ من استرضاء بني أمية خوفاً من قطع اعطيتهم فضلا عما يرجونه من الجوائز اذا أحسنوا ارضاءهم

٣ ـ رغبة بني امية في الشعر

كان لبني أمية رغبة شديدة في احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الادب ، نفوسهم شعرية حساسة . حدّث معاوية عن نفسه قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأيتنى ليلة الهرير بصفين وقد اتيت بفرس اغر محجل بعيد البطن من الارض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملنى على الاقامة الا أبيات عمرو بن الاطنابة :

أبت لي همتى وأبى بلائى ... وأخذ الحمد بالثمن الربيح
واقحامى علي المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح (١)

ويزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه ببيت شعر له غنته فيه جميلة المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذى ... أقرت له بالملك كهلا وأمردا

فطرب يزيد وقال : « ويحك من كريم قريش هذا ؟ » قالت : « أنت وقد قاله الاحوص وهو منفي » فكتب برده وأنفذ له حللا سنية وأدناه وقربه . وقال له يوماً : « لو لم تمت الينا بحق ولا صهر ولا رحم الا بقولك :

وانى لاستحييكم اذ يقودني ... الى غيركم من سائر الناس مطمع
لكفاك ذلك عندنا » (٢)

(١) العمدة ١٠ ج ١ (٢) الاغاني ٥٧ ج ٨

وقد خابر عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر وأجابه ذاك بمثله (١) وكان عمال الامويين أصحاب شعر وخيال وحساسة مثلهم . فالحجاج وهو أشدهم وطأة جيء بالاسرى الى مابين يديه بعد حرب الاشعث فأخذ في قتلهم بقية ذلك اليوم حتى صاح به رجل : « والله ياحجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما أحسنت بالعفو ولقد خالفت الله فينا وما أطعته » فقال له: «وكيف ويلك؟» قال: « لان الله تعالى يقول (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل » ثم قال : « أو امنن » فقال الحجاج : «ويل لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت » ثم نادى برفع السيف وأمن الناس

وكان بنو أمية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم وكثيراً ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس يقترحون عليهم أن يصفوا شيئاً ويجيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك (٢) أو يجمعونهم ليتفاخروا بين أيديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك اذ جمع اليه الفرزدق وجريراً وكثير وابن الرقاع وقال لهم أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً ففعلوا في حديث طويل (٣)

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله أو يحتاج الى تفسير فيكتب الى الشاعر أو الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور اذ بعث برسالة مستعجلة من دمشق الى عامله بالبصرة أن يشخص اليه حماداً الراوية على البريد فقضى حماد اثنتى عشرة ليلة فى الطريق وهو خائف من تلك الدعوة المستعجلة فاذا هو يقول له : « بعثت اليك لبيت خطر ببالى لم أدر من قائله »

فهدأ روعه وقال : « وما هو؟ » فقال :

فدعوا الصبوح يوما فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقال حماد : « هذا يقوله عدي بن زيد من قصيدة » وأنشده اياها

وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر أو أديب بارع بعثوا في استقدامه مما يطول بنا ذكره (٤)

وكان من الخلفاء شعراء كالوليد بن يزيد فقد كان شاعراً بليغاً وسيأتي خبر ذلك وينسبون الى يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التى مطلعها :

(١) الاغاني ٦٨ ج ١٣ (٢) الاغاني ٨٠ ج ٩ (٣) الاغاني ٢٣ ج ١٩
(٤) الاغاني ٤٣ ج ٧

نالت على يدها مالم تنله يدي نقشاً على معصم أوهت به جلدي

وربما كانت لغيره لكنه كان من أصحاب الشاعرية

وكان لبعض خلفائهم الدهاة شغف بالادب على الاجمال ونخص منهم ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشاما حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصاً عبد الملك . والادب لاينمو ويورق ويثمر الا في ظل محبيه من الملوك أو الامراء واذا تدبرت النهضات التي مر بها الادب في أثناء التمدن الاسلامى رأيت لكل نهضة أميراً أو ملكا أخذ بناصرها وأحيا الادب بتقديم أهله أو تنشيطهم . وسترى أدلة كثيرة من ذلك فى ما يأتى من هذا الكتاب

فلا عجب اذا كان أكثر أحاديث الناس فى مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر ومن هو أشعر شعراء الجاهلية أو الاسلام . وكان الرائج من شعراء الجاهلية في عصرهم امرأ القيس وزهير والنابغة يفضلونهم على سواهم ويفضلون جريراً والفرزدق والاخطل على سائر الشعراء المسلمين في أيامهم . لكنهم كانوا يتناقشون في أي هؤلاء أشعر وكثيراً ما كانوا يتخاصمون وترتفع أصواتهم . وربما اهتم الخليفة أو الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في أشعر الشعراء كما فعل الحجاج اذ بعث الى ابن قتيبة يسأله عن ذلك (١) وقد يبعثون من الشام الى العراق لمثل هذا السؤال

٤ ـ الحركة الادبية في البصرة والكوفة

قد علمت ما كان من حال هذين البلدين فى العصر الاموى وفيهما احتك العرب بغيرهم من الامم المتمدنة. وفيهما اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم. وفيهما ولد النحو وغيره من الآداب اللسانية فتكاثرت الاندية الادبية هناك ولا سيما المربد عكاظ الاسلام كما تقدم . فكان ذلك من جملة البواعث على زهو الشعر في العصر الاموى

على أن الشرق كله كان يومئذ في نهضة أدبية حتى الهند والصين واليابان فقد نبغ فيها الشعراء والادباء في القرن الثامن للميلاد (٢) على أثر ظهور الاسلام واتساع فتوحه فاهتزت أعصاب الشرق الى أقصاه فحدثت فيه تلك النهضة

(١) المزهر ٢٤٠ ج ٢ (٢) Lit. Comp 10[7]

ثانياً - مميزات الشعر

في العصر الاموي

الانسان صنيعة الاقليم فتتغير أطواره وأحواله بتغيير البيئة المحيطة به. ويظهر أثر ذلك في نتاج قريحته أو فكرته وقد رأيت ان العرب اختلفت احوالهم في العصر الاموي عما كانت عليه في زمن الجاهلية أو في زمن الراشدين فظهر أثر ذلك في ثمار قرائحهم وخصوصاً الشعر . واليك أهم مميزاته في ذلك العصر

١ - خلوه من وحشي الكلام

ان قرب العصر الاموى من الجاهلية ورغبة الامويين في البداوة وتحديهم العرب الجاهلية في آدابهم وأشعارهم أبقت للشعر الاموي بلاغة الجاهلية وسلامتها من العجمة والركاكة . لكن الاسلام أكسبه أسلوب القرآن والحديث فتخلص من التركيب الغريب والكلام الوحشي . فهو من حيث البلاغة أحسن في هذا العصر مما في سائر العصور وان كان لكل عصر مميزات

٢ - كثرة التشبيب

كان الشاعر الجاهلي يقول الابيات تغزلا في حبيبته يعبر بذلك عن حبه أو ما تكنه جوارحه من الغرام او الشوق. ولا يشبب في غير حبيبته أو خطيبته وقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكنى عنها باحدى عرائس الشعر لئلا يعلم أهله بتشبيبه فيمنعوه من التزوج بها لانهم كانوا شديدي الغيرة على النساء حتى ان أحدهم اذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيبته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسها سواه بعد موته (١) ويندر في الجاهليين أن يشبب شاعرهم بغير حبيبته . واذا فعل فلداع فوق العادة كما فعل دريد بن الصمة اذ رثى أخاه بقصيدة صدرها بأبيات غزلية (٢) وقد رأيت الشعراء العشاق في الجاهلية يعدون على الاصابع فأصبحوا في العصر الاموى أضعاف ذلك واكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله

وذلك طبيعى فى الامة بانتقالها من البداوة الى الحضارة وخصوصاً اذ كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو بضع جوار في

(١) الاغانى ١٤٥ ج ٢ (٢) العمدة ١٢٢ ج ٢

كل معركة ملكا حلالا له . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات واكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يبيعونهن أو يستخدمونهن فى حاجات المنزل ويستبقون الجميلات منهن للتسري . فتحركت القلوب وتنبهت القرائح للمواضيع الغزلية وصار الشعراء يشببون بالنساء الجميلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجاً عن حرمة الادب فجعلوا التشبيب ذنباً يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة الا وجلده (١)

فلما أفضت الدولة الى بنى امية وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق وكثر الاختلاط بالاعاجم وأخذ العرب بأسباب الحضارة وذهبت هيبة العفة من نفوسهم وانقضت شدة الراشدين في المحافظة عليها هان عليهم التشبيب فاكثروا منه ولا سيما في المدينة لان أهلها من أسبق المسلمين الى القصف واللهو لقيام بعض أبناء الصحابة بين أظهرهم وقد أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الاموال في المغنين ونحوهم فكثر اللهو في المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية الى الغناء وشاع القصف بين أهلها وتجرأ الشعراء على التشبيب بغير أحبائهم

امام اهل النسيب

على أن امام اهل النسيب والغزل في الاسلام جميل بن معمر الشاعر العاشق كان معاصراً لعبد الملك بن مروان . وهو الذي وطأ النسيب للشعراء فاكثر منه وتفنن فيه لكنه كان يشبب بحبيبته بثينة وهو في عرف أهل الادب «امام المحبين» (٢) فاستحسن الناس تشبيبه لانه طبيعي صادر عن شعور صادق فاخذوا يقلدونه فيه فينظم الشاعر أبيات الغزل أو النسيب لمحبوب وهمي . واستعار بعضهم أسماء حبيبات الشعراء العاشقين كليلى ودعد وهند وشببوا بهن تقليداً . وبعد أن كانت بثينة مثلا معشوقة جميل بن معمر صارت عروساً للشعر يباح التغزل بها لمن أراد وقد يعنون بالاسم المستعار امرأة جميلة معروفة

فجميل كان يشبب بحبيبته ولا حرج عليه وأراد الشعراء تحديه والتغزل بجميلات النساء وهن في الغالب بحوزة الامراء أو الخلفاء فخافوا غضب بعولتهن أو آبائهن فلم يكن يجرؤ على المجاهرة بذلك من الشعراء الا من كان ذا عصبية تنصره أو منزلة تشفع به . ولذلك كان أسبق الشعراء الى التشبيب من قريش نظراً لما كان للقرشي من المنزلة الرفيعة والهيبة في العصر الاموى . ولان القرشيين أقرب الى الحضارة لنزولهم في مكة واليها يحج الناس من أقطار العالم ومعهم أجمل النساء

(١) الاغانى ٩٨ ج ٤ (٢) الاغاني ٨٠ ج ٧

شعراء قريش والتشبيب

وأول من تجرأ على التشبيب منهم ابن أبي عتيق وهو ابن حفيد أبي بكر الصديق ويقولون إنه كان طاهراً عفيفاً يتشبب عن غير ريبة . ثم عمر بن أبي ربيعة من قريش والعرجي وهو من قريش أيضاً وغيرهم وكلهم من شعراء العصر الاموى . فتجرأ الشعراء من غير قريش على الاقتداء بهم حتى شاع التشبيب وصاروا يعتقدون ان الشعر لايحسن إلا به لما فيه من عطف القلوب . فيبدأ الشاعر الحضري بذكر الحبيب والصدود والهجران كما يبدأ البدوي بذكر الرحيل والانتقال ووصف الطلول

ولم تأت أواخر بنى أمية حتى صار الشاعر لاينظم مديحاً أو فخراً الا صدره بأبيات في الغزل قد تكون أكثر من أبيات المديح - ذكروا شاعراً أتى نصر بن سيار عامل بنى أمية على خراسان بأرجوزة فيها مائة بيت نسيباً وعشرة ابيات مديحاً فقال له نصر: «والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بنسيبك» (١)

ولم يكن الاستهلال بالغزل خاصاً بالشعر العربى فان في شعر اليونان شيئاً من ذلك (٢) على ان شعراء العرب كثيراً ما كانوا يشببون بالمرأة ليفضحوا ابنها أو زوجها (٣) وقد يكون التشبيب بالبنات وسيلة لزواجهن كما فعل نصيب مولى عبد العزيز ابن مروان وقد استسقى فتاة ماء فسقته لبناً وطلبت اليه ان يشبب بها فقال ما « اسمك » قالت « هند » قال « وما اسم هذا الجبل » قالت «قبا» فأنشأ يقول :

أحب قبا من حب هند ولم أكن ... أبالى اقرباً زاده الله أم بعدا
الا ان بالقيعان من بطن ذي قبا ... لنا حاجة مالت اليه بنا عمدا
أرونى قبا انظر اليه فانني ... أحب قبا انى رأيت به هندا

وشاعت هذه الابيات وخطبت هذه الجارية من أجلها (٤)

الخلفاء والتشبيب

وكان الامراء والكبراء يغضبون لنسائهم اذا شبب بهن أحد لغلبة طبائع البدو عليهم . وينقمون على المشبب ويعيبونه حتى عدوا شعر ابن أبي ربيعة عصياناً لله (٥)

وقد يكبر على الخليفة ان يظهر غضبه على الشاعر اذا شبب ببعض أهله فينتقم منه بالاهمال - كذلك كان يفعل معاوية (٦) وهو أوسع الناس صدراً . واقتدى به عبد الملك بن مروان (٧) أما ابنه الوليد بن عبد الملك فلم يسع صدره ذلك الكظم

(١) العمدة ٩٩ ج ٢ (٢) جويدى في الشرق ٤٢٧ سنة ١٠ (٣) الاغانى ١٥٤ ج ١
(٤) الاغانى ١٤١ ج ١ (٥) الاغاني ٣٦ ج ١ (٦) الاغاني ١٤٨ ج ١٣ (٧) الاغانى ٢٦ ج ٦

فأخذ يتوعد الشعراء اذا شببوا وبلغه ان وضاح اليمن شبب بامرأته فقتله (١) وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز فمنع ابن أبي ربيعة عن التشبيب . وكان العمال يقتدون بالخلفاء أو يعملون بأوامرهم في ذلك فان عامل المدينة نفى الاحوص الشاعر لانه شبب ببعض نسائها (٢)

ولكن المرأة كان يسرها ان يشبب بها شاعر مشهور وان كانت لا ترجو التزوج به ولكن يسرها ما في التشبيب من الاعجاب بجمالها (والغواني يغرهن الثناء) سواء في ذلك الاميرة والحقيرة . ذكروا ان زوجة الوليد بن عبد الملك هي التى اقترحت على وضاح اليمن ان يشبب بها فلما فعل قتله زوجها واقترحت أم محمد بنت مروان ابن الحكم أخت عبدالملك على عمر بن أبي ربيعة ان يشهرها بشعره وبعثت اليه ألف دينار فأبى ان يؤجر على التشبيب فابتاع بالجائزة حللا وطيباً وأهداه اليها فردته فقال فيها أبياتا مطلعها :

أيها الراكب المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الاوطارا (٣)

وبالجملة فان التشبيب على نحو ما هو عليه الآن نشأ في العصر الاموى

٣ ـ المهاجاة بين الشعراء

كان الجاهليون يتنافسون ويتفاخرون فيذكر أحدهم ما في قبيلته من الشجاعة والنجدة وما أوتوه من النصر أو الغلبة أو ما هم عليه من هذه الفضائل . ويندر فيهم من يتخطى ذلك الى الهجو . وأكثر من تخطاه منهم المخضرمون كما تقدم . وقد كثر الهجو واتسعت دائرته فى العصر الاموى وأجاد الشعراء فيه . ولبعضهم مهاجاة ونقائض تدخل في كتاب ضخم

الهجو السياسى

وقد راج الهجو في العصر الاموي لاحتياج ولاة الامر اليه بسبب الانقسام الذى قام بين الاحزاب المختلفة ـ وهو الهجو السياسي . وكان أكثر الشعراء يأخذون بناصر الامويين لانهم أهل السيادة وكان خلفاؤهم يبذلون الاموال للشعراء ليستعينوا بألسنتهم على أعدائهم لتأثير الهجاء فى نفوس العرب لشدة حساستها ونخوة أهلها .

وقد بدأت المهاجاة في الاسلام بين شعراء النبي واعدائه القرشيين . ثم صارت بين المهاجرين والانصار أو هي بين قريش واليمن . وكان لكل من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء بأشد منه وقد تقدمت الاشارة الى ذلك. وكان المسلمون يحفظون

(١) الاغاني ٣٦ ج ٦ (٢) الاغاني ٤٨ ج ٤ (٣) الاغاني ٦٩ ج ١

ما يقوله هؤلاء من المهاجاة وينشدونه كل طائفة تنتصر لاصحابها . وبلغ ذلك عمر ابن الخطاب فنهى عنه وقال: «في ذلك شتم الحى بالميت وتجديد الضغائن» (١)

فلما أفضى الامر الى معاوية اقتضت سياسته ومصلحته ان يجدد تلك الضغائن فجعل يغرى الشعراء على الطعن بالانصار لانهم أصحاب على بن أبى طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طي الخفاء - ومن الذين اغراهم على ذلك الطعن الاخطل الشاعر العتابى المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصاً لانه نصراني واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل على معاوية وانشده قصيدة في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوى الا تعطنا الحق تعترف ... لحى الاسد مشدوداً عليها العمائم
ويشتمنا عبد الاراقم خلة ... وماذا الذي تجرى عليك الاراقم
فمالى ثأر دون قطع لسانه ... فدونك من يرضيه منك الدراهم

ثم تخلص الى الفخر بأعمال الانصار وأنسابهم وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى أن قال : (٢)

وانى لاغضي عن أمور كثيرة ... سترقى بها يوماً اليك السلالم
أصانع فيها عبد شمس وانني ... لتلك التى في النفس منى أكاتم
فما أنت والامر الذى لست أهله ... ولكن ولى الحق والامر هاشم

فلما سمع معاوية تهديده أظهر ان الاخطل فعل ذلك من عند نفسه وأمر أن يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك أن يفعل لو لم يستجر الاخطل بيزيد بن معاوية فأجاره وأرضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للاخطل فجعله عبد الملك ابن مروان شاعر الدولة - وسنعود الى ذلك

وتحولت المهاجاة بين الانصار والمهاجرين الى المشاتمة بين بني هاشم وبنى أمية وانتشر ذلك في أطراف المملكة الاسلامية . فكان سديف الشاعر يخرج في جماعة من موالى بنى هاشم في مكة وشبيب يخرج في جماعة من موالى بنى أمية فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف وكان يقال لهم السديفية والشبيبية . وكان أهل مكة منقسمين بينهما في العصبية .

الهجو الادبى

على أن التهاجى السياسي جر الى التهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب

(١) الاغاني ٥ ج ٤ (٢) الاغاني ١٢٦ ج ١٤

السياسية من قبيل المفاخرة أو المعاظلة ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف الأحوال وقد يكون الغرض منها المقارعة لبيان المقدرة على الهجو ثم يتنافر المتهاجيان الى من يحكم بينهما ، كما تهاجى جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطنة العذري وتنافسا فى أيهما أفضل أبا وحسباً ثم تنافرا الى يهود تيماء (١)

وأشهر ضروب المهاجاة في العصر الاموى المهاجاة بين جرير والفرزدق وبين جرير والاخطل وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادىء في ذلك كله هو جرير وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاخطل شهرة كبيرة حتى أصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشاتهم فى أى الشاعرين أفضل . وانقسم الناس فى ذلك حزبين نسب أحدهما الى جرير سمى جريريا والآخر الى الفرزدق سمي فرزدقياً وكثيراً ما احتدم الجدال بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام - وسيأتي تفصيل ذلك في الكلام عن شعراء بني أمية . وقد يكون الباعث على الهجو تخويف المهجو ليسترضي الهاجي بالمال أو غيره كما تفعل بعض الصحف اليوم

واتصلت المهاجاة بين الشعراء الى العصر العباسى فاشتهرت مهاجاة بشار بن برد وحماد (٢) ومهاجاة أبى العتاهية وأبي والبة (٣) . على أن اشتغال الناس في المناقشة على الشعراء وتفاضلهم طبيعى في كل عصر وليس هو خاص بالعرب . فقد كان اليونان أيضاً يفعلون ذلك (٤)

٤ - نبوغ الموالى فى الشعر

قد رأيت أنه لم يقل الشعر في الجاهلية من الموالى الا عبد بني الحسحاس . واما في الاسلام فانتظم في عداد الشعراء طائفة من الموالى وهم المسلمون غير العرب (٥) وفيهم الفرس والروم ممن دخل في حوزة العرب في أثناء الفتح ثم اسلموا . واكثرهم من موالى بني أسد وقريش . وفيهم جماعة من نوابغ الشعراء . ولولا تقيد القوم بأساليب الجاهلية لادخلوا كثيراً من المعاني الشعرية نقلا عن لغاتهم الاصلية

٥ - الشعر السياسي أو المديح للاستجداء

قد علمت مما تقدم أن الشعراء الجاهليين نظموا المديح لكنهم قلما كانوا يستجدون بمدحهم وانما كانوا يمدحون شكراً لصنيع . واما في العصر الاموي فأصبح الغرض

(١) الاغاني ١١٢ ج ١٩

(٢) الاغاني ٧٤ - ٨٦ ج ١٣ (٣) الاغانى ١٥٠ ج ١٦ (٤) نكلسن ٢٤٠

(٥) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ٢٢ و ٩١ ج ٤ الطبعة الثالثة

الاول من المدح التماس العطاء وقد جرهم الى ذلك استدرار الخلفاء للمدح ببذل الاموال للاسباب التي قدمناها

فاصبح الاستجداء مادة مألوفة ونبغت طائفة كبيرة من المداحين وكانوا يتذبذبون في مدحهم تبعاً لما يرجونه من العطاء أو يخافونه من النقمة . ولذلك كان اكثر مديحهم فى الامويين اصحاب السيادة وبيت المال . وربما مدح احدهم بني هاشم أو آل الزبير او غيرهم من اعداء الامويين ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماساً لعطائهم أو خوفا من غضبهم لان الامويين كانوا يغضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا رأينا حتى شعراء الشيعة ينظمون المدائح في الامويين . ومن الشعراء من مدح بني هاشم وبنى أمية او ابن الزبير وبني امية

٦ ـ وصف الخمر

لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي لكنهم بدءوا بذلك في العصر الاموى على اثر انغماس الامويين في القصف والمسكر في أواخر الدولة وأول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليع السكير . وقد ذكر الخمر في الجاهلية عدى بن زيد والاعشى ثم ذكرها الاخطل ووصف الزجاجة بقوله :

وتظل تتحفنا بها قروية ابريقها برقاعه ملثوم
فاذا تعاودت الاكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم (١)

ثم اجاد فى وصفها الوليد بن يزيد بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادمها فهى عجوز تعلو على الحقب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس تذكو ضياء فى عين مرتقب

وله في وصف الخمر أشعار أخذها الشعراء في اشعارهم سلخوا معانيها ولا سيما ابو نواس فانه سلخ معاني الوليد كلها وجعلها في شعره (٢) واخذ ابو نواس ايضاً من حسين بن الضحاك (٣) وكان معاصراً له واخذ من والبة وكان استاذه

(١) الاغاني ٨٤ ج ٨ (٢) الاغاني ١١٠ ج ٦ (٣) الاغاني ١٧٠ و ١٧٥ ج ٦

الشعراء فى العصر الاموى

تكاثر الشعراء في العصر الاموي للاسباب التى قدمناها فزاد عددهم في اثنائه (وهي تسعون سنة) على شعراء الجاهلية الذين نبغوا في اثناء قرنين وبعض القرن. فقد رأيت عدد الشعراء الجاهليين نحو ١٢٠ شاعراً على اختلاف القبائل والبطون وزاد عدد شعراء العصر الاموي على ذلك — نعني الذين اشتهروا بالشعر ووصلنا اخبارهم وهناك مئات غيرهم لم يبق من آثارهم الا ابيات او قصائد ذكرت فى كتب الحماسة والجمهرات وغيرها من كتب الادب او ضاعت اخبارهم كما ضاعت اخبار اكثر الجاهليين

شعراء العصر الاموى بالنظر الى قبائلهم

اذا نظرنا الى شعراء العصر الاموي من حيث قبائلهم وانسابهم رأينا اكثر شعراء العرب من قيس ثم قريش فاليمن فتميم فربيعة فمضر فقضاعة. وهم يختلفون عن حال شعراء الجاهلية من هذا القبيل اختلافاً كثيراً وان اتفقوا معهم بأن الاكثرية في قيس. فشعراء قريش كانوا في الجاهلية عشرة فصاروا في العصر الاموي ٢٣ وسبب ذلك بديهى لان القرشيين ظهروا بعد الاسلام لقيام الاسلام بهم. وبعكس ذلك شعراء ربيعة فقد كانوا فى الجاهلية ٢٠ فصاروا في العصر الاموى ١١ والسبب طبيعي أيضاً لان ربيعة كان لها الشأن الاكبر فى الجاهلية لانها قامت باستقلال الحجازيين من سلطة اليمن وكثرت حروبهم وأيامهم

واعتبر ذلك فى القحطانية أو شعراء اليمن فقد كانوا فى الجاهلية ٢٢ فصاروا في العصر الاموي ١٦ لانتقال عز السيادة بعد الاسلام الى سواهم. وأما تميم فعدد شعرائها فى العصرين واحد لان حالهم لم تختلف فيهما. أما اياد فلم ينبغ منهم في ذلك العصر شاعر لذهاب عصبيتهم قبل الاسلام. وكذلك اليهود لم ينبغ منهم في هذا العصر الاموي شاعر وكانوا في الجاهلية ٤ على ان طبقة من الشعراء كبيرة ظهرت في هذا العصر لم يكن منها في الجاهلية إلا واحد نعني الموالى أو العبيد فقد بلغ عدد الشعراء منهم ٢١ شاعراً — وهذا جدول في المقابلة بين شعراء الجاهلية وشعراء بني أمية من حيث أنسابهم على وجه التقريب :

اسم القبيلة	شعراؤها في الجاهلية	شعراؤها في العصر الأموى
قيس	٢٧	٢٦
ربيعة	٢٠	١١

اسم القبيلة	شعراؤها في الجاهلية	شعراؤها في العصر الاموي
تميم	١٢	١٣
مضر (غير قيس وقريش وتميم)	١٦	٩
قريش	١٠	٢٣
القحطانية (اليمن)	٢٢	١٦
قضاعة	٤	٨
اياد	٢	٠٠
اليهود	٤	٠٠
الموالى	١	٢١

شعراء العصر الاموى بالنظر الى أغراضهم

واذا اعتبرنا شعراء هذا العصر بالنظر الى أغراضهم رأيناها تختلف عن أغراض الشعراء الجاهليين اختلافاً كثيراً . فقد كانت الاكثرية في ذلك العصر للامراء والفرسان المحاربين وكان عددهم بضعة وأربعين شاعراً فصاروا في العصر الاموي قليلين لاشتغال الفرسان والكبراء بأعمال الدولة ولذهاب بعض الاريحية البدوية من نفوسهم بالحضارة . وقد ظهرت آثار الحضارة في الشعر الاموي بكثرة العشاق وأهل الغزل وكانوا في الجاهلية ٦ فصاروا ٢١ ونشأت طائفة من الشعراء السكيرين وأهل الخلاعة عددهم ٦ ولم يكن منهم في الجاهلية الا واحد أو اثنان

على أن الاكثرية في العصر الاموي لطبقة من الشعراء سميناهم شعراء السياسة لاشتغالهم فى الدفاع عن الاحزاب التى قام النزاع بينها على السيادة في ذلك العصر وأكثرهم طبعاً بجانب الامويين لانهم أقوى الاحزاب. ويليهم الخوارج والعلويون وغيرهم

ويقسم العصر الاموي بالنظر الى أغراض شعرائه الى ثلاثة أدوار :

الدور الاول : من أول الدولة الاموية (سنة ٤١ هـ) الى ذهاب آل معاوية بخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ ومعظمه فى زمن معاوية ويجوز أن نسميه « دور معاوية » وشعراء هذا الدور لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين وكانت الدولة الاموية في أيامهم لم ترسخ قدمها بعد . فكان نحو نصفهم يخالفون سياسة معاوية وخلفائه ويطعنون فيه وبعضهم يجاهرون بعدوانه انتصاراً للانصار أو العلويين

الدور الثانى : من خلافة مروان بن الحكم (سنة ٦٤ هـ) الى خلافة يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) وخلفاء هذا الدور مروان وابنه عبد الملك فالوليد فسليمان فعمر بن عبد العزيز . ولكن معظمه فى زمن عبد الملك بن مروان

بحيث يصح ان ينسب اليه فيقال « دور عبد الملك » وفى أيامه اختلفت الاحزاب وتعدد طلاب الخلافة وانتشبت الحروب وراجت سوق الشعر لجمع الاحزاب أو تفريقها . وأكثر شعراء العصر الاموي نبغوا في هذا الدور وبلغ عددهم فيه نحو المائة وفيهم شعراء السياسة وشعراء الغزل والادب وغيرهم

الدور الثالث : من ولاية يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ ﻫ) الى انقضاء الدولة الاموية (سنة ١٣٢ ﻫ) وفيه تضخمت الدولة واركن أهلها الى الترف والتصف. ومن خلفائها يزيد بن عبد الملك العاشق المتيم صاحب حبابة وابنه الوليد بن يزيد الخليع المفتون، والناس على دين ملوكهم . وعدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر نحو عدد شعراء الدور الاول وأكثرهم من عشراء السوء وأهل الرخاء والترف

الدور الاول من الشعر في العصر الاموى

من سنة ٤١ — ٦٤ ﻫ

هو أقرب سائر الادوار الى الجاهلية وقد نشأ شعراؤه في عصر الراشدين وتعودوا الصدق واستقلال الفكر والعدل وكانوا لا يرون الحق لمعاوية بالخلافة بل يعتقدون انه أخذها بالدهاء ولا يتوقعون انتقالها الى أهله بل كانوا يرجون رجوعها بعده الى آل على أو غيرهم من أبناء الصحابة بالانتخاب ولذلك كانت لهم جرأة عليه وأهم الاحزاب السياسية يومئذ الانصار والمهاجرون . والانصار هم أهل المدينة شيعة على والمهاجرون هم قريش من أهل مكة شيعة معاوية . فكان معاوية يقرب الشعراء الذين يطعنون في الانصار ويندر أن يجرؤ أحد منهم على ذلك احتراما للامام على فكان أكثر الشعراء في هذا الدور اما على الحياد خوفا من معاوية أو ينصرون العلويين عليه وبعضهم كان يتزلف اليه بالمديح . وأكثر شعراء هذا الدور من شعراء السياسة اما مع الامويين أو عليهم أو على الحياد . وأهم الذين كانوا مع الامويين ابن ارطاة المحاربي كان سيد قومه والحارث بن بدر من يربوع والمتوكل الليثى من كنانة والوليد ابن عقبة من قريش

والذين كانوا ضد الامويين أشهرهم النعمان بن بشير الانصارى وابن مفرغ من حمير وأبو الاسود الدؤلى واضع علم النحو . وممن كان على الحياد القتال الكلابى وسيأتي ذكرهم

ولا نعني بقسمة العصر الاموى الى أدوار أن شعراء الدور الاول لم يدركوا الدور الثاني وأن شعراء الثاني لم يدركوا الاول فان أكثرهم عاصروا الدولة الاموية

في معظم سنيها وعرفوا معظم خلفائها ولكننا نعنى بشعراء الدور الفلاني الذين نبغوا في هذا الدور ونظموا فيه أو عنه

١ — انصار على

١ ـ النعمان بن بشير الانصارى

توفي سنة ٦٥ هـ

هو من الخزرج أهل يثرب لكنه ساير معاوية فكان معه في واقعة صفين ولم يكن مع معاوية في تلك الواقعة من الانصار سواه . وقد اجتذبه بدهائه وسخائه وكان يراعى جانبه وكثيراً ما سمع توسطه للانصار عنده . وعاش النعمان المذكور الى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى حمص فلما أفضت الخلافة الى مروان دعا الى ابن الزبير وخالف على مروان بعد قتل الضحاك فلم يجبه أهل حمص الى ذلك فهرب منهم فتبعوه وأدركوه وقتلوه ومع مسايرته بني أمية فانه كان شديد التعصب للانصار ولذلك لما علم بقصيدة الاخطل في الطعن عليهم رد عليه كما تقدم . والنعمان بن بشير من العزيقين فى الشعر خلفاً عن سلف فان جده وأباه وعمه وأولاده وأحفاده كلهم شعراء (١)

ومن أحفاده شبيب بن زيد بن النعمان كان يرى فساد أمر بني أمية على أيام الوليد بن يزيد فقال من قصيدة يعاتبهم :

يا أيها الراكب المزجى مطيته لقيت حيث توجهت الثنا الحسنا
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها قولا ينفر عن نوامها الوسنا
ان الخلافة أمر كان يعظمه خيار أولكم قدماً وأولنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم وقد وعظتم فما أحسنتم الاذنا
لما سفكتم بأيديكم دماءكم بغياً وغشيتم أبوابكم درنا

وترى أخبار النعمان بن بشير في الاغانى ١١٩ج ١٤ والعقد الفريد ١١٢ج ٣ وفي سيرة ابن هشام وابن خلكان وابن الاثير وغيرها

٢ ـ ابن مفرغ الحميرى

توفي سنة ٦٩ هـ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميرى وكان شاعراً غزلا محسناً وكان قلبه مع على لكنه ساير الامويين لانه من حلفائهم وكان مقرباً من آل زياد بن ابيه. صحب

(١) الاغانى ١٢٥ج ١٤

عباد بن زياد الى سجستان فلم يحسن صحبته فهجاه سراً يهزأ بلحيته وكانت كبيرة فقال فيها :

ألا ليت اللحي كانت حشيشاً فنعلفها خيـول المسلمين

فوشى به بعضهم الى عباد فجفاه وحبسه فهرب الى العراق وأخذ يطعن في آل زياد يهجوهم لان أباهم زياد بن أبيه مجهول النسب وانما استلحقه معاوية بنسبه ليستفيد من دهائه كما هو مشهور في تاريخ الاسلام (١) فعلم عبيد الله بن زياد وهو أمير البصرة فقبض على ابن مفرغ واستأذن معاوية فى قتله فنهاه عن ذلك لانه خليفه ولكنه أذن بتعذيبه فعذبه تعذيباً شديداً (٢)

ومن قول ابن مفرغ في زياد وابنه وفيه اشارة الى ضعف انسابهم :

ألا ابلغ معاوية بن صخر مغلغلة عن الرجل اليماني
اتغضب أن يقال ابوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني
فاشهد ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سمية غير دان

وكان ابن مفرغ من شعراء الحماسة وله غزل لطيف

ونجد أشعاره وأخباره متفرقة في الاغانى ٥١ ج ١٧ والشعر والشعراء ٢٠٩ وابن خلكان ٢٨٩ ج ٢ وسيرة ابن هشام وفي تاريخ ابن الاثير

٣ ـ أبو الاسود الدؤلى

توفي سنة ٩٩ هـ

اسمه ظالم بن عمرو هو من الدئل بطن من كنانة معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين وهو واضع علم النحو . وكان من اكثر الناس تعلقاً بعلي وعنه أخذ علم النحو كما تقدم . أما من حيث الشعر فقد كان من نصراء الشيعة لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل اكثر أمثاله . وكان معاوية لا يعتمد أذاه ولكنه كان يضايقه فلم يرو له طعن في بني أمية واكثر شعره في الحكم والادب . ومن حكمه والفخر قوله :

اذا كنت مظلوماً فلا تلف راضياً عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب
وقارب بذى جهل وباعد بعالم جلوب عليك الحق من كل مجلب
فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحدب

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ١٨ ج ٤ (الطبعة الثالثة) (٢) ابن خلكان ٢٩٢ ج ٢

ولا تدعني للجور واصبر على التي بها كنت اقضى للبعيد على أبي
فاني امرؤ اخشى الهي واتقي معادي. وقد جربت ما لم تجرب

ومن قوله :

احبب اذا أحببت حباً مقارباً فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت بغضاً مقارباً فانك لا تدرى متى أنت راجع
وكن معدناً للحلم واصفح عن الخنا فانك راء ما عملت وسامع

وعاش أبو الاسود فقيراً وكان متهماً بالبخل وكان يقيم بجوار البصرة . وتجد ترجمته في الاغاني ١٠٥ ج ١١ وفي ابن خلكان ٢٤٠ ج ١ والشعر والشعراء ٤٥٧ والمستطرف ١٣٩ ج ١ والعقد الفريد ٢٥٧ ج ٣ والدميري ٣١٧ ج ١ وطبقات الادباء ٤ وفي المجلة الشرقية الالمانية مقالة عن شعره وشعر على سنة ١٨٦٤

٢ ـ أنصار معاوية

١ ـ مسكين الدارمي

توفي سنة ٩٠ هـ

هو ربيعة بن عامر من دارم بطن من تميم وكان شاعراً شريفاً من سادات قومه وعمر الى أواخر الدور الثاني من العصر الاموى . لكننا وضعناه هنا لغلبة شعره في معاوية على سواه . وله معه شأن في تاريخ العطاء أيام معاوية وكان معاوية لا يفرض العطاء (الرواتب) الا لليمن ليحاربوا معه وينحرفوا عن على فجاء مسكين وطلب من معاوية ان يفرض له العطاء فأبى فقال أبياتا يذكره فيها بقرب النسب بين تميم ومضر وهى :

اخاك اخاك ان من لا اخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح
وما طالب الحاجات الا مغرر وما نال شيئاً طالب كجناح

فلم يجبه معاوية يومئذ لكن سنحت له فرصة رأى فيها اليمنيين قد اخذهم الغرور وزادت دالتهم على الدولة فعمد معاوية الى استرضاء القيسيين ففرض لاربعة آلاف من قيس سوى من فرض لهم من تميم وغيرهم من مضر . وصار يغرى اليمنيين في البحر والقيسيين في البر وفرض طبعاً لمسكين وقربه حتى استعان بشعره فى مبايعة ابنه يزيد وذلك ان معاوية كان يخاف اذا بايع لابنه بولاية العهد ان يغضب المسلمون لان

توارث الملك لم يكن معروفا في الاسلام . فأحب ان يجس نبض الرأى العام قبل اعلان فكره نحو ما يفعله بعض دهاة السياسة في هذه الايام اذ يوعزون الى الصحف التى تدافع عن آرائهم ان تذكر عزمهم على العمل الفلانى وينظرون الى ما يكون من وقعه عند الناس ويكون لهم مندوحة للرجوع عنه اذا توسموا فيه خطراً . فأوعز معاوية إلى مسكين أن يقول أبياتاً في معنى المبايعة ليزيد وينشدها اياه في مجلسه وهو حافل بالوجوه والاشراف ففعل وأنشأ قصيدة قال فيها :

ألا ليت شعرى مايقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلا فانما يبوئها الرحمن حيث يريد
اذا المنبر الغربي خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد

ومآل القصيدة أنه يقترح عليه أن يولى يزيد العهد . فلما فرغ من انشاده قال له معاوية : « ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله » ولم يتكلم أحد من الحضور بذلك الا بالموافقة فأغدق عليه معاوية العطاء . ولما مات زياد بن أبيه رثاه مسكين بقوله :

رأيت زيادة الاسلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد

وكان الفرزدق منحرفا عن زياد فعارضه فأجابه مسكين ثم تكافا . وترى أخبار مسكين في الاغاني ٦٨ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٤٧ وخزانة الادب ٤٦٧ ج ١

سائر شعراء الدور الاول

أما سائر شعراء هذا الدور فنكتفى بالاشارة الى أماكن تراجمهم ليطالعها من شاء :

٢ ابن ارطاة ترجمته فى الاغاني ٧٩ ج ٢
٣ المتوكل الليثي (توفي سنة ٦٠) « « « ٣٩ ج ١١
٤ الوليد بن عقبة (« « ٧٠) « « « ١٧٥ ج ٤
٥ القتال الكلابي (« « ٦٤) « « « ١٥٨ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٤٤٣

الدور الثاني من الشعر فى العصر الاموى

من سنة ٦٤ — ١٠١ ﻫ

في هذا الدور نبغ معظم شعراء بنى أمية وابلغهم وعددهم يناهز مئة شاعر . وهم فئات قسمناها حسب أغراضهم وأول تلك الفئات شعراء السياسة وعددهم نحو ٤٠ شاعراً

واهمهم واكثرهم عدداً انصار بني امية وهم نحو العشرين وثمانية من انصار آل المهلب والباقون من انصار سائر الاحزاب . على ان شعراء السياسة أكثر من ذلك اذ قلما نبغ شاعر لم يتعرض لاحد الاحزاب التى كانت شائعة يومئذ لكن جماعة منهم دخلوا في الطبقات الاخرى لتغلب بعض تلك الاغراض على خواطرهم . وأهم هذه الطبقات شعراء الغزل وعددهم بضعة وعشرون شاعراً والباقون من شعراء الادب الذين لا يعرف لهم غرض خاص غير الشعراء السكيرين والمغنين

ويقدم النقادون ستة من شعراء العصر الاموى يعدونهم فى مقدمة الشعراء الامويين من سائر الطبقات . وهم الاخطل وجرير والفرزدق والراعى وأبو النجم العجلى والاحوص يسمونهم الفحول وأكثرهم من شعراء السياسة . ويقدمون الثلاثة الاول على سائرهم فهم أشعر شعراء بنى أمية على الاطلاق نعنى جريراً والفرزدق والاخطل . واختلف الناس فى من هو أشعرهم فالذين يقدمون جريراً يقولون انه أكثرهم فنون شعر وأسهلهم الفاظاً واقلهم تكلفاً وارقهم نسيباً . والذين يقدمون الاخطل يقولون انه اكثرهم قصائد طوالا جياداً ليس فيها سقط ولا فحش واكثرهم تهذيباً لشعره : وقد تقدمهم الاخطل في الزمن ثم نبغ جرير والفرزدق فدخل الاخطل بينهما وهو شيخ طاعن في السن . وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه جريراً بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة . ولم يجتمع أديبان من ادباء ذلك العصر الاجرى بينهما البحث في أى الشاعرين أشعر جرير أو الفرزدق فيحتدم الجدال وينفض المجلس وأهله حزبان يعرفان بالفرزدقيين والجريريين

فحول شعراء العصر الاموى

١ ـ الاخطل

توفي سنة ٩٥ هـ

يكنى أبا مالك واسمه غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب وهو نصرانى مثل اكثر تلك القبيلة . والاخطل لقب غلب عليه لسبب اختلفوا فيه . وظهرت الشاعرية في الاخطل منذ حداثته وكان يقيم فى الحيرة فدارت مهاجاة بينه وبين كعب بن جعيل شاعر تغلب قبله فغلبه الاخطل وأفحمه فصار هو المقدم في شعرائها وكان ينقى شعره فينظم تسعين بيتاً ويختار منها ثلاثين . وسئل حماد عن الاخطل فقال: «وما تسألونى عن رجل حبب شعره الى النصرانية » وكان الاخطل يشرب الخمر ولا يجيد النظم

الا اذا شرب . ولكنه لم ينظم شعراً تستحى العذراء من سماعه

وكان السبب في تقربه الى بني أمية ان معاوية أراد أن يهجو الانصار لاسباب تقدم بيانها فاقترح ابنه يزيد على كعب بن جعيل المشار اليه أن يهجوهم وكان مسلما فأبي وقال: «أدلك على غلام منا نصراني لا يبالى أن يهجوهم كأن لسانه لسان ثور؟» قال: «ومن هو؟» قال: « الاخطل» فدعاه معاوية وأمره بهجائهم فقال: « على أن تمنعني » قال : « نعم » فقال قصيدة جاء فيها من الهجو بالانصار قوله :

واذا نسبت ابن الفريعة خلته	كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الاله من اليهود عصابة	كالجزع بين صليصل وصرار
قوم اذا هدر العصير رأيتهم	حمراً عيونهمو من المسطار
خلوا المكارم لستم من أهلها	وخذوا مساعيكم بنو النجار
ان الفوارس يعلمون ظهوركم	اولاد كل مقبح أكار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا	واللؤم تحت عمائم الانصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فرد عليه بقصيدة تقدم ذكرها في كلامنا عن مميزات شعر العصر الاموي

ثم أفضت الخلافة الى عبدالملك بن مروان وكان ناقماً على قبائل قيس لانهم نصروا أعداءه كما تقدم فعمد الى تقديم شعراء القبائل الاخرى ليكتسب أحزابهم . وعلم أن الاخطل شاعر تغلب له يد في نصرة الامويين على الانصار فقربه وأكرمه. وكان عبدالملك بصيراً بالشعر يعجبه شعر الاخطل فيطرب لما يقوله حتى سماه «شاعر بني أمية» وبعث بمولى ينادي على رءوس الملأ « هذا شاعر أمير المؤمنين هذا شاعر العرب » وكان الاخطل مغرماً بالخمر وحملته الدالة على عبد الملك أن يطلب منه أن يسقيه خمراً(١) فغضب عليه وقال « لولا حرمتك لفعلت بك وفعلت » فخرج حتى لقي خماراً شرب عنده وعاد فجادت قريحته فدخل على عبدالملك ومدحه بقصيدة مطلعها :

خف القطين فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوي في صرفها غير

وقال له عبدالملك مرة: «ألا تسلم فنفرض لك في الفيء ونعطيك عشرة آلاف» فقال: «وكيف الخمر» قال: «وما تصنع بها وان أولها لمر وان آخرها لسكر» فقال : « أما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكت فيها الا كلعقة ماء من الفرات بالاصبع » فضحك وتركه على نصرانيته وسهل عليه الدخول والخروج حتى كان

(١) الاغاني ١٧٥ ج ٧

يجيء وعليه جبة خز وفى عنقه سلسلة ذهب فيها صليب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بغير اذن

وكان لشعره تأثير في نفس عبد الملك يقيمه ويقعده . ومن الادلة على ذلك ان عبدالملك لما أنزل زفر بن الحرث الكلابى عن قرقيسيا استقدمه اليه وأقعده على سريره فعاتبه بعضهم على تقدير رجل كان في الامس من ألد أعدائه وسيفه يقطر من دماء قومه فلم ينفع العتاب . فبلغ ذلك الاخطل وهو يشرب فمضى حتى دخل على عبدالملك وأنشد :

وكأس مثل عين الديك صرف تنسى الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشية لاشك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

فقال له عبد الملك : «ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خطة في رأسك» قال: « أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالامس :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقبض عبدالملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال: «أذهب الله حزازات تلك الصدور»

ومن قوله فى النسيب :

من الخفرات البيض أما وشاحها فيجري وأما القلب منها فلا يجرى
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوى بمطرد المتنين منبتر الخصر

ومن قوله فى المديح :

نفسى فداء أمير المؤمنين إذا أبدى النواجذ يوماً عارم ذكر
الخائض الغمرة الميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر

ومن قوله في الهجاء :

وكنت اذا لقيت عبيد تيم وتيما قلت أيهم العبيد
لئيم العالمين يسود تيما وسيدهم وان كرهوا مسود

أما دخوله فى الهجاء بين جرير والفرزدق فسببه انه كان مرة عند بشر بن مروان أخي الخليفة وعنده جرير والفرزدق . وكان بشر يرى من السياسة أن يغرى بين الشعراء فقال للاخطل: «احكم بين الفرزدق وجرير» فقال: «اعفني أيها الامير» قال:

« احكم بينهما » فقال : « الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر » وبلغ ذلك جريراً فلم يعجبه وهجاه بقوله :

يا ذا الغباوة ان بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوان

فرد عليه الاخطل ثم رد عليه جرير مما يطول ذكره(١) . وكان الاخطل أشهب اللحية له ضفيرتان ومن أحاسن شعره قوله في وصف السكران :

صريع مدام يرفع الشرب رأسه ليحيا وقد ماتت عظام ومفصل
نهاديه أحياناً وحيناً نجره وما كاد إلا بالحشاشة يعقل
اذا رفعوا صدراً تخامل صدره وآخر مما نال منها محمل

وهو من أصحاب الملحمات وله ملحمة مطلعها :

تغير الرسم من سلمى باقفار وأقفرت من سليمى دمنة الدار

وتفنن الاخطل في النظم من حيث الوزن تفنناً قلدوه به بعد أجيال وذلك قوله:

ولقد علمت اذا الرياح تناوحت هوج الرئال تكبهن شمالا
انا نعجل بالعبيط لضيفنا قبل العيال ونضرب الابطالا

ولو قال : ولقد علمت اذا الريا ح تناوحت هوج الرئال

لكان شعراً واذا زدت فيه « تكبهن شمالا » كان أيضاً شعراً من روى آخر

وللاخطل ديوان مطبوع فى بيروت للمرة الاولى بعناية الاب صالحانى عن نسخة بطرسبورج مع شروح سنة ١٨٩١ في نيف وخمسمائة صفحة. وللاب المذكور طبعة بالفوتوغراف عن نسخة وجدوها في بغداد . وللدكتور غريفينى طبعة بالحجر عن نسخة وجدت في اليمن . وعثروا في مكتبة بايزيد بالاستانة على نسخة خطية من كتاب نقائض جرير والاخطل (٢)

وله أخبار متفرقة في الاغاني ١٦٩ ج ٧ و٤٦ ج ٩ و ٢ ج ١٠ و١٤٨ و ١٥٤ ج ١٣ والجمهرة ١٧٠ وفي الشعر والشعراء ٣٠١ والعقد الفريد ١٣٣ ج ٣ وخزانة الادب ٢٢٠ ج ١ وللمستشرق دى برسفال مقالة عنه وعن جرير والفرزدق في المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٣٤ وكتب عنه الاب لامنس مقالة في المجلة الاسيوية المذكورة سنة ١٨٩٤

(١) الاغاني ١٨٦ ج ٧ (٢) راجع وصفها في المشرق ٦٧ مجلد ٨

٢ - جرير

توفي سنة ١١٠ هـ

هو جرير بن عطية بن الخطفى من كليب بن يربوع (تميم) نشأ في البادية أيام معاوية وهو واسع الخيال قوي الشاعرية مع ميل الى الهجو، وكان يفد الى الشام مع من يفد على الخلفاء للاستجداء بالمديح فعرفه أحدهم الى يزيد بن معاوية وهو أمير وجعل يختلف اليه وهو شاب . فاستلطف يزيد نظمه . واتفق أن يزيد أراد أن يعاتب أباه بشعر فاقتبس أبياتاً من قصيدة لجرير فرفعها الى أبيه عن لسانه وفيها قوله :

بأي سنان تطعن القوم بعدما نزعت سناناً من قناتك ماضيا

فاعتقد معاوية أن الابيات لابنه . فلما صارت الخلافه الى يزيد وفد اليه جرير فاستؤذن له مع الشعراء فجاء الجواب : « ان أمير المؤمنين يقول لا يصل الينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره » فقال جرير : « قولوا له أنا القائل (وذكر الابيات) » فأمر بادخاله فلما أنشده القصيدة قال يزيد : « لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب الا انى قائلها » وأمر له بجائزة

ولما صارت الخلافة الى عبدالملك بن مروان لم يتجرأ جرير على الوفود عليه لعلمه بغضب عبد الملك على شعراء مضر لانهم كانوا يمدحون آل الزبير أعداءه (وتميم من مضر) فاحتال حتى قدم على الحجاج وهو أمير العراقيين على يد بعض عماله. فأعجب الحجاج ببلاغته وشاعريته فأحب أن يقدمه للخليفة وعلم أن عبد الملك سينكر ذلك فأنفذ معه ابنه محمد بن الحجاج فاستقبله عبد الملك بعد الجهد ثم أقبل يعاتبه قائلا : « ماذا عسى أن تقول فينا بعد قولك بالحجاج عاملنا :

« من سد مطلع النفاق عليكم أو من يصول كصولة الحجاج

« ان الله لم ينصرنا بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته » وظهر الغضب في وجه عبدالملك . فتوسط ابن الحجاج في الرضا فاستأذن جرير في الانشاد وأنشد القصيدة التى يقول منها :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فتبسم عبدالملك وقال : « كذلك نحن وما زلنا كذلك » وأمر له بمائة لقحة وثمانية من الرعاء . . وصار يفد على عبدالملك من ذلك الحين ويأخذ الجوائز وكانت جائزته أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وهو لايرى للشعراء حقاً من العطاء وفد عليه

بقصيدة عامرة فاعتذر له ولم يعطه . وتوفى جرير سنة ١١٠ بعد الفرزدق ببضعة أشهر ودفن في اليمامة حيث قبر الاعشى (١) وكان يخنخن فى لفظه فيخرج الكلام من أنفه أو كأن فيها نوناً

مهاجاة جرير والفرزدق

واشتهر جرير على الخصوص بمهاجاته الفرزدق وغيره من معاصريه وكان الناس يخافون لسانه . والسبب في اشتهاره بالهجاء أن رجلا من عشيرته اسمه غسان بن ذهيل ابن سليط هجاه بأبيات منها :

لعمرى لئن كانت بحينة زانها جرير لقد أخزى كليبا جريرها

يريد أن جريراً أخزى كليبا وهو البطن الذى هو منه . فأجابه جرير بقصيدة وقعت على رأس الرجل وقوع السهام منها قوله :

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجد سليط سوى غسان جاراً يجيرها

فقد ضمنوا الاحساب صاحب سوأة يناجى بها نفساً خبيثا ضميرها

فاستنصر غسان رجلا اسمه البعيث فنصره وهجا جريراً وقال فيه :

كليب لئام الناس قد يعلمونه وأنت اذا عدت كليب لئيمها

فأجابه جرير على الوزن والقافية . وبلغ ذلك الفرزدق وكان يحسد جريرا فانتصر للبعيث فاحتدم الهجاء بينهما على الخصوص . وانقسم الادباء فى الانتصار لهما الى حزبين كما تقدم . وبلغ من أحد المشغوفين بالفرزدق أنه عقد جائزة قيمتها ٤٠٠٠ درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير (٢) وقد جمعت مناقضاتهما في كتاب يعرف بمناقضات جرير والفرزدق طبع فى ليدن في جزأين سنة ١٩٠٥

وانتشبت المهاجاة بين جرير والاخطل لسبب ذكرناه في ترجمة الاخطل . وهاجاه أيضا عمر بن لجأ التميمى وسراقة بن مرداس ثم المستنير بن سيرة العنبري لانه أعان عليه ابن لجأ . ثم هاجى راعى الابل وهو من الفحول لانه فضل الفرزدق عليه وله في هجائه حديث طويل والراعي من بنى نمير فهجا جريراً بأبيات منها :

رأيت الجحش جحش بنى كليب تيمم حوض دجلة ثم آبا

فذهب جرير اليه ليستكفه أو يعاتبه فلقيه في المربد نادى الادباء والشعراء بالبصرة على بغلة وبجانبه ابنه جندل على مهر . فاقترب منه جرير وحياه وقال : « يا أبا جندل ان قولك يستمع وانك تفضل الفرزدق علىّ تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومك وهو

(١) الاغانى ٤٦ ج ١٩ (٢) الاغانى ٦٧ ج ٧

يهجوهم وهو ابن عمي ويكفيك من ذاك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحمل مني ولا منه لائمة » . فلم يجبه الراعي ولكنه لحق ابنه ورفع عصاه فضرب عجز بغلته وخاطب ابنه قائلا : « لا أراك واقفا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو خيراً »

فرفست البغلة جريراً فوقعت قلنسوته عن رأسه . فانصرف مغضباً حتى اذا صلى العشاء بمنزله في علية له قال : « ارفعوا لي باطية من نبيذ واسرجوا لي » فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ وجعل يشرب ويستحث قريحته وينظم حتى كان السحر وقد نظم ٨٠ بيتاً ختمها بقوله :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ثم جاء المربد وأنشد هذه القصيدة في مجلس الادباء وفيهم الفرزدق والراعي فكان لها وقع شديد ولا سيما البيت الاخير

وقد لا يفقه القارىء قوة الهجاء اذا لم يعلم ان كعباً وكلاباً ونميراً ثلاثة أبطن من عامر بن صعصعة من قيس . فجرير فضل كعباً وكلاباً على نمير مع أنهما أخواه . ولم يسمع ذلك البيت أحد من العرب يومئذ الا قال : « لا يفلح النميري بعد ذلك أبداً » ومن هذه القصيدة أبيات في أبلغ ما يكون كقوله :

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وهو أحسن بيت في الفخر وبسببه بدأت المهاجاة بين جرير والعباس بن يزيد الكندي وقد ساءه تفاخر جرير بتميم فعارضه بقوله :

ألا رغمت أنوف بني تميم قساة النمر ان كانوا غضابا
لقد غضبت عليك بنو تميم فما نكأت بغضبتها ذبابا
لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فاغتنم جرير سقطة من العباس وهجاه بأبيات على نفس الوزن والقافية أولها :

اذا جهل الشقي ولم يقدر لبعض الامر أوشك أن يصابا

وممن هاجاهم جرير أيضاً جفنة الهزاني والمراد بن منقذ وحكيم بن مية والاشهب ابن ميلة وغيرهم . وربما تهاجى الرجلان قبل أن يتعارفا كما يتناقش الصحافيان أو الكاتبان اليوم وبينهما ألوف من الاميال

وتجد أخبار هذه المهاجاة في الاغاني ج ٧ وفي كتاب نقائض جرير والفرزدق وفي الشعر والشعراء

وأحسن أقوال جرير في النسيب قوله :

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لا يحين قتلانا

ومن أحسن شعره قوله يرثى ابنه :

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالى
فارقتنى حين كف الدهر من بصرى وحين صرت كعظم الرمة البالى

ومن قوله يرثي امرأته :

لولا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولهت قلبى إذ علتني كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار
لا يلبث الاحباب ان يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار
صلى الملائكة الذين تخيروا والطيبون عليك والابرار

وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

حى الغداة برامة الاطلالا رسما تقادم عهده فأحالا

وقد ذكرنا أمثلة من هجائه ومنها أيضاً قوله فى هجو تيم :

وفى الاصلاب ينزل لؤم تيم وفي الارحام يحالل والمشيم

وكان جرير على الاجمال من الشعراء طلاب العطاء من الخلفاء والامراء وكان يقيم هو والفرزدق بجوار البصرة ونظراً لاشتغال الناس بهما أهمل ذكر من عاصرهما من الشعراء

ولجرير ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وقد طبع في القاهرة سنة ١٨٩٥ وفي غيرها . وترى أخباره فى الاغاني ٣٨ و ١٧٢ ج ٧ و ٢ ج ١٠ و٤٦ ج ٩ والجمهرة ١٦٨ والشعر والشعراء ٢٨٣ وخزانة الادب ٣٩٧ ج ٣ وابن خلكان ١٠٢ ج ١ والمستطرف ٥٣ ج ١ والعقد الفريد ١١٤ ج ١

٣ ـ الفرزدق

توفي سنة ١١٠ هـ

هو من دارم من تميم واسمه همام بن غالب بن صعصعة وكان جده صعصعة وجيهاً يعرف بمحيي الموءودات وأبوه غالب كان رئيساً في قومه وله مناقب مشهورة . ولد الفرزدق في البصرة وأقام فى باديتها مع أبيه وظهرت فيه ملكة الشعر وهو غلام فجاء به أبوه الى على بن أبى طالب بعد واقعة الجمل وأخبره أنه شاعر فقال « علمه القرآن » كما تقدم . فلم ينظم شعراً حتى حفظ القرآن ولم يكد ينبغ حتى

قامت المهاجاة بينه وبين جرير ولا شك انها نفعتهما لأن الانتقاد يشحذ القريحة والضغط والمقاومة يظهران القوى الكامنة . وانما نأتي بمثال من ذلك - نظم الفرزدق قصيدة وهو في المدينة قال فيها :

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى في الارض قالتا أحيٌّ فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعا الامراس لا يشعروا بنا وأفلت في اعجاز ليل أبادره
احاذر بوابين قد وكلا بنا واسود من ساج تصر مسامره

فلما بلغت هذه الابيات جريراً نظم من جملة قصيدة طويلة :

لقد ولدت أم الفرزدق فاجراً فجاءت بوزار قصير القوادم
يوصل حبليه اذا جن ليله ليرقى الى جاراته بالسلالم
تدليت تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلا والمكارم
هوالرجس يا أهل المدينة فاحذروا مداخل رجس بالخبيثات عالم
لقد كان اخراج الفرزدق عنكم طهوراً لما بين المصلي وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في جملتها :

وان حراماً أن أسب مقايساً بآبائى الشم الكرام الخضارم
ولكن نصفاً أن سببت وسبنى بنو عبد شمس من مناف وهاشم
أولئك آبائي فجئني بمثلهم واعتد ان اهجو كليباً بدارم

وغضب أهل المدينة لذلك وشكوه الى مروان بن الحكم وهو يومئذ والى المدينة وطلبوا اليه أن يحده فأمر بنفيه فغضب الفرزدق وهدده بالهجاء فخاف مروان واسترضاه بالجائزة

وكان الفرزدق يتشيع لعلى وأهله . والتقى في أواخر أيامه بهشام بن عبد الملك في الحج ورأى هشام هناك على بن الحسين في غمار الناس فقال: «من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحى وجوهها» فقالوا : «هذا على بن الحسين» فنظم الفرزدق قصيدة فى مدح على المذكور مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

وبلغ هشاما خبر القصيدة وهو بين مكة والمدينة فغضب وحبسه هناك فقال :

اتحبسني بين المدينة والتى اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

فلما بلغ ذلك هشاما أمر باطلاقه

ولم يكن الفرزدق من مداح بنى أمية لأنه كان يتشيع لعلى كما رأيت وقد هجا بعضهم ولكنه مدح بعض عمالهم وخصوصا آل المهلب والحجاج خوفا منهم

ويعتقد علماء اللغة أن شعر الفرزدق فيه كثير من أساليب العرب والفاظهم حتى قالوا لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. وكان له على الحجاج دالة. وكان من أقرب شعراء ذلك العصر الى الثبات في الرأي فقد طلب يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب من الشعراء هجو يزيد المذكور فأبى الفرزدق وقال: « امتدحت بنى المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحداً وانما يقبح بمثلى أن يكذب نفسه على كبر السن فليعفنى أمير المؤمنين » فاعفاه (١)

ومن أقوال الفرزدق التى تجرى مجرى الامثال قوله :

فيا عجباً حتى كليب تسبنى كان أباها نهشل ومجاشع

وقوله: وكنا اذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الاخادع

« وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما احال على الدم

« احلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا اذا ما نجهل

« فان تنج منى تنج من ذى عظيمة والا فانى لا إخالك ناجيا

« ترى الناس ماسرنا يسيرون حولنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وللفرزدق ديوان مطبوع في جملة الدواوين الخمسة (النابغة وعروة وحاتم وعلقمة والفرزدق) بمصر سنة ١٢٩٣ وطبع على حدة في باريس سنة ١٨٧٠ وما بعدها مع ترجمة فرنساوية للمسيو بوشر عن نسخة خطية نقلوها بالفوتوغراف من مكتبة أياصوفيا في الاستانة. وطبعت تتمتها في مونيخ سنة ١٩٠١ وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية املاء محمد بن حبيب مشروحة. ومنه نسخ خطية أيضا في اكسفورد وليدن وغوطا وبرلين ولندن. وله طبعات أخرى

وترى أخباره في الاغاني ٢ ج ١٩ و ١٨٦ ج ٨ و ٦٥ ج ١ و ٦ ج ٦ و ١٧ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ وفي الشعر والشعراء ٤٨ و ٢٨٩ و ٣٠٦ و ٣١٤ وابن خلكان ١٩٦ ج ٢ و ١٠٣ و ١٨٥ ج ١ والمستطرف ٥٣ ج ١ و ١٤٢ ج ٢ والعقد الفريد ١٤٦ ج ١ والجمهرة ١٦٣ وخزانة الادب ١٠٥ ج ١ والدميري ٩ ج ١

(١) الاغاني ٥٣ ج ٤

٤ ـ الراعى

توفي سنة ٩٠ هـ

هو عبيد بن حصين النميرى من قبيلة نمير التي هجاها جرير في بيته المشهور وقد تقدم سبب نظمه . وقد سمى الراعى لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها . وهو شاعر فحل وكان مقدماً مفضلا على سائر الشعراء حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فأبى ان يكف فهجاه بالقصيدة المتقدم ذكرها ففضحه ولذلك كان الراعى يقضى للفرزدق على جرير وهو السبب في هجو جرير له ومما سبق اليه من المعاني وقد أخذت عنه :

كأن العيون المرسلات عشية ... شآبيب دمع لم تجد متردد
مزايد خرقاء اليدين مسيفة ... أخب بهن المخلفان وأحفدا

ومن شعره في النساء قوله :

تحدثهن المضمرات وفوقنا ... ظلال الخدور والمطي جوانح
يناجينا بالطرف دون حديثنا ... ويقضين حاجات وهن موازح

وقوله : طاف الخيال بأصحابي فقلت لهم ... أأم شذرة زارتنا أم الغول
لا مرحباً بابنة الاقيان إذ طرقت ... كأن محجرها بالقار مكحول
سود معاصمها جعد معاقصها ... قد مسها من عقيد القار تفصيل

وهو معدود من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ما بال دفك بالفراش مذيلا ... أقذي بعينك أم أردت رحيلا

وتجد أخباره في الاغانى ١٦٨ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٢٤٦ وخزانة الادب ٥٠٤ ج ١ والجمهرة ١٧٢

٥ ـ أبو النجم الراجز

توفي سنة ١٣٠ هـ

هو الفضل بن قدامة من بنى عجل من بكر وائل من رجاز الاسلام الفحول المقدمين وفى الطبقة الاولى منهم . وكان أبلغ من العجاج فى النعت ولم يكن الشعراء يعتدون بالرجاز حتى نبغ العجاج ورؤبة وأبو النجم هذا . وقد عاصر العجاج وجرى بينهما مراجزة . وذلك أن العجاج خرج محتفلا عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون فأنشدهم قوله : « قد جبر الدين الاله فجبر »

فذكر فيها ربيعة وهجاهم فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له: «أنت جالس وهذا العجاج يهجونا بالمربد وقد اجتمع عليه الناس» قال: « صف لى حاله وزيه الذى هو فيه » فوصف له فقال: « ابغني جملا طحاناً قد أكثر عليه من الهناء » فجاء بالجمل اليه فأخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر بالاخرى وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد. فلما دنا من العجاج قال: « اخلع خطامه » فخلعه فأنشد: « تذكر القلب وجهلا ما ذكر »

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران حتى اذا بلغ الى قوله: « شيطانه انثي وشيطاني ذكر » تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج

وكان أبو النجم يحضر مجلس عبد الملك فيأمره بالمفاخرة مع الفرزدق أو غيره من الشعراء المعاصرين. وكذلك كان يفعل هشام بن عبد الملك وسأل الشعراء مرة أن يصفوا ابلا تعطر وترد وتصدر فقال أبو النجم أرجوزته التى مطلعها: «الحمد لله الوهوب المجزل» وهى من أفخر نظمه حتى أتى الى شطر يصف به الشمس فقال: « فهي في الأفق كعين . . . » وأراد أن يقول « الاحول » فتذكر ان هشاماً أحول فلم يتم البيت وأتم الأرجوزة فغضب عليه هشام وأمر بوجأ عنقه ونفيه. فتوسط له وجوه القوم فأقره هناك ولكنه عاش مرذولا يأكل فضلات الناس حتى اذا أصاب هشاماً أرق فطلب اعرابياً يحدثه واشترط أن يكون أهوج ويروي الشعر. فخرج الخادم فلقى أبا النجم في المسجد بلباس رث فأخذه الى هشام فلما عرفه سأله عن حاله فقال: « اني أتغذى عند هذا وأتعشى عند هذا » فقال: «وما عندك من الولد» قال: «ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين» فسأله عما أوصاهما عند الزفاف فقال « قلت للاولى واسمها برة:

أوصيت من برة قلباً حراً ... بالكلب خيراً والحماة شراً
لا تسأمي ضرباً لها وجراً ... حتى تري حلو الحياة مراً
وان كستك ذهباً ودراً ... والحي عميهم بشر طرا »

فضحك هشام وقال: « فما قلت للاخرى » قال: « قلت:

سبي الحماة وابهتي عليها ... وان دنت فازدلفي اليها
واوجعي بالفهر ركبتيها ... ومرفقيها واضربي جنبيها

وظاهري النذر لها عليها لا تخبر الدهر به ابنتيها»

فضحك هشام وأجازه . وكان قوى البديهة ومن شعره أرجوزة وصف بها فهود عبد الملك فقال منها :

فهى ضوار من مضريات تريك آماقاً مخططات
سوداً على الاشداق سائلات تلوي بأذناب موقفات

وترى أمثلة من الرجز في كتاب أراجيز العرب طبع في مصر سنة ١٣١٢ هـ وديوان العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وطبع فى فينا سنة ١٨٩٦ وديوان رؤبة بن العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وسنعود اليه

وأخبار أبي النجم في الاغاني ٧٧ جزء ٩ والشعر والشعراء ٣٨١ وخزانة الادب ٤٩ جزء ١

٦ ـ الأحوص . وهو من الفحول لكننا نظراً لتغلب التشبيب عليه سنترجمه مع المشببين

شعراء السياسة

في الدور الثانى من العصر الاموى

كان الشعراء فى صدر الدولة الاموية لا يزالون على انفة البداوة والبعد عن الزلفى كما رأيت فلما صارت الدولة الى آل مروان وقام بها عبد الملك (سنة ٦٥ هـ) وغلب على سائر الاحزاب وكان هو أديباً كثر الشعراء فى أيامه وتقربوا اليه بمدحه والطعن على أعدائه من آل الزبير أو الخوارج أو العلويين أو غيرهم . وظل بعضهم على ولاء هؤلاء وكانوا من أنصارهم . على ان أكثر شعراء السياسة من أنصار بنى أمية وقد تقدم ذكر بعضهم مع الفحول وأشهر من بقى منهم بضعة عشر شاعراً أكثرهم ممن انتصر للامويين على ابن الزبير لانه كان بخيلا على الشعراء وهم يطلبون الجوائز . واليك تراجمهم ونجمع أنصار كل دولة أو حزب على حدة :

١ ـ انصار بنى امية

١ ـ أبو العباس الاعمى

اسمه السائب بن فروح مولى بنى الدئل فهو عربي بالولاء وليس بالنسب . وأصله من اذربيجان فهو من جملة الشعراء الموالى الذين تكاثروا في الاسلام بمن أسلم من غير العرب . وهو من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين في مدحهم

والتشيع لهم وانصباب الهوى اليهم . وكان يقيم فى مكة وله أشعار كثيرة في مدح بنى أمية وهجاء ابن الزبير . ومن قوله يحرضهم على حربه :

أبني أمية لا أرى لكم شبهاً اذا ما التفت الشيع
سعة وأحلاماً اذا نزعت أهل الحلوم فضرها النزع
أبني أمية غير انكم والناس فيما اطمعوا طمعوا
أطمعتم فيكم عدوكم فسما بهم فى ذاكم الطمع
فلو انكم كنتم كقومكمو مثل الذي كانوا لكم رجعوا
عما كرهتم أو لردهم حذر العقوبة انها نزع

وكان بنو أمية يحسنون جزاءه فيرسلون اليه عطاءه من الشام الى مكة . وكانت قريش كلها تبره للسانه وتقرباً إلى بني أمية ببره . ولما قتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ هـ رثاه بأبيات لانه كان صديقه فغضب عبد الملك لذلك . فلما جاء مكة حاجا في بعض السنين دخل عليه الاعيان على مراتبهم وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا ودخل أبو العباس الاعمى فسأله عبد الملك عن مدحه مصعباً فاستعفاه وقال : « انما رثيته لانه كان صديقي وقد علمت أن هواى أموى » قال : « صدقت ولكن أنشدنى قولك فيه » فأنشده :

رحم الله مصعباً فلقد مات كريماً ورام أمراً جسيما

فقال عبد الملك : « أجل لقد مات كريماً

« ولكنه رام التى لا يرومها من الناس الا كل حر معمم »

وكان ابن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتتبع شيعة بنى أمية فينفيهم عن المدينة ومكة فبلغه ان ابا العباس الاعمي يكاتب الامويين ويتجسس لهم ويمدحهم فدعا به ثم كلموه بشأنه وأنه ضرير فعفا عنه ونفاه الى الطائف فهجاه وهجا سائر بنى أسد (عشيرة آل الذبير) بأبيات منها قوله :

بنى أسد لا تذكروا الفخر أنكم متى تذكروه تكذبوا وتحمقوا
متى تسألوا فضلا تضنوا وتبخلوا ونيرانكم في الشر فيها تحرق
اذا استبقت يوماً قريش خرجتم بنى أسد سكا وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم اذا ما قريش للاضاميم اصفقوا
وما ذاك الا أن للؤم طابعا يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

وهاجى عمر بن أبي ربيعة ثم بلغه أن عمر يرامي جارية له ببنادق الغالية فقال

لقائده : « أوقفني على باب بني مخزوم فاذا مر ابن أبي ربيعة ضع يدى عليه » ففعل فقبض على حجزته وقال :

ألا من يشترى جاراً نؤوما بجار لا ينام ولا ينيم
ويلبس بالنهار ثياب ناس وشطر الليل شيطان رجيم

وأخباره في الاغاني ٥٩ ج ١٥ والشعر والشعراء ٣٦٦

٢ ـ أعشى ربيعة

توفي سنة ٨٥ هـ

اسمه عبد الله بن خارجة من شيبان (ربيعة) كان يقيم في الكوفة وهو مروانى المذهب يتعصب لبنى أمية تعصبا شديدا . ومن قوله في آل مروان قصيدة أنشدها لعبد الملك بن مروان منها :

وما أنا في أمري ولا فى خصومتى بمهتضم حقى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاى عند جناية ولا خائف مولاى من شرما أجني
وإن فؤاداً بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلنى في الشعر واللب أننى أقول على علم وأعرف من أعنى
فأصبحت اذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن

فقال عبد الملك : «من يلومنى على هذا ؟ » وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة نخوت ثياب وعشر فرائض من الابل وأقطعه الف جريب وقال له : « امض الى زيد الكاتب يكتب لك بها » وأجرى له على ثلاثين عيلا

وهذه عطايا تفسد الابن على أبيه . ودخل مرة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير فقال له : «يا أمير المؤمنين ما لى أراك متلوماً ينهضك الحزم ويقعدك العزم وتهم بالاقدام وتجنح الى الاحجام أنفذ لنصرتك وامض رأيك وتوجه الى عدوك فجدك مقبل وجده مدبر وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون وكلمتهم مفترقة وكلمتنا عليك مجتمعة والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش وقد قلت في ذلك ابياتا » فقال : « هاتها فانك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح » فقال :

آل الزبير من الخلافة كالتى عجل النتاج بحملها فأحالها
أو كالضعاف من الحمولة حملت ما لا تطيق فضيعت أحمالها
قوموا اليهم لا تناموا عنهم كم للغواة اطلتمو امهالها

ان الخلافة فيكمو لا فيهم ما زلتمو اركانها وثمالها
أمسوا على الخيرات قفلا مغلقا فانهض بيمنك فافتتح اقفالها

فضحك عبد الملك وقال : « صدقت يا ابا عبد الله ان ابا خبيب لقفل دون كل خير ولا تتأخر عن مناجزته ان شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل» وامر له بصلة سنية . واخباره فى الاغانى ١٦٠ ج ١٦

نابغة بنى شيبان

هو أيضاً من ربيعة كالاعشى واسمه عبدالله بن المخارق وكان بدويا يقيم في البادية ويفد على خلفاء بني امية فى الشام فيمدحهم ويجزلون عطاءه . وكان نصرانيا وفى شعره كثير من ذكر الانجيل والرهبان ونحوهما . وقد مدح عبد الملك ودخل عليه يوما وقد عزم على عزل اخيه عبد العزيز عن ولاية العهد والمبايعة بها لابنه الوليد وكان المجلس حافلا بالناس على اثر فشل ابن الزبير وذهاب دولته فدخل النابغة وانشده قصيدة لعل عبد الملك أوعز اليه ان يفعل ليجس الرأى العام كما فعل معاوية قبله — ومنها قوله بشأن الخلع :

آليت جهداً وصادق قسمى لرب عبـد الله ينتصحوا
يظل يتلو الانجيل يدرسه من خشيـة الله قلبه طفح
لابنك أولى بملك والده ونجم من قد عصـاك مطرح
داود عدل فاحكم بسـيرته ثم ابن حرب فانهم نصحوا
وهم خيـار فاعمل بسنتهم واحى بخير واكدح كما كدحوا

فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك باقرار ولا دفع فعلم الناس ان رأيه خلع عبد العزيز . وأدرك النابغة الوليد بن يزيد ومدحه ونال جوائزه وله قصيدة طويلة يصف بها الخمر وتخلص منها الى الفخر ببنى شيبان

وأخباره في الاغانى ١٥١ ج ٦ وله ديوان خطي في دار الكتب المصرية

٤ ـ عدى بن الرقاع

هو عدى بن زيد من عاملة حى من قضاعة كان شاعراً مقـدماً عند بنى أمية مداحاً خاصاً بالوليد بن عبد الملك وله بنت شاعرة يقال لها سلمى وكان منزله فى دمشق فهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد المذكور ولم يجسر جرير على هجائه خوفاً من الوليد لانه هدده بالأذى اذا فعل . . ومن شعره في وصف ظبية قوله :

كالظبية البكر الفريدة ترتعي من أرضها قفراتها وعهادها
خضبت لها عقد البراق جبينها من عركها علجانها وعرادها
كالزين في وجه العروس تبدلت بعد الحياء فلاعبت أرآدها
تزجي اغن كأن ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

وفي هذه القصيدة يذكر شعره وعلمه وحنكته :

ولقد أصبت من المعيشة لذة ولقيت من شظف الخطوب شدادها
وعمرت حتى لست أسأل عالماً عن حرف واحدة لكى ازدادها
صلى المليك على امرىء ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

ومن هذا البيت اقتبس الكتاب قولهم «وأتم نعمته عليك»

ومن قوله في مدح عمر بن الوليد وفيه حكم :

واذا نظرت الى أميرى زادنى ضناً به نظري الى الامراء
تسمو العيون اليه حين يرونه كالبدر فرج بهمة الظلماء
والاصل ينبت فرعه متأثلا والكف ليس بنانها بسواء

وأخباره في الاغانى ١٧٩ ج ٨ والشعر والشعراء ٣٩١

٥ ـ أبو صخر الهذلى

واسمه عبد الله بن سلم من هذيل وكان متعصباً لآل مروان مدح عبد الملك وأخاه عبد العزيز وهجا ابن الزبير فحبسه ابن الزبير حتى مات وله نسيب فى امرأة من قضاعة أحبها وتزوجها سواه . وتجد أخباره فى الاغانى ٩٤ ج ٢١ وخزانة الادب ٥٥٥ ج ١

وهناك طائفة من أنصار بنى أمية اضطروا لمدح آل الزبير لقيامهم بين أظهرهم ولان أكثرهم كانوا يمدحون بعض أمراء بنى أمية وليس خلفاءهم — ولو كانوا من شعراء الخلفاء ربما كانوا أثبت فى مدحهم . منهم .

٦ ـ عبد الله بن الزبير الاسدى

هو غير ابن الزبير القائم بالدعوة فى الحجاز . وهو شاعر هجاء يرهب شره نشأ في الكوفة وأقام فيها وكان متشيعاً لبني أمية وذوى الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم . وما زال كذلك حتى غلب مصعب بن الزبير على الكوفة فأتي به سراً فمن عليه ووصله وأحسن اليه فمدحه وأكثر وانقطع اليه فلم يزل معه

حتى قتل مصعب سنة ٧١ ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك . وأكثر مدائحه في بشر بن مروان الاموى ومن قوله يمدحه :

كأن بنى أمية حول بشر نجوم وسطها قمر منير
هو الفرع المقدم من قريش اذا أخذت مآخذها الامور
لقد عمت نوافله فأضحى غنياً من نوافله الفقير
جبرت مهيضنا وعدلت فينا فعاش البائس الكل الفقير
فأنت الغيث قد علمت قريش لنا والوا كف الجون المطير

ومن مديحه في أسماء بن خارجة قوله :

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

ومن هجائه قصيدة يهاجي بها عبد الرحمن بن أم الحكم مطلعها :

أبى الليل بالمران ان يتصرما كأني أسوم العين نوماً محرما

وأخباره في الاغاني ٣٣ جزء ١٣

٧ ـ أبو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة من بنى أمية وكان يقيم في المدينة وهواه مع بني أمية فلما تمكن ابن الزبير من الحجاز نفاه مع من نفاه من بنى أمية الى الشام فلما طال مقامه فيها قال :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا قباء وهل زال العقيق وحاضره
وهل برحت بطحاء قبر محمد أراهط غر من قريش تباكره
لهم منتهى حبي وصفو مودتى ومحض الهوى مني وللناس سائره

واكثر من ذكر المدينة والحجاز فى شعره وشوقه الى الوطن فلم يعجب ذلك عبد الملك وتنقصه لرغبته فى الحجاز عن الشام وبلغ ذلك أبا قطيفة فقال :

نبئت أن ابن العمليس عابني ومن ذا من الناس البرىء المسلم
فمن انتم من انتم خبروا فمن فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

فبلغ ذلك عبد الملك فقال: «ما ظننت أنا نجهل . والله لولا رعايتى لحرمته لالحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط »

وبلغ ابن الزبير ما يقاسيه أبو قطيفة فى سبيل حبه المدينة فبعث اليه أن يعود

الى بلده وهو آمن . فانكفأ الى المدينة فلم يصل اليها حتى مات . وتجد أخباره في الاغاني ٧ جزء ١

سائر أنصار بني أمية

وهناك طائفة من أنصار بني أمية وفيهم من مدح الامراء دون الخلفاء أو مدح الاثنين . وربما اضطر بعضهم لمدح آل الزبير للاسباب التى تقدمت رأينا ذكر تراجمهم يطول بنا فنكتفي بالاشارة الى المآخذ التى يمكن الرجوع اليها لمن أراد الاطلاع على أخبارهم وليس لاحد منهم ديوان معروف وهم :

٨ أمية بن أبي عائذ الهذلى . مدح عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان . ترجمته في الاغانى ١١٥ جزء ٢٠ وخزانة الادب ٤٢١ جزء ١

٩ جبها الاشجعي . شاعر بدوى ليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ومدحهم . ترجمته في الاغانى ١٤٦ جزء ١٦

١٠ الحكم بن عبدل الاسدى . كان أعرج أحدب شاعراً هجاء خبيث اللسان مدح بعض آل مروان . ترجمته فى الاغاني ١٤٩ جزء ٢ وفوات الوفيات ١٤٥ جزء ١

١١ شبيب بن البرصاء : من ذبيان كان بدوياً لم يحضر الا وافدا أو منتجعاً . ترجمته فى الاغانى ٩٣ ج ١١

١٢ عبد الله بن جحش : من الصعاليك كان يعجب بني أمية . الاغانى ١١٨ ج ١٧

١٣ العجير السلولى : هو شاعر مقل عاصر عبد الملك وسليمان وهشاما ترجمته في الاغاني ١٥٢ ج ١١ وخزانة الادب ٣٩٩ ج ٢

١٤ عويف القزاري : من قيس كان يقيم في الكوفة وبيته من البيوتات الفاخرة فى العرب . ترجمته في الاغانى ١٠٥ ج ١٧ وخزانة الادب ٨٧ ج ٣

١٥ الفضل بن العباس : من قريش عاصر الوليد بن عبد الملك . الاغانى ٢ ج ١٥

١٦ موسى شهوات : مولى قريش وأصله من اذربيجان . ترجمته في الاغاني ١١٨ ج ٣ والشعر والشعراء ٣٦٦

انصار آل المهلب

من هم آل المهلب

آل المهلب بيت من بيوتات الاسلام من الازد اشتهروا بالكرم في أيام بني أمية مثل اشتهار آل برمك فى الدولة العباسية ونكبوا مثل نكبتهم وهم ينتسبون الى كبيرهم المهلب بن أبى صفرة . عمل المهلب لبنى أمية وحارب عنهم الازارقة وآخر ما تولى

من الاعمال بلاد خراسان تولاها من جهة الحجاج يوم كان له العراقان . وما زال عليها حتى توفي سنة ٨٣ هـ وهو من كبار رجال الاسلام في تلك الدولة . وكان كريما التماسا لحسن الاحدوثة ومن أقواله : « الحياة خير من الموت والثناء الحسن خير من الحياة ولو أعطيت ما لم يعطه احد لاحببت ان تكون لى اذن اسمع بها ما يقال فى غدا اذا مت » فهو من طلاب الشهرة بالسخاء . وسار ابناؤه على خطواته فكثر الشعراء الذين مدحوهم . واشهر اولاده يزيد بن المهلب والمغيرة بن المهلب قاتل الخوارج وكانت له معهم وقائع مأثورة . ومنهم مخلد بن يزيد بن المهلب من الاسخياء الممدوحين توفي سنة ١٠٠هـ وحبيب بن المهلب وغيرهم. اما الشعراء الذين مدحوهم فهاك اشهرهم

١ ـ زياد الاعجم

توفي سنة ١٠٠ هـ

هو من موالى عبد القيس من بني عامر بن الحرث وكان ينزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه فسموه الاعجم . وكان شاعراً جزل الشعر فصيح الالفاظ على لكنة لسانه مثل سائر الاعاجم لا يستطيع لفظ العين . وقد مدح على الخصوص المغيرة بن المهلب وله فيه قصيدة يرثيه بها تزيد على خمسين بيتاً مطلعها :

قل للقوافل والقرى اذ اقروا ... والباكرين وللمجد الرائح
ان المروءة والسماحة ضمنا ... قبراً بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكل طرف سابح

من لطيف أخباره مع حبيب بن المهلب انه جاء مرة الى المهلب فى اصبهان ومدحه فأمر له بجائزة فأقام عنده أياماً . وبينما هو جالس في عشية مع حبيب المذكور في دار له وفيها حمامة تسجع قال زياد يخاطب الحمامة :

تغني أنت في ذمي وعهدي ... وذمة والدى ان لم تطارى
وبيتك فاصلحيه ولا تخافي ... على صفر مزغبة صغار
فانك كلما غنيت صوتاً ... ذكرت أحبتى وذكرت دارى
فاما يقتلوك طلبت ثاراً ... له نبأ لأنك في جواري

فقال حبيب : « يا غلام هات القوس » فقال له زياد : « وما تصنع بها » قال « أرمي جارتك هذه » قال : « والله لئن رميتها لاستعدين عليك الامير » فأتى بالقوس فنزع لها سهماً فقتلها فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه بالحديث وأنشده الشعر فقال المهلب : « علي بأبي بسطام » فأتي بحبيب فقال له : « اعط أبا امامة دية

جارته ألف دينار » فقال : « أطال الله بقاء الامير انما كنت ألعب» قال « اعطه كما آمرك » فأعطاه

وهم الفرزدق أن يهاجي عبد القيس موالى زياد فبعث اليه زياد : « لاتعجل حتى أهدي اليك هدية » فانتظر الفرزدق فبعث اليه يقول .

ما ترك الهاجون لى ان هجوته مصحاً أراه في اديم الفرزدق
ولا تركوا عظما يرى تحت لحمه لكاسره أبقوه للمتعرق
سأكسر ما أبقوه لى من عظامه وانكت مخ الساق منه وانتقى
وانا وما تهدى لنا ان هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما بلغه الشعر قال : « ليس لى الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد »

ومع شاعريته كان كثير اللحن فى نظمه - ومن قوله يخاطب يزيد بن المهلب :

هل لك فى حاجتى حاجة أم أنت لها تارك طارح
أمتها لك الخير أم أحيها كما يفعل الرجل الصالح
اذا قلت قد أقبلت ادبرت كمن ليس غاد ولا رائح

ومن خبيث هجائه قوله يهجو الاشاقر :

قبيلة خيرها شرها وأصدقها الكاذب الآثم
وضيفهم وسط أبياتهم وان لم يكن صائما صائم

ومن مأثور حكمه قوله :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق الا صورة اللحم والدم

وتجد أخباره في الاغاني ١٠٢ ج ١٤ و ٥٨ ج ١٣ والشعر والشعراء ٢٥٧ وخزانة الادب ١٩٣ ج ٤ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١

٢ — ثابت قطنة

هو مولى بنى أسد بن الحرث واسمه ثابت بن كعب شاعر فارس شجاع كان فى صحابة يزيد بن المهلب وكان يوليه أعمالا من أعمال الثغور فيحمد فيه مكانه لكتابته وشجاعته فضلا عن شاعريته . ومن لطيف خبره أن يزيد ولاه عملا في خراسان فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال : « سيجعل الله بعد عسر يسراً أو بعد عي بياناً وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال

« وان لم أكن فيكم خطيباً فانني بسيفي اذ جد الوغى لخطيب »

وجالس ثابت قوماً من الشراة وقوماً من المرجئة وكانوا يجتمعون فيتجادلون في خراسان فمال الى قول المرجئة ونظم في هـذا المذهب قصيدة وصفه فيها من جملتها قوله :

يا هند فاستمعى لى ان سيرتنا ان نعبد الله لا نشرك به أحداً
نرجى الامور اذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن حار أو عندا
المسلمون على الاسـلام كلهم والمشركون استووا في دينهم قددا
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً م الناس شركا اذا ما وحدوا الصمدا
لا نسفك الدم الا ان يراد بنا سفك الدماء طريقا واحدا جددا

ومن نظمه قصيدة يحرض بها يزيد بن المهلب على الحرب (١) ولما قتل يزيد قال ثابت يرثيه :

كل القبائل تابعوك على الذي تدعو اليـه وبايعوك وساروا
حتى اذا حمس الوغى وجعلتهم نصب الأسنة سلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتل عار

ومن فخرياته قوله :

تعففت عن شتم العشيرة إنني وجدت أبى قد كف عن شتمها قبلى
حليما اذا ما الحلم كان مروءة واجهل احياناً ان التمسوا جهلى

وأخباره في الاغاني ٤٩ ج ١٣ والشعر والشعراء ٤٠٠ وخزانة الادب ١٨٥ ج ٤

٣ ـ حمزة بن بيض

توفي سنة ١٢٠ هـ

هو حنفى من بكر وائل (ربيعة) من أهل الكوفة خليع ماجن من فحول طبقته وكان منقطعا لآل المهلب وولده ثم الى ابان بن الوليد وبلال بن أبي بردة واكتسب بالسفر الى هؤلاء مالا كثيرا ـ ذكروا أنه اكتسب نحو مليون درهم ـ فهو كان ينصرهم لمجرد الاستجداء بخلاف من تقدم . ومن قوله يخاطب مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت :

اتيناك في حاجة فاقضها وقل مرحبا يجب المرحب
ولا تتكلنا الى معشر متى يعدوا عدة يكذبوا

(١) الاغاني ٥٤ ج ١٣

فانك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا

فأمر له بمائة الف درهم . ولما سجن يزيد بن المهلب دخل عليه حمزة وأنشده أبياتا مطلعها :

اغلق دون السماح والجود والنجـ ـدة باب حـديده أشب

فدفع اليه يزيد فص ياقوت باعه بثلاثين الف درهم

ولحمزة أخبار طويلة حسنة اكثرها مع يزيد المذكور وابنه مخلد. وله في عبدالملك وابنه سليمان اقوال وأخبار تجدها في الاغاني ١٥ ج ١٥ وفوات الوفيات ١٤٧ ج ١

٤ ـ كعب الاشقرى

هو كعب بن معدان من الاشاقر قبيلة من الازد . شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان من أصحاب المهلب وله ذكر فى حروبه للازارقة وأوفده المهلب الى الحجاج الى عبد الملك . وكان الفرزدق شديد الاعجاب به يعده رابع الثلاثة الفحول (الفرزدق وجرير والاخطل) وأوفده المهلب الى الحجاج ليخبره عن واقعة جرت له مع الازارقة فأنشده قصيدة مطلعها :

يا حفص انى عداني عنكم السفر وقد سهرت فآذى عينى السهر

ثم وصف المعركة الى أن قال :

خبوا كمينهم بالسفح اذ نزلوا بكازرون فما عزوا ولا نصروا
بانت كتائبنا تردى مسومة حـول المهلب حتى نور القمر
هناك ولوا جراحاً بعدما هربوا وحال دونهم الانهار والجـدر
تأبى علينا حزازات النفوس كما تبقى عليهم ولا يبقون ان قدروا

وهجاه زياد الاعجم وقد علمت أنه ينتمى لعبد القيس فقال كعب يهجو عبد القيس:

انى وان كنت فرع الازد قد علموا اخزي إذا قيل عبد القيس اخوالى
فيهم أبو مالك بالمجـد شرفنى ودنس العبد عبد القيس سربالى

فرد عليه زياد يهجو الاشاقر واشتد اللجاج فشكاه الى المهلب . فاستقدم زيادا وعاتبه وصالحهما . واخبار كعب كثيرة تراها في الاغانى ٥٦ ج ١٣

٥ ـ بيهس الجرمى

هو بيهس بن صهيب من جرم (قضاعة) شاعر فارس شجاع كان يبدو بنواحى الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة ويحضر معهم في اجناد الشام . وقد صحب

المهلب بن أبي صفرة في حربه للازارقة وكانت له مواقف مشهورة . أول ما هاج شاعريته انه هوي امرأة من قومه اسمها صفراء وكان يتحدث اليها ويكتم وجده لها ولا يخطبها لابيها لانه كان صعلوكا لا مال له وكان ينتظر ان يثرى . وكان من أحسن الشبان وجها وبشرة وحديثاً وشعراً . فرأته صفراء يتحدث مع بعض نساء الحي مرة فهجرته . وعرض له سفر فخرج اليه وقد زوجها أبوها رجلا من بنى أسد فذكرها فى قصيدة ثم ماتت قبل أن يعرفها زوجها فقال يرثيها بقصيدة عبر بها عن شعوره بما ينطبق على الواقع على طريقة الجاهليين من ذلك قوله :

هل بالديار التى بالقاع من أحد ... باق فيسمع صوت المدلج السارى
تلك المنازل من صفراء ليس بها ... نار تضيء ولا أصوات سمار
عفت معارفها هوجاً مغبرة ... تسفي عليها تراب الابطح الهارى
حتى تنكرت منها كل معرفة ... الا الرماد نخيلا بين أحجار
طال الوقوف بها والعين تسبقني ... فوق الرداء يوادى دمعها الجارى
ان أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف ... ألهو لديهم ولا صفراء فى الدار

وله قصيدة فى مدح محمد بن مروان لانه أجاره من تهمة كانت عليه منها :

وان محمداً سيعود يوماً ... ويرجع عن مراجعة العتاب
فيجبر صيبتى ويحوط جاري ... ويؤمن بعدها أبداً صحابي
هو الفرع الذي بنيت عليه ... بيوت الاطيبين ذوى الحجاب

وتجد أخباره في الاغانى ١٦١ جـ ١٠ و١٠٧ جـ ١٩

وممن صحب آل المهلب ونصرهم بشعره :

٦ العديل بن الفرخ من ربيعة ترجمته فى الاغاني ١١ جـ ٢٠ وفي الشعر والشعراء ٢٤٤ وخزانة الادب ٣٦٧ جـ ٢

٧ المغيرة بن حبناء من تميم ترجمته في الاغاني ١٦٢ جـ ١١ وخزانة الادب ٦٠١ جـ ٣

٨ يزيد بن الحكم من ثقيف ترجمته في الاغانى ١٠٠ جـ ١١

٣ ـ أنصار العلويين او الهاشميين

كان أنصار العلويين من الشعراء كثيرين لكنهم لم يكونوا يجسرون على الظهور خوفا من الامويين وهم أهل السيادة وربما مدحهم أحدهم سراً ثم يعدل الى مدح الامويين كما فعل الكميت بن زيد وغيره . وهاك أشهر أنصار العلويين :

١ ـ الكميت بن زيد

المتوفي سنة ١٢٦ هـ

هو الكميت بن زيد الاسدي شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها . من شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية القارعين اشعرائهم العلماء بالمثالب والايام المفاخرين بها . وكان مشهوراً بالتشيع لبني هاشم وقصائده فيهم تسمى الهاشميات وهى من جيد شعره وكانت أول منظوماته . وجاء الفرزدق وعرض عليه شعره فسمع له وهو يستخف به حتى بلغ الى قوله :

بني هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم منى جناحى مودة ... الى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... ء محباً على اني أذم وأغضب
وارمي وارمي بالعداوة أهلها ... وانى لأوذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق : « يا ابن أخي أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى »

ويقال في سبب توسعه بعلم لغة العرب وأخبارهم انه كان له جدتان أدركتا الجاهلية فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية فاذا شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه عنه فمن هناك كان علمه . وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ألا لا أرى الايام يقضى عجيبها ... بطول ولا الاحداث تفنى خطوبها

وله مناقضات ومهاجاة لشعراء اليمن . وأراد القسري أن يسىء به الى بني أمية فروى قصائده الهاشميات لجارية حسناء وأعدها ليهديها الى هشام بن عبد الملك وكتب اليه بأخبار الكميت وأنفذ قصيدته التى يقول فيها :

فيارب هل الا بك النصر يتقى ... ويارب هل الا عليك المعول

وهي طويلة يرثي بها زيد بن على (الهاشمي) ويمدح بني هاشم فاكبرها هشام فكتب الى خالد عامله أن يقطع لسانه ويده فنبهه الى ذلك بعض أصدقائه ففر وقضى زماناً مختفيا ثم توسطوا له بالعفو وجاء الى هشام ومدحه بقصيدة أنشده اياها مطلعها:

ماذا عليك من الوقو ... ف بها وانك غير صاغر

الى أن قال :

فالآن صرت الى اميـ ... ـة والامور الى المصائر

يا ابن العقائل للعقاـ ـل والجحاجحة الاخاير
من عبد شمس والاكا بر من أميـة فالاكابر
ان الخلافة والا لا ف برغم ذي حسد وواغر

وأنشده غيرها وغيرها فأجازه . ومما سبق اليه في وصف الفرس قوله :

يبحث الترب عن كواسر في الشر ب لا يحشم السقـاة الصفيرا

ومن جيد شعره قوله :

ألا لا أرى الايام يقضى عجيبها لطول ولا الاحداث تفنى خطوبها
ولا عبرة الايام يعرف بعضها ببعض من الاقوام الا لبيبها
ولم أر قول المرء الا كنبله اه وبه محرومها ومصيبها

وتوفي سنة ١٢٦ وله ستون سنة وكان يبلغ شعره لما مات ٥٢٨٩ بيتاً . والهاشميات مطبوعة بمصر وفي ليدن سنة ١٩٠٤ ولها شرح منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وللكميت ترجمة مطولة في الاغانى ١١٣ ج ١٥ والشعر والشعراء ٣٦٨ وخزانة الادب ٦٩ جزء ١ والجمهرة ١٨٧

٢ ـ أيمن بن خريم الاسدي

هو من بنى أسد كان شديد التشيع لعلي وقد مدح بنى هاشم ومن قوله فيهم :

نهاركم مكابدة وصوم وليلتكم صلاة واقتراء
أأجمعكم وأقواما سواء وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لارجلكم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماء

على أنه اضطر الى مسايرة بنى أمية ومدح عبد الملك . وله فى وصف النساء قصيدة بديعة تجدها مع سائر أخباره في الاغانى ٥ جزء ٢١ والشعر والشعراء ٣٤٥

٤ ـ انصار الخوارج وآل الزبير وغيرهم

ويقال نحو ذلك في أنصار سائر الاحزاب الذين كانوا على الامويين كالخوارج الشراة والازارقة وآل الزبير فان شعراءهم لم يكونوا يستطيعون الظهور ويندر ظهور أحدهم . وهاك أشهرهم :

١ ـ الطرماح بن حكيم

توفي سنة ١٠٠ هـ

هو من طى من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم نشأ في الشام وانتقل الى

الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشام واعتقد مذهب الشراة والازارقة وكان معاصرا للكميت المتقدم ذكره وكانا صديقين . وسئل كميت مرة : « لا شيء اعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلاد وهو شامي قحطاني وأنت كوفي نزاري شيعي فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية » فقال : « اتفقنا على بغض العامة »

وكان للطرماح والكميت رغبة في الغريب يدخلانه في أشعارهما . ومن قول الطرماح يمدح نفسه :

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت عرى المجد واسترخي عنان القصائد

ومن قوله في الفخر :

وما أنا بالراضي بما غيره الرضى ولا المظهر الشكوى ببعض الاماكن
ولا أعرف النعمى عليّ ولم تكن وأعرف فصل المنطق المتغابن

وله قصائد كثيرة في هجو بني تميم . ومن لطيف ما قاله فيهم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة يكر على صفي تميم لولت
ولو أن حرقوصا يزقق مسكه اذاً نهلت منه تميم وعلت
ولو جمعت يوما تميم جموعها على ذرة معقولة لاستقلت
ولو ان أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لأكنت

وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

قل في شط نهروان اغتماضي ودعاني هوى العيون المراض

ومن قوله ويدل على مذهبه في الشراة :

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له ان لم أفز فوزة تنجي من النار
والنار لم ينج من روعاتها أحد الا المنيب بقلب المخلص الشاري
أو الذي سبقت من قبل مولده له السعادة من خلاقها الباري

وكان الاصمعي يستجيد قوله في صفة الثور :

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد

وللطرماح ديوان طبع في انكلترا على يد لجنة تذكار جيب مع ديوان الطفيل ابن عوف بعناية المستشرق كرنكو Krenkaw وأخباره في الاغاني ١٥٦ جزء ١٠ والشعر والشعراء ٣٧١ وخزانة الادب ٤١٨ جزء ٣ والجمهرة ١٩٠

٢ - عمران بن حطان

توفي سنة ٨٩ هـ

هو من سدوس من بكر وائل شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم المقدمين في مذاهبهم وكان من القعدة لان عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه وهو مغال في التعصب على علي يؤيد ذلك قوله في مدح ابن ملجم قاتل علي وهو :

لله در المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة شر الخلق انسانا
أمسى عشية غشاه بضربته ... مما جناه من الآثام عريانا

وأخذ هذا المذهب عن امرأته لانها خارجية تزوجها ليردها عن مذهبها فذهبت به الى رأيهم وكان الحجاج يلح فى طلب عمران بن حطان . وبلغه ان غزالة الحرورية دخلت على الحجاج فتحصن منها وأغلق عليه قصره فكتب اليه عمران :

أسد على وفى الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس ... تركت مدابره كأمس الدابر

ثم لحق بالشام ونزل على روح بن زنباع . واشتهر شعر ابن حطان في عصره حتى كان لا يقول أحد من الشعراء شعراً الا نسب اليه لشهرته الا من كان مثله في الشهرة ، ومر بالفرزدق وهو ينشد وكان يتهمه انه يقول للاستجداء فيكذب فقال فيه :

أيها المادح العباد ليعطى ... ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم ... وارج فضل المقسم العواد
لا تقل بالجواد ما ليس فيه ... وتسمى البخيل باسم الجواد

وكان عمران يفتخر أنه لم يكذب في شعره ومن ذلك قوله يخاطب امرأته حمزة :

يا حمز اني على ما كان من خلقي ... مثن بخلات صدق كلها فيك
الله يعلم انى لم أقل كذباً ... فيما علمت وانى لا أزكيك

وأخباره في الاغاني ١٥٢ ج ١٦ وخزانة الادب ٤٣٦ ج ٢

٣ ـ عبد الله بن الحجاج الذبياني

توفى سنة ٩٥ هـ

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن من ذبيان ويكنى أبا الاقرع . شاعر فاتك شجاع من معدودى فرسان مضر ذوي البأس والنجدة فيهم وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . فلما تغلب عبد الملك على عمرو خرج عبد الله مع نجدة بن عامر الحنفى ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير فكان معه الى ان قتل . ثم جاء الى عبد الملك متنكراً واحتال عليه حتى أمنه في حديث طويل وعاش الى زمن الوليد بن عبد الملك ووشي به فحبسه فقال وهو في الحبس قصيدة من جملتها :

فان يعرض أبو العباس عنى ويركب بي عروضا عن عروض
ويجعل عرفه يوماً لغيرى ويبغضني فاني من بغيض
فانى ذو غنى وكريم قوم وفي الاكفاء ذو وجه عريض

وأخباره في الاغانى ٢٥ ج ١٢

٤ ـ اسماعيل بن يسار النسائى

توفي سنة ١١٠ هـ

هو مولى بني تيم (من قريش) انقطع لآل الزبير . ولما استتب الامر لعبد الملك بن مروان وفد اليه ومدحه ومدح الخلفاء من ولده كما فعل غيره ولكنهم كانوا يضمرون الكره لهم ويمثل ذلك ما جرى لاسماعيل هذا وقد وفد على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوما فحجبه ساعة ثم اذن له فدخل يبكى فقال له الغمر: «مالك يا أبا فائد تبكى » فقال : « وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتى ومروانية أبى احجب عنك » فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكى فما سكت حتي وصله الغمر بجملة لها قدر وخرج من عنده فلحقه رجل فقال له : «اخبرنى ويلك يا اسماعيل أى مروانية كانت لك أو لابيك» قال : « بغضنا اياهم امرأته طالق إن لم تكن امه تلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح وان لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له قل لا اله الا الله فقال لعن الله مروان تقربا بذلك الى الله تعالى »

وعاش اسماعيل عمراً طويلا وكان شعوبيا يفخر على العرب بالعجم ومن قوله :

انما سمى الفوارس بالفر س مضاهاة رفعة الانساب
فاتركي الفخر يا امام علينا واتركى الجور وانطقى بالصواب

واسألى ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الاحقاب
اذ نربى بناتنا وتدسو ن سفاها بناتكم فى التراب

ومن أقواله في الغزل من قصيده :

حتى دخلت البيت فاستذرفت من شفق عيناك لى تسجم
ثم انجلى الحزن وروعاته وغيب الكاشح والمبرم
فبت فيما شئت من نعمة يمنحنيها نحرها والفم
حتى اذا الصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفى كما ينساب من مكمنه الارقم

واخباره في الاغاني ١١٩ ج ٤

سائر أنصار أعداء بني أميه

ومن انصار أعداء بنى أمية غير من تقدم جماعة نكتفى بذكر ماآخذ تراجمهم وهم : ٥ ابو وجزة السعدى من هوازن توفي سنة ١٣٠ مدح آل الزبير . أخباره في الاغاني ٧٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٤٤٢

٦ أبو حزابة من انصار ابن الاشعث . أخباره فى الاغاني ١٥٢ ج ١٩

٧ أبو كلدة اليشكري من بكر من أنصار ابن الاشعث سكن الكوفة وقتله الحجاج أخباره في الاغاني ١١٠ ج ١٠

شعراء الغزل والتشبيب

في العصر الاموى

قلنا في كلامنا عن التشبيب ان امام التشبيب في هذا العصر جميل بن معمر امام المحبين وكان يشبب بحبيبته عن شعور حقيقى بالحب فقلده الشعراء بذلك وان لم يكونوا محبين . على أن اكثرهم ابتلوا بالعشق ولا سيما آل عذرة . وبلغ عدد المشببين بضعة وعشرين شاعراً منهم خمسة من قريش هم عمر بن أبي ربيعة والعرجى والحارث ابن خالد وأبو دهبل وابن قيس الرقيات وعروة بن أذينة وامامهم عمر بن أبى ربيعة وهو أول من تجرأ على التشبيب بالنساء وصارت له فيه طريقة تحداها الشعراء بعده من قريش وغيرهم كما سيجيء فنبدأ بجميل ثم نذكر الشعراء القرشيين وغيرهم

جميل بن معمر

توفي سنة ٨٢ هـ

هو جميل بن عبد الله بن معمر من عذرة وكان شاعرا فصيحا مقدما جامعاً للشعر

والرواية اشتهر بحبه بثينة ابنة عمه ولذلك عرف بجميل بثينة وكانا يقيمان في وادي القرى وكان أول عهده بها وهي صغيرة . ومن أوائل نظمه فيها قوله :

وأول ما قاد المودة بيننا بوادى بغيض يا بثين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمثله لكل كلام يا بثين جواب

ولم يكن يراها حتى صارت شابه فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر أمره واتفق مرة ان توبة بن الحمير صاحب ليلى مر ببنى عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه وجميل حاضر فثارت الغيرة فى قلب جميل فقال لتوبة من انت قال أنا توبة بن الحمير قال هل لك في الصراع قال ذلك اليك . فاعطته بثينة ملاءة حمراء فاتزر بها ثم صارعه فصرعه جميل . ثم قال هل لك فى النضال قال نعم فناضله فنضله جميل . ثم قال هل لك في السباق قال نعم فسابقه فسبقه جميل . فقال توبة : « ياهذا انما تفعل ذلك بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا الوادى » فهبط فصرعه توبة ونضله وسبقه

وكان عند بثينة مثل ما عند جميل ولما رأت مناضلته عنها زادت شغفاً به ولكنهما لم يكونا يجتمعان الا خلسة على موعد . ولم يكن جميل يخلو من الرقباء لكنهم لم يستطيعوا رميه بريبة وأخباره معها كثيرة لا يسعها هذا المقام . وما زال يجتمع بها سراً عن أهلها فألحوا بالشكوى عليه الى العامل ففر الى اليمن حتى عزل العامل وانتجع أهل بثينة الشام فرحل جميل اليهم فترصدوه وشكوه الى عشيرته فعنفه أهله وهددوه فانقطع عنها وأخيراً لجأ الى مصر وعاملها عبد العزيز بن مروان فأحسن وفادته ومرض هناك ومات . وكان طويل القامة عريض ما بين المنكبين جميل الخلقة حسن البشرة . ومن قوله فيها :

وانى لأرضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبان لا أستطيع وبالمني وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلي وبالحول تنقضي أواخره لا نلتقى وأوائله

ومن قوله أبيات ينسبونها الى مجنون ليلي :

وما زلتم يا بثن حتى لو انى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
اذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت أنت دعائيا
وما زادنى النأي المفرق بعدكم سلواً ولا طول التلاقي تلاقيا
ولا زادني الواشون الا صبابة ولا كثرة الناهين الا تماديا

لقد خفت ان ألقى المنية بغتة وفي النفس حاجات اليك كما هيا

ومن بديع قوله في النسيب :

لها في سواد القلب بالحب منعة هي الموت أو كادت على الموت تشرف
وما ذكرتك النفس يا بثن مرة من الدهر الا كادت النفس تتلف
وما استطرفت نفسي حديثاً لخلة اسر به الا حديثك أطرف

واكثر شعره فيها وله ابيات فى الفخر بليغة منها :

بحب الغواني البيض ظل لوائنا اذا ما اتانا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا فان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
وكنا اذا ما معشر نصبوا لنا ومرت جواري طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيها اذا الناس طففوا

ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهوراً في أيام ابن خلكان ولم نقف على خبره ولكن منه أشعاراً مجموعة فى كتاب منه نسخة خطية في مكتبة برلين

وترى ترجمة جميل في الاغاني ٧٧ ج ٧ و ٨٠ ج ١٠ و ١٣٤ و ١٤٢ ج ٢ وابن خلكان ١١٥ ج ١ وخزانة الادب ١٩١ ج ١ والشعر والشعراء ٢٦٠ وفى الهلال ٢٤٢ سنة ٦

شعراء قريش الغزليين

١ - عمر بن أبي ربيعة

توفي سنة ٩٣ هـ

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة من مخزوم بطن من قريش . وكانت العرب تقر لقريش بالتقدم عليها في كل شيء إلا الشعر حتى ظهر عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها به

واختص عمر المذكور شعره بوصف النساء ولم يصف سواهن . وكان الاسلام لا يزال في أوائله والمسلمون يستنكفون من التعرض للنساء والتشبيب بهن . ولم يجرؤ ابن أبي ربيعة على ذلك الا لمنزلته في قريش ومع ذلك فقد عدوا شعره ضرراً على الآداب فقد قال ابن جريج « ما دخل العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبي ربيعة » وقال هشام بن عروة « لا تروا فتياتكم شعر عمر بن

أبي ربيعة لئلا يتورطوا في الزنا تورطاً »[1] وكان أخوه الحارث يمنعه من شعره ويدفع اليه المال ليكف عنه فلا يقدر

وقد اقتبس عمر من جميل وقلده . وكان جميل يشبب بجميبته أما عمر فكان يشبب بكل جميلة ولو لم يكن بينه وبينها مودة . وصار له في التشبيب طريقة عرفت باسمه تحداها الشعراء . ولما سمع الفرزدق تشبيبه قال : « هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه » وكانوا لذلك يعدونه أنسب الناس وأوصف الشعراء لربات الجمال . وكان يقيم بمكة فاذا آن الحج اعتمر في ذي القعدة ولبس الحلل الفاخرة وركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج وسبل لمته ولقي العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ويتلقى المدنيات الى مر ويتلقى الشاميات الى الكديد . ويتعرض للحجاج فيشبب بشهيرات النساء اللواتي يقدمن الى مكة وهن في مشاعر الحج أو ينظر اليهن وهن في الطواف فيرى منهن مالا يراه في الخارج فيصفهن . فتعرض لاشهر نساء العرب وأجلهن وفيهن جماعة من كبار القوم وفي جملتهن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة ولكن لم يكن يذكر اسمها خوفا من أبيها ومن الحجاج . وكان أبوها قد بعث اليه يتوعده اذا ذكرها فلما عادت من الحج قال فيها :

كدت يوم الرحيل أقضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الخو ف ودمعي يسيل كل مسيل
ذرفت عينها وفاضت عيوني وكلانا يلقى بلب أصيل

وممن شبب بهن عائشة بنت طلحة الشهيرة بالجمال والتعقل وكان قد رآها تطوف فعلمت انه لا يبرح ان يشبب فيها فبعثت اليه مع جاريتها تقول : « اتق الله ولا تفعل هجراً » فأجابها : «اقرئيها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول الا حسناً» وقال أبياتاً منها :

لعائشة ابنة التيمى عندى حمى في القلب ما يرعى حماها
يذكرني ابنة التيمي ظبي يرود بروضة سهل رباها
فقلت له وكاد يراع قلبي فلم أر قط كاليوم اشتباها
سوى خمش بساقك مستبين وان شواك لم يشبه شواها
وانك عاطل عار وليست بعارية ولا عطل يداها

(١) الاغانى ٣٥ ج ١

وشبب أيضا بلبابة بنت عبد الله بن عباس بأبيات مطلعها :

ودع لبابة قبل أن تترحلا واسأل فان قلالة ان تسألا

وشبب بسكينة بنت الحسين من قصيدة قال فيها :

اسكين ما ماء الفرات وطيبه منا على ظمأ وحب شراب
بألذ منك وان نأيت وقلما ترعى النساء أمانة الغياب

وشبب بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل وفي ذلك يقول عمر :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يجتمعان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى

وشبب أيضا برملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات وغيرها وشعره كثير ومنه طائفة حسنة يغنونها . ومما يستحسن من شعره قوله فى نحول البدن:

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشى فيخصر
قليلا على ظهر المطية شخصه خلا ما نبى عنه الرداء المحبر

وأخباره كثيرة ذكرها صاحب الاغانى مطولة من ٣٠ ج ١ والشعر والشعراء ٣٤٨ وابن خلكان ج ١ ٣٧٨ والدميرى ٣٢٦ ج ١ والعقد الفريد ١٣٢ ج ٣

وله ديوان مطبوع فى ليبسك سنة ١٨٩٣ وفي مصر سنة ١٣١١ ومنه نسختان خطيتان في دار الكتب المصرية

٢ ـ العرجى

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الخليفة كان من شعراء قريش وقد شهر بالغزل وتشبه بعمر بن أبي ربيعة وكان مشغوفاً باللهو والصيد قليل المحاشاة لاحد فيها ولم يكن له نباهة في أهله . وكان أشقر أزرق العينين جميل الوجه وقد شبب بوحيداء أم محمد بن هشام المخزومى ليفضح ابنها لا لمحبة بينهما . فقضى عليه محمد وضربه وحبسه حتى مات في السجن

وكان يشبب أيضاً بشهيرات النساء بالجمال نحو ما كان يفعل ابن أبي ربيعة لكنه كان مقلداً فلم يبلغ مبلغه وكان يقلده بالبذخ فيستسقى على ابله فى شملتين ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار . ومما قاله فى حبسه :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري

أجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتي وصبري
كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتي فى آل عمرو

وأخباره كثيرة منشورة في الاغاني ١٥٣ جـ ١ و٩٠ جـ ٦ و١٤٥ جـ ٧ والشعر والشعراء ٣٦٥

٣ ـ الحارث بن خالد المخزومى

هو أيضا من مخزوم مثل عمر بن أبي ربيعة وقد اتبع مذهبه في الغزل لا يتجاوزه الى المديح أو الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها . وكان ذا قدر وخطر ومنظر فى قريش وأخوه عكرمة بن خالد محدث جليل . وكان بنو مخزوم جميعاً من حزب ابن الزبير الا الحارث فكان منحازاً لعبد الملك بن مروان فولاه مكة . وكان يراقب الحج كما يفعل ابن أبى ربيعة ويشبب بمن يستحسنها من النساء وهن فى الطواف

ومن قوله في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير ورحل بها الى العراق:

ظعن الامير بأحسن الخلق وغدا بلبك مطلع الشرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن أهل التقى والبر والصدق
فظللت كالمقهور مهجته هذا الجنون وليس بالعشق
أترجة عبق العبير بها عبق الدهان بجانب الحق
ما صبحت أحداً برؤيتها الا غدا بكواكب الطلق

وله أقوال كثيرة ذكرها صاحب الاغانى ١٠٠ جـ ٣ وخزانة الادب ٢١٧ جـ ١

٤ ـ أبو دهبل الجمحى

اسمه وهب بن زمعة من أشراف بنى جمح من قريش وكان رجلا جميلا له جمة شعر يرسلها فتضرب منكبيه . وكان عفيفاً قال الشعر فى آخر خلافة على بن أبي طالب ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وكان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن ولكنه شغل عن ذلك بالغزل لانه هوى امرأة من قومه اسمها عمرة وكانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاخبار فكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها وكانت هي أيضا تحبه فغارت امرأة منها فبعثت اليها عجوزاً داهية وشت به حتى احتجبت عنه فقال :

وبت كئيباً ما أنام كأنما خلال ضلوعى جمرة تتوهج

فطوراً أمني النفس من غمرة المنى وطوراً اذا ما لج بى الحزن انشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن الى ان يوصل الحبل أحوج

وقد شبب في غيرها من شهيرات النساء منهن عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان وقد جاءت للحج فنزلت بذي طوى من مكة وقد اشتد الحر فأمرت جواريها فرفعن الستر فمر أبو دهبل فرآها وهى لا تعلم فلما رأته ينظر اليها غضبت وشتمته وأمرت بارخاء الستر . فقال أبو دهبل في ذلك :

اني دعاني الحين فاقتادني حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنه إذ سبنى مدبراً مستتراً عنى بجلباب
سبحان من وقفها حسرة صبت على القلب باوصاب
يذود عنها ان تطلبتها أب لها ليس بوهاب
أحلها قصراً منيع الذرا يحمى بابواب وحجاب

وأنشد أبو دهبل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت وغنى بها المغنون فبلغت عاتكة فبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما . فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام . فلما دخلت دمشق انقطعت عن لقائه في دمشق فنظم فى ذلك قصيدة مطلعها :

طال ليلى وبت كالمحزون ومللت الثواء فى جيرون

وبلغ معاوية تشبيبه بابنته فأحب ان يمنعه باسلوب من أساليبه الناعمة فدعاه اليه وأخبره انه اطلع على ما قاله . فأراد أبو دهبل ان يتنصل ويزعم انها قيلت عن لسانه فأكد له معاوية أنها له ولكنه قال : « لا خوف عليك من جهتى ولكنني أخاف عليك من يزيد فان له سورة الشباب وأنفة الملوك » فخاف أبو دهبل وخرج الى مكة هارباً . لكنه عاد الى مكاتبة عاتكة وبلغ ذلك معاوية فحج . ولما انقضت أيام الحج دعا أبا دهبل فى جملة الشعراء والاشراف وأجازه وسأله عن أحب بنات عمه اليه فقال فلانة فقال « قد زوجتكها وأصدقتها ألفي دينار وأمرت لك بألف دينار » فلما قبضها طلب العفو عما مضى ولم يتزوج الفتاة فسر معاوية من ذلك . وأكثر شعره غير الغزل في عبد الله بن عبد الرحمن الازرق والى اليمن

ولابى دهبل أخبار طويلة ذكرها صاحب الاغاني ١٥٤ ج ٦ وله أشعار فى الشعر والشعراء ٣٨٩

٥ ـ ابن قيس الرقيات

توفي سنة ٧٥ هـ

اسمه عبيد الله بن قيس من قريش وكان ممن انحاز الى ابن الزبير وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ومدحه وطعن في بنى أمية ثم انحاز الى عبد الملك بعد قتل مصعب وعبد الله فأمنه . فقال يمدحه من قصيدة :

ان الاغر الذى أبوه أبو الـ ـعاصى عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك : « يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول في مصعب :

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الامان فقد سبق ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً »

أما تغزله فقد كان في امرأة كوفية كان ينزل عندها اسمها كثيرة وله في أخرى اسمها رقية. على ان غزله أقل من غزل سائر من تقدم من الشعراء القرشيين ولكن طائفة من شعره يغنونها . ومن شعره في رقية ويغنى به :

رقىَّ بعيشكم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا
عدينا في غد ما شئت إنا نحب وان مطلت الواعدينا
فاما تنجزى عدتي واما نعيش بما نؤمل منك حينا

وله فيها أيضا :

وترى في البيت صورتها مثل ما في البيعة السرج
خبروني هل على رجل عاشق في قبلة حرج

وترى أخباره في الاغانى ١٥٥ جـ ٤ وفي الشعر والشعراء ٣٤٣ وخزانة الادب ٢٦٧ جـ ٣ وله ديوان طبع في فينا سنة ١٩٠٢ مع ترجمة ألمانية . وقد شرحه السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية من الشرح المذكور

سائر الشعراء الغزليين

يكاد لا يخلو شاعر من أبيات غزلية قالها عن حب أو تشبيب ولكن المراد بشعراء الغزل الذين أكثر قولهم فيه وقد تقدم ذكر بعضهم واليك الباقين :

١ - مجنون ليلى

هو قيس بن الملوح ويقال بن معاذ بن مزاحم من عامر بن صعصعة ويعرف بمجنون ليلي نسبة الى ليلى التى كان يتعشقها وهو مشهور . ولكن بعض أهل النقد من علماء الشعر يرون ان قصته موضوعة وضعها رجل من بني أمية كان يحب ابنة عم له يكره ان يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التى يظنها الناس للمجنون . وقد زاد الناس فيه بعدئذ . ويؤيد ذلك ان كثيراً مما ينسب اليه من الاشعار روى لغيره . فقصته اذاً من قبيل الشعر التمثيلي (درام) الذى يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهى تمثل العشق مع التعفف أو لعل لها أصلا قليلا وزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنترة التي تمثل الشجاعة والعشق

وفي كل حال فان بين الاشعار المنسوبة الى المجنون طائفة تمثل شعائر المحبين كما هي على طبيعتها . وديوان مجنون ليلى شائع ومتداول . ومما ينسب اليه قوله :

واني لينسيني لقاؤك كلما ... لقيتك يوماً ان أبثك ما بيا
وقالوا به داء عياء أصابه ... وقد علمت نفسى مكان دوائيا

وقوله :

فوالله ثم الله اني لدائب ... أفكر ما ذنبي اليها وأعجب
ووالله ما أدرى علام قتلتني ... وأى أمورى فيك يا ليل أركب
أأقطع حبل الوصل والموت دونه ... أم اشرب رنقاً منكم ليس يشرب
أم اهرب حتى لا أرى لى مجاوراً ... أم اصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيهما يا ليل ما ترتضينه ... فاني لمظلوم وإني لمتعب

وأخبار المجنون فى الاغانى ١٦٧ ج ١ والشعر والشعراء ٣٥٥ وخزانة الادب ١٧٠ ج ٢ وله ديوان مطبوع في القاهرة ١٣٠٠ هـ وفى بيروت سنة ١٨٨٢ م ثم طبع مراراً ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وفى مكاتب تونس وبرلين وباريس وايا صوفيا وغيرها

٢ - كثير عزة

توفي سنة ١٠٥ هـ

هو كثير بن عبد الرحمن من خزاعة ويعرف بكثير عزة نسبة الى عشيقته التى كان يشبب بها وكان يدخل على عبد الملك وينشده وكان رافضياً شديد التعصب

لآل أبي طالب . وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره فاذا أراد ان يصدقه بشيء حلفه بعلي وكان له صديق اسمه خندق الاسدى شديد التشيع مثله وبلغ من جرأة خندق هذا انه وقف مرة في الموسم والناس مزدحمون وقال: « أيها الناس انكم على غير حق قد تركتم بيت نبيكم والحق لهم وهم الائمة » فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ودفن خندق بقنوفا فقال اذ ذاك كثير يرثيه :

أصادرة حجاج كعب ومالك على كل عجلى ضامر البطن محنق
بمرثية فيها ثناء مخبر لأزهر من أولاد مرة معرق

والقصيدة طويلة . أما معشوقته عزة فهى بنت حميد بن وقاص من ضمرة وكانت من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ويقال إنه لم ير لها وجهاً الا انه استهام بها قلبه لما ذكر له عنها . وعاتبه بعض أهلها فقالوا : « قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك » فقال : « اني لا أذكرها بما تكرهون »

واتفق خروجهم الى مصر فى عام الجلاء فتبعهم على راحلته فزجروه فأبى الا أن يلحقهم فتربص له بعضهم فى بعض الطريق وقبضوا عليه وجعلوه في جيفة حمار وربطوها عليه فمر به صديقه خندق فأطلقه وألحقه ببلاده . وكان كثير دميما قليلا أحمر اقيشر عظيم الهامة قبيحاً . وأكثر أشعاره في عزة هذه . من ذلك قوله لما أخرجت الى مصر :

وقال خليلي مالها اذ لقيتها غداة السنا فيها عليك وجوم
فقلت له ان المودة بيننا على غير فحش والصفاء قديم
واني وان أعرضت عنها تجلداً على العهد فيما بيننا لمقيم
وان زماناً فرق الدهر بيننا وبينكم في صرفه لمشوم

وقوله وبه يغنى :

وكنت اذا ما جئت اجلال مجلسى وأظهرن منى هيبة لا تجهما
يحاذرن مني غيرة قد عرفتها قديماً فما يضحكن الا تبسما

ومن أحاسن شعره قوله :

أغاضر لو شهدت غداة بنتم حنو العائدات على وسادى
أويت لوامق لم تشكميه نوافذه تلذع بالزناد

ومن قوله في الحكم :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهداً كل عثرة يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب

ويختار من قوله :

وأجمع هجرانا لا سماء ان دنت بها الدار لا من زهدة في وصالها
فان شحطت يوماً بكيت وان دنت تذللت واستكثرتها باعتزالها

ومن منتخبات قوله في عزة قصيدة طويلة مطلعها :

خليلي هـذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وقوله وفيه افراط :

ومشى الى بعيب عزة نسوة جعل الاله خـدودهن نعالها
ولو ان عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضي لها

وأخباره كثيرة تجـدها في الاغانى ٤٦ جـ ١١ و٢٧ جـ ٨ و ٧٨ جـ ٧ والشعر والشعراء ٣١٦ وابن خلكان ٤٣٣ جـ ١ والعقد الفريد ١١٥ و٢٠٣ جـ ١ وخزانة الادب ٣٨١ جـ ٢ وله ديوان شرحه أبو عبد الله الرشـيدي منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٣ ـ ابن ميادة

هو الرماح بن يزيد بن ثوبان من ذبيان وكان أحمر سبطا عظيم الخلق طويلا طويل اللحية وكان لباسه عطراً وذكروا انه أشعر غطفان في الجاهلية والاسلام وكان خـيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس وكان النابغة يمدح اليمن (القحطانية) ومما يؤثر من قوله في الشعر وقد قيل له مرة : « لو أصلحت شعرك لذكرت به لانه فيه كثير من السقط » فقال : « انما الشعر كنبل في جفيرك ترمي به الغرض فطالع وواقع وعاصد وقاصد »

وعاصر بن ميادة الوليد بن يزيد ومدحه وأدرك أول الدولة العباسية فمـدح المنصور وجعفر بن سليمان فهو من أهل الدور الثالث وانما ذكرناه هنا لانه من الشعراء الغزليين وأحب امرأة من بني مرة اسمها أم حجدر وكان يختلف اليهـا فعلم أبوها وغضب واقسم أن لا يزوجها رجلا من ذلك البلد فزوجها رجلا من الشام فقال ابن ميادة من شدة الوجد :

خليلى من افنـاء عذرة بلغا رسائل منـا لا تزيدكما وقرا
ألمـا على تيماء نسأل يهودهـا فان لدى تيماء من ركبها خبرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها عليه فسل من ذاك تبان فالغمرا

ويا ليت شعرى هل يحلن أهلها واهلك روضات ببطن اللوى خضرا

ولابن ميادة مواقفات مع الحكم الحضري وأراجيز طوال ومفاخرات مع عقال ابن هاشم ذكر صاحب الاغانى بعضها وهي منتقيات . وله فى مدح الوليد قصيدة مطلعها :

يا أطيب الناس ريقا بعد هجعتها وأملح الناس عيناً حين تنتقب

ولما مات الوليد رثاه . فلما قامت الدولة العباسية مدح المنصور

وأخبار ابن ميادة كثيرة فى الاغانى ٨٨ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨٤

٤ — الاحوص

توفي سنة ١٠٥ هـ

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الاوس من أهل المدينة وكان مثل سائر شبان يثرب في تلك الايام ميالا الى الرخاء وكان قليل المروءة والدين مع ميل الى هجو الناس وقد جعله ابن سلام في طبقة ابن قيس الرقيات ونصيب وجميل ولكن أهل الحجاز يفضلونه عليهم وهو اسمح طبعاً وأسهل كلاماً وأصح معنى منهم . ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة وبه الفاظ ليست لواحد منهم . وكان متهتكا فبلغ سليمان بن عبد الملك عنه أقوال فنفاه . ويقال في سبب ذلك أن سكينة بنت الحسين فخرت يوماً بالرسول ففاخرها الاحوص بقصيدته التى يقول فيها : « ليس جهل اتيته ببديع » فبلغ ذلك سليمان فنفاه ثم رده

واشتهر الاحوص بتشبيبه بأم جعفر وهي امرأة من الانصار وتوعده أخوها وهدده فلم ينته فاستعدى عليه والى المدينة وهو يومئذ عمر بن عبد العزيز فربط الاحوص وأخاها بحبل ودفع اليهما سوطين وقال « تجالدا » فغلب أخوها ومن شعره فيها :

أزور البيوت اللاصقات ببيتها وقلبي الى البيت الذى لا أزور

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى اذا لم يزر لا بد أن سيزور

أزور على أن لست انفك كلما اتيت عدوا بالبنان يشير

ومن شعره الجيد قوله :

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا فقد غلب المحزون ان يتجلدا

وما العيش الا ما تلذ وتشتهى وان لام فيه ذو الشنان وفندا

بكيت الصبا جهدا فمن شاء لامنى ومن شاء واسى فى البكاء واسعدا

وانى وان عيرت في طلب الصبا لاعلم انى لست في الحب أوحدا

وكان الخليفة يزيد بن الوليد مشتغلا عن الخلافة بجاريته حبابة فلامه عمه مسلمة ونهاه عنها فتركها وانقطع عن زيارتها فأرادت أن تسترجعه فلاقته وهو خارج الى المسجد بعودها وغنته بيت الاحوص . وما العيش الا ما تلذ وتشتهي الخ . فضرب يزيد بخيزرانته الارض وقال صدقت وعاد الى حالته معها

ومن غزله قوله وهو وصف حقيقة :

فما هو الا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب

وقوله :

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر

وترى ترجمة الاحوص وأقواله فى الاغاني ٤٥ ج ٤ و ٥٣ ج ٦ و ١١٧ ج ١ وفي الشعر والشعراء ٣٢٩ والعقد الفريد ١١٥ ج ١ وخزانة الادب ٢٣٢ ج ١ وفي سائر كتب الادب . وله قصيدة محفوظة في مكتبة برلين

٥ ـ قيس بن ذريح

هو قيس بن ذريح من كنانة وكان رضيع الحسين بن على لان أم قيس أرضعت الحسين . كان منزل قومه في ظاهر المدينة وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة واشتهر قيس بحبه لبنى بنت الحباب الكعبية وهي التى جعلته ينطق الشعر فانه رآها مرة واستسقاها فسقته وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما رآها وقعت في نفسه فعشقها وجعل ينطق بالشعر وشكا اليها غرامه فشكت اليه مثله فطلب الى أبيه ان يخطبها له فأبى لانه كان غنياً فأراد له احدى بنات عمه . فشكا الى أمه فلم تسعفه فأتى الحسين بن على فتوسط له فزوجوه لان اشارته لا ترد فأقامت زوجته عنده مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئاً

ثم دخلت الحماة بين الابن والكنة . وذلك ان قيساً كان أبر الناس بأمه فألهته لبنى عنها فغضبت وأخذت تتحين الفرص للانتقام فمضى على الزواج زمن ولم تلد لبنى لقيس ولداً فخاطبت أمه أباه بذلك وقالت : « أنت ذو مال فيصير المال الى الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً » وألحت عليه فاستمهلها وسأل ابنه في ذلك فأبى ان يتزوج غيرها فعرض عليه ان يتسرى فأبى فقال : طلقها فلم يرض فألح عليه وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى . فكان يخرج فيقف

في حر الشمس ويجيء أبوه فيقف الى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف ويدخل قيس الى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكى معه وتقول له : « يا قيس لا تطلع أباك فتهلك وتهلكنى » فيقول : « ما كنت لاطيع أحداً فيك أبداً » . فيقال انه مكث كذلك سنة وقيل عشر سنين ثم طلقها ولم يلبث حتى استطير عقله ولحقه مثل الجنون وصار يبكى كالطفل ثم أتى أبوها ليحملها الى أهله فلما رأى قيس هودجها وعلم انها مسافرة بعد ليلة سقط مغشياً عليه وهو يقول :

وانى لمفن دمع عينى بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى ان تكون منيتي بكفيك الا ان ما حان حائن

ولما غاب هودجها أكب على اثر خف بعيرها يقبله ورجع يقبل موقع مجلسها واثر قدميها فلاموه على ذلك فقال :

وما أحببت أرضكم ولكن اقبل اثر من وطيء الترابا
لقد لاقيت من كلفى بلبنى بلاء ما أسيغ به الشرابا
اذا نادى المنادي باسم لبنى عييت فما أطيق له جوابا

ثم زوجوها رجلا من غطفان وعاود قيس زيارتها فشكوه الى معاوية فهدر دمه فقال في ذلك :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها مقالة واش أو وعيد أمير
فلم يمنعوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى

وأخبار قيس بن ذريح كثيرة فى الاغانى ١١٢ ج ٨ وفي الشعر والشعراء ٣٩٩ وله ديوان مشروح ومنه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال وغيرها في برلين

٦ ـ المخبل القيسى

اسمه كعب وهو صاحب ميلاء ابنة عمه وقد رآها مرة فعشقها ولقيها فشكا اليها حبه فوعدته فعلم اخوتها وهم سبعة فهددوه وكان منزله في الحجاز فخرج الى الشام ونظم فيها الاشعار . ومن ذلك قصيدة مطلعها :

خليلي قد قست الامور ورمتها بنفسي وبالفتيان كل زمان
فلم أخف سوءا للصديق ولم أجد خلياً ولا ذا البث يستويان

الى ان قال يصف غرامه :

بلينا بهجران ولم أر مثلنا من الناس انسانين يهتجران
أشد مصافاة وأبعد من قلى وأعصى لواش حين يكتفيان
فوالله ما أدرى أكل ذوى الهوى على ما بنا أو نحن مبتليان

وهي طويلة ومنها :

أحقاً عباد الله ان لست ماشياً بمرصاب حتي يحشر الثقلان

وتجد أخباره في الاغاني ٢٠٩ ج ٢١ وهو غير المخبل السعدى الذى تقدم ذكره مع الجاهليين

وهناك بضعة من شعراء العشاق يعدون من الدور الثالث لانهم توفوا بعد انقضاء الدور الثاني وقد أتينا على تراجمهم هنا كما أتينا على آخرين قد يعدون من الدور الاول لاستيفاء هذا الموضوع في مكان واحد

٧ ـ ذو الرمة

توفي سنة ١١٧ هـ

هو غيلان بن عقبة بن نهيس من مضر ويعد من الشعراء المتيمين وصاحبته مية بنت مقاتل المنقرى وكانت جميلة وكان هو دميما أسود وسمعت تشبيبه بها ولم تره ثم رأته فقالت واسوأتاه فغضب وقال يهجوها :

على وجه مى مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طعمه وان كان لون الماء أبيض صافيا
فواضيعة الشعر الذى لج فانقضى بمى ولم أملك ضلال فؤاديا

وكان يشبب بخرقاء أيضا وهي من عامر بن صعصعة ومن قوله فيها وهو مما يتغنى به:

لقد أرسلت خرقاء نحوى جديها لتجعلنى خرقاء فيمن أضلت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

وكان ذو الرمة كثير الاخذ من غيره وقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء أمثلة كثيرة من ذلك . وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبى بردة ابن أبى موسي الاشعرى وكان له ثلاثة أخوة كلهم شعراء وكان مدور الوجه حسن الشعر جعده أقنى أزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوهاً اذا كلمك كلمك أبلغ الناس يضع لسانه حيث يشاء . وهو من اصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

ويمتاز فى شعره أنه احسن شعراء عصره تشبيها كما كان امرؤ القيس احسن

شعراء الجاهلية في ذلك . ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجيا فكان مع الفرزدق على جرير . وأخباره كثيرة فى الاغانى ١١٠ ج ١٦ والشعر والشعراء ٣٣٣ وابن خلكان ٤٠٤ ج ١ ومصارع العشاق ٧٨ والجمهرة ١٧٧ وخزانة الادب ٥١ ج ١ وله ديوان خطى في دار الكتب المصرية ومثله في مكاتب لندن وليدن

٨ ـ يزيد بن الطثرية

توفي سنه ١٢٦ ﻫ

اسمه يزيد بن الصمة من قشير من عامر ويكنى أبا مكشوح وكان حسن الوجه والشعر حلو الحديث غزلا آخذا بقلوب النساء وكان الغزل في القشيريين نادراً ولهم فى ذلك حادثة مع جرم ذكرها صاحب الاغانى لا بأس من مطالعتها (١١١ ج ٧) انتهت بتعلق يزيد بامرأة من جرم يقال لها وحشية واشتد وجده بها حتى اشرف على الموت ونظم فيها الشعر ومن قوله فيها :

بنفسى من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاء أناملة
ومن هابنى في كل أمر وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

وكتب اليها هذين البيتين :

احبك اطراف النهار بشاشة وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
لئن أصبحت ريح المودة بيننا شمالا لقدماً كنت وهي جنوب

فأجابته بقولها :

احبك حب اليأس ان نفع الحيا وان لم يكن لى من هواك طبيب

وقد قاسى في حبها كما قاسى غيره من العشاق والمتيمين ونظم فيها كثيرا ومن قوله:

هبيني امرءا إما بريئا ظلمته واما مسيئاً تاب منه وأعتبا
وكنت كذي داء تبغى لدائه طبيباً فلما لم يجده تطببا

ولابن الطثرية أخبار كثيرة في الاغانى ١١٠ ج ٧ وفي ابن خلكان ٢٩٩ ج ٢ وفي الشعر والشعراء ٢٥٥

سائر الشعراء العشاق

ومن الشعراء العشاق طائفة حسنة يضيق المكان عن تراجمهم فنكتفى بالاشارة الى المآخذ وهم :

٩ الابيرد الرياحي : من تميم كان يهوى امرأة ولم يفد على الخلفاء . أخباره فى الاغاني ١٠ ج ١٢

١٠ ابن رهيمة : شاعر مشبب أيام عبد الملك . اخباره في الاغانى ١١٨ ج ٤

١١ توبة بن الحمير : من عامر بن صعصعة وصاحب ليلى الاخيلية . أخباره في الاغانى ٦٧ ج١٠ وفوات الوفيات ٩٥ ج ١ والشعر والشعراء٢٦٩ وسيأتى ذكره مع ليلي الاخيلية

١٢ مرة بن عبد الله النهدى : من قضاعة شاعر بدوي . أخباره في الاغانى ٦١ ج ٢٠

١٣ مزاحم العقيلى : من هوازن شاعر بدوي صاحب قصيد ورجز عاصر الفرزدق أحب امرأة تزوجها غيره فتفتقت قريحته . أخباره في الاغاني ١٥٠ ج ١٧ وخزانة الادب ٤٥ ج ٣

١٤ مسعدة بن البخترى : من أقرباء المهلب بالعراق . أخباره في الاغانى ٧٧ ج ١٢

١٥ النميرى : من ثقيف[1] وأخباره فى الاغاني ٢٤ ج ٦

١٦ وضاح اليمن : شبب بامرأة الوليد فقتله . وأخباره في الاغانى ٣٢ ج ٦ وفوات الوفيات ٢٥٣ ج ١

١٧ عبد الله بن علقمة : من زرارة . أخباره في مصارع العشاق

١٨ حميد بن ثور الهلالى : أخباره في الاغانى ٩٨ ج ٤ والشعر والشعراء ٢٣٠

الشعراء الخلعاء والسكيرون

قد رأيت الخلاعة والسكر في بعض من تقدم ذكرهم من الشعراء وانما نعنى بهذه الطبقة الشعراء الذين غلب عليهم السكر والتهتك والمجون أشهرهم :

١ ـ الاقيشر الاسدى

هو المغيرة بن عبد الله من بني أسد من مضر وكان أحمر الوجه أقشر فسمي الاقيشر ويكنى أبا معرض كان كوفياً خليعاً ماجناً مدمناً شرب الخمر ومن شعره :

فان أبا معرض اذ حسا من الراح كأساً على المنبر
خطيب لبيب أبو معرض فان ليم في الخمر لم يصبر
أحل الحرام أبو معرض فصار خليعاً على المكبر

وكان شديد الهجو قبيحه ، ومن لطائفه أنه شرب مرة في الحيرة في بيت فيه

(١) له ديوان منه نسخة خطية في مكتبة أياصوفيا بالاستانة

خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم رجل مغن مطرب فطرب الاقيشر فسقاهم من شرابه . فلما انتشوا وثب الاعمى يسعى في حوائجهم وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد في ذلك كل جهده . فقال الاقيشر :

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثاً فأبصرا
شراباً كريح العنبر الورد ريحه ومسحوق هندى من المسك أذفرا

وترى أخباره في الاغانى ٨٤ ج ١٠ وفى الشعر والشعراء ٣٥٢

٢ - الحزين الكنانى

هو عمرو بن عبيد بن وهيب من كنانة وقيل انه مولى . وهو حجازى مطبوع ليس من فحول طبقته . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس ذرب اللسان لم يخدم الخلفاء ولا انتجع بمدح . وكان أشعر ذا بطين عظيم الانف على أنه مدح بعض آل مروان غير الخلفاء . ومن ذلك قصيدة رنانة قالها في عبد العزيز بن مروان . منها :

قالوا دمشق ينبيك الخبير بها ثم ائت مصر فثم النائل العمم
لما وقفت عليها في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم
في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع في عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

وترى أخباره في الاغاني ٧٦ ج ١٤ و٥٢ ج ١١

ومن الشعراء الخلعاء جماعة نكتفى بذكر ما آخذ تراجمهم :

٣ - بكر بن خارجة : مولى بني أسد سكير ماجن سكن الحيرة (الاغانى ٨٧ ج ٢٠)

٤ - الشمردل بن شريك : من يربوع كان مغرماً بالشراب واللهو كثير الهجو أخباره في الاغانى ١١٧ ج ١٢ والشعر والشعراء ٤٤٣

٥ - الوليد بن يزيد الخليفة : أول من وصف الخمر (الاغاني ١٠١ ج ٦ و ٩٨ ج ٣ والعقد الفريد ٢٦٨ ج ٢ وخزانة الادب ٣٢٨ ج ١)

الشعراء المغنون

لم يكن في شعراء الجاهلية من المغنين الا الاعشى وعلس ولكن اقتراب الامويين من الحضارة وتزايد العلائق بين الحجاز والشام والعراق أولدت الموسيقى

ونبغ كثيرون من المغنين أكثرهم في المدينة أشهرهم :

١ ـ حنين الحيرى . شاعر نصراني كان يغنى أيام هشام . أخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٢

٢ ـ سعيد الدارمى : (تميم) شاعر ظريف من أهل مكة أيام عمر بن عبد العزيز أخباره فى الاغانى ١٧٨ ج ٢

٣ ـ عبادل : مولى قريش فى الحجاز لم يفارقها كان نبيلا محترماً وكان يغني . أخباره في الاغانى ١٧٥ ج ٥

٤ ـ محمد بن الاشعث : من قريش كان كاتباً من فتيان أهل الكوفة ظريفاً ينظم ويغنى أحب سلامة الزرقاء ونظم فيها وأخباره في الاغاني ١٢٧ ج ١٣

٥ ـ نصيب : مولى عبد العزيز بن مروان شاعر اشتهر بالغناء واخباره في الاغانى ١٢٩ ج ١ والشعر والشعراء ٢٤٢

٦ ـ ابن عائشة : من موالى المطلب كان يغنى للوليد بن يزيد واخباره في الاغانى ٦٢ ج ٢

الشعراء الادباء

نريد بهذه الطبقة من الشعراء من لم نستطع ادخالهم في احدى الطبقات المتقدم ذكرها فلا هم من شعراء السياسة ولا العشاق ولا السكر ولا الغناء وهم بضعة وعشرون شاعراً يطول بنا ذكر تراجمهم وخصوصاً بعد ان طال بنا الكلام في شعراء هذا العصر فنكتفى بترجمة اثنين منهم مع الاشارة الى المآخذ التى يرجع اليها من أراد التوسع في الباقين

١ ـ القطامى

هو عمير بن شييم من بني تغلب وكان نصرانياً عاصر الاخطل وله شعر من الطبقة الاولى فى التشبيب والحماسة والفخر . أما في التشبيب فقوله :

وفي الخدور غمامات برقن لنا حتى تصيدننا من كل مصطاد
يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه باد
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابى واسماء بن خارجة الفزاري . وكان زفر قد أسره ثم أطلقه ووهب له مائة ناقة فقال وفيه من كبر النفس ما فيه :

من مبلغ زفر القيسى مدحته عن القطامى قولا غير افناد

انى وان كان قومي ليس بينهم وبين قومك الا ضربة الهادى
مثن عليك بما أوليت من حسن وقد تعرض منى مقتل باد
فان قدرت على يوم جزيت به والله يجعل أقواماً بمرصاد

وله هجاء شديد نحا فيه نحواً خاصاً يدل على تفننه كقوله يريد هجاء قيس بالبخل من قصيدة استهلها انه مسافر ونزل ضيفاً على امرأة من قيس وانها ارتاعت لما علمت انه ضيف سينزل عليها ووصف ما جرى بينهما على أسلوب جميل . وهو القائل :

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومن قوله في الفخر يصف حرباً مع كلب :

وكلب تركنا جمعهم بين هارب حذار المنايا أو قتيل مجدل
وافلتنا لما التقينا بعاقد على سابح عند الجراء ابن بجدل
واقسم لو لاقيته لعلوته بأبيض قطاع الضريبة مفصل

وهو من أصحاب المشوبات ومطلع مشوبته :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وان بليت وان طالت بك الطول

وتجد أخبار القطامى في الاغاني ١١٨ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٤٥٣ والجمهرة ١٥١ وله ديوان طبع في ليدن سنة ٩٠٢ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وفي مكتبة برلين

٢ ـ ليلى الاخيلية وتوبة بن الحمير

توفيت ليلى سنة ٨٠ هـ

هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال من بنى الاخيل من عامر . وهي من النساء المتقدمات في الشعر وكان توبة بن الحمير يهواها وهو من بنى عقيل من عامر أيضاً فعشقها وقال فيها الشعر فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه اياها وزوجها في بني الادلع . فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها فاذا هي سافرة ولم ير منها الا بشاشة فعلم ان ذلك لامر ما كان . فرجع الى راحلته فركبها ومضى . وبلغ بني الادلع انه أتاها فتبعوه ففاتهم . فقال توبة في ذلك :

نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

وهى طويلة يقول فيها :

وكنت اذا ما شئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

ويحكى ان توبة رحل الى الشام فمر ببني عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه فشق ذلك على جميل فطلبه للمصارعة كما يفعل الافرنج اليوم في الطالب للمبارزة في مثل هذه الحال فتصارعا وبثينة حاضرة فغلبه جميل فقال توبة : « انما صرعتنى بريح هذه . انزل بنا الوادى » فنزلا فغلبه توبة . ومن لطيف شعره في ليلي قوله :

ولو أن ليلي الاخيلية سلمت علي ودونى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقى اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو أن ليلى في السماء لاصعدت بطرفي الى ليلى العيون اللوامح

وكان توبة كثير الغارات فقتل في احدى غاراته في حديث طويل ذكره صاحب الاغاني . وكانت ليلى تفد على الحجاج فتمدحه وتنال جوائزه . وأراد الحجاج أن يداعبها فقال لها : «ان شبابك قد ذهب واضمحل امرك وامر توبة فأقسم عليك ألا صدقتني هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك ؟ » فقالت : « لا والله ايها الامير الا انه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت انه قد خضع فيها لبعض الامر فقلت له :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وانت لاخرى فارغ وخليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا » قال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك قالت وجه صاحباً له الى حاضرنا فقال : « اذا اتيت الحاضر من بنى عبادة ابن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل ابيتن ليلة من الدهر لا يسرى الى خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له :

وعنه عفى ربى واحسن حفظه عزيز علينا حاجة لا ينالها »

ومن شعرها قولها فى مدح الحجاج :

احجاج لا يفلل سلاحك انما المنايا بكف الله حيث تراها
اذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام اذا هز القناة سقاها

واخبار ليلي وتوبة في الاغانى ٦٧ حـ ١٠ و ١٣٢ جـ ٤ و ١٦١ جـ ٧ والشعر والشعراء ٢٧١ فوات الوفيات ١٤١ ج ٢ والمستطرف ٣٤ جـ ١

سائر شعراء الدور الثاني

وهاك اسماء من بقى من شعراء الدور الثاني

٣ ـ أرطاة بن سهية : من ذبيان شاعر فصيح شريف صادق جواد واخباره في الاغانى ١٣٩ جـ ١١ والشعر والشعراء ٣٣٢

٤ ـ اعشى تغلب : نصرانى يسكن الشام اذا حضر وينزل بلاد قومه بنواحي الموصل اذا بدا وأخباره في الاغاني ٩٨ جـ ١٠

٥ ـ الجحاف السلمى : من سليم ولد بالبصرة وحضر معركة فيها ابن الاخطل فهرب الجحاف الى بلاد الروم ثم عاد وعفا عنه عبد الملك واخباره فى الاغانى ٥٧ جـ ١١

٦ ـ جعفر بن الزبير : شاعر مقل . أخباره فى الاغانى ١٠٤ جـ ١٣

٧ ـ جحية بن المضرب : (كندة) شاعر أموى وأخباره في الاغانى ٩ جـ ٢١

٨ ـ سراقة بن مرداس البارقي :(١) أخباره في الاغانى ٤٤ و٦٧ جـ ٧ و٣١ جـ ٨

٩ ـ سويد بن كراع : من عكل شاعر فارس . أخباره في الاغاني ١٢٧ جـ ١١

١٠ ـ عبد الله بن أبى معقل : من الخزرج حجازى أخباره فى الاغاني ١١٦ جـ ٢٠

١١ ـ عبد الله بن الحشرج الجعدي : سيد من سادات قيس ولى الولايات ومدحه زياد الاعجم . ترجمته فى الاغاني ١٥١ جـ ١٠

١٢ ـ العجاج الراجز (٢) : اخباره في الشعر والشعراء ٣٧٤ والاغاني ١٢٤ جـ ١٨

١٣ ـ عروة بن إذينة : من كنانة أخباره فى الاغانى ١٠٥ جـ ٢١ وابن خلكان ٢١٢ جـ ١ والشعر والشعراء ٣٦٧

١٤ ـ عقل بن علقه : من ذبيان شاعر مقل جاف سديد الهوج والعجرفة والبذخ من بيت شرف في قومه أخباره في الاغانى ٨٥ جـ ١١ و ٩٩ جـ ٢

١٥ ـ ليلى بنت طريف الشيبانى : رأس الخوارج أخبارها فى الاغانى ٩ جـ ١١

١٦ ـ مالك بن اسماء بن خارجة : من فزارة تولى اصبهان تحت امرة الحجاج واخباره في الاغاني ٤١ جـ ١٦ والشعر والشعراء ٤٩٢

١٧ ـ مالك ابن الريب : من مازن نشأ في بادية البصرة وهو من اصحاب المراثي وأخباه في الاغاني ١٦٣ جـ ١٩ والشعر والشعراء ٢٠٥

١٨ ـ محمد بن بشير الخارجي : من قيس شاعر حجازى من أهل المدينة كان منقطعاً الى أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى . قدم البصرة وخطب امرأة اشترطت عليه الاقامة بها وأخباره في الاغانى ١٤٨ جـ ١٤

---

(١) له ديوان منه نسخة في دار الكتب المصرية

(٢) له ديوان مشروح في دار الكتب المصرية وفيها كتاب خطي اسمه رجز العجاج

١٩ ـ مرة بن محكان السعدى : من تميم عاصر الفرزدق وجريراً واخملا ذكره كان شريفاً جواداً . أخباره في الاغانى ٩ جـ ٢٠ والشعر والشعراء ٤٣١

٢٠ ـ المقنع الكندى : شاعر جميل الخلقة شريف . أخباره فى الاغانى ١٥٧ جزء ١٥

٢١ ـ المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي : أخباره في الاغانى ١١ جـ ١٥

٢٢ ـ يعلى الاحول : من القحطانية لص كان يقطع السابلة . أخباره في الاغانى ١١١ جـ ١٩

لدور الثالث من الشعر

في العصر الاموى

من ١٠١ ـ ١٣٢ هـ

ويدخل فيه الشعراء الذين قضوا معظم حياتهم فى أواخر الدولة الاموية وهو دور انحطاطها وفسادها بعد ان تولاها يزيد بن الوليد وابنه الوليد بن يزيد والناس على دين ملوكهم . فاكثر شعراء هذا الدور أميل الى التملق والخلاعة والتهتك والقصف من سائر العصر الاموى أشهرهم يزيد بن الطثرية وابن ميادة وقد ذكرناهما بين الشعراء العشاق

وهاك سائر شعراء الدور الثالث من العصر الاموي مرتبة على الابجدية وبجانب كل منهم المكان الذي يرجع اليه في مطالعة أخباره :

١ ـ أبو حية النميرى : من عامر مدح الخلفاء في الدولتين وكان ساكناً فى البصرة وكان جباناً أهوج بخيلا . أخباره في الاغانى ٦٤ جـ ١٥ والشعر والشعراء ٤٨٦

٢ ـ أبو العطاء السندى : عاصر الدولتين . أخباره في الاغاني ٨١ جـ ١٦ والشعر والشعراء ٤٨٢

٣ ـ أبو نخيلة الراجز الحمانى : (تميم) نفاه أبوه فخرج الى الشام ثم اتصل بالعباسيين ولقى المنصور وأخباره فى الاغانى ١٣٩ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٨١

٤ ـ جعفر بن علبة الحارثي : (كهلان) شاعر غزل وفارس وأخباره في الاغاني ١٤٦ ج ١١ وخزانة الادب ٣٢٢ جـ ٤

٥ ـ حريث بن عناب : من طىء بدوى مقل لم يتصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء . أخباره في الاغانى ١٠٢ جـ ١٣

٦ ـ الحسين بن مطير : مولى بني أسد شاعر فصيح مدح الدولتين . أخباره في الاغانى ١١٤ جـ ١٤ وخزانة الادب ٤٨٥ جـ ٢

٧ ـ رؤبة بن العجاج الراجز : (١) أخباره في الاغانى ٥٠ جـ ٢١ والشعر والشعراء ٣٧٦

٨ ـ سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : مدح الوليد بن يزيد . أخباره فى الاغاني ١٦٤ جـ ٧

٩ ـ يزيد بن ضبة : مولى ثقيف كان يقيم في الطائف مدح الوليد بن يزيد . أخباره في الاغانى ١٤٦ جـ ٦

(١) له ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٩٠٣

خاتمة

أما وقد فرغنا من الكلام في الشعر والشعراء في العصر الاموي فقد رأينا أن نختم المقال ببضعة فصول تتعلق بالشعر والشعراء اتماماً للفائدة

كيف كان الشعراء يستحثون قرائحهم

مهما بلغ المرء من سمو المدارك وصفاء الذهن وسرعة البديهة فانه لا يستغنى احيانا عن شحذ قريحته أو ذهنه أو استحثاث خاطره وخصوصاً في الشعر اذ كثيراً ما تعرض على الشعراء فترة في خواطرهم لا يجدون معها قدرة على النظم. قال الفرزدق: « قد تمر عليّ الساعة وقلع ضرس من اضراسي أهون عليّ من عمل بيت من الشعر » ويرى آخرون أن الشعر مثل عين الماء ان تركتها اندفنت وان استهتنتها هتنت يريدون أنه لابد للشاعر من استحثاث قريحته من وقت الى آخر

وللشعراء طرق شتى في استحثاث قرائحهم تختلف باختلاف أمزجتهم وعاداتهم وطبائعهم. سئل ذو الرمة كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر فقال: « كيف ينقفل دونى وعندى مفاتيحه » قيل له وعنه سألناك ما هو قال: « الخلوة بذكر الاحباب » فهذا لانه عاشق. وسئل كثير عزة: « كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر » قال: « أطوف في الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل عليّ قرضه ويسرع الى احسنه »

وكان الاخطل يستحث قريحته بشرب الخمر. وكذلك كان يفعل كثيرون ممن كانوا يشربونها. وكانت طائفة من الشعراء تستحث شياطينها كما فعل الفرزدق وقد افحم عند سماع قصيدة حسان التى مطلعها:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقد أمهله قائلها ثلاثة أيام حتى يجيب عليها وكانت ساعة جمود على قريحته فاضطر إلى استحثانها قال: « أتيت منزلى فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فكأنى مفحم أو لم أقل شعراً قط حتى اذا نادى المنادى بالفجر فرحلت ناقتى ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ريانا وهو جبل بالمدينة ثم ناديت بأعلى صوتي أخاكم أخاكم أبا لبنى يعني شيطانه فجاش صدري كما يجيش المرجل ثم عقلت ناقتى وتوسدت ذراعها فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتاً » على أنه كانت عادته اذا خانته قريحته وصعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف خاليا منفرداً وحده في شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده

وكان الابيرد الرياحي اذا خانته القريحة أخذ عصاه وانحدر في الوادى وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر فتأتيه المعاني . وكان جرير يستحث قريحته بشرب النبيذ ويتمرغ بالرمل أو على الفراش ويهمهم ويحبو على الفراش عرياناً حتى يخاله الناظر اليه أصيب بجنة . وسئل نصيب مرة أتطلب القريض أحياناً فيعسر عليك فقال : « أى والله ربما فعلت فآمر براحاتي فيشد بها رحلى ثم أسير في الشعاب الخالية وأقف في الرباع المقوية فيطربني ذلك ويفتح لى الشعر »

ويقال نحو ذلك في أحوال الشعراء في سائر الاعصر . وكان أبو تمام اذا أعيته القريحة غطس في صهريج ماء عنده يمكث فيه ساعة

على أن لاستحثاث القريحة قواعد عامة يجرى عليها الكثيرون منها الجلوس بجانب الماء الجارى أو الاشراف من الاماكن العالية والنزوح الى الاماكن الخالية أو النجول في الرياض . وبعضهم يستنهض قواه العاقلة أو قريحته بالاستلقاء على الظهر ولعلهم مجمعون بالاكثر على مباكرة العمل بالاسحار عند الهبوب من النوم

شياطين الشعراء

كان العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطاناً يوحى اليه المعاني حتى لقد يتوهم الشاعر منهم أنه رأى شيطانه وخاطبه وأوحى اليه . ولهم في ذلك أخبار طويلة ذكر بعضها في جمهرة أشعار العرب (صفحة ١٨) وذلك مبنى على اعتقادهم بوجود الجن طوائف وينسبون اليها أشعاراً وأقوالا لا فائدة من ذكرها

ومن غريب اعتقادهم في شياطين الشعراء أن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه . ومن انفرد به الهوجل فسد شعره (١) وزاد ادعاؤهم ذلك حتى سموا شيطان كل شاعر باسم خاص به فكان شيطان الاعشى يسمى « مسحل » (٢)

وفى كتب الادب أخبار كثيرة تدل على ما يعتقدونه من الجن وشياطين الشعر من ذلك ان رسولا من عند بشر بن مروان جاء جريراً فدفع اليه كتاباً وقال له : « انه قد أمرنى ان أوصله اليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر فى يومك ان لقيتك نهاراً أو ليلتك ان لقيتك ليلا » وأخرج اليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره أن يجيب عنها . فأخذها ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه (قالوا) فهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت فقال له : « أزعمت انك تقول الشعر ماهو

(١) جمهرة أشعار العرب ٢٤ (٢) رسائل ابي العلاء ١٠٧

الا ان غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئاً فهلا قلت :

« يا بشر حق لوجهك التبشير هلا قضيت لنا وأنت أمير »

فقال له جرير : « حسبك كفيتك » وما زال حتى أتم القصيدة

وذكروا عن كثير عزة انه قال . ما قلت الشعر حتى قولته . قيل له وكيف ذلك قال : بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعير لى بالغميم أو بقاع حمدان اذا راكب قد دنا منى حتى صار الى جنبي فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الارض جراً فقال لى « قل الشعر » وألفاه على قلت « من أنت » قال «أنا قرينك من الجن » فقلت الشعر

الشعراء والقراءة

وكانت القراءة في صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس أهمهم حفظة القرآن ومن توخى المدنية فسكن المدن وغلبت عليه الحضارة . أما أهل البادية فيظهر أنهم ظل معولهم على الذاكرة وخصوصاً الشعراء فقد كانت طائفة من فحولهم لا يقرأون وخصوصاً في الجاهلية فأكثرهم كانوا أميين . أما في الاسلام بعد انتشار القراءة والكتابة فظل كثيرون من الشعراء لا يقرأون وخصوصاً أهل البادية فلعلهم كانوا يعولون على الرواة أو على الحفظ . ومن شعراء العصر الاموي الذين كانوا لا يقرأون الفرزدق وقد وقفنا حيناً عند ما تبين لنا انه لا يقرأ لعلمنا بمنزلته من الشاعرية وتقدمه بين رجال الدولة . وقد تبين لنا ذلك عرضاً فى سياق واقعة جرت له مع مروان بن الحكم — وذلك أنه قال شعراً أساء مروان بن الحكم وهو والى المدينة فدعاه اليه وتوعده وأجله ثلاثا وقال « أخرج عني » فانشد يقول الفرزدق :

دعانا ثم أجلنا ثلاثا كما وعدت لمهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عني اني أجبته فقلت :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينة انها محظورة والحق بمكة أو ببيت المقدس

فعزم على الشخوص الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار . فارتاب (الفرزدق) بكتاب مروان فجاء به اليه وقال :

مروان ان مطيتى معقولة ترجو الحباء وربها لم ييأس

آتيتني بصحيفة مختومة يخشي علىّ بها حباء النقرس

الق الصحيفة يافرزدق لاتكن نكداً كمثل صحيفة المتلمس

ورمى بها الى مروان فضحك وقال : « ويحك انك أمي لا تقرأ فاذهب بها الى من يقرأها ثم ردها حتى أختمها » فذهب بها فلما قرئت اذا بها جائزة فردها الى مروان فختمها وأمر له الحسين بن على بمائتى دينار (١)

فتبين لنا من ذلك انه لا يقرأ فاذا صح ذلك بالفرزدق فكيف بسواه ويقال ان ذا الرمة أيضاً كان لا يقرأ

الخطابة والخطباء

في العصر الاموى

ظلت الخطابة على جلالة قدرها في العصر الاموى لحاجة القوم الى استنهاض الهمم فى جمع الاحزاب أو تفريقها أو التحريض على النهوض لحرب ونحوها فكان أكثر القواد خطباء وفيهم جماعة من أبلغ رجال الخطابة . فالحجاج بن يوسف كان خطيباً بليغاً زادته الخطابة عظمة وسطوة — كان العراق متمرداً على عبد الملك فلما أعجزه أمره ولى الحجاج عليه فدخل الحجاج الكوفة وصعد المنبر متلثما متنكباً قوسه واضعاً ابهامه على فمه واحتقره الناس وكادوا يرمونه بالحصى كما كانوا يفعلون في الولاة قبله . فوقف وأزاح لثامه عن وجهه ولفظ خطبته التى قال في مطلعها :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفونى

الى ان قال :

« أما والله لا أحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله . أما والله انى لأرى رءوساً قد اينعت وحان قطافها وكانى أرى الدماء بين العمائم واللحى

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم

« ألا وان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان كب كنانته فعجم عيدانها فوجدنى أصلبها عوداً فوجهنى اليكم . فانكم أهل بغى وشقاق وخلاف ونفاق طالما سعيتم في الضلالة وسننتم سنن البغي . اما والله لالحونكم لحو العصا ولاعضبنكم عضب السلمة ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما اخاق الافريت ولا أعد الا وفيت . . . الخ » (٢)

فما فرغ من خطبته حتى هابوه واذعنوا له وكان شديداً عليهم وأمره مشهور ومع ذلك فقد كان اذا رقى المنبر وذكر احسانه الى اهل العراق وصفحه عنهم

(١) الاغانى ٤٣ ج ١٩ (٢) العقد الفريد ٧ ج ٣ وغيره

واساءتهم اليه يخيل للسامع انه صادق وان أهل العراق ظلموه (١) ولذلك كان الامراء والخلفاء يخافون الخطباء كما يخافون الشعراء لما في أقوالهم من التأثير في تلك النفوس الحساسة

وكان اكثر الخلفاء يخطبون لكنهم يتفاوتون في البلاغة وقوة العارضة على أن تلك القوة أخذت تضعف فيهم بعد الفراغ من الفتوح والانغماس في أسباب الترف والسكون الى الرخاء والبذخ وتحولت من الحماسة الى المواعظ ثم الى الشكاية وتداعى فن الخطابة بتداعى دولة العرب في الشرق . فلما قامت دولتهم فى الاندلس بعثوه وقربو الخطباء كما قربوا الشعراء لكنهم قلما كانوا يستخدمونهم لانهاض الهمم او اخماد الفتن لذهاب الحاجة الى ذلك بذهاب البداوة والفراغ من الفتح . على انهم كانوا إذا احتفلوا بتنصيب خليفة او بالنصر على عدو او باستقبال قادم كبير تقدمت الخطباء للترحيب به واعظام شأنه او شأن مقعده ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة (٢)

واما الامراء والقواد فكانوا يخطبون في الجند قبل الاغارة على العدو فيحرضونهم على الثبات . وكثيراً ما كانت الخطبة سبباً للنصر كخطبة خالد بن الوليد في وقعة اليرموك وخطبة المغيرة في وقعة القادسية وخطبة خليد بن المنذر في غزوة فارس وخطبة طارق بن زياد في فتح الاندلس ونحو ذلك مما لا تسعه المجلدات

ناهيك بشيوع الخطابة فى القبائل على اختلاف اصقاعها كما كانت في الجاهلية. وكانت ترد الوفود الى المدينة او دمشق او بغداد او غيرها من عواصم المسلمين لتهنئة الخليفة او استنفاره او استنجاده او استجدائه . وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم لشيوع حب الخطابة فيهم (٣) ولاقتباس اساليب البلاغة منهم

الانشاء فى العصر الاموى

كان الانشاء فى عصر الراشدين جامعاً مانعاً وفيه بلاغة وإيجاز كما تقدم وقد علمت أن الدولة الاموية عززت اللغة العربية وآدابها فكانت بلاغة القول في جملة ذلك . وكان الخلفاء والامراء ينشطون أهل الادب واكثر انشائهم في المراسلات بين الخليفة وعماله يتحدون بها مكانبات عصر الراشدين وقد ذكرنا أمثلة من ذلك فى مكانه

(١) البيان ٢٠ ج ١ (٢) نفح الطيب ١٧٥ (٣) العقد الفريد ٢٦٧ ج ٢

على أن اقتراب الدولة الاموية من الحضارة أثر في الانشاء ونوعه واطاله ونشأت طائفة من الكتاب (أي كتاب الرسائل) في الدولة فاصبحت الكتابة مهنة . وبعد أن كان الكاتب في زمن الراشدين يتولى ضبط حساب الديوان وكتب المراسلات أصبحت الكتابة في الدولة الاموية خمسة أصناف لكل منها كاتب خاص - ومنهم كاتب الرسائل المقصود من كلامنا هنا وقد يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة وكاتبه ومستودع أسراره . فكان الخلفاء يتخيرون لهذا المنصب ابلغ المنشئين . وكان للبلاغة نشأة في سياستهم كما كان للشعر لان القوم يومئذ لا يزالون في عهد الفروسية والاريحية تقيمهم البلاغة وتقعدهم

ومن أشهر كتابهم سالم كاتب هشام بن عبد الملك وقد نقل شيئاً من رسائل أرسطو الى الاسكندر وله رسائل في ١٠٠ ورقة (فهرست ١١٧) وكان للامراء كتاب ينشئون لهم الرسائل لم يصلنا من أخبارهم الا القليل . وكان الانشاء في اثناء ذلك يتنوع ويرتقى حسب الاحوال وعملا بناموس الارتقاء فلم تنقض الدولة الاموية حتى صار للانشاء فيها صفة معينة وطريقة مخصوصة وضعها أو اتمها عبد الحميد ابن يحيى كاتب مروان بن محمد وصار له أسلوب خاص نسب اليه وتحداه الكتاب فيه

عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن مولى من أهل الشام أي أهل البلاد الاصليين الذين دخلوا فى الاسلام فهو ليس عربياً . وكان المثل يضرب ببلاغة انشائه في الرسائل فيقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان في أول أمره معلم صبية يتنقل في البلدان ثم ارتقى حتى صار كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين ومات معه سنة ١٣٢ هـ . ويمتاز عبد الحميد بانه أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وقلدوه فيه وله رسائل بليغة ذكر ابن النديم انها تجتمع في ألف ورقة لم يصل الينا منها الا القليل

وفي دار الكتب رسالة خطية تنسب لعبد الحميد المذكور

الخلاصة

ان الامويين نشطوا الآداب الجاهلية ولا سيما الشعر والخطابة فارتقت في

أيامهم وراجت سوق الادب بالبصرة والكوفة وكثر الشعراء ونظموا في كل باب ولم يصلنا كل ما نظموه

وفيه بدأ تكوّن الفقه والتفسير والنحو وضبط الخط وبدأوا بالاعجام والحركات وفيه رسخت اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين اليها . وفيه بدأوا بنقل العلوم الطبيعية

أما ما خلا الشعر والخطابة فلم يصلنا من ثمار قرائح أهل العصر الاموي كتاب في علم من العلوم . وأهم ما بين أيدينا من المؤلفات الشرعية أو اللسانية أو الادبية أو في التاريخ والجغرافيا أو في أى علم من العلوم انما هو من ثمار العصر العباسى الآتي ذكره . أما التفسير الذى ينسبونه الى عبد الله بن عباس فقد تقدمت الاشارة اليه

حتى الشعر الاموى فانه لم يصلنا إلا على أيدي الرواة من أهل العصر العباسي

﴿ تم الجزء الاول ﴾

فهرست الجزء الاول

من تاريخ آداب اللغة العربية

	صفحة
المقدمة	٣
مقدمات تمهيدية	
ما هو المراد بآداب اللغة	٩
أسبق الامم الى العلم	١٠
مصادر آداب اللغة	١٤
آداب اللغة اليونانية	١٦
« « العربية وأقسامها	١٨
آداب اللغة قبل الاسلام	
الجاهلية الاولى	٢١
تأثير الحموراييين في الشرائع	٢٣
الجاهلية الثانية	٢٥
الفرق بين لغة الجاهليتين	٢٥
درجة ارتقاء عقول العرب	٢٧
المرأة في الجاهلية	٣٠
أقسام آداب العرب قبل الاسلام	٣٣
اللغة العربية	
تاريخها	٣٤
ما دخلها من الالفاظ الاعجمية	٣٦
كيف كانت اللغة لما جاء الاسلام	٣٨
البلاد التي كان أهلها يتكلمون العربية	٣٩
فروع اللغة العربية	٤٠
مميزات اللغة العربية	
الاعراب	٤٢
دقة التعبير	٤٣
الاعجاز والايجاز	٤٤
المترادفات والاضداد	٤٥
المعاني الكثيرة للفظ الواحد	٤٥
السجع وغيره من أسباب سعة اللغة	٤٥
حكاية الاصوات	٤٦
الامثال	٤٦
كتب الامثال	٤٧
الشعر في العصر الجاهلي	
ما هو الشعر	٤٨
أنواع الشعر	٥٠
هل عند العرب شعر تمثيلي	٥٢
كيف بدأ العرب ينظمون الشعر	٥٣
أصل وزن الشعر	٥٦
شاعرية العرب	٥٧
نهضة الشعر بالجاهلية وأسبابها	
استقلال عرب الحجاز	٥٨
حروبهم فيما بينهم	٦٠

	صفحة
نهضة قريش	٦٠
اقدم الشعراء	٦١
تنقل الشعر في الاقاليم	٦١
« « « القبائل	٦٢
عدد الشعراء بالنظر إلى القبائل	٦٣
كثرة الشعر وتعدد الشعراء	٦٤
طبقات الشعراء في الجاهلية	٦٧
تقسيمهم حسب طبقاتهم	٦٩
خصائص الشعر الجاهلي	
تمثيل الطبيعة	٧٢
البلاغة في التركيب	٧٦
مذاهبهم وأساليبهم	٧٧
ابواب الشعر عندهم	٧٩
التمثل بحيواناتهم	٨٠
المفاخرة والمعاظلة والمقارعة	٨٠
الانفة والعفة	٨١
لا يستجدون	٨٢
منزلة الشاعر في الجاهلية	٨٢
تأثير الشعر في نفوس العرب	٨٣
أشعر شعراء الجاهلية	٨٥
رواة الشعر	٨٦
شعراء الجاهلية من حيث اغراضهم	٨٧
لكل طبقة مزية	٨٨
أصحاب المعلقات	
المعلقات	٩٠
امرؤ القيس بن حجر	٩٢
زهير بن أبي سلمى	٩٦
النابغة الذبياني	٩٨
اعشى قيس	١٠١
لبيد بن ربيعة	١٠٢
عمرو بن كلثوم	١٠٤
الحارث بن حلزة	١٠٦
طرفة بن العبد	١٠٧
عنترة العبسي	١٠٨
عبيد بن الابرص الاسدي	١١١
الشعراء الامراء	
الافوه الاودي	١١٤
المهلهل بن ربيعة	١١٤
عبد يغوث	١١٦
زهير بن جناب	١١٦
عامر بن الطفيل	١١٧
ابو قيس بن الاسلت	١١٨
الحصين بن حمام وقيس بن عاصم	١١٨
الشعراء الفرسان	
ابو محجن الثقفي	١١٩
الاغلب العجلي	١٢٠
حاتم الطائي	١٢٠
زيد الخيل	١٢٢
سلامة بن جندل	١٢٣
علقمة الفحل	١٢٣
عمرو بن معدي كرب	١٢٤

	صفحة
قيس بن الخطيم	١٢٤
سائر الشعراء الفرسان	١٢٥
الشعراء الحكماء	
أمية بن ابي الصلت	١٢٦
ورقة بن نوفل	١٢٨
زيد بن عمرو	١٢٨
قس بن ساعدة	١٢٩
الشعراء العشاق	
المرقش الاكبر	١٣٠
عبد الله بن العجلان	١٣٢
عروة بن حزام	١٣٢
مالك بن الصمصامة	١٣٣
مسافر بن عمرو	١٣٣
الشعراء الصعاليك	
الشنفرى	١٣٤
تأبط شراً	١٣٤
السليك بن السلكة	١٣٥
عروة بن الورد	١٣٥
الشعراء اليهود	
السموأل	١٣٧
الشعراء المغنون	١٣٧
النساء الشواعر	
الخنساء	١٣٨
خرنق بنت بدر بن هفان	١٣٨
ليلى العفيفة	١٣٩
جليلة بنت مرة	١٣٩
الشعراء الهجاءون	
الحطيئة	١٣٩
حسان بن ثابت	١٤٢
عبد الرحمن بن الحكم	١٤٣
عبد الله بن الزبعرى	١٤٤
كعب بن الاشرف	١٤٤
الشعراء الوصافون للخيل	
ابو دؤاد الايادي	١٤٤
الطفيل الغنوي	١٤٥
النابغة الجعدى	١٤٥
الشماخ بن ضرار	١٤٦
الشعراء الموالى	
عبد بني الحسحاس	١٤٦
سائر الشعراء الجاهليين	
ابن الدمينة	١٤٧
اوس بن حجر	١٤٨
المتلمس	١٤٩
المثقب العبدي	١٥٠
المتنخل اليشكرى	١٥٠

	صفحة
كعب بن زهير	١٥١
معن بن اوس	١٥١
الباقى من هذه الطبقة	١٥٢
مآخذ شعراء الجاهلية	١٥٤
الخطابة في الجاهلية	١٥٦
الانساب في الجاهلية	١٥٩
الاخبار أو التاريخ في الجاهلية	١٦٠
اسواق العرب ومجالس الادب	١٦٠
العلوم الطبيعية في الجاهلية	
الطب	١٦٣
البيطرة والخيل	١٦٦
الانواء ومهاب الرياح	١٦٧
العلوم الرياضية	
الفلك والنجوم	١٦٩
الميثولوجيا	١٧١
التوقيت	١٧٢
ما وراء الطبيعة	
الكهانة والعرافة	١٧٣
القيافة وغيرها	١٧٦
عصر الراشدين	
التغيير الذي أحدثه الاسلام	١٧٧
اجتماع كلمة القبائل	١٧٧
انتشار العرب والقرآن في الارض	١٧٧
تأثير ذلك فى آداب اللغة	١٧٨
الخطابة في عصر الراشدين	١٧٩
الشعر في عصر الراشدين	١٨١
الشعر والنبى	١٨١
الشعر والخلفاء الراشدون	١٨٣
اللغة في عصر الراشدين	١٨٤
العلوم الحادثة في عصر الراشدين	
جمع القرآن	١٨٦
الخط العربي وتاريخه	١٨٨
العصر الاموى	
مميزات العصر الاموي	
التفريق بين القبائل	١٩٢
حال الشرق عند الفتح الاسلامى	١٩٥
اقسام آداب اللغة في العصر الاموى	١٩٨
العلوم الشرعية	
البصرة والكوفة	١٩٩
قراءة القرآن	٢٠٢
التفسير	٢٠٥
الحديث	٢٠٦
الفقه	٢٠٧
العلوم اللسانية	
النحو	٢٠٩
الحركات	٢١١
الاعجام	٢١٤
التاريخ والجغرافية	٢١٥
العلوم الدخيلة	٢١٧
اللغة	٢١٩

صفحة

الشعر في العصر الاموى

أسباب رواجه

انقسام القبائل بالعصبية ٢٢٠
سخاء بنى أمية ٢٢٠
رغبة بني أمية في الشعر ٢٢١
الحركة الادبية فى البصرة والكوفة ٢٢٣

مميزات الشعر فى العصر الاموى

خلوه من وحشي الكلام ٢٢٤
كثرة التشبيب ٢٢٤
المهاجاة بين الشعراء ٢٢٧
نبوغ الموالى ٢٢٩
الشعر السياسي ٢٢٩
وصف الخمر ٢٣٠

الشعراء في العصر الاموى

شعراء هذا العصر بالنظر الى قبائلهم ٢٣١
« « « « أغراضهم ٢٣٢

الدور الاول من العصر الاول

أنصار على

النعمان بن بشير ٢٣٤
ابن مفرغ ٢٣٤
أبو الاسود الدئلى ٢٣٥

انصار معاوية

مسكين الدارمى ٢٣٦

صفحة

سائر شعراء الدور الأول ٢٣٧

الدور الثاني من العصر الاموي

فحول شعراء هذا العصر

الاخطل ٢٣٨
جرير ٢٤٢
الفرزدق ٢٤٥
الراعي ٢٤٨
أبو النجم الراجز ٢٤٨

شعراء السياسة

في الدور الثاني من العصر الاموي

انصار بني امية

أبو العباس الاعمى ٢٥٠
اعشى ربيعة ٢٥٢
نابغة بني شيبان ٢٥٣
عدي بن الرقاع ٢٥٣
أبو صخر الهذلى ٢٥٤
عبد الله بن الزبير الاسدى ٢٥٤
أبو قطيفة ٢٥٥
سائر أنصار بنى أمية ٢٥٦

انصار آل المهلب

زياد الاعجم ٢٥٧
ثابت قطنة ٢٥٨
حمزة بن بيض ٢٥٩

VS. 142 m1

كتاب

تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته
من العلوم والآداب على اختلاف مواضيعها . وتراجم العلماء
والادباء والشعراء وسائر أرباب القرائح . ووصف
مؤلفاتهم وأماكن وجودها أو طبعها
من أقدم أزمنة التاريخ
الى الآن

تأليف

جرجي زيدان

منشيء الهلال

الجزء الثاني

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من
قيام الدولة العباسية سنه ١٣٢ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ
ويدخل فيه تكوُّن العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج
العلم في أواسط القرن الخامس للهجرة

مطبعة الهلال

سنة ١٩٣٠

المقدمة

تمهيد في شروط التأليف

من تصدى للكتابة أو التأليف فقد جعل نفسه خادماً للمصلحة العامة . الا من يحصر كتابته في شؤون خصوصية أو يعالج علماً يلذّ له ولا يهمه سواه . أو يتعاطى الكتابة لاغراض معينة . أو يكون مرماه من التأليف بيان قدرته على الانشاء والغوص على المعاني العويصة والألفاظ الغريبة بتقليد الأساليب القديمة التماساً لاعجاب العلماء مما يشق فهمه على جمهور القراء ـ فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لانفسهم أو لطبقة خاصة لغرض خاص ولهم منزلة وفضل ولكن في غير الخدمة العامة . واذا لم يصادفوا إقبالاً من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه بالاعراض والتقاعد عن الكتابة ـ مع أنه لم يشعر بوجودهم لانهم لم يخاطبوه بلسانه

وأما الكاتب العمومي فانه خادم الامة وولي ارشادها . وعليه ان يبذل الجهد في سبيل مصلحتها . ولا بدّ له في تأليفه من ثلاثة شروط : الاول اختيار الموضوع الذي يرى الامة في حاجة اليه . والثاني أن يسبكه في قالب يسهل تناوله . والثالث ان يتوخى صدق اللهجة والصراحة بلا انحياز الى طائفة أو حزب . والكتّاب يتفاوتون قدرة على القيام بأحد هذه الشروط أو كلها بتفاوت أحكامهم على النافع أو الضار من المواضيع وتباين قدرتهم على ايضاح أفكارهم. ويصعب ذلك على الخصوص في المواضيع الادبية كالتاريخ والاجتماع والاخلاق ونحوها ـ بخلاف المواضيع الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصري

أما الابحاث الادبية فانها تفتقر في تأديتها الى أعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها في عبارة سهلة سالمة من الركاكة والتعقيد . وهذا في نظرنا هو الاسلوب العصري الذي يجب على كل كاتب ان يتحداه ـ وهو شائع اليوم على اقلام الكتاب لا يشذ عنه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة وقفاً لا يحلّ بيعه أو التصرف فيه وفاتهم أنها من قبل الاحياء الخاضعة لناموس الارتقاء تتغير بتغير أحوال الاجتماع

من البداوة أو الحضارة . فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة والتراكيب العصرية للافكار العصرية. وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها. كالاعضاء المهملة في الجسم الحي تقضي الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . أو هي كالحويصلات التي تدثر بالعمل الحيوي فتخلفها الحويصلات الجديدة النامية . فالتغيير الذي يصيب الالفاظ والاساليب باختلاف الاعصر دليل على حياة اللغة. ومن حاول الوقوف في سبيل هذا التغيير فقد عارض الطبيعة ـ كما يفعل الصينيون بحبس اقدام بناتهم في قوالب الحديد لتبقى صغيرة . فهم لا يوقفون النمو لكنهم يشوشون عمله فتنمو الاقدام مشوهة . وهكذا الوقوف في سبيل اللغة فانه لا يوقف نموها لكنه يشوش عمله

صدق اللهجة

أما صدق اللهجة والصراحة في القول والخلو من الغرض فهي من أهم واجبات الكاتب لكنها من أصعب الشروط عليه اذ لا يسهل على الانسان ان يجرد نفسه من الروابط الدينية أو الاجتماعية التي تتجاذبه وقد رضعها مع اللبن وتمكنت من خاطره بتوالي الاعوام . وانما يقوى على مغالبتها قويُّ الارادة عالي التربية . وقد يتطرف المتعصب لأمته أو طائفته حتى لا يرى الحسنات الا فيها ولا يرى في سواها غير السيئات ولذلك فهو لا يفيد في الخدمة العامة . وقد يضرُّ

أما المواضيع ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه أو ضره باختلاف حال الامة وباختلاف نسق الكاتب في تبويبه وأسلوبه في تأديته . وفي مقدار ما يضمن كتابه من الحقائق أو المواد . لان من الكتاب من يصرف همه الى رشاقة العبارة وتزويقها وتنميقها ولو جرَّ ذلك الى تبديد المعنى أو غموضه . ومنهم من يوجه اهتمامه الى الحقائق التي يستطيع جمعها في كتابه بلا تكلف أو تأنق ويحافظ على سلامة المعنى قبل كل شيء ـ هذه هي الخطة التي نبذل جهدنا في تحديها في ما نكتبه . لاننا نرى الامة في حاجة الى الحقائق أكثر مما الى الالفاظ . وهذا ما توخيناه على الخصوص في هذا الكتاب لاتساعه وتشعب مواضيعه وتعدد جزئياته . ولاننا نعلق أهمية كبرى بالنظر الى حاجة الناشئة العربية اليه

ما هو تاريخ آداب اللغة

واختلف الكتاب في مباحث تاريخ آداب اللغة فبعضهم يقتصر منها على تاريخ الادب بمعناه الخاص دون سائر العلوم. أو بمعناه العام لكنه لا يتجاوز النظر في تاريخه مع اعتبار مجرى التاريخ العام عليه أو بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفي بعضهم من

تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وأمثلة من أقوالهم بدون التعرض لكتبهم أو يجعل همه وصف الكتب التي ظهرت في كل علم دون التراجم وأطوار العلم . ومنهم من يكتفي باطراء أصحاب هذه اللغة وما بلغوا اليه من الرقي في معالجة المواضيع الهامة بالقياس على الامم الاخرى . أما نحن فقد أردنا ان نجمع بين ذلك كله على ما يبلغ اليه الامكان

نسق هذا الكتاب

فقسمنا كتابنا الى أعصر بينا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة في كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التى أثرت في ذلك وما قد يقابلها عند الامم الاخرى ومزية العرب فيها . وأرّخنا كل علم فى كل عصر وترجمنا النابغين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب . واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ووصفنا أهم تلك الكتب ومنزلتها من سواها . وأشرنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده في أشهر المكاتب الكبرى بمصر أو الآستانة أو أوربا أو غيرها من المكاتب العمومية أو الخصوصية . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الا في بعض المكاتب الخصوصية التي لم يصلنا خبرها . فنرجو ممن يقف على شيء من ذلك ان ينبهنا اليه لننشره خدمة لآداب هذا اللسان . وذيلنا كل ترجمة أو باب بأشهر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في تفصيل تلك الترجمة أو التوسع في ذلك الباب

فمن أحب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلا طلبه في كل عصر وتتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية في الآداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا أراد الاطلاع على ترجمة عالم أو شاعر أو أديب أو نحوي أو لغوي أو مؤرخ أو جغرافي أو أي رجل من رجال العلم أو الادب طلب ترجمته في باب العلم الذي غلب عليه حسب الاعصر . فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصل الينا خبره ووصف كل كتاب وأين يوجد . واذا شاء التوسع في ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المآخذ في ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التي تبحث فيه فيختار ما يريده منها

الغرض من هذا الكتاب

وقد الفنا هذا الكتاب للناشئة العربية أو طلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم العربية وأماكنها للمطالعة أو التأليف . أو يعوزهم درس موضوع أو

الكتابة فيه ولا يعرفون مظانه . وقد عرفنا حاجة الناشئة الى ذلك من الاسئلة الكثيرة التي تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب أحدهم في درس تاريخ أمة أو دولة أو موضوع من المواضيع الاجتماعية أو الاخلاقية أو اللغوية وأحب الاطلاع على ماقاله العرب فيه ولا يدري من ألف فيه منهم وهل ما ألفوه لا يزال باقياً وما هي قيمته بالنظر الى سواه في موضوعه وهل طبع وأين وإذا لم يطبع فأين يوجد ؟ الخ . فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريده من هذا القبيل . ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس في آخره

وقد توخينا الافاضة في ما يهم طلاب الادب أو الشعر أو التاريخ وسواها من العلوم الادبية والاجتماعية والاخلاقية ونحوها . واختصرنا في كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها بموضوعها . وفعلنا ذلك أيضاً في كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها من العلوم القديمة لذهاب دولتها أو تغير قواعدها

موقع الجزء الاول

وقد تحقق ظننا في حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما آنسناه من اقبالهم على الجزء الاول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة في العصور الاولى قبل تكوُّن العلوم . فاقتنته نظارة المعارف العمومية وقررت بعض المدارس الكبرى تدريسه . وطلب الينا البعض الآخر ان نستخرج منه نسخة مختصرة للتدريس . وسنفعل ذلك بعد الفراغ من تأليف الكتاب ونشره

وكان للجزء الاول المذكور وقع لدى الادباء والكتاب فتناولوه بالتقريظ والانتقاد . أما المقرظون فنشكر لهم حسن ظنهم . وأما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة تتفاوت شدة وأسلوباً بتفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه . وتدلُّ على حرج مركز الكاتب الشرقي بين قرائه . وليس في الدنيا جمهور استحكم فيه اختلاف المشارب والاهواء والاغراض مثل قراء العربية . فهم مختلفون موطناً ومشرباً ومذهباً وتربية . فلا يتأتى لكاتب ارضاؤهم جميعاً ولو أوتي علم الاولين والآخرين

ومما يحسن الاشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على المؤلف تقليله من الامثلة الشعرية أو النثرية ولكن ذلك ما أردناه . ولو أكثرنا من الامثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن أراد التوسع فليطلب ذلك في المآخذ الاصلية

المذكورة في ذيل التراجم . أو يطالعه في كتب الادب لادباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة الاشعار والاقوال اشهرها « ادبيات اللغة العربية » لمحمد عاطف بك والشيخين محمد نصار واحمد ابراهيم وعبد الجواد افندي عبد المتعال من رجال نظارة المعارف العمومية . وكتاب « ادب لغة العرب » للشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس اللغه العربية بكلية الفرير في مجلدين . و « مجاني الادب » وشرحه للاباء اليسوعيين في عدة مجلدات . وجواهر الادب للشيخ احمد الهاشمي مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب الهامة في تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » لروحي بك الخالدي وهو فريد في بابه

وانما نختص من المنتقدين بالذكر الاب لويس شيخو اليسوعي لانه عقد في مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلاً طويلاً في نقد الجزء الاول من هذا الكتاب نقداً نمّ عن أدبه وفضله ودلّ على تمكنه من الموضوع . فبعد ان وصف الكتاب ومنزلته بالنسبة الى ما ظهر من الكتب في موضوعه بالعربية وغيرها ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعقل واخلاص . فنشكر له حسن ظنه واهتمامه في البحث والتنقيب وسننظر في ملاحظاته بعين الاهتمام وان كان اكثرها في غير مكانه أو قبل اوانه. فان بعضها يكاد يكون تحقيقه مستحيلا كطلبه بيان اللغات التي كان يتكلم بها العرب في جاهليتهم الاولى . والبعض الاخر ليس مكانه في ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها فقد ذكرا كثرها في هذا الجزء لان اصحابها من ادباء العصر العباسي . واتهمنا بالتقصير في ابحاث سبق لنا البحث فيها مطولا في كتبنا الاخرى كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك في كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفي « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا اموراً لو اردنا العمل بها لاستغرق هذا الكتاب اضعاف حجمه . فانه تقدم الينا ان نستخرج عادات العرب وتاريخهم من امثالهم واشعارهم . وهو خارج عن موضوع الكتاب . ومثل ذلك اقتراحه ان نطيل في درس كل شاعر وشعره وهذا يفتقر الى كتاب خاص لكل شاعر . وانما اكتفينا بخلاصة الترجمة وزبدة ما يقال في الموضوع مع مراعاة المكان وأشرنا الى المآخذ لمن اراد التعمق . وانتقد علينا ايضاً مبالغتنا في بيان مآثر العرب والتنويه بفضلهم ! ويرى ايضاً اننا اخطأنا في تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التي يريد من ورائها خدمة آداب اللغة وهي ضالتنا التي ننشدها . ولذلك فاننا سنتدبر ملاحظاته وننظر فيها باخلاص وامتنان. وفي كل حال فاننا قد استفدنا من انتقاده جزاه الله خيراً وجعله قدوة للمنتقدين

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول ان نجعل هذا الجزء خاصاً بتاريخ آداب اللغة في العصر العباسي من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ ﻫ فقسمنا هذا العصر او الدولة الى اربعة اعصر لكل منها صفة مشتركة في السياسه والاجتماع والادب يمتاز بها عن سواه سيأتي ذكرها . وانما نريد هنا بيان الحكمة في ذلك التقسيم :

فالعصر الاول : (سنة ١٣٢ ـ ٢٣٢) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث السياسة والدولة او هو عصر الرشيد والمأمون والبرامكة وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية ابان مجدها . وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت اهم العلوم الدخيلة

والثاني (سنة ٢٣٢ ـ ٣٣٤ ﻫ) هو فترة بين العصرين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بأنفسهم عن نصرة رجال العلم والادب

والثالث (سنة ٣٣٤ ـ ٤٤٧ ﻫ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث نضج العلم والادب ولا سيما اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وامراؤها ووزراؤها على الاشتغال بالعلم والاخذ بناصر العلماء

والرابع (سنة ٤٤٧ ـ ٦٥٦ ﻫ) فيه ظهرت ثمار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما اخذنا بالكتابة اتسع بنا المقال فاكتفينا بالاعصر الثلاثة الاولى في هذا الجزء أي من تكون العلوم الى نضجها . وأجّلنا الكلام في العصر العباسي الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله

الخلاصة

هذا وقد بذلنا الجهد في تنسيق هذا الكتاب وتبويبه وضبط حقائقه وبسط عبارته باخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية . فان احسنّا فذلك ما أردناه وهو فرضٌ ادينا . والا فقد اعذرنا ببذل الجهد وصدق النية . ولنا الامل ان ينشط من ادبائنا من يوفي الموضوع حقه بأحسن مما فعلنا وبالله التوفيق

العصر العباسي او الدولة العباسية

من سنة ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ

تختلف الدولة العباسية عن الاموية اختلافاً بيناً : كانت الدولة الاموية عربية بدوية واصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية ـ الا من حيث آداب اللغة فظلت عربية وفي ايامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت علوم القدماء الى لغتهم ونبغ الشعراء والادباء والنحاة والمؤرخون واللغويون والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والاطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي او الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن ـ من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ

وقد تقلبت آداب اللغة العربية في اثنائها بتقلب الدول وتغلب الامم على ما اقتضته الانقلابات السياسية او الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون او العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة الاولى خصائص تختلف عما لسواه باختلاف احوال الاجتماع او السياسة او باختلاف الدول التي افضت الامور اليها . اما القرنان الاخيران فيشتركان في احوالهما . فقسمنا العصر العباسي الى اربعة ادوار او اعصر وهي:

١ ـ الدور أو العصر الاول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى اول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسميه العصر العباسي الاول

٢ ـ العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ

٣ ـ العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ

٤ ـ العصر العباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها في ايدي التتر سنة ٦٥٦ هـ وسنصدر الكلام عن كل عصر بما حدث فيه من الانقلاب السياسي او الاجتماعي الذي بعث على تغيير آداب اللغة فيه . ويقال بالاجمال ان في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية ارقى أحوالها ونضجت فيها اكثر الآداب العربية ونمهد الكلام في ما كان من تأثير القرآن في نشوئها . وقد أشرنا الى شيء من ذلك متفرقاً في الجزء الاول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا فنقول :

القرآن

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في ابان التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والادب والشعر وغيرها . واكثرها نشأ من القرآن او تولد خدمة له ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه رأساً او ضمناً . فلا غرو اذا افردنا فصلا خاصاً لبيان ذلك

١ ـ العلوم التي تفرعت من القرآن او نشأت لخدمته

حمل العرب على العالم في صدر الاسلام وما في ايديهم من الكتب غير القرآن يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون اليه وقد اعجبوا باسلوبه ودهشوا ببلاغته . لانه ليس من قبيل ما كانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولا نظم الشعراء المقفى الموزون . وقد خالف كليهما وهو منثور مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع . فلا هو شعر ولا نثر ولا سجع وفيه من البلاغة واساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والاحكام والاخبار . فاصبح همهم تلاوته وتفهم احكامه لانه قاعدة الدين والدنيا وبه تتأيد السلطة والخلافة . وهو أول كتاب أخذوا في قراءته وحفظه

﴿ القراءة وعلومها ﴾ واختلفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من القراء مرَّ ذكرهم . وأخذ كل منهم يثبت صحة قراءته فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي الاعصر الى سبعة علوم هي : علم الشواذ وعلم مخارج الحروف . ومخارج الالفاظ . والوقوف . وعلل القرآن . وكتابة القرآن . وآداب كتابة المصحف . وفي كل من هذه العلوم قواعد وكتب

﴿ النحو ﴾ واول شيء احتاجوا اليه في ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على التعجيل في وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس في قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق . فسمع ابو الاسود الدؤلي رجلاً يقرأ « ان الله بريءٌ من المشركين ورسوله » بخفض رسوله فصنف باب العطف والنعت وهو من اسس علم النحو . ثم وضع الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من اهم البواعث

على وضع النحو أو الاسراع في وضعه . فتمت قواعده ولم يتم القرن الثاني للهجرة أي أنه نضج في قرن وبعض القرن واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٢٢٤

﴿ الادب وعلومه ﴾ ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب وأساليبهم . ولما أخذ المسلمون في تفسير القرآن احتاجوا أيضاً الى ضبط معاني الفاظه وتفهم اساليب عبارته فجرَّهم ذلك إلى البحث في اساليب العرب واقوالهم واشعارهم وأمثالهم وهو « علم الادب » وقد بعث الى وضعه بالاكثر تفسير القرآن ـ قال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في أشعار لان الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية أو ارادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم فهمه او تفهم أسلوب لم يألفوه اتوا بشعر جاهلي وردت فيه تلك اللفظة بهذا المعنى أو ذاك الاسلوب وخصوصاً في التفاسير التي يراد بها المعنى اللغوي بالاكثر كالكشاف للزمخشري فان الشواهد الشعرية التي جاءت فيه استغرقت مجلداً ضخما افرد بعضهم كتاباً لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصاروا يؤلفون كتب الادب والتاريخ لخدمة القرآن ـ قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء « وكان اكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلُّ أهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلعم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الادب من الفنون الادبية والعلوم المتعلقة بالالفاظ وهي تزيد على عشرين علماً كالنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والعروض وغيرها والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن

﴿ الحديث ﴾ واحتاجوا في تفسير القرآن أيضاً الى تفهم الحديث لانهم كانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من احكامها استعانوا باقوال النبي على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة في الارض بعد الفتوح تفرقت الاحاديث معهم فاشتغل جماعة من أهل الغرائح في جمعها وتدوينها وتولد من ذلك بتوالي الازمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وناسخه وتأويله ورموزه وغرائب لغاته وتلفيقه واحوال الرواة ونحو ذلك. وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفات وابحاث وعلماء

﴿ التفسير ﴾ والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عديدة ذكرها صاحب مفتاح

السعادة وهي تزيد على سبعين علماً ولكل منها علماء ومؤلفات وابحاث ومناظرات وكان للعلوم اللغويه ارتباط بالعلوم الشرعية لا يستطيع الطالب اتقان الواحدة إن لم يتقن الاخرى حتى قال حماد بن سلمة « أن الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها »

﴿ الفقه ﴾ ولما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في احوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فكان معولهم على القرآن والحديث فاستنبطوا منه الشريعة واحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوي ونحوها

﴿ التاريخ ﴾ ولما اشتغل المسلمون في تفسير القرآن وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن والاحوال التي كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها . واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والادب الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجرّهم ذلك الى النظر في الرواة وتراجمهم وسائر احوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين أو النحاة أو الفقهاء أو الحفاظ أو النسابين أوغيرهم وكان ذلك من أهم اسس علم التاريخ واتسع تأليفهم في هذا السبيل حتى كثيراً ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الاعلام الواردة في كتاب ككتاب تراجم الرجال الذين روى ابن اسحق سيرة النبي عنهم وكتاب تهذيب الاسماء فان من أهم البواعث على تأليفه ترجمة الاعلام الواردة في كتب مختصر المزني والمهذب والتنبيه والوسيط والوجيز والروضة

وزد على ذلك أن المسلمين يجدون في القرآن آيات تستحثهم على الاشتغال في التاريخ والاخبار للعبرة والموعظة كقوله « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب » وقوله « ومثلا من الذين خلوا من قبلهم وموعظة للمتقين » وقوله « كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق »

﴿ الجغرافية ﴾ ويقال نحو ذلك في الاسباب المساعدة على وضع علم الجغرافيا أو تقويم البلدان أو الاسراع في نضجه ونموه كالاسفار في طلب الحديث من حملته والحج الى مكة والرغبة في تطبيق القواعد الفقهية كالخراج والجزية ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحاً أو عنوة . فجرّهم ذلك الى تعرف البلاد

ومواضعها وعلة فتوحها . ووجدوا في القرآن نصوصاً تحضُّ على طلب هذا العلم كقوله « أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وقوله « قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كانت عاقبة المكذبين» وغير ذلك

٢ - تأثير القرآن في آداب الجاهلية

هذا ما كان من تأثير القرآن في تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام . وهناك تأثير لا يقل عن ذلك احدثه القرآن في الآداب التي كانت شائعة قبل الاسلام فغير اسلوبها ورقاها وهاك اهمها : —

﴿ الخطابة ﴾ الخطابة والشعر من الفنون الادبية الجاهلية التي زادها الاسلام رونقاً وبلاغة والخطابة سبقت الشعر في ذلك لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات فمارسوها وقد اشربت نفوسهم باسلوب القرآن لما علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه فارتقى ذوقهم الخطابي بتحدي اسلوبه واقتباس آياته. فاخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثُّلا وتهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة بجملتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وحرض أهله على طاعة أخيه عبد الله وقد نشرنا خطبته في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٤ وصار المسلمون يسمون الخطبة التي لم تزين بشيء من القرآن « الشوهاء »

﴿ الشعر ﴾ وقس على ذلك تأثيره في الشعر فانه زاده طلاوة ورونقاً واكتسب تعابير واساليب لم تكن له من قبل وترى امثلة منها في اثناء هذا الكتاب

﴿ الانشاء ﴾ لم يصلنا من أساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهان اتينا بمثال منه في كلامنا عن الكهانة في الجاهلية في الجزء الاول . وأقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة وكلها باردة ركيكة يمجها الذوق — ذلك ما وصل الينا على ألسنة الرواة . على أنهم نقلوا الينا من أساليب الخطابة في الجاهلية ما يخالف ذلك كخطبة قس بن ساعدة في عكاظ - والخطابة والانشاء يتقاربان باسلوبهما في كل زمان ومهما يكن من الامر فان الانشاء في الاسلام تبدَّل وارتقى كما ارتقت الخطابة ودخل في طور جديد من البلاغة والفصاحة في عبارته على اختلاف طرق تأديتها . وأخذ الكتاب يتحدون القرآن في الايجاز والاعجاز ويتوخون الاختصار على قدر الامكان عملا بالحديث القائل « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي

الكلام اختصاراً » فكانوا يجمعون المعنى الكبير في اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجرداً من اللفظ . وكان لتلك الرسائل تأثير الخطب في الفتح فاستعاضوا بعد زمن الفتح ببلغاء الكتاب عن بلغاء الخطباء ـ كأن الرسالة البليغة خطابٌ يتلوه المرسل اليه . وقد أتينا بامثلة من ذلك في الجزء الاول صفحة ١٩٩

وكانوا اذا أرادوا البلاغة والتأنق في الانشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضيها المقام فهي كالترصيع أو التطريز ولا يزالون يفعلون ذلك الى اليوم . ويكفى مثالا على ارتقاء ذوق الانشاء بالقرآن ما ظهر من بلاغة علي بن أبي طالب في خطبه ورسائله ـ ثم كان للانشاء تاريخ سنأتي عليه في حينه

﴿ اللغة ﴾ دخل اللغة كثير من الالفاظ الاسلامية واكتسبت كثيراً من المعاني الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الالفاظ التي اقتضاها الاسلام وقد فصلنا ذلك في مكان آخر

وبالجملة فان معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن أو الاسلام حتى عدها بعضهم من قبيل الدين . قال أبو عمرو بن العلاء « علم العربية هو الدين بعينه »

وقد رأيت أن العلوم اللسانية استعجلوا في وضعها لقراءة القرآن وتفسيره لكنها ما لبثت أن صارت عالة عليه ترجع في تحقيق قواعدها الى آياته يستشهدون بها في النحو والادب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع في كتاب سيبويه في النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن

واعتبر ذلك في سائر فنون الادب أو علوم اللغة . ومنها ما تأيد اكثره باساليب القرآن كالمعاني والبيان والبديع ونحوها . ويرى المسلم في القرآن أماكن يتنسم منها الحض على طلب العلم ورفع قدر العلماء كقوله « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

٣ ـ تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الاهمية لم يوفق لغير القرآن من الكتب الدينيه في الامم الاخرى ـ ذلك أنه أطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها . وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربي . لان الاسلام يفرض على كل مسلم أن يحفظه ويطالعه ـ لولا القرآن لكانت لغة العالم العربي لغات متفرقه يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت اليه اللغه اللاتينية بعد ذهاب

دولة الرومان فتفرق أصحابها أمماً وطوائف وامحت الدولة الرومانية والأمة الرومانية كما أمحت سواها من الامم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والانباط في الشام والقبط في مصر – وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة

أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن وحفظ بها التفاهم بين الامم الاسلامية في الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها. ولولاه لكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبتها. ومع ذهاب التمدن الاسلامي وتقهقر الدولة الاسلامية كان يخشى ضياع تلك الامم وفناؤها أو اندماجها في الامم التي تسلطت عليها كما أصاب الامم التي اندمجت بالعرب بعد الاسلام. لكنها الآن تجتمع وتتكاتف لانها تتفاهم بلغة واحدة لغة القرآن وتعد نفسها أمة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن ولو كانوا في أقصى الشرق كالهند والصين أو بأواسط آسيا تركستان وخراسان وفارس. فان عدد قراء العربية يزيد على مئتي مليون وقراء التوراة بلغتها الاصلية شرذمه من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده. وقراء الاناجيل بلغتها الاصلية فئة قليلة. وأكثر أمم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة اليها. أما القرآن فالمسلمون يقرأونه في اللغة العربية

ويعدُّ من قبيل تأثيره في آداب اللغة ايضاً تأثيره في أخلاق اصحابه. ولكل كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثير عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو تباعدت مواطنهم – وذلك طبيعي لما نعلمه من تأثير العادات في الاخلاق والابدان. ولكل دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها في اخلاق اصحابه. فالمسيحيون يشتركون في كثير من الآداب والعادات والاخلاق يمتازون بها عن سواهم وكذلك اليهود وغيرهم

واعتبر ذلك في القرآن بل هو أشد تأثيراً في اصحابه من سواه لانهم مكلفون بحفظه قبل كل علم وهم اطفال. وهو داخل في كل شيء من امورهم الدينية والدنيوية واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية واحوالهم والعائلية حتى الطعام واللباس والشراب والنوم والغسل وكل شيء يمكن استنباطه منه ويوجد له مثالا فيه. وهذا لا تراه في الاناجيل مثلاً فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط. ولا تجد فيها شرعا او حكومة او احوالا شخصية او نحو ذلك الا ما يأتي عرضاً ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضاً من حيث اخلاق القوم الذين كتب الكتاب لهم أو بلسانهم بما يلائم أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل كما تختلف اخلاق العرب الجاهلية الذين جاء القرآن بلسانهم عن أخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والاقوام الذين كتبت الاناجيل بالسنتهم

وتأثير القرآن في اخلاق اهله ومعاملاتهم اليومية والبيتية لا يخلو من التأثير على عقولهم وقرائحهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه . فالصبغة الدينية القرآنية أو الاسلامية تظهر في مؤلفات المسلمين ولو ألفوا في الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية أو الطبيعية . فضلا عن العلوم الاسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والادب

وبالجملة فان للقرآن تأثيراً في آداب اللغة العربية ليس لكتاب ديني مثله في اللغات الاخرى

العصر العباسي الاول

او المائة الاولى من سيادة العباسيين في بغداد

من سنة ١٣٢ — ٢٣٢ هـ

هو عصر الاسلام الذهبي بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها بالثروة والحضارة والسيادة وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت أهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء آهلة بالادباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابان مجده . وكانت الدولة العباسية في اكثره صاحبة السيادة على العالم الاسلامي . وأوربا في اكثف غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية كأن الاسلام هزّ اركانه ونبه اهله فنهض الفرس والترك والتتار والهنود — حتى اهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية ادبية في اثناء العصر العباسي الاول اوعلى اثره . فنبغ في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دولة طانغ وكانوا كالعباسيين في دورهم الاول يحبون العلم ويقدمون العلماء . واشتغل اليابانيون في ذلك العصر ايضاً باصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ونبغ فيهم الشعراء والكتاب والمصورون والحفارون وغيرهم

وتمهيداً للكلام في آداب اللغة العربية في ذلك العصر نذكر الانقلاب السياسي الذي تقدمه بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير في الآداب والعلوم

الانقلاب السياسي

في العصر العباسي الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية في دمشق على حدود بادية العرب وكان خلفاء تلك الدولة عرباً وجندها وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية فقد نصرها الفرس فجعلت قصبتها (بغداد) على حدود بلادهم واتخذت وزراءها واكثر امرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الادب او الشعر او باسباب الملاهي

فالتقى فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقلبي والهندي والبربري والزنجي . وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابي والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم

واعتبر ذلك في البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية فقد كانتا آهلتين بالناس على اختلاف نحلهم واجناسهم وعناصرهم وتختلفان عن بغداد بمن اقام في ضواحيهما من جالية العرب أهل البادية من القبائل التي نزحت الى هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة مجتمع اهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد فاصبحت بما استبحر من عمرانها هي وحدها ام المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها في ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها

وناهيك بثروة بغداد وحضارتها وتبسط اهلها في العيش واركانهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المال على اهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان او اهل المهن او الادب او الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسي الاول بمن تولى فيه عرش بغداد من الخلفاء العلماء لرغبتهم في العلم واجلال العلماء والادباء فسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالغوا في اكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يبق ذو قريحة أو علم أو ادب الا يمّم دار السلام ونال جائزة او هدية او راتباً

ولا يزهوا العلم الا في ظل امير يتعهده ويأخذ بايدي أهله — والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسي الاول من اكثر الملوك رغبة في العلم: يروى ان المنصور لما مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفنه قال للربيع وزيره « انظر من في اهلي ينشدني (أمن المنون وريبها تتوجع) حتى اتسلى بها عن مصيبتي » فطلب الربيع ذلك من بني هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور « والله لمصيبتي باهل بيتي ألاّ يكون فيهم واحدٌ يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب اعظم واشد عليّ من مصيبتي بابني » [١]

وكان للمنصور دفاتر علم هو شديد الحرص عليها حتى اوصى ابنه المهدي بها عند وفاته [٢] . وكان المنصور من احسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق [٣] وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة

(١) الاغاني ٦١ ج ٦ (٢) ابن الاثير ٧ ج ٦ (٣) البيان ١٥٦ ج ٢

تشبيبهم قبل المدح وكان يكره الغزل [١] اما الرشيد فكان اكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقاداً للشعراء وكان يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا [٢] وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابنه المأمون اشهر من ان يذكر بعلمه وفضله وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك بابناء الخلفاء والامراء فقد اشتغل كثيرون منهم بالادب كابراهيم بن المهدي انه اول نابغ من بني العباس في الترسل والشعر والموسيقى وله كتاب في الادب اسمه «ادب ابراهيم» وكتاب الطبخ والطب وكتاب الغناء ضاعت كلها . واعتبر ذلك ايضاً في الامراء والوزراء كابي دلف العجلي سيد قومه فقد كان اديباً والف في سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير اعظم منها كثرة وحسناً . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه فالف كتاب اختلاف الملوك وكتاب الصيد والجارح وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعراً مترسلاً بليغاً وكذلك ابنه طاهر ولكل منهما مجموع رسائل

فالدولة التي يكون ملوكها وامراؤها على هذه الصورة يجدر بها ان تزهو بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة بسائر عصور آداب اللغة من اول الاسلام فانك لاتجد نهضة الا كان للملك او الامير او الرئيس تأثير كبير فيها — ذلك شأن الامم في الحكم المطلق وارادة الملك شريعة المملكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقليد الا ما يمس الدولة او الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في ايامهم من المجوس وغيرهم . غير الفرق الاسلامية وتعدادها . وكان اكثر الخلفاء تسامحاً في الدين المأمون فكان هو نفسه شيعيًّا وكان وزيره يحيى بن اكثم سنيًّا ووزيره احمد بن ابي دواد معتزليًّا . يكفيك من تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القرآن

فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده او مذهبه فربما اجتمع عدة اخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب . فاولاد ابي الجعد ستة منهم اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان

(١) الاغاني ٥٥ ج ٣ (٢) الاغاني ٣٩ ج ٥

الوزراء الفرس والموالي

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير في تلك النهضة . والفرس اهل مدنية قديمة وكانوا يومئذ في نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويبذلون المال في تقريبهم واستحثاث قرائحهم فوقف الادباء والشعراء على ابوابهم كما وقفوا بباب الرشيد وكانت لهم اياد بيضاء في ترجمة العلم القديم الى العربية

ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالي (المسلمين غير العرب) الذين كان الامويون يحتقرونهم قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصروهم في تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالي واستخدموهم في امور الدولة. فارتفع شأن الموالي من ذلك الحين واكثرهم من الفرس. اشهرهم في العصر العباسي الاول آل برمك وآل الفضل . وكان الخلفاء العباسيون يتواصون بالموالي وحسن معاملتهم والاحسان اليهم فنبغ فيهم طائفة كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل

ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجواري مما لم يسمع به قبله حتى كان منهن في بعض المنازل عشرات وفي البعض الآخر مئات . وبلغ عددهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادوهن كما يتهادون الحلي والجواهر [١] . وتكاثر الغلمان فيه وتفننوا في تزيينهم واستخدامهم وشاع تسريهم كما يتسرون الجواري ويتهادونهم كما يتهادونهن وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء [٢]

فالانقلاب السياسي والاجتماعي المشار اليهِ احدث انقلاباً في الافكار والعقول وظهر أثر ذلك طبعاً في آداب اللغة كما سيجيء

---

(١) ترى تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ (٢) الاغاني ٢٠٨ ج ٦

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم او الآداب التي سننظر فى تاريخها تدخل في اربعة ابواب :

الاول : العلوم العربية الاصلية التى كانت قبل الاسلام واهمها اللغة والشعر والخطابة

الثاني : العلوم الاسلامية وهي قسمان ١ً : العلوم الشرعية الاسلامية التي اقتضاها الشرع الاسلامي ٢ً : العلوم اللسانية نعني علوم اللغة التي اقتضتها العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

الثالث : العلوم الدخيلة التي نقلت عن الامم الاخرى

ولنبدأ بالعلوم الدخيلة ليظهر تأثيرها في سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو اردنا بسط الكلام في هذه العلوم واصولها ومواضيعها وما نقل منها الى لساننا لضاق بنا المقام وبعدنا عن المراد من هذا الكتاب — نعني الكلام في ما يمكن الرجوع اليه والانتفاع به من الكتب . والعلوم الدخيلة التى نقلت يومئذ اصبح معظمها في زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعي الحديث . وقد فصلنا خبرها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي فنكتفي هنا بفذلكة اجمالية

امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز اصحاب التمدن الاسلامي على سواهم من الامم الفاتحة من هذا القبيل ان القوط او قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كما سطا عليها العرب من الجنوب وكلاهما اهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا في القرن الخامس فتركوا اهلها الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم وظلوا هم على بداوتهم وحبهم الحرب واستخدموا الوطنيين في تدبير حكومتهم — كما فعل العرب في اوائل دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فالفوا لهم الكتب باللاتينية وليس بالقوطية . فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من الفروع . أما العرب فانهم حالما استتبت لهم السيادة جعلوا الدواوين في العربية وحملوا رعاياهم على مكاتبتهم بالعربية . ولما ارادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى العربية فذهبت لغات الامم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ما هي العلوم الدخيلة

نريد بها العلوم القديمة التي كانت شائعة عند ظهور الاسلام في الممالك التي عرفها المسلمون . وهي عبارة عن خلاصة ابحاث رجال العلم والفلسفة والادب في ممالك التمدن القديم على اختلاف الامم والدول والاماكن والاطوار في القرون المتوالية من اقدم ازمنة التاريخ الى ايامهم وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان ـ ولا يراد بذلك ان العرب اخذوا علم كل امة عن اهله رأساً ولكنهم جاءوا والعلوم قد تحلبت بتوالي الادهار وتفاعل العناصر واجتمع معظمها لليونان فبوبوها ورقوها وظهرت النصرانية فأثرت فيها . وبقي بعضها في بقايا الدول القديمة كالفرس والكلدان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين وانتظموا في خدمتهم فاخذوا من هؤلاء جميعاً . ولذلك كان من جملة افضال التمدن الاسلامي على العلم انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية الى العربية وزاد فيها ورقاها

فلنبحث اولاً في حال العلم والادب في البلاد التي عرفها المسلمون وهو يتناول النظر في آداب اليونان والفرس والهنود والكلدان على ما يأذن به المقام . ثم نتقدم الى الكلام في ما نقله العرب من ذلك

آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسفة

بينا في الجزء الاول من هذا الكتاب اقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة . فنكتفي بخلاصة تاريخية عنها :

اخذ اليونان باهداب الفلسفة والعلم على اثر الحروب المورية فانها توالت ٢٧ سنة وفي نهايتها دخلت اثينا في حوزة اللقديمونيين واصبح الاثينيون بعد العز اذلاء فساقتهم العبرة والمذلة الى النظر في الوجود فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع أساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبها نهضة ادبية او علمية أو سياسية على ما قررناه في غير هذا المكان — وان كانوا قد تنبهوا الى شيء من ذلك قبلاً

فلما اصيبت اثينا بالذل بعد تلك العظمة اصاب اهلها اضطراب وانكسار — والانسان اذا أصيب بنكبة لاحيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليلات الفلسفية عن

الوجود وأصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصاً في مثل ما أصيبت به اثينا بعد عزها ورفعة شأنها . وأصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الوراء آسفين وينظرون الى الامام خائفين وقد ذهبت أسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتنبهت أذهانهم وانصرفت قرائحهم الى النظر في شؤون الانسان على الجملة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الادب والفلسفة . فدخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق أحوالهم ونفوسهم تشتاق الى الزيادة

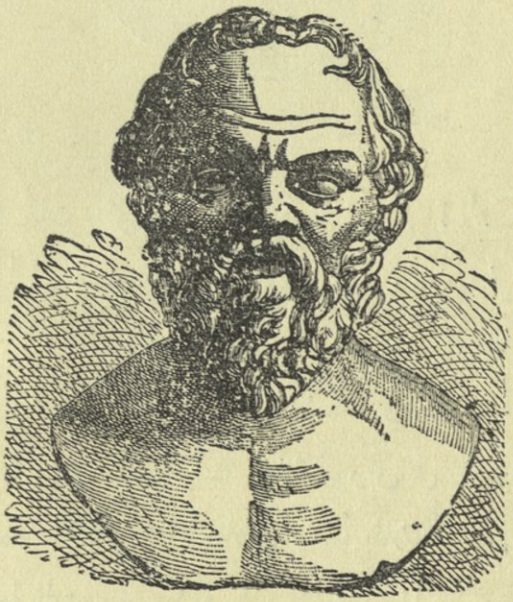

ش ١ : سقراط

﴿ سقراط ﴾ وكان الناس في ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى النظر في الفلسفة الطبيعية لا يجدي نفعاً في تلك الاحوال فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيداً وخلصها مما كان يعتورها من الرموز والغوامض وطبقها على حاجات الاثينيين يومئذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانسان من حيث هو انسان والى ما يتعلق به من حيث هو اب ومدبر والى ما يتعلق به من حيث هو أحد الجماعة . وذهب الى خلود النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العملية أو هو محوّل الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل — قال شيشرون « ان سقراط انزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر ان ينجو النوابغ واصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون أذيتهم أو

يسعون فيها . وقد كان في تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الاثينيين يومئذ فقاموا عليه وقتلوه

ش ٢ : افلاطون

﴿ افلاطون ﴾ مات سقراط ولم يدون شيئاً من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ولكنهم اختلفوا في تفسير اقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكرينية والكلبية والاشرافية . وهذه الاخيرة اشهرها ، وتسمى ايضاً الافلاطونية نسبة الى صاحبها افلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة فانه تبع هيرقليطس في الطبيعيات وفيثاغورس في ما وراء الطبيعة والنقليات وتبع سقراط في الفلسفة الادبية والاخلاق. وقال بثلاثة أصول الاله والمادة والادراك والآلهة عنده ثلاث طبقات . عليون ومتوسطون وسفليون وعلّم بتناسخ الارواح . وكتب افلاطون على أسلوب المحاورات

﴿ ارسطو ﴾ وانقسم تلامذة افلاطون ايضاً الى فرق اهمها فرقة المشائين وصاحبها ارسطو او ارسطوطالس الذي اجمع العلماء على انه اقدر الفلاسفة القدماء ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ ق م . وعنه نقل العرب اكثر كتب الفلسفة والمنطق . جمع ارسطو في كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء في عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . اما الفلسفة فاخذها عن أستاذه افلاطون ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . وأما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها فقد كانت من جملة ما طالعه من علوم القدماء وما اختبره بنفسه. وكان غرض ارسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلي او نظري الى النواميس الطبيعية . ولم يكن يهمه تزويق العبارة او

ش ٣ : ارسطو

برقشة الالفاظ وانما كان يهمه الغرض الاصلي من الموضوع . فكان يبذل جهده في تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التي مازجت فلسفة افلاطون

والكتب التي ثبتت نسبتها الى ارسطو ١٩ كتاباً نقل معظمها الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون في الصفحة ١٥١ وما بعدها من تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣

الطب والنجوم

والطب ايضاً من ثمار تلك النهضة على اثر الحرب المورية وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالكهانة وينسبون الامراض الى اعمال الشياطين والعلاجات الى أعمال الآلهة . وكان الفلاسفة يتكلمون في الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعي ولم يستقلّ احد منهم بالبحث فيه. وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على اسس صحيحة ابقراط المتوفي سنة ٣٥٧ ق.م ولذلك سموه ابا الطب . وهو من نتاج الحرب المورية نشأ في اثنائها ونبغ بعد انقضائها وسافر الى سوريا ولعله اطلع على طب البابليين والمصريين فاضافهما الى طب اليونان والف فيه الكتب . واساس معالجته الاعتماد

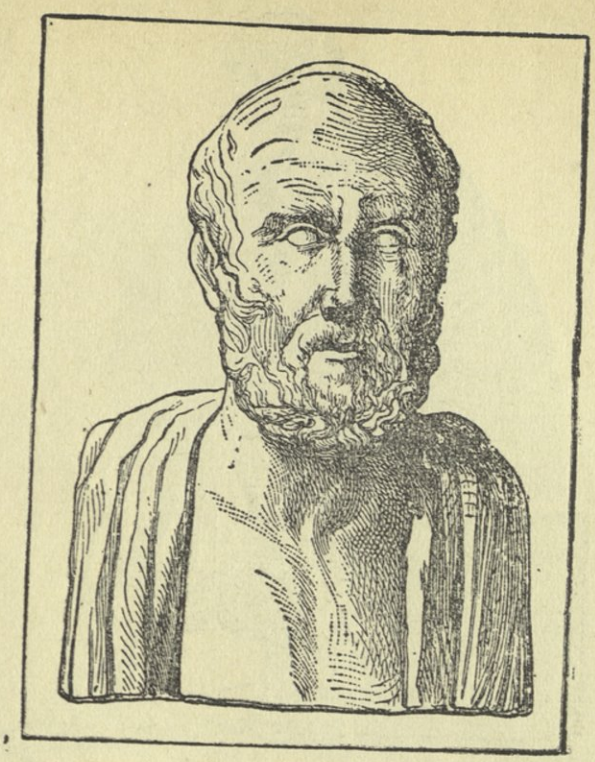

ش ٤ : ابقراط

على الطبيعة وكان يفصد ويحجم ويكوي ويحقن ويشخص الامراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنية. وله كتب في الطب كثيرة ذكروا منها ٨٧ كتاباً ولم يثبت له منها الا نحو العشرين ونقلت في جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية. وما زالت كتب ابقراط معوّل الاطباء الى العصر الجديد وفيهم من شرحها او فسرها او ترجمها او علق عليها

وممن اشتغل من اليونانيين في ترقية العلوم الطبية بعد ابقراط ارسطو وغيره من الفلاسفة العظام فلما انشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة كان للطب شأن كبير فيها

والنجوم او علم الفلك قديم عند سائر الامم كما قد رأيت في كلامنا عن علوم العرب قبل الاسلام . اخذ اليونان مبادىء هذا العلم عمن سبقهم من أمم التمدن القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند أنفسهم . وكان النظر فيه من جملة ابحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقل من جاء بعده من فلاسفة اليونان ولم يتعرض لهذا الفن واشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمينس وانكساغوراس. وكان للقسم الايطالي من بلاد اليونان عناية كبرى في النجوم ومقدام فلاسفتهم فيه فيثاغورس الشهير المتوفي سنة ٥٠٠ ق.م اخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه في ذلك

كثيرون . ويكاد لا يخلو فيلسوف يوناني من النظر في النجوم واحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده في مدرسة الاسكندرية

ويقال نحو ذلك في سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة فقد اشتغل فيها الفلاسفة لكنها لم تنضج الا في مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس

ش ٥ : اوقليدس

وقدعقدنا فصلاً عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل احرقها العرب في الجزء الثالث

ش ٦ : ارخميدس

من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٠ و ١٢٣ وفصلاً في الهلال الاول من السنة العشرين وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون ومنهم اوقليدس وارخميدس وابولونيوس من اهل القرن الثالث قبل الميلاد وهيبارخس من اهل القرن الثاني . وفيها ظهر بطليموس القلوذي الجغرافي والرياضي في اواسط القرن الثاني بعد الميلاد فوضع كتاب المجسطي وكان عليه المعول في مدارس العالم الى عهد غير بعيد والف ايضاً كتاب الجغرافية الشهير . واشتغل علماء الاسكندرية خصوصاً برصد الافلاك واستخراج الازياج وظل مرصدهم وحيداً في العالم الى ايام الاسلام

ش ٧ : جالينوس

اما الطب فكان يعلم في مدرسة برغامس . فلما زهت مدرسة الاسكندرية توجهت الانظار اليها وعمدة التدريس فيها على مؤلفات ابقراط لكنهم اشتغلوا ايضاً في التشريح وفاقوا به سواهم

وانقسم اطباء الاسكندرية في الطب الى حزبين حتى ظهر جالينوس في أواخر القرن الثاني للميلاد فانتهى الطب اليه واصبحت كتبه معوّل الناس فيه . وللطب والفلسفة في مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

آداب اللغة الفارسية

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان وهم أمة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون فجردت على بلادهم جيشاً قد يمتنع على أعظم دول الارض اليوم حشده ونقله بمهماته ومؤونته من اوسط اسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرناً . فالدولة التي هذا مبلغ قوتها لاتخلو من ادب وعلم والفرس أهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لاسباب التمدن فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها وان كان ما وصل منه الينا قليلاً . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والانواء فقد احرزوا شيئاً منها وخصوصاً لانهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في ابان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية. ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر بلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام

والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ في الظهور الا في ايام سابور بن ازدشير فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية [1] واختزنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انو شروان العادل (من سنة ٥٣١ — ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ففرَّ بعض اصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انو شروان فاكرم وفادتهم وامرهم بتأليف كتب الفلسفة او نقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب [2] والفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انو شروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت اساساً لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

---

(١) ابو الفداء ٥٠ ج ١ (٢) الفهرست ٢٤٢

ولم يقتصر انو شروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود ايضاً من السنسكريتية الى الفارسية [١] وانشأ في جند بسابور مارستاناً (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب أستقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان وكانوا يعلمون فيه الطبين الهندي والابقراطي فجمع بين الحسنين

آداب اللغة السريانية

كان للسريان تمدن قديم وانما يهمنا في هذا المقام ما كان عندهم من علوم الفلسفة التي اشتغلوا بنقلها . وهم في ذلك تلامذة اليونان لانهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم . والسريان اهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت خواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال في العلم فانشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها . ومنهم خرج اكثر الذين ترجموا العلم للعباسيين واكثرهم من النساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم في العلم لا نفسهم

كان للسريان في مابين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها وفيها ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في القرن الخامس للميلاد . وبعد ان تعلموها اخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق في اواسط القرن المذكور. ثم اتم دراسة المنطق سرجيس الراس عيني الطبيب المشهور وفي المتحف البريطاني بلندرا نسخ خطية من ترجمته الايساغوجي الى السريانية . وكذلك مقولات ارسطو لفرفوريوس وكتاب النفس وغيرها وقد نشر بعضها من عهد قريب

في اوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية وتخرج فيها جماعة كبيرة من السريان وفي جملتهم الاسقف سويرس فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها الى السريانية ولا تزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف البريطاني . وقد اتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوي واضع علم النحو السرياني واثناسيوس

(١) E. Browne's Lit, Hist. of Persia, 167

بلد . ومن تلامذته اثناسيوس جورجيوس المعروف باسقف العرب (٦٨٦ م) فقد ترجم بعض كتب ارسطو . واشتغل جماعة آخرون في ترجمة كتب افلاطون وفيثاغورس وغيرهما مما يطول شرحه. واشتهرت هناك مدارس اخرى كمدرسة نصيبين التى كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية

اما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على اثر انشاء مارستان جند يسابور واشتهر فيهم من اهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الراس عيني المتقدم ذكره واناتوس الامدى وسمعان الطيبوتي والاسقف غريغوريوس والبطريرك ثيودوسيوس وغيرهم من الاطباء الذين ادركوا الدولة العباسية وخدموها

وقد نقل اطباء السريان كثيراً من كتب الطب من اليوناني الى السرياني حتى في اثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لانهم كانوا كثيراً ما ينقلونها الى السرياني فقط او لى السريانية والعربية معاً

آداب اللغة الهندية

الهنود امة قديمة والطبقة العليا منهم اخوان الفرس واليونان وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعراً من قديم الزمان ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس احوالهم . حتى كثيراً ما كان ملوك الفرس يستعينون باطبائهم كما فعل انو شروان في مارستان جنديسابور وكما وقع للخلفاء العباسيين في اوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم في امراضهم بعد ان تفرغ حيل اطباء الفرس والسريان في معالجتهم . لان للطب الهندي طرقاً غير ما للطب اليوناني او الفارسي . وقد اشتهر منهم عدة أطباء ألفوا في الهندية ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم منكه وصنجهل وشاناق وغيرهم

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وابراجها ولها اسماء خاصة بلسانهم وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب مذهب الارجهير ومذهب الاركند ومذهب ثالث يقال له بالسنسكريتية سدهنتا Siddhânta هو عبارة عن زيج ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهو الذي وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهنود هم الذين

اخترعوا الارقام وعنهم اخذها العرب . ولهم طرق خاصة في الحساب اكتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب ترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلها

تلك حال العلوم والآداب عند الأمم المتمدنة لما اخذ المترجمون في نقلها الى اللغة العربية في العصر العباسي الاول . اما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم المنصور كان اكثر اهتمامه بالنجوم والطب. والمهدي قلما اشتغل بذلك. وكذلك الرشيد لم ينقل في ايامه الا كتاب المجسطي . ثم المأمون وهو الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم (١)

اما نقلة العلم في العصر العباسي فهم من اهل العراق والشام وفارس والهند رغبهم الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم رواتب وجواري وبالغوا في اكرامهم ومحاسنتهم. واكثرهم من السريان النساطرة لانهم اقدر على الترجمة من اليونانية واكثر اطلاعاً على كتب الفلسفة والعلم اليوناني : اشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور . وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين احد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل. وحبيش الاعسم الدمشقي ابن اخت حنين . وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام . وآل ماسرجويه اليهودي السرياني وال الكرخي. وآل ثابت الحراني من الصابئة والحجاج بن مطر وابن ناعمة الحمصي ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد وسرجيس الراسي ويوحنا بن بختيشوع من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم . والبطريق ويحي بن البطريق وابو عثمان الدمشقي وابو بشر متى بن يونس ويحي بن عدى . هؤلاء اشهر نقلة العلم من اليونانى او السرياني الى العربي وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول

واما النقلة من الالسنة الاخرى فمنهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وال نوبخت كبيرهم نوبخت ولابنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسي الى العربي في النجوم وغيرها . ومنهم موسي ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية . وعلي بن زياد التميمي ويكنى ابا الحسن نقل من الفارسي الى العربي كتاب زيج الشهريار . والحسن

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٤٠ ج ٣

ش ٨ : يوحنا بن ماسويه

ابن سهل وكان من المنجمين . والبلاذري احمد بن يحي وجبلة بن سالم كاتب هشام . واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيار نامه. ومنهم محمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وعمر بن الفرخان وغيرهم

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكه الهندي كان في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن الهندي وكان اليه مارستان البرامكة نقل من الهندي الى العربي (١)

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) الى العربية ابن وحشية نقل كتباً كثيرة اهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند انفسهم اشهرهم بنو شاكر أو بنو موسى لانهم اولاد موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن وعرف اولادهم بعدهم ببني المنجم. كان موسى يصحب المأمون والمأمون يرعى حقه في اولاده هؤلاء . واشتغلوا في الهندسة والنجوم والطبيعيات والميكانيكيات وغيرها . وأتعبوا انفسهم في جمع الكتب

(١) الفهرست ٢٤٥

القديمة من بلاد الروم وأحضروا النقلة بالبذل لنقلها . وممن بذلوا المال في نقل العلم غير الخلفاء محمد بن عبد الملك الزيات وعلي بن يحيى المعروف بابن المنجم ومحمد بن موسى ابن عبد الملك وابرهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

الكتب التي نقلت

اما الكتب التي نقلت في ذلك العصر فمددها بضع مئات اكثرها من اليونانية منها ٨ في الفلسفة والادب لافلاطون و١٩ كتاباً في الفلسفة والمنطق والادب لارسطو و ١٠ في الطب لابقراط و٤٨ في الطب لجالينوس . وبضعة وعشرون كتاباً في الرياضيات والنجوم لاوقليدس وارخميدس وابلونيوس ومنالاوس وبطليموس وابرخس وذيوفنطس وغيرهم

واما منقولات اللغات الاخرى فنها نحو عشرين كتاباً نقلت عن الفارسية في التاريخ والادب . ونحو ٣٠ كتاباً من اللغة السنسكريتية واكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب . ونحو عشرين كتاباً عن اللغة السريانية او النبطية اكثرها في السحر والطلسمات الا كتاب الفلاحة النبطية في الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الامم المتمدنة في ذلك العهد . ولم يغادروا لساناً من السن الامم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئا وان كان اكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية . فأخذوا من كل امة احسن ما عندها فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفي النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفي الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود. وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط او الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين . فكانهم ورثوا اهم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود

واليونان وقد مزجوا ذلك كله وعجنوه واستخرجوا منه علوم التمدن الاسلامي (الدخيلة)

ومما نلاحظه من امر ذلك النقل ان العرب مع كثرة ما نقلوه عن اليونان لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية او الادبية او الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود ، فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس واخبار ملوكهم وترجموا الشاهنامة . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوذيسته . والسبب في ذلك ان اكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . واما التواريخ والاداب فقد كان التراجمة ينقلونها غالباً من عند انفسهم حباً في اظهار مآثر اسلافهم او جيرانهم فالمترجمون الفرس نقلوا شيئاً من تواريخ الفرس وآدابهم وكذلك فعل التراجمة السريان بآداب اجدادهم وكذلك التراجمة الهنود . فلو كان في اولئك المترجمين واحد او غير واحد من اليونان لنقلوا كثيراً من تواريخ امتهم وأشعارها . ولا ريب ان من جملة ما منعهم من نقل الالياذة الى العربية ذكر الآلهة والاصنام فيها . ولكن في الشاهنامة ايضاً كثيراً من ذلك فلم يمنعهم من نقلها لكن الترجمة ضاعت

ويلاحظ ايضاً أن العرب نقلوا من علوم تلك الامم في قرن وبعض القرن ما لم يستطع الرومان بعضه في عدة قرون وذلك شأن المسلمين في اكثر اسباب تمدنهم العجيب

ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن اشهر امم الارض في ذلك العصر من التأثير في الآداب الاجتماعية والآراء العمومية . وخصوصاً مما نقل عن الفارسية لان معظمه في الادب والتاريخ . كما اثر في آدابنا الاجتماعية ما نقلناه في نهضتنا هذه عن الافرنج فضلاً عن دخول الفرس في كل باب من ابواب الدولة . فدخل الاداب العربية والافكار العربية كثير من آداب الفرس الساسانيين وافكارهم اقتبسها العرب من الكتب التي نقلت عنهم ولم يبق منها الا الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ونتف متفرقة في بعض الكتب . وقد درس هذا الموضوع المستشرق اينوسترانسيف الروسي ووضع فيه كتاباً طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (١)

وعلى هذه المنقولات بنى المسلمون ما ألفوه في هذه العلوم في اثناء تمدنهم غير ما اختبروه واضافوه اليها من عند انفسهم . واكثر منقولاتهم ومؤلفاتهم ضاعت ولم يبق منها الا بعضها وعلى هذا البعض كان معول الاوربيين في نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث بما نقلوه منها الى ألسنتهم كما سنبينه في مكانه

(١) المشرق ٣٩٢ سنة ١٣

الباقي من المنقولات الى الآن

اما الباقي من الترجمات المتقدم ذكرها الى الآن فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة في مكاتب اوربا — اليك بعضها على سبيل المثال :

كتاب المجسطي لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر منه نسخة خطية في مكتبة ليدن

كتاب السياسة في تدبير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق منه نسخ في مكاتب برلين ومنشن وغيرها

ولقسطا بن لوقا البعلبكي عدة آثار من نقله وتأليفه . منها رسائل في الطب والاخبار ذكرها بروكلمن في كتابه آداب اللغة العربية واشار الى اماكن وجودها (صفحة ٢٠٤ ج ١)

ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته اشهرها المدخل في الطب في مكتبة الاسكوريال ومسائل في الطب المتعلمين في مكتبة برلين واجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء في مكتبة منشن . وكتاب النواميس وغيرها

ولابنه اسحق بن حنين كتاب في منطق ارسطو

وليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب بقايا من مؤلفاته سيأتي ذكرها في ترجمته في الدور العباسي الثاني

وسنأتي على مشاهير النابغين في العلوم الدخيلة فيما يلي من هذا الكتاب ولا سيما الذين اشتغلوا بغيرها . وانما اجملنا الكلام هنا وتجاوزنا في اجماله العصر العباسي الاول رغبة في الاختصار للسبب الذي قدمناه من صرف العناية فيما نرجو نفعه للقراء فعلاً . ولنعد الى الكلام في العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الاصلية

في العصر العباسي الاول

١ اللغة

اصاب اللغة في هذا الدور تغيير كثير في الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة وما اقتضاه التمدن من الالفاظ الادارية وما استلزمه التوسع في العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثيل في لسان العرب ، كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يومئذ احوج الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنويع المعاني العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبديلها ولكنها احدثت تنويعاً في معاني الالفاظ العربية واليك امثلة من ذلك :

الالفاظ العلمية العربية

اهمها الالفاظ الطبية ولم يكن منها في الجاهلية الامفردات كالحجامة والكي ونحوها فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن كاسماء الرطوبات والامزجة والاخلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والانذار والهضم والبحران والمشاركات

واسماء الادوية كالمسخنات والمبردات والمرطبات والمجففات والمسهلات والنطولات والمخدرات والاستفراغات والسعوطات والادهان والمراهم والاطلية

وافعال تلك الادوية مثل ملطف ومحلل ومنضج ومخشن وهاضم وكاسر الرياح ومخمر ومحكك ومقرح واكال ولاذع ومفتت ومعفن وكاو ومبرد ومقوّ ومخدر ومرطب وعاصر وقابض ومسهل ومدرّ ومعرق ومزلق وملس وترياق وغير ذلك

ومن الالفاظ الجراحية الفسخ والهتك والوني والرض والخلع والفتق وتفرق الاتصال ومفارقة الوضع والجبار وغيره

ناهيك باسماء الامراض او اعراضها كالصداع والكابوس والصرع والتشنج واللقوة والرعشة والاختلاج والسرطان والسلاق والشترة والشرناق والخانوق والذبحة والربو وذات الجنب وذات الرئة والجهر والضمور والخفقان والغشيان واليرقان والاستسقاء

والدبيلة والاسهال والزحير والسحج والسدد والهيضة والبواسير ونحو ذلك مما لا يمكن حصره

ومن اوصاف الامراض انواع الحميات كالمزمنة والحادة والمختلطة والغب والمطبقة والربع والدق وغيرها . غير الالفاظ التشريحية كأسماء الاوعية الدموية ورطوبات العين وسائر الاعضاء الباطنية التي لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفلسفة والمنطق وما تفرع منها كعلم الكلام والتصوف والفقه ونحوه . وهي كثيرة تفوق الحصر كقولهم الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتحرير والمصاف من اصطلاحات علم الكلام. والهاجس والمريد والسالك والمسافر والسطح والقطب والهيبة والانس والبقاء والعناء والشاهد والفترة والمجاهدة من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى صارت تعد بالالوف فاضطروا الى وضع المعجمات الخصوصية لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن اشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومائة صفحة و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في نحو الفي صفحة كبيرة و « كليات ابي البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظاً اوردوا معناه اللغوي ثم معناه الاصطلاحي في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية او الطبيعية او النحوية . وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاعجمية

ونريد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لغته بلفظه ومعناه . واكثر ما يكون ذلك في اسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم كالافسنتين والبقدونس والزيزفون والسقمونيا والقنطاريون والمصطكي من اللغة اليونانية ، والبابونج والبورق والبنج وخيار شمبر والزاتينج والررجون والزرنيخ والزاج والسرقين والاسفيداج والشاهترج والشيرج والمرداسنج من اللغة الفارسية

ومن اسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية القولنج والترياق والكيموس والكيلوس وقيفال ولومان وملنخوليا من اليونانية . وسرسام ومارستان من الفارسية ومن المصنوعات والادوات الاصطرلاب والقيراط والانبيق والصابون من اليونانية

والبركار والبوتقة والجنزار والدسكرة والاسطوانة من الفارسية

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها الهيولى والاسطقس والفلسفة والطاسم والمغنطيس والاقليم والقاموس والقانون من اليونانية — غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية واكثره من اسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم بل كانوا كثيراً ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين اعجميتين . فالسرسام مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ولما ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » ولو استنكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعاً

التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

قياساً على ما نشاهده من تطرق العجمة الى اسلوب كتبة اهل هذا العصر فيما ينقلونه من الافكار الاعجمية نعتقد ان اسلافنا في النهضة العباسية دخل اسلوبهم شيء من ذلك وان كنا لانستطيع تتبعه الى اصوله تماماً لتباعد عهده واختلاطه. على اننا اذا فحصنا لغة ذلك العصر وقابلنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب الادب رأينا الفرق بينهما واضحاً . واذا دققنا النظر في سبب ذلك راينا عبارة اصحاب الفلسفة تمتاز بامور هي سبب ضعفها وركاكتها اهمها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله اهل اللغات الافرنجية

(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم

(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول

(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدا والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه

(٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني ونفساني وباقلاني ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس منها :

(١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال أل التعريف عليها كقولهم اللانهاية واللا أدرية واللاضرورة

(٢) صوغ الاسم من الحروف او الضمير مثل قولهم اللمية والكيفية والكمية والهوية والماهية

(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم المائية والمنضجة والخاصة

ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم «صاحب الشرطة» و «صاحب الستار» وهو تعبير فارسي. غير ما اصاب اللغة من التغيير في الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلاً عن التجارة والصناعة. وما اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاعجمية غير العادات والاخلاق ونحوها. وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو والتجدد والتنوع والتفرع. وقد عقدنا فصلاً ضافياً في هذا الباب في كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار العباسية (صفحة ٣٧ — ٤٠) وفصلاً في الالفاظ النصرانية واليهودية والتراكيب السريانية والعبرانية التي دخلت هذه اللغة في اثناء التمدن الاسلامي (صفحة ٤١ — ٤٣) فلتراجع هناك

مآخذ لهذا الموضوع

ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع غير كتاب تاريخ اللغة العربية المتقدم ذكره «كتاب التعريفات» للجرجاني المتوفي سنة ٨١٦هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على حروف المعجم، وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ وفي مصر. و«درة الغواص» للحريري طبع في مصر وغيرها. و«شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ طبع بمصر سنة ١٢٨٢. و «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي سنة ١١٥٨ هـ طبع في كلكتة سنة ١٨٦١ و«المعرب من الكلام الاعجمي» لابي منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في ليبسك سنة ١٨٦٧ وكتاب «المعرب والدخيل» لاحد ابناء القرن الحادي عشر للهجرة، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. و «المغرب في ترتيب المعرب» لابي الفتح المطرزي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة

الشعر

في العصر العباسي الاول

الانتقال الاجتماعي

انتقل الشعر في الدولة العباسية انتقالاً كبيراً مثل انتقال الامة العربية من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنة الى الناعمة .فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا اهل الحضارة باخلاقهم وشعورهم . وبعد ان كانوا يقيمون في المضارب لاتقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة تسفي الرياح رمالها يبيت فيها حذراً خائفاً من غارات الاعداء ودبابات الصحراء . لا عشير له الاّ جواده او ناقته ـ اصبح وقد اركن الى الرخاء يقيم في القصور تكتنفها الحدائق فيها من كل فاكهة زوجان تجري فيها المياه مدبرة في الاحواض والاقنية تحف بها الازهار بأزهى الالوان وتسرح في اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت . وبعد ان كان يرتدي العباءة من شعر الجمل وينتعل الحفاء او يحتذي النعال من الخوص او الحبال لبس الحرير والوشي ـ وانتعل الخف والجورب وتخفف بالغلائل والملايات . واستبدل المضارب وفرشها الرمال بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب . وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقال الحشمة وترك الناس وشأنهم ينغمسون بما يشاءون . وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين ايديهم . فانتشر التهتك وذهبت الغيرة بشيوع التسري وانتشار المسكر . وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددهم على مجالس الغناء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من اهل البذخ والترف والرخاء فانطبعت في مخيلاتهم صور لم تألفها اهل البادية

فلا غرو اذا اختلف الشعر في هذا العصر عما كان عليه في الدولة الاموية لرغبة الامويين بالبداوة والاخذ بناصر العرب وتحقير سواهم.فكان اكثر شعرائهم من اهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة او الحجاز او نجد ويندر فيهم المتحضرون . اما الدولة العباسية فاصحابها كانوا يرمون الى غرض يخالف ذلك ـ كان العباسيون

يرون تقديم غير العرب ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب . حتى حبب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها في العراق وتكون حجا للناس (١) وفعل ولم يفلح

فاختلاف طبائع الناس في الدولة العباسية عما كانوا عليه في العصر الاموي طبيعي وفي جملتهم الشعراء وخيالهم ـ واليك اهم مميزات الشعر والشعراء في العصر العباسي الاول

مميزات الشعر

في العصر العباسي الاول

يختلف الشعر العربي في هذا العصر عنه في العصر الاموي مثل اختلاف العصرين بالاحوال السياسية والاجتماعية والادبية لان الشعر مرآة اخلاق الامة وآدابها وسائر احوالها . فخصائص الشعر في هذا العصر ترجع الى ما يأتي :

١ ـ طريقة النظم

يشتمل الشعر على الخيال الشعري وهو المعنى . وعلى القالب الذي يسبك فيه ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون او النظم . واهم مايلاحظ في النظم ثلاثة امور : (١) طريقته وهي الخطة التي يجري عليها الشعراء في تنسيق المعاني (٢) الاسلوب وهو العبارة التي يختارونها للتعبير (٣) اللفظ

ومن القواعد الاساسية في تاريخ الشعر ان يتبع في اسلوبه ولفظه وطريقته حال الامة التي تقوله فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها وسائر احوالها . ولكن العرب ظلوا الى عهد غير بعيد يتحدون طريقة الجاهليين فيما ينظمونه . فيستهلون قصائدهم بذكر الرحيل والاطلال والابل وغيرها من خصائص الجاهلية . حتى الالفاظ فانهم كثيراً مايقلدونهم بها وفيها الوحشي الذى لايلائم المدنية لان وحشي الكلام لوحشي الناس

والسبب في تمسكهم بالقديم رسوخ الاعتقاد بافضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية اذ كان اليها مرجعهم في صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتراكيب . ثم عظم الامويون مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم في تأييد العرب ودولة العرب . فرسخ في اذهان الناس ان مناقب الجاهلية افضل مايتبع . فلما تغلب العباسيون بانصارهم الفرس وغلب العرب على امرهم وعلت كلمة الفرس اخذ ذلك الاعتقاد بالزوال

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠ ج ٢

اما من حيث الاسلوب فان الشعر الجاهلي عريقٌ في البلاغة مع سلامته من الركاكة والعجمة . واما الخيال الشعري فيرى بعض العلماء ان العقل البشري سائر نحو الارتقاء في كل سبيل الا من حيث الخيال الشعري فانه لايزال في مكانه ـ هذا هوميروس لايزال نابغة الشعراء وقد مرَّ عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون في كل شيء

وانظر الى امرىء القيس والنابغة وزهير وغيرهم من الجاهليين فانهم لا يزالون يعدون من نوابغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربي شأناً خاصاً من حيث الاسلوب . فان كلام الاسلاميين يعدُّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم نعني الشعراء والخطباء والمترسلين في صدر الاسلام الى اوائل الدولة العباسية (١) فضلاً عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولاسيما في الانتقال من البداوة الى الحضارة ـ ومجاري الطبيعة كالقضاء المبرم لايدفعها دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثالاً يقتدى بهم في الشعر . فكان الادباء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد في الدولة الاموية. ومع ارتقاء الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يتحدون طريقة الجاهليين في النظم

فلما انتقل الامر الى بني العباس هان عليهم الانتقاد واخذوا يفكرون في تقبيح تلك الطريقة . وأول من تجرأ على نقدها من الادباء ابن قتيبة في أواسط القرن الثالث للهجرة في كتابه الشعر والشعراء (٢) وسنعود الى ذلك في تاريخ نقد الشعر

على أن الشعراء تنبهوا الى هذا الامر في صدر الدولة العباسية فاخذوا في انتقاد طريقة الجاهليين ولم يجدوا من يأخذ بناصرهم لغلبة التقليد على طباعهم . لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسي الاول عصر حرية القول . وأصبح حديث الشعراء في مجلسهم انتقاد تلك الطريقة ، واقدم ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع بن اياس بفتى من أهل الكوفة ففاوضه بشأن ذلك فقال :

لأحسن من بيدٍ يحارُ بها القطا ومن جبلي طيٍّ ووصفكما سلعا
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلةٌ في وجه صاحبه ترعى (٣)

وكان ذلك لسان حال اكثر الشعراء وان لم ينظموه . وممن جاهر به منهم ابو نواس ومن اقواله التي يستدل بها على انكاره طريقة القدماء قوله :

---

(١) ابن خلدون ٥٠٨ ج ١ (٢) الشعر والشعراء ٥
(٣) الاغاني ١٠٣ ج ١٢

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

ومن هذا القبيل قوله :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم (١)

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر واخذ عليه ألا يذكرها في شعره وكأنه كلفه الرجوع عنها الى النظم على طريقة الجاهليين فقال :

أعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا

دعاني الى نعت الطلول مسلطٌ تضيق ذراعي ان اردَّ له امرا

فسمعاً امير المؤمنين وطاعةً وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا

فجاهر بان وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام والا فهو عنده فراغ وجهل . واقتدى به ابو العتاهية ومن جاء بعده . ولكن بين الشعراء من يتحدى الجاهليين حتى الآن

واثر في اسلوب الشعر ومعناه في هذا العصر ما نقل الى العربية او حفظ فيها من آداب الفرس واخبارهم فاكتسب الشعر العربي خيالاً لطيفاً وزادت فيه معانٍ جديدة نحو ما كان من تأثير آداب اليونان القدماء في اخلاق الرومان . ويشبه ذلك تأثير التمدن الحديث في آدابنا ومجاري افكارنا

٢ ــ المعاني الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد في شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معاني الشعر لم يطرقوه . وفي الواقع انهم طرقوا اكثر المعاني التي تخطر لابن البادية ولكن الحضارة لها معان خاصة. او هي توسع الخيال وتفتق القرائح لانتشار الناس في الارض . فاذا تأملت ما في اشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين . ثم ما في طبقة جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء الا نادراً . ثم تأتي بشار بن برد وابا نواس واصحابه فترى مازادوه من المعاني وما زاده الذين جاءوا بعدهم ــ علمت ان الشعر سار على سنة الارتقاء مثل سائر احوال الحياة. ومن امثلة المعاني التي حدثت في العصر العباسي الاول قول بشار بن برد الاعمى:

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقةٌ والاذن تعشق قبل العين احيانا (٢)

قالوا بمن لاترى تهذي فقلت لهم الاذن كالعين توفي القلب ماكانا

وقول ابي نواس :

فكأني وما ازيّن منها قعديٌّ يزيّن التحكيما

(١) العمدة ١٥٥ ج ١ (٢) العمدة ١٨٨ ج ٢

كلّ عن حمله السلاح الى الحر ب فاوصى المطيق ألا يقيما

والقعدة فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعد عنه . وقوله أيضاً :

بنيت على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم

فلوردّ في كسرى بن ساسان روحه اذاً لاصطفاني دون كلّ نديم

وقال أيضاً في صفة النساء الخمارات ويروى لابن المعتز :

وتحت زنانيرٍ شددن عقودها زنانير اعكان معاقدها السرر

فهذا تشبيه لم يسبق اليه وقال أيضاً :

لست أدري أطال ليليَ أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلاً

ومما زاد من المعاني في هذا العصر قول أبي تمام :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله :

بني مالك قد نبهت خامل الثرى قبورٌ لكم مستشرفات المعالم

غوامض قيد الكف من متناول وفيها علا لا يرتقى بالسلالم

غير ما أخذوه من المعاني القديمة أو توسعوا فيه ولا سيما النسيب والغزل

٣ ـ المعاني الجديدة بالاقتباس

تلك معانٍ شعرية اقتضاها توسع الخيال بالحضارة . وهناك معانٍ حدثت بدخول العلوم القديمة الى اللغة العربية ، فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفية فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر أمثلة منها كالتناهي والتوليد والتجزء والمعاد. ومنها قول أبي نواس :

وذات خد موردْ قوهية المتجردْ

تأمل العين منها محاسناً ليس تنفد

فبعضها قد تناهى وبعضها يتولد

والحسن في كل عضو منها معادٌ مردد

وقوله : يا عاقد القلب مني هلا تذكرت جلاّ

تركت قلبي قليلاً من القليل أقلاّ

يكاد لا يتجـزى أقل في اللفظ من لا (١)

واستعار آخرون معاني من أخبار اليونان كاقتباس أبي العتاهية ما قاله بعض حكماء اليونان في تأبين الاسكندر ونظمه في رثاء ابن له وهو :

كفى حزناً بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات فانت اليوم أوعظ منك حياً

ومن المعاني التي دخلت الشعر في هذا العصر أقوال بعض الأئمة ورجال الافكار اقتبسها الشعراء ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة « انظر الى ما ينفعك ودع كلام الناس اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهـج

وحضارة العباسيين أكثر عمالها من الفرس فدخل اللغة طائفة من المعاني الفارسية فضلاً عن الالفاظ . حتى لقد يقتبس الشعراء جملاً فارسية يدخلونها في أشعارهم كقول العماني من قصيدة مدح بها الرشيد :

من يلقه من بطل مسرندي في دغفة محكمة بالسرد
يجول بين راسه والكرد

يعني العنق . وقوله :

ما هوى بين غياض الاسد وصار في كف الهزبر الورد
آلى يذوق الدهر آب سرد

واقتبسوا أيضاً الفاظاً سريانية من لغة نبط السواد كقول ابرهيم الموصلي المغني في وصف خمار نبطي ـ وكأنه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :

فقال «ازل بشينا» حين ودّعني وقد لعمرك زلنا عنه بالشين (٢)

ومن المعاني الجديدة وصف ما استحدث من ثمار تلك المدنية من أسماء الآنية والابنية والقصور والرياش وسائر أسباب الحضارة ولا سيما الغلمان والخمر كما سيجيء

٤ ـ المبالغة في المدح

لم يخل الشعر من المدح في عصر من العصور لكنه كان في الجاهلية أقرب الى الواقع وأبعد عن المبالغة ثم أخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة والاركان الى الرخاء واضطرار الشعراء الى التزلف والتملق ولا سيما بعد الاختلاط بالفرس . فبعد أن

(١) البيان والتبيين ٦١ ج ١ (٢) الاغاني ١٢ ج ٥

كان زهير بن ابي سلمى يقول في مدح كريم حازم :

تراه اذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي انت سائله

صار منصور النمري يقول في الرشيد :

ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث تجتمع
اذا رفعت امرأ فالله رافعه ومن وضعت من الاقوام متضع
من لم يكن بامين الله معتصماً فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان اخلف الغيث لم تخلف انامله او ضاق امرٌ ذكرناه فيتسع

وقول رجل من ولد زهير بن ابي سلمى في مدحه « فكانه بعد الرسول رسول »

وقول العكوك في مدح ابى دلف :

انت الذي تنزل الايام منزلها وتنقل الدهر من حال الى حال
ومامددت مدى طرف الى احد الا قضيت بارزاقٍ وآجال

على ان المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلفى والانغماس في الرخاء كما ستراه

٥ ـ وصف الخمر والغلمان

ذكرنا من مميزات الشعر في العصر الاموي ان الشعراء بدأوا بوصف الخمر على اثر انغماسهم في المسكر والقصف . ولكن وصفها لم ينضج الا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . وأشهر من نظم في وصفها من شعرائه أبو نواس فان له في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطيع تجدها في ديوانه . ولذلك عدُّوا أبا نواس أمام الوصافين للخمر

أما الغلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم في هذا العصر ولم يبق شاعر من شعرائه المقيمين في بغداد لم يشتهر بغلام يعشقه ويتغزل به. وأقدم من فعل ذلك منهم حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك ، واقتدى به أبو نواس وكان معاصراً له كما اقتدى به في وصف الخمر لكنه فاقه في كليهما . وقد زادهما تمكناً من هذه الرذيلة تقربهما من محمد الامين وهو كثير الاقتناء للغلمان فكانوا فتنة له ولشعرائه. ولحسين المذكور أقوال كثيرة في وصف الغلمان نشرها صاحب الاغاني في ترجمته (١٧٠ ج ٦)

أما أبو نواس ففي ديوانه باب خاص بوصف الغلمان يسمونه « غزل المذكر » فيه نحو الف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تنزيهاً للقارىء عن مطالعتها . وقد اغضينا لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر تدل على ما بلغ اليه القوم من التهتك

ولم يعصمهم علمهم ولا ادبهم ولا مقامهم في الدولة عن ارتكابه . وسيد هذه الرذائل المسكر وعلة انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لانه غير الخمر الوارد النهي عنها . لكنه قد يسكر او يتحول اذا طال مكثه الى خمر مسكرة . كما يحللون بعض الالعاب اليوم لانها غير مبنية على المصادفة فقط فلا تعد من ألعاب القمار . ولكنهم قد يقامرون بها أو هي تجرهم الى المقامرة الفاحشة . وأصبح التغزل بالغلمان بعد هذا العصر باباً من أبواب الشعر

٦ ـ الشعر المجوني

ان استبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من أسباب اللهو ولاسيما الخمور والجواري والغلمان مع ميلهم الى سماع الادب والشعر فتولدت طبقة من الشعراء أكثروا من المجون في منظومهم وعرفوا بالشعراء المجان واما مهم أبو نواس . وقد تهتكوا في مجونهم وتفننوا فيه وهم يمثلون الآداب الاجتماعية في تلك الطبقة من الناس في ذلك العصر — والشعراء عنوان آداب الامة أو مثال يدل عليها

٧ ـ وصف الرياض والازهار

توسعوا في هذا العصر بوصف الرياض والازهار . ومن وصافها فيه أبو نواس كقوله :

يوم تقاصر واستبث نعيمه في ظل ملتف الحدائق أخضرا
واذا الرياح تنسمت في روضة نثرت به مسكاً عليك وعنبرا

ولم يخل الشعر الجاهلي والاموي من وصفها ولا سيما في أقوال الشعراء الذين خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة أو غوطة الشام أو غيرهما من مدن العراق أو الشام كأعشى بكر القائل :

ما روضة من رياض الحسن معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطلُ
يضاحك الشمس فيها كوكبٌ شرق مؤزر بعميم النبت مكتهلُ
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

على أن أهل هذا العصر فاقوهم فيه كأبي نواس وابي تمام وفاقهما فيه اهل العصور التالية

الشعراء

في العصر العباسي الاول

الفرق بينهم وبين من تقدمهم

قد رأيت في الكلام على شعراء الجاهلية انهم كانوا ينظمون لقبائلهم أو لانفسهم فخراً أو حماسة وقل فيهم المتكسبون بالشعر ثم تبين لك أن شعراء بني أمية كان القصد الرئيسى من تقديمهم عند الخلفاء الاستنصار بألسنتهم على اعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبيات بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصراؤها خراسانيون فكانت في غنى عن تلك السياسة فلما استقرت اصولها أصبح تقريب الشعراء اكثره للتلذذ بالادب أو سماع المدح والاطراء . ويندر للخليفة أو الامير أن يقدم شاعراً لعصبية أو يستنصره على عدو . فاصبح الشاعر بتوالي الاعوام كالنديم يجالس الخليفة أو الامير في مجالس الانس أو الادب تبعاً لحال ذلك الخليفة أو الامير من حب العلم أو الخلاعة أو غيرها

١ ـ الاستجداء

وأصبح الشعراء في هذا العصر يفدون على بغداد كرسي العباسيين من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها في أوقات معينة أو غير معينة كما كانوا يفدون على دمشق كرسي الامويين واكثرهم من أهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة فلا يرغبونهم في الاقامة عندهم . أما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على أحدهم . واعجبه شعره استبقاه في حاشيته . فاصبح اكثر الشعراء يقيمون في بغداد وظل بعضهم يقيمون في بلادهم وانما يفدون في المواسم أو غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . فكثر الشعراء المتحضرون وصار لهم مذهب في الشعر يختلف عن مذهب أهل البادية [1] وهم ينقطعون لمنادمة الخلفاء أو الامير أو الوزير أو الوجيه يمدحونه أو ينادمونه . واكثرهم يختصون بمنادمة الخليفة أو الوزراء ولاسيما البرامكة . وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بني هاشم كابراهيم بن المهدي ومحمد بن سليمان . أو بعض رجال الدولة كابني دلف وابن طاهر

فلم يكن ينبغ شاعر من قبيلة أو بلد الا وفد على الخلفاء أو غيرهم بقصيدة مدح

(١) الاغانى ٣٥ ج ٢٠

يلتمس العطاء . ويندر فيهم من ينظم الشعر ولا يلتمس به جائزة أو كسباً . فاذا تحضر صار نديماً أو كالنديم . فقلّ الشعراء الفرسان وأصحاب السيادة وكانوا كثاراً في العصر الجاهلي ولم يبق منهم في العصر الاموي الا القليلون وهم في هذا العصر أقل كثيراً

٢ ـ التهتك والخلاعة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء في الادب والعلم فانهم جروا مع تيار الحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء والمغنون فكثر في شعرائهم أهل الخلاعة والمجون والتهتك ولم يكن من هؤلاء في العصر الاموي الا القليل وأقل منهم في العصر الجاهلي . ومن أقبح اسباب التهتك في ذلك العصر تسري الغلمان كما تقدم . ونظراً لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب اصبحت تلك العادة اكثر شيوعاً فيهم مما بسائر الطبقات . فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفاسد المدنية

أما المتهتكون فبلغ من تهتكهم أن يشترك بضعة رجال منهم في عشق غلام [١] وقد يتوسط الشاعر في المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين ويفعلون أقبح من ذلك مما يخجل القلم من ذكره [٢] غير مجالسهم في أماكن اللهو على موائد الشرب التي يخالطها تهتك وخلاعة كما كانوا يفعلون في منزل اسماعيل القراطيسي الكوفي وكان يجتمع عنده أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليع يذاكرون الشعر وينظمون

واذا أعملت الفكرة فيما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد رأيت أصله في الاكثر راجعاً الى من يتولى تربيتهم أو من يعاشرهم من الخاصة أو الشعراء فجعفر ابن المنصور أفسده مطيع بن اياس [٣] ومحمد الامين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وأبو نواس

٣ ـ الشعراء الموالي

وكان الشعر العربي في الجاهلية منحصراً في العرب لم يكن فيهم من غير العرب الا عبد بني الحسحاس ثم تكاثر الشعراء الموالي في العصر الاموي لكنهم لم يزيدوا على عشرين في المائة . أما في العصر العباسي فزادوا على ستين في المائة . وبعد أن كان اكثر وفودهم من البادية صاروا يفدون أيضاً من البصرة والكوفة وغيرهما من المدائن . واكثر فحول الشعراء في هذا العصر من الموالي كابي نواس وابي العتاهية وبشار بن

(١) الاغاني ١٠٥ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٩٨ ج ٦ (٣) الاغاني ٨٥ ج ١١

برد وسلم الخاسر ومروان بن أبي حفصة . فامتاز أولئك الموالي الاعاجم على اسيادهم العرب كما امتاز هوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان ـ وأولهما ابن مولى والاخر ابن حطاب[1] ولم يكن للشاعر العربي بدٌّ من رحلة الى بلاد العرب لاقتباس اساليبهم

٤ ـ الشكوك في الدين والزندقة

قد ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية في هذا العصر على أثر الانقلاب السياسي وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها في أذهان الناس ـ والفلسفة لم تدخل ديار قوم أهل دين الا شوشت اعتقادهم وتركتهم حيارى مذبذبين ريثما يرسخون في العلم فيستقر رأيهم على شيء يدينون به كما حدث في مثل هذه الحال لهذا العهد

على أن الشكوك في الدين شاعت في الادباء والشعراء قبل نقل الفلسفة الى العربية فلعلها تطرقت الى اذهانهم من معاشرة الامم المختلفة في بغداد والكوفة والبصرة ممن دخل منهم في الاسلام . ومن تقريب الموالي أهل تلك البلاد وفيهم من اطلع على الفلسفة فبثوها في سائرهم ـ فاتيح لطائفة المعتزلة أن تنشر تعاليمها وانتقاداتها وانتحل بعضهم ديناً آخر وقامت المجادلات والمباحثات والمناظرات

وظهرت طائفة من الاحرار جاهروا بانتقاد الدين أو الذهاب الى انكاره وكلهم متهمون بدينهم . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء اشهرهم : حماد عجرد وحفص ابن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وعلي بن الخليل وحماد الراوية وابن الزبرقان وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وأبان اللاحقي وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلا وجدّا[2] وكثيراً ما كانوا يشتركون في أموالهم واحوالهم كما يفعل الاشتراكيون اليوم . فكان مطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة

وكان اولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود فلا يرون فيها حسناً ولا يعترفون لاحد بفضيلة نحو من يعبر عنهم الافرنج بالبسيميست (Pessimistes) ذكروا ان مطيع بن اياس مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحادثان فقال لهما «فيما انتما ؟» قالا « في قذف المحصنات » قال « او في الارض محصنة تقذفانها ؟»[3] ويدل هذا من جهة اخرى على رايهم في المرأة

(١) Litt. anc. 184 (٢) الاغاني ١٤٩ ج ١٦ و٨١ و١٠٠ ج ١٢ وولكسن ٣٧٤

٥ ــ اطلاق حرية الاقلام والالسنة

والفضل في اطلاق الاقلام والالسنة في أواخر ذلك العصر للمأمون الخليفة العالم الفيلسوف فكانت حرية القول في أيامه أشبه بحرية الصحافة في البلاد المتمدنة اليوم ومن أشهر الادلة على ذلك خبره مع دعبل الشاعر وكان متشيعاً للعلويين كثير الهجو لبني العباس وله فيهم قصائد هجوها شديدٌ واعداؤه يحرضون المأمون على قتله . ومن جملتهم أبو سعد المخزومي فقد كان يستعلي دعبل في أول أمره وكان يدخل على المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء ويحرضه عليه فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه. وكان المأمون يقول : « الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك ممكن فقل ما يكذبه فاما القتل فاني لست أستعمله الا فيمن عظم ذنبه »

ودخل أبو سعد مرة على المأمون وأنشده قول دعبل :

ويسومني المأمون خطة عاجزٍ أو ما رأى بالامس رأس محمد

واردفها بقصيدة رد بها على دعبل ثم قال « اتأذن لي يا أمير المؤمنين أن اجيئك برأسه ؟ » قال « لا . هذا رجل فخر علينا فافخر انت عليه فاما قتله بلا حجة فلا » وهل يقول اعدل من ذلك وزيرٌ من ارقى وزراء الامم الدستورية المتمدنة اليوم في محافي طعن على أمير أو ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين في عهده

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول في انتقاد العنصر العربي وكان العرب في العصر الاموي مقدمين على سائر العناصر كانهم من طينة غير طينة البشر . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من تفضيلهم بل كانوا يعتقدون فضلهم في اقامة الدين وأنهم مادته واصله ولا كانوا يأنفون من أن يسموا العرب أسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم في العقل والحزم . على أن اكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفا من الامويين وارضاء للعنصر العربي . فلما اطلقت الالسنة والاقلام في أيام المأمون تظاهر اعداء العرب بالطعن وظهرت طائفة الشعوبية القائلة بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم « أهل التسوية » وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب في الطعن على العرب وفي الدفاع عنهم . وممن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت الحكمة وأبو عبيدة الراوية وعلان الشعوبي . ولم يكن يجد المأمون بأساً في هؤلاء الطاعنين وقد جعلهم من بطانته . وممن دافع عن العرب ابن قتيبة فألف كتاباً في « تفضيل العرب » (١)

(١) اقرأ تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٨ و ١٣٥ ج ٣

ومما لا يحسن الاغضاء عنه في هذا المقام ان شعراء العصر العباسي مثل شعراء العصر الاموي وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامي الاولى أكثرهم من عرب الشام والعراق وعرب الشام أشعر من عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام. وقد علل ذلك أبو منصور الثعالبي بقربهم من خطوط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة السنتهم من الفساد العارض لالسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم

واتفق أنهم كانوا يمنون برؤساء من أهل الادب ومحبيه كعبد الملك في زمن بني أمية والرشيد والمأمون في هذا العصر وغيرهم في غيره كما سيجيء

٦ — منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

ان الخلفاء والامراء كانوا يقربون الشعراء في كل عصر. أما الامويون فكانوا يقربونهم في أول الامر لاغراض سياسية ثم فعلوا ذلك تلذذاً بالشعر وآدابه وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن معنى بيت أو من قاله كما فعل هشام بن عبد الملك باستقدام حماد الراوية (١)

اما في العصر العباسي فكان الغرض الغالب من تقريب الشعراء رغبة الخلفاء والامراء في الادب. وكثيراً ما كانت تعقد مجالس الشعراء لغرض أدبي كوصف منظر أو اداة كما فعل الهادي اذ استقدم الشعراء اليه واقترح عليهم ان يصفوا سيفاً أهداه اليه المهدي وهو سيف عمرو بن معدي كرب. فوضع السيف بين يديه وقال للشعراء صفوه فنال الجائزة ابن يامين المصري (٢)

وكان الرشيد من أكثر الخلفاء بحثاً في الشعر وقائليه فقد سأل أهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت « ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه » فلم يعرفه أحد وكان الاصمعي مريضاً لا يقدر على المجيء فأرسل اليه اسحق الموصلي وبعث معه الف دينار لنفقته فجاء الجواب ان البيت من قصيدة لابي النشناش النهشلي وهذا صدره :

وسائلة أين الرحيل وسائل ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه (٣)

وكثيراً ما كان الرشيد يعقد المجالس للبحث في معنى بيت. وقد سأل أهل مجلسه يوماً معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورعا فلم أر مثله مخذولا

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٢ ج ٣
(٢) المسعودي ١٨٧ ج ٢ (٣) المزهر ٨٣ ج ١

وكان في المجلس الكسائي والاصمعي فطال الجدال بينهما والخليفة يسمع [١] وأعطى الرشيد الفضل خاتماً قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على أحسن بيت قالته العرب في الذئب [٢] والمأمون ولى ابن الجهم البرمكي ولاية من أجل بيت طلبه منه واشترط عليه ذلك [٣]

٧ — نفوذ الشعراء وثروتهم

وكان الخلفاء اذا قدموا الشعراء بذلوا لهم الاموال الطائلة حتى وقع الشك في صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى. وقد بينا في تاريخ التمدن الاسلامي أنها صحيحة وان النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها. وفي كل حال فان ما خلفه بعض الشعراء من الثروة ولا تكسب لهم من غير الشعر يدل على كثرة ما كان يصل الى أيديهم من المال

ذكروا ان سلم الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠٠٠٠ دينار و١٥٠٠٠٠٠ درهم غير الضياع [٤] ومثله مروان بن أبي حفصة خلف ثروة طائلة وكانت جوائزه تبلغ ١٠٠٠٠٠٠ دينار مراراً [٥] وكان أبو نواس يكتسب أكثر من ذلك لكنه كان متلافاً سمحاً. وكان يتساجل في الانفاق هو وعباس بن الاحنف وصريع الغواني (مسلم بن الوليد). وكان البحتري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض كسبه وكان يركب في موكب من عبيده. وأما أبو تمام فأنفق ماله في تجواله الارض

وقد تبسط شعراء ذلك العصر في العيش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لابي تمام والبحتري قهارمة وكتاب [٦] وبلغ من دالة أبي نواس على الرشيد أنه كان يمرُّ به بنو هاشم والقواد والكتاب يسلمون عليه وهو متكيء ممدود الرجل فلا يتحرك لاحد منهم [٧]

وكثيراً ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب الخليفة منه كما فعلوا بتبليغ الرشيد خبر نقفور ملك الروم اذ غدر وهمَّ ان يغزو بلاد الاسلام ولم يجترىء يحيى بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فاطمع بعض الشعراء بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته [٨]

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب كما فعل شعر سديف بالسفاح فحمله على قتل بني أميه. وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب كما فعل مالك بن طوق وقد حكم عليه بالاعدام فقال للرشيد شعراً فعفا عنه [٩] وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة

---

(١) المزهر ٢٧٨ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٦٢ ج ١ (٣) الاغاني ١٦ ج ١٣
(٤) الاغاني ٨١ ج ٢١ (٥) العمدة ١٥٠ ج ٢ (٦) العمدة ٧ ج ١ (٧) الاغاني ١٦١ ج ٣
(٨) الاغاني ٤٥ ج ١٧ (٩) فوات الوفيات ١٤٣ ج ٢

وأحسن اليهم بعد سماعه أبياتاً قالها منصور النمري استعطفه بها فأمر بكف السيف عن ربيعة لاجله

٨ — تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب أن فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة ولغتهم شعرية ولذلك كانوا أكثر الناس شعراً وشعراء فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله أو تناشده أو تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة من زمن الجاهلية في عكاظ وأمثالها . ثم عقدوها في زمن الامويين بالمربد في البصرة. وأما في العصر العباسي فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لاصبح كل منزل من منازل أهل الادب نادياً للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس ومضرب الامثال وديوان العبر ومخزن الحكمة حتى كانوا لكثرة محفوظهم منه يرمزون باسم الشاعر الى بيت من أبياته مشهور بمعنى ويريدون ذلك المعنى كما اتفق للرجل الجالس على جسر بغداد والمرأة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله « رحم الله علي بن الجهم » فقالت له المرأة « رحم الله أبا العلاء المعري » وما وقفا بل سارا مشرقاً ومغرباً — قال الراوي « فتبعت المرأة وقلت لها والله ان لم تقولي لي ما أراد وما أردت لأفضحنك . قالت أراد بعلي بن الجهم قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بأبي العلاء قوله :

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال[1]

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الاول الذي نحن في صدده لكنها يصح ان تكون مثالا عنه. لان أهل هذا العصر بلغ من شغفهم بالشعر أنهم نقشوه على جدران منازلهم وأنديتهم وعلى فصوص خواتمهم وكتبوه في صدور مجالسهم وعلى القباب والمستنظرات والابواب . وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والاسرة والوسائد والمرافق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكاسات والارطال والجامات وسائر آنية الفضة والذهب والصيني . ونقشوه على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول والمعازف والدفوف وزينوا به الثياب فطرزوه على ذيول الاقمصة والاعلام وطراز الاردية والاكمام . وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح

(١) حلبة الكميت ٩٥

حتى النعال والخفاف . وزينوا به مظاهر ابدانهم فكتبوه بالحناء على الجبين والخد والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاترج وغيرهما . فكنت حيثما توجهت رأيت الشعر منقوشاً او مطرزا او مكتوباً او منسوجاً . وتجد امثلة من ذلك في كتاب الموشى الآتي ذكره

طبقات الشعراء

في العصر العباسي الاول

ان عدد الشعراء في هذا العصر اضعاف شعراء العصر الاموي لان مدة العصر العباسي اطول وقد اتسعت مساحة البلاد التي يقيم فيها العرب وكثر الشعراء من غير العرب وكانوا في زمن الامويين يفدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا يأتون في زمن العباسيين من اكثر المدائن الاسلامية . وبعد ان كان الشعر منحصراً تقريباً في العرب شاركهم فيه الموالى وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب وانصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم لانهم كثيرون يزيدون على بضع مئات أورد ابن النديم اسماءهم في الفهرست وذكر عدد ما خلفه كل منهم من الابيات [1] واكثر ذلك ضاع الآن ومن العبث أن نأتي باخبار كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا اهمية له وليس بين ايدينا شيء من نظمه

ويقال بالاجمال أن اكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق انقطع اكثرهم الى الخلفاء وتحضروا في بغداد أو البصرة وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون انحازوا للشيعة العلوية . ومنهم من اختص ببعض الامراء والوزراء . وهناك جماعة منهم لم يتحضروا بل كانوا يقيمون في البادية وانما يفدون على بغداد في المواسم ينشدون ما ينظمونه في مدح الخليفة أو غيره ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يفدوا على أحد فكانوا ينظمون الشعر لانفسهم وهم قليلون أو إن اكثرهم ظل في ثنايا الاهمال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهذه اسماء أشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا واكثرهم من الموالي غير العرب اقام معظمهم في بغداد تحت ظل الخلفاء أو وزرائهم باعتبار اغراضهم

(١) الفهرست ١٥٧ وما بعدها

أو غرض من ينتمون اليه أو يعيشون في ظله . وفيهم من توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ ولكننا عددناه من شعراء هذا العصر لانه نبغ فيه :

شعراء الخلفاء	شعراء البرامكة	شعراء سائر الامراء
ابو دلامة	ابان بن عبدالحميد	ابراهيم بن سيابة مدح ابرهيم الموصلي
حماد عجرد	ابن مناذر	محمد بن امية واخوه « ابرهيم بن المهدي
بشار بن برد	الرقاشي	العكوك « ابا دلف
مروان بن ابي حفصة	مسلم بن الوليد	محمد بن صالح « ابن المدبر
سلم الخاسر	اشجع السلمي	مطيع بن اياس « جعفر بن المنصور
ابو نواس		ابو الشيص « عقبة بن جعفر
منصور النمري		
ابو العتاهية		

شعراء الشيعة
ابو تمام
علي بن الجهم
حسين بن الضحاك
السيد الحميري
دعبل
ديك الجن

شعراء لم يكتسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب اصحابها بالشعر اشهرهم :

صالح بن عبد القدوس

العباس بن الاحنف من عدي

محمد بن بشير مولي بني اياس (ويدخل في هؤلاء ايضاً السيد الحميري وديك الجن وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يفدون على الخليفة او الامير فينالون الجوائز ثم يعودون الى بلدهم فكلهم من العرب وهاك اشهرهم :

ربيعة الرقي من الرقة

كلثوم بن عمرو العتابي

عمارة بن عقيل من هوازن

ناهض بن ثومة الكلابي من عامر

ونبغت طائفة من الشعراء في ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وابناء النعم منهم عبد الله بن عباس الربيعي من نسل الفضل بن الربيع .وقد يشترك بعض شعراء احدى هذه الطبقات بخصائص طبقة أخرى وانما اردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالذهن

هؤلاء هم اشهر الشعراء في العصر العباسي الاول وبهم قام ذلك الانقلاب الشعري فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم . واكثرهم تأثيراً في ذلك الانقلاب اكثرهم تقرباً من الخلفاء لتقدمهم في الشاعرية ولرفعة مقامهم قلدهم الناس في اساليبهم او استنباطاتهم . وفي مقدمتهم سبعة هم عمدة هذا الانقلاب هذه اسماؤهم مع سني وفاتهم

بشار بن برد توفي سنة ١٦٧ ﻫ		ابو العتاهية توفي سنة ٢١١	
السيد الحميري « « ١٧٣		ابو تمام « « ٢٣١	
ابو نواس « « ١٩٨		دعبل « « ٢٤٦	
مسلم بن الوليد « « ٢٠٨			

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الايجاز . والا فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم بنفسه . فنترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادباء

عمدة الشعراء

في العصر العباسي الاول

١ ـ بشار بن برد

توفي سنة ١٦٧ ﻫ

هو فارسي أصل آبائه من طخارستان أخذ ابوه برد في سبي وقع في يدي المهلب ابن ابي صفرة فكان من فيء القشيرية امرأة المهلب . فاقامته في ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته واهدته الى امرأة عقيلية كانت صديقة لها فولد له بشار . وأعتقته العقيلية فصار مولى . ونشأ في البصرة ثم قدم بغداد بعد ان بناها المنصور

ولد بشار اعمى جاحظ الحدقتين يغشاهما لحم احمر . وكان ضخماً طويلا عظيم الخلق والوجه مجدراً . وكان اطبع شعراء ذلك العصر على الشعر وقد قوّى العمى شاعريته لانصراف المخيلة الى التصور ـ ولذلك رأيت أكثر العميان من الشعراء يفوقون

معاصريهم في سعة الخيال مثل هوميروس اليوناني وملتن الانكليزي وبشار وابي العلاء وغيرهما عند العرب

جاء بشار في اوائل العصر العباسي الاول فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه فهو مقدم عليهم باجماع الرواة [١] ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ « المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن ابي عيينة ولكن بشاراً اطبعهم » [٢] وقد عاصر اواخر الدولة الاموية واوائل العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين وادرك جريراً والفرزدق . وهجا جريراً فاعرض جرير عنه استخفافا ـ قال بشار « ولو هاجاني لكنت أشعر الناس » فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا ونال الجوائز . وبلغ ما نظمه نحو ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي أهل الادب أن له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا له « هذا القدر لا يجتمع لكل الشعراء فقال « لي ١٢٠٠٠ قصيدة الا يكون لي بيت جيد من كل قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى أيام ابن النديم صاحب الفهرست الا ٤٠٠٠٠ بيت وليس منها الآن الا نتف متفرقة في كتب الادب وليس لبشار ديوان شعر مجموع . ويقال إن اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة بشار وابو العتاهية والسيد الحميري [٣]

ويمتاز بشار بانه تصرف وتفنن في معاني الشعر شيئاً كثيراً . وراج شعره في ايامه بالبصرة حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا ويروي من شعر بشارة ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه . وبشار مثل امرىء القيس فهو عندهم امام الشعراء المحدثين وقد قالوا ذلك ايضاً في ابي نواس ولكن بشارا اسبق وكان عند قيام الدولة العباسية منحازاً للعلويين وكان ابرهيم بن عبد الله بن الحسن ناهضاً على المنصور فنظم بشار قصيدة حرض بها ابرهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

ابا جعفر ماطول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

ثم علم بفوز المنصور وقتله ابرهيم المذكور فقلب الكنية واظهر انه قال القصيدة في ابي مسلم الخراساني فقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

وفي هذه القصيدة أبيات حكمية في غاية البلاغة منها :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن براي نصيح أو نصيحة حازم

(١) الاغاني ٢٠ ج ٣ (٢) البيان والتبيين ٢٥ ج ١
(٣) الاغاني ٣ ج ٧

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً فان الخوافي قوةٌ للقوادم
وما خير كف امسك الغلَّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الاظلامةً شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدي . ومدح خالد بن برمك جد البرامكة وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله بيتان أمر خالد أن يكتبا في صدر مجلسه وهما :

اخالد إن الحمد يبقى لاهله جمالا ولا تبقى الكنوز على الكدّ
فاطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقها أن العواري للردّ

واخبار بشار كثيرة بسطها صاحب الاغاني في ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه . ولم يدع بشار باباً من أبواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه ومن قوله في الغزل

لم يطل ليلي ولكن لم انم ونفى عني الكرى طيف الم
واذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسي يا عبد عني واعلمي انني يا عبد من لحم ودم
إن في برديَّ جسما ناحلاً لو توكأت عليه لانهدم
ختم الحبُّ لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم

ومن قوله :

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فانه مقارف ذنب مرةً ومجانبه
اذا انت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه

ومن الغزل قوله :

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وكان بشار من اصحاب الفلسفة المتحيرين في الدين ويعتقدون أن الانسان مسوق لا مخير يدلُّ على ذلك قوله :

طبعتُ على ما فيَّ غير مخيرٍ هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى واعطى فلم ارد وقصر علمي أن أنال المغيبا

فاصرف عن قصدي وعلمي مقصر وامسي وما اعقبت الا التعجبا

وقد تقدم خبر انحرافه عن بني العباس ولم يغنه تغيير مطلع تلك القصيدة شيئاً فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قلبياً ولذلك ظل في خاطره شيء عليه وكان المهدي بعده يظهر له فتوراً فغضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود فلم ينفعه . فهجاه ببيتين كانا سبب موته وهما :

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

فبعث المهدي اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ولم يخرج في دفنه احد لانه مات وخصمه الخليفة — وربما كان هذا هو السبب ايضاً في خمول اسمه مع تبرزه في الشعر

وتجد ترجمته في الاغاني ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ وابن خلكان ٨٨ ج ١ والشعر والشعراء ٤٧٦ والفهرست ١٥٩

٢ — السيد الحميري

توفي سنة ١٧٣ ﻫ

اسمه يدلُّ على انه من حمير نزل البصرة وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً وقد تقدم أنه هو وبشار وأبو العتاهية اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام . وبلغ منظومه ٢٣٠٠ قصيدة ولم يصلنا منها ما يستحق الذكر : وقد خمل ذكره لانه كان يسبُّ الصحابة بتشيعه لعلي فتحومي شعره وتخوف الناس منه . أما من حيث الشاعرية فله طراز ومذهب قلما يلحق فيه . وكان اسمر اللون تام القامة اشنب ذا وفرة حسن الالفاظ جميل الخطاب . اذا تحدث في مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه من حديثه ويعده بعضهم من طبقة بشار وانهما أشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم انه كان يكره الاستجداء بالشعر وقد نظم في ذلك ابياتاً وهي :

أيها المادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم وارجُ نفع المنزّل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله قال « لولا أن هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا »[1] ومن شعره في مدح بني هاشم لما استقرّ الامر لابي العباس السفاح قوله :

دونكموها يا بني هاشم فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكمْ له لابسا
لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكمُ فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولست من أن تملكوها الى مهبط عيسى فيكم آيسا

ومن قوله في ذم الصحابة :

قل لابن عباس سميّ محمد لا تعطينَّ بني عديّ درهما
احرم بني تيم بن مرة انهم شرُّ البرية آخراً ومقدما
إن تعطهم لا يشكروا لك نعمة ويكافئوك بان تذمّ وتشتما
وان ائتمنتهم أو استعملتهم خانوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهم لقد بدءوكم بالمنع اذ ملكوا وكانوا اظلما
منعوا تراث محمد اعمامه وبنيه وابنته عديلة مريما

وله في مدح العلويين ما يدل على حرية في القول . ومن ادلة ترفعه عن الجوائز أن الرشيد اعطاه جائزة ففرقها . وتجد ترجمته واخباره في الاغاني ٢ ج ٧ وفوات الوفيات ١٩ ج ١

٣ ـ أبو نواس

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هانىء ولد في الاهواز سنة ١٤٥ هـ في خلافة ابي جعفر المنصور وكانت أمه اهوازية اسمها جلبان وكان أبوه دمشقيًّا من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية انفذه مروان الى الاهواز فلقي جلبان فاحبها وتزوجها فولدت له أولاداً منهم أبو نواس وابو معاذ . وقبل أن يتجاوز أبو نواس السنة الثانية من عمره انتقل والداه الى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن والداه في سعة أو لعل والده مات وترك أولاده في كفالة امهم فأسلمت ابا نواس الى عطار يتخرّج عنده في مهنة العطارة ولكن نفسه

(١) الاغاني ٦ ج ٧

كانت تميل الى غير هذه الصناعة . وكان اذا قرأ شعراً ارتاحت نفسه الى معانيه وقامت فيه رغبة في النظم . فاذا اجتمع باديب او راوية او شاعر او حضر مجلس ادب وسمع شعراً احب ناظمه وتمنى ان يراه . وكان في جملة من سمع اشعارهم واحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب وكان ظريفاً غزلا وصافاً للشراب . واتفق ان والبة قدم الاهواز ليمدح ابا بحير الاسدي عامل المنصور عليها فمر بذلك العطار فلقي ابا نواس وكان جميل الصورة ذكيا فتوسم فيه النباهة فجالسه وخاطبه فآنس فيه قريحة وقادة فقال له « ان فيك مخايل ارى ان لا تضيعها وستقول الشعر فهل تصحبني اخرّجك » ولم يكن ابو نواس يعرف مخاطبه فقال ومن انت قال « أنا ابو اسامة والبة بن الحباب » فقال « نعم . انا والله في طلبك ولقد اردت الخروج الى الكوفة بسببك لآخذ عنك واسمع منك » فسار ابو نواس معه الى الكوفة ثم قدما بغداد

وكان والبة وبعض شعراء تلك الايام وندماؤه يجتمعون كل ليلة على الشراب وقول الشعر لا يكادون يفترقون فيهجون بعضهم بعضاً هزلا وجدًّا ويصفون الخمر وغيرها . وكان ابو نواس يحضرهم فيسمع ويعي ويزداد كل يوم علما ودربة وكان يختلف الى أبي زيد الانصاري فتعلم منه غريب الالفاظ وتردد على ابي عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه أيام الناس ونظر في نحو سيبويه حتى اصبح في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع اجاد فيها كلها . واحسن علم اللغة وفروعها حتى قال فيه الجاحظ « ما رأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع مجانبة الاستكراه » وقال معمر بن المثنى « كان أبو نواس للمحدثين كامرىء القيس للمتقدمين » وقد تقدم أن ذلك أولى أن يقال ببشار لانه اسبق

ويروى عن أبي نواس أنه قال « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال » وقال ابن السكيت « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلامرىء القيس والاعشى ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدثين فلأبي نواس فحسبك » وهو يعدُّ ايضاً من الشعراء المجان

وقد قدمنا في كلامنا عن مزايا الشعر في العصر العباسي الاول ما كان لابي نواس من الفضل في تغيير طريقته والتوسع في معانيه فهم يعدُّونه إمام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه في الشعر عن طريقة القدماء ـ كان عندهم للشعر الفاظ محدودة وأساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى قبله [1] ولكن تقرب ابي

(١) العمدة ٨٣ ج ١

نواس من الخلفاء ونفوذه عندهم ساعد على نشر طريقته فصار الشعراء يتحدونه فيها شأنهم في تحدي كل وجيه نافذ الكلمة . ولذلك قالوا : الناس على دين ملوكهم . واذا تدبرت تاريخ الاجتماع رأيت ذلك قاعدة في سائر أحوال الحياة

ووصف شعر ابي نواس لا يفي به صفحة أو بضع صفحات . وهو أول من توسع في وصف الخمر والتغزل بالغلمان . وفي ديوانه المطبوع بمصر صفحات عديدة من نظمه في هذين البابين فضلا عن تغزله بجارية احبها اسمها جنان . وقد اشرنا الى تهتكه في جملة متهتكي ذلك العصر ولعله اكثرهم انغماساً في اللهو على انواعه طمعاً منه بعفو الله على حد قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك بالغ رباً غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيرا
تعضُّ ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

ومن لطيف نظمه في مدح محمد الامين قوله يمدح ناقته :

وتجشمتْ بي هول كل تنوفة هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها صفٌّ تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

وعابوا عليه المبالغة في مدح الرشيد لقوله :

وأخفتَ اهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

ومن قوله في وصف الخمر :

وندمان سقيت الراح صرفاً وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دق في ذهن لطيف

وقوله : مدام تبدت من مقام مشرف تلوح لنا أنوارها ثم تختفي
ولما شربناها ودب دبيبها الى موضع الاسرار قلت لها قفي
مخافة أن يسطو عليَّ شعاعها فيطلع جلاسي على سري الخفي

وقوله : معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل در ما لناظمها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وقد خفيت من لطفها فكانها بقايا يقين كاد يذهبها الشكُّ

وهي كثيرة ويناسب ذلك وصفه للاقداح وما عليها من النقوش كقوله :

تدور علينا الراح في عسجدية حبتها بألوان التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً تدّريها بالقسيّ الفوارس
فللخمر ما زرّت عليه جيوبها وللماء ما حازت عليه القلانس

ويظهر أنه كان مطلعاً على أقوال الاوائل المنقولة الى العربية ولا سيما علم النجوم والطبيعيات بدليل قوله وفيه المام بالفلك :

الم ترَ الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمرُ حولها كملا

ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قل لزهير اذا حدا وشدا اقلل أو اكثر فانت مهذارُ
سخنت من شدة البرودة حـ تى صرت عندي كانك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج باردٌ حار

وفي ذلك اشارة الى نظر اهل الهند في الطبائع فهم يزعمون أن الشيء اذا زاد في البرد عاد حاراً. ومن اقوالهم: «إن الصندل الابيض اذا افرط في حكه عاد حاراً مؤذياً»

ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد :

ـ صورة المشتري لدى بيت الـ ـليل والشمس انت عند انتصاب
ـ ليس زاويش[1] حين سار امام الـ ـحوت والبدر اذ هوى لانصباب
ـ منك اسخى بما تشحّ به الانـ ـفس عند انتقاص درّ الحلاب
ـ لا وبهرام تستقلّ به العقـ ـرب بالليل رائداً في الحساب
ـ منك امضى لدى الحروب ولا اهو ـل في العين عند ضرب الرقاب

واختلفوا في سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ولو اردنا الاتيان بامثلة من نظمه لضاق المقام مع شيوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد[2] وهو مطبوع غير مرة في فينا ومصر وبيروت . وفي صدر طبعة مصر سنة ١٨٩٨ فصلٌ لجامع الديوان حمزة ابن الحسن الاصبهاني في شعر أبي نواس ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة ويتضمن نحو ١٣٠٠٠ بيت مرتبة على ١٢ باباً (١) نقائضه مع الشعراء (٢) المديح (٣) المراثي (٤) العتاب (٥) الهجاء (٦) الزهد (٧) الطرد (٨) الخمريات (٩) الخمريات والمجون (١٠) غزل المؤنث (١١) غزل المذكر (١٢) المجون وقد أهمل الناشر باب المجون لتهتكه الزائد

(١) يراد بزاويش (زفس)أحد الهة اليونان (٢) فهرست ١٣٩

وتجد أخباره في الاغاني ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦ و ١٤٨ ج ١٦ وابن خلكان ١٣٥ ج ١ وطبقات الادباء ٩٦ والشعر والشعراء ٥٠١ والفهرست ١٦٠ والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣

٤ ــ مسلم بن الوليد

توفي سنة ٢٠٨ هـ

ويعرف بصريع الغواني وهو من أبناء الانصار كان مداحاً محسناً وجل مدائحه في يزيد بن مزْيد وداود بن يزيد المهلبي والبرامكة ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم . وولاه المأمون بريد جرجان فلم يزل بها حتى مات . وهو أول من الطف في المعاني ورقق في القول وعليه يعول أبو تمام في ذلك وعلى أبي نواس ومن قوله في الوداع :

واني واسماعيل يوم وداعه ... لكالغمد يوم الروع زايله النصلُ
فان أغشُ قوماً بعده أو أزرهمُ ... فكالوحش يدنيها من الأنس المحلُ

ومن بديعه الذي امتثله أبو تمام وغيره :

اذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقنا ... جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها

ومن مدحه قوله في الفضل بن يحيى :

تساقط يمناه الندى وشماله الـ ... ـردى وعيون القول منطقه الفصلُ
عجول الى أن يودع الحمد ماله ... يعدّ الندى غنما اذا اغتنم البخلُ
له هضبة تأوي الى ظل برمك ... منوط بها الامال أطنابها السبلُ

ومن قوله في وصف سفينة :

أطاف بمجدافين يعتورانها ... يقوّمها كبح اللجام من الدبرِ
كأن الصبا تحكي بها حين واجهت ... نسيم الصبا مشي العروس الى الخدر

ومن لطيف غزله :

اذا التقينا منعنا النوم أعيننا ... ولا نلائم يوماً حين نفترق
أقرّ بالذنب مني لست أعرفه ... كيما أقول كما قالت فتتفق

وله ديوان مطبوع في ليدن سنه ١٨٧٥ وتجد أخباره في الشعر والشعراء ٥٢٨ وفي الاغاني ٩ ج ١٣ والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ وفي طبعة الديوان المذكورة

٥ — ابو العتاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو مولى واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ في الكوفة وكان في أول امره يتخث فيحمل زاملة المخنثين . ثم اشتغل بصناعة ابيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه . ولكنه احس من حداثته باقتداره على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق يوماً وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال: «يا فتيان اراكم تتذاكرون الشعر فاقول شيئاً منه فتجيزونه ؟ فان فعلتم فلكم عشرة دراهم » فهزأوا منه وسخروا به لكنهم قالوا : « نعم » قال :« لا بد أن يشترى باحد القمرين رطب يؤكل فانه ثمر حاصل » وجعل رهنه تحت ايديهم وقال اجيزوا :

ساكني الاجداث انتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع وعين نقطة اذا بلغتها الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما اعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكني الاجداث انتم مثلما بالامس كنتم
ليت شعري ما صنعتم اربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة . فخجل الفتيان واذاعوا خبره في الكوفة فجعل ادباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى معمله يستنشدونه فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد في أول خلافة المهدي وانشده قصيدة مطلعها :

الا ما لسيدتي مالها ادلت فاحمل ادلالها

وكان بشار بن برد حاضراً فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله :

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الاله ولا يك يصلح الاّ لها
ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلو ب لما قبل الله اعمالها

قال بشار لجار له : «انظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه» وصار ابو العتاهية من المقربين . وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه فأحرز نفوذاً عظيما عنده حتى كثيراً ما كان يتوسط بالعفو لديه . ولما توفي المهدي خلفه الهادي وكان واجداً عليه لانه كان يلازم اخاه الرشيد فهنأه أبو العتاهية بقصيدة يتقرب بها اليه مطلعها :

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شرَّ ما يتوقع

فاذن بادخاله ولم تطل مدة الهادي فخلفه الرشيد وكان ابو العتاهية قد عاهد نفسه ان لا يقول شعراً فالزمه الرشيد على القول فاطاعه فحظي عنده حظوة كبيرة حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر وعين له راتباً مقداره ٥٠ ٠٠٠ درهم سوى الجوائز منه ومن امرائه ووزرائه . وكان بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية أو السنوية

وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقلب على اطوار شتى ـ شأن الذين يحلون انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد . فاستقر رأي ابي العتاهية اخيراً على التمسك بالاسلام والزهد عن الدنيا فامره الرشيد أن يقول الشعر فابى فحبسه وضربه ثم اطلقه شفقة عليه . وله غزل كثير في عتبة جارية المهدي

وهو من مؤسسي الانقلاب الشعري في هذا العصر وقد اطلق نفسه من التقليد بالمعاني والالفاظ فاتى بمعان جديدة ونظم على اوزان لا تدخل في العروض ولم يتقدمه فيها احد [1] ولم يتهيب مما يتهيب له كثيرون من شعرائنا خوفا من الرجوع عن التقليد قعد يوماً عند قصار فسمع صوت المدقة فحكى ذلك في ابيات شعره فقال :

للمنون دائرا ت يدرن صرفها
هن ينتقيننا واحداً فواحـداً

ومن مخترعاته في المعاني قوله :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

وقوله لاحمد بن يوسف :

الم تر ان الفقر يرجى له الغنى وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي :

ولما استقلوا باثقالهم وقد ازمعوا للذي ازمعوا
قرنت التفاتي بآثارهم واتبعتهم مقلة تدمع

(١) الاغاني ١٢٦ ج ٣ والشعر والشعراء ٤٩٧

وقوله :

هب الدنيا تصير اليك عفواً اليس مصير ذاك الى زوال

ومن لطيف معانيه قوله :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي انا منفق وليس لي المال الذي انا تاركه

وذكروا له ارجوزة حكمية في بضعة آلاف بيت منها :

حسبك مما تبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

ومع ذلك فالاصمعي يقول : « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى »

وكان ابو العتاهية ابيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة. وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعاني سهل الالفاظ. فقد سأله بعضهم : « كيف تقول الشعر ؟ » قال : « ما اردته قط الا مثلاً لي فأقول ما أريد واترك مالا أريد »

وقد نظم في كل أبواب الشعر وامتاز منها بالزهد . ويؤخذ من سيرة حياته انه كان متردداً متقلباً ويغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم اهل خيال واوهام وخصوصاً الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان على أن تمنع ابي العتاهية عن قول الغزل بعد أن امره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سبباً حمله على ذلك

واما تقلبه فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته ـ فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدعي أنه مولى لليمن وينتفي من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه . وعاتبه بعضهم في ذلك وقال له: «الم تكن تزعم أن ولاءك لليمن؟ »قال:« ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن . وما في واحد انتميت اليه خيرٌ ولكن الحق احق ان يتبع » . وكان مع ما جمعه من الاموال بخيلا وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغاني

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد اخباره في الاغاني ١٢٦ ج ٣ و ١٨٦ ج ٦ و ٢٤ ج ٨ وابن خلّكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ والفهرست ١٦٠ وفي الهلال ١٣٣ سنة ١٣

٦ ـ ابو تمّام

توفي سنة ٢٣١ هـ

هو عربي من طي واسمه حبيب بن اوس الطائي ولد في منبج في بلاد الشام وجاء مصر صغيراً . وكان يستقي الماء في الجامع ثم جالس الادباء واخذ عنهم وتعلم . وكان فطناً فهماً يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى اجاده . وسار شعره وشاع ذكره في بغداد بؤرة الادب في ذلك الحين وخليفتها المعتصم وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث في طلب ابي تمام فنظم فيه القصائد فاجازه وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر احد منهم ان يأخذ درهماً بالشعر في حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وقد امتاز بمذهب في المطابق سبق به الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه [١]

وهو من المقدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفي اجادة الرثاء [٢] ومطلع قصيدته التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي لا يزال الراثون والمؤبنون يتمثلون به الى اليوم وهو :

الا فليجلّ الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وذكر صاحب الاغاني ان كثيراً من ابيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكنف ابي سلمى من ولد زهير بن ابي سلمى هجا فيها ذفافة العبسي وذكر ابياتاً منها [٣]

ومن مراثيه قوله يرثي ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر ماتا معاً :

لهفي على تلك الخايل منهما لو امهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما حلماً وتلك الاريحية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نموّه ايقنت ان سيكون بدراً كاملا

ومن مدائحه قوله :

سود اللباس كانما نسجت لهم ايدي السموم مدارعاً من قار
بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ابداً على سفر من الاسفار

ولابي تمام وصية في كيفية النظم اوصى بها ابا عبادة البحتري بين فيها احسن

(١) الاغاني ١٠٠ ج ١٥ (٢) العمدة ١١٩ ج ٢ (٣) الاغاني ١٠٧ ج ١٥

الوسائل لاجادة النظم قال « تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فان اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق واذا اخذت في مدح سيد ذي ايادٍ فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء انه لم يكتف بما نظمه من ضروب الشعر لكنه جمع مختارات من اشعار العرب الجاهلية وغيرهم في كتاب سماه الحماسة وتعرف بحماسة ابي تمام تمييزاً لها عن حماسة البحتري . حمله على جمعها انه نزل عند صاحب له في همدان اسمه «ابن سلمة» فأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة فغم ابو تمام وفرح «ابن سلمة» وقال «وطن نفسك على البقاء ان الثلج لا ينحسر الا بعد زمان» واحضر له خزانة كتب فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائد طوال . فبقي كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون به ولا يكادون يبرزونه لاحد حتى تغيرت احوالهم وورد من همدان رجل من اهل دينور يعرف بأبي العواذل فظفر به وحمله الى اصبهان . . فأقبل ادباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه فشهر فيهم وقد شرحه كثيرون

ومن أحسن الشروح شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ في اربعة اجزاء كبار بين فيها اشتقاق اسامي شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الغريب والاعراب وايراد الاخبار في اماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح في الهند سنة ١٨٥٦ ولها شرح للمرزوقي وآخر لابي العلاء المعري وآخر لابن جني منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي غيرها

وقد عني في طبع الحماسة مع شرح التبريزي ايضاً «فريتاغ» في مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الاول سنة ١٨٢٨ والثاني ١٨٥١ في بون . وقد ترجمها

الى الالمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الاصل في مجلدين في ستتغارت سنة ١٨٤٦ ولابي تمام حماسة أخرى هي كتاب الوحشيات منها نسخة في جملة كتب خطية نادرة استنسخها زكي باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب اوربا لتطبع بمصر

وكان ابو تمام اسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة . وله ديوان شرحه كثيرون شروحاً حسنة. منها شرح للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ ﻫ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع الديوان في مصر وفي بيروت سنة ١٣٢٣

وتجد اخبار ابي تمام في الاغاني ٩٩ ج ١٥ وابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ٢١٣ والفهرست ١٦٥

٧ ـ دِعبِل الخزاعي

توفى سنة ٢٤٦ ﻫ

هو عربي من اليمن شديد التعصب للقحطانية على النزارية لا يخشى بذلك لوماً ولا يخاف تهديداً . اسمه دعبل بن علي بن رزين من خزاعة . اصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد. وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة احسن اليه أو لم يحسن ولا أفلت منه كبير ولا صغير . فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فانه هجاه هجاء شديداً واحتمل ذلك منه . ومن شديد هجائه الذي يحتاج الى جرأة قوله للمأمون :

اني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعدطول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوهد

يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعي وقتله الامين حتى تولى المأمون . ومن قوله في هجاء المعتصم :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كتبُ
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة خيار اذا عدُّوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة لانك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم وصيف واشناس وقد عظم الكرب

وهجا ايضاً ابراهيم بن المهدي وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالاً اليهم . وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ودعبل شاب وهو يعترف باستاذيته فجفاه

مسلم فهجاه دعبل بقصيدة فيها عتاب شديد [١] ختمه بقوله :

فهبك يميني استأكلت فقطعتها وصبرت قلبي بعدها فتشجعا

وجرى له مع المطلب بن عبد الله أحد أمراء مصر حديث غاظ دعبلا فهجا المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلق مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصل
وعاديت قوماً فما ضرهم وشرفت قوماً فلم ينبلوا
شعارك عند الحروب النجا وصاحبك الاخور الافشل
فأنت اذا ما التقوا آخر وانت اذا انهزموا أول

وله في مقابل ذلك مدائح بغاية البلاغة . وأكثر مدائحه في أهل البيت لانه كان شديد التعصب لعلي وأهله . على أنه كثيراً ما كان يتخذ هجوه للارهاب فيضطر الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم أو ليمدحهم. ومن قوله في مدح المطلب المذكور:

ابعد مصر وبعد مطلب ترجو الغنى ان ذا من العجب
ان كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

ومن أشهر قصائده قوله يمدح أهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وليس حي من الاحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
الا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك ايسار على جزر
قتل واسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
إربع بطوس على القبر الزكي اذا ما كنت تربع من دير الى وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ماينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امريء رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر

ومن أدلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله في رثاء محمد بن يزيد الخزاعي :

كانت خزاعة ملء الارض ما اتسعت فقص مر الليالي من حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوي ببلقعة تسفي الرياح عليه من سوافيها
هبت وقد علمت ان لا هبوب به وقد تكون حسيراً اذ يباريها

(١) الاغاني ٤٨ ج ١٨

اضحى قرى للمنـايا اذ نزلن به وكان في سالف الايام يقريها

ومن شعره في الغزل قوله :

لا تعجبي ياسـلم من رجل ضحك المشيب برأسـه فبكى
لا تأخذوا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

فأنت ترى شاعرية هذا الرجل لكن ذكره خمل بسبب هجوه الخلفاء ـ والناس على دين ملوكهم . فلم يصل الينا من أشعاره الا شذرات مبعثرة مع أخباره في الاغاني ٢٩ ج ١٨ وابن خلـكان ١٧٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٣٩ والفهرست ١٦١

سائر الشعراء

في العصر العباسي الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء أو كان أكثر منظومهم فيهم أو أنهم لم يختصوا بسواهم ولا يدخلون في طبقة من الطبقات الاخرى . وقد ترجمنا بعضهم فيما تقدم من فحول هذا العصر ونأتي الآن على خلاصة أخبار الباقين مراعاة للمقام وترتيبهم حسب سني وفاتهم

١ ـ أبو دُلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

هو زند بن الجون وسمي أبا دلامة نسبة الى ابنه دلامة . وهو كوفي المنشأ اسود اللون مولى لبني اسد . وكان أبوه عبداً لرجل منهم فأعتقه . أدرك أبو دلامة أواخر الدولة الاموية ولـكنه نبغ في الدولة العباسية وانقطع الى ابي العباس السفاح والمنصور والمهدي . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون محاسنه ونوادره وفيه دعابة وظرف لا يخلو حديثه من نكتة أو ملحة . وكان مع ذلك معدوداً في جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضاً . وله قصائد عديدة في مدح الخلفاء المذكورين منها قصيدة في قتل أبي مسلم الخراساني مطلعها :

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الاسد الورد

أنشدها المنصور في محفل من الناس فقال له « احتكم » فطلب عشرة آلاف درهم فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة وكلما زاده عطاء زاده مدحاً حتى قال فيه :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم الى السماء فأنتم أطهر الناس
وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والانف والاذنان في الراس

ومن مداعباته ومجونه ان أبا العباس السفاح قال له « سلني حاجتك » فقال أبو دلامة « كلب أتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه أمر باعطائه فقال أبو دلامة «واعطني دابة أتصيد عليها» قال «اعطوه» قال «وغلام يصيد بالكلب ويقوده» قال «اعطوه غلاماً » قال « وجارية تصلح لنا الصيد وتطمعنا منه » قال «اعطوه جارية » قال « هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال « أعطوه داراً تجمعهم » قال « فان لم تكن لهم ضيعة فمن اين يعيشون ؟ » قال « قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال:«وما الغامرة ؟ » قال : « التي لا نبات فيها » فقال « قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة الف جريب غامرة من فيافي بني أسد » فضحك وقال « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه ان المنصور الزمه بالصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه فغاظه ذلك فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

ألم تعلموا ان الخليفة لزني بمسجده والقصر مالي وللقصر
أصلي به الاولى مع العصر دائماً فويلي من الاولى وويلي من العصر
ووالله مالي نية في صلاتهم ولا البر والاحسان والخير من أمري
وما ضره والله يصلح أمره لو ان ذنوب العالمين على ظهري

فضحك المنصور وأعفاه . وأخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٩ وابن خلكان ١٩٠ ج ١ والشعر والشعراء ٤٨٧ والدميري ١٣٢ ج ١ والمستطرف ٤٣ ج ٢

٢ ـ حماد عجرد

توفي سنة ١٦١ هـ

هو مولى أيضاً نشأ في الكوفة ثم واسط وعاصر الدولتين لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد أن نادم الوليد بن يزيد الاموي وجاء بغداد أيام المهدي ومعه مطيع ابن أياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين في دينهم. وحماد من الشعراء المجيدين وكان

ماجناً ظريفاً خليعاً وأدرك بشار بن برد وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا أمثلة منها . ولم يكن يهاب كبيراً ولا صغيراً ولا عالماً كان أو خليفة . وقد عاصر الامام أبا حنيفة وكانت بينهما مودة ثم قاطعه أبو حنيفة وبلغ حماداً أنه يتنقصه فكتب اليه :

ان كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعدوقم بي كيف شئت مع الاداني والاقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام نأخذها ونعطى في أباريق الرصاص

واهتم أدباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا في العصر الاموي بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد لبشار شيء جيد الا ٤٠ بيتاً معدودة . أما بشار فله من الهجاء أكثر من الف بيت جيد وكل منهما هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها فسقط عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه وبقي بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف أخباره أنه هجا حفص بن أبي بردة وكان صديقه وزنديقاً مثله وحفص أعمش أفطس أعضب مقبح الوجه . فاجتمعوا يوماً على شراب وجعلوا يتحدثون ويتناشدون فاخذ حفص بن أبي بردة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنف كثيل العود عما تتبع
تتبع لحناً في كلام مرقش ووجهك مبني على اللحن أجمع
فاذناك أقواء وأنفك مكفأ وعيناك ايطاء فانت المرقع

وقد سبق أبا نواس بالتغزل في الغلمان. من ذلك قوله في غلام كان يهواه اسمه أبو بشر :

أخي ان دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قلب أبي بشر
دوائي ودائي عند من لو رأيته يقلب عينيه لا قصرت عن زجري
فاقسم لو أصبحت في لوعة الهوى لاقصرت عن لومي وأطنبت في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصح وانك لاتدري بانك لا تدري

وكان السبب في وفاة حماد عجرد أنه شبب بزينب أخت محمد بن سليمان بن علي وبلغه غضب محمد فهرب الى الاهواز فبعث محمد بطلبه ففر الى غيرها ومرض في تنقله حتى مات في شيراز ودفن فيها

وتجد ترجمته في الاغاني ٧٣ ج ١٣ وابن خلكان ١٦٥ ج ١ والشعر والشعراء ٤٩٠ والفهرست ٩١

٣ — مروان بن أبي حفصة

توفي سنة ١٨١ هـ

هو من الشعراء الموالى أصل جده من سبي اصطخر وكان غلاماً اشتراه عثمان ابن عفان ووهبه لمروان بن الحكم وأقام بعدئذ باليمامة وولد له غلام سماه مروان. وقد اختلفوا في حقيقة نسبه . شب مروان على كره الشيعة لانه من موالي بني أمية وقد حارب معهم . وكان شجاعاً مجربا فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين . وهو من الفحول المقدمين أول من شهره ونوه به معن بن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها مطلعها :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معناً مطلعها :

بنو مطر يوم اللقاء كانهم اسود لهم في بطن خفان اشبل

فاجازه عليها بمال كثير فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحاً حتى غار منه المهدي وعنفه مرة وقد دخل عليه في جملة الشعراء وأنشده قصيدة في مدحه فقال له المهدي «من أنت ؟» قال « شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة» فقال له المهدي « ألست أنت القائل » :

أقمنا باليمامة بعد معن مقاماً لا نريد به زوالا

وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال ولا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا . . جروا برجله» فجروه برجله حتى أخرج . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء — وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة — فمثل بين يديه وأنشد قصيدة في مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تجحدون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الانفال آخر آية بتراثهم فأردتم ابطالها

فطرب المهدي وسأل عن القصيدة كم بيت فقيل مائة بيت فامر له عن كل بيت بالف درهم فنال ١٠٠ ٠٠٠ درهم وهي أول مرة نال شاعر هذه العطية [1]

(١) الاغاني ٤٤ ج ٩

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فاصابه معه كما اصابه مع المهدى . ثم مدحه بقصيدة بائية أعجبته فاعطاه عن كل بيت ألف درهم . ولم ينل أحد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالاً كثيراً لكنه كان مطبوعاً على البخل وظهر ذلك على الخصوص بالمقابلة مع سلم الخاسر الآتي ذكره لان هذا كان يتمتع بماله فيأتي باب المهدي على البرذون قيمته ١٠٠٠٠ درهم . ويلبس الخز والوشي ويتطيب ويتنعم بالاكل عكس مروان (١)

وتجد اخبار مروان في الاغاني ٣٦ ج ٩ وابن خلكان ٨٩ ج ٢ و ١٠٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨١ وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ والفهرست ١٦٠

٤ — سَلْم الخاسِر

توفي سنة ١٨٦ هـ

هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو احد موالي ابي بكر الصديق. نشأ في البصرة وكان شاعراً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر وكان متظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون وزاد شاعرية وتمرحاً بالشعر على يد بشار لانه كان راويته وتلميذه اخذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله وكثيراً ما كان يأخذ اقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهجُ

فجعله :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب واقسم الاّ يدخل عليه ولا يفيده مادام حيًّا فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضي ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده . وكان صديقاً لابرهيم الموصلي المغني المشهور ولابي العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصاً الفضل بن يحيى. وكان أول اشتهاره انه حمل قصيدة بشار الى عمر بن العلاء فلما انشده اياها امر لبشار بمائة درهم فقال سلم: « ان خادمك (يعني نفسه) قد قال في طريقه فيك قصيدة » قال ما هي فانشده اياها ومطلعها :

قد عزني الداء فمالي دواء مما الاقي من حسان النساء

حتى تخلص الى المدح بقوله :

(١) الاغانى ٣٩ ج ٩

كم كربة قد مسّني ضرها ناديت فيها عمر بن العلاء

فامر له بعشرة آلاف درهم وهي اول عطية سنية نالها ثم توالت عليه الجوائز من الخلفاء والوزراء والامراء وكان يتبسط في المعيشة ويلبس أحسن الملابس كما تقدم. وظل الى آخر ايامه يعترف انه جزء من محاسن بشار

وتجد ترجمته في الاغاني ١١٠ ج ٢١ وابن خلكان ١٩٨ ج ١

٥ — منصور النمري

هو عربيٌّ من النمر بن قاسط نشأ في الجزيرة بين النهرين. وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي الآتي ذكره بين الشعراء الذين لم يتحضروا وراويته. وعنه اخذ ومن بحره استقى. وقدمه العتابي الى البرامكة فوصفه للفضل بن يحيى وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه. ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل منهما في هلاك صاحبه

وكان مسكن النمري في الشام فطلب الى البرامكة ان يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فاستحضره. وكان ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسرُّه ان يمدح بنفي الامامة عن علي والطعن عليه لما كان يراه من تقديم مروان بن ابي حفصة بسبب ذلك فسلك مذهبه ونحا نحوه — والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب. لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ومن قوله فيه قصيدة مطلعها:

امير المؤمنين اليك خضنا غمار الهول من بلد شطير
تخوّض كالاهلة خافقات تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالاً ثقالاً ومثل الصخرة الدر المثير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير

ومما قاله في تفضيله على ابناء علي بالارث قوله:

فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق وردوا ماينا سب للذكور
وما لبني بنات من تراث مع الاعمام في ورق الزبور

وكان الرشيد يفضل مروان عليه بالعطاء ولو قليلاً. وقد ذكرنا الابيات التي قالها في مدح الرشيد من المبالغة [١] وناهيك بالقصيدة التي رفعت السيف عن ربيعة [٢]

(١) الاغاني ٢٠ ج ١٢ والعمدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغاني ٢٣ ج ١٢

وقد مدح ايضاً يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :

لو لم يكن لبني شيبان من حسب سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

وتجد اخبار المنصور النمري في الاغاني ١٦ ج ١٢ و ٣٢ و ١٤١ ج ١٧

٦ — علي بن الجهم

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم ابغضه لانه كان كثير السعاية اليه بندمائه واذا خلا به عرفه انهم يعيبونه ويثلبونه فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه الى خراسان بعد ان حبسه مدة وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن ابي حفصة في هجاء آل ابي طالب وذمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب رضوى امامٌ . خاب ذلك من امام
امامٌ من له عشرون الفاً من الاتراك مشرعة السهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد الله صاحب خراسان ان يصلبه فقبض عليه وصلبه في الشاذياخ يوماً الى الليل مجرداً فلما نزل قال في ذلك قصيدة فخرية مطلعها :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية ا لاثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفاً وملء صدورهم تبجيلا

ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه وفيه احسن ما قيل في مدح السجن :

قالوا حبستَ فقلت ليس بضائرى حبسي واى مهند لا يغمدُ
او مارأيت الليث يألف غيله كبرا واوباش السباع تردّد
والشمس لولا انها محجوبة عن ناظريك لما اضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتنجلي ايامه وكانه متجدد
والغيث يحصره الغمام فما يرى الا وريقه يراع ويرعد
والزاعبية لايقوم كعوبها الا الثقاف وجذوة تتوقد
والنار في أحجارها مخبوءة لا تصطلى ان لم تثرها الازند

وله اقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ومن أجمل ذلك قوله في وصف حفلة بعد صيد فرشوها واقاموا يشربون على الزعفران :

وطئنا رياض الزعفران وامسكت علينا البزاة البيض حمر التدارج
ولم تحمنها الادغال منا وانما ابحنا حماها بالكلاب البوارج
بمستروحات سابحات بطونها على الارض امثال السهام الزوالج
ومستشرفات بالهوادي كأنها وما عققت منها رؤوس الصوالج
ومن دالعات ألسناً فكأنها لحى من رجال خاضعين كواسج
فلينا بها الغيطان فلياً كأنها انامل احدى الغانيات الحوالج

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٤ ج ٩ وابن خلكان ٣٤٩ ج ١

٧ — حُسَين بن الضَحَّاك

توفي سنة ٢٥٠ هـ

هو مولى باهلة ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بنى العباس وكان خليعاً فاسداً وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ، لشعره قبول ورونق فهو من المتفننين وله معان جديدة في الخمر كان ابو نواس يأخذها عنه. ومع ان ابا نواس مات سنة ١٩٨ والضحاك مات سنة ٢٥٠ فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب لكن ابن الضحاك عمر كثيراً

وهو اول من نادم الامين وله فيه مدائح كثيرة فلما رجع المأمون من خراسان بعد مقتل اخيه واستتب الامر له طلب قوماً من أهل الادب يجالسونه فذكروا له جماعة فيهم حسين بن الضحاك فقال « اليس هو القائل في محمد (الامين) :

هلاّ بقيت لسدّ فاقتنا ابداً وكان لغيرك التلفُ
فلقد خلفت خلائفاً سلفوا ولسوف يعوِز بعدك الخلفُ

لا حاجة لي فيه والله لا يراني ابداً الا في الطريق » ولم يعاقبه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . وانحدر الحسين الى البصرة فاقام بها طول أيام المأمون

وله في الامين مراث جيدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك فقيل له انه في البصرة فاستقدمه فقدم وانشده قصيدة فيها من المديح قوله :

خير الوفود مبشرٌ بخلافة خصت بهجتها ابا اسحق
وافته في الشهر الحرام سليمة من كل مشكلة وكل شقاق
اعطته صفقتها الضمائر طاعةً قبل الاكف بأوكد الميثاق
سكن الانام الى امام سلامةٍ عفّ الضمير مهذب الاخلاق

فحمى رعيته ودافع دونها واجار مملقها من الاملاق

وله ابيات في التغزل بالغلمان اقتبس بعضها ابو نواس [1]

وتجد اخباره في الاغاني ١٧٠ ج ٦ وابن خلكان ١٥٤ ج ١

شعراء البرامكة

نريد بهم الشعراء الذين كان اكثر انقطاعهم للبرامكة او اختصوا بهم دون سواهم او كان لهم معهم شأن خاص وهاك اشهرهم :

١ — أبان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالي واكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتباً من الفارسية الى العربية. وله ذكر خاص في آداب اللغة العربية لانه نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً باشارة البرامكة كما نظمه الفرس قبلاً ليسهل حفظه على الاذهان .وقد نقله ابن المقفع نثراً . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هذا كتاب أدب ومحنهْ وهو الذي يدعى كليلة دمنهْ

فيه احتيالاتٌ وفيه رشدُ وهو كتابٌ وضعته الهندُ

فاعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار واعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ولم يعطه جعفر شيئاً وقال « الا يكفيك ان احفظه فاكون راويتك ؟ »

وهذا النقل من جملة افضال البرامكة على اللغة العربية لكن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا هذان البيتان.ونقله شعراً ايضاً آخرون سنذكرهم عند ذكر هذا الكتاب

وارتقى ابان في ايام البرامكة حتى جعل يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز اليه فامتحنهم ورتبهم وفي جملتهم ابو نواس . فلم يرض ابو نواس المرتبة التي جعله فيها وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة ، واكثر اعدائه كانوا يتهمونه بذلك وفيهم المعذل بن غيلان فانه قال فيه :

رايت اباناً يوم فطر مصلياً فقسم فكري واستفزني الطربْ

وكيف يصلي مظلم القلب دينهُ على دين مانٍ ان ذاك من العجب

(١) الاغاني ١٧٥ ج ٦

واغتنم ابان تقربه من البرامكة ووسطهم بإيصاله الى الرشيد او ايصال مديحه لعله يحظى كما حظي مروان بن ابي حفصة فلم يفعلوا . ولما عاتبهم قالوا «ان مروان يتقرب اليهم بهجو آل ابي طالب فهل تفعل ؟ » فقال لا فقالوا « فماذا نصنع لاتأتي الدنيا الا بما لايحل » ثم غلب عليه التماس الرزق فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلماً ... اعم بما قد قلته العجم والعربْ
اعمُّ رسول الله اقرب زلفةً ... لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وايهما اولى به وبعهده ... ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عباسٌ احق بتلكم ... وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب
فابناء عباسٍ هم يرثونه ... كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهي طويلة فقدموها الى الرشيد فاجازه عليها واتصل به من ذلك الحين
وتجد اخباره في الاغاني ٧٣ ج ٢٠ والفهرست ١٦٣

٢ — ابن مُنَاذر

توفي سنة ١٩٨ ﻫ

هو مولى ويكنى ابا جعفر واسمه محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وامام فيها حتى اخذ عنه اكابر اهلها وكان في أول امره يتعبد ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف اعراض اهل البصرة حتى نفي عنها الى الحجاز فمات هناك

وكان ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل اليه ويقدمه. وقد مدح آل برمك وغيرهم. ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل بن الربيع اصبح شعراء البرامكة في خطر . فاراد ابن مناذر ان يتقرب الى الرشيد طلباً للرزق فاغتنم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة فلاح البشر في وجه الرشيد فقال الفضل بن الربيع للرشيد .« هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد فقال الفضل « مره ان ينشدك قوله فيهم » فامره فاعتذر فألح عليه فانشد القصيدة التى مطلعها :

اتانا بنو الاملاك من آل برمك ... فيا طيب اخبار وياحسن منظر [1]

وكلها اطراء في البرامكة ولما فرغ منها استدرك بقوله « كانوا اولياءك يا امير المؤمنين لما مدحتهم » فامر الرشيد ان يلطم فلطموه وامر فحبسوه وخرج لا يلوي

(١) الاغاني ٢٥ ج ١٧

على شيء . فلقيه ابو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار وقال له « استعن بهذه واعذرني » ولم يعد ابن مناذر يرى خيراً بعد البرامكة

وتجد اخباره في الاغاني ٩ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٥٣

٣ — الرُّقاشي

توفي سنة ٢٠٠ هـ

هو مولى واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشي من اهل البصرة كان سهل الشعر مطبوعاً وكان منقطعاً الى آل برمك مستغنياً بهم عن سواهم . وكانوا يصولون به على الشعراء ويروُّون اولادهم اشعاره ويدونونها القليل والكثير منها تعصباً له وحفظاً لخدمته وتنويهاً باسمه وتحريكاً لنشاطه فحفظ ذلك لهم. فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم فاقام معهم مدة ايامهم ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا ثم رثاهم فاكثر من رثائهم. من ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشي وهو مصلوب على الجذع فوقف يبكي ثم قال :

اما والله لولا خوف واشٍ ... وعين للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيى ... حساماً حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ... ودولة آل برمكٍ السلام

وتجد ترجمته في الاغاني ٣٥ ج ١٥ وفوات الوفيات ١٢٥ ج ٢ والشعر والشعراء ٥١٥

٤ — أَشْجَع السُّلَمي

هو اشجع بن عمرو السلمي من قيس . ولد باليمامة ومات ابوه فجاءت به أمه البصرة فماتت هناك . ونشأ اشجع بالبصرة وقال الشعر واجاد وعد من الفحول وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم اشجع افتخرت به قيس . ثم اتصل بالمرامكة واختص بجعفر واصفاه مدحه فاعجب به واوصله الى الرشيد فاعجب به فأثرى. ومن بليغ شعره قوله في ابراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد وكان جباراً عبوساً :

في سيف ابراهيم خوفٌ واقعٌ ... بذوى النفاق وفيه أمنُ المسلمِ
ويبيت يكلأ والعيون هواجعٌ ... مال المضيع ومهجةَ المستسلم

جعل الحطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يُصلح السلطانَ الاشدةٌ تغشى البريَّ بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحمٌ لا يتقى والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها بالامر تكرهه وان لم تعلم

وتجد اشعاره واخباره في الاغاني ٣٠ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٦٢

واكثر الشعراء مدحوا البرامكة وانتفعوا بهم وانما اتينا على اشهرهم في ذلك وبعضهم يدخل في الابواب الاخرى

شعراء الشيعة

نريد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل علي ويتعصبون لهم ولو مدحوا غيرهم وقد ترجمنا اثنين منهم هما السيد الحميري ودعبل في جملة عمدة شعراء هذا العصر . واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن :

ديك الجنّ

توفي سنة ٢٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان وأصله من اهل مؤتة (وقيل سلمية) وقد اسلم جده في اول الاسلام. ولد في حمص وديك الجن لقب له وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله « ما للعرب علينا فضل جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا » وهو شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام والشاميين في شعره وكان مقيماً في حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدّياً لاحد وهذا نادر في شعراء ذلك العصر. وكان يتشيع لآل البيت وله مراثٍ كثيرة في الحسين بن علي كان بعضها مشهوراً عند الخاص والعام يناح به . وكان مع ذلك خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورث عن آبائه وما اكتسبه بشعره من احمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن اقواله في الخلاعة والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنا ياغلام مبتكرة فباكر الكاس لي بلا نظرة

وعشق جارية نصرانية من اهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام وتزوجها وله فيها تشبيب منه قوله :

انظر الى شمس القصور وبدرها ... والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبك عينك ابيضاً في اسودٍ ... جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها ... من ريقها من لايحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من ارادفها ... عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كاس مدامة من كفها ... وردية ومدامة من ثغرها

ودخل بعض اقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر واحتال حتى صدق ديك الجن التهمة وهي افتراء وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

ياطلعة طلع الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها
روَّيتُ من دمها الثرى ولطالما ... روى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ... ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وماوطىء الحصى ... شيءٌ اعزُّ عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن ... ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها ... وانفت من نظر الحسود اليها

وبعضهم ينسب هذه الابيات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله جيد على انه كان مجيداً في الرثاء حتى فضلوه فيهِ على ابي تمام [1] . وتجد اخباره في الاغاني ١٤١ ج ١٢ وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١

شعراء سائر الامراء

وهناك طبقة من شعراء العصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى امير او وزير او كبير . اشهرهم علي بن جبلة المعروف بالعكوَّك انقطع لابي دلف. ومطيع بن اياس انقطع لجعفر بن المنصور . وابو الشيص لعقبة بن جعفر بن الاشعث وهذه تراجمهم :

١ — مُطيع بن أَياس

هو عربي الاصل يرجع نسبه الى كنانة وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وكان ماجناً خليعاً ظريفاً مليح النادرة متهماً بالزندقة . ولد ونشأ في الكوفة

(١) العمدة ١١٩ ج ٢

وانقطع لجعفر بن ابي جعفر المنصور ومدح قليلين غيره. وهو من طبقة كانت في صدر الدولة العباسية قبل ابي نواس وابي العتاهية ادركوا المنصور وهو لا يقبل الشعراء وكانوا ثلاثة: مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد فكانوا يتذاكرون ايام بني امية وكثرة الخير فيها وما هم فيه ببغداد من القحط ايام المنصور. وقد نظم مطيع في ذلك شعراً منهُ قوله:

حبذا عيشنا الذي زال عنا حبذا ذاك لا حبذا ذا
اين هذا من ذاك سقياً لذا ك ولسنا نقول سقياً لهذا
زادهذا الزمان عسراً وشرًّا عندنا اذ احلنا بغذاذا
بلدةٌ تمطر التراب على النا س كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلاً واخرب ذوالعر ش باعمال اهلها كلواذا

وكانوا يتهتكون في تعشق الغلمان ولعلهم اقدم من فعل ذلك من الشعراء. وفي الاغاني حديث عنهم نخجل من ذكره يدل على مقدار تهتكهم في ذلك العصر. ولمطيع قصيدة عامرة يمدح بها معن بن زائدة مطلعها:

اهلاً وسهلاً بسيد العرب ذي الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها واخي الحـ ـود حوى عانيه من كثب

وترى اخباره في الاغاني ٧٨ ج ١٢ و٨٥ ج ١٣ و٨٦ ج ٢١

٢ — أَبو الشّيص

توفي سنة ١٩٦ هـ

هو ابو جعفر محمد بن رزين من اليمنية. وهو عم دعبل الشاعر المشهور وقد تقدمت ترجمته. وكان ابو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد واشجع وابي نواس فحمل وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعي وكان اميراً على الرقة فمدحه باكثر شعره وقلما يروى له في غيره. وكان عقبة جواداً فاغناه عن غيره لانه كان يعطيه عن كل بيت الف درهم. وكان من وصاف الخمر وله مقدرة على الغزل. واصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر في بكاء عينيه فمن ذلك قوله:

يانفس ابكي بادمع هتن وواكف كالجمان في ستنِ
على دليلي وقائدي ويدي ونوروجهي وسايس البدن

ابكي عليها بها مخافة ان يقرنني والظلام في قرن

ومن اقواله في الغزل :

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخرٌ عنه ولا متقدمُ
اجد الملامة في هواك لذيذة حباً بذكرك فليلمني اللوَّم
اشبهت اعدائي فصرتُ احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فاهنتُ نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وهو مما يتغنى به . وقد سرق ابو نواس معنى البيت الاول فنظمه في قوله :

فما جازه جودٌ ولا حل دونهُ ولكن يسير الجود حيث يسير

وسرق آخرون معنى البيت الثاني فقال بعض المغاربة :

هددت بالسلطان فيك وانما أخشى صدودك لا من السلطان
اجد اللذاذة في الملام فلو درى أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٨ ج ١٥ وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ والشعر والشعراء ٥٣٥ والفهرست ١٦١

٣ — العَكوَّك

توفي سنة ٢١٣ هـ

اسمه علي بن جبلة الانباري والعكوَّك لقبه وهو من الموالي ابناء الشيعة الخراسانية من اهل بغداد ولد في الحربية منها ونشأ فيها وكان ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداح حسن التصرف. وقد استنفد شعره في مدح ابي دلف العجلي وابي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي وزاد في تفضيلهما وتفضيل ابي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر فاستاء المأمون من ذلك وبلغه ابيات قالها العكوك في ابي دلف منها :

كل من في الارض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متوارياً حتى مات . وسبب معرفة العكوك بابي دلف طلب الرزق فقد بلغه ان الناس يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي اربعون بيتاً في جملتها البيتان المتقدمان

وهو ابرص اسود . وله في الغزل قوله :

بابي من زارني مكتتماً خائفاً من كل شيء جزعا
زائراً نمَّ عليه حسنهُ كيف يخفي الليل بدراً طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته ثم ما سلم حتي ودعا

واخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه ابا دلف من امثلة المبالغة صفحة ٤٧ وتجد اكثر اخباره في الاغاني ١٠٠ ج ١٨ وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٥٠

وهاك اهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل منهم المأخذ الذي يرجع اليه في مطالعة اخباره :

٤ ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصلي المغني اخباره بالاغاني ٦ ج ١١
٥ محمد بن امية واخوه علي » ابراهيم بن المهدي » ٣٢ ج١١و٦٣ج٢٠
٦ محمد بن صالح » ابن المدبر » ٨٨ج١٥و٢٢٠فوات٢

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتزقون بالشعر مدحاً او هجاء او نحو ذلك مثل سائر شعراء ذلك العصر وغيره وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر اي يجعله باباً للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسي الاول صالح بن عبد القدوس والعباس ابن الاحنف ومحمد بن بشير الرياشي

١ — صَالِح بن عبد ٱلقُدُّوس

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من حكماء الشعراء متهم بالزندقة قوي الحجة له منزلة كبرى عند اهل مذهبه . نشأ في البصرة وكان يقصُّ على الناس ويعظهم . وبلغ الى المهدي خبر زندقته فبعث اليه يستقدمه من دمشق وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن . فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي قال له المهدي ألست القائل ؟ :

والشيخ لايترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

قال « بلى يا امير المؤمنين » قال « وانت لاتترك اخلاقك حتى تموت » فامر به فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ واكثر اشعاره في الحكم الفلسفية . ومن احاسن اقواله القصيدة التى منها ذلك البيت . وهو يقول فيها :

لايبلغ الاعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسهِ
والشيخ لايترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنى عاد الى نكسه
وانَّ من ادبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي ابصرت من يبسه

وقوله :

لا يعجبنـك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضهُ مبـذول
وربما افتقر الفتى فرأيتـه دنس الثياب وعرضه مغسول

وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ومن قوله :

انستُ بوحـدتي ولزمت بيتي فتم العزُّ لي ونما السرور
وأدّبني الزمان فليت اني هجرت فلا ازَارُ ولا ازور
ولست بقائلٍ ما دمت حيًّا اقام الجنـد ام نزل الامـير

وهو القائل :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وله قصيدة حكمية اخلاقية بديعة مطلعها :

المرء يجمع والزمان يفرّق ويظلُّ يرقع والخطوب تمزّق

وترى اكثر اخباره في فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميري ٢٦ ج ١

٢ — اُلْعَبَّاسُ بن الْأَحْنَف

توفي سنة ١٩٢ هـ

هو عربي شريف النسب لم يتكسب بالشعر وانما كان ينظم ما يجيش في خاطره واكثره في الغزل ولم يتجاوزه الى مديح او هجاء. وله مذهب حسن ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر ان يكثر من النظم في مذهب واحد لايتجاوزه . ويندر ذلك في الشعراء قديماً وحديثاً وله ديوان طبع

مع ديوان ابن مطروح بالآستانة سنة ١٢٩٨ هـ ولشعره الغزلي وقع في النفس فانهم كانوا يغنون كثيراً منه كقوله :

لاجزى الله دمع عيني خيراً وجزى الله كلَّ خير لساني
نمَّ دمعي فليس يكتمُ شيئاً ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طيٌّ فاستدلوا عليه بالعنوان

وقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي املي رضاك وزرت غير مراقبِ
لكن مللت فلم تكن لي حيلة صدُّ الملول خلاف صدّ العاتب

وقوله :

اتأذنون لصب في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به عف الضمير ولكن فاسق النظر

وتجد اخباره واشعاره في الاغاني ١٥ ج ٨ وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٢٥

٣ — محمد بن بَشير الرّياشي

هو من الشعراء الموالي غير محمد بن بشير الخارجي . اما الرياشي فانه شاعر ظريف من أهل البصرة لم يفارقها ولا وفد على خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده. وكان ماجناً هجاء خبيثاً. وله في الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخلت بستانه وفيه بقلٌ من غرسه فأكلته ثم دخلت داره فلم تجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فاكلتها وخرجت فنظم في ذلك قصيدة طويلة[1] مطلعها :

لي بستانٌ انيق زاهر ناضر الخضرة ريان ترف

واحسن في وصف الشاة وحركاتها ويتخلل ذلك مجون لطيف. واكثر قصائده على هذا الاسلوب منها قصيدة وصف بها فراخاً[2] مطلعها :

يارب رب الرائحين عشية بالقوم بين منى وبين ثبير

وهي طويلة وفيها مجون واكثر نظمه من هذا النوع

وتجد اخباره في الاغاني ١٢٩ ج ١٢

(١) الاغاني ١٣٠ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٣٥ ج ١٢

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا في بغداد بل كانوا يفدون على الخلفاء او الامراء ثم يرجعون الى البادية فهم اقل كثيراً من الذين تحضروا اشهرهم :

١ — كُلثُوم بن عمرو العتَّابي

توفي سنة ٢٢٠ هـ

اصله من قنسرين مدح البرامكة وطاهر بن الحسين وكان حسن الاعتذار في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والادب واللغة وكان يقيم في رأس عين بعيداً عن دور الخلفاء والامراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فاعجب بها فطلب اشخاصه اليه فجاء وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدومه الى الرشيد أمر بان تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا. فكانت المائدة اذا قدمت اليه اخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فاكله بها . فاذا كان وقت النوم نام على الارض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه فاخبروه بامره فأمر بطرده فخرج حتى اتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له « ارتفع » فقال « لم آتك للجلوس » قال « فما حاجتك ؟ » قال « دابة ابلغ عليها الى رأس عين » فقال « ياغلام اعطه الفرس الفلاني » فقال « لاحاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشترى لي دابة أتبلغ عليها » فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى معه فعدل به العتابي الى سوق الحمير فقال الغلام « انما امرني ان ابتاع لك دابة » فقال له « انه ارسلك معي ولم يرسلني معك فان عملت ما أريد والا انصرف » فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً وقال « ادفع اليه ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عرياً بمرشحة عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان فقال له يحيى بن سعيد « فضحتني أمثلي يحمل مثلك على هذا ؟ » فضحك وقال « ما رأيت قدرك يستوجب اكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت « هذا منصور النمري (تلميذك وراويتك) قد اخذ الاموال فخلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعاً وانت ههنا كما ترى » فانشد يقول :

تلوم على ترك الغنى باهلية ذوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى مقلدة اعناقها بالقلائد

أسرك اني نلتُ ما نال جعفرٌ من العيش او مانال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنين اغصني بغصهما بالمشرفات النوارد ؟
دعيني تحييني منيتي مطمئنة ولم اتجشم هول تلك الموارد

ويرى صاحب الاغاني اضطراباً في هذا الخبر . على انه كان يفد على الخلفاء والامراء وينال جوائزهم . وهو أستاذ المنصور النمري

أخباره في الاغاني ٢ ج ١٢ وفوات الوفيات ١٣٩ ج ٢

٢ — ربيعة الرقّي

هو ربيعة بن ثابت الانصاري ولد في الرقة ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . وهو ضرير مثل بشار وكان منقطعاً عن الحضارة بعيداً عن مجالسة الخلفاء فاخمل ذكره بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم واول من فعل ذلك المهدي فمدحه ونال جوائزه. وكان ابن المعتز يرى ربيعة اشعر غزلاً من ابي نواس لان في غزل ابي نواس برداً كثيراً وغزل هذا سليم عذب سهل ولذلك فان شهرته بلغت إلى بلاط الخليفة . وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده. وان قصر احد في عطائه هجاه وله في ذلك حديث مع العباس بن محمد بن علي من امراء بني العباس — وذلك ان الرقي مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قلْ «لا» وانت مخلدٌ ما قالها
ما ان اعدّ من المكارم خصلة الا وجدتك عمها او خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة حتى حللت براحتيك عقالها

فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع ان يعطيه الفي دينار فاعطى الدينارين الى الرسول على ان يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاءٌ كأني ان مدحتك قد زنيت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فاحضره الرشيد وهمَّ بقصاصه فقص عليه الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس وكان ينوي ان يزوجه ابنته فتغير عليه وامر للرقيّ بثلاثين ألف درهم وبغلة واوصاه ان لايذكر العباس تعريضاً

ولا تصريحاً . واتفق للرقي ايضاً مثل ذلك مع معن بن زائدة وقد لقيه في بعض قدماته الى العراق فمدحه فلم يهش له فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يامعن يا ابن زائدة الكا ... ب الذي في الذراع لافي البنان
لا تفاخر اذا فخرت بآبا ... ئك وافخر بعمك الحوفزان

ومن غزله ابيات يغنّى بها وهي :

وتزعم اني قد تبدّلت خلة ... سواها وهذا الباطل المتقوّلُ
لحى اللهمن باع الصديق بغيره ... فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل
ستصرم انساناً اذا ما صرمتني ... يحبك فانظر بعده من تبدل

وتجد اخباره في الاغاني ٣٨ ج ١٥ وخزانة الادب ٥٥ ج ٣

٣ — عمارة بن عقيل : هو من الشعراء البدو في هذا العصر حفيد جرير الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه . وتجد اخباره في الاغاني ١٣٨ ج ٢٠ وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ — ناهض بن ثومة: هو من عامر شاعر بدوي فارس فصيح كان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة . واخباره في الاغاني ٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغ اخبارهم الينا لانهم قضوا حياتهم في البادية ولم يفدوا على احد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة من اللغويين والنحاة والفقهاء والمحدثين حتى الوزراء والخلفاء والولاة والخدم والنساء وغيرهم ممن جمعت اشعارهم في ذلك العصر وبقي كثير منها الى اواسط القرن الرابع. فقد ذكر ابن النديم في الفهرست مئات من أولئك الشعراء . فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات وعدة عائلات تسلسل الشعر في اعقابها كآل ابي أمية وآل اللاحقي وآل ابي عيينة المهلبي وآل المعدّل وآل ابي العتاهية . وطائفة من النساء الشواعر

وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق بتقدير الورقة صفحتين في كل منهما عشرون سطراً . فذكر نحو مائة شاعر منهم بشار له الف ورقة وابو نواس ٨٠٠ ورقة وابن هرمة ٥٠٠ ورقة وغيرهم ٣٠٠ واقل الى ٥٠ او ٢٠ ورقة على ما كان معروفاً في عصره باواسط القرن الرابع . ولم يبق من ذلك الى اليوم الا القليل فمن أراد مراجعة قائمة ابن النديم فهي تبدا بصفحة ١٥٩ من الفهرست

العلوم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء في تعريف الادب وتحديده. اما علم الادب فيشتمل في اصطلاحهم على اكثر علوم العربية كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر واخبار العرب وانسابهم. وصاحب هذه العلوم او احدها كانوا يسمونه «اديب» [١] وقالوا الفرق بين الاديب والعالم ان الاديب يأخذ من كل شيء احسنه فيألفه والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه [٢]. ولكن التعريف الاول اقرب الى المراد ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة في فني المنثور والمنظوم — وقد شاعت هذه التسمية قبل ان تتميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض. وكانت في أول امرها مختلطة متشابهة ثم استقلت بالتدريج وتفرعت وصار كلٌّ منها علماً له احكام مستقلة جرياً على سنة النشوء والارتقاء

فكان المراد بالادب في اول الاسلام جمع اقوال العرب واشعارهم واخبارهم وامثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن وضبط الفاظه وتفهم اساليبه — اخذوا بذلك من القرن الاول للهجرة. وكان ابن عباس يقول « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب » [٣]

ثم وضع ابو الاسود الدؤلي النحو لضبط المعاني كما تقدم فزادت الحاجة الى جمع اقوال العرب واشعارهم للاستشهاد بها في الاعراب والتصريف. واهتمت الدولة الاموية في احياء لغة العرب وآدابها واخذ خلفاؤها في حفظ الآداب الجاهلية فجعلوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها او يروونها ويبذلون لهم الاعطية

الادباء في الدولة العباسية

وظلت الرغبة في اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما في عصرها الاول لرغبة خلفائها الاولين ووزرائها البرامكة في العلم والادب والشعر. ولم تكن رغبتهم قاصرة على الشعر ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسماع منهم أو لتعليم ابنائهم اللغة والنحو والشعر. فالمنصور استقدم شرقيّ القطامي ليعلم ابنه المهدي الادب والنسب [٤] فشب المهدي على حب الادب والادباء

(١) طبقات الادباء ١١٧ (٢) معجم الادباء ١٧ ج ١ (٣) العمدة ١١ ج ١
(٤) طبقات الادباء ٤٢

فألّفَ لهُ المفضل الضبي المفضليات . وكثيراً ما كان يعقد المجالس للمناظرة بين الادباء في النحو او اللغة يحضرها الكسائي واليزيدي وغيرهما [١] ثم عهد الى الكسائي بتعليم ابنه هرون (الرشيد) في حديث لطيف يدل على عناية المهدي في اللغة [٢]

فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام استاذه حتى كان يجلسه على كرسي في حضرته ويأمره ان لا ينزعج لنهضته [٣] وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد شديد الرغبة في سماع مناظرات الادباء فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعي وابي عبيدة [٤] او يدعو احد الرواة اذا ارق اوضجر ليقص عليه اخبار العرب فاذا سرّه حديثه اجزل عطاءه الى مائة الف درهم او حواليها فضلاً عن الهدايا وغيرها [٥] وقد يجادله او ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة [٦] . وكان الرشيد يحب ان يكون محاطاً بالادباء والشعراء حتى في دار النساء . فكان يؤثر الجواري المتعلمات ويعرضهن على الاصمعي او غيره ليمتحنهن ويعلم درجة معارفهن [٧] واعتبر ذلك ايضاً في الوزراء والامراء فالبرامكة تنشيطهم للادب اشهر من ان يذكر . والفضل بن الربيع فاضلَ بين الاصمعي وابي عبيدة [٨] اما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء في تقريب اهل الادب

رواة الادب من غير العرب

وكان العرب في الصدر الاول مشتغلين عن الادب بالسياسة او الشعر او الخطابة وهم في غنى عن الاستشهاد في ضبط كلامهم او قراءتهم لاستغنائهم بملكتهم الفطرية عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاعاجم الذين دخلوا الاسلام من اهل فارس والعراق وخراسان بالولاء او بالخدمة يفتقرون في تعلم العربية الى قواعد وشواهد لانها ليست لغتهم . واكثرهم مع ذلك اهل فاقة يلتمسون الرزق . فتوافدوا للاشتغال بالادب الى البصرة والكوفة لانهما على حدود البادية او هما واسطة الاتصال بين الحضارة والبداوة . وزاد توافدهم في الدولة العباسية لانها جعلت قصبتها في العراق على مقربة من هذين البلدين وفيهما جماعة كبيرة من قبائل العرب نزلوها في صدر الاسلام وانزلوا مواليهم معهم فنبغ من هؤلاء الموالي طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة واكثرهم من موالي بني اسد النازلين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

(١) الاغاني ٧٦ ج ١٨ (٢) طبقات الادباء ٨٧ (٣) المزهر ٢١١ ج ٢
(٤) طبقات الادباء ١٤٥ (٥) طبقات الادباء ١٦٢ (٦) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١
(٧) طبقات الادباء ١٥٧ (٨) طبقات الادباء ١٦٦

فمن اولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاخبار والامثال ونحوها وسموا الرواة لانهم يروون ماسمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تتخير الفاظهم واساليبهم . واكثر مانقلوه عن قبائل قيس وتميم واسد وعمدة الثقات من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طي. ولم يأخذوا شيئاً عن الحضر ولا من البدو المجاورين - فلم يأخذوا من لخم وجذام لمجاورتهما اهل مصر ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية . ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا من عبد القيس والازد وعمان لانهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن. ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم

فاهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو اساس آدابها وعلومها . وكانوا يركبون في طلب ذلك الى البادية يحادثون العرب ويستطلعون اخبارهم واشعارهم ويعودون بها الى البصرة . وكان اولئك العرب في أول الامر لايرون بأساً من املاء ما يعرفونه ولا يطلبون عن ذلك اجراً. ثم علموا أن الرواة يرتزقون بما يأخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالاً . ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم انفسهم الى البصرة يقيمون فيها أو في ضواحيها تخفيفاً لمشاق الرحلة على الرواة وتسابقاً الى التكسب من املاء ما يعرفونه من اللغة أو الشعر . وربما كان الراوي لا يكتفي بالاخذ عن الوافدين فيرحل الى البادية ليأخذ عن اهلها - بدأوا بذلك من أواخر العصر الاموي وتكاثر الرواة والوافدون في الدولة العباسية الى البصرة وبغداد وكان اكثر وفودهم في العصر العباسي الاول اولاً الى البصرة فاصبحت غاصة بالادباء والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

فمن الفصحاء الذين اخذ عنهم الرواة في ذلك العصر او حواليه :

١ ابو البيداء الرباحي : اعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان باجرة واقام بها عمره يؤخذ عنه العلم

٢ ابو مالك عمرو بن كركرة : اعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضر وكان يحفظ اللغة كلها على مذهب اهل البصرة

٣ ابو عرار : اعرابي من بني عجل فصيح يقرب من ابي مالك في معرفة اللغة
٤ ابو زياد الكلابي : اعرابي بدوي قدم بغداد ايام المهدي
٥ ابو سوّار الغنوي : كان فصيحاً واخذ عنه ابو عبيدة
٦ ابو الجاموس ثور بن يزيد : اعرابي كان يفد على آل سليمان بن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة
٧ ابو الشمخ : اعرابي بدوي نزل الحيرة
٨ شبيل بن عرعرة الضبعي : من خطباء الخوارج وعلمائهم مات بالبصرة
٩ ابو عدنان : وهو ابو عبد الرحمن عبد الاعلى كان راوية ابي البيداء الرباحي
١٠ ابو ثوابة الاسدي : اعرابي روى عنه الاموي
١١ ابو خيرة نهشل بن زيد : اعرابي بدوي من بني عدي نزل الحيرة
١٢ ابو شبل العقيلي : اعرابي فصيح وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة
١٣ نصر بن مضر : من بني اسد
١٤ ابو محلم الشيباني : اعرابي من اعلم الناس بالشعر واللغة كان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه
١٥ ابو مهدية : اعرابي صاحب غريب يروي عنه البصريون
١٦ ابو مسحل : اعرابي حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل
١٧ الوحشي العكلي : اعرابي فصيح كان يعلم في البادية
١٨ ابو ضمضم الكلابي : وفد على الحسن بن سهل
١٩ الهدلي : كان راجزاً فصيحاً راوية وعنه اخذ الاصمعي
٢٠ جهم بن خلف المازني : عاصر خلف والاصمعي
٢١ الحرمازي : اعرابي بدوي قدم البصرة
٢٢ ابو العميثل : اعرابي كان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر في خراسان
٢٣ الفقعسي : راوية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها أدرك المنصور ومن بعده وعنه اخذ العلماء مآثر بني أسد
٢٤ ابن ابي صبح : اعرابي بدوي نزل بغداد وبها مات اخذ عنه العلماء
٢٥ ربيعة البصري : بدوي حضر وكان راوية

وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من ايراد أسمائهم (١)

(١) الفهرست ٤٧

ولبعض من تحضر من هؤلاء الاعرابيين كتب الفوها في اللغة اكثرها في النوادر والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق الانسان لم يصلنا منها شيء

الرواة الذين نقلوا عنهم

اما الرواة الذين اخذوا عن اولئك الفصحاء بالبصرة او رحلوا في طلب اللغة الى البادية فاكثرهم من الموالي منهم :

١ اللحياني غلام الكسائي : لقي العلماء الفصحاء من الاعراب وعنه اخذ ابو عبيد القاسم بن سلاّم

٢ الاموي : هو عبد الله بن سعيد ليس من الاعراب لقي العلماء ودخل البادية واخذ عن الفصحاء من الاعراب

٣ ابو المنهال : احد الرواة

٤ خلف الاحمر : مولى ابي موسى الاشعري وسنعود اليه

٥ اليزيديون : هم اسرة تنسب الى كبير منها سمي اليزيدي لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدي. ولهم مؤلفات كثيرة في اللغة والشعر لم يصل الينا منها شيء ولكن استفاد منها الرواة الذين وصلتنا كتبهم او اخبارهم. ولم يصلنا الا اخبار الرواة المقربين من الخلفاء او الوزراء في بغداد كالاصمعي وابي عبيدة وغيرهما وربما كان بين الذين ضاعت اخبارهم جماعة اولى بالبقاء

عمدة الرواة

أو مرجع الناس في علوم العرب

قد رأيت كثرة المشتغلين في علوم العرب واخبارها بين قادم من البادية ونازل من العراق وفارس وخراسان يلتقون في البصرة أو الكوفة أو الحيرة فيتبادلون اخبار العرب وآدابهم واشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك في العصر العباسي الاول الى ثلاثة هم عمدة الرواة وائمة الناس في تلك العلوم وعنهم روى الرواة واخذ الآخذون وهم ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وكلهم اخذوا عن ابي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة اللغة والنحو والشعر ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل هؤلاء قتادة السدوسي وجاء بعدهم القاسم بن سلام - واليك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ — قتادة بن دِعامة

توفي سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسي الاكمه من أهل البصرة كان عالماً كبيراً مقصداً للطلاب والباحثين لم يكن يمر يوم لا تأتيه راحلة من بني امية تنيخ ببابه لسؤال عن خبر او نسب أو شعر . وكان يدور البصرة اعلاها واسفلها بغير قائد وبلغ من اشتهاره بالعلم وصحة الرواية حتى قالوا لم يأتنا من علم العرب اصح من شيء اتانا من قتادة(١) لكنه لم يخلف اثراً . وهو من اهل العصر الاموي لكننا وضعناه هنا لمواصلة سياق الموضوع . وترجمته في ابن خلكان ٤٢٧ ج ١

٢ — ابو عَمْرو بن العَلاء

توفي سنة ١٥٤ هـ

هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني أحد القراء السبعة . وكان من اشراف العرب ووجوهها مدحه الفرزدق وغيره وكان اعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب وكانت دفاتره الى السقف ثم تنسك فاحرقها (٢) . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب واشعارهم . وعامة اخباره عن اعراب ادركوا الجاهلية ومع ذلك فقد قال : «ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا اقله» (٣) وعنه اخذ اكثر نحاة ذلك العصر فضلاً عن رواته وادبائه لكنه لم يخلف اثراً مكتوباً . وتجد اخباره في ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ وطبقات الادباء ٣١ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ والفهرست ٢٨

٣ — ابو عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّى

توفي سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثني التيمي مولى بني تيم من قريش . ولد سنة ١١٠ وهو اجمع سائر الرواة لعلوم العرب واخبارهم وانسابهم . كان في البصرة ويفد على الخلفاء في بغداد وله حكايات في مجلس الرشيد مع الاصمعي للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ استقدمه اليها الفضل بن الربيع في خلافة الامين. واخذ عنه جماعة من

(١) ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ والمزهر ١٧١ ج ٢ (٢) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١
(٣) طبقات الادباء ٣٣

علمائها اشهرهم ابو عبيد القاسم بن سلام وابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني. وكان ابو عبيدة يقول ما التقى فرسان في جاهلية او اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما (١) وهو الذي روى اخبار ايام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى الآن (٢) وروى اشعار كثيرين من الشعراء. وكان ابنه عبد الله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب فكان يملي شعر كثير بثلاثين دينار(٣) وكان ابو عبيدة شعوبياً أي متعصباً على العرب ويرى رأي الخوارج. ومع سعة معرفته في اللغة كان اذا انشد بيتاً لم يقم اعرابه. وكان شديد الطعن حاد اللسان فلم يسلم شريف من طعنه والف كتاباً في المثالب. وكان غليظ الشفة وسخاً مدخول الدين والنسب لكنه كان كثير الاشتغال بالتأليف. فذكر له صاحب الفهرست مئة وخمسة مؤلفات في مواضيع شتى في القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب وبيوتات العرب وايامهم والتراجم وغيرها لم يصلنا منها الا:

١ كتاب نقائض جرير والفرزدق: منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبعت النقائض في ليدن سنة ١٩٠٥ رواية ابي عبد الله اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ هـ عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابي عبيدة (٤) ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

٢ كتاب طبقات الشعراء: منه نسخة خطية في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ويسميه الفهرست الشعر والشعراء

وتجد اخباره في ابن خلكان ١٠٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١٣٧ والفهرست ٥٣

٤ — الأَصْمَعِي

توفي سنة ٢١٤ هـ

هو عبد الملك بن قريب من قيس وقد اشتهر بكنيته «الاصمعي» ولكثرة ما يروى عنه اصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ «الراوي». وكان اتقن القوم واعلمهم بالشعر واحضرهم حفظاً تعلم نقد الشعر من خلف الاحمر وقد روى عنه كثيرون. وهو من اهل البصرة وقدم بغداد في ايام الرشيد مع ابي عبيدة فقيل لابي نواس ذلك فقال: «اما ابو عبيدة فاذا امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والآخرين واما الاصمعي فبلبل يطربهم بنغماته» وكان الاصمعي شديد الحفظ يحفظ

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) العقد الفريد ٤٧ — ٩٣ ج ٣ (٣) الاغاني ٢٨ ج ٨
(٤) المشرق ٦٣٨ سنة ١٠

١٢٠٠٠ ارجوزة واذا انتقل حمل كتبه في ١٨ صندوقاً (١) . ولما تولى المأمون كان الاصمعي قدعاد الى البصرة فاستقدمه فاعتذر بضعفه وشيخوخته فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . واخباره كثيرة

اما مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم نيفاً واربعين كتاباً في مواضيع مختلفة ذهب معظمها على ان حظه من البقاء خير من حظ اسلافه من الرواة . اما كتبه الباقية مما بلغ خبره الينا فبعضها شعرية والبعض الآخر كتب لغوية لدلالات الالفاظ . اكثرها موضوع في مجاميع كل كتاب في باب خاص من الاسماء بعضها لاسماء الوحوش والآخر للابل وغيرها وهي :

١ الاصمعيات : هي مجموع مختارات الاصمعي للشعراء طبعت في ليبسك سنة ١٩٠٢
٢ رجز العجاج : رواية الاصمعي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
٣ كتاب اسماء الوحوش طبع سنة ١٨٨٨
٤ « الابل « في بيروت سنة ١٣٢٢
٥ « خلق الانسان « « « « (٢)
٦ « الخيل « « فينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية
٧ « الشاء « سنة ١٨٩٦
٨ « الدارات « في بيروت
٩ « الفرق « « فينا
١٠ « النبات والشجر « « بيروت
١١ « النخل والكرم « « « سنة ١٩٠٢
١٢ « الغريب منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

وتجد ترجمة الاصمعي في ابن خلكان ٢٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٥٠ والفهرست ٥٥ والدميري ٣١٠ ج ٢

٥ — أبو زيد الأَنْصاري

توفي سنة ٢١٥ هـ

هو ابو زيد سعيد بن أوس الانصاري من أهل البصرة أخذ عن ابي عمرو بن العلاء . وكان عالماً ثقة باللغة والنحو وكان سيبويه اذا قال « سمعت الثقة » فانه

(١) الاغاني ٦٨ ج ٥ (٢) هذان الكتابان طبعاً معاً باسم الكنز اللغوي

يريد ابا زيد الانصاري وعنه اخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته في استيعاب العلم يأخذ عن أهل الكوفة ايضاً ولم يرو من البصريين عن أهل الكوفة الا ابو زيد (١) فقد روى عن المفضل الضبي اكثر كتابه «النوادر في اللغة» على ان اكثر رواياته عن العرب البحت (٢) وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه ابي عبيدة والاصمعي بالثقة فانه كان اوثقهم كما كان الاصمعي احفظهم وابو عبيدة اجمعهم (٣) وجاء أبو زيد بغداد حين قيام المهدي (٤)

وقد الف كتباً كثيرة في علوم الادب لم يصلنا منها الا :

١ كتاب النوادر في اللغة : طبع في بيروت سنة ١٨٩٤

٢ كتاب المطر : منه نسخة خطية في المكتبة الاهلية بباريس وطبع في بيروت

٣ كتاب اللبن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد اخباره في ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ وطبقات الادباء ١٧٣ والفهرست ٥٤

٦ — ابو عُبَيْد القَاسِم بن سَلاَّم

توفي سنة ٢٢٣ هـ

كان ابوه عبداً رومياً لرجل من اهل هراة . اشتغل ابو عبيد بالحديث والادب والفقه وكان ديناً ورعاً متفنناً في اصناف علوم الاسلام والقراءات والفقه والعربية والاخبار حسن الرواية صحيح النقل لم يطعن احد في شيء من دينه.وهو يصح ان يعد من رجال الحديث لولا ان كتبه كان لها شأن لغوي . تولى القضاء في طرسوس ١٨ سنة وروى عن ابي زيد والاصمعي وابى عبيدة وابن الاعرابي والكسائي والفراء وغيرهم . والف بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والحديث وغريبه والفقه وهو اول من الف غريب الحديث . وانقطع الى عبد الله بن طاهر وكان كلما الف كتاباً اهداه اليه فيحمل له مالاً كثيراً . فلما عمل كتاب غريب الحديث استحسنه ابن طاهر وقال : « ان عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ان لا يخرج عنا الى طلب المعاش » فاجرى له عشرة الاف درهم في كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتاباً في غريب الحديث ومعاني القرآن وفي الادب والشعر واللغة والنحو ونحوها لم يصلنا منها الا ما يأتي :

(١) طبقات الادباء ١٧٥ (٢) المزهر ٧٥ ج ١ (٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ١
(٤) الفهرست ٥٤

١ كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٢ غريب المصنف : تكلم به على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل في تأليفه ٤٠ سنة وفيه الف فصل و١٢٠٠ شاهد . منه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

٣ كتاب الامثال : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وكوبرلي بالاستانة وطبع مع ترجمة لاتينية في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه البكري

٤ كتاب فضائل القرآن وادبه : في مكتبة برلين

٥ « المواعظ : منه نسخة خطية في مكتبة ليبسك

وتجد اخباره في ابن خلكان ٤١٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٨٨ والفهرست ٧١

رواة الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على سواه من علوم العربية فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه او حفظوه — وهم غير الذين يختص كل راو منهم بشاعر فيكون راويته — وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم كانوا كثاراً عددنا منهم مئة وبعض المئة وهم اكثر من ذلك لضياع اخبار الباقين منهم في أثناء ظهور الاسلام لكثرة من قتل منهم ومن رواتهم في الحرب والغزو على عهد النبي والراشدين

فلما احتاج المسلمون في صدر الاسلام الى معرفة معاني الالفاظ في التفسير والقراءة عمدوا الى جمع اشعار العرب وامثالهم واقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع الشعر وعلى البعض الاخر شواهد النحو وعلى غيرهم الامثال وغيرهم اللغة . فأخذوا يطلبونها في اماكنها وينقلونها عن اصحابها او من سمع عنهم . والمشهور ان اخبار الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاسلام . ثم ظهر ان بعض ذلك كان مدوناً في صحف عند عباد الحيرة من ايام المناذرة

وأول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاسلام ممن بلغ الينا خبره حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ هـ وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وعاصر ابا عمرو بن العلاء المتقدم ذكره . ثم ظهر خلف الاحمر والمفضل الضبي وغيرهما وهذه تراجمهم :

١ — حَمَّاد الرَّاوية

توفي سنة ١٥٦ هـ

هو حماد بن ميسرة اصله ديلمي من موالي بني بكر بن وائل . نشأ في الكوفة وكان في اول امره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار فقرأه حماد فاستحلاه وحفظه ثم طلب الادب والشعر وايام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تمييزاً له عن بضعة آخرين بهذا الاسم

وكان قوي الحافظة بما يفوق المألوف ومن اعلم الناس بايام العرب واشعارها واخبارها لكنه اختص بجمع الشعر وكان ضعيفاً بالعربية يلحن بكلامه وكان بنو أمية يقدّمونه ويستزيرونه على البريد وينال منهم الجوائز ويسألونه عن ايام العرب واشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوماً : « بما استحققت ان تدعى الراوية ؟ » فقال : « باني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين أو سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لاتعرفه ولا سمعت به ثم لاينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث » فقال له : « فكم مقدار ماتحفظ من الشعر » قال : « كثير ولكنني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال : « سأمتحنك في هذا » ثم امره بالانشاد فانشده حتى ضجر الوليد فوكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكره وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب في الكوفة وكانوا متهمين بالزندقة جميعاً . فلما آل الامر الى بني العباس كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزيناً على موت اخيه ابي العباس واراد أن يرثيه بابيات كان يعلم ان هفان بن همام قالها في رثاء ابيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور فبعث في طلب حماد ليرويها له فجاءه وانشده اياها فبكى وقال : « هكذا كان اخي رضي الله عنه[1] » . وظل حماد حياً الى ايام المهدي وكان يستدعيه اليه ويستنشده كما يستنشد المفضل الضبي . وكان يؤثر المفضل عليه لانه اصدق منه فيما يرويه . وكان حماد يزيد

(١) الاغاني ١٦٩ ج ٥

في اشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتي خبر ذلك

وهو الذي جمع المعلقات التي بين ايدينا وجمع اشعارا كثر القبائل واكثر شعراء بني أمية وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر في كتاب ـ فكان عنده كتاب لشعر قريش وآخر لشعر ثقيف وآخر لغيرهم (١) لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئاً وانما روى الناس عنه وصنفت الكتب بعده

وتجد اخباره في الاغاني ١٦٤ ج ٥ وابن خلكان ١٦٤ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣

٢ — المفضّل الضبّي

توفي سنة ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد الضبي كان ثقة من اكابر الكوفيين اخذعنه ابو زيد الانصاري من البصريين لثقته . وقد ادرك المهدي العباسي فقربه وأدناه فجمع له الاشعار المختارة التي سماها المفضليات كما جمع ابو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة واما المفضل فاخذ اكثرها عن الالسنة — وهو غير المفضل بن سلمة اللغوي الآتي ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

١ المفضليات وتسمى الاختيارات : وهي عبارة عن مائة وعشرين قصيدة وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت في ليبسك سنة ١٨٨٥ وفي مصر . ولها شرح خطي في المكتبة الخديوية لابي بكر بن الانباري

٢ كتاب الامثال : طبع في الآستانة سنة ١٨٨٢

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٧ والفهرست ٦٨ والعقد الفريد ١٣١ ج ٣

٣ — خلَف الأَحْمر

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو خلف بن حيان كان مولى ابي بردة وأصله من فرغانة لكنه حفظه كلام عرب الجاهلية وأشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم . وكان من اهل البصرة وقد اخذ الاصمعي وسائر أهل البصرة عنه . وله قوة عجيبة على تمييز الاشعار وتعيين اصحابها. وهو أول من أحدث السماع بالبصرة وذلك انه جاء الى حماد الراوية فسمع منه (٢). وكان ضنيناً

(١) الاغاني ١٧٤ ج ٥ (٢) طبقات الادباء ٧٠

بادبه . وهو معدود ايضاً بين الشعراء . وذكر له صاحب الفهرست كتاباً واحداً عن العرب وما قيل فيها من الشعر

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٩ والفهرست ٥٠ والشعر والشعراء ٤٩٦ والعقد الفريد ١٠٧ ج ٣

٤ — ابو عمرو الشيباني

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو من الموالي واسمه اسحق بن مرار كان يؤدب في احياء بني شيبان بالكوفة فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللغة ثقة بالحديث كثير السماع. وقد جمع دواوين اشعار القبائل وعنه اخذت . وكان له بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر أحد أولاده ان اباه جمع اشعار نيف وثمانين قبيلة وكان كلما جمع أشعار قبيلة واخرجها للناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة . وعاش اكثر من مائة سنة وكان يكتب بيده الى أن مات . وخلف بضعة مؤلفات في الخيل والحديث والنوادر وخلق الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ولم يصلنا منها الا :

كتاب الجيم في اللغة منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في عشرة اجزاء

وتجد اخباره في ابن خلكان ٦٥ ج ١ ومعجم الادباء ٢٣٣ ج ٢ والفهرست ٦٨

هؤلاء هم عمدة رواة الاشعار في ذلك العصر — وان لم يقتصروا عليها . وعنهم أخذ من الف في طبقات الشعراء او دون اشعار الافراد أو القبائل . فضلاً عن ابي عبيدة والاصمعي وابي عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر بعدهم من النحاة واللغويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابي وغيرهم. وقد يجمع اشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون في الرواية أو الاشعار أو الاخبار فيأتي من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط . كما حدث في شعر امرىء القيس فقد رواه ابو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من جميع هذه الروايات ابو سعيد السكري وصنعه ايضاً ابو العباس الاحول وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون في الروايات ويجمعون بينها ويعدلونها . نخص منهم بالذكر اثنين من اهل العصر العباسي الاول هما محمد بن سلام وابن ابي الخطاب القرشي

٥ — محمد بن سلاَّم

توفي سنة ٢٣٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري كان عالماً بالشعر والاخبار فألف كتاباً في طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين هو اقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين احدهما في الشعراء الجاهليين والآخر في الاسلاميين وذكره صاحب الاغاني مراراً كثيرة واستشهد باقواله ورجع اليه في تعيين طبقات كثيرين من الشعراء وكذلك فعل القالي والزجاج فقد ذكراه في اماليهما مراراً . وعول عليه السيوطي في كتابه «المزهر» ونقل عنه اقوالاً تدخل في بضع صفحات . وذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الذين الفوا في طبقات الشعراء . وهو أول من فعل ذلك ثم قلده غيره . وقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٧٦ انه ضاع لاننا لم نجده في مكاتب اوربا ولا الاستانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التي تيسر لنا الوقوف على فهارسها، ثم علمنا بوجود نسخة خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطي للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص[1] وتصفحناها فاذا هي منقولة بخط جميل عن نسخة في مكتبة شيخ الاسلام في المدينة وتدخل في ٢١٠ صفحات ، تبدأ بنقد الشعر ثم في أول من وضع النحو في البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى الجاهليين والاسلاميين وقسم كل طائفة منهما الى عشر طبقات في كل طبقة اربعة من الفحول يشتركون في بعض الاحوال . وقدم الكلام في الشعر وتاريخه وأشار الى ما أدخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهي :

الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والاعشى

الثانية : سقط بعضها في النسخ ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة

الثالثة : نابغة بني جعدة وابو ذؤيب الهذلي والشماخ بن ضرار ولبيد بن ربيعة

الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد

الخامسة : خداش بن زهير والاسود بن يعفر وابو زيد المخبل وتميم بن مقبل

السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن ابي كاهل (وسقط الرابع)

(١) نبهنا الى وجودها هناك مصطفى افندي الرافعي الشاعر فشكره على صدق رغبته في خدمة آداب اللغة

السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس

الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن تولب واوس بن .... وعوف بن عطية

التاسعة : ضابىء بن الحارث وسويد بن كراع والحويدرة الذبياني ؟ وسحيم عبد بني الحسحاس

العاشرة: أمية بن حرثان وحريث بن محفض والكميت بن معروف وعمرو بن شاس واضاف الى ذلك اصحاب المراثي وجعلهم طبقة حادية عشرة وهم متمم بن نويرة والخنساء واعشى باهلة وكعب بن سهل . ثم تكلم عن شعراء القرى وهي المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وذكر فحول كل قرية

وتقدم الى الشعراء الاسلاميين في عشر طبقات :

الاولى : جرير والفرزدق والراعي والاخطل وغيرهم

الثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة

الثالثة : كعب بن جعيل وعمر ابن احمد وسحيم بن وثيل واوس بن مغراء

الرابعة : نهشل وحميد بن ثور والاشهب وعمرو بن لجاء

الخامسة : ابو زبيد الطائي والعجير السلولي وعبد الله بن همام ونفيع بن لقيط

السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب

السابعة : المتوكل الليثي ويزيد بن ربيعة وزياد الاعجم وعدي بن الرقاع

الثامنة : عقيل بن علفة المري وبشامة بن العذير وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش

التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب العجلي وابو النجم والعجاج ورؤبة ابنه

العاشرة : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطثرية وأبو داود الرواسي ؟ والقحيف

وقد قابل في كل طبقة بين شعرائها وفاضل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتاباً في بيوتات العرب وآخر في ملح الاشعار وتجد اخباره في طبقات الادباء ٢١٦ والفهرست ١١٣

٦ — ابن ابي الخطّاب

صاحب جمهرة أشعار العرب

اسمه ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ولكن يظهر انه نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة وانما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية وصدر الاسلام في كتاب سماه «جمهرة اشعار العرب» في سبعة مجاميع فصلناها في كلامنا

عن طبقات الشعراء في الجزء الاول صفحة ٧٤ والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن واقوال الشعراء وفي الشعر والشعراء واقدمهم وغير ذلك في ٣٩ صفحة كبيرة

ما هو مبلغ صدق الرواة

واصطناع الاشعار

ان ما بين ايدينا من اخبار العرب واشعارهم في الجاهلية انما وصل الينا على ايدي الرواة الذين ذكرناهم فهم رووا تلك الاشعار والاخبار وروتها الناس عنهم — فهل نقلوها عن ثقة ؟ وهل هم صادقون في روايتها ؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة وان كان ما وصل الينا من اشعار الجاهلية لايخلو من المنسوب لغير اصحابه . ولذلك سببان يتصل احدهما بالعرب الذين تلوا تلك الاشعار على الرواة ، والثاني يتصل بالرواة انفسهم . فالعرب لما قام الاسلام شغلوا به عن مفاخراتهم ومناشداتهم فلما انقضت دولة الراشدين وقام الامويون واقتضت سياستهم إحياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتهم كل قبيلة تفاخر سواها بمن نبغ فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قد ذهب معظمه فاخذ ابناء الشعراء او بعض اهلهم يزيدون في الاشعار التي قيلت ولم يكن يخفى ذلك على اهل العلم . كما اتفق لابن داود بن متمم بن نويرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوي من الجلب والميرة فاتاه بعض الرواة وسألوه عن شعر ابيه فلم يرو بعضه حتى ادركوا المصنوع منه(١)

لكن كثيراً من الاشعار تنسب لغير اصحابها اعتباطاً لتشابه القافية والوزن والمعنى فكثير من اشعار كُثيّر تنسب لمجنون ليلى . وكذلك سائر العشاق تتشابه اشعارهم لتشابه معانيها . فاذا اتحدت قوافيها واوزانها اختلطت وصعب تفريقها كقصيدة ابن الحدادية الياثية التي مطلعها :

سقى الله اطلالاً بنعم ترادفت بهنَّ النوى حتى حللنا المطاليا

فان بعضهم يدخل ابياتاً منها في قصيدة مجنون ليلى (٢) التي مطلعها :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وايام لا أعدي على الدهر عاديا

وقس على ذلك امثاله وهو كثير ، وقد ينسبون القصيدة الى غير واحد . وبعض القصائد تنسب الى عشرين شاعراً أو اربعين

---

(١) المزهر ٨٧ ج ١ (٢) الاغاني ٨ ج ١٣

تعمد التزوير

والرواة يتفاوتون ثقةً فمنهم الثقة المحقق ومنهم من يتعجل في التصديق وبعضهم يتقلب في رواياته مع الاهواء فينظم الابيات على لسان بعض الجاهليين وينسبها اليهم لمطمع مالي أو غرض آخر . وأشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرهما وهما مرجع رواة الاشعار كما رأيت . فكان حماد كثيراً ما يصنع الابيات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم يريد أن يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ أو سيادة في عصره . كما فعل في ولاية خالد بن عبد الله القسري وكان خالد شديد العصبية لقومه اليمنية على القيسية. فنظم حماد ابياتاً نسبها الى ابن الحدادية يمدح بها اسد بن كرز من بجيلة قبيلة خالد القسري المذكور واسد بن كرز أبو جدّه. فاورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه اصابوا دماً في قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا في بجيلة على اسد بن كرز فآواهم واحسن اليهم وان ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحه بها ـ الى آخر الحديث(١) ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذي تقدم . وكذلك كانوا يفعلون في وضع الانساب طمعاً بالمال — قال ابن الكلبي: « أول كذبة كذبتها في النسب ان خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كريز وكانت امة بغياً لبني أسد يقال لها زينب فقلت له هي زينب بنت عرعرة بن خذيمة بن نصر بن قعين فسرّ بذلك ووصلني » (٢)

وقد شهد المفضل الضبي وهو معاصر لحماد ايضاً قال: « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح أبداً » فقيل له: « وكيف ذلك أيخطىء في روايته ام يلحن » قال: « ليته كان كذلك فان أهل العلم يردُّون من اخطأ الى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد واين ذلك »

وقد بلغ قول الضبي الى الخليفة المهدي فاكده له بالامتحان بين يديه فاعترف حماد بابيات زادها في اشعار زهير بن ابي سلمى . فامر المهدي بابطال روايته لانه يدخل باشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته (٣)

وخلف الاحمر كان يفعل فعل حماد وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها لغير اصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من اشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعراً مجيداً فينظم القصائد الغر ويدخلها في دواوين

(١) الاغاني ٥ ج ١٣ (٢) الاغاني ٥٨ ج ١٩ (٣) الاغاني ١٧٢ ج ٥

الشعراء ويقال ان القصيدة المنسوبة للشنفرى التي اولها :

اقيموا بني امي صدور مطيكم فاني الى اهل سواكم لاميلُ

هي له . وقال ابو حاتم كان خلف الاحمر شاعراً وقد وضع على عبد القيس شعراً مصنوعاً عبثاً منه. وأدخل أيضاً على غيرهم من القبائل ابياتاً وقصائد وكان أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان لتمكنه من الشعر والشعراء اذا نظم على السنة الناس أشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه له . وتنسك في أواخر ايامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوماً الى أهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعمله وعرفهم الاشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس فقالوا: «انت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة » ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم (١)

وممن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن دأب والشرقي بن القطامي سئل القطامي : «ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها » فقال: «لا أدري» فقيل له: «اكذب » فقال «كانوا يقولون رويدك حتى تبعث الخلق باعثة » فشاع ذلك وتحدثوا به .(٢) حتى الرواة الثقات كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد فقد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخرين ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب. وقد قال محمد بن سلام الجمحي « في الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرابه (٣) »

على أن المحققين في العصر العباسي الثاني كابي الفرج الاصبهاني وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر بينوا اماكن الضعف في كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطاً(٤) في الاسناد والاخذ والتحقيق لامحل لها هنا. وانتقد محمد بن سلام شيئاً من ذلك في مقدمة طبقاته

ولابي القاسم عمر بن حمزة البصري المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب في انتقاد الرواة سماه « التنبيهات على اغاليط الرواة » ضمنه التنبيه على الاغاليط التي وقعت في نوادر ابي زياد الكلابي ونوادر ابي عمرو الشيباني وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري والكامل للمبرد والفصيح لثعلب والغريب للقاسم بن سلام واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفي المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب

واذ فرغنا من الكلام على الرواية بانواعها وهي أصل علم الادب فلنأت الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأهمها النحو واللغة فان اصحابهما كانوا في الاصل من جملة الرواة ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذاك

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) المزهر ٢١٠ ج ٢
(٣) المزهر ٨٥ ج ١ (٤) المزهر ٧١ ج ١

النحو

في العصر العباسي الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة فوضعه ابو الاسود الدؤلي كما تقدم في العصر الاموي وقد نضج وصار علماً في ايام العباسيين على ايدي أدباء البصرة والكوفة. وأهل البصرة أسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو وألفوا فيه . ومنهم ابوالاسود واضعه . وابن أبي اسحق الحضرمي أول من علله. وعيسى بن عمر الثقفي أول من الف فيه. وهارون بن موسى أول من ضبطه وسيبويه أول من اجاد في تأليفه. ثم قدمهم الكوفيون وخالفوهم ببعض قوانينه وقامت المناظرة بين البلدين وصار لكل منهم مذهب في النحو كما هو مشهور . وأهل البصرة أرسخ قدماً وأوسع علماً وأولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية فقدمهم خلفاؤها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم دون نحويي البصرة ويختارون منهم اساتذة لاولادهم — فالكسائي والفراء والمفضل الضبي والشرقي بن القطامي كلهم من أهل الكوفة وقد علموا ابناء الخلفاء، ولولا الغرض السياسي لم يكن لهم ذكر. وتحامل الامين على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه وبين الكسائي بشأن النحلة والزنبور وهي اشهر من أن تذكر (١)

اول من علله

فالبصريون اصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه ، بدأ بذلك ابوالاسود فوضع بعض قواعده وأخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الادباء أو القراء فكان ابرع تلامذته عنبسة بن معدان المهري فتكاتف الناس يطلبون النحو على يده فتفقه عليه جماعة كان ابرعهم ميمون الاقرن (٢) فجعل الناس يأخذون النحو عنه تلقيناً بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان أول من علله أي ذكر أسباب اعرابه عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ والغالب في اعتقادنا أن تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي الذي نحن في صدده

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٧٩ ج ٣ (٢) طبقات الادباء ١٦

اول من ضبط قواعده والف فيه

أما ضبط قواعده فاول من أقدم عليه هرون بن موسى وهو يهودي من أهل البصرة أسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه . وأول من الف فيه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ وكان فصيحاً يتقعر في كلامه فيقال انه الف كتابين احدهما الجامع والآخر الاكمال ذكرهما الخليل في شعره ولم يرهما أحد (١)

وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر في البصرة من الادباء في ذلك العصر لانه من علم الادب الا أن بعضهم كان يميل الى النحو اكثر من سواه وربما دخل في جملة مايكتبه في الادب أو اللغة كما فعل الخليل بن احمد واضع علم العروض فقد اتى على اشياء من قبيل النحو في كتاب العين الآتي ذكره . وهكذا يقال في امثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كابي عمرو بن العلاء . ومنهم من اختص بالنحو ونصب نفسه للافادة وان لم يؤلف فيه كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ وكان معاصراً لهؤلاء جميعاً وأخذ عن ابي عمرو ابن العلاء وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب وأقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة في البصرة يلتقي فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد . ولم يستقل النحو بنفسه استقلالاً تاماً حتى الف فيه سيبويه كتابه المشهور — وهاك اشهر نحاة هذا العصر حسب سني الوفاة :

علماء النحو

في العصر العباسي الاول

١ — سيبَوَيْه

سنة الوفاة

توفي سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالي واسمه ابو بشر عمرو بن عثمان مولى بني الحارث بن كعب . ولقب سيبويه بالفارسية ومعناها رائحة التفاح . نشأ في البصرة وطلب الآثار والفقه ثم طلب النحو وأخذه عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر حتى برع فيه والف كتابه الذي لم يسبقه أحد الى مثله ونسب فيه الى كل من اساتذته اقواله واعتمد على ابي

(١) طبقات الادباء ٢٨

زيد الانصاري وكان يسميه الثقة فكان لذلك وقع جميل عند اهل البصرة وصار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى مهاداتها . واشتهر حتى اصبح قائلهم اذا قال « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعني كتاب سيبويه. وكان ابو العباس المبرد اذا أراد أحد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له : « هل ركبت البحر » تعظيماً للكتاب واستصعاباً لما فيه . وقال ابو عثمان المازني : « من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح » وأخذ العلم عنه جماعة من المشاهير أشهرهم ابو الحسن الاخفش وكان اكبر سناً منه ، وقطرب وكانت له معهما ومع سواهما مناظرات

وكان أهل الكوفة في أثناء ذلك قد هموا بالنحو فاخذوه عن أهل البصرة واشتغلوا فيه فنبغ معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ وأبو جعفر الرواسي ابن أخي معاذ فوضع كتاباً في النحو وهو أول من فعل ذلك من الكوفيين والكتاب ضاع

كتاب سيبويه

اما كتاب سيبويه فانه باق ومنه عدة نسخ خطية في المكتبة الخديوية وغيرها وقد طبع في باريس سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٩ بعناية المستشرق دير نبورج في مجلدين كبيرين في ١٠٠٠ صفحة كبيرة عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغة الفرنسوية عن مسودات هذا الكتاب ومظانها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ وفي كلكته ١٨٨٧ وقد نقله الى الالمانية الدكتور ياهن وطبع في برلين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ وفي الكتاب ٧٢٠ فصلا ، يحتوي الجزء الاول منه على الكلم واقسامه والفاعل والمفعول فالفعل وما يعمل عمله واحكام المصدر والحال والظرف والجر والبدل والمعرفة والنكرة والصفة والمبتدأ والخبر والاسماء التي بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفي بلا والاستثناء وباب لكل من أحرف الجر. وفي الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتصغير والمقصور والممدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من المزيدات وفي الوقف وشروطه وما يكون عليه الكلم وما أبدل من الفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه . على غير الترتيب المألوف عندنا لكنه جامع كل ما يحتاج اليه طالب النحو . وفيه ٣٠٠ مثال للابنية حتى قالوا أصل الكتب المؤلفة في النحو كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل . ولذلك تعرض جماعة لا تنقاد كتاب سيبويه منهم المبرد (١) . وقد الف ابو بكر الزبيدي كتاباً سماه كتاب

(١) المزهر ٥٨ ج ١

الاستدراك على كتاب سيبويه انتقد فيه مواد هامة طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي . وقد شرح الكتاب سعيد بن المرزبان ومن هذا الشرح بضع نسخ في المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير

واخبار سيبويه في ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ وطبقات الادباء ٧١ والفهرست ٥١ والدميري ١٢٤ ج ٢

٢ — معاذ الهرّاء

توفي سنة ١٨٧ هـ

هو ابو مسلم عم ابي جعفر الرواسي من اساتذة الكسائي الآتي ذكره ولم يخلف مؤلفاً وانما ذكرناه لانه أول من وضع التصريف (١)

وترجمته في ابن خلكان ٩٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٦٤ والفهرست ٦٥

٣ — الكسائي

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو اشهر نحاة الكوفة واسمه علي بن حمزة مولى بني أسد وأصله من فارس . أخذ النحو عن ابي جعفر الرواسي ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما . وخرج الى البصرة ولقي الخليل بن أحمد فأخذ عنه وعشق النحو . وهو من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء العباسيون الى بغداد ليعلم ابناءهم وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته وأخذ يعرّض بسيبويه وكتابه حتى كانت مسألة الزنبور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه الكسائي وجمع الرجلين فتناظرا في حضرته وشهد بدوي بصحة رأي سيبويه لكن الامين تعصب لمعلمه حتى اضطر سيبويه الى الفرار في حديث طويل . والف الكسائي عدة كتب في النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم يصلنا منها الا رسالة في لحن العامة منها نسخة خطية في مكتبة برلين وقد طبعت في برسلاو

واخباره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٨١ والفهرست ٢٩ و ٦٥

واشتهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل اليزيدي وهم كثار وابو الحسن الاخفش وابو عمر الجرمي وغيرهم من أهل البصرة . وجماعة كبيرة من أهل الكوفة نبغوا بعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصاراً لبلده ، واشتهر جماعة منهم في بغداد كالفراء وابن الاعرابي وهشام بن معاوية الضرير وابن السكيت وهاك اشهرهم :

(١) المزهر ٢٠٢ ج ٢

٤ — الفرّاء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي من موالي بني أسد في الكوفة وأخذ عن الكسائي وكان اماماً ثقة له شأن عظيم في اللغة ومذهب وأتباع ومريدون . قال ابو العباس ثعلب :« لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ،ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب»وقال ابوبكر بن الانباري:« لولم يكن لاهل بغدادوالكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنيه النحو واقترح عليه ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية . وأمر أن تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج اليه وصير اليه الوراقين يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب «الحدود»في سنتين ثم خرج للناس واملى كتاب « المعاني » فخزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس أوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما ابوا اخراج كتابه أخذ يملي كتاباً آخر في المعاني أطول وأوسع فخاف الوراقون فرضوا أن ينسخوا كل عشر أوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ثم اصطلحا على ان يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدعاه وقال له بذلك فقال :« لقد أردت منعهما ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » (١) ففرح المأمون وقال : « لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً »

ولم يكن الفراء مقتصراً في معرفته على النحو فانه كان ماهراً في النجوم والطب وأيام العرب وأخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل في ثلاثة آلاف ورقة أي ٦٠٠٠ صفحة كان يمليها على تلامذته بدون كتاب لأنه كان قوي الحافظة . وكان أكثر مقامه في بغداد يجمع طوال دهره فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة أقام بها ٤٠ يوماً

(١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلكان ٢٢٨ ج ٢

يفرق ما جمعه حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات في النحو واللغة لم يصلنا منها الا :

١ كتاب معاني القرآن منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

٢ بلغنا أن في المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنث تنسب اليه

وكان له أصحاب ومريدون أشهرهم أبو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز وسلمة بن عاصم أحد علماء الكوفة الثقات وغيرهما . وأكثرهم ألفوا في النحو وضاعت كتبهم وتجد أخبار الفراء في ابن خلكان ٢٢٨ ج ٢ وطبقات الادباء ١٢٦ والفهرست ٦٦

٥ — ابن السِكّيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة في هذا العصر أصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . أخذ النحو عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الاعرابي الآتي ذكره بين اللغويين . ولقي الاعراب وأخذ عنهم وعلم عبد الله بن طاهر وغيره وغضب عليه المتوكل في آخر أيامه لجرأته في الدفاع عن علي ابن أبي طالب وآله . وذلك أن المتوكل سأله يوماً وهو يعلم ابنيه : «يا يعقوب أيهما أحب اليك ابناي هذان أم الحسن والحسين » فأجابه : « ان قنبراً خادم على خير منك ومن ابنيك » فأمر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه فمات ، وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفاً في النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صاحب الفهرست وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب اصلاح المنطق : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوربا والاستانة وفي المكتبة الخديوية ، وقد طبع في بيروت سنة ١٨٩٨ بعناية الاب شيخو اليسوعي وفي مصر سنة ١٩٠٧

٢ كتاب الالفاظ أو تهذيب الالفاظ : في اللغة وليس في النحو يبحث في أحوال الالفاظ ومعانيها ، منه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع في بيروت بعناية الاب شيخو عن تينك النسختين سنة ١٨٩٦ مع شروح للتبريزي وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر تهذيب الالفاظ

وتجد أخباره في ابن خلكان ٣٠٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٣٨ والفهرست ٧٢

فالنحو نضج في هذا العصر ووضعت فيه الكتب الوافية بخلاف الادب فانه كان لايزال مشتتاً مضطرباً وسينضج في الاعصر الآتية . وكذلك علم اللغة كما سنبينه في مكانه

علم اللغة

في العصر العباسي الاول

نريد بعلم اللغة الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقها وهو ينتهي بتأليف المعاجم اللغوية ولم يتم نضجها الا في العصر العباسي الثالث كما سيجيء . لكن السبيل تمهدت لها في هذا العصر وما يليه بما ألفه الأدباء من الكتب في ألفاظ المواضيع الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها في مؤلفات الاصمعي وغيرها من كتب الادب ككتاب الخيل وأسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الاذهان من قراءة أسمائها أنها كتب في علم الحيوان أو التشريح ولكنها كتب لغوية يحوي كل منها أسماء الحيوانات وأعضائها ومن الانسان أسماء أعضائه وأحواله . وكانت للعرب همة عالية في استقصاء ذلك في صدر دولتهم يتبارون في التنقيب عنه من أماكنه اما بالسفر الى البادية أو بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يثيرونها بين أيديهم في هذه المواضيع كما فعل عبد الملك في مجلس من مجالسه ضم جماعة من خواصه ومسامريه فقال : « أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه ؟ » فقام اليه سويد بن غفلة فقال : « أنا لها يا أمير المؤمنين » فقال : « ما عندك : » قال : « أنف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع . طحال . ظهر . عين . غبيبة . فم . قفا . كتف . لسان . منخر . نغنغ . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين »

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : « يا أمير المؤمنين أنا أقولها في جسد الانسان مرتين ، فضحك عبد الملك وقال لسويد : « أما سمعت ما قال ؟ » قال : « نعم أنا أقولها ثلاثاً » فقال له : « لك ما تتمنى » فقال : « أنف . أسنان . اذن . بطن . بصر . بز . ترقوة . ثمرة تينة . ثغر . ثنايا . ثدي . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خاصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذقن . ذراع . رقبة . رأس . ركبة . زند . زردمة . زغب . ساق . سرة . سبابة . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . ضفيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق عاتق . غبيبة . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم . قفا .

كف . كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب . منخر . نغنوغ . ناب . نن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة . ورك . يمين . يسار . يا فوخ ، ثم نهض مسرعاً وقبل الارض بين يدي عبد الملك . فقال : « والله ما نزيد عليها اعطوه ما تمنى » ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه

أوليات كتب اللغة

فهذا وأمثاله بعث الناس على العناية بحفظ ألفاظ اللغة وحمل الآخرين على التأليف فيها بشكل مجاميع كل مجموع في موضوع . فكتاب النخل والكرم مثلا لا يبحث في طبائع النخل والكرم ومعالجتهما أو زراعتهما وانما هو يبحث في أسماء أنواعهما وأغصانهما وما يتعلق بها من اسم أو فعل . وهاك قطعة من أول هذا الكتاب على سبيل المثال :

« من صغار النخل الجثيث وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الودي والهراء والفسيل واذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فيه فهو من خسيس النخل والعرب تسميها الراكب . فاذا قلعت الودية من أمها بكربها قيل ودية منعلة . فاذا غرسها حفر لها بئراً فغرسها ثم كبس حولها بترنوق المسيل والدمن فتلك البئر هي الفقير يقال : فقرنا للودية تفقيراً . والاشأ من صغار النخل

« ومن نعوت سعفها وكونها وقلبها يقال للفسيلة اذا أخرجت قلبها قد انسغت . ويقال للسعفات اللواتي يلين القلبة « العواهن » في لغة أهل الحجاز . أما أهل نجد فيسمونها « الخوافي » وأصول السعف الغلاظ الكرانيف الواحدة كرنافة . والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكربة وشحمة النخلة هي الجمار فاذا صار للفسيلة جذع قيل قد قعدت وفي أرض بني فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو الجريد عند أهل الحجاز واحدته جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخاب الليف واحدته خلبة ... » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل على أسماء وأفعال تجمعها صفة مشتركة بينها في المعنى فهي من قبيل المعاجم المعنوية التي تجمع مفردات اللغة فيها حسب معانيها تميزاً لها عن المعجمات اللفظية التي تجتمع بها الالفاظ بحسب هجائها على ترتيب الابجدية . وأشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده وهي أتم مما فعله الاصمعي وأترابه ولكنها تشبهها من حيث المراد بها وسيأتي ذكرها في مكانه . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر والكرم

(١) كتاب النخل والكرم طبعة الأب شيخو

وخلق الانسان وأشباهها من كتب النوادر والامثال والاضداد واللغات والفروق وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والجبال ونحوها عول واضعو المعجمات في ضبط الالفاظ ومعانيها فضلا عن تحريهم المفردات عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة

في العصر العباسي الاول

١ ـ الخَلِيل بن أَحْمَد

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري الفراهيدي الازدي سيد أهل الادب في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. وكان من تلامذة أبي عمرو بن العلاء. وعنه أخذ سيبويه. وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل وكلما قال سيبويه « سألته » أو « قال » من غير أن يذكر قائله فهو يعني الخليل. وأخذ عنه أيضاً النضر بن شميل ومؤرج السدوسي وعلي بن نصر وغيرهم

وقد علمت أنه أول من ضبط اللغة وهو أيضاً أول من استخرج علم العروض الى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها ١٥ بحراً. ثم زاد فيه الاخفش بحراً سماه الخبب. وقد ضبط أوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات واستغرق في درس ذلك حتى كان يقضي الساعات في حجرته وهو يوقع بأصابعه ويحركها ـ رووا ان ابنه دخل عليه مرة وهو في هذه الحال فظنه جن فقال له الخليل:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... او كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت انك جاهل فعذرتكا

وكان الخليل في فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا وذكروا ان سليمان بن علي وجه اليه من الأهواز لتأديب ولده فأخرج الخليل الى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال: « كل فما عندي غيره وما دمت أجده فلا حاجة لي الى سليمان » فقال الرسول: « فما أبلغه » فقال:

ابلغ سليمان اني عنه في سعة ... وفي غنى غير اني لست ذا مال
شحاً بنفسي اني لا ارى احداً ... يموت هزلا ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

وأهم مؤلفاته كتاب العين :

كتاب العين

الخليل أسبق العرب الى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على حروف المعجم قبل الاصمعى وسيبويه وسواهما من الأدباء والنحاة في كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما كان معروفاً في أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على احرف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان فالشفتين وبدأ بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر . وهاك ترتيبه : ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ر ط د ت ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ي فكان الخليل حذا بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية فانهم يبدأون بأحرف الحلق وينتهون بالاحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من ألفاظه ككتاب الجيم للهروي وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (٢) وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ومثلهما كتاب الغين وكتاب الميم ويستفاد من ترتيب الحروف في كتاب العين ان الجيم كانت تلفظ كالكاف الفارسية

ومن أبحاث كتاب العين احصاء ألفاظ اللغة في أيامه فقد نقل عنه السيوطى انه أحصى فيه عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل فبلغ ١٢ ٣٠٥ ٤١٢ كلمة . ولعله أراد ما يمكن تكوينه بتركيب أحرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثى والرباعى والخماسى . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على أن أبا بكر الزبيدي الذي اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها فكانت نتيجة درسه أن عدد الالفاظ العربية ٦ ٦٩٩ ٤٠٠ لفظ لا يستعمل منها الا ٥ ٦٢٠ لفظاً والباقي وهو ٦ ٦٥٣ ٧٨٠ لفظاً مهملا . وقد قسمها من حيث عدد أحرفها على هذه الصورة :

عدد الالفاظ		المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	الثنائي	٤٨٩	٢٦١
١٩ ٦٥٠	الثلاثى	٤ ٢٦٩	١٥ ٣٨١
٣٣ ٤٠٠	الرباعى	٨٢٠	٣٠٢ ٥٨٠
٦ ٣٧٥ ٦٠٠	الخماسى	٤٢	٦ ٣٧٥ ٥٥٨
٦ ٦٩٩ ٤٠٠		٥ ٦٢٠	٦ ٦٩٣ ٧٨٠

(١) William's Sanskrit Grammar 15 (٢) طبقات الادباء ٢٦٠

ومن النظر الى هذا الجدول يتبين لك أن الزبيدي عنى بعدد ألفاظ اللغة ما عناه الخليل وان كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذاك فانك تجد أكثرها مهملا فهو يريد بالمهمل الألفاظ التي يمكن أن تتركب من الاحرف الهجائية كما تقدم لا التي تركبت واستخدمها الناس زماناً ثم أهملت لسبب من الاسباب

ولم يصل الينا من كتاب العين الا ما نقل عنه في كتب اللغة كالمزهر للسيوطي وكتاب النحو لسيبويه . ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وما يليه إلا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون في حقيقة نسبته اليه وفي صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم في الفهرست عن ابن دريد قال : « وقع في البصرة كتاب العين سنة ثمانى وربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية واربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً وكان قد سمع بهذا الكتاب أنه فى خراسان بخزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل أن الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية . ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل ولا روى في شيء من الاخبار أنه عمل هذا البتة . وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمله له وأخذ طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطي آراء القوم في أصله وحجج القادحين فلتراجع في المزهر (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب في سبب تلك الحملة على الخليل انهم حسدوه لما أتاه من السبق الى ذلك العمل الجليل - وكل سباق محسود . فلا خلاف في فضله على الاطلاق وهب أنه لم يتم الكتاب في حياته فله الفضل في تبويبه والشروع فيه

وقد جاء في ذلك الكتاب على قواعد النحو وأكثرها على مذهب الكوفيين مع انه بصريّ فخالف ما جاء في كتاب سيبويه مما رواه سيبويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للطعن في الكتاب وانه ليس للخليل . ويرى الاكثرون انه له وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه . فألف في انتقاده جماعة منهم المفضل بن سلمة وعبد الله بن محمد الكرماني وابن دريد وغيرهم . وقد اختصره ابو بكر الزبيدي المتوفي سنة ٣٧٩هـ اختصاراً لطيفاً وشاع مختصره وأقبل عليه الناس وتحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما أورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة . وفضلوه أيضاً على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة

(١) الفهرست ٤٢

يومئذ لاجل صغر حجمه . وألحق به بعضهم ما زاده ابو علي القالي في البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة . على أن بعضهم انتقد على الزبيدي حذفه الشواهد

وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحف الادب وللخليل فضل كبير في وضعه وللأسف انه ضاع وقد كان موجوداً الى القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكاتب الخصوصية

أما مختصره للزبيدي فمنه نسخة خطية في مكتبة برلين وأخرى في الاسكوريال باسبانيا وكذلك في مدريد وفي مكتبة كوبرلي بالاستانة

وذكر له ابن النديم من المؤلفات أيضاً كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب الايقاع . وفي المكاتب الكبري في اوربا مما ينسب الى الخليل :

٢	كتاب قي معنى الحروف	في مكتبة ليدن ومكتبة برلين
٣	شرح حرف الخليل	« « برلين قطعة منه
٤	جملة آلات العرب	« « ايا صوفيا بالاستانة
٥	قطعة من كلام على أصل الفعل	« « اكسفورد (بودليان)

وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٧٢ ج ١ وطبقات الادباء ٥٤ والفهرست ٤٢ وابن خلدون ٤٨٢ ج ١

٢ - مُورَّج السَّدُوسي

توفي سنة ١٩٥ هـ

هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي كان من أكابر أهل اللغة وأخذ عن أبي زيد الانصاري وصحب الخليل بن احمد وكان من كبار أصحابه . أصله من البادية قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس في العربية وأول ما تعلم ذلك في حلقة أبي زيد وكان يحفظ ثلثي اللغة وكان شاعراً . وصحب المأمون من العراق الى خراسان وسكن مرو مدة ثم قدم الى نيسابور وأقام فيها وكتب عنه مشائخها

وله من المؤلفات كتاب الانواء وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغيرها لم يصلنا منها شيء

وتجد أخباره في ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ طبقات الادباء ١٧٩

٣ ـ النَّضْر بن شُمَيْل

توفي سنة ٢٠٢ هـ

هو ابو الحسن النضر بن شميل التميمى البصري من تلامذة الخليل أخذ عنه وعن فصحاء العرب كأبي خيرة الاعرابي وابى الدقيش وأقام في البادية أربعين سنة في هذا السبيل . وعنه أخذ ابو عبيد القاسم بن سلام الآتى ذكره . وبعد أن أقام في البصرة مدة ضاق به الرزق فنزح عنها الى خراسان فأصاب بها مالا عظيما وكانت اقامته في مرو وله مع المأمون في اثناء اقامته هناك حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه وله عدة كتب ذهب خبرها الا كتاب غريب الحديث أخذ الثعالبي عنه

وأخباره في ابن خلكان ١٦١ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٠ وفهرست ٥٢

٤ ـ قُطْرُب

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو علي محمد بن المستنير البصري من الموالي كان من كبار علماء اللغة أخذ عن سيبويه وجماعة من أهل البصرة وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها :

١ كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ ما خالف فيه الانسان البهيمية : منه نسخة في مكتبة فينا

٣ كتاب الازمنة : في المتحف البريطانى

٤ مثلث قطرب : هو منظومة في بضعة وستين بيتاً تحتوي على الالفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل : سِهام وسَهام وسُهام ولكل منها معنى وهو اول من فعل ذلك . ومنه نسخ في مكاتب ليدن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع في مابرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمي وغيره . ومن هذه الشروح نسخ في أكثر مكاتب اوربا الكبرى

٥ ـ ابن الأعرابي

المتوفى سنة ٢٣١ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن زياد من موالي بني هاشم وكان من أكابر أئمة اللغة بالكوفة ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين من روايته وكان ربيباً للمفضل الضبي وسمع منه الدواوين وصححها . وكان أحفظ الناس للغات والانساب وطريقته طريقة الفقهاء

والعلماء وله من الكتب الباقية الى الآن :

١ كتاب أسماء البئر وصفاتها : منه نسخة في المكتبة الخديوية وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) في سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكري الالوسي

٢ كتاب أسماء الخيل وأنسابها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

وأخباره في ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ وطبقات الادباء ٢٠٧ والفهرست ٦٩

الانشاء والمنشئون

الانشاء

الانشاء من فنون الادب وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر الراشدين والامويين ورأيت أنه اختلف في هذه العصور باختلاف أحوالها من المدنية أو الجاهلية ومن الحضارة أو البداوة . وللعرب اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر واللغة أكبر مساعد على ذلك

كان الانشاء في صدر الاسلام مقصوراً على مكاتبة الخلفاء وأمرائهم وقوادهم أو مع سواهم في طلب حرب أو صلح أو حث أو تحريض . فلما صار الاسلام دولة تفرعت الكتابة الى أقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرع احتياجاتها فصارت الكتابة خمسة أنواع ذكرناها في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي - وأهمها بالنظر الى الانشاء والبلاغة كتابة الرسائل وصاحبها يسمى كاتب السر وهو يد الخليفه ومستودع أسراره . وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل في الدولة الاموية آخرهم وأبلغهم عبد الحميد كما تقدم (١)

فلما صارت الدولة الى العباسيين على أثر ذلك الانقلاب الذي تبدلت فيه رجال الدولة وانتقل كرسي الخلافة وتنوعت أغراض الخلفاء - كما بينا ذلك في مكانه أصاب الانشاء تغيير يلائم ذلك الانقلاب . وأهم ظواهره الاستبحار في المدنية والاغراق في الحضارة بالنظر الى الدولة الاموية . وظهر أثر ذلك على أقلام المنشئين كما ظهر في قرائح الشعراء

---

(١) الجزء الاول ٣١٤

أول ثمار الرخاء

فالانشاء في صدر الدولة العباسية أخذ في النزوع الى ثمار الرخاء والترف وأهمها التطويل والاطراء . وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تأنقاً في العبارة نزوعاً عن أسلوب البلغاء في صدر الاسلام وفي العصر الاموي من تحدي الايجاز والاعجاز . وأخذوا يضمنون رسائلهم الاشعار والامثال . وخالط ذلك في العصر العباسي الاول شيء من الاطراء والتفخيم وخصوصاً في ما كانوا يكتبونه الى الامراء يستعطفونهم أو يستعطونهم كما فعل ابراهيم بن سيابة في رسالة كتبها الى يحيى بن خالد ابن برمك توخى فيها التسجيع فضلا عن الاطراء فقال في مطلعها :

« للاصيد الجواد الواري الزناد الماجد الاجداد الوزير الفاضل الاشم الباذل اللباب الحلاحل من المستكين المستجير اليائس الضرير فاني أحمد الله ذا العزة القدير اليك والى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة أما بعد فاغنم واسلم واعلم ان كنت تعلم انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغنم ومن يصنع المعروف لا يعدم وقد سبق الي تغضبك علي واطراحك لي وغفلتك عني بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أنتبه ولا أرقد فلست بحي صحيح ولا بميت مستريح فررت بعد الله منك اليك وتحملت بك عليك » — الى آخر الرسالة

وهي كما ترى أشبه بما صار اليه الانشاء في أواسط الدولة العباسية . ولولا ثقتنا بصدق راويها وهو الجاحظ (١) مع قرب عهده من ذلك العصر لشككنا في صحتها. فالظاهر ان ابن سيابة بالغ في تنميق عبارته حتى خرج عن الاسلوب المألوف في عصره فاعظم الناس اقتداره وعملوا على حفظ أقواله . وذكر الجاحظ ان البغداديين حتى عامتهم كانوا يحفظون هذه الرسالة في تلك الايام . ولا يصح أن تعد مثالا لاسلوب ذلك العصر وانما أمام الانشاء فيه ابن المقفع وأسلوبه مشهور وسنعود الى ذلك

وتنوعت أساليب الانشاء ومذاهب المنشئين في الدولة العباسية بتنوع العلوم فاصبح للفقه أسلوب والفاظ وتراكيب ومثل ذلك للجندي أو المحدث أو الفيلسوف أو الطبيب لتعود كل منهم مصطلحات علمه وفنه كما هو شأننا لهذا العهد فان للصحافي أسلوباً خاصاً ومثله للمؤلف والروائي والطبيعي والمحامي وغيرهم تظهر فيه صبغة مهنته . ولكن هذه الاساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار أصحابها الى تحدي أساليب القرآن والفاظ العرب العرباء

(١) البيان والتبيين ١١٤ ج ٢

التوقيعات

وظل الميل الى الايجاز والاعجاز متغلباً في نفوس الادباء ولا سيما فى التوقيع ويراد به ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع (العرضحالات) . وكان الخلفاء في صدر الاسلام وهم الذين يوقعون بأنفسهم أو يأمرون كتابهم بتدوينه . والغالب في توقيعهم أن يكون اقتباساً من آية أو حديثاً أو حكمة مشهورة أو من الشعر حكمي . ومن أمثلة ذلك أن سعد بن ابى وقاص عامل العراق كتب الى عمر الخطاب كتاباً يستأذنه فيه ببناء دار فوقع عمر في أسفل الكتاب : « ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر » ووقع أيضاً لعمرو بن العاص عامله على مصر جواباً على كتاب كتبه اليه : « كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك اميرك » وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بوجء أعناقهم فوقع في ذلك الكتاب : « فان عصوك فقل انى بريء مما تعملون » وأرسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بني العباس فقد وقع السفاح الى قوم من أهل الانبار شكوا اليه أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في بناء أمر به ولم يعطوا أثمانها فوقع : « هذا بناء أسس على غير تقوى» وأمر باعطائهم الاثمان .وشكا أهل الكوفة الى أبي جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم فوقع على كتابهم : « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكا عيلة : « سل الله من رزقه » وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوقع في أسفله : « استبدل بكتابك والا استبدل بك » وكتب صاحب أرمينيا الى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه فوقع في الكتاب : «خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » وشكا بعضهم اليه اهمال عامله على خراسان فوقع على شكواهم : « أنا ساهر وأنت نائم » وأرسله اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله في خراسان : « داوِ جرحك لا يتسع » والى عامله على مصر : « احذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخي يوسف فيأتيك منه ما لا قِبل لك به ومن الله أكثر منه » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من أمر فوقع على كتابه : « من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فأي الرجلين أنت ؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكي لمحبوس : « ولكل أجل كتاب » ووقع في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله : « لقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت »

الانشاء المرسل أو أسلوب المؤلفين

هذا كله من انشاء الرسائل في المخاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضرباً من الانشاء نضج في العصر العباسي الاول نعني الانشاء المرسل في تأليف الكتب أو كتابة المقالات الطويلة في الوصف أو الموعظة أو الفلسفة ـ وهو غير أسلوب المراسلات . فان هذا أقرب الى الخطابة أو الشعر منه الى الاسلوب المتناسق الذي يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الاسلوب المرسل الا في العصر العباسي الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند أنفسهم بأن يدونوا أفكارهم أو ينقلوا أفكار سواهم من اللغات الأخرى . وأشهر من فعل ذلك في العصر المذكور عبد الله بن المقفع في نقل كتاب كليلة ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بآدابها متمكناً من أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيداً . وقد نشأ في البصرة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالادباء والشعراء فبرع في اللغة العربية وآدابها وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ انشاؤه في المواضيع الادبية باللغة العربية

وكتاب كليلة ودمنة أقدم ما وصل الينا من الانشاء المرسل من قلم رجل واحد هو من علماء الفرس وقد نقل الكتاب عن لغة الفرس . ونظراً لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب في عصره أو ما بعده من كتب الأدب يغلب على ظننا أنه اكتسب ذلك من تأثير أساليب اللغات الاخرى التي كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الاسلوب . وقد قل من جاء بمثله بعده ولم يأت أحد بأحسن منه في بابه مع ما بلغ اليه العلم من الرقي في العصر العباسي وما نبغ فيه من علية الكتاب المشاهير ـ مما يدلك على أن الانشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

ويقسم المنشئون في العصر العباسي الاول الى طبقتين : الاول منشئو الرسائل والثانية مؤلفو الكتب

منشئو الرسائل

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للأسباب التي قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والامراء والوزراء والشعراء . واشتهر بانشاء الرسائل في هـذا العصر من الامراء والوزراء ونحوهم ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم ابو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر — وخصوصاً طاهر بن الحسين

طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الأسرة توفي سنة ٢٠٧ هـ وكان من نوابغ المنشئين وله مجموع مراسلات ضاع خبره الا رسالة بليغة كتبها لابنه عبدالله لما ولاه المأمون الراقة ومصر وما بينهما أوصاه فيها بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية ومكارم الأخلاق . وهي منشورة في مقدمة ابن خلدون بباب : « ان العمران لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره » تدخل في ثماني صفحات

وتجد ترجمة طاهر في ابن خلكان ٢٣٥ ج ١

عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفي سنة ٢١٧ هـ وزير المأمون كان كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني وكان يوقع بين يدي جعفر بن يحيي البرمكي في أيام الرشيد . وقد أثرى في خدمة المأمون حتى قيل أنه خلف بعد موته ٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم فقيل ذلك للمأمون فقال : «هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك »

وتجد مثالا من انشائه في ترجمته في ابن خلكان ٣٩٠ ج ١

ومنهم ابن الليث كاتب يحيي بن خالد . وذكر ابن النديم أسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة في كتاب منهم غيلان بن مرارة جمعت رسائله في ألف ورقة وخالد بن ربيعة الافريقي نشأ في الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة . وغيرهم كثيرون لا فائدة من ذكرهم لأن آثارهم ضاعت . ثم أن كتاب ديوان الرسائل أكثرهم في صدر الدولة العباسية من المنشئين البلغاء كابن عبد الملك الزيات الوزير وابي علي البصير واليوسفي كاتب المأمون وحميد بن مهران كتب البرامكة وابن يزداد وزير المأمون وموسى بن عبد الملك وميمون بن ابراهيم وغيرهم (١)

(١) الفهرست ١١٥ — ١٢٥

الكتاب المؤلفون

١ — عبد الله ابن المقفَّع

توفي سنة ١٤٣ هـ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره وكان في باديء أمره مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ثم اختص بالمنصور وكتب له حتى قتل وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة لكنه خلف آثاراً حفظت ذكره قروناً ولا تزال — أهمها :

١ — كتاب كليلة ودمنة

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه فألف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فانهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الارواح . والمظنون ان معظم ما يتناقله الناس من أمثال هذه الاقاصيص أصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه

وترجع مواضيع النصح في هذا الكتاب الى ما يحتاج الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنمام ووخامة عاقبة الاشرار ومنافع الاصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الاهمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على أرباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقي العواطف في حكايات يتفرع بعضها عن بعض

وقد كتب أولا باللغة الهندية السنسكريتية في ١٢ باباً ونقل الى لغة التيبت فاللغة السريانية ثم الى الفهلوية أي الفارسية القديمة وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وأفاض في التحريض على مطالعته . فلما اطلع العرب على فوائده أعجبوا به وأخذوا يتدارسونه ويتناقلونه وكأن علماء اللغة وأدباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فأقدم بعضهم على نقله ثانية واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلا لحفظه وتصدى آخرون لمعارضته كما سيجيء

على ان الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التي هي بين أيدينا وقد تعدلت بتوالي الازمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت أبوابها ٢١ باباً بعضها هندي الاصل والآخر فارسي والآخر عربي

فالابواب الهندية ١٢ وهي : باب الاسد والثور . الحمامة المطوقة . البوم والغربان القرد والغيلم . الناسك وابن عرس . الجرذ والسنور . الملك والطائر فنزة . الاسد وابن آوى . اللبوءة وبلاذ وابرخت . السائح والصائغ . ابن الملك وأصحابه

والفارسية ثلاثة : مقدمة بروزيه وباب بعثة بروزيه وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية نعني مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي وباب عرض الكتاب لابن المقفع وباب الفحص عن امر دمنة وباب الناسك والضيف وباب مالك الحزين والبطة وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الاصل الهندي والترجمة الفهلوية ولم يبق غير العربية وعنها أخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى ألسنتها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والايطالية والفارسية الحديثة والتركية والعبرانية واللاتينية والاسبانية والملقية والانكليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات أخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلا ضافياً في الهلال سنة ١٤ ج ٧

طبع كتاب كليلة ودمنة في العربية مراراً من أواخر القرن الثامن عشر الى الآن . وبعض طبعاته مزدانة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجي . وهو لا يزال الى الآن من خيرة الكتب في الانشاء وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر

نظم كليلة ودمنة

أقدم من نظم هذا الكتاب في العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي من خدم المنصور العباسي وابنه المهدي في صدر الدولة العباسية . وكان له الفضل في خزانة الحكمة بأيام الرشيد وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كليلة ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك في عرض كلامه عن هذا الكتاب فقال : « نقله أيضاً عبد الله بن هلال الاهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ ونظمه أبو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهدي والرشيد . فلما وقف عليه أجازه بألف

دينار » وقد ذكرنا في ترجمة ابان اللاحقي الشاعر انه نظم كليلة ودمنة شعراً لم يبق منه الا بيتان ذكرناهما (صفحة ٨٢)

ثم نظمه علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتمد . وكل هذه المنظومات ضاعت

ثم نظمه ابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٤ هـ في كتاب سماه « كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة ، كان منه نسخ مشتتة في الاستانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند في بمباي سنة ١٣٠٤ هـ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة اخرى عن نسخة اخرى في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخوري نعمة الله الاسمر . وقد نقحها ونظم منها قطعاً لم ينظمها ابن الهبارية منها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين [١]

ثم نظمه ابن نماني المصري المتوفي سنة ٦٠٦ هـ وضاع نظمه . وجاء بعده عبدالمؤمن بن الحسن من اهل القرن السابع للهجرة فنظمه او شيئاً منه او كتاباً على مثاله سماه « درر الحكم في امثال الهنود والعجم » منها نسخ خطية في فينا ومونيخ ثم نظمه جلال الدين النقاش من اهل القرن التاسع ومن نظمه نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت واخرى في المتحف البريطاني

وعارض كليلة ودمنة سهل بن هارون الكاتب الآتي ذكره فنظم كتاباً على مثاله سماه « كتاب ثعلة وعفرة » وقد ضاع [٢] ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية ايضاً :

سائر مؤلفاته

٢ كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ وفلسفة والاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل بتحقيق احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظار وقد صدره بمقدمة انتقادية في اسلوب الكتاب ونسبته الى كليلة ودمنة

٣ كتاب الدرّة اليتيمة ويسمى ايضاً كتاب الادب الكبير : هي رسائل في النصح والارشاد . قال ابن المقفع في الغرض منها يخاطب : القاريء « وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقاً ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه شبيبته المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

(١) المشرق ٩٨١ سنة ٤ (٢) الفهرست ١٢٠ والبيان ٢٤ ج ١

وقد طبعت الدرة اليتيمة مراراً في نحو ٥٠ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للامير شكيب ارسلان . وهي تحت الطبع الآن مضبوطة بالشكل الكامل باسم « الادب الكبير » بتحقيق زكي باشا . ولها تتمة لابن العربي سماها : « عظة الالباب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة في مكتبة باريس

٤ رسالة في الاخلاق : منها نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة

وله كتب اخرى ادبية واخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج في سيرة انوشروان وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها . لكن منها نتفاً نقلها ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار . وتجد اخبار ابن المقفع في ابن خلكان ١٤٩ ج ١ وتراجم الحكماء لابن القفطي ١٤٨ والفهرست ١١٨

٢ - سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوي الدستميساني . فارسي الاصل انتقل الى البصرة ثم اقام في بغداد وكان متحققاً في خدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له . وكان حكيما فصيحاً شاعراً شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل . وكان الجاحظ يفضله ويصف براعته وفصاحته ويحكي عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل وكتاب ثعلة وعفرة المتقدم ذكره وكتاب الهذلية والمخزومي وكتاب النمر والثعلب وغيرها كثير لم نقف عليها . واخباره في الفهرست ١٢٠ والدميري ٣١٣ ج ١

ومنهم علي بن عبيد الريحاني له اختصاص بالمأمون وكان يرمى بالزندقة وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفاً ضاعت كلها . والمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته في كتابه عن تأثير آداب الفرس في اللغة العربية طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى او الغناء

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر . وفي العرب استعداد لها فطري لحساسة نفوسهم وشدة تأثرهم . وكان لهم في جاهليتهم الحان توافق خشونتهم فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل او ترجمة . واول من فعل ذلك عبدٌ مكي اسمه سعيد ابن مسجح كان حسن الصوت مغرماً بالموسيقى . وكان في مكة عند حصار الامويين لها

على عهد عبد الله بن الزبير في الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالا من الفرس في ترميم الكعبة فسمع ابن مسجح بعضهم يغني بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الالحان الرومية والفارسية وألقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم مما لا يألفه الذوق العربي وغنى على هذا المذهب وهو أول من فعل ذلك . وأخذ عنه من جاء بعده من مغني المسلمين فنبغ منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف . ولذلك كثروا في أواخر الدولة الاموية وأواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والغريض ومعبد وحكم الوادي وفايج بن أبي العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابه وسلامة وعقيلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون في نقل العلوم الدخيلة كان من جملتها كتب الموسيقى لليونان والهند فتناولها المسلمون ودرسوها وأصبحت الموسيقى عندهم علماً بأصول . وقد جمعوا بين ألحان اليونان والهنود والفرس والعرب فألفوا من ذلك علماً خاصاً بالتمدن الاسلامي بلغ درجة حسنة من الاتقان فألفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلا عما استنبطوه من الألحان أو اخترعوه من الآلات

ففي العصر العباسي الاول صار للعرب مذاهب في الغناء خاصة بهم . وأصبح الغناء علماً قائماً بنفسه فعمدوا الى تدوينه . وأول من دونه يونس بن سليمان الكاتب أصله فارسي وصار مولى لعمرو بن الزبير . نشأ في المدينة وكان أبوه فقيهاً اسلمه الى الديوان فكان من كتابه وأخذ الغناء عن معبد ولم يكن في أصحاب معبد أحذق ولا أقوم منه . وله غناء حسن فوضع كتاباً في الاغاني وهو أول من فعل ذلك (١) وقد ضاع كتابه . وللخليل بن احمد كتاب في الموسيقى زم فيه أصناف النغم وحصر به أنواع اللحون وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده وقد ضاع هذا أيضاً

وممن اشتغل بفن الموسيقى يحيى بن ابي منصور الموصلي فألف كتاباً في الاغاني على الحروف وآخر في العود والملاهي لم نقف على خبرهما . ووضع المغنون كتباً ضبط كل منهم فيها الالحان التي حدثت فضلا عن الاصوات القديمة . لان المغني كان اذا برع واشتهر استنبط ألحاناً من عند نفسه حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصلي فأصبح هو امام المغنين وينسبون اليه كتاباً في الاغاني كبير يشك الناقدون

(١) الاغاني ١١٤ ج ٤

في نسبته اليه . وألف يحي بن مرزوق المكي كتاباً فيه ١٢٠٠٠ صوت أهداه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين الف درهم . وشاع هذا الكتاب لكن اسحق الموصلي صححه

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسي الاول في زمن الرشيد والمأمون وأطلقت الالسنة والافكار أخذ المغنون يفكرون في تعديل الالحان واستنباط أسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم المهدي أخو الرشيد ـ وكان من الطامعين في الخلافة فلما استتب الأمر لابن أخيه المأمون انصرف هو الى الغناء كما انصرف خالد بن يزيد الاموي الى الكيمياء لما يئس من الخلافة . وكان ابراهيم من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً وهو يعد من الطبقة الأولى في عصره لكنه كان مقصراً عن اداء الغناء القديم على طريقة الموصلي . فكان يحذف نغم الاغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً أو يخففها على قدر طاقته ـ وانما تجرأ على ذلك بما ناله من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال : « أنا ملك أغني كما أشتهي » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث . وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون في ذلك الى قسمين وأصحاب فن الغناء يعدون عمل ابراهيم بن المهدي افساداً في هذه الصناعة لانهم يفضلون القديم فأخذوا في الرجوع اليه

على أن ذلك بعثهم على اعمال الفكرة والتعمق بهذا الفن وانتهى ذلك الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من أهل العصر العباسي الثاني وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الاوائل والموسيقى والهندسة فوضع كتاباً في النغم وعلل الاغاني سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب في الموسيقى أوالغناء قبل كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وسيأتي ذكره(١)

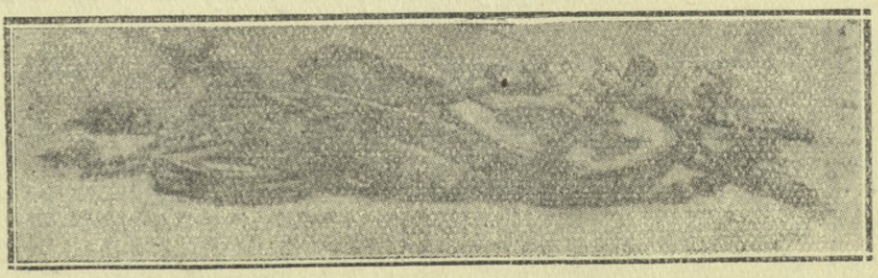

ش ٩ : الآلات الموسيقية العربية

(١) راجع تاريخ الغناء في الجاهلية والاسلام في تاريخ التمدن الاسلامي ١٩٧ ج٣ و٣٢ ج ٥

العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الاول

الفقه

في هذا العصر ضبط الفقه ودونت أحكامه بعد أن أفضت الخلافة الى بني العباس. وكان أئمة الفقه في المدينة فأراد المنصور تصغير أمر العرب واعظام الفرس لانهم أنصارهم وأهل دولتهم فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل أنظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع الميرة عن المدينة (١) وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه أهلها في امر المنصور فافتى بخلع بيعته فخلعوها وبايعوا محمد بن عبدالله من آل علي. وعظم أمر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد. فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهراً وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبني العباس. فعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرده من ثيابه وضربه بالسياط وخلع كتفه(٢)

الرأي والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونبغ من ابنائها من درس الفقه والفتيا ولكنهم ما زالوا عيالا فيهما على أهل المدينة لانهم أوثق الناس بحفظ الحديث وقراءة القرآن. وكان الحديث قليلا في العراق على الخصوص. والمسلمون غير العرب هناك اكثرهم من الفرس وهم أهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث. فخالفوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد — فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد أن أفتى بخلع بيعته أنه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ أبو حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه الى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه. وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به (٣) ولذلك كان الربيع حاجب المنصور يقاومه لأن الربيع ينتسب الى العرب وكان يكره الفرس وابنه الفضل هو الذى سعى في قتل البرامكة

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ٣٠ ج ٢ (٢) ابن خلكان ٤٣٩ ج ١
(٣) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

فلما نصر المنصور أبا حنيفة وأصحابه وهم المعروفون بأهل الرأي أو القياس ازداد مالك تمسكاً برأيه وتبعه فقهاء الحجاز وهم أهل الحديث . وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين اهل الحديث وأهل الرأي ، وزعيم الاول مالك وأنصاره من اهل الحجاز وأصحاب الشافعي وأصحاب سفيان الثوري واصحاب احمد بن حنبل وغيرهم من أهل التقليد وعرفوا بأصحاب الحديث لان عنايتهم مبذولة في تحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي أو الخفي ماوجدوا خبراً أو أثراً . ويدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي : « اذا وجدتم لي مذهباً ووجدتم خبراً على خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر »

وزعيم أصحاب الرأي أبو حنيفة النعمان وأصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد بن الحسن الشيباني وأبو يوسف القاضي وزفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ واللؤلؤي وابن سماعة المتوفى سنة ٢٣٣ هـ وابو مطيع البلخي وعافية القاضي وغيرهم . وقد سموا أهل الرأي لأن عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على احاد الاخبار [1]

وجاء بعد مالك من أصحاب مذهبه محمد بن ادريس المطلبي الشافعي فرحل الى العراق وخالط أصحاب أبي حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب خالف فيه مالكا في كثير من مذهبه . ثم جاء بعده احمد ابن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الامام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر . ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي واليك خلاصة تراجمهم حسب سني وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الأئمة الاربعة

١ ـ أبو حَنِيفة النُّعمان

توفي سنة ١٥٠ هـ

هو النعمان بن ثابت مولى بني تيم من أهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ هـ وكان خزازاً يبيع الخز وكان عالماً عاملا زاهداً عابداً كثير الخشوع دائم التضرع فاتصل خبره بالخليفة أبي جعفر المنصور فبعث اليه فلما جاءه أراد أن يوليه القضاء فحلف انه لا يفعل وقال

(١) الشهرستاني ١٢٢ ج ١

« لن اصلح الى قضاء » وكان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه . وكان ربعة في الرجال وقيل كان طويلا تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطقاً واحلاهم نغمة . وكان قوي الحجة حتى قال عنه الامام مالك : « انه رجل لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته » وكان طلق اللسان جهوري الصوت اذا سألته عن الفقه تفجر وسال كالوادي وسمعت له دوياً وجهارة

وهو الذي بوب الفقه وفرع له فروعا وعمدته فيما قاله القياس . وكان بعيداً عن الغيبة لا يذكر احداً بسوء ولو كان عدواً له . وكان واسع العلم في كل العلوم الاسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه في النحو كوفياً لانه من اهل الكوفة وتوفي في السجن . وذكر المسعودي انه مات وهو ساجد في صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ الفقه الاكبر : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية وقد طبع في لكناو الهند مع ترجمة هندستانية . وهو من قبيل اصول الدين وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات في المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا علي القاري

٢ مسند ابي حنيفة : جمعه تلامذته ومنه نسخ خطية عديدة بالمكتبة الخديوية

٣ وصيته لاصحابه : في الاصول منها نسخ خطية في غوطا وباريس وعليها شروح في مكاتب غوطا وايا صوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال

٤ وصيته لابنه : منها نسخة في باريس

٥ المخارج في الحيل : في الفقه رواها تلميذه ابو يوسف منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

تجد اخباره في ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ والفهرست ٢٠١ وغيرها

٢ ـ مالك بن أنس

توفي سنة ١٧٩ هـ

هو ابو عبدالله مالك بن أنس الاصبحي امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي ولد سنة ٩٥ هـ اخذ الفقه عن ربيعة الرأي فقيه اهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية وكان مالك بن أنس ورعاً تقياً اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتي المسجد ويشهد

الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق وهناك يجتمع اليه اصحابه ويأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه اخذ الامام الشافعي . وكان مالك بن أنس شديد البياض مع ميل الى الشقرة طويلا عظيم الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه وله من الكتب:

١ كتاب الموطأ : اساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه ابو محمد الليثي ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وقد طبع في دهلي بالهند سنة ١٢١٦ هـ وفي لاهون بالهند سنة ١٨٨٩ وله شروح للبطليوسي ولابن العربي والقرطبي والزرقاني وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠ هـ وغيرها في ٤ مجلدات . وقد رواه الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ ورد فيه على ما يخالف مذهب مالك وطبع في لكناو الهند سنة ١٢٩٧ وفي لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح اخرى لافائدة من ذكرها

٢ رسالة في الوعظ : بشأن الرشيد ويحيى البرمكي منها نسخة في الاسكوريال وطبعت في بولاق سنة ١٣١١

٣ كتاب المسائل عن لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نسخة في غوطا وترجمته في ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ والفهرست ١٩٨

٣ ـ الامام الشافعي

توفي سنة ٢٠٤ هـ

هو الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي وينتهي نسبه الى هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف القرشي . ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ في زمن المأمون بن الرشيد . ودفن في القرافة بمصر ومقامه مشهور وبجواره الآن مدفن العائلة الخديوية . وقدم بغداد سنة ١٨٥ وبعد سنتين خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد بعد سنة فاقام بها شهراً . ثم قدم مصر فاقام فيها ومازال الى ان توفاه الله . وكان الامام الشافعي كثير المناقب جم المفاخر حاز من العلوم الاسلامية اقصاها وادناها من العلم في الكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف اقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والشعر حتى اقر له بالسبق الاصمعي الراوي الشهير واحمد بن حنبل الامام . وقال ابو عبيد : « ما رأيت رجلا قط اكمل من الشافعي » وسأل عبد الله بن احمد بن حنبل والده عنه فقال : « يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن » وهو اول من تكلم باصول الفقه وهو الذي

استنبطه . وقد ذكر له الفهرست نيفاً ومائة مؤلف لم يصل الينا منها إلا :

١ كتاب الام . رواه عنه الربيع بن سليمان فانه يبدا هكذا : « أخبرنا أبوعلي الحسين بن حبيب بن عبدالملك في دمشق سنة٣٣٧ قال أخبرنا الربيع بن سليمان قال أخبرنا محمد بن ادريس الخ » وهو كتاب ضخم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر في ٧ مجلدات

٢ السنن المأثورة . في مكتبة كوبرلي بالآستانة

٣ أصول الفقه . هي رسالة في الاصول طبعت بمصر

٤ مسند الشافعي بالحديث . منه نسخة خطية في يني جامع وكوبرلي وقد رواه النيسابوري وشرحه ابن الاثير

٥ قصيدة تنسب اليه : في ليدن . وترجمته في ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ والدميري ٢٥ ج ١ وسير الملوك ١٥٠ والفهرست ٢٠٩

٤ ـ الامام احمد بن حنبل

توفي ٢٤١ سنة ه

هو الامام أبو عبد الله احمد بن حنبل يتصل بنسبه بشيبان من ربيعة . ولد في بغداد سنة ١٦٤ ه وكان من أصحاب الامام الشافعي وشهد الشافعي عند خروجه الى مصر بقوله : «خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل» وظهر في أيامه القائلون بخلق القرآن فدعي للقول بقولهم فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع . وكان حسن الوجه ربعة يخضب بالحناء خضباً ليس بالقاني . في لحيته شعيرات سود ودفن في بغداد بمقبرة باب حرب . وهو صاحب المذهب الحنبلي وأهم مؤلفاته الباقية

١ المسند في الحديث رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطاً في أكثر مكاتب أوربا والآستانة والمكتبة الخديوية وقد طبع بمصر وهو مرتب حسب الرواة فيقسم الى مساند أولها مسند أبي بكر فعمر فعثمان الى غيرهم من الصحابة

٢ كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : في مكتبة برلين

٣ « الزهد : في برلين

وترجمته في ابن خلكان ١٧ ج ١ والفهرست ٢٢٩

أصحاب الائمة

ونبغ طائفة من تلامذة أولئك الائمة وأصحابهم وقد ذكرنا بعضهم وليس منهم في هذا العصر من خلف آثاراً تستحق الذكر إلا ثلاثة: اثنان من أصحاب أبي حنيفة والثالث من أصحاب مالك وهم

١ ـ القاضي ابو يوسف

توفي سنة ١٨٢ هـ

هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري. ولد سنة ١١٣ هـ وهو من أهل الكوفة وكان صاحباً للامام أبي حنيفة وقد أخذ عنه الفقه وما يتعلق به. وكان فقيهاً عالماً أخذ عن كثيرين من الفقهاء ولكن غلب عليه مذهب أبي حنيفة وان يكن خالفه في بعض المواضع. وذاع صيته حتى تولى القضاء في بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس: المهدي والهادي والرشيد. وهو أول من دعي بقاضي القضاة وميز العلماء بلباس خاص وكانوا لا يميزهم شيء من ذلك عن سائر العامة. وقد ذكر أبو أحمد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف تكلم عن نفسه قائلا:

« كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاءني أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال «يابني لاتمد رجلك مع أبي حنيفة فان أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج الى المعاش » فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعهد مجلسه. فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي « ما شغلك عنا ؟» قلت « الشغل بالمعاش وطاعة والدي» فجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال « استمتع بها » فنظرت فاذا فيها مائة درهم وقال لي : « الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فاعلمني » فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة أخرى ثم كان يتعهدني وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت » اه والباقي من مؤلفاته

كتاب الخراج. فيه مقدمة يخاطب بها الرشيد رواه تلميذه الشيباني. منه نسخ خطية في برلين وباريس وأياصوفيا ونور عثمانية وكوبرلي. وطبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ

وترجمته في ابن خلكان ٣٠٣ ج ٢ والدميري ١٢٩ ج ١

٢ ـ محمد بن الحسن الشيباني

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوي الشهير . وكان مولده في واسط بالعراق وأصله من قرية عند باب دمشق في وسط غوطتها . ونشأ بالكوفة وحضر مجلس أبي حنيفة وتفقه على أبي يوسف المتقدم ذكره وألف كتباً كثيرة في الفقه وغيره وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا إنه « اذا تكلم خيل إلى سامعه ان القرآن نزل بلغته » وقد عاصر الامام الشافعي صاحب المذهب الشافعي وجرت بينهما أحاديث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الامام الشافعي « ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة في وجهه الا محمد بن الحسن » وخلف مؤلفات جمة أشهرها :

١ كتاب المبسوط : وهو كتاب الاصل في الفروع منه نسخ خطية في أياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للسرخسي

٢ كتاب الزيادات : منه نسخة في المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة

٣ الجامع الكبير : في الفروع منه نسخة في المكتبة الخديوية ويني جامع ولها شروح وتلخيص متفرقة في مكاتب أوربا والآستانة والخديوية

٤ الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره

٥ كتاب الآثار : في المكتبة الخديوية

٦ كتاب السير الكبير : وفيه أحكام الحرب ومنه نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا وفي المكتبة الخديوية . وترجمة الشيباني في ابن خلكان ٤٥٣ ج ١

٣ ـ عبد الرحمن بن القاسم

توفي سنة ١٩١ هـ

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زبيد بن الحارث العتقي تفقه بالامام مالك فصحبه عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موته وقد اشتهر على الخصوص بالمدونة الكبرى في مذهبهم وهي كتاب ضخم على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكيين طبعت بمصر ولها شروح منها شرح على موادها

المشكلة، منها نسخة فى المكتبة الخديوية وغيرها. وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢٧٦ ج ١

ومن الفقهاء فى هذا العصر فقهاء الشيعة لم ينبغ منهم من يستحق الذكر . ومنهم من لا ينسب الى امام أشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة ٢٠٣ هـ له كتاب الخراج طبعه جونبول في ليدن سنة ١٨٩٦

فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقههم وأقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم . فان الشريعة الرومانية لم يستقر أمرها وتضبط الا في زمن يوستنيان وذلك بعد تأسيس الدولة الرومانية بأكثر من عشرة قرون

الحديث

لم ينضج علم الحديث ويتم تكونه الا في آخر هذا العصر وفي العصر العباسي الثاني وكان في العصر الاول مختلطاً بالفقه وقد اشتغل الأئمة الاربعة المتقدم ذكرهم بالحديث في جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا في عدد الصحيح منه . فالامام أبو حنيفة زعيم أصحاب الرأي لم يصح عنده الا ١٧ حديثاً ومالك صح عنده ٣٠٠ حديث وروى ابن حنبل ٥٠٠ ٠٠٠ حديث أو أكثر وقد دونوا ذلك في كتبهم . فأبو حنيفة ألف كتاباً في الحديث خاصة . وأما مالك بن أنس فقد دون الاحاديث في الموطأ وقد تقدم ذكره . وكذلك الشافعي قد ذكرنا له السنن . وكان الامام ابن حنبل يحفظ نحو مليون حديث لكنه دون منها في مسنده نحو نصفها ومسنده المذكور يعرف باسمه وقد ذكرناه

واشتغل بالحديث في هذا العصر جماعة كبيرة في أنحاء المملكة الاسلامية أكثرهم في المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة هاك أشهرهم حسب سني الوفاة ومكانها :

ابن جريج من الموالي	١٤٩ ببغداد	الواقدي مولى	٢٠٧ بغداد
الاوزاعي عربي	١٥٧ ببيروت	ابن نافع الصنعاني مولى	٢١١ اليمن
سفيان الثوري عربى	١٦١ البصرة	عبد الله بن عبد الحكم	٢١٤ مصر
زياد البكائى «	١٨٣ الكوفة	« « مسلمة عربي	٢٢١ البصرة
ابن عياش «	١٩٣ «	كاتب الواقدي	٢٣٠ بغداد
سفيان بن عيينة مولى	١٩٨ مكة	يحيى بن معين الحافظ	٢٣٣ المدينة
السمان فارسي	٢٠٣ البصرة		

وبعض هؤلاء سيأتي ذكرهم في الابواب الاخرى ويذكر ما لهم في الحديث في جملة مؤلفاتهم الاخرى . وانما نذكر هنا الأوزاعي فان له كتاباً في الحديث منه نسخة خطية في جملة كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية . ويلي هؤلاء الأئمة في الحديث أصحاب الكتب الستة عمدة المحدثين وسيأتي الكلام عليها في العصر الآتي

التفسير والقراءة

قلما اشتغل القوم بالتفسير في هذا العصر ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس في الجزء الاول وهو يبدأ هكذا : « أخبرنا عبدالله الثقة بن المأمون الهروي قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو عبد الله قال أخبرنا أبو عبدالله محمود ابن محمد الرازي قال أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي قال أخبرنا علي بن اسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال . . » وسيأتي ذكر بعض كتب التفسير في اثناء الكلام عن المواضيع الاخرى لاشتغال الادباء والمؤرخين والنسابين به . والتفسير لم ينضج وتظهر فيه المؤلفات الوافية إلا في العصر الآتي . ولم يحدث في القراءة ما يستحق الذكر في هذا العصر

التاريخ

في العصر العباسي الاول

بدأ التاريخ يتكون في العصر الاموي كما تقدم لكنهم لم يشتغلوا إلا فيما دعتهم اليه دولتهم وأغراضها من الاطراء بمشاهيرهم أو تحقيق الانساب لأجل العطاء ونحوه . ولم يصل الينا منه شيء لذهاب ذلك في اثناء الفتن أو لتعمد العباسيين محو آثار عدوتهم اللدود أو لاهمال الناس تلك الكتب مراعاة لرأي العباسيين

على أن التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكونه ولا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . وانما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة أو الخاصة . ثم ظهر التاريخ في العصر الذي يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العرب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية . فأهل المائة الاولى من العصر العباسي كان اشتغالهم على سبيل التمهيد

مثل اشتغالهم في الادب والتفسير والحديث . وفي كتب الادب كثير من مواد التاريخ عن العرب وبلادهم

على انهم لما أخذوا في جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن التي كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية لأنها شاملة لكل ذلك . ولما اشتغل المسلمون بضرب الخراج اختلفوا في البلاد هل فتحت عنوة أو صلحاً أو اماناً فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين أخبار الفتوح

مؤرخو الفتوح

١ ـ الشيخ ابو اسماعيل

أقدم كتب الفتوح التي وصلت الينا كتاب فتوح الشام للشيخ ابي اسماعيل محمد ابن عبد الله الازدي البصري من أهل أواسط القرن الثانى للهجرة طبع في كلكتة الهند سنة ١٨٥٤ وهو عظيم الاهمية وقد ذكرناه مفصلا في باب الانشاء من عصر الراشدين (صفحة ١٩٩) والكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع خلاصة ترجمته بالانكليزية

٢ ـ الواقدي

توفي سنة ٢٠٧ ﻫ

يليه الواقدي وهو مولى من موالي بني هاشم في المدينة واسمه ابو عبد الله محمد ابن عمر بن واقد كاتب جليل القدر . كان عالماً بالحديث والمغازي والفتوح وقد قربه المأمون وولاه القضاء بشرقي بغداد في عسكر المهدي وتوفي هناك . وكان المأمون يراعي جانبه ويبالغ في اكرامه، لكن المحققين يستضعفون حديثه وله مؤلفات عديدة ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتاباً هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب المغازي : يشتمل على غزوات النبي، طبعه كرامر في كلكتة سنة ١٧٥٦ في ٤٠٠ صفحة وله خلاصة انكليزية طبعها ولهاوزن في برلين سنة ١٨٨٢

٢ كتاب فتوح الشام : وهو أشبه بالقصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغات لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواه من كتب الفتوح وقد طبع مراراً احداها في الهند سنة ١٨٥٤ - ١٨٦٠ في ثلاثة مجلدات مع ملاحظات وتعاليق بقلم المستشرق نساو . وطبع أيضاً في مصر سنة ١٨٨٢ ﻫ وغيرها

٣ فتح افريقيا : طبع في تونس سنة ١٣١٥ في مجلدين

٤ فتح العجم : طبع في الهند سنة ١٢٨٧

٥ فتح مصر والاسكندرية : طبع في ليدن سنة ١٨٢٥

٦ تفسير القرآن : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٧ عدة كتب في الفتوح تنسب اليه كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها. وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه. واكثر كتبه محشوة بالمبالغات لا يعول عليها . وفي مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة

وترجمة الواقدي في ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ والفهرست ٩٨

ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر واعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموي طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ هـ وهو كالقصة داخل في كتاب فتوح الشام للواقدي وسنذكر سائر كتب الفتوح في أماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رأيت فيما تقدم من كلامنا عن القرآن والحديث والنحو والادب ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها فجرهم ذلك الى النظر في رواة تلك الاسانيد وتراجمهم وسائر احوالهم حتى اصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الاخبار بمتونها واسانيدها والاحاطة باحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها والاحاطة بالوقائع الخاصة بها فقسموا رواة كل فن الى طبقات فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات . ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقات الفرسان والمحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسابين والاطباء حتى الندماء والمغنين وغيرهم وألفوا في كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون اكثر امم الارض كتباً في التراجم لافراد الرجال

واقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذي تقدم ذكره كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكاتب الواقدي

ابن سعد صاحب الطبقات

توفي سنة ٢٣٠ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادقاً ثقة . صحب الواقدي وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب اخبار النبي لم يصل الينا . ولكننا عرفنا كتاباً ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين او كتاب الطبقات الكبير يدخل في بضعة عشر مجلداً طبع في ليدن سنة ١٣٢٠ ـ ١٣٢٥ هـ وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهو روفتش وليبرت وسترستين وبروكلمن. ويقسم الى عدة اقسام في ثمانية اجزاء : الجزء الاول في السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثاني في المغازي (١٣٧ صفحة) والثالث في تراجم البدريين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهد بدراً واسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم اهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين (لم يطبع بعد) والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) . فصفحات الكتاب كله نيف والفا صفحة كبيرة غير التعاليق والفهارس ونحوها وهي نحو الف صفحة اخرى . والطبقات تحتوي على سيرة النبي ومغازيه وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصحابة والتابعين . وروايتها في صدرها متسلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسين الدمياطي . واسانيد ابن سعد في كل ترجمة على حدة . واكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبي وعبد الملك بن هشام . وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطا وبرلين والاستانة وغيرها

وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج ١ والفهرست ٩٩

الانساب وكتابها

ونعد الانساب من قبيل التاريخ دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر . وقد ذكرنا في الجزء الاول ما كان منها في الجاهلية (صفحة ١٧١) وفي العصر الاموي (صفحة ٢٣١) وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده جماعة اشهرهم :

١ ـ هشام الكلبي

المتوفى سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي . نشأ في الكوفة وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها . أخذ عن أبيه محمد بن السائب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار وأيام الناس معدوداً بين المفسرين والنسابين. توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتاباً في تفسير القرآن . أما هشام فخلف نحو مائة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلا صفحة (٩٦ ـ ٩٨) وقسمها إلى أبواب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات والمنافرات والموءدات وبعضها في أخبار الاوائل . وبعضها فيما قارب الاسلام من امر الجاهلية وغيرها في أخبار الاسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب وفي الاخبار والاسمار والانساب . وأهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوي على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلا عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه لان هذه الكتب ضاعت منذ أزمان ولم يبق منها إلا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب منها :

١ جزء من كتاب النسب الكبير أو جمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واكسفورد ولندن وغيرها

٢ نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام: منه نسخ في غوطا والاسكوريال وفينا

٣ كتاب الاصنام : أو كتاب تنكيس الاصنام نقل معظمه ياقوت في معجم البلدان وهو يشير هناك الى مأخذه ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا في ٢٩ ورقة

وتجد ترجمة هشام الكلبي في ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٦ والفهرست ٩٥

ومن النسابين في هذا العصر ٢ : الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ذكر له صاحب الفهرست عشرات من الكتب ٣ : المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ ذكر له أيضاً كثيراً من المؤلفات تزيد على ما ذكره لهشام الكلبي ٤ : ابن عبدة ٥ : علان الشعوبي وغيرهم . ولو جمعت كتبهم في النسب وغيره لزادت على بضع مئات لم يصلنا منها غير ما

يرد ذكره عرضاً منقولا عنهم في كتب الادب أو التاريخ أو الفتوح كالطبري والبلاذري وياقوت وأبي الفرج صاحب الاغاني وغيرهم

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازي ، وذكروا أسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها في أواخر القرن الاول وفي النصف الاول من القرن الثاني للهجرة . لم يصح منها الا كتاب المغازي لابن مسلم الزهري المتوفى سنة ١٢٤ وقد ضاع . وكتاب المغازي لموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ومنها قطع منتخبة طبعت في أوربا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

وأما سيرة النبي كاملة فأقدم ما وصل الينا منها سيرة محمد بن اسحق رواية عبد الملك بن هشام . وقد انفقوا على صحتها وفيها أيضاً نسب النبي وكثير من أخبار الجاهلية وأنسابهم وعاداتهم وأديانهم ونحوها . ويرى الناقد فيها كثيراً من القصائد يغلب على الظن أنها دخيلة ، وذكر صاحب الفهرست أنهم كانوا يعملون الاشعار ويأتون بها الى ابن اسحق ويسألونه ان يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل . أما السيرة أو المغازي فهي أقدم المصادر التى بين أيدينا وأوثقها

عبد الملك بن هشام توفي سنة ٢١٣ هـ

وقد قدمنا ان السيرة المذكورة هي رواية ابن هشام وهو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري كان مشهوراً بعلم النسب والنحو أصله من البصرة وأقام في مصر وألف كتباً في الانساب ضاعت وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ وهو الذي روى سيرة النبي من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها وهى الموجودة في أيدي الناس . وترجمته في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١

محمد بن اسحق توفي سنة ١٥١ هـ

أما ابن اسحاق صاحب السيرة الاصلي فهو ابو بكر محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . سباه خالد بن الوليد في عين التمر وكان ابن اسحق ثبتاً في الحديث والمغازي

فسمع عن أكثر العلماء أتى الى المنصور وهو في الحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب وتوفي ببغداد سنة ١٥١ هـ ومن كتبه في المغازي أخذ عبد الملك بن هشام السيرة التي نحن في صددها . وترجمته في ابن خلكان ٤٨٣ ج ١

وقد طبعت السيرة مراراً أضبطها طبعة غوتنجن سنة ١٨٦٠ بعناية ووستنفيلد المستشرق الالماني في مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن اسحق نقلا عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعفري من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة أيضاً في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية في أكثر مكاتب اوربا . وترجمها وايل المستشرق الى الالمانية ونشرت الترجمة في ستتجارت سنة ١٨٦٤

وأما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق فالمظنون ان منها نسخة في مكتبة كوبرلي بالآستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم طبع في ليدن سنة ١٨٩٠

الخلاصة

وبالجملة لم يبق أديب من أدباء ذلك العصر إلا وأتى في كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الاصمعي وأصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيراً من الحوادث وذهبت كتبهم . ولبيان ذلك راجع مقدمة مروج الذهب للمسعودي فتجد أسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودي في تأليف كتابه وأكثر مؤلفيها من أبناء العصر العباسي الاول لم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الالماني منذ عامين فانه عثر على الجزء السادس من كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسنعود اليه . . وكما وقفنا على طبقات ابن سلام الجمحي بعد ان ظل المستشرقون دهراً يأسفون لضياعها وألفوا في ذلك الكتب والرسائل

نظرة عامة

في العصر العباسي الاول

انقضى العصر العباسي الاول وهو فاتحة العصور العباسية . وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر أئمة الفقه ووضعوا أساس المذاهب الاربعة الباقية الى الآن . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقته وتلطف أسلوبه وتولدت فيه أبواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة نعني علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلا عن الترجمات

وكان أكثر اشتغال أدباء البصرة والكوفة في اللغة العربية وجمع ألفاظها وأخبار أصحابها وأمثالهم وأشعارهم وأنسابهم . وفيه وضعت السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح . وأكثر المشتغلين في هذه النهضة الموالي وأهل الذمة وبعض العرب

وهناك علوم أخرى ستولد أو تنشأ في الاعصر الآتية . وبعض العلوم التي ولدت في هذا العصر ستنضج فيما يلي وسيأتي الكلام على كل شيء في مكانه

ومما يستلفت الانتباه من أخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب ومجاميع الاشعار والاخبار والامثال مما يعد بالمئات أو الالوف ولم يبق منها الا بضع عشرات . وقد تقرأ لاحدهم مئات من أسماء الكتب التي ألفها ثم لا تجد منها إلا كتاباً أو بضعة كتب كما رأيت في أخبار المدائني وهشام الكلبي وأبي عبيدة والاصمعي وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شيء

على أن هذا العصر أحسن حظاً من العصر الاموي الذي سبقه . وستكون الاعصر الآتية أحسن حظاً منه

العصر العباسي الثاني

او المائة الثانية من العصر العباسي الثاني

من سنة ٢٣٢ — ٣٣٤ هـ

تاريخه

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وقد يسمى العصر التركي لتسلط الاتراك فيه على أمور الدولة تمييزاً له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . وأما الاتراك فأول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم [١] وبدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله لأنه كان يكره الشيعة العلوية وهم من الفرس فاستبد فيهم وزاد في رعاية الاتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم أغراهم ابنه المنتصر (أوهم اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحل أمر الاتراك استفحالا عظيما — ومما يحكى عن استبدادهم في الخلفاء أنه لما تولى المعتز قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال : « أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له : « فكم تقول إنه يعيش وكم يملك » قال : « مهما أراد الاتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك (٢)

وقد قتلوا المعتز هذا شرّ قتلة فانهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس بالدار فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده (٣) والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس (٤) . وبلغ من فقر القاهر بالله انهم حبسوه وهو ملتف بقطن جبة وفي رجله

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤ (٢) الفخري ٢٢٠
(٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٧ (٤) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨

قبقاب خشب ـ فلا غرو اذا أصبح الخلفاء آلة في أيدي الاتراك . واذا تنازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد ان كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة صار الخليفة يحلف لهم

نفوذ الخدم في هذا العصر

وفي هذا العصر عظم نفوذ الخدم في الدولة العباسية ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك أن الاتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم كان في جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم أن يحجروا عليهم قبل الخلافة ويحبسوهم في القصور ليزيدوهم ضعفاً . وكان الخلفاء من الجهة الاخرى يميلون الى حبس أولادهم وأقاربهم خوفاً من تواطئهم مع بعض الاتراك على خلعهم أو قتلهم . ولا عشير لهم في اثناء الحجر الا الخدم والخصيان فألفوا أخلاقهم . وتحققوا بالاختبار أن حياتهم تتوقف بالاكثر على أمانة أولئك الخدم لما آنسوه من غيرتهم عليهم وخصوصاً الخصيان اذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التفاني في خدمة أسيادهم ولا مطمع لهم بالملك لأولادهم وأهلهم . فأصبح ولاة العهد اذا أفضت الخلافة اليهم بالغوا في تقريب الخدم بالعطايا والاكرام التماساً لحمايتهم اذا أراد الاتراك الفتك بهم . فعمدوا الى الاستكثار من الخدم وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم في أمورهم

واستكثروا منهم حتى ألفوا منهم الفرق . وأول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والخصيان ١١٠٠٠ خادم من الروم والسودان وكثير من المال والجوهر فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفي أيامه نبغ مؤنس الخادم فقدمه وكان يستشيره في أموره فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء وتولى رئاسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال واستبد في كل شيء لكنه على الاجمال خدم الخليفة المقتدر خدماً ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى أدت الى حروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك فأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لانها طوع ارادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده(١) ناهيك بالجاسوسية وسوء الاحكام . فآل ذلك الى طمع العمال والولاة بأعمالهم فأخذوا يستقلون فتشعبت

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٧ ج ٤

المملكة العباسية الى امارات وممالك . وانقضى العصر الذي نحن في صدده بدخول الديلم بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ وانشئوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه وبها يبدأ العصر العباسي الثالث

فالفساد الذي تقدم ذكره اثر في آداب اللغة ولا سيما في الآداب التي هي من آثار النفس أو اعمالها كالشعر والخطابة والانشاء وقل النابغون فيها كما سترى . وفيه قيدت الافكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعة فضعفت الحربة وعمد الناس الى التستر بافكارهم خوفاً على حياتهم خلافاً لما كانوا عليه في اواخر العصر الماضي

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر الى آداب اللغة بأمور تمت فيه وهي:

١ ان فيه استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت الينا وقد وضعها أو ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

٢ فيه ظهر اثر الانقلاب الادبي في الفاظ اللغة العربية فتنوعت معاني بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم وشق ذلك على أدباء اللغة فوضعوا المقالات أو الكتب في انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما افاد لان ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران . وممن انتقده ابن قتيبة في كتابه ادب الكاتب وسنبين ذلك في مكانه ـ وراجع كتابنا تاريخ اللغة العربية صفحة ٣٧

٣ وفي هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية ترجمة لا تزال باقية الى الآن . ويغلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة العربية قبل الاسلام وشاعت بين ادباء العرب وضاعت في صدر الاسلام . ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن المأمون على يد احمد بن عبد الله بن سلام (١) ورأينا بعض ادباء ذلك العصر ينقلون عنها فصولا من أخبار الخليقة (٢) وربما ترجمها سواه أيضاً ولم يبق من تلك الترجمات شيء الى الآن . واقدم ما وصل الينا من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي ويقال له سعديا

سعيد الفيومي وترجمة التوراة

ولد سعيد هذا في الفيوم نحو سنة ٢٨٢ هـ في ولاية خمارويه بن احمد بن طولون على مصر وكان اسرائيليا من الطائفة الربانية وكان بين هذه الطائفة وطائفة القرائين مناظرة وجدال وكان سعيد من كبار رجال الدين والعلم فيهم فكتب كتباً كثيرة جدلية

(١) الفهرست ٢٢ (٢) كتاب المعارف ٤

في العبرانية وأخيراً ترجم كتب موسى الخمسة وسفري اشعيا وايوب من الاصل العبراني للتوراة الى العربية توسيعاً لدائرة احزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة من ترجمته في الآستانة بالاحرف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى وعرفت هذه الطبعة باسم «تتراغلوت» . ثم ظهرت في طبعة البوليغلوت بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لاشعيا في جينا سنة ١٧٩١ واما سفر ايوب فمنه نسخة خطية في مكتبة اوكسفورد وقد طبعت على حدة مع ترجمة فرنسوية بعناية دير نبورج بباريس سنة ١٨٩٣

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثاني

مميزات الشعر في هذا العصر

١ ظهرت فيه شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر يثير فيه النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون اصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي عن ذلك (وهو من اهل ذلك العصر) بقوله :

ذهب الذين تهزُّهم مداحهم هزَّ الكماة عوالي المران
كانوا اذا امتدحوا رأوا مافيهم مالأريحية منهم بمكان (١)

٢ كثر فيه ذكر المعاني الفلسفية وتعابيرها لتفشي علوم الاقدمين بين المسلمين على اثر ترجمة الكتب في العصر الماضي وفي هذا . وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم . على ان الآراء الفلسفية ظهرت ناضجة في شعراء العصر العباسي الآتي ذكره

٣ ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلاً الا نزر يسير . على ان البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلاً عن الشعر . لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنايات (٢) . ولكن المشهور ان اول من فتق البديع بشار بن برد وابن هرمة ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وابو نواس

(١) يتيمة الدهر ٩ ج ١ (٢) البيان ١٧٥ ج ١

واتبع هؤلاء ابو تمام والبحتري . ثم ابن المعتز فانتهى البديع اليه وختم به (١) فانه الطف اصحابه شعراً واكثرهم بديعاً وهو من شعراء العصر العباسي الثاني

٤ نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه وأساليبه بعين النقد . ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب ارسطو في نقد الشعر الذي نقله ابو بشر من السريانية الى العربية. واكثر الذين اشتغلوا في ذلك من الادباء. وسيأتي ذكرهم في باب الأدب . أما النقد التاريخي فلم يجرأوا عليه في هذا العصر لاضطرار المؤرخين الى مصانعة رجال الدولة الا ما كان من الطعن في أعداء الخلفاء والامراء

٥ وفيه تقدم الشعراء خطوة أخرى في الزهريات والتغزل بها كقول ابن المعتز يصف قضيبا من الريحان

قضيب من الريحان شابه لونه ... اذا ما بدا للعين لون الزمرد
وشبهته لما تأملت حسنه ... عذاراً تدلى في عوارض أمرد

وقول البحتري :

ورق تغني على خضر مهدلة ... تسمو بها وتمس الارض أحياناً
تخال طائرها نشوان من طرب ... والغصن من هزه عطفيه نشوانا

أشهر شعراء هذا العصر

قد رأيت كثرة الشعراء في عصر بني أمية للاغراض السياسية التى اقتضاها مسلك الامويين في السياسة بين العصبيات والاحزاب مع تغلب البداوة على نفوسهم. ورأيت كثرة الشعراء في العصر العباسي الاول بانتقال الدولة من البداوة الى الحضارة مع رغبة الخلفاء ورجال الدولة في الشعر وسائر فنون الادب — وهو الباعث الاقوى على ظهور قرائح الشعراء في كل عصر

أما في العصر العباسي الثاني الذي نحن في صدده فقد ضعفت تلك الاسباب واشتغل الخلفاء بأنفسهم ورجالهم فلم ينبغ من فحول الشعراء فيه الا الذين قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ولشعرهم صبغة تلائم ذلك العصر وهم :

---

(١) العمدة ٨٥ ج ١

١ — ابن الرومي

توفي سنة ٢٨٣ هـ

هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج أوجورجيس ويعرف بابن الرومى نسبة الى أصله وهو من موالى بنى العباس . اشتهر بالتوليد في الشعر لانه أتي بكثير من المعاني لم يسبق اليها . ومن مميزاته أنه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارىء تمثيلا ولد في بغداد سنه ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وكان شديد الهجاء جريئاً فيه حتى مات بسببه لانه هجا القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد فدس اليه ابن فراش فأطعمه خشكنانجة مسمومة وهو في مجلسه فلما أحس بالسم نهض فقال له الوزير: « الى أين » فقال: « الى الموضع الذي بعثتني اليه » فقال له: « سلم على والدي » فقال: « ماطريق على النار » وأتي منزله أقام فيه أياما ومات . ومن بديع شعره في المديح قوله

المنعمون وما منوا على أحد يوم العطاء ولو منوا لما مانوا
كم ضن بالمال أقوام وعندهم وفر وأعطى العطايا وهو يدّان

وله أيضاً وقال ما سبقني أحد الى هذا المعني

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا بدون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومن معانيه البديعة قوله

واذا امرؤ مدح امرءاً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما اطال رشاءه

وكذلك قوله في ذم الخضاب وهو مما لم يسبق اليه

اذا دام للمرء السواد واخلقت شبيبته ظن السواد خضابا
فكيف يظن الشيخ ان خضابه يظن سواداً او يخال شبابا

وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له وكان لا يتوقع منه خيراً

سألتك في امر فجدت ببذله على أنني ما خلت انك تفعل
والزمتني بالبذل شكراً وانه عليّ من الحرمان ادهى واعضل
لئن سرني ما نلت منك فانه لقد ساءني اذ انت ممن يؤمل

ومن نظمه في الحكم

ارى فضل مال المرء داء لعرضه كما ان فضل الزاد داء لجسمه
فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم شيء كحسمه

ومن بديع معانيه

دهر علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه

ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كالمتنبي فيطلب صحة المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته (١) ومع ذلك فانك تجد في نظمه سهولة ومتانة

وكان شعره غير مرتب رواه عنه المتنبي ثم جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه ابو الطيب وراق بن عبدوس وزاد في جميع النسخ نحو الف بيت . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ ورقة صفحاتها مزدوجة كبيرة بخط قديم كتبت فيها الابيات في نهرين كل نهر في شطرين . واكثر شعره في علي بن يحيى بن ابي منصور والحسن بن عبيد الله بن سليمان وابي القاسم التوزي الشطرنجي والمعتضد والقاسم بن عبيد الله وابن المدبر وغيرهم ممن عاصروه . وله اهاج شديدة ومدائح بليغة وقد ابدع في وصف الاخلاق والعواطف وفي العتاب وله مراث مؤثرة بعضها في ابنه وامه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على ٣٠٠ بيت اكثرها في المدح . ومن هذا الديوان نسخة في مكتبة الاسكوريال واخرى في مكتبة طوب قبو وفي نور عثمانية بالاستانة . ومن الغريب ان هذا الديوان النفيس لم ينشر بعد

واخبار ابن الرومي في ابن خلكان ٣٥٠ ج ١ والفهرست ١٦٥

٢ — البحتري

توفي سنة ٢٨٤ هـ

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بمنبج من أعمال الشام وتخرج بها . ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من الاكابر والرؤساء . وأقام في بغداد دهراً طويلا ثم عاد الى الشام . وله أشعار كثيرة يذكر فيها حلب وكان يتغزل بها . وقد أدرك أبا تمام بحمص وعرض عليه شعره في جملة من كان يأتيه لهذا الغرض . فلما سمع أبو تمام قوله أقبل عليه وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال له : «أنت أشعر من أنشدني» وأوصى به أهل معرة النعمان فصار اليهم فاكرموه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة الاولى

(١) العمدة ٨٢ ج ١

ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضله على أبي تمام . وسئل هو مرة: «من أشعر أنت أم ابو تمام» فقال: «جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه» وسئل ابو العلاء المعري : «أي الثلاثة أشعر ابو تمام ام البحتري ام المتنبي» فقال :« المتنبي وابو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري » على انه امتاز بقوة التصور فانه كان يصور اخلاق الممدوح تصويراً لم يسبقه احد الى مثله . ومن احاسن شعره في المتوكل قصيدة مطلعها

أخفي هوى لك في الضلوع وأظهر ... وألام في كمد عليك وأعذر

ويقول منها

بالبر صمت وأنت أفضل صائم ... وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عينا انه ... يوم أغر من الزمان مشهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي ... والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس طالعة توقد في الضحى ... طوراً ويطفيها العجاج الاكدر
حتى طلعت بنور وجهك فانجلى ... ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتن فيك الناظرون فأصبع ... يومي اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما ... في وسعه لمشى اليك المنبر

ظل البحتري في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وله الحرمة التامة حتى قتلا فرجع الى منبج وقد تحدى أبا تمام في البديع ويعده أماماً له ويقدمه على نفسه كما رأيت . ثم صارت له طريقة في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة خاصة به تحداها معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة أهل الشام، وكان الصاحب بن عباد يعجب بها ويحرض على حفظ أشعار اصحابها ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفتراً ضخم الحجم عليها كان لا يفارق

مجلسه ولا يملأ أحد منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي سن قلمه. فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته وتارة يحله أو يورده في مراسلاته كما هو

وكان البحتري بخيلا وسخ الثوب ومن أبغض الناس انشاداً يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانباً ومرة القهقرى يهزُّ رأسه مرة وكتفه أخرى ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول: «أحسنت والله ما لكم لا تقولون أحسنت؟» فضجر المتوكل منه

وما زال شعر البحتري غير مرتب حتى جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه أيضاً علي بن حمزة الاصبهاني ورتبه على الانواع . وقد طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ وفي بيروت سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل في جزءين كبيرين . أكثره في مدح المتوكل والمعتز والمستعين والمعتمد ورجال دولتهم . ولا تكاد تخلو قصيدة من استهلال بالغزل

حماسة البحتري

وللبحتري حماسة مثل حماسة ابي تمام طبعت في بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الاب شيخو وقد ذيلها بالفهارس. وهي تمتاز على حماسة أبي تمام من أوجه كثيرة: منها كثرة الابواب لان حماسة ابي تمام مؤلفة من عشرة ابواب وحماسة البحتري من ١٧٤ باباً تتضمن معظم المعاني الشعرية. وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر أكثرهم من الجاهليين والمخضرمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاسماع من الالفاظ البذيئة حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاها . كأن البحتري جمعها لشبيبة هذه الايام . واطلعنا في المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة منقولة بالفوتوغراف في ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة ليدن

وللبحتري أيضاً كتاب معاني الشعر. وألف الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٧١ كتابا انتقاديا في الموازنة بين أبي تمام والبحتري تعصب فيه على أبي تمام وجدَّ في طمس محاسنه وتزيين مرذول البحتري . طبع في الاستانة سنة ١٢٨٧ هـ

وأخبار البحتري في ابن خلكان ١٧٥ ج ٢ والاغاني ١٦٧ ج ١٨ والفهرست ١٦٥

٤ — ابن المُعْتَزّ

توفي سنة ٢٩٦ هـ

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل من أبناء الخلفاء العباسيين. تحزب له جماعة من الجند الاتراك على العادة الجارية في ذلك العهد وخلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ وبايعوا لابن المعتز وسموه المرتضي بالله أقام يوما وليلة . ثم تحزب اصحاب المقتدر

وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته . واختفى ابن المعتز في بيت ابن الجصاص التاجر الجوهري الشهير يومئذ. فاخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله ودفعه الى أهله ملفوفاً في كساء . وكان ابن المعتز منحرفاً عن العلويين وله فيهم قصيدة بائية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة مطلعها :

الا من لعينٍ وتسكابها تشكي القذاة وتنكابها

الى أن يقول :

ونحن ورثنا ثياب النبي فلم تجذبون باهدابها
لكم رحمٌ يا بني بنته ولكن أرى العمّ أولى بها
به نصر الله أهل الحجاز وأبرأها بعد أوصابها

وعارضه صفي الدين الحلي بقصيدة من وزنها وقافيتها مطلعها :

ألا قل لشرّ عباد الاله وطاغي قريش وكذابها

ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصي مدح بها الخليفة المعتضد .

ومزيته على الخصوص بما في شعره من أنواع البديع كقوله في وصف مليح :

وجاءني في قميص الليل مستتراً يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت أفرش خدي في الطريق له ذلاً وأسحب أذيالي على الاثر
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء
كم ليلة قد سرني بمبيته عندي بلا خوف من الرقباء

ومن تشابيهه قوله :

خليلي قد طاب الشراب المورَّدُ وقد عدت بعد النسك والعود احمد
فهاتا عقاراً في قميص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة له حلق بيض تحلُّ وتعقد
وقتنيَ من نار الجحيم بنفسها وذلك من احسانها ليس يجحد

وكان ابن المعتز شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ومن مزاياه الابداع للمعاني. وكان أيضاً من الادباء والعلماء تثقف على

المبرد وثعلب وغيرهما . واشتغل بالعلم والادب فألف فيهما بضعة عشر مؤلفاً وصلنا منها :

١ كتاب الادب : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٢ كتاب مختصر طبقات الشعراء : في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب البديع : وهو أهم كتبه بالنظر الى اختصاصه في هذا الفن . منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٤ كتاب أشعار الملوك : منه نسخة في مكتبة المستشرق اهلوارت

وباسمه في مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفي مكتبة برلين كتاب فصول التماثيل في تباشير السرور ولم يذكره له مؤرخوه . وعني لانغ الالماني بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الالمانية وطبعه في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٨٦ وفعل ذلك أيضاً لوث وطبعه في ليبسك سنة ١٨٨٢

وقد جمعت أشعاره في ديوان مرتب على الانواع كالفخر والغزل وغيرهما . وكل منها مرتب على الابجدية . منه نسخ خطية في مكاتب باريس والقاهرة وغيرها وطبع بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوطا

وتجد أخباره في ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٩ وفوات الوفيات ٢٤١ ج ١ والاغاني ١٤٠ ج ٩ والفهرست ١١٦

٥ ـ البسّامي البغدادي

توفي سنة ٣٠٢ هـ

هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور ويعرف بابن بسام أيضاً. وهو غير ابن بسام الشانتمريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وأما البسامي فامه بنت حمدون النديم. وكان شاعراً هجاء لم يسلم من لسانه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير. وقد هجا أباه واخوته وسائر أهل بيته فمن ذلك قوله في أبيه :

هبكَ عمرتِ عمر عشرين نسراً ... أترى انني أموت وتبقى
فلئن عشت بعد موتك يوما ... لأشقنَّ جيب مالك شقاً

وقال في هدم المتوكل قبر الحسين :

تالله ان كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

وليس له ديوان معروف . وله مؤلفات في مناقضات الشعراء وأخبار الاحوص وعمر بن أبي ربيعة لم يصلنا خبرها

وأخباره في ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ والفهرست ١٥٠ وفوات الوفيات ٨٣ ج ٢

٦ ـ الخبز أرزّي

توفي سنة ٣١٧ هـ

هو أبو القاسم نصر بن أحمد من أهل البصرة وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان يخبز خبز الارز بمربد البصرة ومنه اسمه . لكنه كان مطبوعاً على الشعر وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه لسماع شعره ويعجبون من حاله . ثم ذاع خبره وتناقل الناس أشعاره . فمن غزله قوله :

خليليّ هل أبصرتما أو سمعتما ... يا كرم من مولى تمشى الى عبدِ
أتى زائراً من غير وعد وقال لي ... أجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال نجم الوصل بيني وبينه ... يدور بافلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تعضيض تفاحة الخد

وله أيضاً :

رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما ... هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين ... وما راعني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب ... وكنت أظن الحبيبَ القمر

وذكر له ابن خلكان كثيراً من الاخبار وأمثلة من الشعر في ترجمته ١٥٣ ج٢ وفي يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢

٧ ـ ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨ هـ

اسمه أبو بكر الحسن بن علي كان ضريراً من أهل النهروان جيد الشعر واشتهر بقصيدة رثى بها هرّاً والمقصود بالرثاء غلام كان له قتله علي بن الحسين. والقصيدة من أحسن شعره مطلعها :

يا هرُّ فارقتنا ولم تعدِ ... وكنت عندي بمنزل الولدِ

فكيف تنفك عن هواك وقد كنت لنا عدةً من العدد
تطرد عنا الاذى وتحرسنا بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفأر من مكامنها ما بين مفتوحها الى السدد
يلقاك في البيت منهم مددٌ وأنت تلقاهم بلا مدد

وهي طويلة نشر ابن خلكان أكثرها في صفحة ١٣٨ ج١ والدميري ٣٣٧ ج٢

ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جارية المتوكل العباسي المتوفاة سنة ٢٦٠ هـ وكانت تهاجي الشعراء ويجتمع عندها الادباء ولها في الخلفاء والملوك مدائح وكانت في أول أمرها تتشيع وتتعصب لاهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجاهها عند الملوك. وعشقت سعيد بن حميد وكان منحرفا عن اهل البيت فانتقلت الى مذهبه . ولها أشعار نفيسة منها أمثلة في فوات الوفيات ١٢٦ ج ٢ والاغاني ١١٤ ج ٢١

الادب والادباء

في العصر العباسي الثاني

خطا الادب في هذا العصر خطوة أخرى نحو النشوء والتفرع فبدأت علومه بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الاديب النحو واللغة والاخبار والامثال معاً. وقل من تفرغ لواحد منها — الا النحو فانه استقل في ذلك العصر كما رأيت . وظلت سائر علوم الادب مختلطة. ففي هذا العصر اخذ علم اللغة بالاستقلال وظهر علماء اشتغلوا بتعريف الالفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على الابجدية تمهيداً لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة الا في العصر العباسي الثالث

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة أقسام : (١) الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار والامثال والاشعار وغيرها (٢) النحو (٣) اللغة فنتكلم عن كل منها على حدة

وقبل التقدم الى ذلك لا بدّ لنا من التنبيه الى أمرين مهمين في تاريخ آداب اللغة : الاول ان الاغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل أهل الكوفة على أهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي أحيا ذينك البلدين لقربهما من البادية وسطاً بين الحضارة والبداوة. واستبحر عمران بغداد وغلبت الحضارة على نفوس المسلمين

فاخذ الادباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصاً بعد أن سطا صاحب الزنج على البصرة وأخربها . والامر الثاني أن نقل العلوم الى اللغة العربية اكسبها ميلا الى تأليف الكتب وغيرها. على مثال ماشاهدوه هناك من الكتب الجامعة لمواضيع مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لاصحاب العصر الاول أوفاها ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو. أما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر المواضيع العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية وغيرها . وان لم ينضج التأليف على الاجمال الا في العصر الآتي

مميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر باشياء أهمها :

١ انه كان في العصر الماضي مقصوراً على النقل بلا تصرف وانما كان همُّ الاديب أن يروي ما سمعه بالاسناد الى الراوي أو سرد ما عاينه كما كان يفعل حماد والاصمعي وأبو عبيدة . فاصبح يتدبر تلك المرويات ويبني عليها أو يستنتج منها حكمة أو عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما . والسبب في ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطلعوا عليه من كتب الادب التي نقلت الى العربية من الفارسية والهندية وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوها عن اليونانية (١)

٢ ان ما ألم بالامة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالي النكبات على الخلفاء حوَّل همَّ المفكرين الى نشر الحكم واخبار الزهد والزهاد وأقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فاخذوا يجمعون ذلك في كتب الادب

٣ أخذوا يجمعون شتات أخبار العرب على اختلاف مواضيعها وما آخذها في كتاب واحد أو بضعة كتب وترتيبها في أبواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للاسباب التي قدمناها . كما في الموشى والعقد الفريد

٤ تغيرت وجهة الادب في نظر الادباء فقد كان الغرض منه بالاكثر طلب الرزق في دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة في الاطلاع على أخبار العرب وأشعارها وأمثالها . فاصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف وقل المقتصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح بالاكثر الى الاشتغال في النحو واللغة ولم

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٢ ج ٣ وبعدها

ينقطع للاشتغال بالادب بالمعنى الذي قدمناه الا قليلون . وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب مع اشتغالهم بفنون أخرى من التاريخ أو السياسة أو الشعر وهذه تراجمهم حسب سني الوفاة :

ادباء العصر العباسي الثاني

١ ـ الجَاحِظ

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء من أهل البصرة ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته وكان جده أسود اللون جمالا لعمرو بن قلع الكناني . وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ماجعله من كبار أئمة الادب. نشأ في البصرة وهي آهلة بالادباء والنحاة وأصحاب اللغة ونبغ في كل ذلك . وبلغ خبره الى المتوكل وكان عازما على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه في سرَّ من رأى . فلما رآه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه. وله أخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . وأصيب في اواخر أيامه بالفالج النصفي فكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما أحس به من شدة برده في اصطلاحهم . وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه فلا يمرُّ أديب أو عالم بالبصرة إلا طلب ان يرى الجاحظ ويكلمه. وكان اذا طلب أحد أن يراه يقول: «وما تصنع بشقٍّ مائل ولعابٍ سائل ولون حائل » وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء في العصر العباسي الثاني وله اساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة خاصة به واشتهر بطريقة في الانشاء تنسب اليه تحداه بها الناس وعرفت باسمه. فهو قدوة المنشئين وامامهم في هذا العصر كما كان ابن المقفع امامهم في العصر الاول — وسنعود الى ذلك

الجاحظية

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة جماعة المفكرين في ذلك العهد تلقى العلم على ابي اسحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وكان علم الكلام قد نشأ على أثر نقل الفلسفة والتبحر فيها . وطالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة

وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعه بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة . وان العباد لا يخلدون في النار بل يعبرون من طبيعتها . وان الله لا يدخل أحداً النار وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلا ومرة حيواناً . وان الله لا يريد المعاصي وانه لا يرى . وأن الله لا يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط . وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وانما الاعراض تتبدل والجوهر باقٍ . ونحو ذلك (١)

مؤلفاته

خلف الجاحظ مؤلفات عديدة طبع كثير منها ونشر هاك أهمها :

١ كتاب البيان والتبيين : (ويقال التبين والتبيان) في الادب والانشاء والخطابة وابحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنساك والزهاد وأمثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي اللحن واللحانين وأحاديث ونوادر وغير ذلك وهو أصدق مثال للانشاء في أواسط القرن الثالث للهجرة. وقد طبع بمصر سنة ١٣١٣ وغيرها في مجلدين

٢ كتاب الحيوان : هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بانه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد أدبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ٤ مجلدات

٣ كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والغرائب : في اللغة طبعه المستشرق فان فلوتن في ليدن سنة ١٨٩٧ في ٤٠٠ صفحة ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦

٤ كتاب أخلاق الملوك : في الادب منه نسخة خطية بمكتبة ايا صوفيا

٥ « تنبيه الملوك والمكائد : « « « « كوبرلي

٦ « البخلاء : في الادب طبع غير مرة في اوربا ومصر

٧ « سحر البيان : في كوبرلي

٨ « فضائل الاتراك: في ايا صوفيا وطبع بمصر مضبوطاً بالشكل سنة ١٨٩٨

٩ « سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والخريف: طبع بالاستانة سنة

(١) الشهرستاني ٤٠ ج ١

١٣٠٢ وفي مصر ٤٤ صفحة

١٠ كتاب العرافة والزجر والفراسة: على مذاهب الفرس خط في مكتبة ليدن

١١ المختار من كلام الجاحظ : وحكم علي : بمكتبة برلين

١٢ رسالة في بني أمية : في المكتبة الخديوية

١٣ ثلاث رسائل : طبعت في ليدن . و١١ رسالة طبعت بمصر

١٤ كتاب طبقات المغنين : ذكرته مجلة المنتقد (مجلد ٢ ج ٨)

١٥ كتاب التاج : في جملة كتب زكي باشا تحت الطبع بمصر

وترجمة الجاحظ في ابن خلكان ٣٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٥٤

٢ ـ السُّكَّري

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء السكري النحوي . وقد ذكرناه بين الرواة والادباء لاشتغاله بجمع الاشعار وكان راوية البصريين وهو الذي جمع أهم ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين وصدر الاسلام الى ايامه من القبائل والافراد . فمن الافراد الذين عمل السكري أشعارهم أي جمعها في دواوين امرؤ القيس وزهير والنابغة والحطيئة ولبيد ودريد بن الصمة وعمرو بن معديكرب والاعشى والمهلهل ومتمم بن نويرة واعشى باهلة وبشر بن أبي حازم والمتلمس والمسيب وحميد بن ثور وحميد الارقط وعدي بن زيد وعدي بن الرقاع وغيرهم مما يطول بنا بسطه . وقد ذكرهم ابن النديم في الفهرست مطولا (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكري ايضاً . ومن القبائل التى جمع السكري أشعارها بنو ذهل وبنو شيبان وبنو أبي ربيعة وبنو يربوع وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لا يزال بين ايدينا منها جانب ذكرناه في مواضعه وان لم يذكر في صدور الدواوين من جمعها. ومما ينسب الى السكري شرح ديوان امرىء القيس . وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التي جمعها السكري في كتب الادب عرضاً . أما اشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين وقد وصل الينا مقتضباً مع شرح قليل . ومنه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن. وقد طبع القسم الاول منه في لندن سنة ١٨٥٤ في نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة تحتوي على اشعار نحو ثلاثين شاعراً من الهذليين واخبارهم وعنوان هذا الجزء « كتاب شرح أشعار الهذليين صنعه أبو

سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية ابي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوى عن أبي بكر احمد بن محمد الحلواني عنه » وفي صدر هذه الطبعة مقدمة انكليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفضليات والحماسة . وهناك كتاب لما بقي من أشعار الهذليين غير ما جمعه السكري طبع في برلين سنة ١٨٨٤

وللسكري ـ ٢ : كتاب اخبار اللصوص : فيه اخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه في ليدن سنة ١٨٥٩ وله ـ ٣ : شرح ديوان جران العود النميري منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية وله ـ ٤ : كتاب النبات ضاع . وترجمة السكري في طبقات الادباء ٢٧٤ ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ والفهرست ٧٨ و١٥٧ و١٥٩

٣ ـ ابن قُتَيْبة

توفي سنة ٢٧٦ هـ

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ وتثقف على اهلها وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالماً في اللغة والنحو والشرع متفنناً بالعلوم صادقاً فيما يرويه مستقل الفكر جريئاً في قول الحق . وهو اول من تجرأ على النقد الادبى فألف في أكثر فنون الادب المعروفة . والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع وبعضها من امهات كتب التاريخ والادب وهاك ما وصل الينا خبره منها :

١ عيون الاخبار : في عشرة كتب ١ كتاب السلطان ٢ كتاب الحرب ٣ كتاب السؤدد ٤ كتاب الطبائع والاخلاق ٥ كتاب العلم باخبار العلم والعلماء ٦ كتاب الزهد ٧ كتاب الاخوان ٨ كتاب الحوائج ٩ كتاب الطعام ١٠ كتاب النساء . طبع في ويمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن وفي مصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين كل مجلد يدخل في مائة صفحة . ومنه نسخ خطية في مكاتب بطرسبرج والاستانة وهو أول كتاب فى نوعه من امهات كتب الادب

٢ كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن اقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وانساب العرب وسيرة النبي ومغازيه واخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف واهل العاهات ونوادر الحوادث والاديان واخبار ملوك العرب والعجم وقد طبع في غوتنجن بعناية ووستنفيلد سنة ١٨٥٠ وفي مصر سنة ١٣٠٠

٣ كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء أو كتاب الشعراء أو اخبار الشعراء وكلها واحد. وهو يحتوي على تراجم «المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله» ويدخل في ذلك أخبار اشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى ايام المؤلف وامثلة من اشعارهم وفيه نظرٌ وانتقاد. وقد وطبع في ليدن بعناية دي غويه سنة ١٩٠٤ وفي مصر سنة ١٩٠٥

٤ ادب الكاتب: يبحث فيما يحتاج اليه الاديب في صناعة الكتابة من الآداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتاب بايامه من الخطأ او الوهم في معاني الالفاظ او الاشتقاقات والتراكيب مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم. وقد قسم ذلك الى ابواب في اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني ومكاتب فينا وبطرسبرج وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انكليزية لسيرول وطبع ايضاً في مصر مراراً . وله شروح عديدة أشهرها شرح البطليوسي المتوفي سنة ٥٣٩ هـ طبع في بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقتضاب

٥ الامامة والسياسة: هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة النبي الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ومنه نسخ خطية في مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ كتاب الشراب او الاشربة : في اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة او يحرم . منه نسخة خطية في لندن وفي المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٩٠٧

٧ كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوبية نقل منه صاحب العقد الفريد فصلا في صفحة ٧١ ج ٢ ونشرت له مجلة المقتبس رسالة في الرد على الشعوبية (مجلد ٤)

٨ تأويل مختلف الحديث : منه نسخ خطية في مكتبتي برلين وليدن

٩ كتاب مشكل القرآن : « « « « ليدن وكوبرلي

١٠ المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١١ كتاب المسائل والجوابات : اكثره في الحديث منه نسخة في مكتبة غوطا

وقد ذكر صاحب الفهرست كتباً اخرى لابن قتيبة اهمها كتاب « معاني الشعر الكبير » في ١٢ كتابا . وفي مكتبة ايا صوفيا بالاستانة نسخة من كتاب اسمه

« الشعر الكبير » لابن قتيبة لعله هو او بعضه . وكتاب « عيون الشعر » في عشرة كتب وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة. ووقف الاب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره نعني كتاب «الرجل والمنزل » وجده في مكتبة الظاهر بدمشق ونشره في السنة ١١ من المشرق . وهو من قبيل مفردات اللغة التي ذكرناها للاصمعي وابي عبيدة . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة من كتاب خطي اسمه « كتاب العرب وعلومها» لابن قتيبة

وترجمة ابن قتيبة في ابن خلكان ٢٥١ ج١ وطبقات الادباء ٢٧٢ والفهرست ٧٧

٤ — ابن أبي الدُّنيا

توفي سنة ٢٨١ هـ

هو ابو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش كان يؤدب المكتفي بالله. وله علم بالاخبار وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار لم يصلنا منها الاَّ :

١ الفرج بعد الشدة: مجموع اخبار اتفقت لاناس اصابهم فيها بعد الشدة فرج. منه نسخ في برلين وليدن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ نحا فيه منحى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ أول من ألف في هذا الموضوع . ثم تحداها سواها حتى انتهى ذلك الى القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ فألف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في مجلدين وفي مقدمته تاريخ التأليف في هذا الموضوع

٢ مكارم الاخلاق : و٣ ذم الملاهي : منهما نسختان خطيتان في برلين

٤ فضائل عشر ذي الحجة : في ليدن

٥ كتاب من عاش بعد الموت : في منشن

٦ اليقين : في كوبرلي بالاستانة ٧ الشكر : في نور عثمانية

٨ قرى الضيف : في مكتبة لاندبرج

وترجمة ابن ابي الدنيا في فوات الوفيات ٢٣٦ ج ١ والفهرست ١٨٥

٥ — قُدامة بن جعفر

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي كان ابوه نصرانيا واسلم في ايام المكتفي (سنة ٢٨٩-٢٩٥) وتولى منصباً كبيراً في الدولة العباسية . وكان اديبا شاعر ألف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠) لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقد الشعر : وهو اول كتاب مستقل في هذا الموضوع وسنعود اليه. طبع في الاستانة سنة ١٣٠١

٢ كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان منه نسخة خطية في الاسكوريال

٣ كتاب الخراج : سيأتي ذكره في الكلام على الجغرافية

٦ — الوشّاء

في القرن الثالث

هو أبو الطيب محمد بن احمد بن اسحق الاعرابي الوشاء أحد الادباء الظرفاء في اواخر القرن الثالث للهجرة . غلب عليه تصنيف كتب الاشعار والاخبار ذكر له صاحب الفهرست نحو ٢٠ كتاباً في النحو والادب لم يصلنا منها الاّ كتابان :

١ كتاب الموشى : وهو فريد في بابه يمثل آداب ذلك العصر ويتخلله كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف . وفيه وصف الازياء التي كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات . وما اختير من الالفاظ للمكاتبات . وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الاشعار على الثياب والاعلام والعصائب والزنانير والمناديل والستور والوسائد حتى النعال، وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان. فهو فريد ببابه ومنه نسخة خطية في ليدن وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ وفي مصر سنة ١٣٢٤ وسموه كتاب الظرف والظرفاء

٢ كتاب تفريج المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين . وتجد اخبار الوشاء في الفهرست ٨٥ وطبقات الادباء ٣٧٤

٧ — ابن عَبد ربّه

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو عمر احمد بن محمد عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد. أصله من موالي بني امية في الاندلس توفي سنة ٣٢٨ (وقيل ٣٤٨) وكان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكان شاعراً مطبوعا . وانما اشتهر بكتابه العقد الفريد . وفي شعره ميل الى الشعر القصصى اي سرد القصة شعراً وهو قليل في العربية . له فيه ارجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس حسب السنين وكان معاصراً له وهي منشورة في الجزء الثاني من العقد الفريد

العقد الفريد . أما العقد الفريد فانه من أجل كتب الادب واحواها أو هو كالخزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر حتى الطب والموسيقى فضلا عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده . في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على الف صفحة كبيرة وهو مقسوم حسب المواضيع . وقد تأنق صاحبه في تقسيمه وتسمية ابوابه فسماها باسماء الحجارة الكريمة تطبيقاً لاسم الكتاب «العقد الفريد» ويشتمل الجزء الاول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ. والثاني في التعازي والمراثي والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات وأخبار الكتبة . والثالث في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وأيام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الالحان والنساء والمتنبئين والممردين والبخلاء وطبائع الانسان وفي الطعام والشراب

وفي بعض هذه الابواب فصول تاريخية لاتجد مثلها في كتب التاريخ. فاخبار زياد والحجاج والطالبيين فيها حقائق يعز العثور عليها في كتاب آخر . وناهيك بايام العرب واعاريض الشعر وما هنالك من أخبار الخوارج والازارقة فضلا عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك نقلا عن كتب ضاعت اصولها . فالعقد الفريد خزانة فوائد وهو من أمهات كتب الادب الثقة . ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما في الكتب السالفة يومئذ للاصمعي وابي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبي وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل . ولم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه . وقد طبع العقد الفريد مراراً في ثلاثة مجلدات وهو شائع . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب اوربا . وليس له سواه

وترجمة ابن عبد ربه في ابن خلكان ٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ ويتيمة الدهر ٣٦٠ و٤١٢ ج ١

٨ – أبو بكر الصولي

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيى الصولي ويعرف بالشطرنجي ويتصل نسبه بملوك جرجان . كان عالماً بفنون الادب حسن المعرفة باداب الملوك حاذقا بتصنيف الكتب وألعب أهل زمانه في الشطرنج وكان نديماً لجماعة من الخلفاء وجمع اشعار كثيرين كما فعل السكري

باشعار القدماء وقد اشرنا الى شيء من ذلك في اما كنه كديوان ابن المعتز وديوان ابي تمام وابي نواس والبحتري . والف في اخبار الخلفاء واشعارهم كتابا سماه « الاوراق في اخبار آل العباس واشعارهم» قال ابن النديم: «انه لم يتمه والذي خرج منه اخبار الخلفاء وأشعار اولاد الخلفاء من السفاح الى أيام المعتز». ولكن في المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولي هي من قبيل اخبار الشعراء رتب أسماءهم على أحرف الهجاء وأكثره في اخبار ابان اللاحقي شاعر البرامكة وابنائه الشعراء كمحمد بن ابان وابان ابن حمدان بن ابان وغيرهما. واخبار اشجع بن عمرو السلمي واشعاره مرتبة في ابواب واحمد بن يوسف وزير المأمون وآله . وابن صبيح كاتب دولة بني العباس وتوقيعات احمد المذكور وكلامه فضلا عن اشعاره . وجاء في آخر الكتاب انه شرع بترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلي وتوفي قبل ان يتمها . وذلك مختلف عما ذكره ابن النديم

وله كتب اخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم نقف عليها . واخباره في طبقات الادباء ٣٤٣ والفهرست ١٥٠ و١٥٦

أدباء آخرون

ومن الادباء والرواة في هذا العصر أيضاً ابو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ وجحظة البرمكي (٣٢٦ هـ) وابو بكر بن مروان الدينوري المالكي المتوفى سنة ٣١٠ له كتاب المجالسة وفيه اخبار وآداب منه نسخة في باريس . وابراهيم بن ابي عون الكاتب توفي سنة ٣٢٢ وله كتاب لب اللباب في جوابات ذوي الالباب منه نسخة في برلين. وابو الازهر بن مزيد النحوي (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين في الاسكوريال . (ولابي القاسم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم في مكتبة برلين) وابو بكر الخرائطي السامري المتوفى سنة ٣٢٧ له كتاب اعتلال القلوب في المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق فى ليدن

الانشاء

في العصر العباسي الثاني

رأيت ما كان من اسلوب الانشاء فى صدر الاسلام من البلاغة والايجاز حتى انتهى فى العصر الاموي الى عبد الحميد الكاتب فاطال الرسائل وأدخل التحميدات فى فصول الكتب . فلما كان العصر العباسي الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين فى ذلك العصر كما يظهر فى ترجمة كليلة ودمنة وهو انشاء مرسل بلا تسجيع ولا تقطيع

أسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا اراد التأنق فى الانشاء فى معرض الخطابة او التهديد او التنبيه عمد الى السجع ونوع عبارته تنويعاً خاصاً كما فعل فى كتبه الاخرى ولا سيما اليتيمة والادب الصغير . فمن ذلك قوله فى اليتيمة :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة . فرأيت امراً استقام بغير رأي . واعواناً جزوا بغير نبل . وعملا انجح بغير حزم . فلا يغرنك ذلك ولا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة فى انفس اقوام وحلاوة فى انفس آخرين »

وقد يتفنن فى تقطيعه كقوله : «وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم اجساداً ، واوفر مع اجسادهم احلاما . واشد قوة واحسن بقوتهم للامور اتقانا . واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختباراً »

وفى كل حال لابد من التمييز بين انشاء الكتب وانشاء الرسائل او المقالات الادبية ونحوها. فانشاء الكتب لايزال مرسلا بلا سجع او تقطيع مثل كتاب كليلة ودمنة. واما الرسائل او المقالات الادبية او الفصول التي يصدرون بها الكتب فهي من قبيل الخطب . فالكاتب يتأنق بها ويبذل جهده فى تنميقها كما فعل ابن المقفع فى كتابه الدرة اليتيمة التي أتينا بالمثالين المذكورين منها ـ فالتنويع الذي يصيب الانشاء بتوالي الاعصر انما يقع على هذا الانشاء فى الغالب وما يصدق عليه يصدق على الخطب

أسلوب الجاحظ

فلما دخل العصر العباسي الثاني نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لايشقّ لهم غبار إمامهم الجاحظ وضع اسلوباً فى الانشاء تحدوه فيه. وذلك انه جعل الجملة قطعاً صغيرة كالشعر لكن بدون وزن ولاقافية. او هو سجعٌ لاتشترط فيه القافية كقوله «جنبك الله الشبهة. وعصمك من الحيرة. وجعل بينك وبين المعرفة سببا وبين الصدق نسبا. وحبب اليك التثبت . وزين فى عينك الانصاف . واذاقك حلاوة التقوى . واشعر قلبك عز

الحق وأودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس . . الخ »

وقد أدخل الدعاء حشواً معترضاً يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :

«وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة . وسقطات الخطل يوم اطالة الخطية . باعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة . وعن الحصر من فوات درك الحاجة . والناس لا يعيرون الخرس . ولا يلومون من استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . . الخ »

وهذا الاسلوب في الانشاء ينسب الى الجاحظ وقد توخاه معاصروه فنسجوا على منواله كابن قتيبة والمبرد وابن ثوابة وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الاصفاني جامع ديوان أبي نواس فانه من أهل العصر الثاني وأسلوبه كاسلوب الجاحظ ـ قال في مقدمة الديوان المذكور :

« سألتني ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك أقصى أملك . وزادك من أفضل ما خولك . وأحسن ما منحك . ولا أعدمك جميل ما عودك. أن أصرف لك عنايتي الى عمل مجموع من شعر أبي نواس. يشتمل على كل أشعاره. وجل أخباره . وقد أسعفتك أيدك الله بطلبتك وأجبتك الى ملتمسك . . الخ »

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار أكثر ابلاغاً للمعنى وأشد تأثيراً في النفس حتى رأيناهم ينتقدون ما كان شائعاً من الايجاز في صدر الاسلام كقول يزيد لما كتب الى مروان حين بلغه تلكؤه فى بيعته: «أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت » قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « ان هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدىء ويحذر وينذر ..»

ولا يؤخذ من ذلك أن تكون أساليب الكتاب في ذلك العصر واحدة من كل وجه فان ذلك غير طبيعي. والطبيعي أن يكون لكل كاتب اسلوب يعرف به. ولكن ابناء العصر الواحد تتشابه اساليبهم ويغلب ان يكون احدهم مقداماً يسيرون على خطواته فيقلدونه في اسلوبه كل منهم جهد طاقته. والجاحظ في هذا العصر امام اهل الادب وقدوة المنشئين

كساد البضاعة وفساد العقيدة

وأصاب صناعة الادب في هذا العصر كسادٌ كما اصاب الشعر للاسباب التي قدمناها من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط . وانصراف الناس الى الفلسفة والطبيعيات والمنطق من العلوم الحادثة عندهم . وشيوع الشعوبية واحتقار العرب

والطعن على كفاءتهم وعلومهم . فاصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة في ادب الكاتب: « رأيت كثيراً من كتاب زماننا كسائر أهله. قد استطابوا الدعة . واستوطأوا مركب العجز . واعفوا انفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر . حين نالوا الدرك بغير سبب . وبلغوا البغية بغير آلة . ولعمري كان ذاك . فأين همة النفس واين الانفة من مجانسة البهائم . وأي موقف اخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره فقرأ عليه يوماً كتاباً — وفي الكتاب (ومطرنا مطراً كثر عنه الكلأ) فقال له الخليفة ممتحناً (وما الكلأ؟) فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال (لا ادري) فقال له (سل عنه) ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه (حاضر طي) فصحفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين »

ذلك مابعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه وذكر الشروط اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع في العلوم الاسلامية والادبية فضلا عن اللغوية كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية

ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء في عصره قوله :

« رأيت اكثر اهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين . ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين . اما الناشيء منهم فراغب عن التعليم . والشادي تارك للازدياد . والمتأدب في عنفوان الشباب ناس او متناس ليدخل في جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين . فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون . حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر . وبارت بضائع اهله . وصار العلم عاراً على صاحبه . والفضل نقصاً . واموال الملوك وقفاً على النفوس . والجاه الذي هو زكاة الشرف . يباع بيع الخلق . وآضت المروآت في زخارف النجد وتشييد البنيان . ولذات النفوس في اصطفاق المزاهر . ومعاطاة الندمان . ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف . وماتت الخواطر . وسقطت همم النفوس . وزهد في لسان الصدق وعقد الملكوت . فابعد غايات كاتبنا في كتابته . ان يكون حسن الخط . قويم الحروف . واعلى منازل اديبنا ان يقول من الشعر ابياتاً في مدح قينة او وصف كاس وارفع درجات لطيفنا . ان يطالع شيئاً من تقويم الكواكب . وينظر في شيء من القضاء وحدّ المنطق . ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه . وعلى حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدري من نقله .. الخ »

وتكاثر دعاة الانشاء في ذلك العصر عن غير معرفة وتوهموا انه يحلو بالاكثار من اللفظ الغريب فاحى عليهم ابن قتيبة باللائمة . واتى مثلا على ذلك بقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته فقال له: «أن سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطالها وتضهلها » وكقول عيسى بن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط : « والله ان كانت الاثيابا في اسيفاط قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة : « فهذا واشباهه كان يستثقل والادب غض. والزمان زمان. واهله يتحلون فيه بالفصاحة. ويتنافسون في العلم . ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون . فكيف به اليوم مع انقلاب الحال ؟ »

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء ادب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابي علي القالي . ونزيد عليها العقد الفريد لابن عبد ربه والاغاني لابي الفرج الاصفهاني واذا اريد الانشاء خاصة فكليلة ودمنة وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع

ذلك كان شأن الانشاء في العصر العباسي الثاني واكثر ادبائه من المنشئين . وسيخطو خطوة اخرى في العصر الآتي

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثاني

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدُّهم من النحاة لانهم اشتغلوا في النحو وانما جعلنا اكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اكتفوا من النحو بكتاب سيبويه ولم يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه . فانصرفت قرائحهم الى ما دعت اليه المدنية من الاشتغال في الادب واللغة واصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكماليات . وان كان قد الف بعضهم فيه بين مختصر فيه او في بعض ابوابه او تعليقاً على كتاب سيبويه — فان اصحاب هذه المختصرات او التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنايتهم الى الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال في النحو فنتكلم عنهم في هذا الباب ونذكر ما وصل الينا من مؤلفاتهم وهم :

أشهر النحاة في هذا العصر

١ — أبو عثمان المازني

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو ابو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني من أهل البصرة . أخذ عن ابي عبيدة والاصمعي واليه انتهى النحو في عصره فكان هو شيخ اهله . وله مؤلفات كثيرة في النحو والعروض لم يصلنا منها شيء . وهو الذي امتنع عن تعليم الذمي كتاب سيبويه مع ما بذله له من المال لئلا يمكنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الواثق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ومن جملتها جائزة على اعراب « أظلوم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام تحية ظلم » في حديث طويل . وكان المازني معاصراً لابي عمر الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ وهما عمدة النحو في البصرة يومئذ . والمازني أول من دون علم التصريف وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو

وترجمته في ابن خلكان ٩٢ ج ١ ومعجم الادباء ٣٨٠ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٤٢

٢ — أبو العباس ثعلب

توفي سنة ٢٩١ هـ

هو ابو العباس احمد بن زيد بن سيار النحوي مولى بني شيبان ويعرف بثعلب ولد سنة ٢٠٠ هـ وتلقى العلم على ابن الاعرابي . وكان حجة مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم . فضلا عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين والبصريين في زمانه اقام في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ وألف في اكثر فنون الادب نحو ٢٢ كتاباً ذهب معظمها واليك ما وصل الينا خبره منها :

١ كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس طبع ليبسك سنة ١٨٧٦ في نحو ٧٠ صفحة. وقد ألف انتقاداً عليه ابو القاسم علي بن حمزة البصري سماه كتاب التنبيه على ما في الفصيح من الغلط. منه نسخة خطية في الاسكوريال . وللشيخ ابي سهل الهروي شرح على الفصيح سماه التلويح في شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ومعه ذيل على الفصيح لموفق الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ وشرحه ايضاً ابو العباس الترمذي شرحاً سماه شرح غريب

الفصيح منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة . وقد كتب الزجاج نقداً عليه منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

٢ كتاب قواعد الشعر : جاء في أوله ان قواعد الشعر اربع أمرٌ ونهيٌ وخبر واستخبارٌ وأتى بامثلة عليها من أقوال الشعراء الفحول. منه نسخة خطية في الفاتيكان وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٠ في ٤٢ صفحة

٣ شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٤ « « الاعشى : في تلك المكتبة أيضاً

٥ كتاب الامالي : ذكره صاحب المزهر وخزانة الادب. منه نسخة خطية في مكتبة برلين . وفي المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس ثعلب في ١٣٢ ورقة

أخباره في ابن خلكان ٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٣ ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢ والفهرست ٧٤

٣ — أبو اسحق الزجاج

توفي سنة ٣١١ هـ

هو ابو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج . سمي بذلك لانه كان يخرط الزجاج . تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجرة بمشقة لقلة ذات يده . ثم طلب بعضهم معلماً من المبرد فدلهم عليه وصار مؤدباً للقاسم بن عبيد الله بن سليمان فكان ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة هاك ما بقي منها :

١ كتاب سر النحو : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط قديم جد تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفي آخره مانصه: «قرأه علي أبو جعفر احمد بن محمد مسمار في صفر سنة ٣٥١ الخ . . » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاج في الفهرست

٢ كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم: منه نسخة في غوطا

٣ « خلق الانسان في اللغة : وفيه اسماء أعضاء الانسان ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني وفي المكتبة الخديوية

٤ كتاب معاني القرآن : منه نسخ في نور عثمانية بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

وتجد اخبار الزجاج في ابن خلكان ١١ ج ١ ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٠٨ والفهرست ٦٠

٤ — ابن الانباري

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري من أهل الانبار. وهو غير كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ. كان ابوه ابو محمد الانباري من أهل الاخبار والنحو فتلقى ابنه العلم عنه وعن ثعلب. وكان يضرب به المثل بسرعه الخاطر وحضور البديهة. وكان قوي الذاكرة يملي علمه مما حفظه في ناحية وأبوه في ناحية أخرى من المسجد في بغداد. وكان ابن الانباري يحفظ ٣٠٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن باسانيدها وذلك من غرائب الحفظ. والف في النحو واللغة والادب والقرآن والحديث. وكان يطيل التأليف فمن كتبه كتاب غريب الحديث قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما. واليك ما وصلنا من كتبه :

١ كتاب الاضداد في النحو : طبع في ليدن سنة ١٨٨١ وفي مصر سنة ١٩٠٧

٢ « الزاهر : في معاني كلمات الناس. منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة وسيأتي ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي

٣ شرح المفضليات: منه نسخ خطية في ايا صوفيا ويني جامع والمكتبة الخديوية

٤ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء: منه نسخة في المتحف البريطاني وكوبرلي

٥ كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس

وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ والفهرست ٧٥

٥ — ابن ولاد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجّاج واسمه ابو العباس احمد بن محمد بن ولاّد من اهل مصر وقد توفي فيها. وخلف كتاباً في النحو اسمه المقصور والممدود منه نسخ خطية في برلين وباريس وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ وهو جزيل الفائدة مرتب على حروف الهجاء

٦ — أبو جعفر النحاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج. وقد يسمى الصفار. وهو غير ابن النحاس النحوي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ. اصله من مصر ورحل الى بغداد

فاخذ عن المبرد والاخفش والزجاج وغيرهم ثم عاد الى مصر فاقام بها حتى مات . وكان صاحب فضل كثير وعلم واسع وخلف مؤلفات كثيرة في اللغة والادب والقرآن لم يصلنا منها الا :

١ شرح المعلقات السبع : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

٢ كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط جميل في ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم

٣ كتاب معاني القرآن : منه الجزء الاول فيها أيضاً

٤ ناسخ القرآن ومنسوخه : في المتحف البريطاني

وتجد ترجمة النحاس في معجم الادباء ٧٢ ج ٢ وابن خلكان ٢٩ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٣

٧ — أبو القاسم الزجاجي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

هو عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي من افاضل النحاة من اهل نهاوند. أخذ عن الزجاج فنسب اليه وتولى التعليم في دمشق وطبرية ومات فيها ولم يذكر له الفهرست الا كتاباً في القوافي لم نقف عليه . وقد وصل الينا مما ينسب اليه :

١ كتاب الجمل في النحو : هو أهم مؤلفاته منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وله شروح منها شرح ابن العريف منه نسخة في المكتبة الخديوية . وقد شرحه البطليوسي وانتقده هو وغيره : ومنها شرح لابن الضائع منه نسخة في المكتبة الخديوية قديمة الخط

٢ الزاهر : جمع فيه الفاظ الزاهر للانباري المتقدم ذكره والفاخر للمفضل ابن سلمة الآتى ذكره مع تنقيح وتهذيب . منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية في ١٧٩ ورقة

٣ الامالي في اللغة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤

وترجمته في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩ والفهرست ٨٠

وهناك طائفة من النحاة نبغوا في هذا العصر اغضينا عن تراجمهم لانهم لم يصلنا من كتبهم مايستحق الذكر كابن الحائل وابي عمرو الزاهد والحامض واليزيدي وابن السراج ونفطويه والمنذري والاخفش الاصغر وابن المرزبان وعمر الجرمي وغيرهم

مذاهب البصريين والكوفيين

في النحو

وفي هذا العصر وما بعده احتدم الجدال بين البصريين والكوفيين في قواعد النحو واختلفوا في كثير من احكامه وشروطه. وقد الف في ذلك الاختلاف كثيرون اشهرهم كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ الف كتابا في « الانصاف في مسائل الخلاف » وابو البقاء العكبري الف كتاب « التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » وقد لخص جلال الدين السيوطي ذلك عن هذين الكتابين في الجزء الثاني من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع في حيدر اباد الهند سنة ١٣١٧ هـ في أربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مائة مسئلة ومسألتين — هذه أمثلة منها :

عند البصريين	عند الكوفيين
الاسم مشتق من السمو	الاسم مشتق من الوسم
الاسماء الستة معربة في مكان واحد	معربة في مكانين
الفعل مشتق من المصدر	المصدر مشتق من الفعل
الاسم المنتهي بتاء التأنيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون	يجمع
فعل الامر مبني	معرب
المبتدا مرتفع بالابتداء	المبتدا يرفعه الخبر
الخبر اذا كان اسماً مختصاً لا يتضمن ضميراً	يتضمن
يجوز تقديم الخبر على المبتدا	لا يجوز
لا يقام مقام الفاعل الظرف والمجرور مع وجود المفعول	يقام
نعم وبئس فعلان مبنيان	اسمان
لا يبنى فعل التعجب من الالوان	يبنى من السواد والبياض
يجوز تقديم خبر ليس عليها	لا يجوز
لا يجوز دخول نون التوكيد على خبر لكن	يجوز
لا يجوز تقديم الاستثناء في اول الكلام	يجوز
يقال قبضت الخمسة عشر درهما ولا يقال الخمسة العشر درهما	يجوز

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثاني

وقد يعدُّ لغويو هذا العصر أيضاً من النحاة أو الادباء لكننا افردناهم لاشتغالهم على الاكثر في اللغة . نعني الالفاظ من قبيل المعاجم أو ما هو في سبيلها . ويقال بالاجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الافي العصر الآتي . على ان علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك أكثر ممن تقدمهم من أهل العصور السابقة . فألف بعضهم كتباً تشبه المعاجم كما سترى في تراجمهم وآثارهم وهم :

١ — أبو عمرو الهروى

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو عمرو شمر بن حمدوية الهروي كان ثقة عالماً حافظاً للغريب راوية للاشعار والاخبار . ولم يصلنا من كتبه شيء وانما ذكرناه لانه الف معجما في اللغة بدأ فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه أحد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره وقد ذكره صاحب طبقات الادباء (صفحة ٢٦٠) في ترجمة المؤلف

٢ — أبو حاتم السجستاني

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني كان عالماً باللغة والشعر . أخذ عن ابي زيد وابي عبيدة والاصمعي ولم يكن حاذقا في النحو لكنه كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفاً اكثرها في اللغة من باب المعاني المجتمعة في أصل مشترك تدخل في باب واحد ككتاب الحشرات وكتاب خلق الانسان وكتب الوحوش والسيوف والابل والجراد والكرم ونحوها . وليست هي من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعي أو الطبي أو الزراعي وانما يراد بها الوجهة اللغوية لتميز المسميات باسمائها — واليك ما وصل الينا من كتبه :

١ كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ فيه تراجم الذين عمروا من الرجال في الجاهلية مع طرف مما قالوه في منتهى اعمارهم . وبلغ عددهم مئة وعشرة رجال في

جملتهم طائفة من الشعراء كعبيد بن الابرص ولبيد وعمرو بن قميئة وجماعة من السادة والفرسان كاكثم بن صيفي وعامر بن الظرب ودريد بن الصمة وزهير بن جناب وغيرهم . والكتاب رواية ابي روق الهمداني . لم يذكره صاحب الفهرست بين مؤلفات السجستاني . طبع ليدن سنة ١٨٩٩ بعناية المستشرق غولتزير في ٢٨١ صفحة منها ١٠٣ صفحات للاصل والباقي للمقدمة والتعاليق . وطبع أيضاً بمصر سنة ١٩٠٥

٢ كتاب النخلة : طبع في بالرمو بايطاليا سنة ١٨٣٧ وفي رومية سنة ١٨٩١ ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد ترجمة ابي حاتم السجستاني في طبقات الادباء ٢٥١ والفهرست ٥٨ وابن خلكان ٢١٨ ج ١

٣ ـ أبو العباس المبرّد

توفي سنة ٢٨٥ هـ

هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالي نسبة الى ثمالة قبيلة من الازد ويعرف بالمبرد ولد سنة ٢١٠ هـ في البصرة وانتقل الى بغداد وكان شيخ أهل النحو والعربية . واليه انتهى علمهما بعد طبقة عمر الجرمي وابى عثمان المازني . واخذ النحو عنهما وعن غيرهما

وكان قوي الذاكرة كثير الحفظ معاصراً لثعلب المتقدم ذكره . وجرت بينهما منازعات ومعارضات . وبهما ختم تاريخ الادباء [1] وكان المبرّد يحب الاجتماع بثعلب وهذا يكره ذلك لان المبرد كان حسن العبارة فصيح اللسان وثعلب مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم للمبرّد . وكان المبرد كثير الامالي يملي علمه على الطلبة أو على من يدوّنه — ومنها سميت الامالي. وقد ذكر له صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفاً في الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن وغير ذلك وهاك ما وصلنا منها :

١ الكامل : هو كتاب في الادب وصفه المبرد بقوله «هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب بين منثور ومنظوم وشعر ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية ان يفسر كل ما يقع فيه من كلام غريب أو

(١) ابن خلكان ٥٩٥ ج ١

معنى مغلق » فهو يعدُّ من كتب اللغة الممهدة للمعاجم . وفيه كثير من الفوائد التاريخية . أهمها فصل في الخوارج يحوي حقائق هامة من تاريخ بني امية. وقد طبع الكامل في ليبسك سنة ١٨٦٤ وفي الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ وفي مصر سنة ١٣٠٨

٢ كتاب المقتضب : عليه شرح لسعد الله الفارقي المتوفى سنة ٣٩١ هـ منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب التعازي والمراثى : منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٤ رسالة في الجواب على سؤال وجهه اليه الواثق بشأن الشعر والنثر . منه نسخة خطية في مكتبة مونيخ واخرى في برلين

وترجمته في ابن خلكان ٤٩٥ ج ١ وطبقات الادباء ٢٧٩ الفهرست ٥٩

٤ ـ المفضل بن سلمة

في أواخر القرن الثالث

هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم اللغوي . وكثيراً ما يقع الالتباس بينه وبين المفضل بن محمد الضبي الاديب المتقدم ذكره. ولعل السبب في ذلك ما يجدونه في ترجمة ابنه محمد في ابن خلكان اذ زاد في نسبه هناك لفظ «الضبي» ونظن ذلك سهواً من ابن خلكان أو من النساخ . لان نسبه في الفهرست وفي طبقات الادباء ليس فيه لفظ «الضبي» ويؤيد ذلك أن ابن خلكان لم يترجم المفضل الضبي الاديب. ووقع في ما نقله ابن خلكان من ترجمة المفضل بن سلمة تشويش في اسماء مؤلفاته فجاء اسم كتاب الفاخر «المفاخر» وكتاب البارع «التاريخ» وهو خطأ في النسخ أو الطبع . والمفضل بن سلمة من لغوي العصر العباسي الثاني على مذهب اهل الكوفة. وقد استدرك على الخليل وخطأه فى كتابه. وذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفاً لم يصلنا منها الا:

١ كتاب الفاخر : فى اللغة وموضوعه معانى ما يجري على السنة العامة فى امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معناه . فيأتي بالمثل ويشرحه نحو ما فى كتاب مجمع الامثال للميداني. منه نسخة فى كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية فى ١٤٦ صفحة كبيرة . ونسخة أخرى من جملة كتب زكي باشا فى ١٣٥ ورقة

٢ كتاب العود والملاهي : فى آلات الطرب وهل تعاطيها يخالف التقوى. وهو يرى انه جائز وأتى بالادلة على ذلك . منها نسخة فى جملة كتب زكي باشا

وترجمة المفضل فى الفهرست ٧٣ وطبقات الادباء ٢٦٥ وابن خلكان ٤٦٠ ج ١

٥ ـ ابن دريد

توفي سنة ٣٢١ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى . ولد فى البصرة سنة ٢٢٣ ونشأ وتعلم فيها . وأخذ النحو عن السجستاني والرياشي وابن أخي الاصمعي . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان أقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة . ثم رحل الى نواحي فارس وصحب ابني ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس وألف لهما كتاب الجمهرة الآتي ذكره . فقلداه الديوان وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمرٌ الا بعد توقيعه. ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابني ميكال عن فارس. فاجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين ديناراً فى الشهر الى وفاته سنة ٣٢١

وقد نبغ ابن دريد فى اللغة وكان من أكابرها مقدماً بها وبالانساب والاشعار. وكان شاعراً كثير الشعر وله المقصورة المشهورة التي مدح بها الشاه ابن ميكال وولديه مطلعها :

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيضُّ فى مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى

عدد أبياتها ٢٢٩ بيتاً وفيها كثير من آداب العرب واخبارهم وحكمهم وامثالهم

وعارضه بها جماعة من الشعراء وشرحها كثيرون. وله قصائد اخرى وانما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان اكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام مقام الخليل بن احمد فيها وأورد أشياء منها لم توجد في كتب المتقدمين. وقد ذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفاً هاك ما بلغنا خبره منها :

١ المقصورة : أو كتاب المقصور والممدود قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية في فرانكيري سنة ١٧٧٣ وفي هردوفيكى سنة ١٧٨٦ وفي غيرهما . ومنها نسخ خطية وشروح في معظم مكاتب اوربا أهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمي السبتي . وفي المكتبة الخديوية شرح المقصورة خطاً للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ واسمها الآيات المقصورات . وفي مكاتب اوربا وغيرها نسخ خطية من أشعاره الاخرى

٢ الجمهرة في اللغة : وهي أهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لانها معجم مرتب على أحرف الهجاء اتبع في ترتيبه ترتيب كتاب العين للخليل . فبدا بالثنائى ثم

الثلاثي فالرباعي فملحق الرباعي فالخماسي والسداسي وملحقاتهما . وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد. ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على ابجدية الخليل. وطريقة التفتيش فيه غير مألوفة عندنا فانه يأتي في باب الثلاثي مثلا في فصل العين بالاحرف الثلاثة التي أولها عين مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع أحرفها . فيقول « علن الامر يعلنه علناً ... واللعن أصله الابعاد .. والنعل معروف ... ونعل الفرس ما أصاب الارض من حافره الخ» . وقد سماه الجمهرة لانه اختار فيه الجمهور من كلام العرب . ومنها نسخ خطية في مكاتب لندن وباريس وكوبرلي ويني جامع ونور عثمانية وايا صوفيا بالاستانة . ونسخة ناقصة في المكتبة الخديوية

٣ كتاب الاشتقاق : في أسماء القبائل والعمائر وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها على شكل المعاجم. وفيه فوائد لغوية. طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٤

٤ كتاب صفة السرج واللجام : طبع في ليدن سنة ١٨٥٩

٥ كتاب الملاحن : طبع في هيدلبرج سنة ١٨٨٢ وفي مصر قريباً

٦ « المجتبى : فيه أقوال النبي موجود في المتحف البريطاني واكسفورد

٧ « السحاب والغيث وأخبار الرواد: طبع في ليدن مع كتاب السرج واللجام

وأخباره في ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٢٢ والفهرست ٦١

٦ ـ عبد الرحمن الهمذاني

توفي سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني كان اماماً في اللغة والنحو وكاتباً لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي. له مؤلفات جزيلة الفائدة لم يصلنا منها الا:

كتاب الالفاظ الكتابية : وهو مما يستعان به في تنميق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة كل منها مجموع في باب خاص من قبيل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي غيرها

ومن كتب اللغة في هذا العصر كتاب المنجد لابي الحسن الهنائي المعروف بكراع في أوائل القرن الرابع للهجرة رتبه على ستة أبواب في أعضاء البدن وأصناف الحيوان والطيور والسلاح والارض منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له أيضاً مرتب على الهجاء في المتحف البريطاني

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت في كلامنا عن التاريخ فى العصر الماضي أن الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب وأخبار الفتوح والطبقات وذكرنا أشهر من الف فيها. ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لاخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له أهل العصر الماضي . وانما عمد أهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد أن اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس [1] وبعد اتساع معارف القوم على أثر ترجمة كتب العلم القديمة عن أهم الامم. وقد تقررت أحكام الشرع فلم تبق حاجة الى الخوض فى الفتوح وأسبابها فاقتصروا على تلخيص اخبارها وتبويبها وتحقيقها وضبطها. وضعفت العصبية العربية لتسلط الاتراك وغيرهم واستقرت الانساب . فلم تبق حاجة الى الخوض فى النسب وعلومه . وشاعت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على أثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام فاتجهت الافكار الى تأليف الكتب الخاصة في أحوال المدن وأحوال الامم

وهناك ضرب من التاريخ تخلف عن علم الادب أو تفرع عنه نعني أخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وشعراءهم وسائر أحوالهم. فهذه كانت داخلة في علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر فلما اتسعت معارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرع عن الادب كما تقدم كان من جملة فروعه ما تخلف عن الاخبار التي كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة أو تعبير أو شعر او نحو ذلك . وتوسعوا فيه فصار تاريخاً لكنه مقصور على أخبار العرب وبلادهم . وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم فى جملة علماء الادب كالاصمعي وأبي عبيدة وانما جعلناهم فى جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء في التفرع والتنوع

فالمؤرخون في هذا العصر ينقسمون الى أربعة أقسام ١ مؤرخو الفتوح ٢ أخبار العرب وأحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها ٣ تاريخ البلدان والامم أي تاريخ كل بلد أو أمة على حدة — أو التاريخ الخاص ٤ التاريخ العام . واليك أشهر من الف في كل قسم من هذه الاقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٦ ج ٣

أولا — مؤرخو الفتوح

فى هذا العصر ختم تاريخ الفتح الاسلامى لذهاب الحاجة اليه بالفراغ من الفتوح الا ما كتبوه في فتح بعض المدن او الممالك بعد فتح بيت المقدس او نحوه او نقل ما مضى . وهاك اشهر مؤرخي الفتوح

١ — ابن عبد الحكم

توفي سنة ٢٥٧ هـ

هو آخر من دون الفتوح الاسلامية الخاصة في صدر الاسلام . واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من اهل مصر . كان ابوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيهاً من اصحاب مالك وأفضت اليه رئاسة المالكية وكان غنياً وجيهاً . وفي ايامه اتى الامام الشافعي الى مصر فدفع اليه الف دينار واخذ له من ابن عسامة التاجر . الف دينار ومن رجلين آخرين الف دينار . وكان لعبد الله هذا ولدان محمد صحب الامام الشافعي . والاخر عبدالرحمن الذي نحن في صدده وله مؤلف واحد كبير اسمه «فتوح مصر والمغرب والاندلس » منه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد نشرت منه قطعة عن فتح افريقية طبعت في غوتنجن سنة ١٨٥٦ وقطعة اخرى عن فتح الاندلس طبعت في لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة انكليزية . وهو تحت الطبع كله الآن بادراة لجنة تذكار جيب الانكليزية فى لندن . واخباره فى ابن خلكان ٢٤٨ ج ١

٢ — البلاذري

توفي سنة ٢٧٩ هـ

اسمه أبو جعفر احمد بن يحي بن جابر البلاذري . وهو خاتمة مؤرخي الفتح ولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة ونشأ فى بغداد وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز. وعهد اليه هذا بتثقيف ابنه عبد الله الشاعر المشهور . وكان شاعراً وكاتباً ومترجماً ينقل من الفارسية الى العربية . ومن شعره بيتان مدح بهما المستعين هما :

ولو أن برد المصطفى اذ حويته ... يظنُّ لظنَّ البرد انك صاحبه

وقال وقد أعطيته فلبسته ... نعم هذه أعطافه ومناكبه

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر أيامه فاخذ الى البيمارستان لانه شرب تمر البلاذر على غير معرفة ومنه اسمه . ومات على الاغلب سنة ٢٧٩ أول أيام المعتضد وله مؤلفات أهمها :

١ فتوح البلدان : هو أشهر كتبه ويظهر انه مختصر من كتاب أطول منه كان قد أخذ في تأليفه وسماه «كتاب البلدان الكبير» لم يتمه فاكتفى بهذا المختصر. وهو يدخل في ٥٠ صفحة ذكر فيها أخبار الفتوح الاسلامية من أيام النبي الى آخرها بلداً بلداً لم يفرط في شيء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخطة. وضمنه فضلا عن الفتوح ابحاثاً عمرانية أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ كاحكام الخراج أو العطاء وأمر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق ذي غويه . ونشرته في مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ وهو أجمع كتب الفتوح وأصحها

٢ أنساب الاشراف : ويسمى أيضاً الاخبار والانساب وهو مطول في ٢٠ مجلداً لم يتم . وكان ضائعاً فعثر المستشرق الالماني اهلوارت في مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسم فرجح انه من أجزاء كتاب البلاذري الذي نحن في صدده . فطبعه في غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه في ٤٥٠ صفحة. وفيه كثير من أخبار بني أمية في زمن عبد الملك والوليد . ويدخل في ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير واخيه عبد الله واخبار الخوارج

وترجمة البلاذري في الفهرست ١١٣ وفي صدر طبعة فتوح البلدان

ثانياً - مؤرخو جزيرة العرب

يدخل في هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه . والغالب في هؤلاء أن يكون ما يكتبوبه مقصوراً على أخبار العرب وأيامهم وقبائلهم وسائر احوالهم ويدخل في ذلك ايضاً أنساب العرب . لان الانساب بعد ذهاب دولة العرب وتغير وجه العطاء على القبائل لم يبق لها شأن سياسي حيوي. وبعد أن كان ثبوت نسب الرجل في قبيلة يدرُّ عليه المال أصبح مقصوراً على التفاخر بالاجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث في أوائل الدولة فاصبح من جملة أخبار العرب . ويدخل في هذا الباب أيضاً اخبار القبائل وحروبها وأيامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة أو مايتألف من ذلك كالطبقات ونحوها وهاك أشهرهم :

١ — محمد بن حبيب

توفي سنة ٢٤٥ هـ

هو ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية مولى بني العباس . كان من علماء بغداد بالانساب والاخبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الاعرابي وقطرب وابي عبيدة وكان مؤدبا . وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها ابن النديم ٣٣ كتابا في الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب القبائل والايام الكبير : هو اهم كتبه الفه للفتح بن خاقان وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست وقال في وصفه : « رأيت النسخة بعينها عند ابي القاسم ابن أبي الخطاب بن الفرات في طاحي نيف وعشرين جزءاً وكانت تدل على انها نحو من اربعين جزءاً في كل جزء ٢٠٠ ورقة واكثر . ولهذه النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والايام بخط التستري بن علي الوراق في طلحي نحو ١٥ ورقة» لكن هذا الكتاب فقد وانما ذكرناه لاهميته لعل أحدا يعرف وجود شيء منه في بعض المكاتب

٢ مختلف القبائل ومؤتلفها : أو المؤتلف والمختلف في النسب . الغرض منه بيان اسماء القبائل المتشابهة لفظا المختلفة نسباً وضبط لفظها جيدا . وهو جزيل الفائدة مع صغره . طبعه وروستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٥٠

٣ كتاب من نسب الى امه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية رواية عثمان بن جني

٤ كتاب المخبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن النبي والصحابة والخلفاء منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٥ كتاب المغتالين : منه نسخة خطية في جملة كتب زكي باشا . ويسمى ايضاً كتاب من قتل غيلة . وترجمة محمد بن حبيب في الفهرست ١٠٦

٢ — الزبير بن بكار

توفي سنة ٢٥٦ هـ

هو ابو عبد الله الزبير بن بكار ويتصل نسبه بعبد الله بن الزبير بن العوام . كان من أعيان العلماء في المدينة ولد سنه ١٧٢هـ وتولى القضاء في مكة ودخل بغداد مراراً

آخرها سنة ٢٥٣ هـ وتوفي في مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ هـ وكان شاعراً أديباً جليل القدر. بعث المتوكل في طلبه لتأديب ولده وامر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت وعشرة ابغل يحمل عليها رحله الى سر من رأى

ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفا في النسب والوفود والنوادر واخبار الشعراء ونحو ذلك — واليك ما وصل الينا منها :

١ كتاب نسب قريش واخبارهم : منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد (بودليان) وفي كوبرلي بالاستانة

٢ الموفقيات : هي قطع تاريخية ألفها لتلميذه الموفق بن المتوكل في ١٩ جزءاً لم تصلنا منها الا اربعة اجزاء من ١٦—١٩ طبعها ووستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٧٨

وترجمة ابن بكار في ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠

٣ — عمر بن شبة

توفي سنة ٢٦٢ هـ

هو ابو زيد عمر بن شبة ويقال له ابن ربطة النميري لانه كان مولى لبني نمير ولد سنة ١٧٣ هـ ونشأ في البصرة شاعراً اخباريا راوية صادق اللهجة. وتوفي في سر من راى سنة ٢٦٢ هـ وقد الف كتبا كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتابا في وصف البصرة والكوفة ومكة وامرائها وغير ذلك ضاعت كلها الا كتابا وقفنا عليه في المكتبة الخديوية خطا اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ولم يذكر في مؤلفاته بهذا الاسم. وهو يشتمل على اخبار العرب العرباء وشيء من ايامهم وأشعارهم وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم واليمين، واكثر روايته عن ابن نافع وابن اسحق. وهو من قبيل القصص التاريخية. وسنفرد فصلا خاصا بهذا الموضوع فيما يلي من هذا الكتاب

وترجمة ابن شبة في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ والفهرست ١١٢

ويدخل في هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة. وسائر تراجم الشعراء لابن السكري وكتاب المعمرين للسجستاني وقد ذكرت في اماكنها

ثالثاً — التواريخ الخاصة

في العصر العباسي الثاني

ونريد بها تواريخ البلدان والامم والقبائل والطوائف كل منها على حدة كتاريخ دمشق وتاريخ بغداد او قريش أو القبط أو الروم أو نحو ذلك . والتأليف فيها قديم عند العرب حتى قبل الاسلام. فقد ذكر المسعودي ان عدي بن زيد العبادي الف في تاريخ الروم واقتبس المسعودي منه . وقد الف بعضهم في ايام بني امية والف غيرهم في هذا العصر لكن اكثر ما ألفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة وتاريخ واسط لاسلم بن سهل وتاريخ اصفهان ليحيى بن منده وغيرها وهاك اشهر من وصل الينا شيء من تواريخهم الخاصة الى آخر هذا العصر :

١ — الازرقي

اسمه ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الازرقي : له كتاب اخبار ايام مكة . عني بطبعه ووستنفيلد في ليبسك سنه ١٨٥٨ في جملة مجموعة مؤلفة من اربعة اجزاء سماها اخبار مكة استغرق طبعها ٣ سنوات (١٨٥٨—١٨٦١) اهم ما فيها كتاب الازرقي المذكور . ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكهي . ومن شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي . ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهرواني وغيرهم . وهي احسن مجموعة في اخبار مكة الى القرن السادس للهجرة
وترجمة الازرقي في الفهرست ١١٢

٢ — ابن طيفور

توفي سنة ٢٨٠ هـ

هو ابو الفضل احمد بن ابي طاهر واسم ابي طاهر طيفور اصله من ابناء خراسان من أولاد الدولة. ولد في بغداد وكان مؤدب كتاب عاميا ثم اشتغل بالتأليف واشتهر به ونبغ نبوغا عظيما . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتابا لم يبق منها الا النزر اليسير اهمها :

١ تاريخ بغداد . هو اقدم ما وقفنا عليه من تاريخها . ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس استخرجه الدكتور كيلر الالماني من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر

في ليبسك سنة ١٩٠٨ وعلق عليه الملاحظات مع ترجمة المانية . ويحتوي على تاريخ المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من احسن ما نظم أو نثر في العربية الى عصره في بضعة عشر جزءاً. راينا منها ثلاثة اجزاء في المكتبة الخديوية (١١و١٢و١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة . ومنها بضعة اجزاء في لندن

٣ بلاغات النساء : طبع في مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور في معجم الادباء ١٥٢ ج ١ والفهرست ١٤٦

أما الكتب الخاصة بتواريخ الامم فان ابا الحسن المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ الف كتباً جمة ذكر ابن النديم عشرات منها وقد ضاعت كما ضاع سواها من امثالها

وكذلك سير الافراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خمارويه ليوسف ابن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ هـ منه شذرات اقتبسها من أرخ مصر بعده كابن سعيد وغيره

رابعاً — التاريخ العام

في العصر العباسي الثاني

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجا فيه . وكانت التواريخ قبله في مواضيع متفرقة لاغراض مختلفة . فلما اطلع المسلمون على تواريخ الامم الاخرى احبوا ان ينسجوا على منوالها . وزادت في اثناء ذلك علائق المسلمين بسواهم . فاصبح همهم النظر في التاريخ على الاجمال . فأخذوا يؤلفون التواريخ العامة التي تبدأ بالخليقة وتفرق الامم ثم تواريخ تلك الامم . وأهم ما وصلنا منها في هذا العصر خمسة كتب لخمسة من المؤرخين — اليك تراجمهم حسب سنى وفاتهم مع وصف كتبهم :

١ — اليعقوبي

توفي سنة ٢٧٨ هـ

هو احمد بن اي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي وجده من موالي المنصور. وكان رحالة يحب الاسفار . ساح في بلاد الاسلام شرقا وغربا . فكان سنة ٢٦٠ هـ في ارمينية ورحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . والف في سياحته هذه كتاباً سماه كتاب البلدان وهو اقدم كتاب عربي وصل الينا في الموضوع . لم تذكر

السنة التي توفي فيها اليعقوبي ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفي بعد سنة ٢٧٨

وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبي نشره المستشرق هوسما في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين : الاول في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام . وتدخل فيه أخبار الاسرائيلين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة. والثاني في تاريخ الاسلام وينتهي في زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبه حسب الخلفاء . ومن مزاياه فضلا عن قدمه أن مؤلفه شيعيٌّ فيأتي باشياء عن العباسيين يتحاشى سواه ذكرها . وللمستشرقين ابحاث انتقادية في هذا الكتاب

وسنأتي على ذكر كتاب البلدان في باب الجغرافية

٢ — أبو حنيفة الدينوري

توفي سنة ٢٨٢ هـ

هو احمد بن داود من أهل الدينور. أخذ علمه عن البصريين والكوفيين واكثر أخذه عن ابن السكيت . وكان متفنناً فى علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند . فهو يعد من النحاة أو اللغويين أيضاً ولكننا جعلناه من المؤرخين لان أهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » فى التاريخ العام يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب اليعقوبي . لكنه اختصر في التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه فى تاريخ بني امية وخصوصاً أخبار علي ومعاوية والخوارج والازارقة . وينتهي التاريخ المذكور بوفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ وقد طبع في لندن سنة ١٨٨٨ في ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عديدة ضاعت وفي جملتها كتاب في النبات من حيث اللغة لم نقف عليه . ولكن منه قطعاً في كتاب التنبيهات على اغلاط النحاة ونقل عنه المخصص

وترجمة أبي حنيفة الدينوري في معجم الادباء ١٢٣ ج ١ والفهرست ٧٨

٣ — ابن جرير الطبري

توفي سنة ٣١٠ هـ

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري علامة وقته وامام عصره . ولد في آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ورحل فى طلب العلم فجاء بغداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر في بغداد يقرىء الحديث والفقه حتى مات

سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعى ثم اختار لنفسه مذهباً في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب. منهم علي بن عبد العزيز الدولابى ومحمد بن احمد بن ابى الثلج وابن العراد وأبو الحسن احمد بن يحيي المنجم وأبو بكر ابن كامل وغيرهم. وكل منهم الف كتباً في بسط مذهب ابن جرير الطبري ودافع عنه ورد على مخالفيه

واشتهر الطبري بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل . حتى قالوا انه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله فان كتابيه اللذين اشتهر بهما نعني التاريخ والتفسير ذكروا أن كلاً منهما كان في أول الامر ٣٠٠٠٠٠ ورقة أي ٦٠٠٠٠٠ صفحة ثم أشار عليه تلامذته باختصارهما فصارا الى ما هما عليه وقد الف التفسير قبل التاريخ . وكلٌّ منهما مرجع الكتاب في موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لسعة علمه في القرآن وعلومه وباخبار الناس وأيامهم . وكان حرّ الفكر صريح القول اذا اعتقد أمراً جاهر به لايخشى في الحق لومة لائم . فكثر اخصامه من العامة ومن يتزلفون اليهم أو يرتزقون بمرضاتهم ولا سيما الحنابلة لانه الف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل . فقيل له في ذلك فقال: «لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً» فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عداً في بغداد فنقموا عليه واتهموه بالالحاد وشاركهم اكثر العامة — ولو سئلوا عن معنى الالحاد ماعرفوه. وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها أبوه في طبرستان . فلما توفي في شوال سنة ٣١٠ هـ دفن في داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهاراً . والف كتباً ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفاً هذا ما بقي منها :

١ كتاب أخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبري وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٠٢ هـ يدخل في عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة . وقد طبع في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . استغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ — ١٨٩٢ فى ٢٣ جزءاً. وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ١٣ مجلداً. وقد اتبع في أخباره الاسناد الى رواتها بالتسلسل لزيادة التحقيق على عادتهم في ذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق حتى الآن . وتغالى القوم في اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمى صاحب مصر ٢٠ نسخة منها واحدة بخط المؤلف . وكان في دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتأتى اقتناؤه الا

للملوك وأهل الثروة ولما اظلم الشرق في الاجيال الوسطى وخيم الجهل احرقت المكاتب فضاعت نسخه . فلما ارادوا طبعه في لندن لم يجدوا منه نسخة كاملة في مكان واحد فاضطروا الى جمعها من عدة اماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية البلعمي . وترجمه عن ترجمة البلعمي زوتنبرج الى الفرنساوية وطبعت الترجمة في سنة ١٨٧٤ في ٤ مجلدات . وترجم ايضاً بعضه الى اللغة اللاتينية وطبع في غريزوالد سنة ١٨٦٣ وترجم الى التركية وطبع في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عني غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور — منهم عريب بن سعد الكاتب القرطبي الف ذيلا على الطبري ينتهي الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبري في ليدن . ومحمد بن عبد الملك الهمذاني المتوفى سنة ٥٢١ هـ تمم حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ سماه تكملة تاريخ الطبري ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس

٢ التفسير الكبير : سيأتي ذكره في باب التفسير

٣ تهذيب الآثار في الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه في مكتبة كوبرلي

٤ اختلاف الفقهاء : يبحث فيما اختلف فيه الفقهاء الاربعة في بعض الاحكام كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة ومايتفرع عن ذلك طبع بمصر سنة ١٣٢٠

وترجمة الطبري في ابن خلكان ٤٥٦ ج ١ وابن الاثير ٤٩ ج ٨ والفهرست ٢٣٤

٤ — ابو زيد البلخي

توفي سنة ٣٢٢ هـ

هو احمد بن سهل ولد في بلخ ونشأ في العراق وادرك الكندي الفيلسوف واخذ عنه ثم عاد الى بلاده فخدم امراءها . وكان مطلعاً على العلوم القديمة ولذلك اتخذ في مؤلفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر . وكان ذلك سبباً في غضب الوجهاء عليه وبعد ان كانوا يدرون عليه الاعطية قطعوها عنه ونسبوه الى الالحاد شأنهم في كل من يتظاهر بحرية الفكر والقول . ولابي زيد عشرات من المؤلفات في مواضيع مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٨) ضاعت كلها . وقد وصلنا ما لم يذكره الفهرست بل رواه صاحب كشف الظنون او غيره وهو :

١ كتاب البدء والتاريخ : يمتاز عما تقدمه من كتب التاريخ العام بأنه اوسعها جميعاً في اخبار الخليقة وقصص الانبياء واخبار الامم القديمة . وفيه تواريخ الخلفاء الى ايامه . وقد عني بترجمته الى الفرنساوية الاستاذ هيوار المستشرق الفرنساوي

وطبع الاصل والترجمة في شالون سنة ١٩١٠

٢ صور الاقاليم : هو من قبيل الجغرافية وسنذكره بين جغرافي العصر العباسي الثالث لانه قدوتهم في رسم الخرائط

وترجمة ابي زيد البلخي في معجم الادباء ١٤١ ج ١ والفهرست ١٣٨

٥ — ابن البطريق

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

هو افتيخوس سعيد بن البطريق ولد سنة ٢٦٣ في الفسطاط واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ. وخلف من الآثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب «نظم الجوهر» في التاريخ الفه لاخيه عيسى في معرفة التواريخ من عهد آدم الى سني الهجرة وينتهي الى سنة ٣٢١ هـ من الدولة العباسية . وهي السنة التي صار فيها المؤلف بطريركا على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية. وقد طبع كتابه هذه في اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق في مجلدين صفحاتهما نحو ١١٠٠ صفحة . وطبعت قطع منه في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ . وفيه كثير من أخبار النصارى وأعيادهم وذكر البطاركة وأحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب يحيى ابن سعيد بن يحيى الانطاكي بكتاب سماه « تاريخ الذيل » طبعه روزن المستشرق الروسي في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعاليق في اللغة الروسية اضعاف الاصل العربي — فجاء الكتاب المطبوع في نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربي

وترجمة سعيد بن البطريق في طبقات الاطباء ٨٦ ج ٢

وليست هذه كل كتب التاريخ الهامة التي الفت في هذا العصر . فان مئات منها ضاعت واكثرها في اخبار الخلفاء والوزراء والنسب واخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففي مقدمة مروج الذهب اسماء نحو مائة منها استعان بها المسعودي في تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التي اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها وفيما ضاع منها كتب هامة ككتاب التاريخ واخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وغيره من تواريخ الامويين . فان اخبار هذه الدولة ضاعت في ايام بني العباس تزلفاً من الكتاب لاهل الدولة. وبعض الكتب التي ذكرها المسعودي فاتت صاحب الفهرست وقليل منها لا يزال باقياً الى الآن كتاريخ اليعقوبي والطبري

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثاني

اسباب وضع الجغرافية عند العرب

نشأ علم الجغرافية في هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس وعليه معولهم في تقويم البلدان . على أن المسلمين بدأوا بوضع الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها وهي :

أولاً : الحج لان المسلمين على اختلاف بلادهم يحجون الى مكة والحج فريضة على كل مسلم . والقدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل

ثانياً : كان المسلمون يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثاً : ابحاثهم في تحقيق أسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات وهذه أيضاً تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها . فاضطر العرب الى التأليف في البلدان قبل هذا العصر . وأول من فعل ذلك رواة الادب وأصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها أخذوا في تأليف الكتب على مثالها وتوسعوا في ذلك وزادوا عليه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكتبوا ما شاهدوه أو تحققوه وصححوا كثيراً من مغالط بطليموس . على ان علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا في القرن الرابع للهجرة فتهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (أو العصر العباسي الثاني) الذي نحن في صدده مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند أنفسهم لكثرة أسفارهم في سبيل الرحلة أو لاشتغالهم في احصاء خراج المملكة وفي تعيين طرق البريد مما يقتضي معرفة الاماكن وابعادها وجهاتها ويعد ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما الفوه في هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية وغيرها ونسميه « الجغرافية العامة » ومنه ما يختص ببقعة من الارض وندعوه « الجغرافية الخاصة » واليك أقدم من الف في كليهما :

مؤلفو الجغرافية العامة

١ ـ ابن خرداذبه

في أواسط القرن الثالث للهجرة

هو أبو القاسم عبيد الله بن احمد بن خرداذبه . كان خرداذبه مجوسيا واسلم على يد البرامكة. وتولى حفيده أبوالقاسم البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس ونادم المعتمد وخصّ به . والف كتباً في أدب السماع واللهو والملاهي والشراب وجمهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصلنا الا :

كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في أواسط القرن الثالث وقد نشرنا ذلك الاحصاء في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمي عن الجباية والطرق والمسافات. وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ بعناية المستشرق دي غويه مع ترجمة فرنساوية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلا عن تقاسيم المملكة وطول المسافات بين البلاد

وترجمته في الفهرست ١٤٩

٢ ـ قدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء (صفحة ١٧٢) له كتاب الخراج وصنعة الكتابة لم يصلنا منه الا نحو مائة صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلا عن مقادير الجباية لسنة ٢٢٥ هـ طبعت في ليدن مع ترجمة فرنساوية . وقد نشرناها أيضاً في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٥٧ ج ٢)

٣ ـ كتاب البلدان لليعقوبي

قد تقدم ذكر اليعقوبي بين المؤرخين (صفحة ١٩٦) . أما كتاب البلدان فقد جمع فيه ماعرفه بنفسه من أحوال البلدان في عصره لانه عانى الاسفار من صغره وكان كلما رأى رجلاً من تلك البلدان بالمشرق والمغرب سأله عن وطنه ومصره وأحوال أهله وأجناسهم وأكلهم وشربهم ولباسهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح ويدون ما وصل اليه حتى الف كتاب البلدان . فهو من أمهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر. وقد أفاض المؤلف على الخصوص في وصف بغداد كما

كانت في أيامه ووصف سامرا وتاريخها . ثم ذكر بلاد المشرق وهي في اصطلاحهم بلاد فارس شرقي العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٦١ هـ بعناية المستشرق جونبول . وطبع ايضاً في جملة « المكتبة الجغرافية » والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى أواخر القرن الرابع في ثمانية مجلدات وهي :

١ المسالك والممالك لابن خرداذبه وكتاب الخراج لقدامة ٢ كتاب البلدان لابن الفقيه ٣ كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي ٤ مسالك الممالك للاصطخري ٥ المسالك والممالك لابن حوقل ٦ احسن التقاسيم للمقدسي ٧ كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ٨ فهرس ابجدي عمومي

طبعت كلها في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتي ذكر الباقي في اماكنه

٤ — ابن الفقيه

هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمذاني ويعرف بابن الفقيه أحد اهل الادب في أواخر القرن الثالث للهجرة ولا يعرف من امره اكثر من ذلك. ذكروا له عدة كتب وصلنا منها « كتاب البلدان » الفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩ هـ) وصف به الارض والبحار في الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين وما بين النهرين وبلاد الروم وافاض في وصف البصرة والكوفة اما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الا عرضاً . ويقول ابن النديم : « انه أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني » والجيهاني هذا وزير صاحب خراسان كان له كتاب المسالك والممالك ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ في جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه في الفهرست ١٥٤ ومعجم الادباء ٦٣ ج ٢

٥ — ابن رسته

هو ابو علي أحمد بن عمر بن رسته . له كتاب اسمه الاعلاق النفيسة كتبه سنة ٢٩٠ هـ في اصبهان وهو كالموسوعة منها سبعة مجلدات في تقويم البلدان عثروا على نسخة خطية منها في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منها في جملة « المكتبة الجغرافية » وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الارض منها وحجم الارض .

ثم يصفها فيبدأ بمكة والمدينة ويصف البحار والانهار والاقاليم السبعة وخصوصاً ايران وما يليها . وفيه فصل في الاوائل الذين احدثوا الاشياء واقتدى بهم سواهم وآخر في المتشابهين في أحوال شتى والمشتركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوي العاهات. ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥

مؤلفو الجغرافية الخاصة

١ — ابن الحائك

توفي سنة ٣٣٤ هـ

هو ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني من قبيلة همدان باليمن المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات في الفلك والطبيعيات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ صفة جزيرة العرب خاصة : فيها فوائد هامة عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وزراعتها ومعادنها وآثارها مما يعز العثور عليه في سواها . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنري مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعاليق

٢ كتاب الاكليل : ولابن الحائك هذا كتاب جزيل الفائدة في وصف اليمن وآثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة اجزاء يشتمل على عشرة فنون في جملتها ابحاث في القرانات وعلم الطبيعة واحكام النجوم وآراء الاوائل وغير ذلك لم يقف الباحثون الا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعاليق . وقد اقتبسنا كثيرا منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومأرب مما شاهده بنفسه في مكان السد وكيفية توزع المياه

وترجمة ابن الحائك في اخبار الحكماء لابن القفطي ١١٣ ومعجم الادباء ٩ ج ٣

٢ — ابن فضلان

هو احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان انفذه المقتدر العباسي سنة ٣٠٩ هـ الى ملك الصقالبة بمهمة فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى ان عاد اليها وفيها وصف البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهي مطبوعة في بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع ترجمة روسية. ونشرها ياقوت في معجم البلدان في مادة بلغار

٣ ـ سلسلة تواريخ

هو كتاب جزيل الفائدة . ليس هو تاريخاً كما يؤخذ من اسمه وانما هو رحلة أو رحلات في الهند والصين واقصى الشرق لغير واحد من تجار العرب في القرن الثالث للهجرة. أحدهم يدعى سليمان سافر بنفسه الى الهند والصين ووصف ما شاهده وعلمه من أحوال التجارة وبعض أصنافها . والآخر أبو زيد حسن من أهل سيراف أكثر ما ذكره منقول عن تجار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الاقصى حتى بلغوا الصين . وقد التقى أبو زيد هذا بالمسعودي المؤرخ وتبادلا الاخبار كما يظهر مما ذكره في مروج الذهب عن بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما في هذه الرحلة

وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب في تجاراتهم وأسفارهم في القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة فرنساوية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنساوي

٤ — بزرك بن شهريار

صاحب عجائب الهند

هذا أيضاً كتاب هام لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب في القرن الثالث للهجرة وأوائل الرابع من بلاد الشرق الاقصى بين شواطىء بلاد العرب والهند والزنج الى الصين. ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسي لكنه كتب تلك العجائب بالعربية — لغة الادب والسياسة والدين عندهم في أوائل القرن الرابع للهجرة. نقلا عما سمعه من جوّاب البحار واكثرهم من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطىء البحر المحيط . وقد نسب كل قول الى قائله وسماه باسمه وعين السنة التي حدثه بها أو روى وقوع الخبر فيها . ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث في نظر أهل هذا الزمان. لكنه يروي ماسمعه على علاته وفي جملة ذلك أسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من أحكام التاريخ الطبيعي . ولا يطعن ذلك بما يحويه الكتاب من الحقائق لان أهل ذلك العصر معذورون في تصديق مايسمعونه من المبالغات . ولم يكن ذلك خاصاً بالعرب أو الشرقيين بل هو يتناول سائر الامم . وعند الافرنج من أخبار أجيالهم الوسطى ما لا يقل غرابة عن خرافات الف ليلة وليلة . وسنعود الى ذلك في مكان آخر

أما كتاب عجائب الهند الذي نحن في صدده فمنه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا قديمة جداً وعنها نقلت نسخة طبعت في ليدن سنة ١٨٨٦ بعناية المستشرق فان درليت مع ترجمة فرنساوية لمارسل دفيك . وفي هـذه الطبعة أربع صور ملونة منقولة عن مسودّات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل أسفار العرب في البحار لذلك العهد — وهذه صورة سفينة منها

ش ١٠ : سفينة عربية جلس ربانها على دكة الى اليسار ليدير الشراع بالامراس وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان

العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت أن الفقه توطدت قواعده في العصر الماضي والعلوم الدخيلة لاتزال في أول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس. أما في هذا العصر فكانت قد انتشرت الفلسفة والطبيعيات والمنطق فغيرت كثيراً من الآراء وتولدت مذاهب في الفقه لم تكن من قبل وتفرع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام أو التوحيد واليك تاريخ ذلك

علم الكلام أو التوحيد

هو حادث بعد الفقه وسبب وضعه انه ورد في القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل . وقد فسرها صاحب الشريعة الاسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد في القرآن ايضاً آيات أخرى توهم التشبيه مرة في الذات ومرة في الصفات ، ورأى الاولون ذلك الخلاف فغلب في معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة أدلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير أن جماعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه في الذات فاعتقدوا في الله صفات الآدميين كاليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت في بعض الآيات فوقعوا في التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . وأخذوا يكتبون ويقولون اقوالا كثيرة مخالفة لرأي الجمهور . فنهض أهل السنة وهم التابعون لاقوال الصحابة وجاءوا بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعاً لتلك البدع وهو علم الكلام أو التوحيد . وفي أثناء ذلك نقلت كتب اليونان الى العربية فاحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها فانتشرت فلسفة اليونان فى الاسلام وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما ارادوه منها من تقوية الحجة والجدال فيما كانوا فيه . فازداد كل منهم تمسكا بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشاراً عظيما وهي الى ذلك العهد : مذاهب القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والرافضة والقرامطة والباطنية

وما زالت الحال كذلك الى أن ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري فسلك طريقاً وسطاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم . فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين سائر الآراء ووافقه جماعة كبيرة من نخبة علماء تلك الاعصر وهم الاشعرية مما يطول بنا الكلام فيه

علماء الكلام

اقدم من الف في علم الكلام الامام ابو حنفية فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل وقد تقدم ذكره في كلامنا عن مؤلفاته في الفقه صفحة ١٣٩

٢ ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٨١ هـ وكان من الائمة البلغاء المتكلمين وكان يلثغ بالراء لكنه كان لبراعته واقتداره يخاص كلامه من الراء فلا يفطن لذلك احد . ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ٢

٣ ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٥هـ وكان شيخ البصريين في الاعتزال وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الاستعمال للادلة . ومما يروى عنه من هـذا القبيل انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له ابو الهذيل : « لا أعرف لجزعك عليه وجها اذا كان الانسان عندك كالزرع » قال صالح : «يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال له: « كتاب الشكوك ما هو ياصالح» قال: «هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان » فقال ابو الهذيل:«فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك ايضا في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٤ ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي: توفي سنة ٣٠٣هـ وكان امام المتكلمين في عصره اخذ علم الكلام عن ابي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة وله مقالات في مذاهب العلماء . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج١

٥ ابو الحسن الاشعري : توفي ببغداد سنة ٣٣٣ هـ سمع زكريا الساجي وابا خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري . وروى عنهم في تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج امه ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من ائمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ونادى باعلى صوته : «من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني اعرفه بنفسي انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالابصار وان افعال الشر انا افعلها، وانا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم » وأخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق ابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب

القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفاً منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلداً وغيرها وأكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهماً . وكانت فيه دعابة ومزح كثير . قال مسعود ابن شيبة في كتاب التعليم كان حنفي المذهب معتزليّ الكلام لانه كان ربيب أبي عليّ الجبائي وهو الذي رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب انه كان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور وقال أبو بكر بن الصيرفي « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعري فجزهم في اقماع السماسم »

العقيدة الاشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وان صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لا هي هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد . وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازليّ فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمته في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ والمقريزي ٣٥٩ ج ٢

وهناك طائفة من المتكلمين أغضينا عن ذكرهم على ان بعضهم سيأتي ذكره في الابواب الاخرى

الحديث

في العصر العباسي الثاني

اصحاب الكتب الستة

في هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة وهي عمدة المحدثين . واصحابها ثقة حتى الآن وهاك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ — البخاري

توفي سنة ٢٦٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل البخاري ولد في بخارا سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ كان مغرماً في طلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية وهو صاحب كتاب « جامع الصحيح » المشهور بصحيح البخاري أول الكتب الستة في الحديث وأفضلها على المذهب المختار وفي شهرته غنى عن وصفه. طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٩ هـ وطبع بالحروف بمصر مراراً. وله شروح كثيرة بعضها مطبوع منها شرح العيني طبع بمصر في ١١ مجلداً وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة في أزمنة مختلفة

وللبخاري كتاب خلق أفعال العباد مطبوع في دهلي بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم للذهبي . وله كتاب الادب خط في كتب الشنقيطي

وترجمة البخاري في ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ والفهرست ٢٣٠

٢ — مسلم القشيري

توفي سنة ٢٦١ هـ

هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . توفي سنة ٢٦١ هـ في نيسابور وكان من الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث وألف فيه كتابا سماه « الجامع الصحيح » منه نسخ عديدة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع في الهند سنة ١٢٦٥ وفي مصر في تسعة أجزاء

وترجمة القشيري في ابن خلكان ٩١ ج ٢ والفهرست ٢٣١

٣ — ابن ماجه

توفي سنة ٢٧٣ هـ

هو محمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كان اماماً في الحديث عارفا بعلومه ارتحل في طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر وألف فيه كتاب « السنن » منه في المكتبة الخديوية بضع نسخ خطية كتبت في أزمنة مختلفة وطبع في دهلي على الحجر سنة ١٢٨٢ وبمصر سنة ١٣١٣ ويعرف بسنن ابن ماجه

وترجمته في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٤ — أبو داود

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو داود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني المتوفي في البصرة سنة ٢٧٥ هـ وكان أحد حفاظ الحديث ألف كتاباً في الحديث سماه «السنن» وتعرف بسنن الامام أبي داود . طبع في مصر سنة ١٢٨٠ هـ وفي لكناو الهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس ابجدي . وفي غيرها . وترجمته في ابن خلكان ٢١٤ ج ١

٥ — الترمذي

توفي سنة ٢٧٩ هـ

هو الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذي الضرير له كتاب «الجامع الصحيح» منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ هـ وله شروح كثيرة . وترجمة الترمذي في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٦ — النسائي

توفي سنة ٣٠٣ هـ

هو أبو عبد الرحمن احمد بن علي النسائي . توفي بمكة سنة ٣٠٣ هـ وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه طبع بمصر في مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها

وترجمته في ابن خلكان ٢١ ج ١

وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن لا بأس بها . منها سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٢٥٥ هـ طبع في كنبور الهند سنة ١٢٩٣

التفسير

التفسير الكبير للطبري

ونضج في هذا العصر أيضاً علم التفسير فظهر فيه التفسير الكبير لابي جعفر بن جرير الطبري ويسمى جامع البيان في تفسير القرآن جمع فيه أقوال الصحابة والتابعين. ويمتاز بان صاحبه يبين فيه ترجيح بعض الاقوال على البعض. طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في ٣١ جزءاً وهو من أجل التفاسير وله قيمة خصوصية لسبقه سواه . وفيه كثير من الفوائد التاريخية والادبية واللغوية فضلاً عن التفسير . وقد ترجمنا الطبري في باب التاريخ

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثاني

أولاً — الفلسفة والرياضيات

قد رأيت ان المشتغلين في نقل العلم بالعصر العباسي الاول كان أكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم في العربية اشتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . وأقدم من اشتهر من الفلاسفة المسلمين في هذا العصر وأكبرهم وأسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي يليه الفارابي :

١ — يعقوب الكندي

في أواسط القرن الثالث

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ويتصل نسبه بملوك كندة فهو عربي بحت ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصراً للمأمون والمعتصم الى المتوكل وله عندهم منزلة سامية. وقد برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والالحان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم — نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره . و حذا في تآليفه حذو ارسطو وله ترجمات عديدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق التراجمة ولم يذكر بينهم لانه لم يرتزق بالترجمة . وقد ألف الكندي في معظم العلوم الدخيلة كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست واليك عددها باعتبار العلوم : —

في الفلسفة	٢٢	كتاباً	في الطبيعيات الخ	٣٣	كتاباً
« الحساب	١١	«	« الكريات	٨	كتب
« النجوم	١٩	«	« المنطق	٩	«
« الهندسة	٢٣	«	« الموسيقى	٧	«
« الفلكيات	١٦	«	« الاحكام	١٠	«
« الطب	٢٢	«	« النفس	٥	«
« الجدل	١٧	«	« الابعاد	٨	«
« السياسة	١٢	«	« تقدمة المعرفة	٥	«
« الاحداث	١٤	«	المجموع كله	٢٣١	كتاباً

ويؤخذ من مراجعة أسماء هذه الكتب أن الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد أصحابها . وأكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا : ١ كتاب في الاهيات ارسطو ٢ رسالة في الموسيقى وكلاهما موجودان في مكتبة برلين ٣ رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة في مكتبة منشن ولها ترجمة لاتينية مطبوعة ٤ في المد والجزر ٥ علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو في جهة السماء وكلاهما في اكسفورد ٦ ذات الشعبتين آلة فلكية في ليدن ٧ اختيارات الايام في ليدن ٨ مقالة تحاويل السنين في الاسكوريال . وغيرها

وترجمة الكندي في الفهرست ٢٥٥ وأخبار الحكماء لابن القفطي ٢٤٠ وطبقات الاطباء ٢٠٦ ج ١

٢ — أبو النصر الفارابي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

ويلي الكندي أبو النصر الفارابي واسمه محمد بن طرخان . أصله من فاراب لكنه فارسي المنتسب نشأ في الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفاً كاملا درس كل ما درسه الكندي من العلوم وفاقه في كثير منها وخصوصاً في المنطق وتعمق في الفلسفة والتحايل وأنحاء التعاليم وأفاد وجوه الانتفاع بها . وألف كتباً في مواضيع لم يسبقه أحد اليها ككتابه في احصاء العلوم الآتي ذكره وكتاب «السياسة المدنية» وهو من قبيل الاقتصاد السياسي الذي يزعم أهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم وقد كتب فيه الفارابي منذ ألف سنة . ثم كتب فيه غيرهما كما ستراه مفصلا في ما يلي . وبرع الفارابي خصوصاً في فن الموسيقى حتى أصبح لا يضاهيه فيه أحد واخترع القانون كما سيأتي في باب الموسيقى. وأصلح ما بقي من الترجمات غير مصلح ولخصها — أوعز اليه بذلك منصور بن نوح الساماني فاجاب وسمى كتابه « التعليم الثاني » ولذلك سموه « المعلم الثاني » [1]

ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتاباً في المنطق متفرقة في مكاتب اوربا بعضها منقول الى اللاتينية أو العبرانية أكثرها في الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع في البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات في السياسة والادب منها :

(١) كشف الظنون ٤٤٨ ج ١

١ كتاب مبادي أراء أهل المدينة الفاضلة طبعها ديتريشي في ليدن سنة ١٨٩٥

٢ كتاب احصاء العلوم والتعريف باغراضها المتقدم ذكره وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم منه نسخة خطية في الاسكوريال وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عد الفارابي من مؤسسي الموسوعات العربية وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخو في بيروت سنة ١٩٠٢

وله ٩ كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى متفرقة في مكاتب أوربا والاستانة مع ترجماتها العبرانية أو اللاتينية

و٩ كتب أخرى في مواضيع مختلفة . ومثلها على ارسطو في ابحاث مفيدة. وقد وصف هذه البقايا وذكر أماكن وجودها بروكلمن في كتابه [1] فليراجعها من شاء وترجمته في ابن خلكان ٧٦ ج ٢ وطبقات الاطباء ١٣٤ ج ٢ وأخبار الحكماء ١٨٢

٣ — ابن أبي الربيع وسلوك المالك

واطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف «شهاب الدين احمد بن محمد بن أبي الربيع» . وقد جاء في أوله انه ألف للخليفة المعتصم بالله العباسي المتوفي (سنة ٢٢٧) فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب أقدم من الكندي والفارابي. ولكن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على انه وضع بعد ذلك التاريخ لانه مرتب على شكل المشجر في أسلوب يدل على وضوح الافكار في ذهن مؤلفه مما لا يتأتى الا بعد نضج العلم نضجاً تاماً . وزد على ذلك أن اسم شهاب الدين من الاسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الاتراك في الدولة . وفي كتاب الفهرست مئات من أسماء المؤلفين ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف . وهذا تاريخ ابن الاثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل أن يتفرد رجل بهذا الاسم في أول القرن الثالث — ولكل عصر أسماء وألقاب تابعة لاحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان « المستعصم » توفي سنة ٦٥٦ هـ) فقرىء « المعتصم » وكثيراً ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه وانما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف

(١) Gesch. des Ar. Lit. I. 211

أما الكتاب فانه جزيل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسوم الى أربعة فصول ١ مقدمة الكتاب ٢ أحكام الاخلاق وأقسامها ٣ أصناف السيرة العقلية وانتظامها ٤ أقسام السياسيات وأحكامها . وكل من هذه الفصول مقسوم الى ابواب ترتبت فيها الافكار أو الاحكام بشكل جداول أو مشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليمكن تصوير تلك المشجرات. وهذا مثال منه

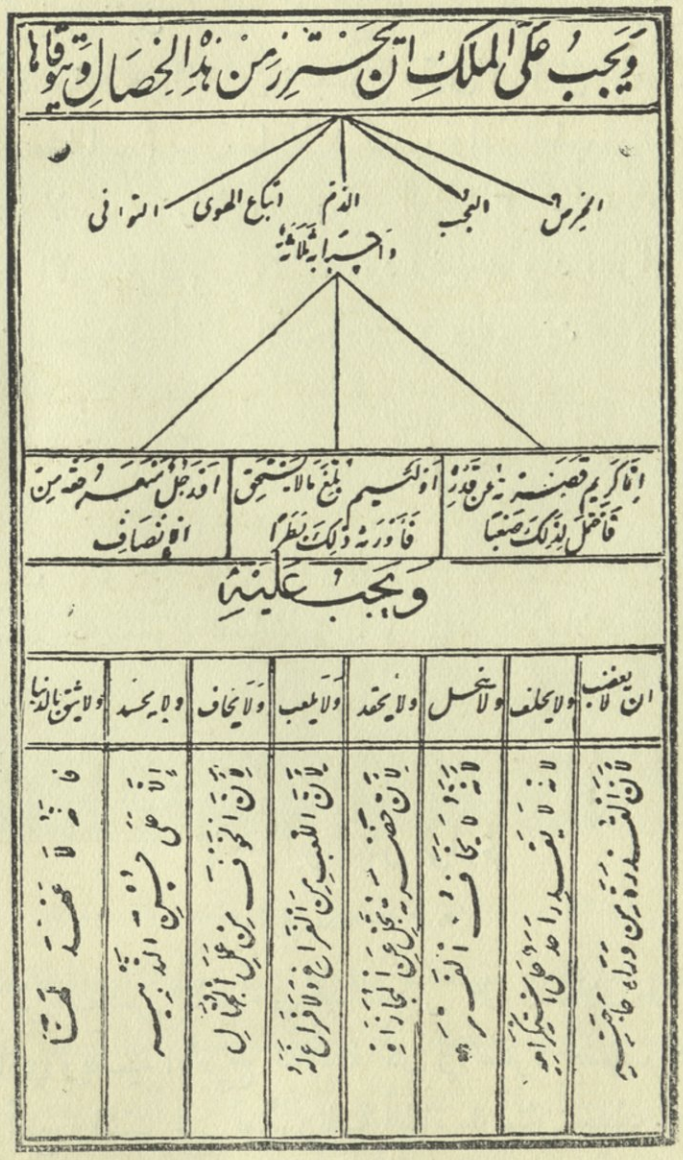

ش ١١ : صفحة من كتاب سلوك المالك

ثانياً — الطب والاطباء

ونبغ في هذا العصر أيضاً طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم هاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

١ — ابن ماسويه

توفي سنة ٢٤٣ هـ

هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه كان أبوه صيدلياً في مارستان جندي سابور وتثقف في بغداد بعناية جبرائيل بن بختيشوع وترقى في زمن المأمون والواثق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا ١ كتاب نوادر الطب في ليدن والاسكوريال وغوطا وله ترجمة لاتينية وشروح ٢ جواهر الطب ٣ كتاب ماء الشعير في مكتبة جزائر الغرب ٤ الادوية السهلة في اكسفورد وغيرها. وقد نشرنا رسمه مع المترجمين

وترجمة ابن ماسويه في أخبار الحكماء ٢٤٨ والفهرست ٢٩٥ وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١

٢ — ابن سهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جندي سابور توفي سنة ٢٥٥ هـ وله كتاب الاقراباذين الكبير كان معول الصيادلة في أثناء التمدن الاسلامي . منه نسخة خطية في منشن

وترجمته في طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ وتراجم الحكماء ١٤١

٣ — أبو بكر الرازي

توفي سنة ٣٢٠ هـ

هو أشهر من نبغ من الاطباء في هذا العصر على الاطلاق واسمه أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي ويسميه الافرنج Razès كان في صغره يضرب على العود وتلقى العلم على كبر وأفلح واشتهر حتى تولى رئاسة أطباء مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم أو يؤلفه من الكتب وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفاً من العلوم الطبية في عصره ومن أمثالهم « ان الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فكمله ابن سينا »

وكان الرازي يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ دونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ

آخرون. فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم فان أصابوا والا تكلم الرازي. وكان كبير الراس مسفطه جليل الطلعة يتهيب الناس مجلسه لولا رطوبة كانت في عينيه . وكان كريماً متفضلا رؤوفاً بالمرضى دقيق الملاحظة صحيح النظر، ويروون عن ذكائه وإصابته نوادر كثيرة لا محل لها هنا

وكان أكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم وخدم بصناعته الاكابر ملوكها وأمرائها وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري ألفه للأمير منصور من آل سامان وكتاب الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان وسنعود اليها

وكان الرازي مولعاً بالعلوم الحكمية وله فيها مصنفات نفيسة وخصوصاً علم

ش ١٢ : ابو بكر الرازي في معمله يشتغل بالكيمياء

الكيمياء وما يتعلق بها وله اكتشافات كيماوية أهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك) والكحول استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد واسمها في العربية الزاج الاخضر فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج. ولا تزال طريقة الرازي من طرق استحضار هذا الحامض الى اليوم . أما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة وألف الرازي في الكيمياء كتباً كثيرة ولم يكن يعتقد ما يعتقده أهل زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد

أهله التماساً للمال . لكن ذلك ألحق به الاذى لان منصور الساماني المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع فغضب عليه وأمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سبباً في نزول الماء على عينيه . وجاءه قداح يقدحهما وهي عملية الكتركتا الآن فسأله الرازي « كم طبقة للعين؟» فقال «لا أعلم» فقال: «لا يقدح عينيّ من لا يعلم ذلك » ثم قال : « قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عينين »

توفي سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ

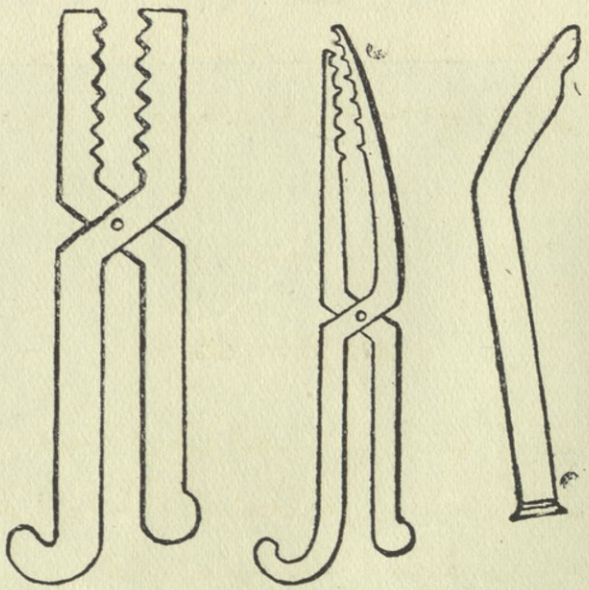

ش ١٣ : آلات قلع الاسنان في ذلك العصر

وخلف الرازي أكثر من مائتي مؤلف لايزال باقياً منها الى الآن بضعة وعشرون مؤلفاً يطول بنا وصفها وانما نذكر أهمها وهي :

١ كتاب الحاوي : وهو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب جمع فيه ما وجده متفرقاً من ذكر الامراض ومداواتها في كتب الطب المتقدمين ومن أتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني وأخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب اوكسفورد والاسكوريال . وقد نقل الى اللاتينية نقله فراغوت وطبع مرتين وقد اختصره غير واحد

٢ كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه . ومنه نسخة في المكتبة الاهلية بباريس وفي مكاتب اوكسفورد ودرسدن واسكوريال وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الكريموني وطبع فيها

٣ كتاب الجدري والحصبة: وهو أول من وصف هذين الداءين حق الوصف وقد ترجم كتابه الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها كلها

٤ كتاب الفصول فى الطب : ويقال له المرشد نقل الى العبرانية ويوجد في ليدن ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤

٥ كتاب الكافي : ترجم الى العبرانية وهو موجود فى مكتبة اوكسفورد

٦ كتاب برء الساعة : يوجد في برلين وغيرها ونشره الدكتور كيك في مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦

٧ كتاب الطب الملوكي : يوجد خطاً في مكتبة ليدن

وقد ترجمنا الرازي ووصفنا كتبه الباقية في الهلال ٣٩٧ سنة ١٨ وتجد ترجمته أيضاً في ابن خلكان ٧٨ ج ٢ وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ والفهرست ٢٩٩ وأخبار الحكماء لابن القفطي ١٧٨

ثالثاً — الزراعة

ومن العلوم التي نضجت في هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها أهل الاجيال المتأخرة علم الزراعة أو الفلاحة. وهو في الاصل منقول عن الكلدانية نقله احمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ في كتاب سماه « الفلاحة النبطية » أملاه سنة ٣١٨ هـ على علي بن محمد بن الزيات وجعله في خمسة أجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر والمكتبة الخديوية . ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني وطبعت في بطرسبورج سنة ١٨٥٩ وله كتب في النجامة منها نسخ في مكاتب اوربا لا فائدة من ذكرها

ولقسطا بن لوقا الطبيب النصراني البعلبكي المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٣

العصر العباسي الثالث

أو المائة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ هـ الى سنة ٤٤٧ هـ

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الاول انه عصر الاسلام الذهبي ونعني انه عصرها الذهبي من حيث منعة الدولة واتساع السلطان وفيه نقلت العلوم القديمة الى العربية . وأما عصر الاسلام الذهبي للعلم خاصة فهو العصر الذي نحن في صدده أو المائة الثالثة للدولة العباسية . لان فيه نضجت العلوم على اختلاف مواضيعها وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في أكثرها . ولا سيما في اللغة وعلومها وفي التاريخ والجغرافية والادب والطب والفلسفة ولذلك أسباب اجتماعية طبيعية سيأتي بيانها . وتقدم الكلام في مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم في المدائن الاسلامية

رأيت فيما تقدم أن العلوم الاسلامية نشأ معظمها في البصرة والكوفة ثم تحولت الى بغداد بعد استبحار عمرانها في العصر العباسي الثاني. فاصبحت بغداد في ذلك العصر كعبة العلم وحج العلماء كما كانت رومية في ابان التمدن الروماني . حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الاتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد نفر الناس وتباعدت القلوب . ولكن المعتصم كان على مذهب أخيه المأمون في الاعتزال واكرام الشيعة فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه في أيام المأمون . وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم العقلية والسمعية في جميع الفروع

فلما توفي الواثق سنة ٢٣٣ هـ خلفه أخوه جعفر المتوكل وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه . وكان كثير الاستهزاء بعلي يجالس من اشتهر ببغضه . وخالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد . فابطل القول بخلق القرآن ونهى

عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه . وأمر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث . فانحط علم الكلام بعد أن بلغ رونقه في أيام الرشيد وخلفائه فاخذ في التقهقر في أيام المتوكل لانه كان شديد الوطأة على أصحاب الرأي وأصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة . وأخذ منذ تولى الخلافة في مناوأتهم فاهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله. ولاقى أهل الذمة منه الشدائد بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم . ومن أشهر حوادث نقمته على خدمة العلم انه غضب على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين وقتل ابن السكيت النحوي كما تقدم . وسخط على عمر بن مصرح الراجحي وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالاً وجواهر وأمر أن يصفع في كل يوم

ومات المتوكل مقتولا سنة ٢٤٧ هـ قتله رجاله فاضطربت أحوال الخلافة واستفحل شأن الاتراك . فنفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب فتفرقوا من بغداد رويداً رويداً الى أنحاء المملكة الاسلامية شرقاً وغرباً. ولذلك كان أكثر من ظهر من العلماء بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة فما بعده نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والمتكلمون وأصحاب المنطق والفقهاء واللغويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعيات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندرية ثم انتقل في أيام عمر بن عبد العزيز في آخر القرن الاول للهجرة الى انطاكية . والعلوم الاسلامية انتقلت من البصرة والكوفة الى بغداد . وانضمت اليها العلوم الدخيلة فاصبحت بغداد أم المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية والنقلية . فلما اضطربت أحوال الخلافة في أيام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في أنحاء المملكة الاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز كثيرة قد يتفاضل بعضها على بعض. وتدرَّج الانتقال من بغداد شرقاً الى العراق العجمي فخراسان فما وراء النهر . وغرباً الى الشام ومصر فالمغرب فالاندلس

فأقبل العصر العباسي الثالث وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الاسلامية من أقصى تركستان في الشرق الى أقصى الاندلس في الغرب . ويدخل في ذلك ما وراء النهر وأفغانستان وطبرستان وخوارزم وفارس وما

بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها

وزاد انتساب العلماء الى مواطنهم فكثرت أسماء البخاري والنيسابوري والرازي والبغدادي والاندلسي. بعد أن كان أكثر انتسابهم الى أصولهم كالحميري والمازني والقرشي والفارسي ونحوها . أو الى صنائعهم كالنحاس والزجاج

أسباب النهضة في هذا العصر

حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر العباسي الثاني فتور على أثر البحران السياسي الذي أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بانفسهم عن تنشيط العلم . فكانت المائة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون اغراس العلم فاقبلت المائة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهي النهضة الثانية في الدولة العباسية . والفاعل الرئيسي في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضي ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع في آجال معينة — فالعلوم الاسلامية ولد أكثرها فى البصرة والكوفة ونمت فى بغداد . فلما تم نموها وأدركت رشدها كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو فى فروع تلك الدولة أو من تغلب عليها من الدول الخارجية . وتعددت الدول التي اقتسمت السلطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين فى العراق . وقد فصلنا ذلك فى الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . فنكتفي هنا بالدول التي تعاونت على النهضة العلمية فى ذلك العصر وهي :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الاندلس	من سنة ١٣٨ — ٤٢٢	عربي
السامانية	وراء النهر	« ٢٦١ — ٣٨٩	فارسي
الزيارية	جرجان	« ٣١٦ — ٤٣٤	«
الحمدانية	بين النهرين وحلب	« ٣١٧ — ٣٩٤	عربي
البويهية	العراق وفارس وغيرهما	« ٣٢٠ — ٤٤٧	فارسي
الغزنوية	افغانستان والهند	« ٣٥١ — ٥٨٢	تركي
الفاطمية	مصر	« ٣٥٧ — ٥٦٧	عربي

رغبة الامراء في العلم

فهذه الدول تعاصرت فى العصر العباسي الثالث وكان لها تأثير عظيم فى احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها أو أمرائها أو وزرائها من محبي العلم الآخذين بناصر العلماء — والناس على دين ملوكهم — واذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم فى ملوكهم والملك فى علمائهم . لان العلم لا يورق ولا يثمر الا فى ظل ملك أو أمير يتعهده ويأخذ بأيدي أصحابه

لذلك زها الادب في زمن عبد الملك بالعصر الاموي وفى زمن الرشيد والمأمون فى العصر العباسي الاول . ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة فى العصر الذي نحن في شأنه . وهو فى هذا العصر أكثر ثمراً وأصح انتاجاً لان العاملين على تعهده تكاثروا . وبعد أن كان نصيره الخليفة أو وزيره أو بعض عماله فى بلد واحد أصبح نصراؤه فى هذا العصر عدة ملوك وأمراء ووزراء فى أشهر مدائن العالم الاسلامي . وقد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك والديلم والروم وغيرهم ممن تعرب أو انخرط في الاسلام من أمم الشرق والغرب . وأخذ الناس يتسابقون فى خدمة العلم كما يتسابق ملوكهم في نصرة العلماء . وهاك أشهر أنصار العلم فى ذلك العصر من الملوك أو الامراء أو الوزراء فى الدول التي تقدم ذكرها :

الدول التى ساعدت على هذه النهضة

١ — الدولة البويهية في العراق وفارس

رجال هذه الدوله وأنصارها الديلم من الجيلان وراء خراسان . ولكن ملوكها آل بويه من الفرس ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء وانما سموا ديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون فى نشر دعوتهم هناك من أيام الرشيد ، وآخر من نجح في ذلك الحسن بن علي الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه في أواخر القرن الثالث فاجابوه

وجدُّ آل بويه الاقرب الذي أسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه أبو شجاع كان له ثلاثة أولاد هم : علي ويلقب عماد الدولة . وحسن ويلقب ركن الدولة . وأحمد ويلقب معز الدولة . وكان بويه رقيق الحال فانتظم أولاده بالجندية لانها كانت يومئذ

باباً من أبواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة في خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاه الكرج ثم اتسعت أحواله فكتب الى الخليفة العباسي وهو يومئذ الراضي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ أن يقاطعه على أعمال فارس بمال يحمله الى دار الخلافة على جاري عادتهم مع الدولة العباسية في ذلك العهد . فاجابه الراضي وبعث اليه بالخلعة . وأخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم. وجاء الاخوان واتحدا مع أخيهما الثالث معز الدولة في شيراز وساروا غرباً حتى أتوا بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم الالقاب المذكورة . وجعل معز الدولة أمير الامراء . فاستبدوا في المملكة واستولوا على الخلافة وعزلوا الخلفاء وولوهم فرفعوا منار الشيعة وأحيوا معالمها وأضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال في بغداد . ولما أفضت إمارة الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك وهو أول من خوطب بهذا اللقب في الاسلام

وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ وكانوا يحبون العلم والادب ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب . فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزرائهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم كابن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن اردشير المهلبي . فضلا عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على أن ملوك آل بويه أنفسهم اشتهر منهم غير واحد في الادب والشعر أشهرهم في ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ كان أوسعهم سلطاناً وأقواهم سطوة . وكان مشاركا في عدة فنون من الادب فقرب اليه العلماء والكتاب وأحسن وفادتهم واستحثهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب فألف له أبو اسحق الصابي كتاباً في أخبار آل بويه سماه الناجي وألف له أبو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو . وقصده فحول الشعراء في عصره كالمتنبي والسلامي وغيرهما وكان مجلسه لا يخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شغفه بالشعر تمنى أن يكون المصلوب بدل ابن بقية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات لعمرك تلك احدى المعجزات [1]

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر (ج ٢) أمثلة من نظمه . ومن نكاته الادبية أن افتكين التركي صاحب دمشق كتب اليه «ان الشام

(١) ابن خلكان ٦٣ ج ٢

قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قوّيتني بالاموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم » فكتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة في الخط لا تقرا الا بعد الشكل والنقط والضبط وهي « غرّك عزّك فصار قصار ذلك دلك فاخش فاحش فعلك فعلّك بهذا تهدا » والبيمارستان في بغداد ينسب اليه

وكان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة شاعراً (سنة ٣٥٦ — ٣٦٧) وكذلك تاج الدولة بن عضد الدولة وهو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم . وكان يلي الاهواز فادركته حرفة الادب فادت الى نكبته . وكذلك أبو العباس خسرو ابن فيروز بن ركن الدولة . وتجد أمثلة من أشعارهم في الجزء الثاني من يتيمة الدهر للثعالبي مؤرخ أدباء ذلك العصر

على أن تأثيرهم في هذه النهضة يتوقف بالاكثر على أخذهم بناصر الادباء والعلماء وكانوا شديدي الرغبة في ذلك . فركن الدولة بن بويه في الري وهمذان واصبهان (سنة ٣٢٠ — ٣٦٦) استوزر ابن العميد الكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد مقصداً للشعراء والادباء وأهل العلم كما سترى. وبهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق والاهواز (سنة ٣٧٩ — ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير فانشأ هذا الوزير في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس — قال يا قوت : « لم يكن في الدنيا أحسن كتب منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة » وكان سابور أيضاً شاعراً

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ — ٣٥٦) استوزر الحسن المهلبي المتوفى سنة ٣٥٢ هـ وكان المهلبي شاعراً اديباً وهو صاحب الابيات المشهورة التي أولها :

ألا موت يباع فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

قاله وهو في أشد الضيق قبل الوزارة

وأكثر وزراء هذه الدولة تأثيراً في هذه النهضة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزر لفخر الدولة أخيه . وكان شاعراً عالماً كاتباً وسنترجمه على حدة وكان يجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره . وكان عظيم المنزلة عند فخر الدولة لا يرد له طلب — فكم يكون تأثيره في احياء معالم الادب ؟ وكان له عشرات من أهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يفدون عليه . وبالجملة فان البويهيين كانوا يختارون وزراءهم وعمالهم حتى كتابهم من الادباء ويتعاونون على نصرة الادب

٢ — الدولة السامانية في تركستان

رأس هذه الدولة سامان من أشراف بلخ انشأ اعقابه دولة عظيمة في خراسان وتركستان . وزهت في أيامهم بخارا فكانت مجتمع الادباء والعلماء والشعراء. واشتهرت نيسابور وفيها انشئت أقدم المدارس الاسلامية [١] وتوالى في الدولة السامانية عشرة ملوك من سنة ٢٦١ — ٣٨٩ اشتهر غير واحد منهم بنصرة العلم . فمنهم منصور بن نوح (سنة ٣٥٠ — ٣٦٦) كان محباً للعلم والعلماء فاستوزر البلعمي العالم الفارسي فترجم له تاريخ الطبري الى اللغة الفارسية كما تقدم في ترجمة الطبري

وخلفه ابنه نوح بن منصور (سنة ٣٦٦ — ٣٨٧) من محبي العلم وأهله . كان مجلسه مجتمع الشعراء وهو أول من اقترح نظم الشاهنامة (الياذة الفرس) في الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيقي فنظم له بعضها ثم قتل فاتمها الفردوسي بعده باشارة السلطان محمود الغزنوي كما سيجيء . وكان نوح رغابا في استخدام رجال العلم . فلما سمع بشهرة الصاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سراً يستدعيه الى بخارا ليفوض اليه وزارته وتدبير أمر مملكته . فاعتذر الصاحب عن ذلك بانه يحتاج لنقل كتبه الى ٤٠٠ جمل — ولعل له عذراً آخر كتمه . وكان نوح هذا شديد الحرص على الكتب راغباً في اقتنائها فجمع مكتبة كبيرة حوت أهم المؤلفات في كل علم من الادب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة . ذكرها ابن سينا فيحديثه عن صبوته . وقال انه استفاد منها وان منها كتباً نادرة الوجود

ومن أبناء الدولة السامانية منصور السامانى لم يحكم لكنه كان يحب العلماء فالف له أبو بكر الرازي كتاب المنصوري في الطب كما تقدم . وبالجملة كانت بخارا مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع أفراد الزمان من الادباء والعلماء والفضلاء

٣ — الدولة الزيارية في طبرستان

كان مقر هذه الدولة في جرجان بطبرستان أول ملوكها مرداويج بن زيار تولى الملك سنة ٣١٦ هـ وأشهرهم بنصرة العلماء شمس المعالي قابوس بن وشمكير (سنة ٣٦٦ — ٤٠٣) وكان شاعراً أديباً كاتباً من أبلغ كتاب العربية وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد الف في العربية رسالة في الاسطرلاب أطنب أبو اسحق

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ٢٠٠ ج ٣

الصابي في مدحها . ومن شعره الابيات المشهورة التي مطلعها .

قل للذى بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر الامن له خطر
اما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقر باقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف الاالشمس والقمر

وذكر له صاحب يتيمة الدهر امثلة من الانشاء البليغ وكان يراسل الصاحب بن عباد. ووزيره ابو العباس الغانمي يراسل ابا نصر العتبي مؤرخ السلطان محمود الغزنوي

٤ — الدولة الغزنوية بافغانستان والهند

ش ١٤ السلطان محمود الغزنوي

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك أولهم ألبتجين تولى سنة ٣٥١ هـ لكن اشهرهم وأعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ — ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة في الهند وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة. فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها سنة ٣٨٩ هـ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتدت سلطته على افغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالي الهند . وورث ماكان هنالك من أسباب الادب والعلم . وأصبح مجلسه آهلا بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك العصر . فاقترح عليهم اتمام الشاهنامة التي بدأ بنظمها الدقيقي كما تقدم . فاتمها الفردوسي وقد نظم معظمها — ولذلك فهي تنسب اليه

وكان محمود لايسمع بعالم أو شاعر الا استقدمه اليه . فعلم أن في مجلس مأمون ابن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم الفلاسفة في جملتهم ابن سينا الطبيب والبيروني الرياضي المؤرخ وأبوسهل المسيحي الفيلسوف وأبو الحسن الخمار الطبيب

وابو نصر العراق الرياضي وغيرهم . فتاقت نفسه الى احرازهم في مجلسه فكتب الى مأمون كتابا أرسله مع بعض خاصته : « علمت أن في مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فارسلهم الى ليتشرفوا بمجلسي ونستفيد من علمهم » فلم يكن للامير أن يرد الطلب لكنه كان حريصاً على أولئك الاعلام فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر بأنه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيروني والخمار والعراق بالذهاب طمعاً بسخاء السلطان . وفر ابن سينا والمسيحي في حديث طويل لا محل له هنا (١) وانما أردنا بيان رغبة السلطان محمود بتقريب العلماء . وإن لم تكن رغبته لمجرد حب العلم . فان استدناء اهل العلم والادب واكرامهم كان في نظر أهل ذلك العصر من أسباب الابهة وأدلة الحضارة

٥ — الدولة الحمدانية في حلب والموصل

هي دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل . جدها حمدان كان له شأن كبير باخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين فاخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى أخوه أبو الهيجاء بن حمدان أميراً على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين وصاروا دولة حكم منها اربعة امراء في الموصل وخمسة في حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

اشهرهم في نصرة العلم والادب سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ — ٣٥٦) ممدوح المتنبي. وكان سيف الدولة أديباً شاعراً نقاداً للشعر يحب جيده ويطرب لسماعه . وفي شعره صبغة التشبيهات الملوكية كقوله :

وساق صبيح للصبوح دعوته فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفا على الجو دكناً والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باصفر على احمر في أخضر تحت مبيض
كاذيال خود اقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من شعره وأخباره (٨ ج ١) وكان يقرب الشعراء وأهل الادب حتى قيل إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما

(١) Browne; Lit. Hist. of Persia II.96

اجتمع ببابه من شيوخ الشعر . وكان يجالس الشعراء وينتقد اشعارهم نقداً يدل على شاعرية وعلم ويبذل لهم الجوائز السنية . وأخباره مع المتنبي مشهورة وكذلك مع السمري الرفاء والنامى والببغاء والواواء وتلك الطبقة

واشتهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء اشعرهم ابو فراس الحمدانى الشهير وسيأتى ذكره . ومنهم ابو زهير وابو وائل وغيرهما . كما اشتهر منصور واحمد ابنا كيغلغ من امراء الشام

٦ – الدولة المروانية بالاندلس

وكانت الاندلس في هذا العصر في ابان مجدها في ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ — ٣٥٠)وابنه الحكم (٣٥٠ — ٣٦٦) وهما اشهر من ان نبين حبهما العلم والعلماء . وفي غصن الاندلس الرطيب عشرات من الشعراء كانو يحضرون مجالسهما فضلا عن علماء الفقه والادب

وكان الحكم بن الناصر مولعاً باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله . وأنشأ في قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم . كان يبعث في شرائها رجالا من التجار ومعهم الاموال ويحرضهم على البذل في سبيلها ليفاخر بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى معاصراً له وهو أموي مثله فبذل له الف دينار ذهباً على أن يرسل اليه كتاب الاغانى قبل اخراجه الى بني العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضي أبى بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الاسلام . فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة أقاموا عليها خازناً ومشرفا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة . وذكروا أن فهارس الدواوين وحدها ٤٤ فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة [1] فاذا قدرنا للصفحة ٢٥ اسما فقط كان مجموع عدد الدواوين ٤٤٠٠٠ كتاب فكيف بسائر الكتب . ولا نظنا نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقرى ان مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠٠٠٠ مجلد ونبغ غير واحد من المروانية في الشعر

ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة أحبوا الادب ونصروا أهله منهم اسماعيل ابن ذي النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ وكان عالماً بالادب

(١) ابن خلدون ١٤٦ ج ٤

٧ — الدولة الفاطمية بمصر

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ في أواسط العصر الذي نحن في صدده ونبغ منهم خليفتان نشطا العلم وأهله هما العزيز بالله (سنة ٣٦٥ — ٣٨٦) والحاكم بامر الله (سنة ٣٨٦ — ٤١١) فانشآ خزائن الكتب فيها مئات الالوف من المجلدات في العلوم على اختلاف مواضيعها — انفقوا في ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من أنواع الكتب وعنايته بتعهدها والانفاق عليها في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ووصفنا أيضاً مكتبة الحاكم التي سماها دار الحكمة او دار العلم وما أباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من كتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصراً على خدمة علوم الادب والفقه ولكنهم خدموا علم النجوم بالمراصد التي أنشأوها كالرصد الحاكمي (المرصد) الذي بناه الحاكم على جبل المقطم ما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسي مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ونبغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

فرغبة السلاطين والملوك في العلم حببه الى سائر الوجهاء وأهل الدولة فاشتهرت غير أسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم آل الميكالي في خراسان وأصلهم من فارس لكنهم تعربوا وأغرموا باداب العرب فنبغ منهم الشعراء والادباء كابي الفضل الميكالي وابي محمد الميكالي وغيرهما . وآل المأموني من نسل الخليفة المأمون. وآل الواثقي من نسل الواثق وكلاهما في بخارا . وبالجملة فقد كانت العلوم رائجة وأصحابها في عز وثروة يؤلفون الكتب للملوك أو الامراء أو الوزراء وينالون عليها الجوائز السنية . وربما الف الواحد منهم كتاباً للملك البويهي وكتابا للساماني وآخر للغزنوي كما فعل أبو منصور الثعالبي فانه الف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد . والمبهج والتمثل والمحاضرة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير . وسحر البلاغة وفقه اللغة لابي الفضل الميكالي . والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقس على ذلك . فلا عجب اذا كثر المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغيير في أكثر ابواب العلم كما ستراه في مكانه

وقد رأيت مما تقدم أن أكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية

والغزنوية والبويهية وأكثرها فارسية الاصل وكان الفرس قد أخذوا في اعادة مجدهم قبل الاسلام بعد أن دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون فانشأوا الدول وهم فرس في بلاد فارسية وأخذوا في احياء آداب اسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامة وغيرها — ومع ذلك لم يروا بدا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين

مزايا هذا العصر

١ — نضج العلوم وكثرة المكاتب

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على أسلوب أصبح قاعدة يتحداها أهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم (كلاسيك) ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية إخوان الصفا واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل إخوان الصفا وفي جملتها آراؤهم في أصل الموجودات وتدرجها في الخلق من البسائط الى المركبات نحو ما يقول اليوم اصحاب النشوء والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفي المبني على المشاهد والاختبار والتفكير في الحكمة بالوجود . وتم تكون الانتقاد الشعري أو الادبي واستقرت ابواب الشعر على حال. وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منها علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم وهو أهم مصادر تاريخ اداب اللغة الى ذلك العهد

وامتاز هذا العصر بكثرة المكاتب الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات وفتحت ابوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمي التي تقدم ذكرها كانت تحتوي على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة أو دار العلم للحاكم بامر الله وكانت ابوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ — نحو ما يراد بدار الكتب الخديوية الآن . ومكتبة الحكم بن الناصر في قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير في بغداد ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ — ظهور الموسوعات

وفيه اخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد ان وضع اساسها الفارابي كما تقدم . على ان من كتب الادب ما يعد من قبيل الموسوعات لتعدد مواضيعه ككتاب العقد الفريد الذي ذكرناه . واقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب «مفاتيح العلوم» لابي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ الفه لابي الحسن عبيد الله بن احمد العتبي وقسمه الى مقالتين :

الاولى تشتمل على ٥٢ فصلا تجتمع في ستة ابواب وهي : ١ الفقه ٢ الكلام ٣ النحو ٤ الكتابة ٥ الشعر والعروض ٦ الاخبار

والمقالة الثانية ٤١ فصلا في تسعة ابواب : ١ الفلسفة ٢ المنطق ٣ الطب ٤ علم العدد ٥ الهندسة ٦ النجوم ٧ الموسيقى ٨ الخيال ٩ الكيمياء . وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلوتن في نيف وثلثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لاوائلها فيحتوي على الموضوعات والمصطلحات العلمية فهو اشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ولذلك سماه مفاتيحها لكنه جزيل الفائدة . وقد الف العرب كثيرا من الموسوعات بعد هذا العصر سيأتي الكلام عليها في مكانه

٣ — تعدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة أبواب : ١ العلوم الخطية تسعة علوم ٢ العلوم المتعلقة بالالفاظ أو العلوم اللسانية والتاريخ وغيرها ٤٤ علما ٣ العلوم الباحثة عما في الاذهان من المنقولات خمسة ٤ العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة وهي ١٢٢ علماً ٥ العلوم الحكمية العلمية ثمانية علوم ٦ العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين ويزيد عددها جميعاً على نيف ومائة علم . ولولا ضيق المقام لاتينا باسمائها وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفون ومؤلفات تعد بالمئات والالوف شاع اكثرها وعلينا أن نذكر ما بقي منها

٤ — التدبير المنزلي

وبين هذه العلوم فروع لم يتصل الى مثلها أهل التمدن الحديث الا بعد ان نضج تمدنهم في القرن الماضي . وقد عرفها العرب والفوا فيها منذ الف سنة أونحوها . كعلم

« تدبير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحده « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال » وموضوعه « احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام » وحاصله « انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم » ومن المؤلفات في هذا الموضوع كتاب تدبير المنزل لبروسن ذكره صاحب الفهرست وقد ضاع . ومن الكتب المنزلية التي تدخل في راحة العائلة وقد ظهر كثير منها في العصر العباسي الاول والثاني فضلا عن الثالث كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدي وغيره لابن ماسوية ولابراهيم بن العباس الصولي ولعلي بن يحيى المنجم ولاحمد بن الطبيب ولجحظة والرازي وغيرهم قد ضاعت . ويظهر من اسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات واشباهها وهي كثيرة وتدخل في باب تدبير المنزل

٥ ـ كتب السياسة

وألفوا ايضاً في السياسة وهي من فروع الحكمة العملية تحدوا بها مانقلوه عن ارسطو . والسياسة عندهم ضروب منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد الف في السياسة على اجمالها ابو زيد البلخي المؤرخ الجغرافي المتقدم ذكره كتابين الكبير والصغير . والف في السياسة المدنية ابو نصر الفارابي الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردي المتوفي سنة ٤٥٠ هـ ومن الكتب الهامة في هذا الموضوع كتاب «سياسة المالك في تدبير الممالك » لابن ابي الربيع جاء في مقدمته انه الفه للمعتصم العباسي (المتوفي سنه ٢٢٧ هـ) وقد ذكرنا في محل آخر من هذا الكتاب (صفحة ٢١٤) انه متأخر عن ذلك التاريخ لاسباب بيناها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جداً لم يغادر بحثاً من ابحاث العمران والسياسة والاخلاق الا طرقه ورتبه واوضح مسائله بشكل المشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي و« نهج السلوك في سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله قدمه لصلاح الدين الايوبي وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ — الاقتصاد السياسي

واشتغلوا ايضاً في علم الاقتصاد السياسي وهو من العلوم التي يعدها اهل زماننا من محدثات هذا التمدن لكنه قديم في آداب لغتنا لا يتجاوز تاريخه العصر الذي نحن في صدده بل هو اقدم من ذلك . فان جماعة الفوا في المواضيع التجارية الاقتصادية في

العصر العباسي الثاني لكن مواضيعهم كانت خاصة في صنف أو بضعة أصناف. ككتاب « الجواهر وأصنافها » لمحمد بن شاذان الجوهري الفه للمعتضد المتوفي سنة ٢٧٩ هـ وكتاب «أجناس الرقيق» لرجل من أهل مصر . وكتاب «مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ» ونحوها مما يتوسم فيه فن الاقتصاد السياسي وان لم نقف على شيء من تلك الكتب لانها ضاعت . لكننا عثرنا على كتاب شامل في هذا الموضوع نعني به كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة » للشيخ أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي لا يعرف زمن وفاته لكن يعرف من بعض القرائن أن تأليفه لا يتجاوز العصر العباسي الثالث والكتاب نفيس يبحث في معرفة جيد الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين. وفصول في حقيقة المال وأنواعه واستثماره والكشف عن رديئه وفاسده من الاحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفي الدواب كالخيل والبغال والماشية . وفي الكتاب فصول في حصول الاموال واكتسابها بالمغالبة أو الاحتيال . ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم . والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

٧ ــ علم العمران وغيره

ومن ابحاثهم أيضاً علم العمران والمشهور انه من ثمار التمدن الحديث ولكنه ولد في زمن العباسيين ونضج بعدهم . وان لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون . فان في كتاب سياسة الملك المتقدم ذكره فصولا كثيرة من قبيل العمران غير ما في كتب الادب والسياسة من هذا القبيل . وفي كل حال فان الفضل فيه للعرب بما كتبه ابن خلدون وهو استاذ العالم فى هذا العلم . وسيأتي الكلام على ذلك فى مكانه

وناهيك بعلوم الحرب وضروبها فانهم الفوا فيها من أوائل دولتهم . وذكر صاحب الفهرست كتابا للهرثمي الشعراني الفه للمأمون سماه كتاب « الحيل » جعله مقالتين الاولى ٣ أجزاء والثانية ٣٦ فصلا كلها فى الحروب وآلاتها . وذكر كتاباً قبله لعبد الجبار بن عدي الفه للمنصور فى آداب الحروب وصورة العسكر وغيرها كثير لكن أكثرها ضاع . وسنأتي على تفاصيل أخرى عند الكلام على كل علم فى بابه

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثالث

ان ما قدمناه عن أحوال الدول والامم في هذا العصر ظهر تأثيره في الشعر اكثر مما في سائر الآداب. لان الشعر مرآة أحوال الامة كما تبين لك مما بسطناه عن أحواله في العصور التي تقدم ذكرها . كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم واخلاقهم يمثلون الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكلفون ولا يبالغون . فصاروا في أيام بني أمية وأكثر نظمهم في السياسة وظهر التشبيب بكثرة الجواري والسراري وكثر الهجو لاختلاف الاحزاب مع المحافظة على صبغته البدوية. فلما استبحر عمران العباسيين وأوى الناس الى القصور وسرحوا في الحدائق وشربوا الخمر واقتنوا الغلمان ظهر أثر ذلك في أشعارهم . ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان في العصر العباسي الثاني لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء. ونحن الآن في عصر تسابق فيه ولاة الامر الى تقديم أهل الادب . فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت أساليبهم

مزايا الشعر في هذا العصر

١ — حل القيود القديمة

ان اطلاع أهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عودت عقولهم على النظر الصحيح والتقرب من الحقيقة . فخطوا خطوة أخرى في تبديل مذهب الشعر وطرقه. واما هذه الطريقة المتنبي والمعري. وقد رأيت ان شعراء العصر العباسي الاول انتقدوا طرق الجاهليين لكنهم ظلوا يتحدونهم في كثير منها وهم يرسفون بالقيود التي وضعوها للنظم من حيث اللفظ والمعنى . فتملص المتنبي والمعري من تلك القيود وقالا الشعر كما توحيه القريحة فنظما في فلسفة الوجود والحكمة في الخلق من عند انفسهم ولا سيما المعري . والشعر الحقيقي هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة أو تصوير الجمال الطبيعي بأعم معانيه وهو ما يعنيه الافرنج بالشعر ولكن لادباء العرب نظراً آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والمجاز وسنعود الى ذلك

٢ ــ مقتبسات الفلسفة والتاريخ والطب والفقه

على أن العرب في هذا العصر زاد اقتباسهم للافكار الفلسفية واطلعوا على تاريخ اليونان فصاروا يتمثلون بابطالهم كقول المتنبي :

من مبلغ الاعراب اني بعدهم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الاله نفوسهم والاعصرا

وقول الفتح البستي من المعاني الطبية :

وقد يلبس المرء خز الثيا ب ومن دونها حالة مضنيهْ
كمن يكتسي خدهُ حمرة وعلتــه ورمٌ في الريه

وقوله : ان الجهول تضرني أخلاقه ضرر السعال بمن به استسقاء

وقوله وفيه شيء من علم النجوم :

قد غض من أملي اني أرى عملي أقوى من المشتري في أول الحمل
وانني زاحلٌ عمــا احاوله كانني أستدرُّ الحظ من زحل

ودخل الشعر العربي كثير من حكم القدماء وأمثالهم في اليونانية اما اقتباساً كما في أشعار المتنبي أو نقلا وتعريباً . وأكثر ذلك منقول عن الفرس وهذه أمثلة مما نقله أبو الفضل السكري :

من مثل الفرس ذوي الابصار الثوب رهن في يد القصار
ان البعير يبغض الخشاشا لكنه في أنفه ما عاشا
نال الحمار بالسقوط في الوحل ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط لا الزق منشق ولا العير سقط

وتكاثرت فيه المعاني الفقهية والصوفية لظهور التصوف وشيوعه واشتغال كثيرين من أصحابه في الشعر كقول بعضهم :

من سره ان يرى الفردوس عاجلة فلينظر اليوم في بنيان ايواني
أو سره أن يرى رضوان عن كثب بملء عينيه فلينظر الى البــاني

٣ ــ أبواب عديدة

وتولدت فيه أبواب جديدة اقتضاها التبسط في الحضارة والتوسع في أسباب الرخاء فبعد أن كان الشعر الجاهلي أكثره في الحماسة والفخر والرثاء والمدح زاد عليه

الامويون التشبيب والهجو . وزاد العباسيون في العصر الاول الخمريات والتغزل بالغلمان . وزادوا في هذا العصر (الثالث) ابواباً تلائم احوال الاجتماع والمدنية اهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى الدهر والزهد والمداعبات والسلطانيات والمجاوبات والمقارضات وصار النظم في الزهر بابا قائما بنفسه. وبعض هذه الابواب كان منه امثلة في الاعصر الماضية لكنها اصبحت في هذا العصر ابوابا مستقلة . وهي تدل على تلطف اخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء اذواقها

فيراد بالاخوانيات مثلا ما ينظم في الاخوان أو الاصدقاء من أسباب التقارب كقول بعضهم :

واخ اذا ما شط عني رحله ... ادنى الي على النوى معروفه
كالكرم لم يمنعه بعد عريشه ... من ان يقرب للجناة قطوفه

والمداعبات كقوله :

ابا جعفر هل فضضت الصدف ... وهل اذ رميت اصبت الهدف
وهل جئت ليلا بلا حشمة ... لهول السرى سدفاً في سدف

والدهر أو شكوى الدهر كقوله :

يادهر ما أقساك يا دهر ... لم يحظ فيك بطائل حر
اما اللئام فانت صاحبهم ... ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا ... يرتاع منه لحادث صدر

وقس على ذلك . وترى امثلة كثيرة من هذه الابواب في يتيمة الدهر للثعالبي

٤ — المبالغة

غالى أهل هذه العصر في المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه أهل الاعصر الماضية حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبي :

وضاقت الارض حتى صار هاربهم ... اذا رأى غير شيء ظنه رجلا
فبعده والى ذا اليوم لو ركضت ... بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

ومثله قوله في وصف الضعف :

كفى بجسمي نحولا انني رجل ... لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وناهيك بالمبالغة في المدح فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . واما المداحين في هذا العصر المتنبيان أبو الطيب وابن هاني . ومن مبالغات ابي الطيب في المدح قصيدته السنية التي مطلعها :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

الى أن يقول :

لوكان ذو القرنين اعمل رأيه لما اتى الظلمات صرن شموسا
أوكان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لاعيا عيسى
أوكان لج البحر مثل يمنه ما انشق حتى جازفيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه عبدت فصار العالمون مجوسا
لما سمعت به سمعت بواحد ورأيته فرأيت منه خميسا
ولحظت انمله فسلن مواهباً ولمست منصله فسال نفوسا
يامن نلوذ من الزمان بظله حقا ونطرد باسمه ابليسا

ونحو ذلك قوله .

واعجب منك كيف قدرت تنشا وقد اعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله :

بمن اضرب الامثال أم من اقيسه اليك وأهل الدهر دونك والدهر

اما ابن هاني متنبي الغرب فيكفي مثالا لمبالغته القصيدة التي مدح بها المعز لدين الله الفاطمي ومنها قوله :

ماشئت لا ماشاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد وكأنما انصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخيار

٥ — طول القصائد

وطالت القصائد في هذا العصر عما كانت عليه قبلا حتى كثرت فيها ذوات المئات من الابيات كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني. ومع ذلك فان العرب لم يدركوا شأو الامم الاخرى في الاطالة كما فعل اليونان بالالياذة والاذويسة والفرس في الشاهنامه وهو الشعر المعروف بالايبوبة وتعداد ياتالواحدة بعشرات الالوف. على انهم ذكروا لابي الرجا محمد بن احمد بن الربيع الاسواني المتوفي سنة ٣٣٥هـ قصيدة ابياتها تعد بالالوف ضمنها اخبار العالم وقصص الانبياء ومختصر المزني . ويعد من هذا القبيل نظم كليلة ودمنة ونحوها مما ضاع. ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير أي لم ينظمه الشاعر من بنات افكاره . ولا يكون ذلك الا في نظم القصص الخيالية أو نحوها

٦ — الوصف الشعري

وأجاد اهل هذا العصر في الوصف الشعري وتوسعوا فيه . والوصف قديم فى الشعر العربي لكنه اتسع وطال بزيادة العمارة وصار له في هذا العصر باب خاص . وأول من أجاده منهم شعراء الاندلس لمخالطتهم الافرنج. والشعر الوصفى عند هؤلاء باب من أبواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والابنية الجميلة وسائر ظواهر المدينة حتى الادوات كالاسطرلاب ونحوه

على أن تاريخ الوصف الشعري يتصل بالجاهلية فكان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . وأحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التي وصف بها مقتل الاسد ومطلعها :

افاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

الى آخرها : وهي بديعة ومنشورة في جملة مقامات بديع الزمان الهمذاني

وتقدم الشعر الوصفي بعد الاسلام رويدا رويدا مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعاني بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالامم الاخرى في العصر العباسي الاول فالثاني حتى بلغ احسنه في العصر الثالث هذا . وابرع وصاف العصر الثاني البحتري وأحسن قصائده في الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها :

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات اذا لاحت مغانيها

حتى يقول :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احيانا يضاحكها وريق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعتز بالله قال فيها :

وكأن حيطان الزجاج بجوه لجج يمجن على جنوب سواحل
وكأن تفويف الرخام اذ التقى تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر ومسير ومقارب ومشاكل

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعاً في الوصف ودقة في التعبير . وممن اجاد

فيه المتنبي وابن هاني والمأموني. ولهذا الاخير قصيدة في وصف قصر بناه الصاحب بن عباد قال فيها :

فهنيئاً منها بدار حوت منـ ـك جبالا من الحلوم رجاحا
ذات صدر كرحب صدرك قدزا د على ظن آمليك انفساحا

ثم أتى على وصف الدار وصفاً يطابق ما يتخيل للداخل اليها . فيتدرج من الفناء فالبهو فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبي لمواقع الحروب أو ما يحتاج الى فخامة اللفظ والمعنى كقصيدته التي يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق . ومن احسن شعره الوصفي قوله يصف مشية الاسد :

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد غفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما تزجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة أو التواريخ كما فعل اليونان والفرس قديماً أو كما يفعل ادباء الافرنج الآن في تأليف الروايات الوصفية للاخلاق والعادات . وسنفرد فصلا خاصاً بهذا الموضوع

٧ – زيادة ابحره وأوزانه

تولدت في الشعر ابحر جديدة لم تكن فيه من قبل اهمها الموشحات ينظمونها اسماطاً اسماطاً وأغصاناً أغصاناً يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً . ويلتزمون قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد

وهي من مخترعات الاندلسيين وأول من نظمها منهم مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني في أواخر القرن الثالث للهجرة . وأخذ عنه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هذه البدعة موقعاً حسناً عند المحافظين على القديم فكسدت حيناً حتى نبغ عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية (توفي سنة ٤٤٣ هـ)(١) فاجاد وجاء بعده ابن ارفع رأس شاعر المأمون بن ذي

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١

النون صاحب طليطلة (توفي سنة ٤٦٧ هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « ان أول من نظم عقود الموشحات واقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الاندلسي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ رأس الشعراء في الدولة العامرية وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت وأخذ الشعراء ينتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا أخذت إلا عنه . واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود المقبري الضرير . وقيل أن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد أول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي ثم نشأ عبادة هذا فاحدث التصفير وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز »

وفي كل حال فان الموشحات نضجت في العصر الثالث الذي نحن في صدده

وناهيك بما ادخله الجوهري صاحب الصحاح على عروض الشعر في هذا العصر

وفيه أيضاً نضج نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق ولنقد الشعر تاريخ يستحسن ايراده هنا :

تاريخ نقد الشعر العربي

يقسم النقد الادبي أو انتقاد المؤلفات الى اقسام أهمها ثلاثة ١ نقد الشعر ٢ نقد الانشاء ٣ نقد التاريخ . والمشهور ان العرب من أقل الامم نقدا وتمحيصاً . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم أو أعمال الناس وأحوال الاجتماع لاسباب سنبينها في ما يلي من هذا الكتاب . وأما ما خلا ذلك فهم من اكثر الامم ميلا الى النقد أو التمحيص وانما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه أو اذا تيسر لهم الخوض فيه . أما من حيث فنون الادب فبدأوا بنقد الشعر ثم الأنشاء وأخيراً التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلا خاصاً في المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر في الشعر الى اقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه وأسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعري) وطريقته أو مذهب صاحبه في النظم

ونقد الشعر من حيث معناه قديم في تاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام . فقد رأيت ما كان يجري من المشاحنات والمناظرات في العصر الاموي بشأن من هو اشعر الشعراء حتى كثيرا ما كان الجدال يفضي الى الخصام. وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب وهم طبعاً كانوا ينظرون في قول كل شاعر نظر الناقد ليبينوا فضله

على سواه. ولم يقتصر التصدى للنقد على الادباء أو الشعراء بل كان يتناول كل ذي المام بالشعر . وحيثما اجتمع الادباء تذاكروا الشعر وانتقدوه وكانت مجالس سكينة بنت الحسين في المدينة أشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبي في أرقى الامم المتمدنة اليوم . ثم ظهرت طبقة أخرى من نقاد الشعر لما أخذ الرواة في جمعه في العصر العباسي الاول فكانت مجالسهم واندیتهم للمفاكهة أو المذاكرة لا تخلو من النقد

أما الطريقة أو المذهب ونعني الخطة التي كانوا يتوخونها في النظم مثل تحديهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلال والبكاء عليها والتغزل بحيوانات البادية واحوالها كما كان يفعل الجاهليون فاول من انتقدها شعراء العصر العباسي الاول وقد اشرنا الى ذلك صفحة ٤٢ — وانما هي ابيات قالوها عرضاً

أما التأليف في نقد الشعر من هذا الوجه وغيره فاول من أقدم عليه مما وصلنا خبره محمد بن سلام الجمحي المتوفي سنة ٢٣٢ في كتابه طبقات الشعراء وقد وصفناه في صفحة ١٠٨ من هذا الجزء . فانه صدر ذلك الكتاب بمقدمة فيها نقد جميل قال في جملته « ان محمد بن اسحق أفسد الشعر بما نسبه من الاشعار الى بعض الصحابة في السيرة النبوية » . وبحث في شيء من هذا القبيل ابن ابي الخطاب القرشي في مقدمة جمهرة اشعار العرب . ونجد شيئاً من ذلك ايضاً في كتاب قواعد الشعر لثعلب المتقدم ذكره . أما ادباء العصر العباسي الثاني كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وامثالهم فقد توسعوا فيه لان ما الفوه من كتب الادب لايخلو من النقد الشعري

على ان اكثرهم نقداً وتمحيصاً ابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب المذكور بقوله :

« ولم اسلك في ما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه . فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر . وجعل كل قديم حديثاً في عصره وكل شرف خارجية (كذا) في أوله . فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمر بن العلاء يقول (لقد كثر هذا

المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته) ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانيء وأشباههم . فكل من اتى بحسن قول أو فعل ذكرناه له وأتينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه كما أن الرديء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء في صدر كتابه ادب الكاتب كما تقدم

ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفي سنة ٣١٠ هـ فافرد لذلك كتابا خاصاً سماه « نقد الشعر » تقدم ذكره (صفحة ١٧٢) وهو أول من فعل ذلك فبين حد الشعر وشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وائتلافهما في أبواب النظم المعروفة فى عصره وشروط المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر في ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدأ بعمل جديد فترك اتمامه لادباء العصر العباسي الثالث الذي نحن في صدده

فجاء بعده حسين بن بشر الامدي المتوفي سنة ٣٧١ هـ (ترجمته في معجم الادباء ٥٤ ج ٣) فوضع كتابه في الموازنة بين ابي تمام والبحتري وقد ذكرناه في ترجمة البحتري (صفحة ١٦١) وهو من قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شاعرين معينين لكنه يشتمل على قواعد عامة

* وكذلك فعل على بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر الكاتب المتوفي سنة ٣٩٢ هـ في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ردا على كتاب الفه الصاحب بن عباد في مساوىء المتنبي . فكتاب الوساطة مع كونه خصوصيا بين المتنبي وخصومه لكنه يتضمن ابحاثاً في الشعر على العموم والشعراء على اختلاف الاعصر الى ايامه (١) . وفي كتاب مفاتيح العلوم لابي عبد الله الخوارزمى المتقدم ذكره (صفحة ٢٣٢) باب في الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ في الشعر لابن فارس اللغوي الآتي ذكره

ويعد من قبيل النقد الشعري ايضاً كتاب يتيمة الدهر للثعالبي . فانه ذكر فيه محاسن الشعراء وامثلة من اقوالهم مع الملاحظة والانتقاد فى اربعة مجلدات كبيرة وسنذكره في ترجمة الثعالبي

ونشأ في أثناء ذلك علم خاص يبحث في أحوال الكلمات الشعرية سموه علم قرض الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز

(١) تجد ترجمة علي بن عبد العزيز فى يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ٣

والامتناع ومعائب التركيب كما عاب الصاحب ابا تمام بقوله :

كريم اذا امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي

حيث قابل المدح باللوم والتكرار في لفظ امدحه ولمته . ويعد من قبل النقد الشعري ايضاً رسالة الغفران لابي العلاء المعري لان المتكلم فيها زعم انه جال في الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم وسيأتي ذكرها في ترجمة ابي العلاء

كتاب العمدة

على أن ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية في سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر العباسي الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن رشيق جمع فيه احسن ما قاله الذين سبقوه في النقد وغيره ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج الانتقادية على ما رآه قال : « وعولت في أكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وسنذكره في ترجمة ابن رشيق

ونظرا لعظم وقع هذا الكتاب في النفوس تصدى معاصروه لنقده ومعارضته وقد وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد» لابي عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد شرف الجذامي القيرواني الشاعر الاديب المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عارض بها كتاب العمدة . وهو معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تأنق فى رسائله فسجعها وزينها بالتشابيه والكنايات يقلد بها المقامات فى الخطاب والجواب . وضمنها انتقاداً على الشعراء الجاهليين فما بعدهم وشتان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار اليها فى مجلة المقتبس (سنة ٦)

وذكر صاحب كشف الظنون كتباً فى نقد الشعر لابي عبد الله محمد بن يوسف الكفر طابي المتوفي سنة ٥٠٣ هـ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء

في العصر العباسي الثالث

كان الفرزدق وجرير والاخطل وغيرهم من شعراء بني امية يعدون فى ذلك العصر محدثين فاصبحوا يعدون فى العصر العباسي الاول قدماء وصار ابو نواس والعتابي واشباههم محدثين ثم صار هؤلاء قدماء أو مولدين فى العصر الذي نحن فى صدده وصار أهل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعدُّ هؤلاء جميعاً قدماء

مميزات هذا العصر

ويمتاز الشعراء في هذا العصر عما في سواه قبله بامور اهمها :

١ انهم ظهروا وتكاثروا في اطراف المملكة الاسلامية ايضاً بعد ان تفرق الادباء من بغداد كما تقدم . فبعد ان كان اكثرهم في الشام والعراق نبغت طائفة منهم في خرسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء وان ظلت الافضلية لشعراء الشام والعراق لاسباب ذكرناها في غير هذا المكان

٢ ظهرت فيهم طبقة من الوزارء والقضاة والامراء وسائر وجوه الدولة واصحاب الثروة والوجاهة

٣ تعاطى الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والاطباء

٤ زاد عدد الشعراء فيه على عددهم في كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الاسلامية . ولا يتسع المقام لتراجمهم فنأتي باشهرهم حسب سني الوفاة :

أشهر شعراء هذا العصر

١ — ابو الطيب المتنبي

توفي سنة ٣٥٤ هـ

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي . وبنو جعفى بطن من سعد العشيرة من القحطانية فهو عريق بالعروبة . ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كندة فنسب اليها وليس هو من كندة القبيلة المعرفة . وكان أبوه من العامة يستقي الناس ويسمونه « عبدان السقاء » لكن ابا الطيب نشأ على طلب العلم والادب وكان قوي الحافظة مطبوعا على الشعر . فلما ترعرع حمله ابوه الى الشام يتنقل به من باديتها الى حاضرتها . واخذ العلم من أصحابه فمر أولا باللغة فحفظ غريبها وحوشيها واشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر بالفصاحة والبلاغة . وكان مفطوراً على كبر النفس وبعد الهمة فلم يقنع بما يتمناه سواه من الشهرة بالشعر أو الادب فطلب السيادة بالفتح فدعا الى بيعته قوما من مريديه من أبناء سنه فبايعوه وحين كاد يتم أمر دعوته وصل خبره الى والي البلدة فقبض عليه وحبسه . وفي هذا الحبس نظم قصيدة استعطف بها الوالي على اطلاقه مطلعها :

أيا خدّد الله ورد الخدود وقدّ قدود الحسان القدود

الى ان قال :

دعوتك لما براني البلى وأوهن رجلي ثقل الحديدِ
وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما فى القيود
وكنت من الناس فى محفلٍ فها انا في محفل من قرود
تعجل فيّ وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود

اي انما تجب الحدود على البالغ وأنا صبيٌّ لم تجب علي الصلوات بعد فاطلقه

ولما فرغت يده من الفتح طلب ماهو ابعد منه فزعم انه نبيٌّ اعتماداً على بلاغة اسلوبه فخرج الى بنى كلب اقام فيهم وادعى انه علوي ثم ادعى النبوة . وقال أنه اظهر دعوته هذه أولا فى بادية سماوة ونواحيها وأخذ يتلو عليهم كلاما زعم انه قرآن انزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة أورد ابو على بن حامد جزءا من سورة قال انها ضاعت وبقي أولها في حفظه وهو « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار امض على سننك واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله » فلما شاع امره بين الناس خرج عليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وأسر من كان معه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في أمره فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام واطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه بعد ذلك انكره وحاول التنصل من تبعته

فقنع بعد فشله هذا بالشهرة الادبية . فنال منها ما لم ينله سواه فراجت سوق شعره بما أصابه من رغبة الملوك والامراء فيه فنظم القصائد في أغراض مختلفة وفاق معاصريه على الاطلاق. فتسابق الملوك الى استدنائه بالجوائز ففعل. وبدأ بسيف الدولة ابن حمدان فقدم عليه سنة ٣٣٧هـ ومجلسه حافل بفحول الشعراء. فاحرز المتنبى قصب السبق بقصائدسار بذكرها الركبان. وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن خالويه النحوي فوقع بينه وبين المتنبي كلام ادى الى نفور فوثب ابن خالويه على المتنبي فضربه بمفتاح كان معه فشجه . ولم ير المتنبى من سيف الدولة دفاعاً عنه فغضب وخرج الى مصر . واراد الانتقام لنفسه فتقرب من كافور الاخشيدي سنة ٣٤٦هـ لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح أنوجور بن الاخشيد فاكرماه حتى صار يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب

بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . فلما رأى كافور سموّه بنفسه وتعاليه بشعره خافه وقال : « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعى الملك مع كافور فحسبكم » فاغضبه فخرج ابو الطيب من مصر فاتى بغداد ثم ذهب قاصداً بلاد فارس وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل عطاءه

ثم رجع من فارس قاصداً بغداد ومعه ابنه محسد وغلامه مفلح حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين عرض له فاتك بن ابي الجهل الاسدي في عدة من اصحابه فاقتتلا . فاحس المتنبي بالضعف فعمد الى الفرار فقال له غلامه مفلح : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم »

فكر راجعاً حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

اما شعره ففي الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة وهو مشهور بضخامة المعاني ومتانة المباني . ولم يدع باباً من ابواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه وخصوصاً الحكم والحماسة والمديح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على ألسنة الناس مجرى الامثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نثر ادخلوه في نثرهم كما فعل الصاحب بن عباد[1] أو نظموه لانفسهم كما فعل ابو بكر الخوارزمي وغيره . ولم نأت بامثلة من نظمه لكثرته ولاشتهار ديوانه وشيوعه

مضى على شعره نحو الف سنة ولا يزال موضوع مناقشات أهل الادب وكثيراً ما اشتغلوا في تفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها والفت الكتب فى ذكر جيده ورديئه وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والتعصب له أو عليه. وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه — والكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته

وممن درس شعر المتنبي وبين حسنه وقبيحه ونقده ابو منصور الثعالبي في الجزء الاول من يتيمة الدهر . فانه بين حسناته وسيئاته مفصلاً مع سائر اخباره في نحو مئة صفحة ولم يبق شاعر أو اديب جاء بعد المتنبي الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان ابا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليبين معرفته . وانه كان فى طبعه غلظ وفي عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

(١) يتيمة الدهر ٨٧ ج ١

وقال ابو العلاء المعري « ابو تمام والمتنبي حكيمان وانما الشاعر البحترى » وكان شيوخ الشعر في ايام ابن خلدون لا يرون المتنبي والمعري من الشعراء لانهما لم يجريا على أساليب العرب . وابو سعيد محمد بن احمد العبيدي الف كتابا سماه « الابانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتاً من أشعار المتنبي وأورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحتري وابي تمام وابن الرومي وديك الجن وغيرهم من فحول الشعراء وزعم ان المتنبي سرقها وغير فيها واعادها لنفسه والكتاب مطبوع بمصر في ٨٨صفحة . وابوعلي محمد بن حسن الحاتمي بين ماتوارد من المعاني بين ابي الطيب وارسطو ولم يتهم المتنبي بالسرقة بل قال : « لما رأيت ابا الطيب قد اتى في في شعره على أغراض فلسفية ومعان منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم وإن يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك وهو في الحالين على غاية الفضل » ثم أورد بعض أقوال ارسطو وما يقابلها من أشعار المتنبي في نحو عشرين صفحة اطلعنا عليها في كتاب اسمه راشد سوريا مطبوع في بيروت سنة ١٨٦٨ . وانتقد المتنبى جماعة من المستشرقين أيضاً اشهرهم رايسكي ودي ساسي وبولين وبروكلمن وهمر ونيكلسن وغيرهم . وفي المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة في المتنبي للسيد توفيق البكري

وقد جمع ديوان المتنبى ورتب على الحروف الابجدية . وشرحه كثيرون وطبع في الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التي بقيت شرح ابن جني المتوفي سنة ٣٩٢ في ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ومنه نسخة خطية في مكتبة بطرسبورج وأخرى في الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورغا سنة ٤٣٧ كتاباً سماه التجني على ابن جني في الاسكوريال . وشرحه ابراهيم الاقليلي المتوفي سنة ٤٤١ هـ ومنه نسخة في مكتبة برلين . وشرحه ابو العلاء المعري المتوفي سنة٤٩٩ومن شرحه نسخة في مكتبة منشن وأخرى في المتحف البريطاني وفي بطرسبورج . وشرحه الواحدي المتوفي سنة ٤٦٨ وقد طبع في بمباي سنة ١٢٨١ وفي أوروبا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزي سنة (٥٠٢) ومنه نسخة في مكتبة باريس وشرحه العكبري (٦١٦) طبع في بولاق سنة ١٨٦٠وفي مصر سنه ١٢٨٧ وبعدها . وفي مكاتب أوربا نسخ خطية من هذا الديوان ليس عليها اسماء شراحها. واحدث شروحه العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب للشيخ اليازجي طبع في بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المتنبي

يطول بنا ذكرها . منها كتاب الامثال السائرة في شعر المتنبي موجود في المكتبة الخديوية . والمنصف للسارق والمسروق وهو بحث في حقيقة المتنبي بالنظر الى ذلك منه نسخة خطية في برلين . والصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي المتوفى سنة ١٠٧٣ منه نسخ في اكثر مكاتب أوربا وفي المكتبة الخديوية وغيرها كثير. وقد عنى الموسيو غرانجريه بنقل بعض أشعار المتنبي الى الفرنسية وطبعت في المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) وكتب عنه أكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولاسيما ديتريشي وهامر وجونبول وقد عني هذا بترجمة بعض أشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠

وترجمة المتنبي في ابن خلكان ٣٦ ج ١ ويتيمة الدهر ٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٦

٢ — ابو فراس الحمداني

توفي سنة ٣٥٧ هـ

هو ابو فراس الحرث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان الحمداني ابن عم سيف الدولة . فهو شاعرٌ امير وكان فارساً مغواراً وشاعراً بليغاً وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وابو فراس يعدُّ اشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول: « بديء الشعر بملك وختم بملك » يعني امرأ القيس وابا فراس . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجتريء على مجاراته لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالا لا اغفالا واخلالا . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن ابي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله

واشتهر أبو فراس في عدة معارك مع سيف الدولة حارب بها الروم فاسر في احداها وهو جريح في فخذه . فحمل الى القسطنطينية وسجن فيها أربع سنين . ونظم وهو في السجن قصائد امتازت بالرقة والحنين الى الوطن وغير ذلك وعرفت بالقصائد الروميات . ثم اطلق سراحه وعاد الى وطنه . ولما مات سيف الدولة طمع هو بحمص فاعترضه أبو المعالي ابن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل ابي فراس سنة ٣٥٧ وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقد جمع شعره في ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ وأفرد صاحب يتيمة الدهر فصلا كبيراً لترجمة ابي فراس واشعاره (ج ١) وقد عني الموسيو دوفوراك في ترجمة بعض اشعاره الى الالمانية طبعت في ليدن سنة ١٨٩٥

ومن أمثلة شعره قوله في الفخر :

الم ترنا اعزَّ الناس جاراً وامنعهم وامرعهم جنابا
لنا الجبل المطلُّ على نزار حللنا المجد منه والهضابا
يفضلنا الانامُ ولا نحاشى ونوصف بالجميل ولا نحابى
وقد علمت ربيعة بل نزارٌ بأنا الرأس والناس الذنابى
ولما أن طغت سفهاء كعب فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير انا اذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيجتَ آساداً غضابا
اسنته اذا لاقا طعاناً صوارمه اذا لاقا ضرابا
دعانا والاسنة مشرعاتٌ فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام اذا أصابت مراميها فراميها اصابا

وقوله في العتاب :

قد كنت عدتيَ التي أسطو بها ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما املتهُ والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقي لبره اغضى على ألمٍ لضرب الوالد

ومن اخوانياته قوله :

لم اواخذك بالجفاء لاني واثقٌ منك بالوداد الصريح
فجميل العدو غير جميل وقبيح الصديق غير قبيح

ومن باب الشكوى والعتاب قوله :

ايا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا ايا قومنا لا تقطعوا اليد باليد
فياليت داني الرحم منا ومنكم اذا لم يقرّب بيننا لم يبعد
عداوة ذي القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وقوله :

اذا كان فضلي لا اسوّغ نفعه فافضل منه ان ارى غير فاضل

ومن اضيع الاشياء مهجة عاقل يجوز على حوبائها حكم جاهل

ومن النسيب قوله :

تبسَّم اذ تبسم عن اقاحٍ واسفر حين اسفر عن صباح
واتحفني براح من رضاب وراح من جنى خد وراح
فمن لألاء غرته صباحي ومن صهباء ريقته اصطباحي

ومن التشبيهات قوله :

مددنا علينا الليل والليل راضع الى ان تردى رأسه بمشيب
بحال تردُّ الحاسدين بغيظهم وتطرف عنّا عين كل رقيب
الى أن بدا ضوء الصباح كانه مبادي نصول في عذار خضيب

ومن رومياته وقد شقت فخذه من نصل السهم قوله :

فلا تصفنَّ الحرب عندي فانها طعاميَ مذ بعت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول اهابي

وترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٢ ج ١

٣ — كشاجم

المتوفي نحو سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق هندي الاصل ويعرف بالسندي . اقام في الرملة فلقب بالرملي . وله ديوان رتب على حروف المعجم طبع في بيروت سنة ١٣١٣ ومن مؤلفاته «كتاب ادب النديم» وهو صغير يبحث في واجبات النديم وفضائله واخلاقه وما عليه عند التداعي للمنادمة والسماع والمحادثة ويتخلل ذلك اخبار واشعار طبع في مصر سنة ١٢٩٨ : وينسب اليه كتاب البيزرة في علم الصيد منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . واخباره في الفهرست ١٣٩

٤ — السري الرفاء

توفي سنة ٣٦٢هـ

هو ابو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء . ولد في الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز في دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره . فقصد سيف

الدولة ومدحه واقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ومدح الوزير المهلبي وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالديين الشاعرين الموصليين معاداة فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره . فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ويدخل فيه أحسن ابيات الخالديين ليقول الناس انهما سرقاه منه وسيأتي ذكرهما

وكان السري شاعراً مطبوعاً يمتاز شعره بعذوبة الفاظه وكثرة الافتنان بالتشبيهات والاوصاف. ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من أشعاره وما ادخله في شعره من معاني الشعراء كالمتنبي وابن أبي حفصة وابي تمام وغيرهم وهو فصل طويل

ومن تشبيهاته في وصف الثلج قوله :

يا من أنامله كالعارض الساري ... وفعله ابداً عارٍ من العار
اما ترى الثلج قد خاطت أنامله ... ثوباً يزرُّ على الدنيا بازرار
نارٌ ولكنها ليست بمبدية ... نوراً وماء ولكن ليس بالجاري
والراح قد اعوزتنا في صبيحتنا ... بيعاً ولو وزن دينار بدينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا ... ناراً فانا بلا راح ولا نار

ومن قوله يذكر صناعته :

وكانت الابرة فيما مضى ... صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً ... كانه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيدة :

يلقى الندى برقيق وجه مسفر ... فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رحب المنازل ما اقام فان سرى ... في جحفل ترك الفضاء مضيقاً

ومن عذوبة لفظه قوله :

ويا ديرها الشرقي لازال رائح ... يحلُّ عقود المزن فيك ومغتدي
عليلة انفاس الرياح كانما ... يعل بماء الورد نرجسها الندي
يشق جيوب الورد في شجراتها ... نسيمٌ متى ينظر الى الماء يبرد

وللسري الرفاء ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ صفحة نقلت من المدينة المنورة اكثرها في مدح سيف الدولة والوزير المهلبي وبعض بني حمدان. وفيه اهاج في الخالديين وغيرهما وقصائد وصفية يصف بها صيد السمك وشبكته والنار

وكلاب الصيد وبعض الابنية وغيرها . وفي وصفه رقة وسهولة . ومنه نسخ ايضاً في مكاتب باريس وبرلين

وله كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب وهو اربعة اقسام في المحبين واشعارهم والاطياب والازهار واسماء الخمر منه نسخة خطية في فينا واخرى في ليدن وترجمته في يتيمة الدهر ٤٥٠ ج ١ وابن خلكان ٢٠١ ج١ والفهرست ١٦٩.

٥ — ابن هاني الاندلسي

توفي سنة ٣٦٣ هـ

هو أبو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي ويرجعون بنسبه الى آل المهلب بن ابي صفرة . كان ابوه هاني شاعراً في بعض قرى المهدية بافريقيا فانتقل الى الاندلس فولد له محمد سنة ٣٢٦ هـ في اشبيلية ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . تقرب من صاحب اشبيلية وحظي عنده وكان معاصراً لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والاندلس في ابان زهوها وحضارتها . لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر وكان ابن هاني من طلابها فلما اشتهر أمره بها نقم عليه الناس وساءت المقالة بحق صاحب اشبيلية بسببه واتهم بمذهبه فاشار عليه بالغيبة عن البلدة ريثما ينسى امره . فبرحها وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب والدوله الفاطمية في اثناء رغبتها في فتح مصر فلقي القائد جوهر ومدحه . حتى انتهى خبره الى المعز لدين الله الفاطمي فاستقدمه اليه . ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فاخذ ابن هاني يستعد للحاق به فتجهز ولحق به فوصل برقة فاضافه شخص من أهلها اقام عنده اياما في مجلس انس . ويقال انه خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق فوجد ميتاً وهو في السادسة والثلاثين من عمره فاسف المعز لوفاته وقال : «هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق»

ويمتاز شعر ابن هاني بالمبالغة الكثيرة في المديح والافراط الى حد الكفر . وفي ألفاظه قعقعة وأنين . ونظراً لما تقدم من اشتهاره بالكفر لم ينصفه المؤرخون ولا الشعراء . وكان أبو العلاء المعرى اذا سمع شعر ابن هاني قال « لا أشبهه الا برحى تطحن قروناً » لاجل القعقعة التي في الفاظه . ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ — وانما فعل المعري ذلك تعصباً للمتنبي

وفي كل حال فانه أشعر أهل الاندلس على الاطلاق . وهو عندهم كالمتنبي في المشرق وكان معاصراً له. وأكثر شعره في مدح المعز لدين الله الفاطمي قد تقدم مثال منه عند كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن قوله في وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهل لا الهضب يوم مغارها هضب ولا البيد الحزون حزون
عرفت بساعة سبقها لا انها علقت بها يوم الرهان عيون
وأجلُّ علم البرق فيها انها مرّت بجانحتيه وهي ظنون
في الغيث شبه من نداك كانما مسحت على الانواء منك يمين

ولابن هانيٍ ديوان مرتب على الابجدية منه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوربا وطبع في بولاق سنة ١٢٧٤ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ وترجمته في ابن خلكان ٤ ج ٢

٦ — الوأواء الدمشقي

توفي سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الفرج محمد بن احمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء . كان في بدء أمره مناديا في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى أجاد واشتهر . وكان شعره حسن التشبيه منسجم اللفظ عذب العبارة حسن الاشارة ولذلك شاع كثير من أشعاره على ألسنة الناس من ذلك قوله :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة ما ضرّ لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وذكر له الثعالبي بعض القصيدة التي اشتهرت لابن زريق الآتي ذكره ومطلعها:

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

وله من التشبيهات الابيات المشهورة :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها لم ذا ؟ اما لقتيل الحب من قود
وأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد
انسانة لو بدت للشمس ماطلعت من بعد رؤيتها يوما على أحد
كانما بين غايات الجفون لها أسد الحمام على طرق الهوى رصدي

وله ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٦٥ صفحة نقل من المدينة المنورة أكثره مقاطيع في الخمر والغزل

وترجمته في فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢٠٥ ج ١

٧ — السلامي

توفي سنة ٣٩٣ ﻫ

هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومى أخي خالد بن الوليد وسمي السلامي نسبة الى دار السلام. ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ ﻫ ورحل منهـا الى الموصل وهو صبي ينظم الشعر فلقي جماعة من مشائخ الشعراء منهم أبو عثمان الخالدي أحد الخالديين وأبو الفرج البيغاء وغيرهما . فاعجبوا ببراعتـه مع حداثته فاتهموه بان الشعر ليس له . ثم خبروه بتجربة — وذلك أن الخالدي كان في يده نارنجة القاها على برد تساقط في تلك الساعة وطلبوا اليه أن يصف ذلك المنظر فقال مرتجلا :

لله در الخالدي الاوحد الندب الخطير
اهدى لمـاء المزن عند جموده نار السعير
حتى اذا صـدر العتاب اليه عن حنق الصدور
بعثت اليـه بعذره عن خاطري ايدي السرور
لا تعذلوه فانه اهدى الخدود الى الثغور

فاقتنعوا باقتداره وهو من اشعر أهل العراق ومدح آل حمدان. ونزل على الصاحب بن عباد باصفهان ردحاً من الزمن ثم قصد عضد الدوله في شيراز فحمله الصاحب معززاً مكرماً فاكرمه عضد الدولة وكان يقول : « اذا رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطارد قد نزل من الفلك اليّ ووقف بين يدي »

ومن جملة مدحه اياه قوله :

اليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

ومن بديع شعره في مدح الصاحب :

تبسطنا على الآثام لمـا رأينا العفو من ثمر الذنوب

وفي يتيمة الدهر الجزء الثاني طائفة من أحسن اشعاره . وتجد اخباره ايضاً في ابن خلكان ٥٢٤ ج ١

٨ — المبغّاء

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي أصله من نصيبين بالعراق . وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء ولكن الشعر غلب عليه . وقد ذكر الثعالبي رسائل دارت بينه وبين أبي اسحق الصابي وأشياء يطول شرحها . ولقب بالمبغاء للثغة في لسانه . واتصل في ريعان شبابه بسيف الدولة في حلب ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن شعره ما يتغنى به أكثره في الغزل والخمر وفي الزهر فضلا عن قصائد المديح . وفي اليتيمة امثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ومن تشبيهه قوله :

وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين اهلة في الجلمدِ
وكأن طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الأُمدِ

واكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة

واخباره في ابن خلكان ٢٩٨ ج ١ ويتيمة ١٧٣ ج ١

٩ — النامي

توفي سنة ٣٩٩ هـ

هو ابوالعباس احمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي من خواص مداح سيف الدولة يأتي بالرتبة عنده بعد المتنبي

وكان اديباً عارفا باللغة وقد أشتغل فيها بحلب وله وقائع مع المتنبي ومعارضات في الاناشيد . وقد عاش بعده دهراً حتى اربى على التسعين سنة من العمر ومن لطيف شعره قوله :

اتاني في قميص اللاذ يسعى عدوّ لي يلقب بالحبيب
وقد عبث الشراب بمقلتيه فصير خده كسنا اللهيب
فقلت له بما استحسنت هذا لقد اقبلت في زي عجيب
احمرة وجنتيك كستك هذا ام انت صبغته بدم القلوب
فقال الراح اهدت لي قميصاً كلون الشمس في شفق المغيب
فثوبي والمدام ولون خدّي قريب من قريب من قريب

واخباره في ابن خلكان ٣٨ ج ١

١٠ — ابن نباتة السعدي

توفي سنة ٤٠٥ هـ

هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من تميم . نشأ في بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء من جملتهم سيف الدولة وابن العميد . وجرت بينه وبين هذا مفاوضة سيأتي ذكرها في ترجمة ابن العميد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلبي وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ومن قوله في سيف الدولة وقد اعطاه فرساً احمر محجلا قصيدة قال منها في وصف الفرس :

فكانما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض في احشائه
متمهلا والبرق من اسمائه متبرقعاً والحسن من اكفائه
ما كانت النيران يكمن حرُّها لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الالحاظ فى اعطافه الا اذا كفكفت من غلوائه
لا يكمل الطرف المحاسن كلها حتى يكون الطرف من اسرائه

وهو غير ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ صاحب الديوان المشهور وسيأتي ذكره . وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب المتوفي سنة ٣٨٤ هـ صاحب ديوان الخطب وقد طبعت خطبه بمصر مراراً وفي بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عديدة منها نسخ خطية في مكاتب أوربا . وترجمته في ابن خلكان ٢٨٣ ج ١

واما ابن نباتة السعدي فترجمته في ابن خلكان ٢٩٥ ج ١ ويتيمة الدهر ١٤٣ ج ١

١١ — الشريف الرضي

توفي سنة ٤٠٦ هـ

هو ابو الحسن محمد بن الطاهر وينتهي نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن علي ولذلك لقب بالشريف الرضي الموسوي . ولد في بغداد سنة ٣٥٩ وبدا يقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة وكان ابوه نقيب الاشراف الطالبيين فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ وابوه حيٌّ . وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة وكان يقيم في سر من رأى (سامرّا) . وقد اجمع الاكثرون على أن الشريف الرضي اشعر قريش لان شعراء قريش كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل. فاما مجيد مكثرٌ فليس الا الشريف الرضي. وتوفي في بغداد سنة ٤٠٦ هـ ودفن في الكرخ ورثاه الشعراء. وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه في الشعر والادب. ومن

أجمل نظمه الدال على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها في الخليفة القادر بالله العباسي في جلسة جلسها فاوصل اليها الحجيج وغيرهم سنة ٣٨٢ مطلعها :

لمن الحدوج تهزهن الانيق والركب يطفو في السراب ويغرق

ونخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزت في برد النبي وللهدى نور على أسرار وجهك مشرق
وكأن دارك جنة حصباؤها الجادي أو انماطها الاستبرق
في موقف تغضي العيون جلالة فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس اما شاخص متعجب مما يرى أو ناظر متشوق
مالوا اليك محبة فتجمعوا ورأوا عليك مهابة فتفرقوا
عطفاً أمير المؤمنين فانتا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوق

ويمتاز الشريف الرضي ببراعته في الرثاء وله عدة مراث اشهرها رثاؤه لابي اسحق الصابي بقصيدة مطلعها :

أرأيت من حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي

وقد اكبر الناس قوله في هذه القصيدة لان المرثي كان صابئياً

ومن قوله في الحكم :

كن في الانام بلا عين ولا اذن أو لا فعش أبد الايام مصدوراً
والناس أسد تحامي عن فرائسها اما عقرت واما كنت معقوراً

وللشريف المذكور ديوان كبير رواية ابي حكيم الخبري مرتب على أبواب : (١) المديح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المراثي (٤) النسيب والمشيب ووصف طيف الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على الابجدية ويليها زيادات . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية ومكاتب برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع في الهند في مجلد واحد كبير مرتب على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ . وله مؤلفات في معاني القرآن لم تصلنا . وله كتاب انشراح الصدر في مختارات من الشعر منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وفي مكتبة الاسكوريال مما ينسب الى الشريف الرضي مجموعة أشعار عنوانها طيف الخيال

وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢ ج ٢ ويتيمة الدهر ٨١ و ٢٩٨ جزء ٢

١٢ — صريع الدلاء

توفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو الحسن علي بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقتيل الغواني اشتهر بقصيدة مجونية مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :

من لم يرد ان تنتقب نعاله ... يحملها في كفه اذا مشى
ومن اراد ان يصون رجله ... فلبسه خير له من الحفا
من دخلت في عينه مسلة ... فاسأله من ساعته عن العمى
من اكل الفحم تسود فمه ... وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع الناس ولم يدعهم ... ان يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر راسه ... وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه ... طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته في فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢

١٣ — مهيار الديلمي

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو ابو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي كان مجوسياً واسلم على يد الشريف الرضي . وتخرج في الشعر على يده وقد وازن كثيراً من قصائده ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس وقد طرق اكثر ابواب الشعر فمن قوله في القناعة :

يلحى على البخل الشحيح بماله ... افلا تكون بماء وجهك ابخلا
اكرم يديك عن السؤال فانما ... قدر الحياة اقل من أن تسألا
ولقد اضم الي فضل قناعتي ... وابيت مشتملاً بها متزملا
وأري العدو على الخصاصة شارة ... تصف الغني فيخالني متمولا
واذا امرؤ افنى الليالى حسرة ... واماني افنيتهن توكلا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة :

واذا راوك تفرقت ارواحهم ... فكانما عرفتك قبل الاعين
واذا اردت بان تقل كتيبة ... لاقيتها فتسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة ابيات تتضمن العتب وهي :

اذا صور الاشفاق لى كيف انتم وكيف اذا ماعنّ ذكري صبرتم
تنفست عن عتب فؤادي مفصح به ولساني للحفاظ يحمحم
وفى فيّ ماء من بقايا ودادكم كثيراً به من ماء وجهي أرقتم
ارقت فما ضنا عليه وبينه وبين انسكاب ريثما اتكلم

وقد جمع شعره في ديوان يدخل في اربعة مجلدات كان مشهوراً في أيام ابن خلكان وذكر امثلة منه ولم نقف عليه . وترجمته في ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ — ابو العلاء المعري

توفي سنة ٤٤٩ ﻫ

هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث كما كان شبيهه ابو الطيب المتنبي فاتحته — ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفيلسوف احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنوخي . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ﻫ وكان ابوه من اهل الادب وتولى جده القضاء فيها . وكانت امه أيضاً من اسرة وجيهة يعرفون بآل سبيكة اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب واميرها يومئذ سعد الدولة ابو المعالى

ولم يتم ابو العلاء الثالثة من عمره حتى اصابه الجدري فذهب بيسرى عينيه وغشي يمناهما بياض . فكف بصره وهو طفل وكان يقول : « لاأعرف من الالوان الا الاحمر لاني البست في الجدرى ثوبا مصبوغاً بالعصفر » لقنه أبوه النحو واللغة في حداثته ثم قرأ على جماعة من أهل بلده . ولما أدرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها فاكتسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم أناساً يقرأون له كتبها وأشعار العرب وأخبارهم . وهو قوي الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعاً على الشعر نظمه قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه العمى من مباراة أرباب القرائح في ما اشتغلوا به حتى في العابهم فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما لا يرى في العمى نقصاً : بل هو كان يقول « احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر » وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون ديناراً في العام ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل في طلب العلم على عاداتهم في ذلك العهد فاتى طرابلس واللاذقية وسواهما من بلاد الشام وأخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته

قد سبقته اليها فاستقبله علماؤها بالحفاوة. واطلع في أثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلا عن سائر العلوم. حتى اذا نضج عقله وأمعن النظر في الوجود رأى الدنيا كما هي فزهد فيها وعزم على الاعتزال ليتسنى له التأمل والتفكير. فغادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ واتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » وأخذ بالتأليف والنظم وتدوين افكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب. وانقطع عن أكل اللحم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم ـ اقتبس ذلك من آراء البراهمة الهنود فذهب مذهبهم فيه رفقاً بالحيوان وتجافياً عن ايلامه. ولزم الصوم الدائم

قضى أبو العلاء في هذه العزلة بضعاً وأربعين سنة واكله العدس وحلاوته التين. وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون اليه ليسمعوا أقواله وأخباره. أو يكاتبوه في استفهام واستفتاء ويأخذوا عنه العلم مجاناً حتى توفاه الله سنة ٤٤٩

وكان معدوداً من أقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه لم يتكسب بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات في الشعر وفي الادب. أما اشعاره فاشهرها :

١ اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع في بمباي سنة ١٣٠٣ هـ ثم في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو ٩٠٠ صفحة. في صدرها مقدمة في الشعر وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادي يدل على رسوخ قدمه في اللغة والشعر. وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط أهمها التزام حرفين في القافية وقد نظمه في أثناء عزلته وضمنه كثيراً من آرائه في الوجود والخليقة والنفس والدين. فكان له وقع عند أصحاب الفلسفة فقالوا : «ان أبا العلاء أتى قبل عصره باجيال» وتمتاز اشعاره في عزلته بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من أسباب السعادة ـ لعل سببها اختلال عمل الهضم بتوالي الصوم والاقتصار على نوع أو نوعين من الاطعمة. على ان أكثر اشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف ويندر فيها المدح او التشبيب. وقد نقل أمين افندي ريحاني بعض رباعياته الى الانكليزية نشرت في اميركا منذ بضع سنين. وترجم بعض شعره أيضاً جورج سلمون الى اللغة الفرنساوية ونشرها في باريس سنة ١٩٠٤

٢ سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمه قبل العزلة. طبع مراراً

٣ ضوء السقط : يقتصر على ما نظمه في الدرع طبع في بيروت سنة ١٨٩٤

أما الادب فله فيه مؤلفات عديدة ربما زادت على خمسين كتاباً أكثرها في اللغة والقوافي والنقد والفلسفة والمراسلات ضاع معظمها واليك ما بلغ الينا خبره منها :

٤ رسائل أبي العلاء: هي كثيرة لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة كراس وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب نحو ما يفعلون في انشاء المقامات فلا تفهم بلا تفسير. وهي من قبيل الشعر المنثور في وصف الخلائق كالنمل والجراد والنسر والفيل والنحل والضفدع والفرس والضبع والحية ونحوها من الحيوانات. غير وصف الاماكن والمواقف والثياب والمآكل وغيرها مما يحسن تحديه لولا ما فيه من اللفظ الغريب. ولكن معظمها ضاع وقد جمع اكثر ما بقي منها في كتاب طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطاً بالحركات. وطبع أيضاً في اكسفورد سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي مع ترجمة انكليزية وتعاليق وشروح تاريخية وأدبية مفيدة. وقد صدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف بالانكليزية وذيلها بما ذكره الذهبي من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ رسالة الغفران: هي من جملة رسائله ولكننا افردناها بالكلام لانها طبعت على حدة ولها شأن خاص من حيث موضوعها. وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلته وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم والرواة والنحاة على اسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه أحد. فتخيل رجلا صعد الى السماء ووصف ما شاهده هناك كما فعل دانتي شاعر الايطاليان في «الرواية الالهية» وما فعل ملتن الانكليزي في «ضياع الفردوس» لكن ابا العلاء سبقهما ببضعة قرون. لان دانتي توفي نحو سنة ٧٢٠ هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ هـ وتوفي ابو العلاء سنة ٤٤٩ هـ فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه. واقدمهما (دانتي) لم يظهر الا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين. والايطاليان أسبق الافرنج الى ذلك. وتقسم مواضيع رسالة الغفران الى قسمين ادبي لغوي ونوادر خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلي الافكار والمتنبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم في اثناء التمدن الاسلامي. ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعراً قاله أو عملا عمله فغفر له به. ومنها تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران - كأنه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه أحياناً من الابيات التي يعدها الناس كفرية. وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ولخصناها في السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ ملقى السبيل: هي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ عن أصل خطي قديم وجد في الاسكوريال بعناية ح. ح. عبد الوهاب التونسي. وهي على نسق رسائله الاخرى لكن أكثرها منظوم. وقد قابل الناشر بين آراء المعري فيها واراء

شوبنهور الفيلسوف الالماني من حيث الحياة ومصيرها وطبعها على حدة سنة ١٩١٢

٧ كتاب الايك والغصون ويعرف باسم الهمزة والردف : يبحث في الادب واخبار العرب يقارب مئة جزء ضاع منذ بضعة قرون. وانما ذكرناه لعل أحداً يعثر على شيء منه اذ يظهر انه عظيم الاهمية فقد قال فيه الذهبي «حكى من وقف على المجلد الاول بعد المئة من كتاب الهمزة والردف فقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد»

وعنى أبو العلاء بشرح كتب هامة أو اختصارها مر ذكر بعضها . منها شرح الحماسة منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوي

وكان مشاركا في كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق ويظهر أثر ذلك في أشعاره وأقواله . ولو أردنا الاتيان بامثلة منها لضاق بنا المقام ودواوينه شائعة فميزناه بخلو ترجمته من الامثلة الشعرية كما ميزنا المتنبي قبله . وقد تقدم ذكر شيء من شعره في كلامنا عن مزايا الشعر في هذا العصر وغيره . وسنأتي بأمثلة اخرى في أمكنة أخرى

مناقبه ومنزلته

ويقال بالاجمال ان الشعر العربي دخل بعد المعري في طور جديد من حيث النظر في الطبيعة والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية . فانتقل الشعر على يده من الخيال الى الحقيقة . واختلف الناس في مناقب أبي العلاء واخلاقه واعتقاده . وله فلسفة خاصة في الدين والطبيعة والخليقة. وهو أقرب من هذا القبيل الى مذهب اللاأدريين ويعتقد التقمص وخلود المادة وان الفضاء لا نهاية له . وكان يقبح الزواج ويعد تخليف الاولاد جناية . وكان يرى المرأة لا ينبغي لها أن تتعلم غير الغزل والنسج وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان فقضى النصف الاخير من عمره لم يذق لحماً . وله أقوال في هذا الموضوع سبق بها أصحاب الرفق بالحيوان اليوم عدة قرون. وعثر له الاستاذ مرجليوث على رسالة في هذا الموضوع جزيلة الفائدة نشرها في المجلة الاسيوية الانكليزية ولخصناها في الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهمه بعضهم بالكفر وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر في تلك الايام . مع ان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهرة في كثير من اشعاره لكنه لم يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل التفكير . وكانت حقيقة الدين عنده أن يعمل الانسان خيراً لا أن يكثر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وايدناه بالامثلة من أشعاره وأقواله في السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته في السنة المذكورة من الهلال وفي ابن خلكان ٣٣ ج ١ وطبقات الادباء ٤٢٥ ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ وفي ذيل رسائله المطبوعة باكسفورد

سائر الشعراء

في العصر العباسي الثاني

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم فمن أحب الاطلاع على تراجمهم واخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر للباخرزي ومعجم الادباء لياقوت الحموي وتاريخ ابن خلكان وسائر كتب التراجم. وانما نشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر وهم :

١٥ أبو الرقعمق كان مداحاً : ترجمته في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ١ وابن خلكان ٤٠ ج ١

١٦ الواساني كان هجاءاً : ترجمته في اليتيمة ٢٦١ ج ١

١٧ ابو عبدالله الحسن بن حجاج كان مجاناً : اليتيمة ٢١١ ج ٢

١٨ ابن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بن المنصور الخليفة العباسي . جال في ميدان المجون والسخف ما اراد. وكانوا يشبهونه مع ابن الحجاج بجرير والفرزدق. ويربو ديوان ابن سكرة على ٥٠٠٠٠ بيت منها ١٠٠٠٠ بيت في جارية سوداء اسمها خمرة وكانت عرضة نوادره وملحه كطيلسان ابن حرب ولم نقف على ديوانه. ترجمته في اليتيمة ١٨٨ ج ٢ وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن زريق

١٩ ولا يصح الاغضاء عن ابي الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي صاحب القصيدة التي قالها في حال غمه ويأسه بعد أن قصد صاحب الاندلس ومدحه فلم يعطه الا عطاء قليلا فاعتل غماً ومات . وذكروا ان صاحب الاندلس انما اراد أن يختبره فلما كان بعد أيام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه فوجدوه ميتاً وعند رأسه رقعة فيها القصيدة المشار اليها ومطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

وهي منشورة في الكشكول وغيره من كتب الادب . ولها شروح وتخاميس وقد تقدم أن الثعالبي ذكر بعضها للوأواء الدمشقي . وقد شرحها علي بن عبد الله العلوي وخمسها علي بن ناصر الباعوني ومن الشرح والتخميس نسخة في برلين

الانشاء والترسل

في العصر العباسي الثالث

تمكنت الحضارة من اسلوب الترسل في هذا العصر — ونعني بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص . «ويريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الادب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة» وهو الذي يتغير مع الاعصر كما بينا ذلك فى كلامنا عن الانشاء في العصر الماضى. ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان أساليبها متشابهة . أما انشاء الكتب أي عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التي يراد بها تقرير الحقائق بغير ارهاب أو تهديد أو تنبيه أو تحريض فهذه قلما يعتورها تغيير لان تقرير الحقائق العلمية أو التاريخية قلما تؤثر فيه الانفعالات النفسية فهو أقل مجاراة للاحوال الاجتماعية . ولذلك رأيت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة يندر الاختلاف فيها — الا في ما يختص بنفس الكاتب واسلوب تفكيره وموضوع كتابه . اذ ان لكل كاتب طريقة يعبرون عنها بالذوق ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقا خاصاً . فعبارة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ وهذه تختلف عن عبارة الحكيم أو الرياضي . وقد يختلف أسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذي يكتب فيه . ولكنها ترجع كلها الى اسلوب خاص يختلف عن أسلوب الترسل

والكاتب في المواضيع العلمية لا يزال على أسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضي الموضوع مخاطبة القارىء فينتقل الى اسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور . فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط — الا طائفة من المؤلفين ارادوا زيادة التأنق في مؤلفاتهم فجعلوا عباراتها كلها مسجعة . وذلك نادر وسنعود الى الكلام فيه

اسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والاميال وسائر الاحوال وهذه تختلف في الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية واحوالهم الادبية وهي تتغير بتغير الاحوال ـ كان الترسل أكثر تعرضاً للتغيير في اسلوبه وعبارته وهو ما نريد بيانه هنا يغلب أن يكون لكل عصر امام في انشاء المراسلات يتحداه معاصروه. كذلك كان

عبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الاول والجاحظ في العصر الثاني . واما امام الانشاء في هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سنبينها في ترجمة حاله . وقد رأيت ما أصاب هذا الانشاء في العصر الماضي على يد الجاحظ وأصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدعاء فيها بصيغة المخاطب بغير اشتراط السجع أو التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع باسباب الحضارة والترف نعني ماصار اليه الادباء والمنشئون من التبسط في العيش عن سعة ورخاء . لايخافون مزاحمة أو فقراً لتعدد مصادر الارتزاق في دور الامراء والوزراء والخلفاء. فاذا خافوا سبقاً في بلاط نزحوا الى سواه ـ والرخاء يدعو الى التأنق فتطرق ذلك الى انشائهم فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون بلباسهم وطعامهم واثاثهم فاطالوا العبارة وتوسعوا في التنميق. ونبغ جماعة من أصحاب القرائح تساعدوا على ذلك حتى صار للانشاء في هذا العصر طريقة اتخذها أهل العصور التالية نموذجاً نسجوا على منواله . وهي الطريقة المدرسية في اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وبعبارة أخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربي نضجت في هذا العصر كما نضج الانشاء الروماني في عصر شيشرون ثم أخذ في التقهقر . وهكذا أصاب الانشاء العربي بعد هذا العصر كما ستراه في مكانه . وللطريقة المدرسية في الانشاء العربي شروط هاك أهمها :

شروط الطريقة المدرسية في الانشاء العربي

١ السجع : اصبح التسجيع شرطاً من شروط الترسل وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في اتقانه . فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجعة . وتدل من جهة أخرى على تفرغ صاحبها للتنميق ولا يكون ذلك الا في الرخاء ـ والسجع اذا أتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد اتقنه بلغاء العصر الثالث فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه . لكن بعض معاصريهم من ادعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء بارداً. ومما يروى من هذا القبيل وفيه فكاهة ان الخاقاني الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه في التوقيع على كتب العمال فوقع مرة « الزم وفقك الله المنهاج واحذر عواقب الاعوجاج واحمل ما أمكن من الدجاج ان شاء الله» فحمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية. فقال «هذا دجاج وفرته بركة السجع» وأمر أن يباع ويورد ثمنه في الحساب فاورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع

٢ الجناس والبديع : واكثروا من الجناس وهو من قبيل الترصيع للآنية أو الوشي للثوب . لايزيد الوشي الثوب نفعاً للابسه من حيث الغرض المراد منه كالدفء

والستر ولكنه يزيده جمالا . والجناس أو البديع لا يزيد العبارة معنى لكنه يكسبها رونقاً ولا سيما مع السجع . فقول أبي بكر الخوارزمي في كتابه الى نائب الوزير ابن عباد : « كتبت الى الاستاذ معاتباً مرة . ومستعتباً كرة . فما وجدت للعتاب اعتاباً . ولا قرأت من الكتاب جواباً. وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لا تضره وتنفعني. وعن تواضع لا يضعه ويرفعني» لو جعله مرسلا بسيطاً لم يكن له ذلك الوقع في النفس

٣ كثر فيه الخيال الشعري حتى أصبح سجعهم كالشعر المنثور لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعراً

٤ كثر تضمين مراسلاتهم الامثال أو النكت الادبية أو العبارات التاريخية أو العلمية التي تحتاج الى شرح كقول ابن العميد في رسالة الى أبي العلاء السروي :

«وأحمد الله على كل حال وأسأله أن يعرفني فضل بركته ويلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمته . وأرغب اليه في أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره . ويخفف حركته ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرته. ويزيل بركة الطول من ساعاته. ويرد علي غرة شوال فهي اسر الغرر عندي واقرها لعيني . ويسمعني النعرة في قفا شهر رمضان . ويعرض علي هلاله اخفى من السر وأظلم من الكفر . وانحف من مجنون بني عامر واضنى من قيس بن ذريح وابلى من أسير الهجر. ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوؤها ويحط من الاجسام نؤها كلفاً يغمرها وكسوفاً يسترها » الخ

٥ أكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار في أثناء مراسلاتهم وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحاً ويكسبه قوة على ابداء ما في خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم في ذلك الترصيع حتى أصبح الشعر فيه أكثر من النثر. كقول الصاحب بن عباد يصف فصلا من كتب ابن العميد قال : « فصل رأيته فصيح الاشارة لطيف العبارة

اذا اختصر المعنى فشربة حائم وان رام اسهاباً اتى الفيض بالمد

فصل قد نظرته فرأيته جسما معتدلا وفهماً مشتعلا

ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام

فصل قد عمهم بنعمه وغمرهم بشيمه

وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجمهم بطائن نعله » الخ

وتفنن آخرون بجعل الترصيع شطراً شطراً كقول الهمذاني من رسالة الى الخوارزمي :

انا لقرب دار الاستاذ كما طرب الشنوان مالت به الخمر
ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر
ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

٦ صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلا في رسائل ابي بكر الخوارزمي وابي منصور الثعالبي وأمثالهما من كتاب ذلك العصر . فالرسالة تبدأ غالباً بمخاطبة المرسل اليه بلقبه أو نعته بعد الاشارة الى كتابه . ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم : « ورد كتاب الامير يأمرني فيه بكذا وكذا الخ » وقولهم : « قد حملت الى حضرة الشيخ ابياتاً عاتبته بها » وهو يريد الشيخ المخاطب . وقد يأتي اللقب مشفوعاً بالدعاء بصيغة الغائب أيضاً كقول ابي بكر الخوارزمي في كتاب الى محمد بن ابراهيم صاحب الجيش وكان محبوساً وخرج من الحبس « كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال خروج المشرفي من الصقال الخ » وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب في بعض الاحوال

٧ تفرع الترسل الى أبواب عملا بسنة النشوء كما تفرع الشعر . فصارت الرسائل تقسم الى رسائل التهنئة والتعزية والمديح والرثاء والى الاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك

٨ تمتاز مقدمات الكتب أو خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبي وتختم بآية يحسن الختام بها كقولهم « وما توفيقي الا بالله عليه توكلت » أو بالحسبلة ونحوها

٩ اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنعوت خاصة بها . فان تفاوت رجال الدولة بالمنزلة والنفوذ اقتضى أن تتفاوت أساليب مخاطباتهم . واستقر ذلك على وجه معين في العصر العباسي الثالث . فاصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعوت تفتتح بها مخاطباتهم وعبارات تعنون بها كتبهم وأدعية يدعون بها لهم . كقولهم في مخاطبة أولاد الخليفة في زمن المقتدر بالله « أطال الله بقاء الامير » ولمؤنس المظفر « أطال الله بقاءك وأعزك واكرمك واتم نعمته واحسانه اليك » والعنوان « لابي الحسن اطال الله بقاءه » ولصاحب اليمن ونحوه « أكرمك الله ومد في عمرك وأتم نعمته عليك وادامها لك » وقس عليه

١٠ صار الانشاء فنا له الفاظ خاصة سموها الالفاظ الكتابية لا يتجاوزنها الى سواها . وتولدت فيه مصطلحات خاصة لاساليبه وعباراته كالتسجيع والترصيع

والتضريس والتبديل والمكافأة والاستعارة والتتميم والتقسيم والارداف والتمثيل والمعاظلة والتكرير وغيرها . ولكل منها غرض في الانشاء

هذه اهم شروط الانشاء في العصر العباسي الثالث وقد سميناها الطريقة المدرسية لانها صارت مثالا توخاه الكتاب في سائر العصور الاسلامية . وقد طرأ عليها تغيير اقتضاه حال الاجتماع سنذكره في مكانه

ومما لابد من التنبيه اليه ان ما يجرى عليه الكتاب من تحدي القدماء في مذاهبهم وتقليد اساليبهم لاعتقادهم ان ملكة الانشاء انما ترسخ بمطالعة كتب القدماء واشعارهم بعث على تعدد الاساليب في العصر الواحد . فينبغ في العصر الثالث مثلا كتاب يتحدون اسلوب الجاحظ وآخرون يقلدون اسلوب المقفع أو عبد الحميد أو أسلوب صدر الاسلام . ويصدق ذلك على سائر العصور . ولكن يغلب في أهل العصر الواحد أن يخضعوا لمقتضيه المجاري الاجتماعية فيكون لانشائهم صبغة خاصة به

المنشئون أو المترسلون

في العصر العباسي الثالث

تكاثر المنشئون في هذا العصر مثل تكاثر الشعراء واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعاً حتى لقد تتولاك الحيرة في جعل احدهم من الكتاب أو من الشعراء . واشتهر من المترسلين في العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة شرفت بهم الصناعة وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها . بل هم أقوى اركان تلك النهضة في النظم والنثر وسائر اسباب العلم والادب واليك اشهرهم حسب سني الوفاة :

١ ـ ابن العميد

توفي سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفضل محمد بن العميد والعميد لقب والده على عادة أهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة . تولى الوزارة سنة ٣٢٨ هـ وكان متوسعاً في الفلسفة والنجوم فضلا عن الادب والترسل حتى سموه «الاستاذ» وكان يلقب لبراعته في الترسل بالجاحظ الثاني.

وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان الصاحب بن عباد من بعض اتباعه كما سيجيء . وعاد الصاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها فقال « بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد » يشير الى تفرده في العلم . وهو اسبق المنشئين الى أسلوب ذلك العصر وقد اجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلو كعبه في العلم — وكثيراً ما رأينا الوجاهة من جملة اسباب الشهرة العلمية فهي لاتجعل الجاهل مشهوراً بالعلم لكنها تجعل قليل العلم ان يشتهر بكثرته وأخذ الصاحب بن عباد عن ابن العميد وكان الصاحب مركزاً يدور حوله ادباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة

ويدل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء في ذلك العصر حادثة جرت له من ابن نباتة السعدي وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها باخرى واتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي ورد عليها الى بابه . فتوصل الى أن دخل عليه يوماً وهو في مجلس حفل باعيان الدولة ومقدمي ارباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيده وقال: « ايها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك . والله ما بي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحوني فأغششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة اقاومهم . ولم احصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم وبأس مسقم . فان كان للنجاح علامة فاين هي ؟ وما هي الا أن الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك . فزاحم بمنكبك اعظمهم شأناً وأنورهم شعاعاً وأمدهم باعا وأشرفهم بقاعاً »

فحار رشد ابن العميد ولم يدر مايقول فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعذرة . واذا تواهبنا مادفعنا اليه استأنفنا ماتتحامد عليه » فقال ابن نباتة: « ايها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر . والغني اذا مطل لئيم »

فاستشاط ابن العميد غضباً وقال « والله ما استوجب هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ولست ولى نعمتي فاحتملك ولا صنيعتي فاغضي عليك وان بعض ما قررته في مسامعي ينغص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقريضي » فقال ابن نباتة : « صدقت ايها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك

ولا كلفتني تقرضيك ولكن جلست في صدر ديوانك بابهتك وقلت لا يخاطبني أحد الا بالرئاسة ولا ينازعني خلق في احكام السياسة. فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الأولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة. فكانك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال»

فثار ابن العميد مغضباً وأسرع في صحن داره الى ان دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار ماراً يقول: «والله ان سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا. فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه مما كساً فيه»

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل آثار ما كان منه فكانما غاض في سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه. فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات. ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر غير ابن نباتة

وكان ابن العميد يقرب أهل الادب والشعر فحام حوله طائفة منهم امتدحوه كالمتنبي وابن نباتة والصاحب بن عباد وغيرهم. كانوا يجتمعون في مجلسه فيقترح عليهم النظم والمقارضة — وهي أن يقول أحدهم شعراً أو بيتاً في وصف شيء أو حادثة فيتمه الآخر فالآخر

وكان ابن العميد شاعراً رقيقاً من أحسن شعره قصيدة قالها منها:

قد ذبت غير حشاشة ودماء ... مابين حر هوى وحر هواء

الى أن قال وفيه مبالغة:

لا تغتنم اغضاءتي فلعلها ... كالعين تغضيها على الاقذاء

واستبق بعض حشاشتي فلعلني ... يوماً اقيك بها من الاسواء

فلوان ما ابقيت من جسمي قذى ... في العين لم يمنع من الاغفاء

ومن قوله في الغزل:

ظلت تظللني من الشمس ... نفس أعز علي من نفسي

فاقول واعجباً ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس

ترى أمثلة من ترسله ونظمه في يتيمة الدهر الجزء الثالث. ولم يصلنا منه رسائل مجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه ابو الفتح ذو الكفايتين بعده بمثل شهرته

وتجد أخبار ابن العميد في ابن خلكان ٥٧ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢ ج ٣

٢ – أبو بكر الخوارزمي

توفي سنة ٣٨٣ هـ

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر . ويقال له أيضاً الطبرخزي لان أباه من خوارزم وأمه من طبرستان . وهو ابن أخت محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ. وكان الخوارزمي اماما في اللغة والنسب أقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب . وكان يشار اليه في عصره وقصد الصاحب بن عباد وهو في ارجان وجالسه وباسطه . واشتهر بكثرة حفظه للاشعار . ويحكي انه لما جاء الى الصاحب استأذن عليه بدون أن يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب واعلمه فقال الصاحب: « قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر : « ارجع وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء » فدخل الحاجب فاعاد عليه . فقال : « هذا يكون ابا بكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول

لم يصل الينا من آثار أبي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه وهي مطبوعة في مصر وفي الاستانة سنة ١٢٩٧ وفي بومباي سنة ١٣٠١ وغيرها ومنها نسخ خطية في برلين وفينا وليدن وكوبرلي . وفي الجزء الرابع من يتيمة الدهر أمثلة كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح والمراثي والاهاجي وطرق مختلفة. وهو غير محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي الرياضي المعاصر للمأمون (ترجمته في ابن القفطي ١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير ابي عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره صفحة ٢٣٢

أما ابو بكر هذا فترجمته في ابن خلكان ٥٢٣ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٤ ج ٤

٣ – ابو اسحق الصابي

- ٢٨٤ -

توفي سنة ٣٤٨ هـ

هو أبو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حبون الحزاني الصابي جد ابي الحسن هلال الصابي صاحب التاريخ . كان ابو اسحق كاتب الانشاء في بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه. وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤلمه فحقد عليه فلما قتل عز

الدولة وملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧ هـ وعزم على القائه تحت ايدي الفيلة فشفعوا فيه ثم اطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد امره ان يصنف كتاباً في اخبار الدولة الديلمية فعمل كتاب «التاجي» فقيل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل فقال : « أباطيل انمقها واكاذيب ألفقها » فهاج حقده عليه ولم يزل الصابي مبعداً في أيامه

وكان ابو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عزُّ الدولة يحرضه على الاسلام فلم يفعل لكنه كان يصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضي المتقدم ذكره . فلما توفي ابو اسحق رثاه بالقصيدة التي ذكرنا مطلعها وخبرها في ترجمة الشريف . وكان الصابي عالماً بالهندسة لكن غلبت عليه صناعة الانشاء . ومما بلغنا من انشائه :

١ منشآت الصابي: في المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم تدخل في ٤٥٤ صفحة تشتمل على مراسلات كتبها الصابي على لسان ولاة الامر في عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهي كالمخابرات الرسمية في وصف الوقائع الحربية أو غيرها. منها رسالة كتبها الى ركن الدولة سنة ٣٦٤ هـ شرح فيها فتح بغداد وانهزام الاتراك منها ووصف الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح جبال القفص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الاكراد) ورسائل اخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك العصر . وفيها صور عهود أو تقليدات رسمية للولاة أو العمال أو القضاة صادرة من الخليفة . كالعهد الذي قلده الطائع لله العباسي ابا الحسن علي بن ركن الدولة على الصلاة واعمال الحرب يدخل في بضع عشرة صفحة . وفيه أمور هامة عن أحوال السياسة والادارة والاجتماع مما لا يتيسر الوقوف عليه في كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضي القضاة . وغيرها الى القواد أو الفقهاء أو أمراء الحج . ومنشورات بعثت الى الاهلين أو العمال أو القرامطة . فضلا عن رسائل خصوصية كتبها الصابي الى اصدقائه . وبالجملة ان هذه المنشآت خزانة أدب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة متينة . بل هي من أبلغ ما كتب في ذلك العصر

٢ رسائل الصابي : تقسم الى ابواب في المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما أنفذ الى العمال والمتصرفين والنواحي . وهي غير منشآته المتقدم ذكرها وان كانت تشبهها في اكثر موادها فان فيها كثيراً من الرسائل الودية فضلا عن المخابرات السياسية

والتقاليد الرسمية والمناشير ونحوها وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة . منها نسخة خطية في ليدن وفي المكتبة الخديوية وجزء في باريس وطبع بعضها في بيروت

اما التاجي فلم يصلنا منه شيء

وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٢ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٣ ج ٢ ومعجم الادباء ٣٢٤ ج ١ والفهرست ١٣٤

٤ — الصاحب بن عباد

توفي سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني . وقد تقدمت الاشارة الى منزلته من الوجاهة وتأثيره في تلك الحركة الادبية وكان اديباً منشئاً وعالماً في اللغة وغيرها . أخذ عن احمد بن فارس اللغوي الآتي ذكره وعن ابن العميد . وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد . ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه . وسمي به كل من ولي الوزارة بعده . وقد وزر أولا لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد . فلما توفي مؤيد الدولة تولى مكانه اخوه فخر الدولة فاقر الصاحب على وزارته وكان مبجلا عنده نافذ الامر . وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه أو يتناقشون أو يتقارضون بين يديه . وذاعت شهرته في ذلك العصر حتى اصبح موضوع اعجاب القوم يتسابقون الى اطرائه ونظمت القصائد في مدحه . وكتب اليه نوح بن منصور الساماني يستقدمه اليه فاعتذر كما تقدم صفحة ٢٢٦ . وقد بلغ من رفعة القدر حتى انه لما توفي سنة ٣٨٥ هـ أغلقت له مدينة الري ابوابها واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون جنازته . وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور اولا وسائر القواد وقد غيروا لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض . ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء اياماً . ورثاه ابو سعيد الرستمي بقوله :

ابعد ابن عباد يهش الى السرى اخو امل أو يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

وكان شاعراً مترسلا مع ولع شديد بالسجع حتى في الكلام فضلا عن الكتابة . وقيل فيه « انه لو رأى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة

لما هان عليه التخلي عنها » وكان يتثنى ويتلوى ويتهادى . وفي يتيمة الدهر أمثلة من نظمه ونثره فضلا عن معرفته اللغة فانه الف معجماً سماه المحيط سيأتي ذكره مع المعاجم. والف له ابن فارس كتاب الصاحبي الآتي ذكره . وساعده منصبه السياسي على الشهرة العلمية . وله في الرسائل كتاب الكافي منه منتخبات خطية في مكتبة باريس . وقصيدتان من شعره في برلين . وله ديوان في مكتبة ايا صوفيا بالاستانة

وترجمته في ابن خلكان ٧٥ ج ١ وطبقات الادباء ٣٩٧ ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ والفهرست ١٣٥ ويتيمة الدهر ١٥٧ ج ٤

٥ — بديع الزمان الهمذاني

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان كان يقيم في هراة بافغانستان . وكان شاعراً وكاتباً ولغوياً واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة كان يسمع القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها لا يخرم حرفاً ولا يخل معنى . وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة خفيفة ثم يتلوها عن ظهر قلبه

وكان سريع الخاطر قوي البديهة يقترح عليه نظم القصيدة أو انشاء الرسالة فيفرغ منها في الوقت والساعة . وربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتديء بآخر سطر منه وهلم جرا الى الاول . وله من المؤلفات :

١ رسائل مجموعة في كتاب يعرف برسائل بديع الزمان طبعت في الاستانة سنة ١٢٩٨ وفي بيروت سنة ١٨٩٠

٢ ديوان شعر : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١ هـ

٣ مقامات تعرف باسمه وهي أقدم كتاب وصل الينا في هذا الفن عن فنون اللغة . وهو أول من وفاه حقه وجعله علماً وقد اقتبس نسقه من استاذه ابن فارس اللغوي الآتي ذكره . وعنه أخذ الحريري نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي تنتهي بعبرة أو موعظة أو نكتة . والمراد بها في الاكثر التفنن بالانشاء وتضمينه الامثال والحكم. ولم يكن هذا كل المراد منها في زمن الهمذاني . وقد شبهها بعضهم بالدرام في اللغات الافرنجية . ومقامات الهمذاني تروى

على لسان رجل اسمه عيسى بن هشام . طبعت هذه المقامات في الاستانة سنة ١٢٩٨ ثم في بيروت مشروحة شرحاً مختصراً للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٩ وهو غير عبدالرحمن الهمذاني صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٩

وترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ٣٩ ج ١ ومعجم الادباء ٩٤ ج ١ ويتيمة الدهر ١٦٧ ج ٤

٦ — أبو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي — قيل له ذلك لانه كان فراء بجلد الثعالب . وهو خاتمة مترسلي هذا العصر وأهم ادبائه . ونعم الخاتمة لانه أكثرهم آثاراً وأوسعهم مادة وهو الذي ترجمهم وذكر أخبارهم وأقوالهم . وكان في العصر المشار اليه راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين وامام المصنفين . وهو مع ذلك شاعر مطبوع ومن نظمه في وصف الفرس قوله :

يا واهب الطرف الجواد كانما ... قد أنعلوه بالرياح الاربع
لا شيء أسرع منه الا خاطري ... في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو انني أنصفت في اكرامه ... لجلال مهديه الكريم الالمعي
اقضمته حب الفؤاد لحبه ... وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع ... برد الشباب لجله والبرقع

وله مؤلفات كثيرة أكثرها من قبيل الادب فنؤجل ذكرها الى ذلك الباب ونكتفي هنا بذكر كتابه في الانشاء . نعني كتاب رسائل الثعالبي طبع في الاستانة سنة ١٣٠١ وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثل والمحاضرة والمبهج وسحر البلاغة والنهاية الآتي ذكرها بين كتبه الاخرى

منشئون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخلفوا آثاراً غير ما ذكره الثعالبي في اليتيمة أو غيره ممن ترجموهم. وهذه أسماؤهم وبجانبها مكان وجود الامثلة من انشاء كل منهم وترجمة حاله :

٧ أبو الفتح البستي في يتيمة الدهر ٢٠٤ ج ٤
٨ أبو الفضل الميكالي « « ٢٤٧ ج ٤

٩ الحاتمي	في يتيمة الدهر	٢٧٣ ج ٢
١٠ الشابشتي	ابن خلكان	٣٣٨ ج ١
١١ التهامي الشاعر	« «	٣٥٧ ج ١
١٢ القسطلي	في اليتيمة	٤٣٨ ج ١

الادب والانشاء

عند الافرنج

ومما يحسن استطراده في هذا المقام ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم ليترانور (Littérature) يفضي الى الاجادة في فني المنثور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب لكنه يشتمل أيضاً على روح انتقادية هي المراد الاصلي من علم الادب عندهم لا العبارة أو الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التي ينتقد بها الكاتب أو الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية أو ينتبه له من أماكن النقص في الامة أو رجالها أو ملوكها فينتقده أو يصفه باسلوب انتقادي شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعاً مؤثراً . وكتابهم انما يتفاضلون في أسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية (الدرام) عن أسلافهم . لان المراد الاصلي منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها. فالكاتب أو الشاعر عندهم يكتب أو ينظم أو يمثل أو يخطب والغرض الرئيسي عنده الانتقاد بما توحيه اليه قريحته من النظر في الوجود أو المجتمع الانساني أو احوال الناس من حيث الادب او السياسة أو الاخلاق . بقطع النظر عما يرجوه من الكسب أو الاسترضاء . وهذا نادر في أدباء العرب لانصراف قرائحهم في صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء أو الامراء من مدح أو هجاء على ما كانت تقتضيه الاحزاب السياسية. أو يشببون بما يطرب الخليفة أو الامير لان على رضاه يتوقف رزقهم

كان الغرض الاول من الادب العربي في الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاة الامر في تأييد سيادتهم ونفوذهم أو تسليتهم وتفريحهم. وكان اكثر الشعراء والادباء من الموالي طلاب الرزق. فلم تتوجه قرائحهم الى النقد الاجتماعي أو السياسي أو الفلسفي مما يقتضيه النظر في الخليقة أو نظام الاجتماع أو الدولة. لان ذلك لا يلائم اغراض اصحاب السيادة. ولا سيما بعد أن صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم

الزندقة أو الاعتزال أو الفلسفة بعد عصر المأمون . فقامت تلك المطاردة سدا في سبيل حرية القول واستقلال الفكر. فاصبح الادباء لايفكرون الا كما يشاء امراؤهم. واذا فكروا في غيره فلا يجسرون على قوله . واذا قالوه بادروا الى اخفائه فراراً من الاذى أو سوء الاحدوثة أو الاتهام بالمروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من أقوال أدباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النزر اليسير

ولعل أول من كسر قيود التقليد في هذا الشأن أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف فنشر آراءه في انتقاد الهيأة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظماً ونثراً . فوجه سهامه نحو رجال الدين لاحترافهم التقوى في سبيل الاستجداء أو الاستئثار . ونظم في فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع فنقم عليه كثيرون واتهموه بالكفر ولم يعدوا قوله شعرا فسموه الحكيم وانكروا عليه الشاعرية . والحقيقة ان تلك هي الشاعرية بعينها . فسرت روحه في جسم المجتمع وأخذ الادباء من العرب وغيرهم يتحدونه كما فعل عمر الخيام برباعياته

على ان أكثر أدباء العرب اقتصروا في انتقاداتهم الاجتماعية أو الاخلاقية على نظم القصائد الحكمية يضمنونها الحكم والمواعظ ومحاسن الاخلاق. وأكثر الكتب المؤلفة في السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك وما ينبغي أن يكونوا عليه من الكمالات . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن في كتاب السياسة الذي قدمه لصلاح الدين الايوبي المتقدم ذكره صفحة ٢٣٣

ولكن ذلك غير ما يريده أدباء الافرنج في عصرنا من النقد الادبي أو الادب الانتقادي . فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتي وهوكو وروسو وفولتير وغيرهم ممن الف القصص للمطالعة أو التمثيل أو القصائد أو المقالات في تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها باسلوب شعري يؤثر في النفس . وقد يؤلف أحدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة أو نكتة توسمها في نظام الاجتماع أو قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك في النظم ولا في النثر. الا نحو ما يؤخذ من كتاب كليلة ودمنة وأمثاله وهو تلميحي وليس هو عربي الاصل . وقد الفوا قصة عنتر مثلا صوروا بها حالة الاجتماع في الجاهلية . وصوروا في الف ليلة وليلة حال الاجتماع في عصر الرخاء والحضارة لكنهم لم يضعوا ذلك في شكل انتقادي ولا نبهوا الى مكان العبرة فيه . وان كان القارىء يتأثر من المطالعة فيساق من نفسه الى استحسان بعض ماصور هناك من المناقب فيتحداها الا انه غير مقصود في التأليف

وهذا النقص ليس خاصاً بالعرب بل هو يشمل اكثر الشرقيين . ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادي في نفوسهم بتوالي الاجيال واضطرارهم للارتزاق من الرؤساء. وهم اصحاب قرائح انتقادية فحصروها في المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون . أو في المجادلات الدينية ويراد بها غالباً خدمة مصلحة ولاة الامر فيما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواه أو تحقير اعدائهم من دعاة الخلافة أو القائمين على الدولة . أو في المهاجاة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة أو نحوها . أما انتقاد المبادىء الاجتماعية أو السياسية فانه قليل في ثمار قرائحهم

ولكن ليس من الانصاف أن نقيس حال أدبائنا في تلك الاعصر بحال أدباء الافرنج في هذا العصر . فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا بعد حل قيود التقليد وقلب النظام الاجتماعي وتبديل الحال السياسي حتى صار للعامة شأن . وقد سفكت الدماء في سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول

على أن تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز في فطرتهم فانهم من أصفى الناس أذهانا وأدقهم نظراً وأبهم للضيم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام اظهروا شجاعة أدبية لا مثيل لها حتى كان الراعي يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقده بلا خوف . ولا يرى الخليفة غرابة في انتقاده

حتى في إبان التمدن الاسلامي اذا اتيح للشاعر ان يقول فكره عن جرأة في الرأي مع استغنائه عن اموال ولاة الامور لم يقصر عن مجاراة اكتب الافرنج اليوم في روح النقد والعبرة والفلسفة . فقول ابي العلاء المعري في انتقاد الحكومة ورجالها :

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً ... ونحن بعدهم في الارض قطان
ان العراق وان الشام مذ زمن ... صفران مابهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة ... في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم ... أن بات يشرب خمراً وهو مبطان
تشابه النجر فالرومي منطقه ... كمنطق العرب والطائي مرطان
اما كلاب فاغنى من ثعالبهم ... كأن ارماحهم في الحرب اشطان
متى يقوم امام يستقيد لنا ... فتعرف العدل اجبال وغيطان

لا يقل قوة عما قاله فيكتور هوكو من قصيدة « الملوك » وهي من أشد قصائده وطأة قال منها يخاطب الملوك :« اتظنون اننا نحبكم ! نحن الذين نشتغل في هذه الارض

ونستخرج ثروتها ونكد ونجد في حر الشمس وبرد الشتاء ولا ننال من اتعابنا غير الجوع والعطش . وأنتم على سرر مرفوعة من العز والنعيم . وعلى جانب من التبذير والاسراف والفحش. نحن الخدم وانتم الملوك . نحن الغنم وانتم الذئاب . نحن الفريسة وانتم المفترسون . تبنون القصور من أموالنا واتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ونحن نقاسي نزاع الموت على لقمة . لا شغل لكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش والقتل والظلم » (١)

وقد تصور أبو العلاء الحكم الدستوري أو الجمهوري منذ تسعمائة سنة فوصف الامة الذليلة بقوله :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقد ظهر بعد المعري غير واحد من النقادين سيأتي ذكرهم في اماكنهم

الادب والادباء

في العصر العباسي الثالث

نضج الادب في هذا العصر وزاد استقلالا عن سائر العلوم ومال بالاكثر الى النظر في الشعر والشعراء من شرح أو تلخيص أو انتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد الشعر بعد أن نضج وتعددت ابوابه ومواضيعه فتعود الادباء بعد شيوع المنطق والفلسفة وعلم الكلام النظر في الادب نظر الناقد الممحص بالمقابلة والموازنة — وان انكروا الفلسفة على أصحابها واتهموهم بالكفر . فان روح النقد والنظر الفلسفي دبت في عروقهم وهم لا يعلمون . فنبغ منهم نقاد الشعر كقدامة بن جعفر وابن رشيق. وفيهم من انتقد الرواية والاخبار كابي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني وعمر بن حمزة . ونظروا الى فحول الشعراء فشرحوا أقوالهم في الجاهلية والاسلام كشروح الحماسة والمعلقات . وجمعوا أقوال الشعراء ومحصوها وجمعوا بينها كما فعل الثعالبي امام المؤلفين في ذلك العصر وانتقدوا آداب المجالسة ووضعوا للندماء شروطاً وغير ذلك كما سيظهر في تراجم الادباء — وهاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

(١) تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ٢٣١

١ — ابو الفرج الاصبهاني

توفي سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه انه فارسي الاصل وهو عربي أموي يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بني أمية . وهو مع ذلك شيعي ويندر التشيع في بني أمية . واسمه علي بن الحسين وكنيته أبو الفرج وإنما لقب الاصبهاني لانه ولد في اصبهان . لكنه نشأ في بغداد وكان من أعيان ادبائها وافراد مصنفيها . وقد روى عن كثير بن وطالع كثيراً من الكتب وكان قوي الحافظة فوعا في ذاكرته ألوفاً من الاشعار والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث والانساب باسانيدها واسماء قائليها ورواتها. فضلا عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه بالاكثر الى الوزير المهلبي المتقدم ذكره. وكان يلقى سواه من ملوك ذلك العصر وامرائه فيعرفون فضله ويجيزونه

ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون . لكنه تدبر تلك المعارف واخرج منها كتباً نافعة اشهرها كتاب الاغاني وبه اشتهر. والف أيضاً كتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة الاطباء وكتاب مجرد الاغاني وكتاب اخبار جحظة البرمكي ومقاتل الطالبيين وكتاب الحانات وآداب الغرباء . وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبنى أمية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سراً . وجاءه الانعام منهم سراً فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس وكتاب ايام العرب الف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وكتاب جمهرة النسب وكتاب جمهرة بني شيبان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغيرها . وهي كثيرة لكن اكثرها ضاع بتوالي الاحن فنأتي على ذكر ما وصلنا خبره منها :

١ كتاب الاغانى : هو اشهر من أن يعرف وقد وقع الاتفاق على انه لم يعمل مثله في بابه . ويقال انه اشتغل في جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة. وبلغ خبره الى الحكم ابن الناصر صاحب قرطبة وهو أموي مثله فسأله ان يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبني العباس وبذل له على ذلك الف دينار . ولما تم تأليفه حمله الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاه الف دينار واعتذر اليه. ولم يبق احد من امراء ذلك العصر

الا اقتناه ليستغني به عن سواه . وقد علمت ان الصاحب بن عباد كان اذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال فلما اقتنى كتاب الاغاني استغنى به عنها

وهو اجزاء كثيرة وصل الينا منها ٢١ جزءاً في نحو ٤٠٠٠ صفحة واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه في الاصل نعني «الاغاني» فصدره بمائة صوت كان الرشيد أمر ابراهيم الموصلي مغنيه وغيره ان يختاروها له . ثم وقعت للواثق بعده فامر اسحق بن ابراهيم فاختار له منها مارأى انه افضل واضاف اليها اشياء اخرى . فسار ابو الفرج على هذه الخطة معولا على ما اختاره غير هؤلاء ايضاً من اهل العلم بصناعة الغناء. وقد يعترض على وضع هـذا الكتاب بين كتب الادب اذ يجدر به أن يكون بين كتب الموسيقى لكن اهميته قائمة بما فيه من الاخبار والاشعار. لان المؤلف اذا ذكر ابياتاً على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها وترجمته والاحوال التي قيلت فيها من حرب أو حب في الجاهلية أو الاسلام . ومن غناها ومن شهد ذلك وأسبابه وأحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على أخبار مئات من الشعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . واكثر أيام العرب واخبار قبائلهم وانسابهم ووقائعهم وغزواتهم ومياههم . وفيـه خيرة أشعار الجاهلية والاسلام ولا سيما ماكانوا يغنون به . وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم

فاهمية هذا الكتاب متوقفة على ماحواه من تلك التراجم والاخبار ويكاد يكون منفرداً بها . ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الاسلام وايام بني امية . وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه لانه لايكتفي بالاسناد الى الرواة بل هو ينتقدهم ويبين اوجه الخطأ أو المناقضة بين رواياتهم ثم يرجع الى رأيه . وكان أشد وطأة في النقد على ابن خرداذبه وابن الكلبي مما على سواهما. وفي مروياته كثير من الاخبار والحوادث تلقنها عن اناس عاصروه فحدثوه بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه. واخذ عن كتب ضاعت

وقد طبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءاً سنة ١٢٨٥ هـ ثم عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب باوربا فطبعوه في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءاً ووضع لها الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي فهرساً أبجدياً مطولا سنة ١٨٩٥ واعيد طبع الاغاني كاملا بمصر في ٢١ جزءاً سنة ١٣٢٢ مع فهرس أبجدي مبني على فهرس جويدي . وقد لخص الاغاني جمال الدين الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ في كتاب منه نسخة خطية في المتحف البريطاني. وجرده الاب انطون صالحاني اليسوعي من الاسانيد والاغاني

وابقى الروايات على حدة فى كتاب سماه «روايات الاغاني» وهو جزآن الاول فى الروايات الادبية والثاني فى الروايات التاريخية طبع بيروت سنة ١٨٨٨ و١٩٠٨

٢ كتاب الديارات : وصف فيه الاديار فى العراق ومصر وغيرهما وفيه كثير من اخبار الشعراء وأشعارهم في مجالس العباسيين وخصوصاً الرشيد الى المعتضد . منه نسخة في مكتبة برلين . وبعضهم يشك فى نسبة هذا الكتاب اليه ويرى أنه للشابشتي

وترجمته في ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ واليتيمة ٢٧٨ ج ٢

٢ — ابو علي التنوخي

توفي سنة ٣٨٤ ﻫ

هو ابوعلي المحسن بن علي التنوخي. ولد فى البصرة وكان ابوه قاضياً وشاعراً واديباً (ترجمه الثعالبي في اليتيمة ١٠٥ ج ٢) وانتقل المحسن الى بغداد وتلقى العلم عن الصولى وغيره ثم تعين قاضياً على قصر بابل وما يليه . وتنقل فى مناصب اخرى واهم آثاره :

١ كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره في كلامنا عن ابن ابي الدنيا (صفحة ١٧٢) وهو من كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية

٢ كتاب المستجاد من افعال الاجواد: فيه حكايات وأخلاق اكثرها عن الخلفاء العباسيين . في مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج واياصوفيا

٣ كتاب نشوان المحاضرة واخبار المذاكرة : مجموع اخبار تاريخية . في باريس

وترجمة التنوخى فى ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٥ ج ٢

٣ — ابو هلال العسكري

توفى سنة ٣٩٥ ﻫ

هو ابوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تلقى العلم فى بغداد والبصرة وأصبهان . وهو غير ابي احمد العسكري اللغوي الآتي ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبد الله . فكثيرا ما يقع الالتباس بينهما وكانا متعاصرين . وابو هلال تلميذ أبي احمد وتوفي هذا سنة ٣٨٢ ﻫ أما ابو هلال فقد خلف كثيرا من الكتب هاك أهم ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب جمهرة الامثال : طبع في بومباي سنة ١٣٠٦ وفي مصر على هامش أمثال الميداني سنة ١٣١٠

٢ كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة في باريس وكوبرلى وطبع فى الاستانة سنة ١٣٢٠ وهو مفيد جدًّا في بابه

٣ ديوان المعاني : هو معجم لمعاني الشعر مرتب حسب المواضيع . قال مؤلفه في مقدمته انه جعله ١٢ باباً في ٥٠٠ ورقة ثم رأى ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب منها في كتاب . منه نسخة في المتحف البريطانى . وفي كتب الشنقيطي فى المكتبة الخديوية كتاب خطي بهذا الاسم مؤلف من ١٧١ ورقة (٣٤٢ صفحة) يشتمل على الباب السابع وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياض والنبات والنسيم وغيرها . والثامن في وصف الحرب والسلاح . والتاسع في وصف الدواة والبلاغة . والعاشر في صفات الخيل والابل والفلوات والوحوش والطيور . والحادي عشر في الخضاب والعلل والموت والزهد والباقى معان متفرقة . وهو جزيل الفائدة لطلاب المعانى الشعرية

٤ كتاب المصون في الادب : في الاسكوريال

٥ روى ديوان ابي محجن : في ايا صوفيا

٦ كتاب الاوائل: اختصره السيوطي في كتاب الوسائل وهوأول من الف فيه

٧ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : طبع بالاستانة

وأخباره فى معجم الادباء ١٣٥ ج ٣

٤ — ابو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

قد تقدم ذكره بين المنشئين واجلنا الكلام عن كتبه في غير الانشاء الى هنا . والثعالبي المذكور مدوّن اخبار العصر الذي نحن في صدده وخصوصاً الشعر والشعراء والادب والادباء. وله كتب كثيرة في مواضيع مختلفة هاك ما وصلنا منها:

١ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : تشتمل على اخبار شعراء المائة الرابعة للهجرة وهو العصر العباسي الثالث في أربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى أبواب باعتبار البلاد . فافرد باباً لشعراء الشام وما كان من احوال سيف الدولة ومحاسن الشعراء ولا سيما المتنبي وأبو فراس استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وباباً لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل وآخر عن آل بوية وشعرائهم وكتابهم وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد

مفصلاً . ثم شعراء اصبهان والطارئين على الصاحب وشعراء الجبل وفارس والاهواز وجرجان . ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء . ففضلاء خوارزم وفصول لكل من ابي بكر الخوارزمي والهمذاني والبستي والميكالى وشعراء خراسان والطارئين على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٠٤ في ٤ مجلدات تحتوي على نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا . وينتقد على مؤلفه انه جعل عبارته مسجعة وهي لا تليق بكتب التاريخ والاخبار . وانه أغفل الوفيات فيندر ان يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو قاصر على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . والف أبو الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ ذيلا لليتيمة سماه دمية القصر وعصرة أهل العصر سيأتي ذكره

٢ لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة في موضوعه لانه يشتمل على فوائد لا يتصل اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . (أولها) باب الاوائل من كل شيء وفيه فوائد تاريخية هامة كقوله « أول من جلس على سرير من ملوك العرب جذيمة وأول من كسا الكعبة الحرير تبيله .. الخ » (٢) القاب الشعراء الذين لقبوا باشعارهم كالمرقش والممزق وأسباب ذلك (٣) الالقاب الاسلامية للوجوه والاعيان (٤) كتاب المتقدمين (٥) في المتناسقين باحوال مختلفة (٦) في الغايات من طبقات الناس (٧) الاتفاق في الالقاب والكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات ، واخيراً نموذج من خصائص البلدان . وهو مطبوع في ليدن في نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعناية المستشرق دي يونغ . وقد سبقه ابن قتيبة الى بعض هذه المواضيع في كتابه «المعارف»

٣ فقه اللغة : هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة أو المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينها أو تدرجها أو تفرعها مما يفتقر الى درس طويل . وذكر في المقدمة اسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عوّل عليهم . وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي مصر

٤ الاعجاز والايجاز . يشتمل على ابلغ ما قيل مع الايجاز طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ وفي الاستانة في جملة رسائل اخرى

٥ خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة في الادب طبع بمصر

٦ نثر النظم أو حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر منثور طبع بمصر سنة ١٣١٧

٧ مكارم الاخلاق : فيه فصول في العقل والعلم والزهد وغيرها طبع في بيروت

٨ غرر اخبار ملوك الفرس : في التاريخ طبع في باريس

٩ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: في الادب وفيه فوائد تاريخية على أسلوب خاص به لانه مقسوم الى فصول باعتبار اشياء مضافة الى أشياء أخرى يتمثل بها ويكثر استعمالها في النظم والنثر على ألسنة العامة والخاصة . كقولهم غراب نوح وذئب يوسف وعصا موسى وخاتم سليمان وبردة النبي ونحو ذلك وشرح كل منها . وهو كبير الحجم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ في نحو ٦٠٠ صفحة

١٠ شمس الادب فى استعمال العرب : جزآن الاول في أسرار اللغة والثاني في مجاري الفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها . وقد يسمى سر الادب في مجاري لسان العرب . منه نسخة خطية في كل من مكتبتي برلين وليدن

١١ الكناية والتعريض: في البلاغة ويشتمل على مايرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والغلمان والطعام والمقابح والعاهات وغيرها. ومنه نسخ خطية في برلين وفينا والاسكوريال وفي المكتبة الخديوية

١٢ أجناس التجنيس : في الجناس . بمكتبة الاسكوريال

١٣ سحر البلاغة : في مكتبة برلين وفينا وباريس وكوبرلى وغيرها. وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه في جملة رسائل اخرى

١٤ غرر البلاغة وطرف البراعة : في مكتبة برلين

١٥ اللطف واللطائف . مؤلف من ١٦ باباً . في الاسكوريال وفينا وفي المكتبة الخديوية من كتب الشنقيطي

١٦ من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة والربيع وأوصاف الليالي والايام والغزل والخمريات والاخوانيات. منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال وطبع في مجموعة التحفة البهية بالاستانة

١٧ برد الاكباد في الاعداد : هي مجموعة أخبار وملح عن النبى والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الاعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فثلاثة الى العشرة . ففي باب العدد ثلاثة مثلا يقول «ثلاثة لايسلم منهن أحد : الظن والطيرة والحسد» وقس عليه. طبع في الاستانة في جملة رسائل أخرى . ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١٨ التوفيق للتلفيق : في برلين

١٩ النهاية في الكناية : في المتحف البريطاني والاسكوريال والمكتبة الخديوية وقد طبعت منتخبات منه في الاستانة

٢٠ مرآة المروءات واعمال الحسنات : في برلين

٢١ التمثل والمحاضرة : يحتوي على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في الكتابة من أقوال الشعراء والمنشئين . موجود في المكتبة الخديوية وفي ليدن . وطبع منه منتخبات بالاستانة

٢٢ كتاب العلمان : في برلين والاسكوريال. و ٢٣ تحفة الوزراء: في مكتبة غوطا

٢٤ كنز الكتاب . فيه أمثلة من أقوال ٢٥٠ شاعراً لاستعمال الكتاب . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي فينا والاستانة

٢٥ أحاسن المحاسن : في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية

٢٦ أحسن ما سمع : في كوبرلي بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

٢٧ المبهج : فيه اخلاق ومواعظ وآداب وبلاغة في ٧٠ باباً منه نسخة خطية في برلين وباريس وكوبرلي والمكتبة الخديوية . وقد طبعت في الاستانة منتخبات منه

٢٨ اللطائف والظرائف : في مدح اشياء واضدادها . موجود في برلين والاسكوريال وليدن. وقد جمعه أبو النصر المقدسي مع المحاسن والاضداد للثعالبي هذا في كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر في مصر سنة ١٢٧٥

٢٩ يواقيت المواقيت : في مدح الشيء وذمه . في برلين وليدن

٣٠ لطائف الصحابة والتابعين : في مكتبة ليدن وطبع منه قطع في ليدن للتعليم

٣١ أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء . موجود في ليدن وباريس وطبع بعضه في ليدن سنة ١٨٤٤

٣٢ كتاب الشكوى والعتاب : و ٣٣ المقصور والممدود : و ٣٤ المتشابه : منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية

٣٥ المنتحل : يحوي جيد الشعر للجاهليين والمخضرمين والمولدين الى ايامه . وهو منتخب من أحاسن الاشعار لاحسن الشعراء طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم الشعراء الواردة اسماؤهم فيه للشيخ ابي علي الازهري . وبعضهم ينسب المنتحل لابي الفضل الميكالي معاصر الثعالبي

٣٦ الجواهر الحسان في تفسير القرآن : في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية وترجمة الثعالبي في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦

٥ — الشريف المرتضى

توفي سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من أشراف العلويين وكان نقيب الطالبيين في بغداد. واسمه علي بن الطاهر وكان اماماً في علم الكلام والادب والشعر . وهو أخو الشريف الرضي الشاعر الذي تقدم ذكره . وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة وديوان شعر كبير لم يصل الينا . ومن تصانيفه :

١ كتاب نهج البلاغة : وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب الى الامام علي. والمشهور أن الشريف المرتضى جمع خطب علي وأقواله ودونها في ذلك الكتاب وهو من أهم كتب الادب بالنظر الى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة في التعبير والحكم في الاقوال . وان كنا نرى كثيراً من تلك الخطب ليست لعلي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله . أما خطبه في المواقف التاريخية وكتبه الى قواده ورجاله فهي له . وقد طبع نهج البلاغة في بيروت وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ وطبع أيضاً بمصر . ولابن أبي الحديد شرح مطول في ٢٠ جزءاً طبع في طهران سنة ١٢٧١ في مجلدين كبيرين على الحجر . وفي آخره اضافات لم يذكرها جامعه . وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة في باب الخطابة بالجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٥

٢ كتاب الدرر والغرر في المحاضرات : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وأخرى في برلين

٣ كتاب الشهاب : طبع في الاستانة

وترجمة المرتضى في ابن خلكان ٣٣٦ ج ١

٦ — ابن رشيق القيروانى

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان. أبوه مملوك رومي من موالي الازد كان صائغاً في بلده المحمدية فعلمه أبوه صناعته. ثم قرأ الادب وقال الشعر وناقت نفسه الى التزيد منه فرحل الى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب وقتلوا أهلها وأخربوها . فانتقل الى صقلية وأقام

بمازر الى أن مات . وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها :

١ كتاب العمدة : وبه اشتهر . يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه . وهو اجلّ كتاب في هذا الموضوع يقسم الى ابواب في فضل الشعر واشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ، ومن رفعه الشعر ووضعه ومن قضى له وقضى عليه واحتماء القبائل بشعرائها والتكسب بالشعر ومنافع الشعر ومضاره والمقلين من الشعراء وحدود الشعر وأوزانه وبحوره والبلاغة والايجاز والاستعارة الخ .. وسائر أوجه البلاغة وأنواع الفصاحة والجوازات والاوزان . وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك . وفي خلاله طائفة من أحسن الاشعار وبحث تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد . قال ابن خلدون : « إن كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها . وقد الف زميله ومعاصره أبو عبد الله ابن شرف رسائل سماها « رسائل الانتقاد » تقدم ذكرها صفحة ٢٤٤

٢ كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب : منه نسخة خطية في باريس . وقد ضاعت سائر كتبه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٧ ج ١

كتب أخرى في الادب

وهناك طائفة من كتب الادب نكتفي بذكر أصحابها بدون تراجمهم :

١ الجليس الصالح الكافي : في مائة مجلس لابن طرار الجريري المتوفى سنة ٣٩٠ منه اجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكمبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

٢ زهر الآداب : للحصري القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٥٠٠ صفحة . وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات وأشعار

وترجمة الحصري في ابن خلكان ١٣ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥٨ ج ١

٣ شرح الحماسة : للمرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ منه نسخة في المكتبة الخديوية

٤ الموازنة بين الطائيين : لابن بشر الآمدي توفي سنة ٣٧٠ هـ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية فى ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع في الاستانة

وترجمة الآمدي في معجم الادباء ٥٤ ج ٣ والفهرست ١٥٥

٥ الاشباه والنظائر أوحماسة الخالديَّين : هي مجموعة مختارات من أشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ومنها كثير لم يرد في حماسة ابي تمام . وهي تنسب الى الخالديين من ادباء العصر الثالث وهما أبوبكر محمد وابو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان كانا يشتركان في نظم الشعر ولا يكادان يفترقان . ولهما أشعار نشرها الثعالبي في يتيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولهما ايضاً هذه الحماسة منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٦ قطب السرور في وصف الخمور : لابي اسحق الكاتب القيرواني المتوفى سنة ٣٨٣ منه نسخة خطية في برلين والاسكوريال وفينا وغيرها

٧ مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول لكنها نفيسة وتشتمل على مائة معنى من جيد النظم . وقد أضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه أو يضاده . طبعت في الاستانة في ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هي علم من علوم الادب تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائدته الاحتراز من الخطاء في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . وهو من الفنون الاجنبية يقال إن مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد وقد أخذه العرب في جملة ما أخذوه عن الاعجام في خلافة ابي جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عند ما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية فكانت ترجمته هذه اساساً لهذا الفن لكنه لم ينضج الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده . وأشهر من الف فيه ابن حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ الف كتاباً سماه كتاب المحاضرات والمناظرات . وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . واشهر ما بين ايدينا من كتب المحاضرات كتاب «محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» لابي القاسم الراغب الاصبهاني وسيأتي ذكره

الروايات أو القصص

تمهيد

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم « رومان » واحدها رواية وهي القصة عندنا. وانما اخترنا لفظ الرواية مجاراة لمفهوم القراء منها لانها عندهم أدلُّ من القصة على ما نحن فيه . والروايات فنّ له شأن عظيم في اداب اللغات الافرنجية يكاد يكون اهمها . وأما في العربية فانه من أضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والآداب في سياق قصة موضوعة وقد تكون بشكل تمثيلي فتسمى في اصطلاحهم « درام » وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب (صفحة ٥٨) اقتصرنا فيه على ما في اداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ونحن ذاكرون هنا فن الروايات على الاجمال في التمدن الاسلامي

يظهر أن العرب قلما اهتموا لهذا الفن في صدر دولتهم ولا التفتوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الالياذة ولا الانياد ولا غيرهما من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئاً من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبد الله بن المقفع وجبلة بن سالم وغيرهما. فمما نقل عن الفارسية كليلة ودمنة . وكتاب رستم واسفنديار . وكتاب الاداب الكبير . وهزار افسانه . وشهر يزاد مع ابرويز . والكارنامج في سيرة انوشروان . ودارا والصنم الذهب . وبهرام ونرسي

ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير . وكتاب بوداسف وكتاب أدب الهند وغيرها : وقد ضاع اكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما سترى

على أننا نرى بين ايدينا قصصاً وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقرأونها اشهرها قصة عنتر والف ليلة وليلة وأبو زيد الهلالي والزير والملك سيف والملك الظاهر وعلي الزيبق وفيروز شاه ونحوها . فهذه القصص اكثرها وضع بعد العصر الثالث وانما يهمنا هنا القصص والروايات التي دونت في ذلك العصر أو قبله . وهي تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند انفسهم والثاني ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه — واليك تفصيل ذلك

١ — القصص التي وضعوها

من عند انفسهم

أما ما وضعوه فيرجع في الغالب الى تصوير مناقب الجاهلية وحال الاجتماع فيها . كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصبية والثأر . وتجد هذه المناقب ممثلة في اخبارهم وأيامهم المشهورة قبل الاسلام وهي حقائق تاريخية تناقلوها بعد الاسلام . وكانوا يتلون تلك القصص في صدر دولتهم على جندهم لتحميسهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح أو حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة اشعار عنترة وغيرها على أيدي القصاص قبيل المعارك لهذا الغرض

فلما تحضروا وانشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار فوسعوها في شكل روائي يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصوداً في بادىء الرأي وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجاً بالتناقل الشفاهي قبل تدوينها . وبما أن المراد منها التحميس لا تقرير الحقيقة فكان الراوي يبالغ في القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتتشعب حتى يقضي بهم الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونوها كما صارت اليه — هكذا فعلوا في اكثر قصصهم . ورغبة في تصويرها بشكل الحقيقة اسندوا اخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعي وأبي عبيدة وأمثالهما . وتنوسي مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم كما تنوسيت أسماء مؤلفي اكثر القصص القديمة عند الافرنج

وقد نضج هذا الفن عند العرب في العصر العباسي الثالث فدونت تلك الروايات أو القصص قبل انقضائه . وهي تتفاوت بعداً عن الحقيقة وقربا منها وصار بعضها يتلى في المنازل والانديه لمجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملا ناضجاً الا قصة عنتر

قصة عنتر

هي اكبر القصص الحماسية العربية أو هي عدة قصص متداخلة متسلسلة لاتحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل اداب الجاهلية واخلاق اهلها وحروبهم وعاداتهم. واكثر الاسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية لكنها مسبوكة في سياق قصة والمبالغة ظاهرة فيها والمشهور انها وضعت في أواخر القرن الرابع للهجرة . وضعها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي بمصر لسبب ذكرناه في الجزء الاول من

هذا الكتاب (صفحة ١٤٠) وبينا هناك أن هذا الرجل ليس هو واضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدريج . وهي أحسن القصص العربية وافيدها وقد عني الافرنج بنقلها الى ألسنتهم كاملة وملخصة وطبعت في العربية مراراً عديدة في بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها في أوائل تكونها لانهم أسرعوا في تدوينها ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتعد من قبيل التاريخ أو ايام العرب الجاهلية

منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة (تقدم ذكرها صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب) يشتمل على حوادث عديدة أكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم كما ان قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من مواقف كثيرة ان هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الاشهر اسمه البراق وهو شاعر قديم من ربيعة من اقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنترة وله خبر مع ابنة عمه ليلى بنت لكيز واشعار حماسية وفخرية . وقد توسع خبره هذا بتوالي الايام كما توسعت قصة عنتر لكنه ما زال اصغر حجماً واقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه وانما هي مجموع أخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة في خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عباد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طي) بسبب قنص اختصما عليه فانتشبت الحرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطي وقضاعة . ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن اخت زعيم الطائيين شبيب بن لهيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب وجرت بين الطائفتين ثماني وقائع قد تكون في اصلها تاريخية لكن سياقها يدل على توسع فيها على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٣٦ صفحة واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يليها قصة قطيعة مضر وربيعة . ثم خروج لكيز وهما صغيرتان . ثم قصة سبي ليلى بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوفل بن عمرو . واخبار البراق في هذا القسم اقرب الى الرواية لانها تشبه ما يروى عن عنترة ويتخلل ذلك اشعار حماسية

ويليها حروب بين وائل واليمنيين سببها أن اسيراً كان عند كليب فقتله كليب . ودخل في هذه القصة كليب ومهلهل . واخيراً حرب البسوس وهي قصة قائمة بنفسها استغرقت مائة صفحة كبيرة يتخللها حوادث عنترية وحماسات ومبارزات ومناشدات وغير ذلك حتى يخيل للقارىء انه يطالع قصة عنتر . لكنها أصح لغة وأقرب الى اسلوب صدر الاسلام وأقل مبالغة . ولعلها لو تداولتها الايدي وتناقلها القصاص شفاهاً الى العصر الذي دونت فيه قصة عنتر لصارت مثلها. ولكنها دونت قبلها بقرن وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطاً في المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابني وائل وفيه خبر كليب وجساس . والقصة فيه أقرب الى التاريخ منها الى الرواية تشتمل على وقائع لها ذكر في التاريخ . وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفاصيل نظمها خيالية أراد بها بيان حماسة العرب وقوة ربيعة على الخصوص . وهي منسوبة في روايتها الى محمد بن اسحق . أو لعل الكاتب أخذ شيئاً من رواية ابن اسحق واتمها من عند نفسه والكتاب مطبوع في بمباي سنة ١٣٠٥ يدخل في ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيبان مع كسرى انوشروان

هي قصة تاريخية تدخل في سبعين صفحة مطبوعة في بمباي مع تلك لكنها أقرب منها الى الرواية الخيالية . مبنية على حادثة تاريخية في أصلها وتوسع المؤلف بها . فجعل سبب الحروب بين شيبان وكسرى انو شروان أن كسرى طلب من النعمان ابنته الحرقة بنت المتجردة فقامت الحرب بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تنم عن حداثة نظمها فضلا عن قصائد حقيقية نظمها ابطال تلك الرواية . ومجمل الحديث فيها مروي عن بشر بن مروان الاسدي عن ابن نافع التميمي

والتوسع في الوقائع التاريخية حتى تصير بشكل الرواية ليس من مبتدعات العرب بل هو عام في الامم القديمة قبل التدوين لان القصص تنمو بالتناقل بسليقة في فطرة الانسان من الميل الى المبالغة فيما يقصه استلفاتاً لاعجاب السامع . وفي بعض الناس ميل الى تزويق العبارة وتطويلها والتوسع فيها . وبتوالي الاجيال تنمو الحادثة وتصير قصة واكثر روايات الامم القديمة من هذا القبيل . واكثرها شيوعاً بيننا اليوم هوميروس فان لها أصلا تاريخياً هو حصار طروادة اتسع بتوالي الاجيال حتى انتهى الى هوميروس فدونه أو اتمه فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بني شيبان

وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة فان هؤلاء انزلوا الالهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند انفسهم ايضاً قصص العشاق العذريين ونحوهم . وفيها تمثيل العفة او التفاني في سبيل الحب . بنوها على ما جاء في اخبار عشاق صدر الاسلام ككثير لبنى وجميل بثينة . فالفوا قصصاً غرامية نضجت قبل انقضاء العصر الثالث الذي نحن في صدده . منها كتاب عمر بن ابي ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب . وكتاب مليكة ونعم وابن الوزير . واحمد وداحة . وقصة ابي العتاهية وعتب . واحمد بن قتيبة وبانوحة . ووضعوا قصصاً غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب كقصة علي بن اديم ومنهلة وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصاً في الحبائب المتطرفات من النساء كقصة ريحانة وقرنفل . ورقية وخديجة . وسكينة والرباب . وهند وابنة النعمان . وسلمى وسعادة . وغيرها . وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين الانس والجن وغير ذلك. واكثرها ضاع وما بقي منها ادخلوه في قصة الف ليلة وليلة

٢ — القصص المنقولة

اما ما نقله العرب من القصص عن اللغات الاخرى فهو يمثل على الغالب آداب الامة التي نقلت القصة عنها . واكثرها نقل عن الفرس والهند فهي لذلك تمثل اداب تينك الامتين . وقد ذكرنا اسماء بعضها وذكر الفهرست عشرات منها وقصصاً واسماراً يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما في رواية الف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص

الف ليلة وليلة

هي مجموع قصص متسلسلة تدخل في بضعة آلاف صفحة . وهي مشهورة ومتداولة ولها طبعات عديدة . واختلف الباحثون في اصلها وتاريخها . وعندنا انها مؤلفة من قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه او وضعوه . ولها اصل نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة نعني كتاب «هزار افسانه»

روى ذلك المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ قال : «وقد ذكر كثير من الناس ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب افسان وتفسير ذلك في الفارسة (خرافة) . ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهر زاد ودينار زاد»

وجاء بعده ابن النديم البغدادي صاحب الفهرست الآتي ذكره فقال في أصل وضع كتاب هزار افسانه هذا في الفارسية «ان ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد. فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهر زاد فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن اتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطؤها الى أن رزقت منه ولداً اظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها. وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحماني (الصحيح اهما) ابنة بهمن» وهذا الوصف ينطبق على الف وليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم في مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد. ولا ندري الآن أي جزء من الف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ثم أضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا. ومن يطلع عليه يجد فيه قصصاً يدل أسلوبها والفاظها وبعض ما حوته من العادات انها كتبت بعد ذلك بقرون عديدة كشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك أو رجالهم كابي طبق ونحوه. ولا يعلل ذلك الا بما تقدم من توسيع القصة الاصلية المنقولة عن الفارسية باضافة قصص وأسمار كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم أو نقلوه عن سواهم

والارجح أن تأليفها على الصورة التي وصلت بها الينا تم بعد القرن العاشر للهجرة واكثر تلك الزيادات حدثت في مصر. ولعلنا لو اتيح لنا الوقوف على الترجمة الاصلية لهزار افسانه لوجدنا الفرق بينها وبين قصة الف ليلة وليلة كالفرق بين أوذيسة هوميروس وانيادة فرجيل. فان هذه اكثرها منقول عن الاوذيسة ومع ذلك فهي تنسب الى فرجيل. ولهذا السبب يصح أن يقال عن الف ليلة وليلة انها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لا يزال على اصله الفارسي

وهي كما وصلت الينا تمثل الآداب الاجتماعية في القرون الاسلامية الوسطى ويدخل في ذلك الانهماك في الملذات والتهتك. وقد وصفت المرأة فيها وصفاً يدل على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفي آدابها. وفي الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال. وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس أو مما وضعه العرب فانه من طبيعة تلك العصور. وقد تولد بالنمو التدريجي قبل تدوينه

لميل الانسان من فطرته الى المبالغة كما تقدم . فاخبار السندباد البحري وغرائب ما شاهده في أسفاره في الاسماك الكبيرة الحجم التي يبلغ طولها مئات من الاذرع ومنها ما هو بصفة البقر أو الحمير والوادي الذي حجارته من الالماس ويعج بالافاعي عجيجاً. وجبل القرود والثعابين التي تأكل الآدميين . وطير الرخ الذي يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس واذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها . ونحو ذلك مما يخالف المألوف عندنا الآن فانه لم يوضع دفعة واحدة وانما نما بالتناقل وأصله مبالغة قليلة رواها أهل الرحلة كما فعل بزرك بن شهريار في أخبار الهند مما فصلناه صفحة ٢٠٥ من هذا الكتاب. فمبالغاته وسط بين الحقيقة والخرافة لو توقفت شفاها لصارت كالخرافات تماماً وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على أن ذلك ليس خاصاً بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج بل هو يتناول سائر الامم في تلك العصور من الميل الى المبالغة في رواية الغرائب . ولاسيما فيما تلذ المبالغة فيه من أخبار الابطال والفاتحين. والافرنج اكثر مبالغة في ذلك من العرب . فان هؤلاء نسبوا الى عنترة مقابلة المائة والمائتين أو اكثر من الرجال وحده وذلك مع بعده لايخالف نواميس الطبيعة . واما الافرنج في قرونهم الوسطى فانهم نسبوا الى الاسكندر المكدوني خرافات تخالف النواميس الطبيعية

ش ١٥ : الاسكندر المكدوني يحارب اقواماً رءوسهم وحشية
« نقلا عن أصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد »

ش ١٦ : الاسكندر يحارب اقواما متوحشين لكل منهم ست ايد
« نقلا عن أصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد محفوظة في مكتبة بروكسل »

فقالوا انه لقي في أثناء فتوحه اقواماً نصف اجسادهم السفلى آدمي والنصف العلوي وحشي (ش ١٥) . وأقواماً وحشيين لكل منهم ست ايد (ش ١٦) . وأنه حارب جنوداً من السلاحف وأخرى من التنين . وأنه بارز مرة حيوانا هائلا بثلاثة قرون ، وبارز مرة أخرى اسوداً وغيرها . وقد صوروا ذلك في كتبهم ونشروه بين عامتهم . وفي (ش ١٥و١٦) أمثلة من ذلك

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات الف ليلة وليلة قصص قصيرة أبطالها من مشاهير العرب بالجود والحلم أو الوفاء أو غير ذلك . كقصة حاتم الطائي بعد موته وقصص معن بن زائدة ويحيى البرمكي وابنيه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وعكرمة وخذيمة والرشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر في العواقب . ومعظمها كانت قصصاً مستقلة فادخلت عليها بتوالي الازمان . وبعضها يقرب من الواقع ويطابق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات على السنة البهائم كقصة الدجاجة والبطة والاسد ونحوها

وبالجملة انها مجموع قصص مختلفة المواضيع والاساليب والاغراض . عبارتها على الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف القصص وأعصرها . على أنها لم تبق كما وضعت لان النساخ والطباعين نقحوها وهذبوا عبارتها . وقد طبعت مراراً ونقلت

الى أكثر لغات اوربا نقولا تختلف قربا من الاصل وبعداً عنه بين اختصار وتهذيب وبعضهم بالغ في الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس عليها من قصة الف ليلة وليلة الا اسمها . وفي بعض المواضع من هـذه القصة عبارات يخجل الاديب من تلاوتها حذفت من بعض طبعاتها في بيروت ومصر

قصص اخرى من أمثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدم ذكرها في العالم العربي اخذ الادباء في القرنين الثالث والرابع ينسجون على منوالها أو يجمعون مما بين ايديهم ما يشبهها . وقد ذكر ابن النديم كتابا شاهده بنفسه تأليف الجهشياري قال في وصفه : « وابتدا أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من سمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون واختـار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلى بنفسه . وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة . ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط ابي الطيب أخي الشافعي . وكان قبل ذلك من يعمل الاسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هرون وعلي بن داود كاتب زبيدة وغيرهم » . ولم يصلنا من هذه الكتب وأمثالها غير الف ليلة وليلة

وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت المجونية ظهرت قبل انقضاء العصر الذي نحن في صدده ككتاب حوشب الاسدي وكتاب جحا ونوادر أبي ضمضم ونوادر ابن الموصلي لم يبق منها الا القليل . اما سائر القصص الكبرى المتداولة بين ايدينا الآن كقصة الزير والزيبق وبني هلال وغيرها فسيأتي ذكرها في مكانه

الدرام

ونريد به الروايات التمثيلية وهو عظيم الاهمية عنـد الافرنج لانه يمثل الاخلاق والآداب والعادات على المراسح ليشاهدها الناس ويعتبروا بها . لكن العرب لم يعانوا التمثيل على المراسح ولا ألفوا فيه . وقـد عد بعض المستشرقين المقامات كمقامات الهمذاني أو الحريري من قبيل الدرام . ولا نرى مسوغاً لهذا القول والمقامات انما يراد بها الفائدة اللغوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وايراد الامثال والحكم . وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجل كتابنا عن أن

يكون غرضهم من تأليفها العبرة أو الموعظة. وهي في الغالب مبنية على المجون وانتحال أسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب في تقاعد العرب عن فن التمثيل انه يحتاج الى ظهور المرأة على المراسح وهم يتجافون عنه بسبب الحجاب . أو هو تابع لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية أو الشعر القصصي (ايبوبه) الذي يحتاج الى توسيع الموضوع وتشعيبه وتفريعه . على ان ابا العلاء المعري نابغة الشعراء في العصر الثالث وضع شيئاً كالدرام نعني رسالة الغفران فانها تشبه أن تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها

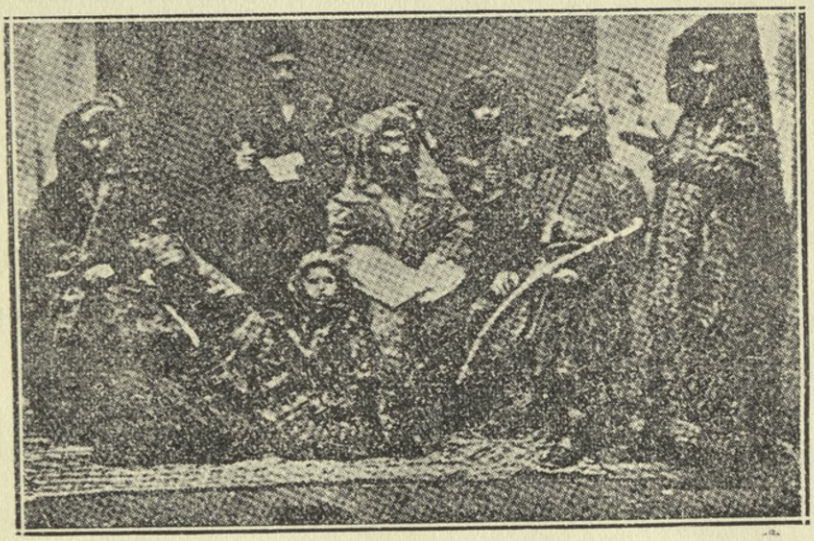

ش ١٧ . تشخيص عاشوراء في ايران

ويظهر ان الشيعة في بلاد فارس لم يبالوا بهذه الموانع في تمثيل مقتل الحسين في كربلاء فانهم يمثلون تلك الواقعة على المراسح في عاشوراء. وتبتدىء هذه الرواية بيوم خروج الحسين من مكة وتنتهي بقتله • او هو الفصل الاخير منها ويسمونه «روز قتل» اي يوم القتل • فهذا الفصل يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم وام ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من أول النهار الى آخره ومقتل الحسين واصحابه — يفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيكون ويندبون وينوحون فيطوف عليهم شيخ بقطنة يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها في قارورة تحفظ بها للاستشفاء • وقد وصف ذلك الاحتفال الرحالة موريه في رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ونقلنا ذلك في الهلال صفحة ٤٦٦ سنة ١٨

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثالث

كان النحاة كثيرين في هذا العصر ولكنهم لم يأتوا شيئاً كثيراً في النحو وقل الذين الفوا فيه من عند أنفسهم. واكثر ما دونوه شروح على سيبويه أو إعراب أو نحو ذلك واكثرها ضاع. وهاك اشهر من خلف مؤلفات في النحو من أهل هذا العصر وبقي منها ما يستحق الذكر نرتبهم حسب الوفاة ونذكر مؤلفاتهم في المواضيع الاخرى :

١ — ابن خالويه

توفي سنة ٣٧٠ هـ

هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه أصله من همذان ودخل بغداد وأدرك حلبة العلماء فيها ورحل الى الشام ثم أقام في حلب وتقرب من آل حمدان وقدمه سيف الدولة. وله معه محاضرات حسنة. ومن آثاره الباقية :

١ رسالة في إعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية في المتحف البريطاني وفي ايا صوفيا

٢ كتاب الشجر : في برلين

٣ كتاب ليس : في الشواذ العربية طبع في أوربا عن نسخة خطية وجدت في المتحف البريطاني بعناية دير نبرج. وطبعت في مصر في جملة كتاب الطرف الادبية

وترجمته في ابن خلكان ١٥٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٨٣ ويتيمة الدهر ٧٦ ج ١ والفهرست ٨٤

٢ — ابو بكر الزبيدي

توفي سنة ٣٧٩ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشبيلي نزيل قرطبة من تلاميذ ابي علي القالي اللغوي. وكان أوحد عصره في النحو وحفظ اللغة واخبر أهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر والسير. ولم يكن بالاندلس في فنه مثله وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم ابناءه فعلم هشام المؤيد ولى عهده الحساب والعربية. وكانت له منزلة رفيعة عنده ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية

وخطة الشرطة . وحصل له نعمة توارثها بنوه بعده . وكان شاعراً . وقد الف كتباً كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة في المشرق والاندلس من زمن أبي الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجوداً الى آخر القرن التاسع للهجرة وأخذ السيوطي عنه في المزهر ولا نعلم خبره . وله كتب أخرى في لحن العامة وآخر في الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطي . ولم يبلغنا من مؤلفاته الا :

١ كتاب الواضح في النحو والعربية : وهو جزيل الفائدة منه نسخة خطية في الاسكوريال

٢ كتاب الاستدراك على سيبويه : استدرك فيه أشياء فاتت سيبويه . طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية جويدي المستشرق الايطالي

وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ يتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١

٣ — ابن جني

توفي سنة ٣٩٢ هـ

هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي قرأ على ابي علي الفارسي . وكان أبوه مملوكا رومياً ولعل اسمه « جني » معرب عن لفظ يوناني مثل « جنايس » توفي ابن جني ببغداد وهو أعظم نحوي هذا العصر واكثرهم آثاراً . وكان شاعراً مطبوعاً وله منظومات حسنة لكن النحو غلب عليه وله فيه مؤلفات هامة فيها فلسفة ونقد — هاك أشهر ما بقي منها :

١ الخصائص في اللغة . كتاب كبير عظيم الفائدة يبحث في أصول النحو على مذهب اصول الكلام والفقه. وهو بحث فلسفي في اللغة واصولها واشتقاقها واحكامها ومآخذها وما يجوز القياس فيه . والكتاب عدة أجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثاني في المكتبة الخديوية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة والجزآن ٣ و٤ في مكتبة غوطا . واجزاء أخرى في مكتبتي راغب ونور عثمانية في الاستانة

٢ سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخم في نحو ٦٠٠ صفحة يشتمل على أحكام حروف المعجم واحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه ابحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي واجناس الحروف وفروعها وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الابحاث الدقيقة . فبدأ بالهمزة فالباء وما بعدها الى آخر الابجدية . ونظر في كل حرف واين يكثر أو يقل من حيث

موقعه من الالفاظ وأحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من المواضع التي تهمّ طالب تحليل الالفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس وراغب وكوبرلي وفي المكتبة الخديوية ومكتبة الظاهر في دمشق

٣ شرح تصريف المازني : في مكتبتي راغب باشا وكوبرلى بالاستانة

٤ كتاب العروض : هو مختصر لطيف في برلين وفينا وليدن

٥ مختصر القوافي : في الاسكوريال

٦ اللمع في النحو : في برلين وأياصوفيا وعليها شروح عديدة

٧ المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب

٨ شرح المتنبي : في المكتبة الخديوية

٩ المبهج . هوشرح اسماء شعراء الحماسة شرحا لغوياً لا تاريخياً . منه نسخةفي المكتبة الخديوية في ٧٢ صفحة

١٠ مختصر التعريف الملوكي . أو جمل أصول التصريف . مطبوع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥

١١ علل التثنية : منه نسخة خطية في ليدن

١٢ التنبيه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخم في نيف و٤٠٠ صفحة فيها شرح لغوي نحوي موجود فى ليدن وفي المكتبة الخديوية

وترجمة ابن جني في ابن خلكان ٣١٣ج١ ويتيمة الدهر ٧٧ ج١ وطبقات الادباء٤٠٦

نحاة آخرون

واشتهر في العصر نحاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتبا ـ فان في الناس من يحسن التعليم دون التأليف. ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر :

٤ ابن دستوريه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد وهو فارسي الاصل الف عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب »منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد وترجمته في ابن خلكان ٢٥١ ج ١

٥ ابو سعيد السيرافي ويعرف بالقاضي توفي سنة٣٦٨ وكان واسع العلم عريض الجاه تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه والف كتاب ألفات الوصل والقطع وكتاب اخبار النحويين البصريين وغيرها لم يصلنا منهـا شيء وكان الرجل ثقة يشتغل عليه الطلاب عدة فنون في القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته في معجم الادباء ٨٤ ج ٣ وابن خلكان ١٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ ابو على الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة . ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ومنه شروح خطية في المكتبة الخديوية احدها للعكبري : وترجمته في ابن خلكان ١٣١ ج ١ ومعجم الادباء ٩ ج ٣ وطبقات الادباء ٣٨٧

٧ ـ ١١ ابو حسن الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح . وابن بقية المتوفى سنة ٤٠٦ والربعي سنة ٤٢٠ والافليلي سنة ٤٤١ والثاني سنة ٤٤٢ وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجمهم ابن خلكان

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه أن فيه نضجت علوم اللغة وتم نشوء المعاجم اللغوية فنبغ من علماء اللغة طائفة حسنة اهمهم الذين اشتغلوا في ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم أو على المعاني . وهم اصحاب المعاجم سنفرد لهم فصلا خاصاً بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ — المطرز البارودي

توفي سنة ٣٤٥ هـ

هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم المعروف بالمطرّز البارودي الزاهد غلام ثعلب . وكان من أكابر ائمة اللغة المكثرين اخذ عن ثعلب المتقدم ذكره. وكان واسع الرواية غزير المادة لكن ادباء عصره يخطئونه في أكثر نقله ويقولون لو طار طائر لقال ابو عمر « حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي كذا » ويقال انه املى من حفظه أكثر من ٣٠٠٠٠ ورقة في اللغة توفي ببغداد ودفن فيها . والف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ كتاب العشرات : هي عبارة عن جمع عشرة الفاظ في معنى واحد . منه نسخة خطية فى مكتبة برلين

٢ كتاب اخبار العرب : في الاسكوريال ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم وترجمته في ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ والفهرست ٧٦ وطبقات الادباء ٣٤٥

٢ — ابو علي القالي

توفي سنة ٣٥٦ هـ

هو ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي . جده من موالي عبد الملك بن مروان . وكان احفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين. تتلمذ لابن دريد ونفطويه وابن درستويه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد اقام بها ٢٥ سنة. واقام في الموصل زمناً وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر وتوفي فيها سنة ٣٥٦ وله عدة مؤلفات اكثرها في اللغة هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب الامالي : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد املاه في جامع الزهراء بقرطبة ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين لهما ذيل

٢ كتاب البارع في اللغة : بناه على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة أي الف صفحة فهو من قبيل المعاجم ولم يبق منه الا نتف في مكتبة باريس

٣ كتاب النوادر : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢

٣ — ابو احمد العسكري

توفي سنة ٣٨٢ هـ

هو ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير ابي هلال العسكري المتقدم ذكره بين الادباء . وكان ابو احمد صاحب اخبار ونوادر. وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا فاحتال في السفر اليه ولقيه وأطراه . وخلف ابو احمد عدة مؤلفات وصل الينا منها :

١ كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحف والمحرف من الكلمات التي وردت عن البلغاء مما يعد من انواع البديع ومن فروع المحاضرات . وشرح الكلمات المشتبهة . وهو مفيد طبع في مصر ١٣٢٧

٢ كتاب الزواجر والمواعظ : في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٣ « الحكم والامثال : « مكتبة زكي باشا بمصر

وترجمة ابي احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣
ومن علماء اللغة في هذا العصر ايضاً غير اصحاب المعاجم الآتي ذكرهم : جنادة المتوفي سنة ٣٩٩ والسمساني توفي ببغداد سنة ٤١٥ وصاعد اللغوي توفي سنة ٤١٧ وابن السيد القيسي توفي سنة ٤٢٧ هـ وقد ترجمهم ابن خلكان

المعاجم اللغوية

واصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفي سنة ١٨٠ لكنها لم تنضج ويتم نموها الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده فيحسن بنا أن نشبع الكلام فيها

المعاجم على العموم

أسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون فانهم وضعوا معجما فيه ٤٠٠٠٠ كلمة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . مؤلفه اسمه باوتشي . وأقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية اسمه (Lingua Latina) الفه « وارو » المتوفي سنة ٢٨ قبل الميلاد . ونحو ذلك الزمن أو بعيده ظهر اقدم معجم للغة هوميروس ألفه ابولونيوس الغراماطيقي الاسكندري في زمن أوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملا سنة ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس . ثم يأتي العرب وهم أسبق الامم الحديثة الى المعاجم اللغوية — وهاك تاريخها :

مآخذ المعاجم العربية

نريد بالمعاجم كتب اللغة التى تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم أو على المعاني المتشابهة أو المتقاربة وهي مأخوذة في الاصل عن السماع من أفواه العرب في أدوار مختلفة. وقد علمت مما تقدم انهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية من صدر الاسلام بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب صفحة ٩٧
فكان الرواة كحماد والاصمعي وابي عبيدة وغيرهم يروون ما يسمعونه أو يأخذونه عمن سمعه ويدونونه أو ينقلونه . ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم

وأمثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك أولا في كتب مستقلة كل موضوع على حدة ككتب الابل واسماء الوحوش وخلق الانسان والخيل والشاه والنبات والشجر والنخيل وغيرها للاصمعي وكتب اللبن والمطر لابي زيد الانصاري ونحوها

ويلحق ذلك ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة وهي تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها ككتب النوادر للكسائي وابي زيد والشيباني والقالي . وكتب الغريب في اللغة كغريب ابي عبيد والشيباني وابن الاعرابي. وشروح الشعر فان فيها كثيراً من الالفاظ المشروحة مع بيان أحوالها اللغوية . وسائر الكتب التى تبحث في اللغة واشتقاقها والفاظها . وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفي سنة ٣٢٧ هـ تقدم ذكره صفحة ١٨٩ وكتاب البارع للقالي. وأبنية الافعال لابن القوطية الآتي ذكره

ومنها كتاب «ديوان الادب» لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآتي ذكره .جعله على ستة كتب أولها في السالم والثاني في المضاعف (٣) المثال (٤) ذوات الثلاثة (٥) ذوات الاربعة (٦) كتاب الهمزة وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وأفعال وقدم الاسماء على الافعال واستشهد بالاشعار. ومن هذا الكتاب نسخ خطية في ليدن واكسفورد وفي المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وأمثالها كانت عوناً كبيراً في تأليف المعاجم . على أن الذين ألفوا المعاجم رجعوا أيضاً في التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة أو ممن سمعها عنهم. وقد ذكرنا في صفحة ٩٧ اسماء القبائل التى أخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم:

تاريخ المعاجم العربية

أول من رتب الفاظ اللغة على الابجدية الخليل بن احمد في كتاب العين وقد تقدم ذكره في الكلام عن اللغة في العصر العباسي الاول صفحة ١٢١ تليه جمهرة ابن دريد المتوفي سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة في العصر العباسي الثاني صفحة ١٨٨ وعليها كان معول طلاب اللغة في ذلك العصر والذي يليه . وقد انتقدها ابن جني ونفطويه . فاقدم المعاجم كتاب العين فالجمهرة لابن دريد فالبارع للقالي وقد تقدم ذكرها

وهاك المعاجم التى ظهرت بعد ذلك مع تراجم اصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ — التهذيب للازهري

المتوفي سنة ٣٧٠ هـ

هو ابو منصور محمد بن احمد بن الازهر طلحة بن نوح بن أزهر الازهري الهروي اللغوي . كان فقيهاً وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطويه ورحل فطاف أرض العرب في طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه في أسر قوم نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون الى اعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش

فبقي في أسرهم دهراً طويلا يشتى في الدهناء ويربع في الصمان ويقيظ بالستارين فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم الفاظاً جمة . فلما الف كتابه « التهذيب » أدخل ذلك كله فيه . وجرى في ترتيبه على ترتيب كتاب العين أي حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة أورد فيها أسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم واسماء الذين ساؤا التأليف في اللغة . وعقد فصلا في القاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهي مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية في مكاتب ايا صوفيا ونور عثمانية وكوبرلى في الاستانة ونسخة في المكتبة الاحمدية بحلب . وفي المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحاتهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهي الثانى بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جداً

٢ كتاب غريب الالفاظ التى استعملها الفقهاء : منها نسخ في برلين وكوبرلى وترجمة الازهري في ابن خلكان ٥٠١ ج ١

٢ — المحيط للصاحب بن عباد

المتوفي سنة ٣٨٥ هـ

قد تقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه «المحيط» مرتب على حروف الابجدية كما هي اليوم في سبعة مجلدات اكثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد . ومنه الجزء الثالث في المكتبة الخديوية

٣ — المجمل لابن فارس

المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي. كان اماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة . وله فضل التقدم في وضع المقامات لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه . وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني كما تقدم . وتفقه عليه الصاحب بن عباد . وكان استاذ عصره وقد خلف مؤلفات ذات شأن هاك أشهرها :

١ كتاب المجمل في اللغة : اقتصر فيه على الالفاظ الهامة المستعملة. أخذ اكثرها عن السماع واخذ عمن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابجدية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه ومنه اسمه . منه نسخ خطية في برلين وغوطا وليدن وباريس والمتحف البريطاني واكسفورد ويني جامع وكوبرلي . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة في مجلدين كبيرين صفحاتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط

٢ كتاب الثلاثة : يشتمل على الفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب . منه نسخة في الاسكوريال ٣ كتاب ذم الخطأ في الشعر : في برلين

٤ كتاب نقد الشعر : ذكره السيوطي بالمزهر ولم نقف على خبره

٥ كتاب الصاحبي : في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . تسمى بذلك لانه ألفه للصاحب بن عباد وجيه ذلك العصر . وفيه ابحاث في اصل اللغة العربية وخصائصها واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن وتعريف اقسام الكلام والاسماء العربية واسبابها والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء وغير ذلك من المواضيع اللغوية . وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ وفي صدره فصل في ترجمة حياة المؤلف

٦ كتاب الاتباع والمزاوجة. جمع فيه ما ورد من كلام العرب مزدوجاً كقولهم ساغب لاغب ومايق دايق والسيف واللیف. منه نسخة بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ٤٤ صفحة ولم يذكر بين مؤلفاته

وترجمة ابن فارس في ابن خلكان ٣٥ ج ١ ومعجم الادباء ٦ ج ٢

٤ — الصحاح للجوهري

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري . أصله من فاراب ببلاد الترك ولذلك سموه الفارابي ايضاً . وهو غير أبي نصر الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة

٢١٣ فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابي صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره صفحة ٣٠٧ فانه خال اسماعيل بن حماد الذي نحن في صدده

وكان اسماعيل هذا واسع العلم في اللغة اخذ عن خاله المذكور وغيره وسافر في البدو والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر . وطاف الحجاز في طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان فاقام في نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلا . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فانتقى من الفاظ اللغة ماصح عنده فجاء اوعى من مجمل ابن فارس وتهذيب الازهرى وجمهرة ابن دريد. ورتبه على اسلوب لم يسبقه اليه احد فجعل القاعدة في ترتيب الالفاظ على اواخر الكلم — فيضع « قلب » مثلا قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء في طلب القوافي. ويمتاز الصحاح على سواه انه استوعب الالفاظ المستعملة في ديار مضر وحققها بالسماع من عرب البادية هناك لانه عاشرهم. وفي الكتاب خطأ في ضبط بعض الالفاظ ذكر سببه ياقوت في معجم الادباء قال : « ان الجوهري صنف كتاب الصحاح للاستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعترى الجوهري وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور فصعد الى سطحه وقال أيها الناس اني عمات في الدنيا شيئاً لم أسبق اليه فسأعمل للآخرة أمراً لم أسبق اليه . وضم الى جنبيه مصراعي باب وتأبطهما بحبل وصعد مكاناً عالياً من الجامع وزعم انه يطير فوقع فمات وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة فبيضه ابو اسحاق بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً »

وقد طبع الصحاح في تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر . وفي مصر سنة ١٢٨٢ وفي طبعة مصر مقدمات لابي الوفاء الهوريني في تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وما هي الفصول الساقطة منه. وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية في كتاب سمي « الصراح » ترجمه أبو الفضل جمال الدين القرشي سنة ٩٧٦ هـ ومن هذه الترجمة نسخ خطية في برلين والمتحف البريطاني وغيرهما . وطبعت في كلكتة سنة ١٨١٢

ولخصه محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي من أهل القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال وضم اليه كثيراً من تهذيب الازهري وغيره وكل ما أهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مراراً بمصر وغيرها ومنه نسخ خطية في

مكاتب أوربا . والف كثيرون في نقد الصحاح للاسباب التى قدمناها كتباً ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢

وللجوهري هذا فضل في تتميم علم العروض والزيادة في أوزانه[1] وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته في معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢٨٩ ج ٤

٥ — الجامع للقزاز

المتوفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمى النحوي القزاز القيرواني . كان في خدمة العزيز الفاطمي صاحب مصر . وكان مقدماً وجيهاً وصنف له كتباً من جملتها كتاب « الجامع » في اللغة وكلها ضاعت . وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١

٦ — الموعب للتياني

المتوفي سنة ٤٣٦ هـ

وهو ابو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي من أهل قرطبة .الف الموعب وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ولم يختصر الشواهد .لكن الكتاب ضاع . وترجمته في ابن خلكان ٩٧ ج ١

٧ — المحكم والمخصص لابن سيده

المتوفي سنة ٤٥٨ هـ

وهو آخر اصحاب المعاجم التى ظهرت في ذلك العصر وأعظمهم وهو الحافظ ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسي الاندلسي كان ضريراً وأبوه ضرير . وكان ابوه عالماً في اللغة فاخذها عنه وعن غيره . وكان حافظاً أقام في مرسية وتوفي في دانية من أعمال الاندلس . وقد الف غير كتاب في اللغة والادب هاك ما وصلنا منها :

١ المحكم في اللغة : واسمه المحكم والمحيط الاعظم.وهو كبير جامع يشتمل على انواع اللغة رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين وقد نظم بعضهم ثلاثة أبيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من أوائل الفاظها وهي :

(١) العمدة ٨٨ ج ١

علقت حبيباً هنت خيفة غدره قليل كرى جفني شكا ضر صده
سبا زهوه طفلا ديانة تائب ظلامته ذنب ثوى ربع لحده
نواظره فتاكة بعميده ملاحته اجرت ينابيع وجده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر وقد انتقى شواهده من أوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس في تأليف كتابه كما سيأتي في مكانه . والمحكم موجود في المتحف البريطاني . وفي المكتبة الخديوية منه أجزاء كثيرة لايتم منها نسخة كاملة . واكبر مجموعة من تلك الاجزاء تبلغ ١٨ جزءاً تزيد صفحاتها على خمسة آلاف صفحة خطها قديم مغربي وللمحكم خلاصة لمحمد الانسي المتوفي سنة ٦٨٠ منها نسخة في المتحف البريطاني

٢ المخصص : وهو معجم معنوي أي أن مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها فهو مثل فقه اللغة للثعالبي ولكنه أوسع منه كثيراً . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٦ في ١٧ مجلداً عن نسخة خطية مخرومة كانت في المكتبة الخديوية . ومنه أجزاء خطية متفرقة في مكتبتي اكسفورد والاسكوريال . وهو أوفى كتاب في بابه قد اجتمعت فيه الالفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها أو المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد . وفي ذيله فهرس ابجدي يسهل البحث عن مواده

٣ كتاب شرح مشكل المتنبي : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وترجمة ابن سيده في ابن خلكان ٣٤٢ ج ١

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثالث

اتخذ التاريخ في هذا العصر وجهاً آخر فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الاسلامية أو الامم أو الاشخاص. وذلك طبيعي بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة في الشهرة والسيادة وفي ترقية المملكة الاسلامية. واكثرهم يقربون الكتاب ويغرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة بابي اسحق الصابي المتقدم ذكره وكما فعل محمود الغزنوي بالعتبي الآتي ذكره

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما انتهى في ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الامة أو الدولة يدون غالباً في أواخر أيامها أو بعد انقضائها .

واما تراجم الافراد فيغلب تدوينها في حياة اصحابها بايجاز منهم . ونظراً لتوالي التقلبـات على مصر في القرنين الثالث والرابع بتنقلها من العباسيين الى الطولونيين فالاخشيـديين فالفاطميين ظهر فيهـا عدة كتب في التواريخ الخاصة ضاع اكثرها وسنذكر ما بقي منها

وفي هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الاوائل » ومنه يعرف أوائل الوقائع والحوادث بحسب الموطن . واول من الف فيه تأليفاً مستقلا أبوهلال العسكري وقد تقدم ذكره

أما التاريخ العام فقد خالط بعضه في هذا العصر صبغة الرحلة لكثرة ماكان من توالى الرحلات فيه كما سيجيء مع وصف الاماكن الجغرافية . فالمؤرخ يصف ماسمعه ورآه من الغرائب. وأكثرهم افاضة في ذلك المسعودي وكان هو نفسه من أهل الاسفار وكذلك أبو زيد البلخي وقد الف في التاريخ والجغرافيا وذكرناه بين المؤرخين في العصر الماضي . غير اصحاب الجغرافية الآتي ذكرهم

ويقال على الاجمال أن النقد التاريخى لم ينضج في تواريخ هذا العصر لان اكثرها كتب ولا سيما التواريخ الخاصة تحت سيطرة الملوك والامراء لارضائهم . وقد يمتنعون عن الانتقاد تحاشيا من التعرض للاحزاب الدينية الا ماكان بين السنة والشيعة وهم مع ذلك يتحاشونه . ولعل التلاعب بعد ذلك في النسخ افسد ما دونوه

ونبدأ بذكر التواريخ العامه ثم الخاصة ونرتب التراجم في كليهما على سني الوفاة :

اصحاب التواريخ العامة

١ — المسعودى

توفي سنة ٣٤٦ هـ

هو علي بن الحسين بن علي ذرية عبد الله بن مسعود ولذلك قيل له المسعودي . نشأ في بغداد وجاء مصر ورحل في طلب العلم الى اقصى البلاد فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في اصطخر . وفي السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ثم عطف الي كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان) ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وطاف البحر الهندي الى مداغسكر وعاد الى عمان . ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء اذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين . وفي سنة ٣٣٢ جاء

انطاكية والثغور الشامية الى دمشق . واستقر أخيراً بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ وتوفي في السنة التالية . ولم يفتر في اثناء اسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضيعها . فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه أحد . والف كثيراً من الكتب المفيدة في مواضيع شتى اهمها في التاريخ وهاك اشهر مؤلفاته الباقية :

١ مروج الذهب ومعادن الجوهر : هو اشهر من أن يعرف لشيوعه وقد طبع مراراً في جزئين . وصف في الاول منهما الخليقة وقصص الانبياء مختصرا ثم وصف البحار والارضين وما فيهما من العجائب . ويدخل في ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسريان واليونان والرومان والافرنج والعرب القدماء واديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبي الى مقتل عثمان . وذكر في المجلد الثاني تاريخ الاسلام من خلافة علي الى أيام المطيع لله العباسي (توفي سنة ٣٦٣)

ويظهر مما جاء في مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها كانت موجودة في أيامه لم يصلنا منها الا بضعة قليلة كتاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري . وأما الباقي فقد ضاع وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة والاجتماع . وفي خلال هذا الكتاب فوائد كثيرة لاتجدها في سواه . ولذلك فقد عني المستشرق باربيه دي مينار بنقله الى اللغة الفرنساوية وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ في ٩ مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبد الله المراش في مجلة الضياء (سنة ٢) . ونقله الى الانكليزية الاستاذ سبرنجر وطبع الجزء الاول من ترجمته في لندن سنه ١٨٤١

٢ كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال والممالك الداثرة. وهو كبير طويل مثل اسمه يدخل في ٣٠ مجلداً . وقد اكثر المسعودي من الاشارة اليه في مروج الذهب ـ اذا اختصر الكلام في باب قال: «وقد فصلنا ذلك في كتابنا اخبار الزمان » لكن هذا الكتاب ضائع الآن. وليس منه الا الجزء الاول في مكتبة فينا

٣ كتاب الاسط: هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع ايضا ولكن في مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق [1]

(١) مجلة النعمة سنة ١ ج ٢

٤ كتاب التنبيه والاشراف : أودعه لمعاً من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتركيبها وأقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها والنواحي والافاق وتأثيرها على السكان وحدود الاقاليم السبعة والعروض والاطوال ومصاب الانهار. وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها . ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم واخبارهم . وجوامع تواريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية . وسيرة النبي وظهور الاسلام وسير الخلفاء واعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ وفيه اشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ . وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٤ في جملة المكتبة الجغرافية في ٥٠٠ صفحة وترجمة المسعودي في فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ والفهرست ١٥٤

٢ — حمزة الاصفهاني

توفي نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو حمزة بن حسن الاصفهاني كان مقيما في بغداد باوائل القرن الرابع وأصله من اصفهان كان يتعصب لغير العرب وعوّل في ماكتبه على المصادر الفارسية وأشهر كتبه:

١ كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء : رتبهُ في عشرة ابواب ذكر فيها شيئاً من انساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة فضلا عن ملوك الفرس والروم وغيرهم. ويوجه همه بالاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة. طبع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ وفي مقدمة الكتاب اسماء الكتب الفارسية التى استعان بها في تأليفه ٢ كتاب الامثال : منه نسخة في مكتبة منشن

٣ كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٠٠ صفحة مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهاني وترجمته في الفهرست ١٣٩

٣ — ابن النديم

توفي نحو سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة لانه أول من دونها منذ نحو الف سنة في «الفهرست» ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان. فهو أول من الف في آداب اللغة واليك وصف كتابهِ :

كتاب الفهرست : بدأ فيه صاحبه بوصف لغات الامم من العرب والعجم وخطوطها وصوّر أمثلة منها . ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللغويين وتاريخ النحو واصحابه في البصرة والكوفة واسماء كتبهم فاصحاب الاخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء فالكلام والمتكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين . فالفلسفة والعلوم القديمة وأصحابها فالاسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة . فالمذاهب والاعتقادات وأخيراً الكيمياء وأصحابها . وفي كل باب تفاصيل في تاريخ كل مؤلف واسماء كتبه

وقد عنى بطبع هذا الاثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ في ليدن في مجلد صفحاته ٢٦٠ صفحة كبيرة . غير الفهارس والشروح في اللغة الالمانية وهي نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من أول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وتمامه والجاحظ وابن ابي دواد وابن الروندي والناشي والجبائي والرماني وهشام بن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الالمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩

والفهرست ذخيرة أدب لا تثمن لانه حوى من أحوال آداب اللغة العربية فى القرون الاولى ما لم يتعرض له غيره ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ

٤ — المرعشى

توفي سنة ٤٢١ هـ

هو ابو منصور الحسين بن محمد المرعشي كان في جملة من تقرب من السلطان محمود الغزنوي وقد خلف :

كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم : في ٤ مجلدات الاول في تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين ابنائه . والثاني الى سقوط يزدجرد بن شهريار وتاريخ ملوك اليهود والانبياء وملوك اليمن وامراء الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع في تواريخ الخلفاء الامويين والعباسيين والدول الصغرى التى تفرعت من الدول العباسية كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية. وقد الفه بامر ابي المظفر نصر اخي السلطان محمود الغزنوي ومنه الجزآن الاول والثاني في مكتبة باريس

٥ — مسكويه

توفي سنة ٤٢١ هـ

هو أبو علي الخازن احمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه كان مجوسياً واسلم. وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم في الامم. وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين وقد الف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه في مكتبته لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق فضلا عن الادب والفقه والتاريخ وكان له ولع خاص بالكيمياء فانفق ماله في طلب الذهب بالطبخ. ثم ندم على ذلك وتنقلت به حاله الى خدمة بني بويه وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة الصاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعراً مدح ابن العميد وعميد الملك وله رسائل أنيقة على أسلوب ذلك العصر . والف كتباً كثيرة في الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يبلغنا منها الا ما يأتي :

١ كتاب تجارب الامم: هو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٦٩هـ ويدخل في ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من أخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه انه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر أو نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عنى الاستاذ كايتاني المستشرق الايطالي في أمرها . فكلف سنة ١٩٠٦ الدكتور هوروفيتس للبحث عنها في مكاتب الاستانة فعثر على نسخة منها في ايا صوفيا وهي النسخة الوحيدة الكاملة فاستنسخها بالفوتوغراف . وتشتمل على ذلك التاريخ في ستة أجزاء عنيت لجنة تذكار جيب الانكليزية في نشرها مطبوعة على الاصل . اي بان يصور الاصل الخطي كما هو ويطبع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصورة في ٦٠٠ صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهي الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ هـ وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج

وقد الف الوزير أبو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ ذيلا لهذا الكتاب منه نسخة في جملة كتب زكى باشا

٢ كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه نظر الفيلسوف الاديب وهو في ستة مجلدات أيضاً تكلم فيها عن الاخلاق والآداب عند العرب والفرس والهند واليونان منه نسخ خطية في ليدن واكسفورد وباريس

٣ كتاب تهذيب الاخلاق: هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه في النفس وقواها وماهيتها وأفعالها وقسم ذلك وبوبه على أسلوب واضح . وبحث في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله مستنداً في ذلك على كتب الفلاسفة الاقدمين في اسلوب تهذيبي فلسفي ترتاح النفس اليه ويقتنع العقل بأكثر مواده. ويتخلل ذلك ابحاث في طبقات المخلوقات نحو بحث اصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد في تعليل السعادة وأسبابها وبحث في العدالة واقسامها وفي الاتحاد والمحبة وضروبها ومراتبها. وآداب الصداقة وامراض النفس واسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأي . وقد طبع الكتاب مراراً في مصر وغيرها

٤ الفوز الاصغر : في الفلسفة وما يتعلق بها . وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان ونحو ما ذهب اليه أهل النشوء . وقد طبع بمصر مراراً ومنه نسخ خطية في مكاتب اوربا

وترجمة مسكويه في معجم الادباء ٨٨ ج ٢ وفي تراجم الحكماء ٢١٧ وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١

٦ — صاعد الاندلسي

توفي سنة ٤٦٢ هـ

هو أبو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي قاضي طليطلة ولد في المرية سنة ٤٢٠ واشتهر بكتابه « طبقات الامم » وهو من الكتب النادرة في العربية التي تتعرض لوصف العلوم عندالامم بعد كتاب الفهرست.وقد كان مرجع مؤرخي القرن الخامس وما بعده في ما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى أحوال تمدنها وحال العلم فيها وخصوصاً ابن ابي اصيبعة صاحب طبقات الاطباء وابو الفرج الملطي صاحب مختصر الدول والحاج خليفة صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان في مكتبة لندن ونتف في غيرها . وقد عثر الاب شيخو اليسوعي على نسخة عند أحد الوراقين في دمشق فطبعها في المشرق سنة ١٤ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة أيضاً

وهو غير صاعد بن هبة الله الطبيب النصراني . وغير صاعد بن الحسن اللغوي البغدادى المتوفى سنة ٤١٧ هـ . وقد يسمى ابن صاعد ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ هـ

أصحاب التواريخ الخاصة

١ — ابو عمر الكندي

توفي نحو سنة ٣٥٥ هـ

هو ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي التجيبي كان يقيم بمصر الى أوئل النصف الثاني من القرن الرابع . وهو غير يعقوب الكندي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٢ . وله من المؤلفات :

١ فضائل مصر : ألفه لكافور الاخشيدي يشتمل على ماجاء عن مصر في القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدي باختصار . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية منقولة في الاصل عن مكتبة كافور في ٤٤ صفحة

٢ اخبار القضاة المصريين : هو تاريخ أولئك القضاة الى سنة ٣٤٦هـ منه نسخة في المتحف البريطاني وهي الآن تحت الطبع بعناية كونيغ في نيويورك

٣ كتاب تسمية ولاة مصر : طبعه كونيغ المذكور وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات

٤ تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية منه نسخة خطية في المتحف البريطاني . وقد اخذت لجنة تذكار جيب بطبعه في لندن عن تلك النسخة

٢ — ابو عبدالله الخشني

توفي نحو سنة ٣٥٨هـ

نسبة الى خشينة من قضاعة في قرطبة . له كتاب اخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ منه نسخة خطية في اكسفورد

٣ — ابو الحسن الاسكندراني

كتب نحو سنة ٣٦٥ في ايام المعز لدين الله الفاطمي كتاباً كاليومية سماه «ما كفى من اخبار الايام» . منه نسخة في الاسكوريال

٤ — ابن القوطية

توفي سنة ٣٦٧ هـ

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار . تثقف في اشبيلية وقرطبة . وكان من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية مع حفظ الحديث والفقه والاخبار والنوادر . وكان اروى الناس للاشعار وأدركهم للآثار لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مضطلعا باخبار الاندلس ملياً برواية سير امرائها وأحوال فقهائها وشعرائها يملي ذلك عن ظهر قلبه وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفي في قرطبة سنة ٣٦٧ وقد الف كتباً مفيدة في اللغة ويقال انه أول من فتح باب تصاريف الافعال . وجاء بعده ابن القطاع واتبعه . وله كتب أخرى أهمها :

١ تاريخ الاندلس : يشتمل على فتح الاندلس الى سنة ٢٨٠ هـ ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد ترجمه الى الفرنساوية شاربونو وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ وعول عليه طلاب تاريخ الاندلس من الافرنج. وطبعوه مع ترجمة فرنساوية في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢١٩ صفحة

٢ كتاب الافعال : نشره الاستاذ جويدي في ليدن سنة ١٨٩٤

وترجمته في ابن خلكان ٥١٢ ج ١

٥ — ابن زولاق

توفي سنة ٣٨٧ هـ

هو ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق الليثي . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

١ كتاب مختصر تاريخ مصر الى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة في غوطا

٢ تاريخ مصر وفضائلها: منه نسخة في باريس ولها مختصر في غوطا وباريس

٣ اخبار سيبويه المصري: وهو محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي الصيرفي المتوفى سنة ٣٥٨ منه نسخة في المكتبة الخديوية في نحو ١٠٠ صفحة

٤ تتمة كتاب الكندي في أخبار قضاة مصر : الى سنة ٣٨٦ يبتدىء بذكر القاضي بكار وينتهي بمحمد بن النعمان . لم نقف عليه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ومعجم الادباء ٧ ج ٣

٦ — ابن الفرضي

توفي سنة ٤٠٣ هـ

هو ابو الوليد عبد الله بن محمد الازدي الفرضي. ولد في قرطبة سنة ٣٥١ ورحل في طلب العلم الى القيروان ومصر وتعين قاضياً لبلنسية وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ فمات في تلك السنة . ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الاندلس » في عدة مجلدات نشر كوديرا الجزئين ٧و٨ منها في مدريد سنة ١٨٩٢

٧ — عز الملك المسبحي

توفي سنة ٤٢٠ هـ

هو الامير المختار عزالملك محمد بن عبيد الله المعروف بالمسبحي الكاتب الحراني ولد في مصر ونشأ على زي الاجناد وخدم الحاكم بامر الله الفاطمي وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان وله مع الحاكم بامر الله مجالس ومحاضرات. وقد الف كتباً كثيرة في مواضيع مختلفة اكثرها في التاريخ والادب والنجامة وعلم النجوم وغير ذلك . لم يصلنا منها الا القليل . وهاك ماوصلنا خبره منها :

كتاب أخبار مصر: ذكر فيه من نزل مصر من الولاة والامراء والائمة والخلفاء وما فيها من العجائب والابنية واختلاف اصناف الاطعمة . وذكر نيلها وأحوال أهلها الى الوقت الذي كتب فيه ذلك الكتاب. ويتخلل ذلك اشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والادباء والمتغزلين وغيرهم. وهو ثلاثة عشر الف ورقة أو ٢٦٠٠٠ صفحة . فهو أطول كتاب في تاريخ مصر ينتهي بحوادث سنة ٤١٤ هـ يوجد بعضه في مكتبة الاسكوريال

وقد الف له محمد بن ميسر ذيلاً ينتهي الى حوادث سنة ٥٥٣ منه نسخة في باريس وترجمة المسبحي في ابن خلكان ٥١٥ ج ١

٨ — أبو اسحق الثعلبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري من علماء التفسير وقد الف فيه . وله في التاريخ « كتاب عرائس المجالس » في قصص الانبياء طبع بمصر مراراً

٩ ـ ابو النصر العتبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي . وأصله من الري وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء فتولى الكتابة للامير ابي علي ثم لابي منصور سبكتكين مع ابي الفتح البستي . ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي واستوطن نيسابور واقبل على خدمة الآداب والعلوم . واشتهر على الخصوص بكتاب ألفه في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي سماه « اليميني » نسبة اليه

اليميني : هو الكتاب الذي اشتهر ابو النصر العتبي بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود وترجمة ابيه سبكتكين وسبب طمعه في الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر ايامه . ويدخل في ذلك لطائف كثيرة وحقائق هامة . وقد كتبه مسجعاً على أسلوب الترسل في ذلك العصر كما فعل الثعالبي بيتيمة الدهر لكنه أبلغ منه . ولا يدانيه بالبلاغة الا ابراهيم الصابي المتقدم ذكره . وكان يجب عده من المنشئين لولا أهمية كتابه هذا في التاريخ

وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجد الدين الكرماني وقاسم بن حسين الخوارزمي وتاج الدين بن محفوظ وحميد الدين النجاتي وغيرهم . ومنه نسخ خطية في مكاتب برلين ومنشن وفينا وليدن والمتحف البريطاني وباريس وبطرسبرج ويني جامع

وفي المكتبة الخديوية نسخة من كتاب اليميني بخط فارسي جميل جداً مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة . على حواشيها شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر في دهلى سنة ١٨٤٧ وفي لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ ابى النصر العتبي للمنيني الدمشقي منه نسخة في فينا وبطرسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر في مجلدين كبيرين مصدراً بترجمة العتبي . وبساتين الفضلاء للنجاتي في يني جامع . وقد ترجمه الى الفارسية الجربادكاني . ومن هذه الترجمة نسخة في فينا والمتحف البريطاني وبرلين . وقد ترجمه من النسخة الفارسية الى الانكليزية رينولد وطبع في لندن سنة ١٨٥٨

وترجمة العتبي في يتيمة الدهر ٢٨١ ج ٤ وفي مقدمة الفتح الوهبي

١٠ — هلال الصابي

توفي سنة ٤٤٨ هـ

هو ابو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابي المنشىء صاحب الرسائل الذي تقدم ذكره . ولد سنة ٣٥٩ وكان ابوه صابئيا اما هو فاسلم متأخراً وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب محمد بن خلف . وله تصانيف كثيرة في التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الا :

تاريخ الوزراء : وهو كتاب جليل القدر لانه مسهب في وصف المدة التي تكلم عنها قاصر على ما حدث من اخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ . والطبري قد وفى التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ والف غيره للمدة التي بعده لكن اكثرها ضاع . حتى تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدروز الانكليزي فطبعه سنة ١٩٠٤ في بيروت عن نسخة خطية كانت في مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات . وليست هي كل تاريخ الوزراء بل قطعة فيها نقص من اماكن كثيرة تنتهي بسنة ٣٩٣ في نحو ٥٠٠ صفحة كبيرة فيها فوائد يندر العثور عليها في الكتب الاخرى عن احوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وادارة الحكومة . ودخائل قصور الخلفاء وثروتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام. ويسمى هذا الكتاب ايضاً كتاب الاعيان والاماثل

وترجمته في ابن خلكان ٢٠٢ ج٢ويتيمة الدهر ١٨٧ ج ١ وفي مقدمة طبعة تاريخ الوزراء

١١ — القضاعي

توفي سنة ٤٥٤ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضي الشافعي . تولى القضاء بمصر وقد أنابه المصريون عنهم في رسالة الى بلاد الروم . وله عدة تصانيف اهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار في ذكر الخطط والاخبار اخذ عنه المقريزي في خططه وبه عددناه من اصحاب التواريخ الخاصة : لكنه ضاع وهاك ماوصل الينا من مؤلفاته الاخرى:

١ كتاب الشهاب في المواعظ والاداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث في الحكم

والوصايا والآداب بدون الاسانيد في نحو مائة صفحة . وهو مختصر مفيد . منه نسخ في برلين وباريس وليدن وفي المكتبة الخديوية

٢ الانباء بانباء الانبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليقة الى سنة ٤١٧ منه نسخة فى برلين واكسفورد

٣ كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطاركة والانبياء وبني أمية والعباسيين والفاطميين . وله ذيل الى سنة ٩٢٦ هـ وكلاهما في باريس

٤ نزهة الالباب جامع التواريخ : وهو ذيل للتاريخ . في المتحف البريطاني

٥ مسند الشهاب : وهو يتضمن أسانيد الشهاب المتقدم ذكره ويسمى أيضاً اسناد الشهاب موجود في المكتبة الخديوية في نيف و ٥٠٠ صفحة

وترجمة القضاعي في ابن خلكان ٤٦٢ ج ١ وحسن المحاضرة ٢٢٧ ج ١

١٢ ـ أبو بكر الخطيب البغدادي

توفي سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب خاتمة مؤرخي هذا العصر . وكان من الائمة المشهورين والحفاظ المبرزين ختم به ديوان المحدثين. سمع في بغداد شيوخ وقته ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور وجاء صور فاقام بها مدة وكان يتردد الى بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ الى طرابلس وحلب وعاد الى بغداد اقام بها سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٣ وله مؤلفات تزيد على ٥٥ كتاباً في التاريخ والحديث والادب والنحو والفقه واللغة وغيرها اكثرها ضاع وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علمائها على الخصوص في ١٤ مجلداً وبه اشتهر لكنه تبعثر فلا نعرف له نسخة كاملة في مكان . والموجود منه على ما نعلم اجزاء متفرقة في برلين والمتحف البريطاني وباريس وكوبرلي والجزائر والمكتبة الخديوية . وقد نشر المستشرق سلمون مقدمة هذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ كتاباً على حدة في ثلثمائة صفحة تحتوي على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها واقسامها ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت في أيامه وغير ذلك من الفوائد . وذيلها الناشر بحواش وفهارس فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخططها .

والكتاب على اجماله مروي بالاسناد على طريقة المحدثين

٢ الكفاية : في معرفة أصول علم الرواية يبحث في شروط الرواية واحكام قبولها منه نسخ في برلين وليدن . وفي المكتبة الخديوية نسخة في ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ تقييد العلم : ٤ شرف أصحاب الحديث : ٥ المؤتنف تكملة المؤتلف والمختلف : وكلها في برلين

٦ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما اشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم فيما اشكل من اسماء الرواة . مما يتفق في الهجاء ويختلف في الحركات وما يشتبه في الخط ويختلف في هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض أو غير ذلك . وفيما يتفق من اسماء المحدثين وانسابهم . فهو جزيل الفائدة من حيث تحقيق اسماء الرواة وانسابهم وأخبارهم . منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٠٠ صفحة وفي آخرها نقص

٧ كتاب البخلاء : في المتحف البريطاني

وترجمة الخطيب في ابن خلكان ٢٧ ج ١ ومعجم الادباء ٢٤٦ ج ١

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هذا العصر يبنون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ولم ينضج علم الجغرافيا فيه نضجاً تاماً . ومع ذلك فانه ابان فضل العرب في اكتشاف أماكن دخلوها وبلاد ومسالك لم يسبقهم أحد الى وصفها على أثر الفتوح أو الاسفار التجارية في أواسط آسيا وافريقيا وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها . فاكتشفوا كثيراً من جزائر المحيط وجزائر الاتلانتيك وعرفوا أصقاع الارض أكثر من سائر الامم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافية في هذا العصر كما يقسم التاريخ الى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة . وقبل التقدم الى ذكر اخبار الجغرافيين من العرب نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة . وجدوا أمثلة منها في انقاض بابل واشور ومصر . وهذا مثال من خريطة مصرية من زمن الفراعنة

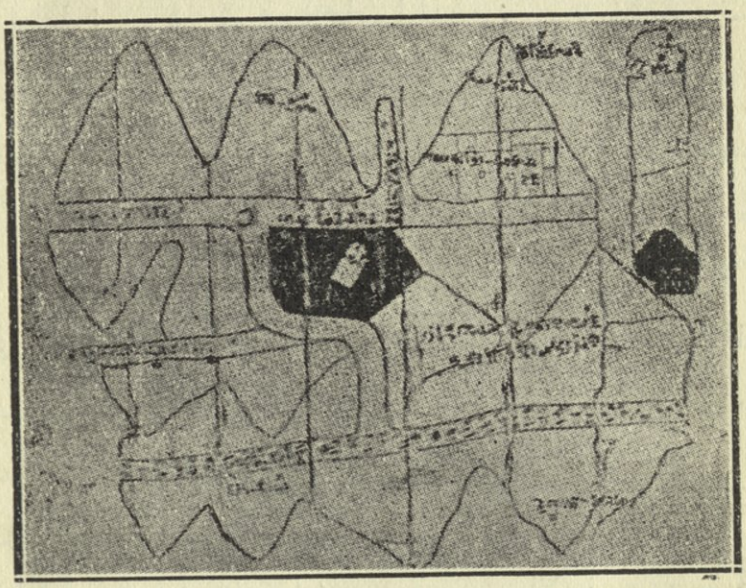

ش ١٨ : خريطة قديمة من زمن رعمسيس الثاني

أما العرب فبدأوا برسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك والجغرافية . وكانوا يجعلون اساس رسومهم قياس العرض والطول . واول من رسم منهم خريطة الارض على هذا الاساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن المأمون . فانه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المبنية على علم الفلك كما فعل بطليموس القلوذي . فلما اخذوا في الرحلة اغضوا عن تلك المقاييس وصاروا يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل ابو زيد البلخي في اوائل القرن الرابع للهجرة وابن حوقل والاصطخري والمقدسي في اواسطه . فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين الاماكن بالاقيسة فاكتفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الاربع (الشرق والغرب والشمال والجنوب) بلا تقدير الابعاد بينها. ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم فان الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها ان يكون دائماً أعلاها شمالا واسفلها جنوباً ويمينها شرقا وشمالها غرباً . أما هم فالغالب عندهم أن يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة فالزاوية بين الاعلى واليمين مثلا قد تكون

شمالا والزاوية المقابلة لها من أعلى غرباً كما ترى في خريطة بين النهرين المنقولة عن الاصطخري (ش ١٩) . أوأن تكون الزواية بين الاعلى واليمين غربا وتكون المقابلة لها في الاعلى جنوباً كما في خريطة الشام المنقولة عنه (انظر ش ٢٠) أو غير ذلك

على أن العرب اخذوا بعد ذلك العصر في تعيين الابعاد بين الاماكن وأقدم من عينها منهم الشريف الادريسي في الخريطة التي رسمها للملك روجر الثاني صاحب صقلية وسيأتي ذكره — وهاك تراجم اصحاب الجغرافية العامة :

اصحاب الجغرافية العامة

١ — ابو زيد البلخي

قد تقدم ذكره بين المؤرخين صفحة ١٩٩ وله في الجغرافية كتاب :

صور الاقاليم : وهو أقدم كتاب جغرافي عربي موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح . لان المؤلف اراد تصوير الاقاليم فالف هذا الكتاب وسماه «صور الاقاليم الاسلامية» فرسم الارض وأشكالها والاقاليم الاسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ اليه جهد العرب في ذلك العصر . ومنه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة في مكتبة برلين . وهي كثيرة الشبه باقاليم الاصطخري الآتي ذكره لان هذا نقل عنه لكنه توسع في شرح احوال البلاد . فنكتفي بشرح جغرافية الاصطخري

٢ — الاصطخري

في أواسط القرن الرابع للهجرة

هو ابو اسحق الفارسي من أهل اصطخر ويعرف أيضاً بالكرخي له كتابان :

١ كتاب الاقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور اقاليم الارض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلا. فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر وأقسامها وبلادها وأرض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وأرض الجزيرة والعراق ومسافاتها وأنهارها وخوزستان وبلادفارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند وأرمينية واذربيجان والجبال وطبرستان أو الديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وافغانستان وماوراء النهر ومسافاتها. وقد وضح ذلك كله بالخرائط ويسميها « الصور » وجملتها ١٩ صورة كبيرة. وقد طبع هذا

الكتاب على الحجر في غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الالماني ومعه الخرائط المشار اليها ملونة مثل الاصل تماما . وفي ش١٩ صورة تمثل العراق وش٢٠ يمثل الشام

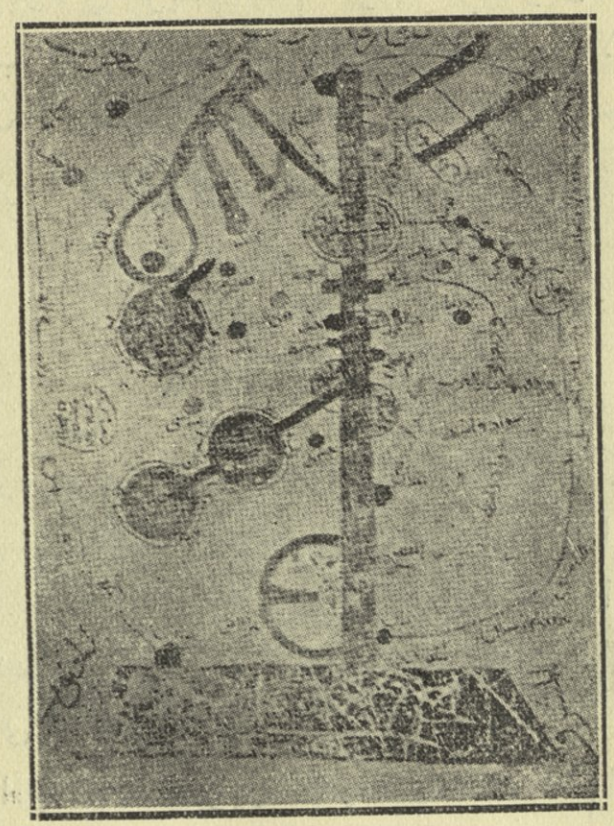

ش ١٩ : خريطة العراق عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٢ كتاب مسالك الممالك : هو كثير الشبه بكتاب الاقاليم لكنه خال من الخرائط وفي صدره مقدمة في تأليف الكتاب وتقسيمه في بضع صفحات . ويكاد يكون باقيه نفس كتاب الاقاليم . طبع فى ليدن سنة ١٨٧٠ في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه وقد قال المؤلف في صدره انه عوّل فيه على كتاب صور الاقاليم لابي زيد البلخي

٣ - ابن حوقل

في اواسط القرن الرابع

هو ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي له « كتاب المسالك والممالك » وهو مثل مسالك الممالك للاصطخري مع زيادات قليلة وقد طبع ايضاً في جملة المكتبة الجغرافية وترجم الى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ وترجم بعضه المختص بافريقيا وطبع بباريس سنة ١٨٤٢ وقسم آخر يختص ببالرم طبع في باريس سنة ١٨٤٥

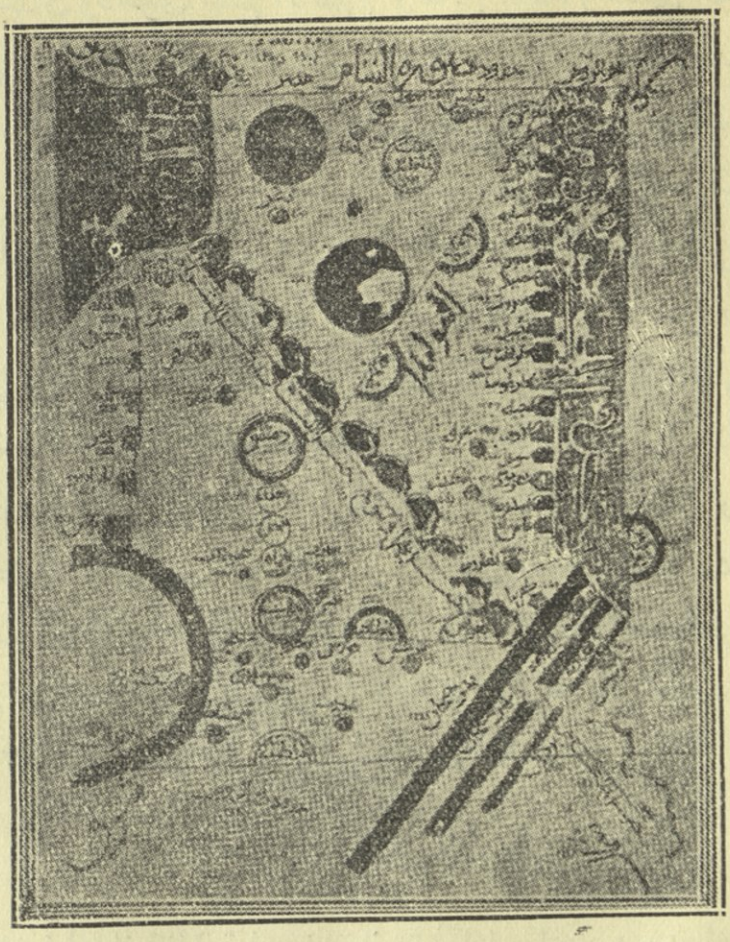

ش ٢٠ : خريطة بلاد الشام عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٤ — المقدسي

توفي بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن البشاري المعروف بالمقدسي. ولد في بيت المقدس وساح في أكثر بلاد الاسلام شرقاً وغرباً الى السند والهند والاندلس. وقد عول في كثير مما كتبه على اختباره الشخصي مما شاهده بعينه. وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم واخلاقهم واحوال بلادهم كما شاهدها. واستفاد أيضاً من سابقيه فالف سنة ٣٧٥ هـ كتاباً سماه :

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : وهو أفضل الجغرافيات العامة في ذلك العصر. صدره بمقدمة في تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى أيامه بانتقاد. ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه في سبيل تأليفه وجمع حقائقه فقال : «وما تم لي جمعه الا بعد

جولاني في البلدان ودخولى اقاليم الاسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الادباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين . مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها . ومساحة الاقاليم بالفراسخ حتى اتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلى الى الاجناد حتى عرفتها وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الالسن والالوان حتى رتبتها وتدبري في السكور حتى فصلتها وبحثي عن الاخرجة حتى احصيتها » الخ

وقد أوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى اقاليم: « ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبيه بالصفرة وبحارها بالخضرة وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام» لكن هذه الخرائط لاتوجد في الطبعة التى بين ايدينا .وقد طبع مرتين في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه الاولى سنة ١٨٧٧ والثانية ١٩٠٦ مع شروح وملاحظات

٥ – هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة في ذلك العصر كتاب إسمه « هيئة اشكال الارض ومقدارها في الطول والعرض » منه نسخة في مكتبة طوب قبوسراي في الاستانة لم يذكر فيه مؤلفه لكن في المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كانه كتب له. وفيه عشرات من الخرائط الملونة . ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا منقولة عن تلك بالفوتوغراف

الجغرافية الخاصة

لم يظهر في الجغرافيات الخاصة في هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سرابيون

وهي جغرافية مابين النهرين وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها في اوائل أيام البويهيين ولا نعرف شيئاً عن مؤلفها . أما الكتاب فقد نقله الى الانكليزية المستشرق سترانج الانكليزي ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخرجها من وصف المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها واضاف اليها تعاليق وشروح جزيلة الفائدة

وفي مجلة المقتطف مقالة عن جغرافيي العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الاسلامية

في العصر العباسي الثالث

تفرعت العلوم الاسلامية في اوائل الاسلام الى القراءة والتفسير والحديث. ثم ظهر الفقه وأخذت هذه العلوم تنمو بنمو التمدن وقد علمت مما تقدم ان الفقه نضج ورسخت قواعده في العصر العباسي الاول والحديث في العصر الثاني . ونشأت في أثناء ذلك فروع اخرى من علوم القرآن أو العلوم الاسلامية الدينية على أثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الاقدمين والعلوم الدخيلة ونشأت فروع أخرى في الاعصر الآتية سيرد بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين في العلوم الاسلامية يعجب لما استخدموه فيها من اعمال الفكرة ولا سيما الفقه فانه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة أخرى اذ لا علاقة له بالعلوم القديمة. ومن ينظر في قضاياه وأحكامه يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل . أما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان فقد ساعد في انشاء بعض فروعه والتوسع في البعض الاخر كعلم الكلام فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير في نموه وقد تقدم خبره في العصر الثاني صفحة ٢٠٧

علم الكلام

ونبغ في هذا العصر غير واحد من علماء الكلام لبعضهم مؤلفات في مواضيع أخرى جاء ذكرهم في ابوابها كالشريف المرتضى بين الادباء . والبعض الاخر لم يخلفوا ما يستحق الذكر . وانما نذكر منهم في هذا الباب اشهر انصار الاشعري وهو :

ابو بكر الباقلاني

هو القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة . ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن وانه معجزة نبوة النبي . وفيه فصول في نفي الشعر من القرآن وكيفية الوقوف على عجز القرآن . وطائفة حسنة من خطب النبي وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٥ وغيرها . وترجمة الباقلاني في ابن خلكان ٤٨١ ج ١

التصوف

هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر وخلاصة تاريخه « أنه من العلوم الشرعية الحادثة وأصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام في أصل كلمة التصوُّف أو الصوفية فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء أو الصفة وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون أن اشتقاقها من الصوف أقرب الى الصواب لاختصاص اصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هي Σοφια (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن Φιλοσ (فيلوس) محب Φιλοσοφια (فيلوصوفيا) أي محب الحكمة وهي بالعربية « الفلسفة » . فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة لانهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثاً فلسفياً . ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولاعرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهم كلها « محاسبة النفس على الافعال والتروك وآداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم » فلما دونت العلوم في الاسلام كتب الصوفية في طريقتهم على ذلك المنهج فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك ومنهم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وكان عالماً في الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب والشعر والكتابة فضلا عن التصوف وقد الف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية وهي مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وسنة ١٣٠٤ وبهامشها تقريرات من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري عليها . وابو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ببغداد الف في ذلك كتاب عوارف المعارف . وقد جمع حجة الاسلام الغزالى بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وسنأتي على ترجمة حاله ومؤلفاته. وصار علم التصوف علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على ايدي الأئمة الاربعة شيئاً غير التلخيص والشرح أو التعليق . وقد ظهر في أثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ولكن اكثرهم اشتغلوا بعلوم اخرى . فدخلت ترجماتهم في ابواب تلك العلوم . ولو اردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء في هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذي اردناه في هذا الباب . وانما نترجم الفقهاء الذين خلفوا كتباً تدخل في بعض الابواب الاخرى من آداب اللغة جرياً على الغرض المراد من هذا الكتاب . واشهرهم في هذا العصر :

ابو الحسن الماوردى

توفي سنة ٤٥٠ هـ

هو ابو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعى تعلم في البصرة وبغداد وتقدم في مناصب القضاء . وكان مفكراً حسن التأليف كما يظهر من كتبه التى وصلت الينا وهاك أهمها :

١ كتاب الاحكام السلطانية : يبحث في الامامة وشروطها والخلافة واحكامها والوزارة وأقسامها وشروطها وامارة الجهاد وأقسامها والقضاء والشروط التي يصح التقليد بها والنقابة حسب الانساب . وفصول في الولاية على الحج وولاية الصدقات واحكام الفيء والغنيمة واقسامها والجزية والخراج حسب الارضين واحكام الاقطاع وترتيب الدواوين وأنواعها . وما اختص ببيت المال واحكام الحسبة وغير ذلك من القواعد الشرعية مما يتعب الباحث عنه في غير هذا الكتاب . وهو مطبوع في مصر سنة ١٢٩٨ وغيرها

٢ أدب الدنيا والدين : يبحث في الاخلاق والاداب ويشتمل على فصول في فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم واخلاق العلماء والآداب الدينية والدنيوية ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة بالمودة وادب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصدق واضدادها وآداب المواضعة . وفيه ابحاث في الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك . طبع في الاستانة سنة ١٢٩٩ وفي مصر مراراً . وهو من كتب الادب المعول عليها في كثير من المدارس

٣ نصيحة الملوك : في باريس

٤ تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . في غوطا

٥ كتاب الحاوي الكبير في الفروع : هومطول في الفقه الشافعي يدخل في ٢٣ مجلداً منها نسخة في المكتبة الخديوية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة

٦ اعلام النبوة : يبحث في اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الاعجاز وما في أقوال النبي من ذلك. منه نسخ في برلين والمكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٧ كتاب الامثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة و ٣٠٠ حديث و ٣٠٠ شعر . موجود في ليدن

٨ معرفة الفضائل : في الاسكوريال

وترجمة الماوردي في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الوراثة وأشكالها ومختلفاتها وضروب مواقعها وما يحتاج اليه ذلك من الحساب . فافرد له العلماء باباً مخصوصاً وكتب فيه الفقهاء منهم كابي حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ومن هؤلاء في أوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن ابي ليلى ويحيى بن اكثم ثم ابو المعالى ثم الف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

اما التفسير فما زال للعقل مجالٌ فيه فظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبري المتقدم ذكره في العصر الماضي . ومنهم في هذا العصر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة في المكتبة الخديوية . والحوفي المصري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب «البرهان فى تفسير القرآن» منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وابن ابي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ في قرطبة له مؤلفات كثيرة ضاعت وغيرهم .

واما الحديث فاستقرت قواعده في الكتب الستة المتقدم ذكرها لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين اخذ ورد . واشهر من نبغ من المؤلفين فيه بهذا العصر الطهماني الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ وابو الفتح سليم بن ايوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ والاجري المتوفى سنة ٣٦٠ والبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ وغيرهم . ولم يصلنا من آثارهم مايستحق الذكر

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثالث

علمت من كلامنا عن هذه العلوم في العصر العباسي الاول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى اربعة الطب والفلسفة والنجوم والرياضيات . وكان المشتغلون في نقلها اكثرهم من غير المسلمين ثم اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الثاني وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها في هذا العصر ونبغ فيها علماء لايشق لهم غبار فنذكر اصحاب كل فرع على حدة وان كان اكثرهم اشتغلوا بعلمين فأكثر من تلك العلوم . فنضع كلا منهم فى العلم الذي غلب عليه

الطب

يدخل فى الطب فروعه الطبيعية كالكيمياء والصيدلة والنبات لكننا سنفرد لها فصلا خاصاً . اما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثر الاطباء على الخصوص فى هذا العصر وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد احصوا اطباء بغداد وحدها فى زمن المقتدر بالله في أول القرن الرابع للهجرة فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيباً امتحنوا لنيل الاذن فى التطبيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته وسوى من كان في خدمة الخليفة . فلا يمكن ان يكون مجموع ذلك كله اقل من الف طبيب متعاصرين فى مدينة واحدة . وبلغ عدد أطباء النصارى فقط فى خدمة المتوكل بأواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيباً . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيباً . منهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة ارزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للاطباء عندهم نظام وعليهم رئيس يمتحنهم ويجيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب . واشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت في بغداد ومهذب الدين الدخوار في مصر . وفعلوا نحو ذلك في الصيادلة وكانوا كثاراً . وتفشى الغش في الادوية حتى اضطر ولي الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات أو المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفي الآخرين . واول من فعل ذلك الافشين في بغداد ووكل زكريا بن الطيفوري به فى حديث يطول ذكره . وكان من الاطباء أو الصيادلة من هو خاص بالجند يرافقه فى أسفاره ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ولهؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرتزقين . ومنهم من يطببون العامة وهم غير مرتزقين وأشهر أطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سينا

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو الشيخ الفيلسوف الطبيب ارسطو الاسلام وابقراطه. واسمه ابو علي الحسين ابن عبد الله ويلقب بالشيخ الرئيس ويسميه الافرنج (Avicenna) كان ابوه من بلخ فى شمالي افغانستان وسكن مملكة بخارا فى زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرميثن . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ هـ وكان من صغره نادرة عصره فى الذكاء والفطنة ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا وهي يومئذ حافلة بالعلماء. وحفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم . وكان يحيي الليل فى الدرس والبحث

واتفق أن نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه فبرىء على يده فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال فاستأذنه فى دخولها فاذن له فدرسها درساً ثم احترقت بعد أن وعى زبدتها . وأخذ فى التأليف وهو فى الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتنقل فى بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي الا بعد حين . ومرت به طوارىء مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى من العذاب والملوك مناظروه أو مريده . وكان قوي القوى كلها جسداً وعقلا لكن شهواته البدنية كانت غالبة عليه . فاثرت في مزاجه حتى أماتته بهمذان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين من عمره

ش ٢١ : الشيخ الرئيس ابن سينا

وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل وقد الف في كل فن من العلم والادب وتزيد مؤلفاته على مئة وكان لها تأثير كبير في نهضة أوربا الاخيرة لانهم نقلوا أهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

أما في الاصل العربي فكثير من مؤلفاته لايزال باقياً ومنها جانب كبير في المكتبة الخديوية يمكن الاطلاع عليها لمن أراد — فمن كتبه الطبية الموجودة هناك

١ القانون : في ١٤ جزءاً مطبوع في رومية ومصر وهو من أهم كتبه . حوى أهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . وعليه وعلى كتاب الحاوي لابي بكر الرازي كان اكثر معول العالم الطبي في التمدن الاسلامي وفي نهضة أوربا قبيل التمدن الحديث

٢ الشفاء : وهو ١٨ جزءاً بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى . منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس والكتاب موجود برمته في المكتبة الخديوية ٣ الالفية في الطب ٤ منظومة في الطب

ومن كتبه الفلسفية — ١ الاشارات : ولها شرح للطوسي مطبوع في الاستانة وعلى هامشه شرح للفخر الرازي ٢ النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع ٣ رسائل

في الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجوهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية وحد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد خطأً في المكتبة الخديوية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد — ١ القصيدة العينية في النفس ٢ كتاب المبدأ والمعاد ٣ الالهيات ٤ الجمانة الالهية

وفي المنطق — ١ كتاب الاشارة ٢ كتاب الشرقيين ٣ رسالة العروس . غير ثمانية مؤلفات في المنطق يوجد بعضها في مكاتب أوربا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفاً لايوجد منها في المكتبة الخديوية شيء ولكن اكثرها موجود في مكاتب أوربا ولا محل هنا لتفصيل ذلك. وله مؤلفات في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها

ولابن سينا آراء خصوصية في العلم الطبيعي وقد أوضح كثيراً من غوامضه وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عديدة

وترجمة ابن سينا في ابن خلكان ١٥٢ ج ١ وطبقات الاطباء ٢ ج ٢ وتراجم الحكماء ٢٦٨ وفي سنة ١٨ من الهلال . وللافرنج مقالات عديدة في ابن سينا وفلسفته وكتبه في الفرنساوية والانكليزية والالمانية وغيرها

الصيدلة والكيمياء والنبات

وللمسلمين فضل كبير على الصيدلة والكيمياء والنبات وهي من فروع الطب بدأوا بذلك في صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم وإن تجاوزنا هذا العصر لجمع الموضوع في باب واحد . وقد عنى الافرنج بعد نهضتهم الاخيرة في درس تاريخ فن الصيدلة فتحققوا أن العرب هم واضعو اسس هذا الفن وهم أول من أشتغل في تحضير الادوية أو العقاقير فضلا عما استنبطوه من الادوية الجديدة . وانهم أول من الف الاقرباذين على الصورة التي وصلت الينا وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان ودكاكين الصيادلة على اقرباذين الفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ حتى ظهر اقرباذين أمين الدولة ابن التلميذ المتوفى في بغداد سنة ٥٦٠ هـ . وهم أول من أنشأ حوانيت الصيادلة على هذه الصورة . ومن أقرب الشواهد على ذلك أسماء العقاقير التي أخذها الافرنج عن العرب ولاتزال عندهم باسمائها العربية أو الفارسية أو الهندية كما أخذوها عن العربية

على أن تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات ولا خلاف في أن العرب هم الذين اسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم — وأول من اشتغل في نقلها الى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية وعنه أخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ وبعده جابر بن حيان ثم الكندي فابو بكر الرازي وغيرهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات الكيماوية التى بنيت عليها الكيمياء الحديثة. وقد ذكر محققو الافرنج أن العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (الحامض النتريك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (الحامض النيتروهيدرو كلوريك) واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة)

ش ٢٢ : العرب يستقطرون العقاقير

والسليماني (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلي والزرنيخ والبورق. وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التى لم يصل الينا خبرها. على أننا نستدل على وجود بعض المركبات الكيماوية في أيامهم مما لم نسمع له بمثيل في تاريخ الكيمياء قبل أواخر القرن الماضي — فقد أشار ابن الاثير الى أدوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ اذا طلي بها الخشب أمتنع احتراقه ولم يذكر ما هي. ومما يعد من قبيل الكيمياء ايضاً البارود فقد ترجح لنا بالبحث انهم هم الذين ركبوه. وهم أول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب

وقد الفوا في ابطال الكيمياء القديمة — أول من الف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندي في أواسط القرن الثالث للهجرة

وأما النبات فللعرب القدح المعلى في درسه والتأليف فيه وقد أخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن كتب الهند . ونقل كتاب ديسقوريدس في أيام المتوكل نقله اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية

ش ٢٣ : ديسقوريدس

فالعقاقير التى لم يعرف لها اسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني اتكالا على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة فانتفع به الناس الى أيام الناصر صاحب الاندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة . فكاتبه ملك القسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهباً اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من اسماء العقاقير والادوية وجعله ذيلا على ذلك الكتاب

ابن البيطار

حتى اذا نبغ ابن البيطار المالقي النباتي في اواسط القرن السابع للهجرة فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى أقصى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه . واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعاين منابته بنفسه . وذهب الى الشام ودرس نباتاتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيساً على العشابين واصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار الف كتاباً في النبات هو فريد في بابه وكان عليه معول أهل اوربا في نهضتهم الاخيرة في علم النبات . ومؤلفاته الباقية :

١ كتاب المغني في الادوية المفردة : الفه للملك الصالح الايوبي . منه نسخ خطية في غوطا وليدن والمتحف البريطاني واكسفورد وباريس

٢ جامع مفردات الادوية والاغذية : طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية في مجلدين وطبع في ستتجارت سنه ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنساوية بقلم لاكلارك وغيره

٣ ميزان الطبيب : في اوبسالا

وترجمة ابن البيطار في طبقات الاطباء ١٣٣ ج ٢ وفوات الوفيات ٢٠٤ ج ١

رشيد الدين بن الصوري

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها ويستصحب مصوراً معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واعضائه وأصوله ويصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم . وفي مجلة المقتطف مقالة عن كيماوي العرب صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

وجمعية اخوان الصفا

كان للفلسفة شأن آخر في هذا العصر واشتغل فيها اكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الاطباء وفي مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه . وكان الفلاسفة في هذا العصر متهمين بالكفر وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفاً للانتساب

الى التعطيل وشاعت النقمة على المأمون لانه كان السبب في نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك : «ما أظن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخله على هذه الامة »

فاضطر اصحابها الى التستر فألفوا الجمعيات السرية لهذا الغرض وأشهرها جمعية « اخوان الصفا » تألفت في بغداد باواسط القرن الرابع للهجرة ذكروا من اعضائها خمسة هم : أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وزيد بن رفاعة . وكانوا يجتمعون سراً ويتباحثون في الفلسفة على انواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص هو خلاصة ابحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على اراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام . وأساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تدنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم هذه في خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتموا أسماءهم. وهي تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه في ابان نضجها وتشمل النظر في مباديء الموجودات وأصول الكائنات الى نضد العالم فالهيولى والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض وتغيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات واوصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الاخلاق وطبيعة العدد . وان العالم انسان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور وأجناس الحركات والعلل والمعلومات والحدود والرسوم. وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعي أو رياضي أو فلسفي أو الهي أو عقلي

ويظهر من امعان النظر فيها ان اصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك أراء لم يتصل أهل هذا الزمان الى أحسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل في كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة وان الغرض منها التعاضد في الدين. وذكروا شروط

قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سراً الى بلاد الاسلام . ولم تمض مئة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يدابي الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني . وهو من اهل قرطبة رحل الى المشرق للتبحر في العلم على جاري عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة وهو اول من ادخلها الاندلس فما لبثت ان انتشرت هناك حتى تناولها اصحاب العقول الباحثة واخذوا في درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة . اتقنها طبعة ديتريشي في ليبسك سنة ١٨٨٣ وطبعت في بومباي سنة ١٣٠٣ وفي مصر سنة ١٣٠٦ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية وطبعت في لندن سنة ١٨٦١

وهي غير رسائل اخوان الصفا للحكيم المجريطي المتوفي سنة ٣٩٥ ومنها نسخة خطية فى المكتبة الخديوية في ١٨٠ صفحة . وهي تشبه تلك لكن صاحب هذه يريد ان يفسر الفلسفة بالدين

ماخذ لطلاب فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التي يستعان بها فى درس تاريخ الفلسفة والفلاسفة فى الاسلام:

(١) Boer, The history of philosophy in Islam. London, 1903
(٢) Dietrici, Die Philosophie der Araber in X Jahrhundert n. chr. Leipzig, 1897
(٣) Dugat, Histoire de philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878
(٤) Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris 1876
(٥) Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Gottengen, 1840

غير مقالات عديدة في المجلات الاسيوية والشرقية والفرنساوية والانكليزية والالمانية. وفي دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها في دوائر اللغات الاخرى . وفي المقتطف مقالة في الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٤٦٩ سنة ١٠ ومقالة أخرى في فلسفة العرب لحسين بيهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التي يستعان بها في درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين «طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبعة و «تراجم الحكماء» لابن القفطي وكلاهما مطبوعان

ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعها في الاندلس الا في العصر الآتي فنبغ الزهراوي وابن جزلة وابن رشد وغيرهم كما سيجيء

النجوم

كان للمسلمين حظ وافر من علم النجوم وفضل كبير عليه يكفيك انهم جمعوا فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية شأنهم في اكثر العلوم الدخيلة . وقد اتينا على تفصيل ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي من صفحة ١٨٩ وقد اشتهر في العصرين الماضيين جماعة لم يخلفوا آثاراً وصلت الينا وان كان لهم فضل كبير على هذا العلم اشهرهم بنو شاكر وابو معشر البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ وحنين بن اسحق سنة ٢٨٨ واحمد بن كثير الفرغاني وسهل بن بشر ومحمد بن عيسى الماهاني ومحمد بن جابر الحراني المعروف بالبتاني المتوفى سنة ٣١٧ وكان اوحد عصره في فنه وقد استعان الافرنج بكتبه في نهضتهم الاخيرة . أما في العصر الثالث الذي نحن في صدده فاكثر فلكي المسلمين آثاراً البيروني وقد بقي منها شيء كثير وسنأتي على ترجمته واعماله

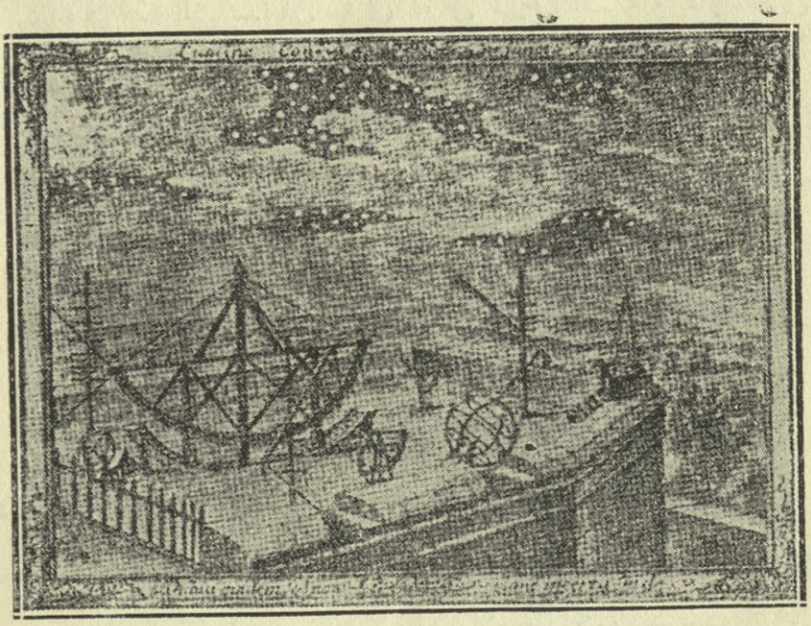

ش ٢٤ : مرصد فلكي وفيه آلات الرصد في الاجيال الوسطى

واول مايستلفت انتباهنا من هذا القبيل ان العرب (او المسلمين) قالوا بابطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ولعلهم اول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها ولكنهم مالوا بعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كما فعلوا بعلم

الكيمياء . وكانوا كذلك في العناية بعلم الفلك يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرتحلون في طلب ذلك العلم الى الهند وفارس ويتبحرون في كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها أو يجمعون بين مذاهبها

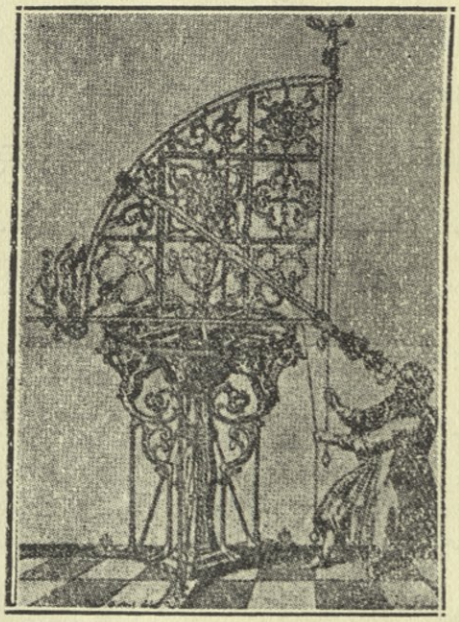

ش ٢٥ : ذات السموت من آلات الرصد العربية

ولعلم النجوم تاريخ طويل عند العرب لامحل له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراصد وآلاتها وما ادخله العرب من الاصلاح في هذا العلم في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ صفحة ١٩١ واليك ترجمة نابغة علم النجوم في هذا العصر :

ابو الريحان البيروني

المتوفي سنة ٤٣٠ هـ

هو اشهر علماء النجوم والرياضيات من المسلمين في العصر الثالث . واسمه محمد بن احمد البيروني نسبة الى بيرون بلد في السند . سافر في بلاد الهند اربعين سنة اطلع فيها على علوم الهنود فضلا عن مطالعة الكتب العلمية المنقولة أوالمؤلفة في هذه الفنون وأقام مدة في خوارزم . وأكثر اشتغاله في النجوم والرياضيات والتاريخ وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقي منها مما وصل خبره الينا :

١ الآثار الباقية عن القرون الخالية : ألفه للامير شمس المعالى وهو يبحث في التواريخ التي كانت تستعملها الامم في زمانه والاختلاف الواقع في الاصول التي هي مبادئها والفروع التي هي شهورها وسنوها والاسباب الداعية لذلك. وفي الاعياد المشهورة والايام المذكورة للاوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الامم دون البعض الآخر. فهو من قبيل التوقيت أو ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر في ما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الامم القديمة وتاريخ ذلك عند الاشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى ايامه. وما أصاب التقاويم في أثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل. وجداول للاشهر الفارسية القديمة على اختلاف الاعصر والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين وعند العرب فى الجاهلية والاسلام وعند الروم والهند والترك بالتفصيل والمقابلة . وفي استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقاويل من آدم فما بعده من رجال التوراة ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والكلدان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتها وبازاء كل ملك مدة حكمه الى يزدجرد الذي توفي بعد الاسلام . وفضول في مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم وتواريخ المتنبئين وامهم من أهل الاوثان أو أهل البدع في الاسلام وأعياد الفرس . ومذاهب اهل خوارزم وحساب قبط مصر في السنين والكبس والاعياد عندهم وعند الملكية . وأعياد النصارى وأحوالهم على اختلاف الطوائف ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وما كانت العرب تستعمله من هذا القبيل في أيام الجاهلية وما فعله الاسلام فيها وغير ذلك مما تقف عليه في كتاب آخر ولذلك فقد عنى المستشرق سخاو الالماني بترجمته الى الانكليزية وقد طبع الاصل في ليبسك سنة ١٨٧٨ والترجمة في لندن سنة ١٨٧٩

٢ تاريخ الهند : وهو من الكتب النادرة في هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو ايضاً الى الانكليزية وطبع الاصل في لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فيها ١٨٨٨

٣ التفهيم لاوائل صناعة التنجيم : هو مختصر في الهندسة والفلك والنجامة منه نسخ في برلين وأوكسفورد والمتحف البريطاني وفي كتب زكي باشا بمصر

٤ القانون المسعودي : في الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي ومنه اسمه . موجود في برلين والمتحف البريطاني وأكسفورد

٥ رسالة في الاسطرلاب . في برلين وباريس

٦ استيعاب الوجـ ـكنة في صنعة الاسطرلاب . في برلين وليدن وباريس

٧ استخراج الاوتاد في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها. هي مسائل هندسية وله فيها طرق خصوصية . موجودة في ليدن

٨ رسالة في راسيكات الهند : في التناسب منه نسخة في المكتب الهندي بلندن

٩ مبحث في مباديء العلوم ألفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية في باريس

١٠ رسالة في سير سهمي السعادة والغيب : في اكسفورد

١١ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر : الفه للملك المعظم ابي الفتح مودود . موجود في الاسكوريال وفي كتب زكي باشا

وترجمة البيروني في طبقات الاطباء ٢٠ ج ٢ وفي مقدمة الطبعة العربية للآثار الباقية

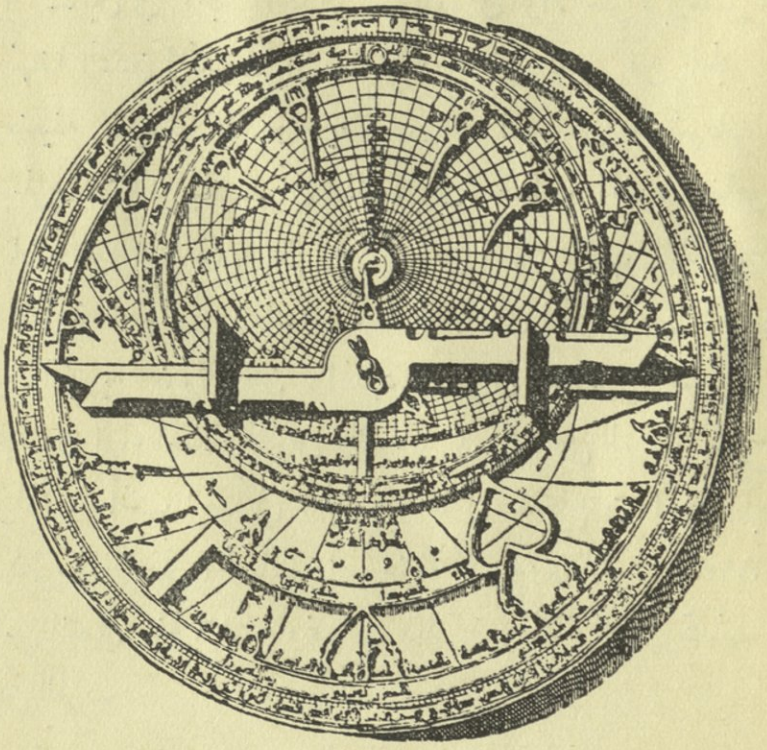

ش ٢٦ : الاسطرلاب

ونبغ غير واحد من علماء الفلك في هذا العصر كالبوزجاني المتوفي سنة ٣٨١ وابن رستم الكوهي والمنجم القمي وأبو الحسين الصوفي وابن اللبان الجيلي وعبد الاعلى الصدفي وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم. وقد اردنا الاختصار في هذا الباب لان التطويل فيه لا يفيد المطالعين بعد تغيير تلك العلوم وانقلابها في هذا العصر فمن اراد التوسع في هذا الشأن فليطالع تراجم أولئك العلماء في اماكنها

الرياضيات

نريد بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة وكان للعرب فيها شأن عظيم ومن اكبر مآثرهم فيها نقلهم الحساب الهندي والارقام الهندية من الهند وسائر اقطار العالم . فالعرب يسمونها ارقاما هندية لانهم نقلوها عن الهنود والافرنج يسمونها عربية لانهم أخذوها عن العرب وأول من تناول تلك الارقام من الهنود أبو جعفر محمد موسى الخوارزمي

وأما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه أو تأليفه. ولما أخذ العرب في نقل العلوم اليونانية نقلوا كتابين في الجبر احدهما لذيوفانتوس والآخر لابرخس وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث ان ما كتبه هذان ليس من الجبر في شيء أو هي أصول ضعيفة لا يعتدُّ بها . وهم يعتقدون أن الجبر من موضوعات العرب . والحقيقة على ما نرى أن العرب بعد أن اطلعوا على حساب الهنود اضافوه الى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن اشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي المذكور . فالظاهر ان الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس فاستخرج منه الجبر العربي كما جمع في زيجه بين أراء الهند والفرس واليونان وقد عنى العرب بشرح كتاب الخوارزمي مراراً . وألف ايضاً في الجبر ابو كامل شجاع بن أسلم وأبو الوفاء البوزجاني وأكثر مؤلفاته في الحساب وابو حنيفة الدينوري المتوفي سنة ٢٨١ هـ وأبو العباس السرخسي المتوفي سنة ٢٨٦هـ وغيرهم . ولما نهض الافرنج في تمدنهم الحديث اخذوا الجبر عن العرب

ومما احدثه المسلمون في الهندسة انهم طبقوها على المنطق وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصري في أوائل القرن الخامس للهجرة فانه ألف كتابا جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وابلنيوس ونوع فيها الاصول وقسمها وبرهن عليها ببراهين نظمها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالى اقليدس وابلونيوس. وأدخل في الجبر والحساب اساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وعدل في أوضاع الجبريين والفاظهم

وبنو م[illegible] ر اشتغلوا في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد من الاولين [illegible] لزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية

واشتغل [illegible] في أعوص المسائل المشكلة في الهندسة كقسمة الدائرة الى سبعة أقسام ووضعوا فيها الرسائل والكتب

الفنون الجميلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية صفحة ١٣٤ من هذا الكتاب. وقد ارتقت بعد ذلك ونبغ فيها كثيرون وإن لم يخلفوا كتباً مستقلة في هذا الفن ولكن ورد كثير من قواعده في كتاب الاغاني وأمثاله وكان لهم شأن في اختراع الآلات الموسيقية وتحسين الآلات التى اخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون والمشهور انه من اختراع الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٣ فقد ذكروا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ولكنها في كل حال غريبة في بابها

ذكروا أن الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة ولم يكن أحد من الحضور يعرفه فعاب المغنين فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ففتح خريطة كانت معه واستخرج تلك الآلة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس. ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج

زرياب وابن فرناس

وزاد المسلمون في العود وتراً خامساً زاده زرياب بالاندلس — كان للعود أربعة أوتار على الصنعة القديمة التى قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وتراً خامساً أحمر متوسط ولون الاوتار وطبقها على الطبائع. وهو الذي اخترع مضراب العود من قوادم النسر وكانوا قبله يضربون بالخشب

وعباس بن فرناس في الاندلس اصطنع الآلة المعروفة بالمثقال يعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال

نظرة

انقضى العصر العباسي الثالث وبانقضائه تم الجزء الثاني من هذا الكتاب . وقد رأيت أن العصر العباسي الثالث المذكور من أهم عصور آداب اللغة. والباقي لنا من ثمار قرائح اصحابه اكثر من بقايا سائر العصور التي تقدمته وفيها نخبة من الكتب الهامة المعول عليها في اللغة والادب والشعر والتاريخ والجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك أقل من بقايا العصر الرابع الآتي ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب. فان اكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة في الادب واللغة انما هي من بقايا العصر الرابع المذكور والذي يليه . كما ستراه مفصلا في الجزء الثالث ان شاء الله

﴿ تم الجزء الثاني ﴾

صقر قريش

جاء صفحة ٢٤٩ من الجزء الاول ان عبد الملك بن مروان «صقر قريش» والصواب أن هذا اللقب لعبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس

فهرست الجزء الثانى

من تاريخ آداب اللغة العربية

	صفحة
المقدمة	٣
أقسام العصر العباسي	٩
القرآن وآداب اللغة العربية	١٠
العصر العباسي الاول	
الانقلاب السياسى فيه	١٧
الخلفاء والعلم	١٨
حرية الدين	١٩
الوزراء الفرس والموالي	٢٠
أقسام آداب اللغة العربية	
العلوم الدخيلة	٢١
امتياز العرب على سواهم	٢١
آداب اللغة اليونانية وفلاسفتها	٢٢
الطب والنجوم واصحابها	٢٥
آداب اللغة الفارسية	٢٩
آداب اللغة السريانية	٣٠
« « الهندية	٣١
نقل الكتب ونقلتها	٣٢
الكتب التى نقلت	٣٤
الخلاصة	٣٤
الباقي من المنقولات	٣٦
العلوم العربية الاصلية	
اللغة	٣٧
الالفاظ العلمية العربية	٣٧
الالفاظ العلمية الاعجمية	٣٨
التراكيب الاعجمية	٣٩
الشعر	
الانتقال الاجتماعي	٤١
مميزات الشعر	٤٢
طريقة النظم	٤٢
المعاني الجديدة	٤٤
وصف الخمر والغلمان	٤٧
الشعر المجونى ووصف الرياض	٤٨
الشعراء	٤٩
الفرق بينهم وبين من تقدمهم	٤٩
التهتك والخلاعة	٥٠
الشعراء الموالي	٥٠
الشكوك في الدين	٥١
حرية الاقلام والالسنة	٥٢
الشعراء عند الخلفاء	٥٣
نفوذ الشعراء	٥٤
تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية	٥٥
طبقات الشعراء	٥٦
الشعراء المتحضرون	٥٦
عمدة الشعراء	
بشار بن برد	٥٨

السيد الحميري ٦١
أبو نواس ٦٢
مسلم بن الوليد ٦٦
أبو العتاهية ٦٧
ابو تمام ٧٠
دعبل الخزاعي ٧٢
سائر الشعراء
ابو دلامة ٧٤
حماد عجرد ٧٥
مروان ابن ابي حفصة ٧٧
سلم الخاسر ٧٨
منصور النمري ٧٩
علي بن الجهم ٨٠
حسين بن الضحاك ٨١
شعراء البرامكة
ابان بن عبد الحميد ٨٢
ابن مناذر ٨٣
الرقاشي ٨٤
اشجع السلمي ٨٤
شعراء الشيعة وغيرهم
ديك الجن ٨٥
مطيع بن اياس ٨٦
ابو الشيص ٨٧
العكوك ٨٨
شعراء لم يكتسبوا بالشعر
صالح بن عبد القدوس ٩٨
عباس بن الاحنف ٩٠
محمد بن بشر الرياشي ٩١
كلثوم بن عمر ٩٢
ربيعة الرقي وغيره ٩٣
العلوم
الأدب والأدباء
رواة الادب ٩٦
الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم ٩٧
عمدة الرواة
قتادة بن دعامة ١٠٠
ابو عمرو بن العلاء ١٠٠
ابو عبيدة ١٠٠
الاصمعي ١٠١
ابو زيد الانصاري ١٠٢
ابو عبيد القاسم بن سلام ١٠٣
رواة الشعر
حماد الرواية ١٠٥
المفضل الضبي ١٠٦
خلف الاحمر ١٠٦
ابو عمر الشيباني ١٠٧
محمد بن سلام ١٠٨
ابن أبي الخطاب ١٠٩
ما هو مبلغ صدق الرواة ١١٠
النحو
البصريون والكوفيون ١١٣
سيبويه ١١٤
معاذ الهراء ١١٦
الكسائي ١١٦

اء ١١٧
السكي ١١٨
اللغة
اوليات كتب ١٢٠
الخليل بن احمد ١٢١
مؤرج السدوسي ١٢٤
النضر بن شميل ١٢٥
قطرب ١٢٥
ابن الاعرابى ١٢٥

الانشاء والمنشئون

الانشاء ١٢٦
اول ثمار الرخاء ١٢٧
التوقيعات ١٢٨
الانشاء المرسل ١٢٩
منشئو الرسائل ١٣٠
الكتاب المؤلفون ١٣١
عبد الله بن المقفع ١٣١
سهل بن هارون ١٣٤
الموسيقى او الغناء ١٣٤

العلوم الاسلامية

الفقه ١٣٧
ابو حنيفة النعمان ١٣٨
مالك بن انس ١٣٩
الامام الشافعى ١٤٠
الامام ابن حنبل ١٤١
القاضي ابو يوسف ١٤٢
محمد بن الحسن الشيباني ١٤٣
عبد الرحمن بن القاسم ١٤٣
الحديث ١٤٤
التفسير والقراءة ١٤٥

التاريخ

الشيخ ابو اسماعيل ١٤٦
الواقدي ١٤٦
كتب الطبقات ١٤٧
ابن سعد صاحب الطبقات ١٤٨
الانساب وكتبها ١٤٨
هشام الكلبي ١٤٩
السيرة النبوية ١٥٠
عبد الملك بن هاشم ١٥٠
محمد بن اسحق ١٥٠
نظرة عامة في العصر الاول ١٥٢

العصر العباسي الثاني

تاريخه السياسي ١٥٣
مميزاته ١٥٥

الشعر والشعراء

مميزات الشعر ١٥٦
اشتهر الشعراء
ابن الرومي ١٥٨
البحتري ١٥٩
ابن المعتز ١٦١
البسامى ١٦٣
الخبزارزى ١٦٤
ابن العلاف ١٦٤

الادب والادباء

مميزات الادب ١٦٦

ادباء هذا العصر

الجاحظ ١٦٧
السكري ١٦٩
ابن قتيبة ١٧٠
ابن ابي الدنيا ١٧٢
قدامة بن جعفر ١٧٢
الوشاء ١٧٣
ابن عبد ربه ١٧٣
ابو بكر الصولي ١٧٤
ادباء آخرون ١٧٥
الانشاء ١٧٦
اسلوب بن المقفع ١٧٦
كساد البضاعة وفساد العقيدة ١٧٧

النحو والنحاة

ابو عثمان المازني ١٨٠
ابو العباس ثعلب ١٨٠
ابو اسحق الزجاج ١٨١
ابن الانباري ١٨٢
ابن ولاد ١٨٢
ابو جعفر النحاس ١٨٢
ابو القاسم الزجاجي ١٨٣
مذاهب البصريين والكوفيين ١٨٤

اللغة واللغويون

ابو عمرو الهروي ١٨٥
ابو حاتم السجستاني ١٨٥
ابو العباس المبرد ١٨٦
المفضل بن سلمة ١٨٧
ابن دريد ١٨٨
عبدالرحمن الهمذاني ١٨٩

التاريخ ـ ورجاله

ابن عبد الحكم ١٩١
البلاذري ١٩١
محمد بن حبيب ١٩٣
الزبير بن بكار ١٩٣
عمر بن شبة ١٩٤
الازرقي ١٩٥
ابن طيفور ١٩٥
اليعقوبي ١٩٦
ابو حنيفة الدينوري ١٩٧
ابن جرير الطبري ١٩٧
ابو زيد البلخي ١٩٩
ابن البطريق ٢٠٠

الجغرافية والجغرافيون

اسباب وضع الجغرافية ٢٠١
ابن خرداذبه ٢٠٢
قدامة ٢٠٢
ابن الفقيه ٢٠٣
ابن رسته ٢٠٣
ابن الحائك ٢٠٤
ابن فضلان ٢٠٤
سلسلة تواريخ ٢٠٥
بزرك بن شهريار ٢٠٥

العلوم الشرعية

علم الكلام ٢٠٧
علماء الكلام ٢٠٨
الحديث ٢٠٩
البخاري ٢١٠
القشيري ٢١٠
ابن ماجه ٢١٠
أبو داود ٢١١
الترمذي ٢١١
النسائي ٢١١
التفسير للطبري ٢١١

العلوم الدخيلة

الفلسفة والرياضيات

يعقوب الكندي ٢١٢
أبو نصر الفارابي ٢١٣
ابن أبي الربيع ٢١٤

الطب والاطباء

ابن ماسويه ٢١٦
ابن سهل ٢١٦
أبو بكر الرازي ٢١٦
الزراعة ٢١٩

العصر العباسي الثالث

تنقل العلم في المدائن ٢٢١
أسباب النهضة ٢٢٢

الدول التي ساعدت عليها

الدولة البويهية ٢٢٣
« السامانية ٢٢٦
« الزيارية ٢٢٦
الدولة الغزنوية ٢٢٧
« الحمدانية ٢٢٨
« المروانية بالاندلس ٢٢٩
« الفاطمية ٢٣٠
الوجهاء والعلم ٢٣٠

مزايا هذا العصر

نضج العلم ٢٣١
ظهور الموسوعات ٢٣٢
تعدد العلوم ٢٣٢
التدبير المنزلي ٢٣٢
كتب السياسة ٢٣٣
الاقتصاد السياسي ٢٣٣
علم العمران ٢٣٤

الشعر والشعراء

مزايا الشعر في هذا العصر

حل القيود القديمة ٢٣٥
مقتبسات الفلسفة وغيرها ٢٣٦
أبواب عديدة ٢٣٦
المبالغة ٢٣٧
طول القصائد ٢٣٨
الوصف الشعري ٢٣٩
زيادة البحر ٢٤٠
تاريخ نقد الشعر ٢٤١

أشهر الشعراء

أبو الطيب المتنبي ٢٤٥
أبو فراس ٢٤٩
كشاجم ١٥١
السري الرفاء ٢٥١
ابن هانى الاندلسي ٢٥٣

الوأواء الدمشقي ٢٥٤
السلامي ٢٥٥
البيغاء ٢٥٦
النامي ٢٥٦
ابن نباتة السعدي ٢٥٧
الشريف الرضي ٢٥٧
صريع الدلاء ٢٥٧
مهيار الديلمي ٢٥٩
أبو العلاء المعري ٢٦٠
سائر الشعراء ٢٦٤

الانشاء والترسل

أسلوب الترسل ٢٦٥
الطريقة المدرسية وشروطها ٢٦٦

المنشئون

ابن العميد ٢٦٩
أبو بكر الخوارزمي ٢٧٢
أبو اسحق الصابي ٢٧٣
الصاحب بن عباد ٢٧٤
بديع الزمان الهمذاني ٢٧٥
أبو منصور الثعالبي ٢٧٦
الادب والانشاء عند الافرنج ٢٧٧

الادب والادباء

أبو الفرج الاصبهاني ٢٨١
أبو علي التنوخي ٢٨٣
أبو هلال العسكري ٢٨٣
أبو منصور الثعالبي ٢٨٤
الشريف المرتضى ٢٨٨
ابن رشيق القيرواني ٢٨٨
كتب أخرى في ٢٨٩
المحاضرات ٢٩٠

الروايات

تمهيد ٢٩١
القصص التي وضعها العرب ٢٩٢
القصص المنقولة ٢٩٥
خرافات الافرنج ٢٩٧
الدرام عند العرب ٢٩٩

النحو والنحاة

ابن خالويه ٣٠١
أبو بكر الزبيدي ٣٠١
ابن جني ٣٠٢
نحاة آخرون ٣٠٣

اللغة واللغويون

المطرز البارودي ٣٠٤
أبو علي القالي ٣٠٥
أبو احمد العسكري ٣٠٥
المعاجم اللغوية وأصحابها ٣٠٦
التهذيب للازهري ٣٠٨
المحيط للصاحب ٣٠٨
المجمل لابن فارس ٣٠٩
الصحاح للجوهري ٣٠٩
الجامع للقزاز ٣١١
الموعب للتياني ٣١١
المحكم والمخصص لابن سيده ٣١١

التاريخ والمؤرخون

المسعودي ٣١٣

حمز ٣١٥
ابن ، ٣١٥
المرعشي ٣١٦
مسكويه ٣١٧
صاعد الاندلسي ٣١٨
ابو عمر الكندي ٣١٩
ابو عبد الله الخشني ٣١٩
ابو الحسن الاسكندراني ٣١٩
ابن القوطية ٣٢٠
ابن زولاق ٣٢٠
ابن الفرضي ٣٢١
عز الملك المسبحي ٣٢١
ابو اسحق الثعلبي ٣٢١
ابو النصر العتبي ٣٢٢
هلال الصابي ٣٢٣
القضاعي ٣٢٣
ابو بكر الخطيب ٣٢٤

الجغرافيا والجغرافيون

الخرائط عند العرب ٣٢٦
اصحاب الجغرافية
ابو زيد البلخي ٣٢٧
الاصطخري ٣٢٧
ابن حوقل ٣٢٨
المقدسي ٣٢٩
ابن سرابيون ٣٣٠

العلوم الاسلامية

علماء الكلام ٣٣١
الباقلاني ٣٣١
التصوف ٣٣٢
الفقه ٣٣٣
الماوردي ٣٣٣
الفرائض ٣٣٤
التفسير والحديث ٣٣٤

العلوم الدخيلة

الطب ٣٣٥
ابن سينا ٣٣٦
الصيدلة والكيمياء ٣٣٨
ابن البيطار وابن الصوري ٣٤١
الفلسفة ٣٤١
اخوان الصفا ٣٤١
مآخذ لطلاب الفلسفة ٣٤٣
النجوم ٣٤٤
ابو الريحان البيروني ٣٤٥
الرياضيات ٣٤٧
الفنون الجميلة ٣٤٨
نظرة ٣٤٩

تم الفهرست

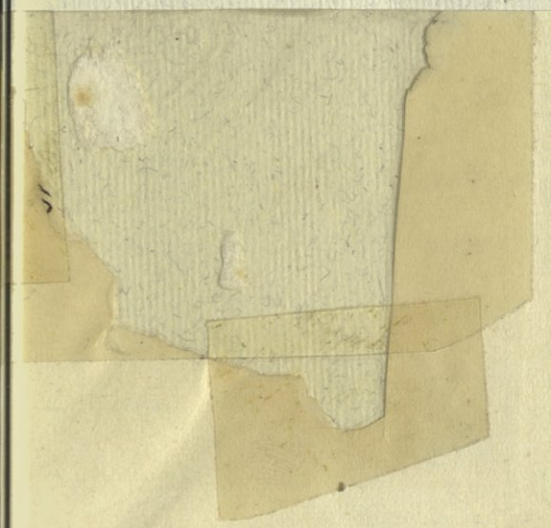

A.U.B. LIBRARY

A.U.B. LIBRARY

R:892.709:Z39taA:v.1-2:c.1
زيدان ،جرجى
تاريخ آداب اللغة العربية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01069373